

النور السافر

عَنْ أَخْبَارِ الْقُرْآنِ الْعَاشِرِ

لِلْعَلَّامَةِ عَبْدِ الْقَادِرِ بْنِ شَيْخِ بْنِ عَرَبٍ الْعِيدَرُوسِ
الْحُسَيْنِيِّ الْخَضْرِيِّ الْهَمَزِيِّ الْهِنْدِيِّ
(٩٦٨ - ١٠٣٨ هـ)

حَقَّقَهُ وَصَبَّطَ نَصُوصَهُ وَصَنَعَ فِهْرَاسَهُ وَقَدَّمَ لَهُ وَعَلَّقَهُ عَلَيْهِ

الدكتور أحمد حَالُو

محمود الأرنؤوط أكرم البوشي

دار طائر

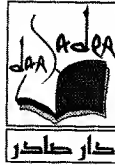
بيروت

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

2001

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهروستاتية ، أو أشرطة ممغنطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستنساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .



تأسست سنة ١٨٦٣

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER Publishers

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsader.com

Al-Nūr al-Sāfir (10th century AH)

(‘Abd al-Qādir al-‘Aydārūs)

p. 664 - s. 17.5x25 cm

ISBN 9953-13-007-8

النُّورُ السَّافِرُ

عَنْ أَجْبَارِ الْقُرْآنِ الْعَاشِرِ

الإهداء

إلى علامة الجزيرة العربية الشيخ حمد الجاسر

تقديراً لجهوده العظيمة في إحياء تراث الأمة

المحققون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة التحقيق

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده
ورسوله .

وبعد : فحينما شرعت بتحقيق كتاب « شذرات الذهب في أخبار من ذهب » لابن العماد الحنبلي سنة (١٤٠٤هـ) بإشراف والدي وأستاذه المحدث المحقق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط حفظه الله ، ونشرته دار ابن كثير بدمشق وببيروت ، تبين لي أن هذا الكتاب « النُّور السَّافِرُ عن أخبار القرن العاشر » للعيدروس من أهم المصادر التي نقل عنها صاحب « الشذرات » في تأريخه لأحداث وتراجم القرن العاشر الهجري ، وكان لابد لي من العودة للطبعة المتوافرة منه في حينه^(١) ، فشعرت إبانها بضرورة إخراج الكتاب في طبعة جديدة محققة لكثرة ما حصل من الخطأ في تلك الطبعة ، وهكذا بدأت رحلتي مع البحث عن أصل خطي للكتاب للاعتماد عليه في تحقيقه الكتاب وإخراجه إخراجاً جديداً يتفق مع ما تعارف عليه المشتغلون المتقنون في إحياء التراث العربي الإسلامي في هذا العصر .

(١) وهي التي اعتنى بها (محمد رشيد أفندي الصقّار) ونشرتها المكتبة العربية ببغداد لصاحبها (نعمان الأعظمي) سنة (١٣٥٣ - ١٩٣٤ م) . انظر « ذخائر التراث العربي الإسلامي » للأستاذ عبد الجبار عبد الرحمن ص (٧٠٨) .

وأعادت طبعه بالاعتماد على الطبعة المذكورة - دار الكتب العلمية ببغداد بالاشتراك مع مكتبة عباس أحمد الباز بمكة المكرمة .

وحين زرت مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي سنة (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م) وقفت على مصورة إحدى مخطوطاته الهامة^(١) ، فطلبت تصوير نسخة منها في عداد قائمة من مصورات المخطوطات التي طلبت تصويرها من المركز المذكور ، وحين عدت إلى دمشق قمت بتظهير نسخة ورقية من المصورة المذكورة وعزمت على إخراج الكتاب للباحثين وطلبة العلم . ولما كانت أوقاتي مزدحمة بأعمال مختلفة ومهام متعددة ، فقد ترجّح عندي أمر الاستعانة ببعض الأصدقاء للإسراع في تحقيق الكتاب ، فعرضت فكرة المشاركة في تحقيقه على صديقي الفاضل الدكتور أحمد حالو مدرّس الأدب العربي بجامعة دمشق في حينه^(٢) ، وعلى صديقي الفاضل الأستاذ أكرم البوشي المتمرس في شؤون التحقيق ، فوافقا على المشاركة ، فقمت بوضع الخطة التي قام تحقيق الكتاب وإخراجه على أساسها ، وقام كل طرف منا بخدمة الكتاب بما يتصل باختصاصه ، وقد تمثلت خطواتنا في تحقيقه وإخراجه بالآتي :

١- مقابلة المطبوع القديم ، وقد رمزنا له بحرف (ط) ، على مصورة الأصل الخطي المعتمد في التحقيق والذي آل بالتصوير إلى خزانة مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي من معهد المخطوطات العربية بالكويت الذي حصل على مصورة عنه من مكتبة الأحقاف باليمن عام (١٤٠٣هـ = ١٩٨٢م) إبّان إدارة صديقي الفاضل الأستاذ الدكتور خالد عبد الكريم جمعة له ، وقد رمزنا لها بحرف (م) ، للتأكد من سلامة المطبوع والوقوف على حسنات المخطوط أو المطبوع إن وجدت ، فتبين لنا من خلال ذلك أن كلا الأصلين فيه من الحسنات والأخطاء ما ليس في الآخر ، الأمر الذي عاد على تحقيق الكتاب بالخير

(١) وتقع في (٢٤٤) ورقة كبيرة ، وسيأتي الكلام عليها عند الكلام على عملنا في تحقيق الكتاب والخطوات التي اتبعت فيه .

(٢) وكان ذلك أثناء إحدى زيارته لي في مكتب ابن عساكر لتحقيق وتصحيح كتب التراث ، الذي أسسته بدمشق وأدرت العمل به بين عامي (١٤١١-١٤١٦هـ = ١٩٩١-١٩٩٥م) رغبة مني في حثه على العمل بخدمة مصنفات الأسلاف من علماء الأمة .

والفائدة ، وانتهينا بذلك إلى إخراج نص مضبوط بشكل جيد إن شاء الله ،
وأشرنا إلى الفروق الجوهرية بين الأصلين في الحواشي ، كما أشرنا إلى ما تم
ترجيحه من كلا الأصلين أيضاً عقب المقابلة والمقارنة .

٢- تفصيل النصوص وترقيمها وضبط ما احتاج إلى الضبط بالحركات منها .

٣- تخريج الآيات والأحاديث الواردة في نصوص الكتاب .

٤- الإشارة إلى مصادر التراجم التي أوردها المؤلف في الكتاب ما أمكننا
ذلك .

٥- التعريف ببعض الأعلام والأماكن الواردة في ثنايا النصوص وضمن
سياق التراجم .

٦- التعليق على بعض المواطن من الكتاب مما رأينا بأن التعليق عليها أو
التعقيب عليها أمر ضروري ، كتلك التي احتوت على مخالفات شرعية لا تتفق
ومناهج المحققين من علماء الأمة .

٧- إعداد فهرس للكتاب تفتح مغاليقه للباحثين والقراء .

٨- التعريف بمؤلف الكتاب ، وذلك بالاكْتفاء بترجمته المعدّة لـ « موسوعة
أعلام الأمة في أربع مئة عام »^(١) ، ومن أراد التوسع في ترجمته فليرجع إلى
مصادرها ويقف على تفاصيل أخباره فيها ، وإلى ترجمته المطولة لنفسه في هذا
الكتاب^(٢) .

وقد كشف لنا عملنا في تحقيق الكتاب عن أهميته البالغة لاحتوائه على مجموعة
كبيرة من الأحداث والتراجم التي تكمل صورة القرن العاشر الهجري وتوضح مدى
تأثر أهله بمناهج المتصوفة وعدم إنكارهم ما كانوا عليه من مخالفات لنصوص

(١) التي أقوم بإعدادها منذ عشر سنوات وتضم تراجم أعلام المسلمين في جميع أقطار العالم
الإسلامي بجميع مناحي الحياة ، وشاركني العمل في إعدادها بعض الأصدقاء من الأساتذة
الأفاضل ، بغية وضع أنموذج عن تراجمها بين أيدي الدارسين من الزملاء المحققين وسواهم .
(٢) انظر ص (٤٤٤-٤٥٣) .

صريحة واضحة معروفة للمسلمين عامة وللعلماء المحققين منهم خاصة^(١) .
وتجدر الإشارة إلى أن الكتاب يحتوي على تراجم مطولة وهامة جداً ، وتراجم
أقل أهمية ، وتراجم مختصرة إلى حد بعيد .

وقد تبين لنا بأن المؤلف فرغ من تأليف الكتاب سنة (١٠١٢هـ) .

ذلك ما قمنا به لتحقيق هذا الكتاب وإخراجه وتم بيانه بإختصار ، فإن
أحسننا فذلك ما عملنا له مخلصين ، وإن سهونا وأخطأنا وغفلنا فذلك شأن
البشر في كل زمان ومكان ، والمأمول من أهل العلم من المحققين لفت أنظارنا
إلى ما قد يقع لهم من خطأ أو وهم صاحب عملنا في تحقيق الكتاب وإخراجه
لتتداركه في طبعات الكتاب القادمة إن شاء الله تعالى ، فقد كانت رحلتنا مع
إخراج نصوصه وضبطها عسيرة إلى حد بعيد .

وخير ما أختتم به كلامي ذكر ما جاء في كتاب الله العزيز على لسان سليمان
عليه السلام قوله : ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَتِي وَأَنْ أَعْمَلَ
صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾^(٢) والحمد لله رب العالمين .

دمشق الشام في الرابع عشر من شهر ذي الحجة لعام ١٤٢٠هـ الموافق
للعشرين من شهر آذار لعام ٢٠٠٠ م .

خادم تراث الأسلاف

محمود الأرناؤوط

* * *

(١) ولا بد لنا من التنويه إلى أن العلامة محمد بن أبي بكر بن أحمد الحُسَيني الشَّيْلي ، المتوفى
سنة (١٠٩٣هـ) قد صَنَّفَ تكملة لـ « تاريخ النور السافر » سماها « السنا الباهر في تكميل
النور السافر في أخبار القرن العاشر » ذكر فيه ما فات العيدروس ذكره من حوادث وتراجم
القرن العاشر ، ولا زال مخطوطاً إلى الآن فيما نعلم ، ومنه نسخة خطية يحتفظ بها المتحف
البريطاني بلندن ، وهو جدير بالتحقيق والنشر لأنه يكمل الفائدة المرجوة من هذا الكتاب .
انظر « مصادر التراث اليمني في المتحف البريطاني » للأستاذ الدكتور حسين عبد الله العمري
ص (٩٦ و ٩٧) طبع دار المختار بدمشق عام (١٤٠٠-١٩٨٠ م) .

(٢) سورة النمل: الآية (١٩) .

ترجمة المؤلف (*)

هو عبد القادر بن شيخ بن عبد الله بن شيخ بن عبد الله العيذرؤوس الحسيني الحَضْرَمِيّ اليَمَنِيّ الهندي .

ولد بمدينة أحمد آباد من الهند عشية يوم الخميس العشرين من شهر ربيع الأول سنة (٩٧٨ هـ) ، وقرأ القرآن العظيم وطرفاً من العلم على عدد من العلماء ، وحفظ عدة متون ، وشارك في كثير من الفنون ، ولبس خرقة التصوف ، وتصدر لنشر العلوم ، وعُني باقتناء الكتب وبالغ في طلبها من أقطار مختلفة ، وأخذ عنه كثير من أعلام عصره ، ونال تقدير الملوك والرؤساء في معظم البلدان الإسلامية ، وكاتبه كثيرون منهم وأتحفوه بصلاتهم الجميلة وهباتهم الجزيلة ، وأخذ عنه غير واحد من الأعلام ، وكان مغرمًا بالمتصوفة وتتبع أخبارهم ، مع حرص على الإنصاف لهم ولسواهم مما مرَّ وعبر من أعلام الزمان ، وصنف مصنّفات كثيرة غير كتابه الهام « تاريخ النور السافر » تدل على بعد غوره ، وسعة اطلاعه ، وحُسن تدوينه ، وجمال عبارته ، منها :

١- إتحاف الحضرة العزيزة بعيون السيرة الوجيزة .

(*) ترجمته في : « خلاصة الأثر » (٤٤٠ / ٢) و « ملحق البدر الطالع » (١٢٣ / ٢) و « نزهة الخواطر » (٢٤١ / ٥) و « تاريخ الأدب العربي » (٢٥٩ / ٩) و « أعلام العرب في العلوم والفنون » (٩٢ / ٣) و « هدية العارفين » (٦٠٠ / ١) و « الأعلام » (٣٩ / ٤) و « علماء العرب في شبه القارة الهندية » ص (٤٣٥-٤٣٦) و « معجم المؤلفين » (١٨٨ / ٢) و « عيون المؤلفات » (٧٢ / ١) و « ذخائر التراث العربي الإسلامي » (٧٠٨ / ٢) و « معجم المفسرين » (٢٩٣ / ١) و « إتحاف القاري » ص (١٦٥) .

- ٢- أسباب النجاة والنجاح في أذكار المساء والصباح .
 - ٣- الأنموذج اللطيف في أهل بدر الشريف .
 - ٤- تعريف الأحياء بفضائل الإحياء (أي إحياء علوم الدّين للغزالي) وقد طبع في مصر سنة (١٣١١ هـ) على هامش « إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدّين » للمرتضى الزبيدي ، وبها أيضاً سنة (١٣٥٨ هـ) على هامش « إحياء علوم الدّين » للغزالي .
 - ٥- الحداثق الخضره في سيرة النبي ﷺ وأصحابه العشرة .
 - ٦- الحواشي الرشيقه على العروة الوثيقه .
 - ٧- الدّر الثمين في بيان المهم من علوم الدين .
 - ٨- الروض الفاخر فيمن اسمه (عبد القادر) من أهل القرنين التاسع والعاشر ، منه نسخة خطية في برلين .
 - ٩- صدق الوفاء بحق الإخاء . وهو في سيرة أحمد بن محمد الحضرمي ، ومنه نسخة خطية في برلين .
 - ١٠- عقد اللآل بفضل الآل .
 - ١١- فتح الباري بختم صحيح البخاري .
 - ١٢- المنتخب المصنفى بأخبار مولد المصطفى .
 - ١٣- المنهاج إلى معرفة المعراج .
- وله نظم وشعر حسن جمعه في « ديوان » سمّاه « الروض الأريض والفيض المستفيض » منه نسخة خطية في مكتبة الامبروزيانا ويقع في خمسين ورقة .
- وأما كتابه « النور السافر عن أخبار القرن العاشر » فهو واسطة العقد من مؤلفاته ، وسبب شهرته وانتشار ذكره ، وقد ربّته على السنوات من سنة واحد وتسعمئة إلى سنة ألف للهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلوات والتحية ، وأورد فيه حوادث وتراجم كثيرة تخص تلك السنوات المباركات في

عدد كبير من أقطار الأمة الإسلامية ، واعتنى بذكر دقائق الأمور المتصلة بنفسه وبأسرته وأخبارها ، وقد نقل عنه كثير من أصحاب كتب التراجم ، وفي الطليعة منهم ابن العماد الحنبلي ، والشوكاني ، والزركلي ، وكحالة ، وغيرهم .
توفي بمدينة أحمد آباد الهندية سنة (١٠٣٨ هـ) ودفن فيها ، رحمه الله
برحمته الواسعة وأسكنه فسيح جنانه .

* * *

۱۰

و قف
الحمد لله رب العالمين
على نعمه

العاشر

العلامه محيى الدين عبد القادر

الکتاب بن شیخ نور محمد

بعد روکے

نَفَرًا

ایک

و صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

١٠٠
 ١٠١
 ١٠٢
 ١٠٣
 ١٠٤
 ١٠٥
 ١٠٦
 ١٠٧
 ١٠٨
 ١٠٩
 ١١٠
 ١١١
 ١١٢
 ١١٣
 ١١٤
 ١١٥
 ١١٦
 ١١٧
 ١١٨
 ١١٩
 ١٢٠
 ١٢١
 ١٢٢
 ١٢٣
 ١٢٤
 ١٢٥
 ١٢٦
 ١٢٧
 ١٢٨
 ١٢٩
 ١٣٠
 ١٣١
 ١٣٢
 ١٣٣
 ١٣٤
 ١٣٥
 ١٣٦
 ١٣٧
 ١٣٨
 ١٣٩
 ١٤٠
 ١٤١
 ١٤٢
 ١٤٣
 ١٤٤
 ١٤٥
 ١٤٦
 ١٤٧
 ١٤٨
 ١٤٩
 ١٥٠
 ١٥١
 ١٥٢
 ١٥٣
 ١٥٤
 ١٥٥
 ١٥٦
 ١٥٧
 ١٥٨
 ١٥٩
 ١٦٠
 ١٦١
 ١٦٢
 ١٦٣
 ١٦٤
 ١٦٥
 ١٦٦
 ١٦٧
 ١٦٨
 ١٦٩
 ١٧٠
 ١٧١
 ١٧٢
 ١٧٣
 ١٧٤
 ١٧٥
 ١٧٦
 ١٧٧
 ١٧٨
 ١٧٩
 ١٨٠
 ١٨١
 ١٨٢
 ١٨٣
 ١٨٤
 ١٨٥
 ١٨٦
 ١٨٧
 ١٨٨
 ١٨٩
 ١٩٠
 ١٩١
 ١٩٢
 ١٩٣
 ١٩٤
 ١٩٥
 ١٩٦
 ١٩٧
 ١٩٨
 ١٩٩
 ٢٠٠

صورة غلاف النسخة الخطية المعتمدة في تحقيق الكتاب



بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين
لحمده رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان الا على
الظالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين وآله
النبيين وعلى آله وصحبه اجمعين فهذا التوديع لطيف
وعنوان شريف ذكرت فيه وفيات من ظهرت بتاريخ
وفاته ممن مات في هذا القرن الذي اوله سنة احدى
وتسماية ختم بالحسن من سائر العلماء والصلحا والعقاة والادبا
والملوك والاعيان مصر يا كان او شاميا حجازيا كان او يمنيا
روميا او هنديا مشرقيا او مغربيا وضمت الي ذلك ذكر بعض
الحوادث والمآثر والحكايات العجيبة والملح الغريبة ولا
يعدم كل شخص من نادرة جرت له من الاخبار وشعر نظمه
من الاشعار على وجه الاختصار وما يوصل به من الاعتبار به

در من قال

اذا عرف الانسان اخبار من مضى تخيلته قد عاش جينا من الدهر
فقد عاش كل الدهر من كان عالما كرميا حلما فاغتم اطوار العمر
ولم استوعب كل ما وقع في هذا القرن من الحوادث لعنه
اللعنة عليها وانما ذكرت لما انتم اليه المبداء في زماننا
تركته يكون ذكر مما ذكرته ولكن اذا كانت تعديت الحدود
فلا يسير من الا يترك واجتران يكون هذا نكتة كتاب حديث
الادب والتاريخ وادب

صورة الصفحة الأولى من النسخة الخطية المعتمدة في تحقيق الكتاب

غنية يحتاج إلى
وذلك بفضل
وصل الله على سيدنا محمد وآله وسب
وقع القواغ من تأليف هذا التاريخ اللطيف
سنة الثمان مائة وثمانين ألف باعده بادوا
ويكافئ زيدا ولاهول ولا قوة الا بالله
اللهم وتحيتم فيها سلام وآخر دع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين ، وخاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد : هذا أنموذج لطيف ، وعنوان شريف ، ذكرت فيه وفيات من ظفرت بتاريخ وفاته ممن مات في هذا القرن ، الذي أوله سنة إحدى وتسعمائة ، ختم بالحُسنَى ، من سائر العلماء ، والصلحاء ، والقضاة ، والأدباء ، والملوك ، والأعيان ؛ مصرياً كان أو شامياً ، حجازياً كان أو يمنياً ، رومياً أو هندياً ، مشرقياً أو مغربياً . وضممت إلى ذلك ذكر بعض الحوادث والمجريات والحكايات العجيبة ، والمِلح الغريبة ، ولا يعدم كل شخص من نادرة جرت له من الأخبار ، وشعر نظمته من الأشعار ، على وجه الاختصار وما يحصل من الاعتبار .

ولله درّ من قال : [من الطويل]:

إِذَا عَرَفَ الْإِنْسَانُ أَخْبَارَ مَنْ مَضَى تَخَيَّلَتْهُ قَدْ عَاشَ حِيناً مِنَ الدَّهْرِ
فَقَدْ عَاشَ كُلُّ الدَّهْرِ مَنْ كَانَ عَالِماً كَرِيماً حَلِيماً فَاغْتَنِمِ أَطْوَلَ الْعُمْرِ

هذا ولم أستوعب كل ما وقع في هذا القرن من الحوادث لعدم اطلاعي عليها ، وإنّما ذكرتُ ما انتهى إليه علمي منها ، وربما أن الذي تركته يكون أكثر

مما ذكرته ، ولكن إذا كانت الغايات لا تدرك ، فاليسير منها لا يترك ، وأرجو أن يكون هذا الكتاب كتاب حديث وفقه وتاريخ وأدب ، وسميته :

« الثور السافر عن أخبار القرن العاشر »

ولنذكر قبل الشروع في المقصود نبذة شريفة من أوصاف سيّد المرسلين وأفضل الأولين والآخرين ، تيمناً بذكره ، واستشعاراً لعظيم قدره ، عسى أن أسعد بشفاعته ، وأحشر في زمرة ، لحبي إياه ، والتجائي إلى شريف علياه ، ﷺ ، وشرف ، وكرم ، ومجد ، وعظم .

اعلم أن الله سبحانه لما أراد إيجاد خلقه أبرز الحقيقة المحمدية من أنواره الصمدية في حضرته الأحدية^(١) ، ثم سلخ منها العوالم كلها ، علوها وسفلها ، على ما اقتضاه كمال حكمته وسبق في إرادته وعلمه^(٢) ، ثم أعلمه تعالى بكماله ونبوته ، وبشره بعموم دعوته ورسالته ، وبأنه نبي الأنبياء ، وواسطة جميع الأصفياء ، وأبوه آدم بين الرّوح والجسد . ثم انبجست منه عيون الأرواح ، فظهر ممدأ لها في عالمها المتقدم على عالم الأشباح ، وكان هو الجنس العالي على جميع الأجناس ، والأب الأكبر لجميع الموجودات والناس ، فهو - وإن تأخر وجود جسمه - متميز على العوالم كلها برفعته وتقدمه ، إذ هو خزانة السرّ الصّمداني ، ومحتد تفرّد الأمداد الرّحماني .

وصحّ في « مسلم » : أنه ﷺ قال : « إنّ الله تعالى كتّب مقادير الخلق^(٣) قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه على الماء^(٤) » .

(١) في (ط) : « الأحمدية » .

(٢) في (ط) : « في علمه وإرادته » .

(٣) في « صحيح مسلم » : « الخلائق » .

(٤) رواه مسلم رقم (٢٦٥٣) في القدر : باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه .

ومن جملة ما كتب في الذكر وهو أم الكتاب : « أن محمداً خاتم النبيين » ، وصحَّ أيضاً : « إني عند الله ^(١) لخاتم النبيين ، وإن آدم لمنجدل في طينته » ^(٢) . أي طريق ^(٣) ملقى قبل نفخ الروح فيه .

وصحَّ أيضاً : يا رسول الله متى كنت نبياً؟ قال : « وآدم بين الروح والجسد » ^(٤) . ويروى : « كُتِبْتُ من الكتابة » ^(٥) وخبر : « كنت نبياً وآدم بين الماء والطين » ^(٦) . قال بعض الحُفَّاظ : لم نقف عليه بهذا اللفظ .

وحسن الترمذي خبر : « يا رسول الله متى وجبت لك النبوة ؟ قال : وآدم بين الروح والجسد » ^(٧) . ومعنى وجوب النبوة وكتابتها : ثبوتها

- (١) في « م » و « ط » : « إني عبد الله » وهو خطأ والتصحيح من « كنز العمال » .
 (٢) ذكره المتقي الهندي في « كنز العمال » رقم (٣١٩٦٠) و (٣٢١١٤) وعزاه لأحمد في « المسند » والطبراني والحاكم ولأبي نعيم في « حلية الأولياء » وللبیهقي في « شعب الإيمان » من حديث العرياض بن سارية رضي الله عنه ، وانظر « ذكر مولد رسول الله ﷺ ورضاعه » لابن كثير ص (٢٣) طبع دار ابن كثير بدمشق .
 (٣) في (ط) : « لطريح » .

- (٤) رواه أحمد في « المسند » (٥٩/٥) وابن أبي عاصم في « السنة » رقم (٤١٠) والحاكم في « المستدرک » (٦٠٨/٢) وهو حديث صحيح ، وانظر بقية تخريجه في « مجالس في سيرة النبي ﷺ » لابن رجب ص (١٩) طبع دار ابن كثير بدمشق .

- (٥) قال ابن رجب الحنبلي في « مجالس في سيرة النبي ﷺ » ص (٢٠) : قال الإمام أحمد بن حنبل في رواية مُهَنَّأ : وبعضهم يرويه : « متى كنت نبياً » من الكتابة ، فإن صحّت هذه الرواية ، حملت مع حديث العرياض بن سارية على وجوب نبوته وثبوتها وظهورها في الخارج ، فإن الكتابة إنما تستعمل فيما هو واجب ، إما شرعاً كقوله تعالى : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لِمَآكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٣] أو قدراً كقوله تعالى : ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَخْلِفَنَا بِكَ أَنَا وَرُسُلُنَا إِنَّكَ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [المجادلة : ٢١] .

- (٦) ذكره السخاوي في « المقاصد الحسنة » رقم (٨٤٢) والسيوطي في « الدرر المنتشرة » ص (١٠٦) وقال فيه : لا أصل له بهذا اللفظ ، ولكن في « الترمذي » : « متى كنت نبياً؟ قال : وآدم بين الروح والجسد » وانظر بقية كلام عنه هناك ، وانظر أيضاً ما قاله السخاوي في تعليقه على الحديث رقم (٨٣٧) فهو هام ونافع إن شاء الله تعالى .

- (٧) رواه الترمذي رقم (٣٦١٣) في المناقب : باب ما جاء في فضل النبي ﷺ من حديث أبي =

وظهورها في الخارج نحو : كتب الله لأغلبن ، كُتب عليكم الصيام ، والمراد ظهورها للملائكة ، وروحه ، ﷺ ، في عالم الأرواح ، إعلاماً بعظيم شرفه^(١) وتميزه على بقية الأنبياء ، وخصّ الإظهار بحالة كون آدم بين الروح والجسد ، لأنه أوان دخول الأرواح إلى عالم الأجساد والتمايز حينئذ أتمّ وأظهر ، فاختصّ ، ﷺ ، بزيادة إظهار شرفه حينئذ ليميز على غيره تميزاً أعظم وأتمّ .

وأجاب الغزالي عن وصفه نفسه بالنبوة قبل وجود ذاته وعن خبر : « أنا أول الأنبياء خلقاً وآخرهم بعثاً » ، بأن المراد بالخلق هنا التقدير لا الإيجاد ، فإنه قبل أن تحمل به أمه لم يكن مخلوقاً موجوداً ، ولكن الغايات والكمالات سابقة في التقدير لاحقة في الوجود . فقلوه [ﷺ] : « كنت نبياً » أي في التقدير قبل تمام خلقه آدم [عليه السلام] ، إذ لم ينشأ إلا ليتنزع من ذريته محمد ﷺ . وتحقيقه أن للدار في ذهن المهندس وجوداً ذهنياً سبباً للوجود الخارجي ، وسابقاً عليه ، فالله تعالى يقدر ثم يوجد على وفق تقدير بانيها . انتهى ملخصاً .

وذهب السبكي إلى ما هو أحسن وأبين ، وهو أنه جاء أن الأرواح خلقت قبل الأجساد ، فالإشارة : بـ « كنت نبياً » إلى روحه الشريفة أو حقيقة من حقائقه لا يعلمها إلا الله ومن حباه الاطلاع عليها ، ثم إنه تعالى يؤتي كل حقيقة عهداً^(٢) ما شاء في أي وقت شاء ، فحقيقته ﷺ قد تكون من حين خلق آدم عليه السلام ، آتاها الله ذلك الوصف بأن خلقها متهيئة له ، وأفاضه عليها من ذلك الوقت ، فصار نبياً وكتب اسمه على العرش ليعلم ملائكته وغيرهم كرامته عنده ، فحقيقته موجودة من ذلك الوقت وإن تأخر جسده الشريف المتصف بها . فنحو إتيائه النبوة والحكمة وسائر أوصاف حقيقته وكمالاتها مُعَجَّل

= هريرة رضي الله عنه . وقال : هذا حديث حسن صحيح . وانظر « جامع الأصول » (٥٤٤ / ٨) .

(١) في « ط » : « بعظيم شوقه » وهو خطأ .

(٢) مكانها في « ط » : « منها » والعهد هنا « الزمان » وانظر « لسان العرب » (عهد) .

لا تأخر فيه ، وإنما المتأخر تكونه وتنقله في الأصلاب والأرحام الطاهرة إلى أن ظهر ﷺ ، ومن فسر ذلك بعلم الله بأنه سيصير نبياً لم يصل لهذا المعنى ، لأن علمه تعالى محيط بجميع الأشياء ، فالوصف بالنبوة في ذلك الوقت ينبغي أن يفهم منه أنه أمر ثابت له فيه ، وإلا لم يختص بأنه نبي ؛ إذ الأنبياء كلهم كذلك بالنسبة لعلمه تعالى .

وأخرج ابن سعد^(١) عن الشعبي : متى استنبتت يا رسول الله؟ قال : « وآدم بين الروح والجسد حين أخذ مني الميثاق » ، وهو يدل على أن آدم عليه السلام لما صور طيناً استخرج منه ﷺ ، ونُبِيَءَ وأخذ^(٢) منه الميثاق ثم أعيد إلى ظهره ليخرج أوان وجوده ، فهو أولهم خلقاً ، وخلق آدم السابق كان موثلاً لا روح فيه ، وهو ، ﷺ ، كان حياً حين استخرج ونُبِيَءَ وأخذ منه الميثاق ، ولا ينافي هذا أن استخراج ذرية آدم إنما كان بعد نفخ الروح فيه . لأنه ﷺ خص من بين بني آدم بذلك الاستخراج الأول .

وفي « تفسير العماد ابن كثير »^(٣) عن علي وابن عباس رضي الله عنهم . في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ ﴾ الآية [آل عمران : ٨١] . أن الله لم يبعث نبياً إلا أخذ عليه العهد في محمد ﷺ لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ، ويأخذ العهد بذلك على قومه^(٤) .

وأخذ السبكي من الآية : أنه على تقدير مجيئه في زمانهم مرسل إليهم ، فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلائق من آدم إلى يوم القيامة ، وتكون الأنبياء وأممهم كلهم من أمته . فقله : « وبعثت إلى الناس كافة »^(٥) يتناول

(١) في « الطبقات » (١٤٨ / ١) .

(٢) في « ط » : « ونبي أخذ » وهو خطأ .

(٣) انظر « تفسير القرآن العظيم » لابن كثير (٣٨٦ / ١) طبعة دار المعرفة ، بيروت ، وقد نقل المؤلف عنه بتصريف .

(٤) تحرفت في « ط » إلى « قوله » .

(٥) قطعة من حديث رواه البخاري رقم (٣٣٥) باب رقم (١) ومسلم رقم (٥٢١) في =

من قبل زمانه أيضاً . وبه يتبين معنى : « كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد »^(١) .
وحكمة كون الأنبياء في الآخرة تحت لوائه وصلاته بهم ليلة الإسراء .

وروى عبد الرزاق بسنده : أن النبي ﷺ قال : « إن الله خلق نورَ محمد قبل الأشياء من نوره ، فجعل ذلك النور يدور في القدرة^(٢) حيث شاء الله ، ولم يكن في ذلك الوقت لوحٌ ولا قلمٌ » . الحديث بطوله^(٣) .

واختلفوا في أول المخلوقات بعد النور المحمدي . ف قيل : العرش . لما صحَّ من قوله ﷺ : « قدر الله مقاديرَ الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء »^(٤) .

وصحَّ : « أول ما خلق الله القلم ، فقال له : اكتب . قال : ربِّي وما أكتب؟ قال : اكتب مقادير كل شيء » . لكن صحَّ في حديث مرفوع : « أن الماء خُلق قبل العرش » فعلم أن أول الأشياء على الإطلاق النور المحمدي ، ثم الماء ، ثم العرش ، ثم القلم ، لما علمت من حديث : « أول ما خلق الله القلم » مع ما قبله الدالين على أن التقدير وقع بعد العرش ، والتقدير « مع عند خلق القلم ، فذكر الأولية فيه بالنسبة لما بعده .

وورد : لما خلق الله آدم جعل ذلك النور في صلبه ، فكان يلعب في جبينه ، ولما توفي كان ولده شيث وصيه ، فوصى ولده بما وصاه به أبوه ، أن لا يوضع هذا النور إلا في المطهرات من النساء ، ولم يزل العمل بهذه الوصية إلى أن

= المساجد : في فاتحته ، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه ، وانظر بقية تخريجه في « عمدة الأحكام » رقم (٤٢) .

(١) تقدم ص (١٩) .

(٢) في « ط » : « بالقدرة » .

(٣) رواه عبد الرزاق في « المصنف » .

(٤) رواه الترمذي رقم (٢١٥٧) في القدر : باب (١٩) وقال : هذا حديث حسن صحيح

غريب . وعزه المتقي الهندي في « كنز العمال » (١ / ١٢٩) لأحمد والترمذي والطبراني ،

من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما .

وصل ذلك النور إلى عبد الله مطهراً من سيفاح الجاهلية ، كما أخبر ﷺ عن ذلك في عدة أحاديث .

وكانت ولادته - عليه الصلاة والسلام - يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول بعد الفيل بستتين وشهرين ، وقيل : ليلة الجمعة السابع عشر من ربيع الأول [بعد الفيل] ^(١) في زمن الملك أنوشروان ^(٢) ، ويُبعث إلى الأسود والأحمر والإنس والجن ، وكان له أربعون سنة . وقيل : ويوم . وكان بعد عشرين سنة من ملك أبرويز ^(٣) ، وأقام بعد البعثة في مكة ثلاث عشرة سنة على الأصح ، وقيل : خمس عشرة ، وقيل : عشرًا .

ثم هاجر إلى المدينة ودخلها ضحوة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول ، وأقام بها بالإجماع عشر سنين .

ففي السنة الأولى من المحرم : بنى مسجده ومسكنه ^(٤) ، وأخى بين المهاجرين والأنصار ، وشرع الأذان ^(٥) .

وفي السنة الثانية منها : في صلاة العصر من نصف شعبان ، حُوِّلَت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة ، فدار ﷺ في ركوع الركعة الثانية ، ودارت الصفوف خلفه إلى الكعبة في مسجد بني سلمة ، فسمي مسجد القبلتين ^(٦) .

(١) ما بينهما سقط من (ط) .

(٢) هو أنوشروان بن قباد بن فيروز ، انظر « المحبر » ص (٣٦٢) و« المعارف » ص (٦٤٧) و« تاريخ الطبري » (٩١/٢) وانظر الفهارس الخاصة به .

(٣) انظر « المحبر » ص (٨) و« المعارف » ص (٦٤٩) و« تاريخ الطبري » (٣١٦/١) وانظر الفهارس الخاصة به .

(٤) في (ط) « وسكنه » .

(٥) انظر قصة الأذان وما يتصل بها في التعليق على « شذرات الذهب » (١٩٧/١) .

(٦) وذلك حين نزل قوله تعالى ﴿ قَدْ رَأَى ثَقَلَبٌ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَصِّيَكَ قَبْلَةَ رَضَاهَا قَوْلَ وَجْهَتِكَ مُنْظَرُ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَفْعَلُونَ ﴾ [البقرة : ١٤٤] وكان ذلك بعد وصوله ﷺ إلى المدينة المنورة بستة عشر شهراً ، كما ثبت ذلك في الصحيحين وغيرهما ، من حديث البراء بن عازب =

وفي شعبان منها : فَرَضَ صوم رمضان^(١) . وفيها : فرضت صدقة الفطر^(٢) .
وفي رمضان هذا كانت غزوة بدر^(٣) . وفي شوال منها : بنى بعائشة رضي الله
عنها . وفيها : تزويج فاطمة رضي الله عنها .

وفي السنة الثالثة منها : غزوة أُحُد يوم السبت السابع من شوال^(٤) . ثم غزوة
بدر الصغرى^(٥) في هلال ذي القعدة . وفيها : غزوة بني النضير^(٦) . وحرمت
الخمير^(٧) . بعد غزوة أُحُد .

-
- = رضي الله عنه . انظر « جامع الأصول » (١٠/٢) و « زاد المعاد » (٦٦/٣) .
- (١) انظر تفاصيل ذلك في التعليق على « شذرات الذهب » (١١٤/١) .
- (٢) انظر « جوامع السيرة النبوية » لابن حزم ص (٩٧) ، و « عيون الأثر » لابن سيد الناس (٣٧٣/١) ، و « الفصول في سيرة الرسول » ص (١٢٧) وقال فيه ابن كثير : « وفُرضَ صوم رمضان وفرضت لأجله زكاة الفطر قبيله بيوم » .
- (٣) انظر « شذرات الذهب » (١١٤-١١٦) .
- (٤) قال ابن العماد الحنبلي : والصواب أنها في الرابعة « شذرات الذهب » (١٢٠/١) وانظر التعليق عليه .
- (٥) انظر « تاريخ خليفة بن خياط » (٦٧) و « شذرات الذهب » (١٢٠/١) وما بعدها فقد ذكر فيه من استشهد في هذه الموقعة .
- (٦) وتسمى (بدر الثالثة) وتسمى (بدر الموعد) انظر « جوامع السيرة » لابن حزم (١٨٤) و « الاكتفا في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء » للكلاعي (١٥٥/٢) .
- (٧) وذلك حين نزل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْفَتْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَهْوَاجُ وَالْأَلْهَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة : ٩٠] وانظر تفسير ابن كثير (١٠٠-٩٤/٢) . والأحاديث في تحريم الخمر كثيرة منها قوله ﷺ الذي رواه مسلم رقم (٢٠٠٣) وأبو داود رقم (٣٦٣٩) والترمذي رقم (١٨٦٢) والنسائي في « المجتبى » (٢٩٧/٨) وابن ماجه رقم (٣٣٩٠) وأحمد في « المسند » (١٦/٢) و ٢٩ و ٣١ و ١٠٥ و ١٣٤ و ١٣٧) من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « كل مسكر خمير ، وكل مسكر حرام » ولقوله ﷺ الذي رواه أبو داود رقم (٣٦٨١) والترمذي رقم (١٨٦٦) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : « ما أسكر كثيره فقليله حرام » .
- قال ابن القيم : « فأما تحريم بيع الخمر ، فيدخل فيه تحريم بيع كل مسكر ، مائعاً كان أو جامداً ، عصيراً ، أو مطبوخاً ، فيدخل فيه عصير العنب ، وخمر الزبيب ، والتمر ، والذرة ، والشعير ، والعسل ، والحنطة ، واللحمة الملعونة ، لقمة الفسق والقلب ، التي =

وفي السنة الرابعة منها : غزوة الخندق ، وتُسَمَّى الأحزاب^(١) وحاصروا المدينة خمسة عشر يوماً ، ثم هزمهم الله تعالى وحده . وفيها : قُصِرَت الصلاة ونزل التيمم .

وفي السنة الخامسة منها : غزوة ذات الرِّقَاع أول المحرم^(٢) . وفيها :

= تحرك القلب الساكن إلى أحيث الأماكن ، فإن هذا كله خمْرٌ بنص رسول الله ﷺ الصحيح الصريح الذي لا مطعن في سنده ، ولا إجمال في متنه ، إذ صَح عنه قوله : « كل مسكر خمْر » وصَح عن أصحابه رضي الله عنهم الذين هم أعلم الأمة بخطابه ومراده : أن الخمر ما خامر العقل ، فدخل هذه الأنواع تحت اسم الخمر ، كدخول جميع أنواع الذهب والفضة ، والبرِّ بالبُرِّ ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح إلا مثلاً بمثل « فكما لا يجوز إخراج صنف من هذه الأصناف عن تناول اسمه له ، فهكذا لا يجوز إخراج صنف من أصناف المسكر عن اسم الخمر ، فإنه يتضمن محذورين :

أحدهما : أن يخرج من كلامه ما قصد دخوله فيه .

والثاني : أن يشرع لذلك النوع الذي أخرج حكم غير حكمه ، فيكون تغييراً لألفاظ الشارع ومعانيه ، فإنه إذا سُمِّي ذلك النوع بغير الاسم الذي سَمَّاه به الشارع ، أزال عنه حكم ذلك المسمَّى ، وأعطاه حكماً آخر .

ولما علم النبي ﷺ أن من أمته من يُبتلى بهذا ، كما قال : « ليسرِّبنَّ ناسٌ من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها » قضى قضيةً كليةً عامةً لا يتطرق إليها إجمال ، ولا احتمال ، بل هي شافية كافية ، فقال : « كل مسكر خمْر » « زاد المعاد » (٧٤٧/٥ ، ٧٤٨) .

(١) وذكر بعضهم أنها كانت في السنة الخامسة ، انظر على سبيل المثال « تاريخ الطبري » (٥٦٤-٥٨١ / ٢) ولكن الصحيح ما ذكره المؤلف ، وذكره غير واحد من المؤرخين لما ورد في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « عُرضت على النبي ﷺ يوم أحد ، وأنا ابن أربع عشرة سنة ، فلم يجزني - يعني للقتال - وعُرضت عليه يوم الخندق ، وأنا ابن خمس عشرة ، فأجازني » .

قلت : وكانت غزوة أحد في السنة الثالثة بإجماع المؤرخين وأهل السيرة ، وعلى ذلك ، ونزولاً على ما تقدم من النص الحديثي ، فإن الخندق كانت في الرابعة .

(٢) وعن بعضهم في السنة الرابعة ، انظر « تاريخ الطبري » (٥٥٥ / ٢) قال ابن هشام في « السيرة النبوية » (٢٠٤ / ٢) : « وإنما قيل لها غزوة الرقاع لأنهم رقعوا فيها راياتهم ويُقال ذات الرقاع : شجرة بذلك الموضع يُقال لها : ذات الرقاع .

قال السهيلي في « الروض الأنف » (٢٤١-٢٤٢) بعد أن ذكر كلام ابن هشام =

صلى صلاة الخوف^(١) ، وفيها : غزوة دومة الجندل^(٢) وغزوة بني قريظة .

وفي السنة السادسة منها : غزوة الحديبية ، وبيعة الرضوان ، وغزوة بني المصطلق .

وفي السنة السابعة منها : غزوة خيبر .

وفي السنة الثامنة منها : غزوة مؤتة ، وذات السلاسل ، وفتح مكة في رمضان ، وغزوة حنين والطائف .

وفي السنة التاسعة منها : غزوة تبوك ، وتتابع الوفود ، ودخل الناس في دين الله أفواجا .

وفي السنة العاشرة منها : حجة الوداع^(٣) ، ووفاة إبراهيم^(٤) .

= المتقدم : « وذكر غيره أنها أرض فيها بقع سود وبقع بيض كأنها مرقعة برقاع مختلفة ، فسميت ذات الرقاع لذلك ، وكانوا قد نزلوا فيها في تلك الغزاة ، وأصح من هذه الأقوال كلها ما رواه البخاري من طريق أبي موسى الأشعري قال : خرجنا مع النبي ﷺ في غزاة ، ونحن ستة نفر بيننا بغير نعقبه ، فنقبت أقدامنا ونقبت قدماي ، وسقطت أظفاري ، فكنا نلف على أرجلنا الخرق ، فسميت غزوة ذات الرقاع ، لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا فحدث أبو موسى بهذا ، ثم كره ذلك ، فقال ما كنت أصنع بأن أذكره ، كأنه كره أن يكون شيئاً من عمله أفشاه » .

(١) وعند بعضهم أنها في الرابعة ، انظر « السيرة النبوية » (٢/ ٢٠٤) .

(٢) دومة الجندل : على سبع مراحل من دمشق بينها وبين المدينة المنورة ، وسميت دومة الجندل لأن حصنها مبني بالجندل وهو الحجارة ، انظر « معجم البلدان » (٢/ ٤٨٧-٤٨٩) و« المغانم المطابة في معالم طابة » (١٣٩-١٤٢) .

(٣) إنما سميت حجة الوداع لأن الرسول ﷺ خطب فيها خطباً كثيرة ، كأنه ودّع المسلمين بها ، ومات بعدها بفترة وجيزة ، ولم يحج ﷺ بعدما فرض الحج سواها ، انظر تفاصيل ذلك في « السيرة النبوية » (٤/ ٦٠٦-٦٠١) و« جوامع السيرة » ص (٢٦٠) وما بعدها و« جامع الأصول » (٣/ ٤٥٨-٤٧٨) .

(٤) وذكر بعضهم بأن الشمس كُسيَتْ يوم موته . انظر على سبيل المثال « شذرات الذهب » (١/ ١٣٠) وهو وهمٌ ممن ذكره بهذا المعنى ، لقوله ﷺ « إِنَّ الشَّمْسَ والقمر آيتان من آيات الله ، يخوف الله بهما عباده ، وإنهما لا ينكسفان لموت أحد من الناس ولا لحياته ، فإذا رأيتم منها شيئاً ، فصلوا وادعوا الله حتى ينكشف ما بكم » وهو عند البخاري رقم =

وتوفي ﷺ ضحوة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة ، ومدة مرضه الذي توفي منه اثنا عشر يوماً ، وقيل : أربعة عشر يوماً . وكان عمره - عليه الصلاة والسلام - ثلاثاً وستين سنة .

ومن أعظم معجزاته ﷺ القرآن كلام الله ، المتلو آناء الليل والنهار ، وقد أعجز الجن والإنس لا يقدرّون على أن يأتوا بسورة مثله ، بل ولا بآية . وكل معجزات الأنبياء عليهم السلام انقطعت بموتهم إلاّ معجزته ﷺ . وانشق القمر كما نطق به القرآن ، وصحّ من طرق . وكلمه الضّب ، كما رواه الحاكم في « صحيحه » .

وأخبر أن خزائن كسرى تنفقها أمتي في سبيل الله ، وأن مُلك كسرى والروم يفتح ، فكان كذلك ، وأن المسلمين يقاتلون قوماً صغار الأعين عراض الوجوه ، ذلف الأنوف أي (فُطسها) . وأن الشام واليمن يفتحان . وأن أمته تفتح مصر : أرض يُذكرُ فيها القيروط . وأن أويس القرني يقدم في إمداد اليمن ، وكان به برص فبرئ إلا قدر درهم . وهاجت ريح شديدة فقال : « هذه الريح لموت منافق » .

قال جابر فقدّمنا فوجدنا عظيماً من المنافقين قد مات . وأكل من شاة لقمة ، ثم قال : « هذه تخبرني بأنها أخذت بغير إذن أهلها » . فإذا هو كما قال . وتحرك الجبل ، فقال : « اسكن فإنما عليك نبي أو صديق أو شهيدان » ، فسكن ، وكان هو ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، عليه^(١) .

= (١٠٤١) و(١٠٥٧) و(٣٢٠٤) وعند مسلم رقم (٩١١) واللفظ له .
(١) جاء الحديث بهذا اللفظ في « كنز العمال » رقم (٣٣٠٩٦) وعزاه للطبراني من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه . وأوله : « اسكن حراء . . . » ورقم (٣٣٠٩٨) وعزاه لمسلم والترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، ولابن عساكر من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه ، والمشهور على ألسنة الناس ، وعند أهل العلم قوله ﷺ : « اسكن أحد - أظنه ضربه برجله - فليس عليك إلا نبي وصديق وشهيدان » رواه البخاري رقم (٣٦٩٩) .

وفي « صحيح مسلم » : « أن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقتها ومغاربها ، وسيلبلغ مئلك أمتي ما زوي لي منها » .

وفي « البخاري » : نبع الماء من بين أصابعه بالحديدية فتوضؤوا وشربوا وهم خمس عشرة مائة ، ومرة أخرى وهم ثلاثمائة ، ومرة وهم ما بين السبعين إلى الثمانين . وحديث المزادتين . قال عمر : إن شربنا منهما ونحن نحو الأربعين فلم تنقصا . وسبح في كفه الحصى . وكذلك الطعام كان يسمع تسبيحه وهو يؤكل . وسلم عليه الحجر^(١) . وشهد الذئب بنبوته . ومر في سفره ببعير يستقى عليه الماء فلما رآه جرجر^(٢) أي صوت ، فقال : إنه شكى كثرة العمل وقلة العلف . ومر ببعير آخر في حائط ، فلما رآه حنّ وذرفت عيناه ، فقال لصاحبه : إنك تجيعه . وشكى له بعيران عجز صاحبهما عن شدتهما . وجاءت شجرة تشق الأرض حتى قامت عنده وهو نائم فسلمت عليه . وأمر شجرتين فاجتمعتا حتى قضى حاجته خلفهما ثم أمرهما فتفرقتا . ودعا عذقا فنزل من جذعه حتى سقط في الأرض فجعل ينقر^(٣) في الأرض حتى أتاه ، ثم قال له : ارجع ، فرجع مكانه . وأمر بنحر ست بدنان فجعلن يزدلفن إليه بأيتهن يدا . وأصيبت عين قتادة بن النعمان يوم أُحد حتى وقعت على وجنته فردها ﷺ بيده ، فكانت أصح عينيه وأحدّهما ، فكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى . وتفل في عين علي رضي الله عنه يوم خيبر ، وكان أرمد فبرىء من ساعته ، وأتاه وهو شاك فدعا له فما اشتكى وجعه ذلك . وكُسرت رجل عبد الله بن عتيك فمسحها ﷺ بيده فبرئت من وقته .

وأخبر أنه يقتل أُميّة بن خلف فكان كما قال . وأخبر بمصارع المشركين بيدر : هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله ، فلم يعدّ واحداً منهم مصرعه الذي

(١) في « م » : « الطير » .

(٢) في « م » : « خرخر » . وصوابه من : « ط » . وجرجر ، معناه : ضجّ وصاح ، والجرجرة : صوت البعير عند الضجر ، اللسان (جرجر) .

(٣) نَقَزَ يَنْقُزُ وَيَنْقُزُ : وثبَّ صُعُداً ، اللسان (نقر) .

سماء . وأن طوائف من أمته يركبون البحر غزاة في سبيل الله كالمملوك على الأسرة ، وأن أمّ حرام خالة أنس بن مالك منهم فكان كذلك . وأخبر أن عثمان رضي الله عنه تصيبه بلوى فقتل صابراً . وقال للحسن رضي الله عنه : إن ابني هذا سيّد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ، فسلم الأمر لمعاوية . وأخبر بقتل الأسود العنسي الكذاب ليلة مقتله^(١) وبمن قتله وهو بصنعاء من اليمن فجاء كما قال . وأخبر بمثل هذا عن كسرى فكان كذلك . وقال لرجل يدعي الإسلام وهو في القتال معه : إنّه من أهل النار ، فصّدّق الله تعالى قوله بأن نحر نفسه . وشكى إليه قحط المطر وهو على المنبر ، فدعا الله وما في السّماء قزعة - أي قطعة - سحب فثار سحب أمثال الجبال ، فمطروا إلى الجمعة الأخرى ، فشكى إليه كثرة المطر ، فدعا الله فرفعه في الحال . وأطعم أهل الخندق وهم ألف من صاع شعير . وأطعم جماعة من تمر يسير لم يملأ كفيه . وأطعم في منزل أبي طلحة ثمانين رجلاً من أقراص شعير جعلها أنس تحت إبطه حتى شبعوا وبقي كما هو .

وأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يزود أربعمئة راكب من تمر قليل ، فزودهم وبقي كأنه لم ينتقص . وأطعم الجيش من مزود أبي هريرة رضي الله عنه حتى شبعوا ثم ردّ ما بقي منه وكان وضعه في يده ودعا له فأكل منه مدة حياة النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ، فلما قتل عثمان ذهب وحمل منه نحو ثمانين وسقاً في سبيل الله . وأطعم في بنائه بزينة بنت جحش رضي الله عنها من قصعة أهدتها له أم سُلَيم خلقاً كثيراً ، ثم رُفِعَتْ وهي كما هي . صلى الله عليه وسلم كلما ذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون .

ولبعض فضلاء العصر قصيدة عظيمة في مدح النبي ﷺ ، أحببت أن آتي بها هنا بكمالها لينقطع بها ما أردناه في المقدمة من الكلام ، ولتكون لهذا التاريخ مسك الختام وهي : [من الكامل]:

(١) في « م » : « مطلحه » وهو خطأ وصوابه من « ط » .

إِنِّي أرى فِي النَّوْمِ أَنِّي فِي الْكَرَى
لَمْ يَسِرْ لِي إِلَّا خِيَالُ خِيَالِهِمْ
وَلَقَدْ جَرَى كَالنَّهْرِ سَائِلُ مَدْمَعِي
أَوْقَفْتُ دَمْعَ الْعَيْنِ [يَجْرِي فِي الْهَوَى] (١)
يَا صَاحِبَ قُمْ وَدَعِ التَّوَانِي وَاصْطَبِحْ (٢)
هِيَ قَهْوَةٌ بَنِيَّةٌ قَشْرِيَّةٌ
فَاشْرَبْ شَرَابَ الصَّالِحِينَ وَلَا تَقُلْ
فَالصُّبْحُ قَدْ وَافَتْ طَلَائِعُ جَيْشِهِ
لَا عَيْشَ إِلَّا وَالشَّيْبِيَّةُ غَضَّةٌ
لِلَّهِ مَجْلَسُنَا الْأَنْبِيَاءُ وَقَدْ بَدَتْ
سَفَرْتُ فَكَانَتْ وَالْبُدُورُ طَوَالِغُ
خَطَرْتُ فَقَامَ الْغَصْنُ يَلْتَمُ إِثْرَهَا
وَلَقَدْ نَظَرْتُ إِلَى الرِّيَاضِ وَوَجْهَهَا

وَاصَلْتَهُ يَا رَبَّ حَقَّقْ مَا جَرَى
مَاذَا عَلَى طَيْفِ الْأَحْبَةِ لَوْ سَرَى
أَتَرَى دَرَى ذَاكَ الرَّقِيبُ بِمَا جَرَى (١)
أَنَا لَا أَسَائِلُ هَلْ دَرَى أَوْ مَا دَرَى
مَنْ بِنْتُ قَشْرٍ بِالْجَوَاهِرِ تُشْتَرَى
فِي طَبِيعَةِ تَجَلَّى وَفِي أُمِّ الْقُرَى (٢)
أَدِرِ الزُّجَاجَةَ فَالْنَّسِيمُ قَدْ انْبَرَى
وَالنَّجْمُ قَدْ صَرَفَ الْعَيْنَانِ عَنِ الشُّرَى (٣)
مِنْهَا يَكَادُ الْمَاءُ أَنْ يَتَقَطَّرَا (٤)
فِيهِ الْغَزَالُ تَصِيدُ آسَادَ الشُّرَى (٥)
مِنْهَا وَمَنْ شَمَسَ الظَّهِيرَةَ أَنْوَرَا
وَرَنْتَ فَظَلَ الظُّبْيِ مِنْهَا أَخُورَا
فَرَأَيْتُ طَلَعَتَهَا الْبَهِيَّةَ أَنْضَرَا

(١) صدره في « م » : « وَلَقَدْ جَرَى دَمْعِي دَمًا فِي وَجْنَتِي » .

(٢) مَا بَيْنَهُمَا غَيْرُ مَقْرُوءٍ فِي « م » .

(٣) فِي « م » : « الْعَذُولُ لِقَهْوَةٍ » وَقَدْ أَثْبَتَ بِخَطِّ مَغَايِرِ .

(٤) طَبِيعَةٌ ، بِالْفَتْحِ ، ثُمَّ سَكُونٌ ، اسْمٌ لِمَدِينَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، يُقَالُ لَهَا طَبِيعَةٌ وَطَابَةُ مِنَ الطَّبِيبِ وَهِيَ الرَّائِحَةُ الْحَسَنَةُ ، وَقِيلَ : لَطِيبُهَا لِسَاكِنِيهَا وَلَأَمْنُهُمْ وَدَعْتُهُمْ فِيهَا ، وَقِيلَ مِنْ طَبِيبِ الْعَيْشِ بِهَا مِنْ طَابِ الْعَيْشِ إِذَا وَافَقَ ، وَقَالَ صِرْمَةُ الْأَنْصَارِيِّ :

فَلَمَّا أَتَانَا أَظْهَرَ اللَّهُ دِينَهُ وَأَصْبَحَ مَسْرُورًا بِطَبِيعَةِ رَاضِيَا

(مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ) (٥٣/٤) . وَأُمُّ الْقُرَى : مِنْ أَسْمَاءِ مَكَّةَ وَسُمِّيَتْ أُمَّ الْقُرَى لِأَنَّهَا أَقْدَمُ

الْقُرَى الَّتِي فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ ، وَقِيلَ لِأَنَّهَا تَوَسَّطَتِ الْأَرْضَ ، وَقِيلَ لِأَنَّ مَعْجَمَ الْقُرَى إِلَيْهَا ، وَقِيلَ سُمِّيَتْ أُمَّ الْقُرَى لِأَنَّهَا تُقْصَدُ مِنْ كُلِّ أَرْضٍ وَقَرْيَةٍ . (مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ) (٢٥٤/١) .

(٥) الشُّرَى : سَيْرُ اللَّيْلِ عَامَّتُهُ ، اللَّسَانُ (سَرَا) .

(٦) فِي « م » : « يَتَفَطَّرَا » وَهُوَ تَصْحِيفٌ وَأَثْبَتْنَا لَفْظَ « ط » .

(٧) الشُّرَى : مَوْضِعٌ بَعَيْنُهُ تَأْوِي إِلَيْهِ الْأَسَدُ ، اللَّسَانُ (شَرِي) .

أُنْدَى عَلَى الْأَكْبَادِ مِنْ قَطَرِ النَّدَى
وَعَبَابُهَا^(١) أَشْهَى إِلَيَّ مِنَ الْمُنَى
وَلَقَدْ حَمَمْتُ عَنِّي سُلَافَةَ^(٢) رَيْقِهَا
مَنْ قَالَ إِنَّ سُلَافَ فَيْكَ مُحَرَّمٌ
رَامَتْ تَصِيدُ حُشَاشَتِي قَلْتُ لَهَا
شَهَرْتُ سَيُوفَ لِحَاضِهَا تَبْغِي^(٤) الْحِشَا
صَدَّتْ وَأَلَوْتُ عَنْ مُحِبِّ صَادِقٍ
وَلَقَدْ سَرَتْ لِي مِنْ حِمَاهَا نَسْمَةٌ
وَيَلَاهُ مَا أَذْكَى عَيْرِ تُرَابِهَا
يَا دَارَهَا مَا أَنْتَ إِلَّا جَنَّةٌ
يَا لَفْظَهَا يَا ثَغَرَهَا يَا نَخْرَهَا
سَاوَمْتُ مَبْسَمَهَا بِدَرْ^(٥) مَدَامَعِي
لَكِنْ رَأَيْتُ الدَّهْرَ غَيْرَ مُسَاعِدٍ

إِنْ قَطَّرْتُ ذَاكَ اللَّمْنِي لِي قَطَرًا
وَأَلَذَّ فِي الْأَجْفَانِ مِنْ سَنَةِ الْكُرَى
ظَنًّا بِأَنِّي لَا أَحِبُّ الْمُسْكَرَا
يَا مُنَيْتِي مَا قَالَ إِلَّا مُنْكَرَا
فَالصَّيْدُ كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا^(٣)
فَسَعَى إِلَيْهَا بِالْذَّمَاءِ مُشْهَرَا
مَا كَانَ صَدِّكَ لِي حَدِيثًا يُفْتَرَى
فَنَشَقُّهَا وَدَرَى الْفَوَادِ بِمَا دَرَى
قَدْ فَاقَ كُلَّ الطَّيِّبِ حَتَّى الْعَنْبَرَا
يَا رَيْقَهَا مَا أَنْتَ إِلَّا كَوْثَرَا
مَا أَنْتَ يَا ذَا الْعَقْدِ إِلَّا جَوْهَرَا
أَنْ يَشْتَرِيَ دُرًّا فَهَذَا الْمُشْتَرَى
وَرَأَيْتُ مِنْهُ مَا لِعِقْلِي أَبْهَرَا

- (١) الْعَبَابُ - كَمَا فِي (ط) - مِنْ الْعَبِّ : شَرِبَ الْمَاءَ مِنْ غَيْرِ مَصٍّ ، وَقِيلَ أَنْ يَشْرَبَ الْمَاءَ وَلَا يَتَنَفَسُ ، وَفِي (م) : « عِيَابُهَا » بِالْيَاءِ ، جَمْعُ عَيْيَةٍ : مَوْضِعُ سَرِّ الرَّجُلِ ، وَالْعَرَبُ تَكْنِي بِهِذِهِ الْكَلِمَةَ عَنِ الصَّدُورِ وَالْقُلُوبِ ، اللَّسَانُ (عَيْبٌ) وَمَا وَرَدَ فِي (ط) هُوَ الْمُنَاسِبُ لِسِيَاقِ النَّصِّ .
- (٢) السُّلَافَةُ : أَوَّلُ كُلِّ شَيْءٍ عَصْرٌ ، وَالسُّلَافَةُ مِنَ الْخَمْرِ : أَخْلَصُهَا وَأَفْضَلُهَا ، وَذَلِكَ إِذَا تَحَلَّبَ مِنَ الْعَنْبِ بِلَا عَصْرِ وَلَا مَزْثٍ ، اللَّسَانُ (سَلَفٌ) .
- (٣) هُوَ مِثْلُ قَالِهِ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ اسْتَأْذَنَ أَبُو سَفْيَانَ عَلَيْهِ ، فَحُجِبَ قَلِيلًا ثُمَّ أُذِنَ لَهُ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ : « مَا كَدْتُ تَأْذِنُ لِي حَتَّى تَأْذِنَ لِحِجَارَةِ الْجَلْهَتَيْنِ » فَقَالَ ﷺ هَذَا الْقَوْلُ يَتَأَلَّفُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ ، وَالْجَلْهَةُ : نَاحِيَةُ الْوَادِي ، « الْبَيَانُ وَالتَّبْيِينُ » (١٦/٢) وَانْظُرْ « الْحَيَوَانَ » (٣٣٥/١) . وَ« مَجْمَعُ الْأَمْثَالِ » ١٣٦/٢ .
- (٤) فِي « ط » « تَنْعِي » وَهُوَ خَطَأٌ .
- (٥) فِي « ط » : « بَدْرًا » وَهُوَ خَطَأٌ وَالصَّوَابُ مَا جَاءَ فِي « م » وَالسُّؤْمُ : عَرْضُ السِّلْعَةِ عَلَى الْبَيْعِ ، وَسَاوَمْتُ : غَالَيْتُ ، اللَّسَانُ (سَوْمٌ) .

صبراً لهذا الدَّهر في تصرّيفه
 إِنِّي لأصبرُ والخطوبُ جليلةٌ
 وإذا عَرَّتْنِي في الأمور مِلْمَةٌ
 طه أَجَلَ الأنبياء إمامهم
 الحامدُ المحمودُ أَكرمُ مُرسلٍ
 وَلَهُ الشَّفاعةُ في الخلائق كُلِّهم
 وله الوسيلة وهي أعلى رتبةٍ
 كلَّ الخلائق تحت ظلِّ لوائه
 لِلْعَرْضِ بَاتُوا والوجوه منيرةٌ
 إِنَّ مَسْهُمْ ظمًا^(٢) فحوضُ المصطفى
 يا أُمَّةَ الْمُخْتَارِ شَرَّفْتُمْ بِهِ
 فالحمد لله الَّذِي قد خَصَّنَا
 هو أَحْمَدُ ومحمَّدٌ وله لِوَا
 نحو السماواتِ العُلَى لَيْلًا على
 ولقد رأى ربَّ العبادِ بعينه
 من حيث لا جهةٌ ولا أين وقد
 أوحى إليه اللهُ ما أوحى وقد
 اللهُ أَكْبَرُ يا لَهَا من رُتْبَةٍ
 اللهُ أَكْبَرُ يا لَهَا من مِرَّةٍ^(٣)
 فليهنه^(٤) ما قد رأى من ربِّه

صبراً على ما في فؤادي أَسْعَرَا
 وعلى العِظائم كُلِّها لنْ يصبرا
 أو كزبةٌ مالي سوى خيرِ الوري
 مَنْ فاقَ كُلَّ المسلمين بلا مِرًا^(١)
 وهو المشفّع إذ يروم المَخْشرا
 فصل القضا وأجلّ منه وأكبرا
 وله اللّوا أعْظَمَ بذلك مَفْخرا
 أَكْرَمَ بعسكره المَكْرَمَ عسْكرا
 كُلاًّ تراه مُهَلَّلًا ومُكَبَّرًا
 يردون منه في القيامة كوْثرا
 وَعَلَوْتُمْ أُمَمًا وَكُنْتُمْ أَخِيرا
 بنبيِّه وحبيبه خير الوري
 ءُ الحمدِ محمود المقام وقد سَرَى
 ظهر البُرّاق فَنالَ ما لم يُخْصرا
 تالله ما هذا حديثٌ يُفْتَرى
 جاء الحديثُ بصدقِ ذلك مُخْبِرا
 وافى لمضجعه وقد حمَد السرى
 ما نالها أحدٌ سواه إذا ترى
 قد خَصَّها المولى الحبيبَ الأَكْبِرا
 وليهننا من فضله ما قد نرى

(١) مِرَا ، أصله المِرَاء : المماراة والجدل .

(٢) في « م » و « ط » « ظماء » وهو خطأ والصواب ما أثبتناه .

(٣) مِرَّة : من المِرَّ : الفضل ، ويقال : هذا شيءٌ له مِرٌّ على هذا أي فضل ، اللسان (مزز) .

(٤) في « ط » : « فليهنأ » وهو مما لا يستقيم به الوزن ، وصوابه في « م » .

اللهُ أَكْرَمُهُ بِوَحْيِ مُنْزَلٍ
 فَدَعَا إِلَى سُبُلِ النِّجَاةِ مَبْشُرًا
 خَتَمَتْ شَرِيعَتُهُ الشَّرَائِعَ كُلَّهَا
 كَمْ مُعْجَزَاتٍ مُخَكِّمِ آيَاتِهَا
 مُزَمِّلٌ مُدَثِّرٌ أَسْمَاؤَهُ
 إِنِّي إِذَا مَارَسْتُ مَذْحَ الْمُصْطَفَى
 وَإِذَا نَظَّمْتُ قَلَائِدًا فِي مَدْحِهِ
 أَوْ مَا رَأَيْتَ الْمَسْكَ وَهُوَ مُضْرَجٌ
 هَا قَدْ وَجَدْتُ خَلَاوَةً فِي مَطْعَمِي^(٢)
 وَكَذَاكَ فِي شَمِّي وَجَدْتُ طَلَاوَةً
 وَكَذَاكَ فِي سَمْعِي وَجَدْتُ لَذَاذَةً
 وَكَذَاكَ فِي بَصْرِي رَأَيْتُ بَصِيرَةً
 وَكَذَاكَ فِي لَمْسِي شَهِدْتُ تَفَاوَتًا
 هَذَا الظُّوَاهِرُ وَالْبَوَاطِنُ مِثْلُهَا
 فِي جَنْبِ مَدْحَتِهِ وَفَضْلِ جَنَابِهِ
 وَلَسَوْفَ يُعْطِي فِي الْقِيَامَةِ مِثْلَ مَا
 يَا رَبِّ بِالْمَخْتَارِ طَهُ جُدُّ لَنَا
 فَبِهِ تَوَسَّلْنَا إِلَيْكَ وَمَنْ يَكُنْ

فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ الْأَمِينُ عَلَى حِرَا^(١)
 وَعَنِ الْغَوَايَةِ قَدْ نَهَانَا مُنْذَرًا
 إِذْ كَانَ فِي أَمِّ الْكِتَابِ مُصَدِّرًا
 كَمْ بَيْنَاتٍ بَاهِرَاتٍ لِلْوَرَى
 أَكْرَمَ بِهِ مُزَمَّلًا مُدَثِّرًا
 فَأَنَا الْخَطِيبُ وَقَدْ عَلَوْتُ الْمِنْبَرَ
 تَالَهُ مَا نَظَّمْتُ إِلَّا جَوْهَرًا
 لَمَّا أَتَيْتَ بِمَا يَفُوقُ الْعَنْبَرَا
 ذُوقُوا فَمِي تَجِدُوا حِلَاةً سَكْرًا
 عَرَفْنَا تَأَرْجُهُ يَفُوقُ الْعَبْهَرَا^(٣)
 لَمَّا سَمِعْتُ حَدِيثَهُ مُسْتَبْشِرًا
 لَمَّا نَقَابُ الْحُجُبِ عَنِّي أَسْفَرَا
 مَذْ لَامَسْتُ كَفَايَ هَاتِيكَ الثَّرَى
 إِنْ شَاءَ رَبِّي قَطَّ لَا يَسْتَكْثِرَا
 ذَا هَيْئِنَ وَاللَّهُ يُعْطِي أَكْثَرَا
 أَعْطَاهُ فِي الدُّنْيَا وَمَا لَمْ يُخْصِرَا
 بِالْعَفْوِ مِنْكَ وَهَبْ لَنَا خَيْرَ الْقَرَى^(٤)
 طَهُ وَسَيْلَتُهُ فَقَدْ نَالَ الْكَرَا^(٥)

(١) حِرَا ، أراد حِرَاءَ : بالكسر ، والتخفيف ، والمدَّ : جبل من جبال مكة على ثلاثة أميال ، وهو معروف ، وكان النبي ﷺ ، قبل أن يأتيه الوحي يتعبد في غار من هذا الجبل ، معجم البلدان (٢٣٣ / ٢) .

(٢) في (ط) : « مطعمي » وهو خطأ .

(٣) العبهر : الياسمين والنجس .

(٤) في (ط) : « القوى » بالواو ، وهو خطأ لاختلاف الروي . والقري : الضيافة .

(٥) أراد : الكرامة ، فحذف ، وذلك جائز للضرورة ، ونحوه قول لبيد : « دَرَسَ الْمَنَا بِمَتَالِعِ =

يا سَيِّدَ الشُّفْعَاءِ دِينُكَ مَلَّتِي
وأجيب عنه بفضل ربِّي ثانياً
يا سَيِّدِي فاشْفَعْ لِعَبْدٍ مُذْنِبٍ
وأطال في ليلِ الجَهالةِ رَكُضَهُ^(١)
أضحى ولا عَمَلٌ لديه ولا له
إِلَّا تَمَسُّكُهُ بِحَبْلِكَ سَيِّدِي
فعليك صَلَّى اللهُ مَا وَدَّقْتُ هَمِّي
وعليك سَلِّمْ كُلَّمَا حَجَّ الْوَرَى
وكذاك آلِكَ والصَّحابةَ كُلَّهُمْ
أو يَمِّمَ السَّارُونَ نَحْوَكَ طُلُباً
وفدوا وقد حَطَّوْا بِسُوحِكَ رَحْلَهُمْ
يا رَبِّ صَلِّ عَلَى الْحَبِيبِ وَآلِهِ
وكذا السَّلَامَ عَلَيْهِ ثُمَّ عَلَيْهِمْ
لا سَيِّمًا الصَّدِيقُ ثَانِي اثْنَيْنِ مَنْ
وكذلك الْفَارُوقُ مَنْ أَرَدَى الْعِدَى
وكذاك ذُو الثُّورَيْنِ عَثْمَانُ الَّذِي

وعليه أَرْجُو أَنْ أَوْسِدَ فِي الثَّرَى
وعليه أَرْجُو أَنْ أَقُومَ وَأُخْشِرَا
رَكِبَ الذُّنُوبَ مَفْرُطاً وَمُقَصِّراً
حَتَّى إِذَا صُبْحُ الْحَقِيقَةِ اسْفَرَا
أَمَلٌ يَرْجِيهِ إِذَا خَطَبْتُ عَرَا
فهو النَّجاةُ لَهُ إِذَا فُصِّمَتْ عُرَى
وعليك صَلَّى اللهُ مَا بَرَقَ شَرِي^(٢)
أو أَمَّاكَ الزَّوَارِ مِنْ أُمِّ الْقُرَى
ما أَمَّاكَ الْعَافُونَ أَوْ رَكِبْتُ سَرَى^(٣)
سَهَرُوا وَقَدْ وَافُوكَ يَلْتَمِسُوا الْكِرَى^(٤)
فَقَبِلْتَ زُورَتَهُمْ وَفَازُوا بِالْقُرَى^(٥)
وَالصَّحْبِ مَا صُبْحُ السَّعَادَةِ اسْفَرَا
كَرَّهَ مَا أَحْلَى ثَنَاهُ مَكْرَرَا
بِالصَّدْقِ وَالتَّصَدِيقِ قَدْ بَهَرَ الْوَرَى
وَالَّذِينَ نَالَ بَعْرَهُ أَوْجَ الذُّرَى
يَتَنَوَّرُ الْمُحَارِبُ مِنْهُ إِذَا قَرَا

= فَأَبَانٍ «أراد : المنازل وانظر (ضرائر الشعر) ص (١٤٢) .

(١) فِي (ط) « رَكُضَةً » .

(٢) الْوَدَّقُ : الْمَطَرُ شَدِيدُهُ وَهَيْتُهُ . وَهَمِي : صَبَّ . وَشَرِي الْبَرَقُ وَاسْتَشْرَى إِذَا تَتَابَعَ لِمَعَانِهِ ،

اللسان (ودق) و(همي) و(شري) .

(٣) الْعَافُونَ : الْأَصْيَافُ وَطُلَّابُ الْمَعْرُوفِ ، وَقِيلَ : هُمُ الَّذِينَ يَغْفُونَكَ أَيُّ يَأْتُونَكَ يَطْلُبُونَ

مَا عِنْدَكَ ، اللَّسَانُ (عفا) .

(٤) يَلْتَمِسُوا ، الْأَصْلُ : يَلْتَمِسُونَ ، حَذَفَ عِلَامَةُ الِرْفَعِ لِلزُّرُورَةِ الشَّعْرِيَّةِ ، وَنَحْوَهُ قَوْلُ أَيُّمَنِ بْنِ

خُرَيْمٍ : « وَإِذَا يَغْضَبُوا النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ » وَانْظُرْ « ضَرَائِرُ الشَّعْرِ » ص (١١٠) ، وَالْكَرَى :

الْأَجْرُ وَالثَّوَابُ .

(٥) الشُّوحُ : جَمْعُ سَاحَةٍ .

وكذا أبو السَّبطين صِنُو^(١) المصطفى
وكذلك كلُّ الآلِ والأَصحابِ والـ
وكذلك تابعهم وتابعُ تابعِ
يا ربِّ واختِمْ لي بخيرِ إنَّني
بغلِّ البَتولِ ومن يسمَّى حَيْدَرا
أزواجِ أكرمَ بالقِراةِ مَعشَرا
بالخيرِ يقفوا الأثرَ حتَّى المَحشَرا
مُتَوَسِّلٌ بالمصطفى خيرِ الوَرَى
ولنرجع إلى ما نحن بصدده من التاريخ فنقول^(٢) وبالله التوفيق :

* * *

(١) في (ط) : « صِنُوا » وهو خطأ ، وصوابه من (م) .
(٢) في (ط) : « فنول » وهو خطأ .

سنة إحدى وتسعمائة

● توفي الشيخ عبد الرحمن بن علي بن صالح ، أبو زيد ، المكودي^(١) نسباً ، الفاسي ، المكي ، شارح « الأجرومية » .

● وفيها : عند غروب الشمس يوم الأحد سابع عشر ذي القعدة توفي سلطان الديار المصرية الملك قايتباي^(٢) الجركسي المحمودي الأشرفي ثم الظاهري ، وصلي عليه يوم الاثنين ، وكان له مشهد عظيم ، ولم يخلفه مثله في الجراكسة ، بل قيل : إنه لم يمكث أحد في المملكة قدر مدته ، فكانت قريب ثلاثين سنة ، وصلي عليه في المساجد^(٣) الثلاثة ، وختم له فيها بعدة ربعات . أحد ملوك الديار المصرية ، والحادي والأربعون من ملوك الترك البهية ، بقية الملوك العظام ، وخاتمة النظام ، ولد تقريباً سنة بضع وعشرين وثمانمائة ، وقدم مع تاجره محمد بن رستم في سنة تسع وثلاثين ، فاشتراه الأشرف برسباي ، ثم صار إلى الملك الظاهر فأعتقه ، ولم يزل عنده يترقى من مرتبة (إلى مرتبة)^(٤) إلى أن صار الملك ، وذلك في سنة اثنتين وسبعين . وكان بعض أولياء الله تعالى قد أشار إلى ملكه قبل أن يفضي إليه الملك بزمان ، فقال له في واقعة : قم أنت أيها الملك الأشرف قايتباي . وحكي مثل ذلك عن

(١) ترجمته وأخباره في « الضوء اللامع » (٩٧/٢) و « بغية الوعاة » (٨٣/٢) و « نيل الابتهاج » ص (١٦٨-١٦٩) و « الكواكب السائرة » (٢٥٤/١) و « شذرات الذهب » (٩/١٠) و « معجم المؤلفين » (١٥٦/٣) و « الأعلام » (٣١٨/٣) .

(٢) ترجمته وأخباره في « الضوء اللامع » (٢١١-٢٠١/٣) و « بغية الوعاة » (١٢٢/٢) و « الكواكب السائرة » (٣٠٠-٢٩٧/١) و « شذرات الذهب » (١٤-١٢/١٠) و « الأعلام » (١٨٨/٥) .

(٣) في (ط) : « المسجد » وصوابه من (م) .

(٤) ما بينهما سقط من (ط) .

آخر ، بل أرسل إليه مع بعض خاصته بالبشارة بذلك ، فخشي صاحب الترجمة أن يناله بسوء من المتولي إذ ذاك بسبب هذا الإيعاد^(١) ، واستبعد وقوع هذا الأمر غاية الاستبعاد .

ورأى بعضهم كأن شجرة رمان ليس بها سوى حبة واحدة ، وأن صاحب الترجمة بادر قطعها ، فتأوله الرائي بأخذه للملك وأعلمه بذلك ، فأمره بإخفاء هذا المنام لذلك أيضاً . ولما استقر في المملكة أخذ في الحل والعقد والعزل والعهد ، ولم يكن في زمنه منازع ولا مدافع . وطالت أيام دولته السعيدة ، وسار في الناس السيرة الحميدة ، واجتهد في بناء المشاعر العظام بحيث وقع له من ذلك ما لم يتفق لغيره من ملوك الإسلام ، كعمارة مسجد الخيف بمنى ، وحفر بنمرة صهريجاً زرعه عشرون ذراعاً ، وعمّر بركة خليص ، وأجرى العين الطيبة إليها ، بل أصلح المسجد الذي هناك بحيث عم الانتفاع بكله للقاطن والسالك ، وعمّر عين عرفة بعد انقطاعها أزيد من قرن ، وعمّر سقاية سيدنا العباس ، وأصلح بئر زمزم والمقام ، وجهاز في سنة تسع وسبعين للمسجد منبراً عظيماً ونصه^(٢) في ذي القعدة ، وكان يرسل للكعبة الشريفة بكسوة فائقة جداً في كل سنة ، وأنشأ بجانب المسجد الحرام عند باب السلام مدرسة عظيمة ، بها صوفية وتدرّيس ، وفقراء ، وخزانة للربعات وكتب العلم ، وبجانبها رباط للفقراء والطلبة مع إجراء القوات لهم في كل يوم ، وسبيل عظيم للخاص والعام ، ومكتب للأيتام ، وكذا أنشأ بالمدينة النبوية مدرسة بديعة بهية ، بل بنى المسجد الشريف بعد الحريق ، وجدد المنبر والحجرة والمصلّى النبوي إلى غيرها من المحراب العثماني والمنارة الرئيسية بدءاً على عود ، بل رتب لأهل السنة من أهلها ، والقادمين عليها ، من كبير وصغير ، وغني وفقير ، ورضيع وفطيم ، وخادم وخديم ما يكفيه من البر ، ومن الدشيشة^(٣)

(١) في (ط) : « الإيعاد » بالباء ، وهو خطأ ، وصوابه من (م) .

(٢) أراد : وضعه وأقامه . والنَّصُّ : رفعك الشيء وإظهاره اللسان (نصص) .

(٣) الدَّشِيشَةُ : لغة في الجَشِيشَةِ ، وقيل : لُكْنَةُ . والجَشِيشُ والجَشِيشَةُ : الحبُّ حين يُدَقُّ =

والخبز ما تيسر ، وعمل أيضاً ببيت المقدس مدرسة كبيرة ، بها شيخ وصوفية ودرسة^(١) ، وغير ذلك مما يطول ذكره .

قال السخاوي : وبالجمل : فلم يجتمع لملك ممن أدركناه ما اجتمع له ، ولا حوى من الحِذْق والذِّكَاء والمحاسن مجمل ما اشتمل عليه ولا مفصله . وربما مدحه الشعراء ولا يلتفت إلى ذلك ، ويقول : لو اشتغل بالمديح النبوي كان أعظم من هذه المسالك . وترجمته تحتل مجلدات .

قال : وله تهجد وتعبد ، وأوراد وأذكار ، وتعفف وبكاء من خشية الله تعالى ، وميل لذوي الهيئات الحسنة والصفات ، وتلاوة ومطالعة في كتب العلم والرقائق^(٢) وسير الخلفاء والملوك ، بحيث يسأل القضية وغيرهم الأسئلة الجيدة ، وربما أفادهم في بعض الأحيان ، والاعتراف من نفسه بالتقصير والاعتقاد فيمن يثبت عنده صلاحه من الصالحاء والعلماء .

قال : وتكرر توجهه^(٣) لبيت المقدس ، والخليل ، وثغور دمياط واسكندرية ، ورشيد ، وأزال كثيراً من الظلمات الحادثات ، وزار من هناك من السادات . بل حج في طائفة قليلة سنة أربع وثمانين ، ووهب وتصدق ، وأظهر من تواضعه وخشوعه في طوافه وعبادته ما عُذَّ من حسناته .

قال : وبلغني عن بعض الصالحين أنه أخبر برؤية النبي ﷺ في المنام تلك الأيام ، وأخبر بأنه من الفرقة الناجية . قال : وقد حج قبل ترقيه في زمن الظاهر ، وذلك في سنة سبع وأربعين ، وكذا أنفق أموالاً عظيمة في غزو^(٤)

= وَيُطْحَنُ ، وَقِيلَ : حِينَ يُطْبَخُ وَيُلْقَى عَلَيْهِ اللَّحْمُ أَوْ التَّمْرُ ، فَهَذَا الْجَشِيشُ ، وَيُقَالُ لَهَا دَشِيشَةٌ ، وَانْظُرِ «اللِّسَانُ» (دشش ، جشش) .

(١) الدُّزْسَةُ : الرياضة والمدارس وتعهد الشيء ، «اللِّسَانُ» (درس) وأراد تهذيب النفس وتطويعها للخير .

(٢) في (ط) : « والدقائق » وهو خطأ .

(٣) في (ط) : « وجهه » .

(٤) في (ط) « غزوة » وهو خطأ .

الكفار ، ورباط الثغور ، وحفظ الأمصار . رحمه الله تعالى .

● وفيها : قُدِمَ إلى مدينة زَبيد ، بكتاب « فتح الباري شرح البخاري » للحافظ شهاب الدين ابن حجر^(١) من البلد الحرام ، وهو أول دخول اليمن . وكان السلطان عامر أرسل لاشترائه فاشتراه بمال جزيل ، ثم قدم به الرسول إلى مدينة زبيد ، ثم توجه به إلى باب السلطان ، فواجهه به في مدينة « تعز » . وهذا الكتاب من آيات الله الكبرى .

● وفيها : حصل طوفان عظيم من ناحية بحر الهند غرق منه في بندر الديو^(٢) عشرة مراكب ، وفي الباحة أربعة مراكب ، وتلف فيها من الأموال ما لا ينحصر ، وتغيرت أربعة مراكب ، وانكسرت أدقاليهم^(٣) . ورموا من حملهم أكثر من النصف . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

* * *

(١) قلت : واسمه الكامل : « فتح الباري بشرح صحيح البخاري » وهو من خيرة الشروح لحديث رسول الله ﷺ ، حتى قيل فيه : « لا هجرة بعد الفتح » أي لا شرح لصحيح البخاري بعد شرح الحافظ ابن حجر ، وقد طبع عدة طبعات : أفضلها التي رقمها الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، وأشرف على تصحيحها وتدقيقها الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، ونشرتها المكتبة السلفية بالقاهرة لصاحبها الأستاذ محب الدين الخطيب ، ثم أعادت طبعها مصورة دار المعرفة ببيروت ، وتقع في ثلاثة عشر مجلداً إضافة إلى مجلد لمقدمته الجليلة القدر ، وهو المعتمد في التخريج لأحاديث « صحيح البخاري » ولكنه بأمس الحاجة إلى إعادة إخراجها في طبعة جديدة محققة ومخرّجة ومفهرسة .

(٢) الديو (Diu) : جزيرة صغيرة طولها سبعة أميال ، تقع قرابة شاطئ الهند عند جييجرات ، استولى عليها البرتغاليون سنة ١٥٣٥ م (٩٤٢ هـ) عن « غاية الأمانى » (٦٢٣ / ٢ حاشية المحقق) .

(٣) الأدقال جمع الدّقل ، وهو خشبة طويلة تشدُّ في وسط السفينة يُمدُّ عليها الشّراع . (اللسان دقل) .

سنة اثنتين بعد التسعمائة

● وفي يوم الأحد وقت العصر الثامن والعشرين من شهر شعبان : توفي الشيخ العلامة الرُّحلة الحافظ ، أبو عبد الله ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي^(١) الأصل ، القاهري ، الشافعي ، بالمدينة الشريفة ، حال مجاورته الأخيرة بها ، وعمره إحدى وسبعون سنة ، وصُلي عليه بعد صلاة الصبح يوم الاثنين ثاني تاريخه بالرَّوضة الشريفة ، ووقف بنعشه تجاه الحجرة الشريفة ، ودفن بالبقيع بجوار مشهد الإمام مالك ، وكانت جنازته حافلة ، ولم يخلفه بعد مثله في مجموع فنونه . وكانت ولادته في ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة ، وحفظ القرآن العظيم وهو صغير وجوَّده ، ثم حفظ « المنهاج الأصلي » ، و « ألفية ابن مالك » ، و « النخبة » ، و « ألفية العراقي » ، و « شرح النخبة » ، وغالب « الشاطبية » ، و « مقدمة الشاوي » في العروض ، وكلما انتهى حفظه لكتاب عرضه على شيوخ عصره .

وبرع في الفقه والعربية والقراءات^(٢) وغيرها ، وشارك في الفرائض والحساب والميقات وأصول الفقه والتفسير وغيرها ، وأما مقروءاته ومسموعاته فكثيرة جداً لا تكاد تنحصر . وأخذ عن جماعة لا يحصون ، حتى بلغت عدة من أخذ عنه زيادة على أربعمئة نفس . وأذن له غير واحد بالإفتاء والتدريس والإملاء .

(١) ترجمته لنفسه في كتابه « الضوء اللامع » (٣٢-٢/٨) وهي ترجمة مطولة ، وله ترجمة في « نظم العقيان » (١٥٣-١٥٢) ، و « الكواكب السائرة » (٥٣/١) ، و « شذرات الذهب » (٢٥٢٣/١٠) ، و « البدر الطالع » (١٨٧-١٨٤/٢) و « معجم المؤلفين » (١٥٠/١٠) ، و « الأعلام » (١٩٤/٦) .

(٢) في (ط) : « القراءة » .

وسمع الكثير من الحديث على شيخه إمام الأئمة الشهاب بن حجر ، وأقبل عليه بكليته إقبالاً يزيد على الوصف حتى حمل عنه علماً جماً ، واختص به كثيراً بحيث كان من أكثر الآخذين عنه ، وأعانه على ذلك قرب منزله منه ، وكان لا يفوته مما يقرأ عليه إلا النادر . وقرأ عليه الاصطلاح بتمامه ، وسمع عليه جلّ كتبه « كالألفيّة » و « شرحها » مراراً ، و « علوم الحديث » إلا اليسير من أوائله لابن الصلاح ، وأكثر تصانيفه في الرجال وغيرها « كالتقريب » ، وثلاثة أرباع أصله ، و « اللسان » بتمامه ، و « مشبه النسبة » ، و « تخريج الزاهر » ، و « تلخيص مسند الفردوس » ، و « المقدمة » ، و « أماليه الحلية » ، و « الدمشقية » ، وغالب « فتح الباري » ، و « تخريج المصابيح » ، و « ابن الحاجب الأصل » ، و « تعليق التعليق » ، و « مقدمة الإصابة » ، وجملة يطول تعدادها . وفي بعضه ما سمعه أكثر من مرة ، ولم يفارقه إلى أن مات . وأذن له في الإقراء والإفادة والتصنيف ، وتدرّب به في معرفة العالي والنازل ، والكشف عن التراجم والمتون ، وسائر الاصطلاح ، وغير ذلك .

وجاب البلاد وجال ، وجدّ في الرحلة ، وارتحل إلى حلب ودمشق ، وبيت المقدس ، والخليل ، ونابلس ، والرملة ، وحماه ، وبعلبك ، وحمص . بحيث أن الذي سمع عنهم يكونون قريب مائة نفر ، بل زاد عدد من أخذ عنه من الأعلى والدُّون والمساوي على ألف ومائتين ، والأماكن التي تحمل فيها من البلاد والقرى على الثمانين .

واجتمع له من المرويات بالسماع والقراءة ما يفوق الوصف ، وهي تتنوع أنواعاً تنيف على العشر حسبما ذكره مستوفى في ترجمته من « تاريخه »^(١) . وأعلى ما عنده من المروي ما بينه وبين الرسول ﷺ بالسند المتماسك^(٢) ؛ فيه

(١) انظر « الضوء اللامع » (٣٢-٢) .

(٢) في (ط) « المتماسكة » .

عشرة أنفس وأكثر منه . وأصح ما بين شيوخه وبين النبي ﷺ فيه العدد المذكور . واتصلت له الكتب الستة ، وكذا حديث كل من الشافعي ، وأحمد ، والدارمي بثمانية وسائط ، وفي بعض الكتب الستة كأبي داود من طريق آخر ، وأبواب في النسائي ما هو سبعة - بتقديم المهمة - واتصل له حديث مالك وأبي حنيفة بتسعة - بتقديم المثناة - .

وحجّ بعد وفاة شيخه ابن حجر مع والديه ، ولقي جماعة من العلماء ، فأخذ عنهم كأبي الفتح الأغر ، والبرهان الزمزمي ، والتقيّ ابن فهد ، وأبي السعادات ابن ظهيرة ، وخلّاق . ثم زار المدينة الشريفة ، ورجع إلى القاهرة ملازماً للسمع والقراءة والتخريج ، والاستفادة من الشيوخ والأقران من غير فتور عن ذلك ، ولم يزل يجتهد في السماع ويرحل إلى الأقطار حتى وصل إلى ما وصل إليه .

وخصّه بعض شيوخه على عقد مجلس الإملاء ، فامثل إشارته فأملى حتى أكمل تسعة وخمسين مجلساً ، ثم توجه إلى الحج في سنة سبعين فحج وجاور ، وحدث هناك بأشياء من تصانيفه وغيرها ، وأقرأ ألفية الحديث تقسيماً ، وغالب شرحها لناظمها ، والنخبة وشرحها ، وأملى مجالس بالمسجد الحرام .

ولما رجع إلى القاهرة شرع في إملاء تكملة تخريج شيخه للأذكار ، ثم إملاء تخريج أربعين النووي ، ثم غيرها ، بحيث بلغت مجالس الإملاء ستمائة مجلس فأكثر . وكذا حج في سنة خمس وثمانين ، وجاور سنة ست ، ثم سنة سبع ، وأقام منها ثلاثة أشهر بالمدينة النبوية ، ثم في سنة اثنتين وتسعين ، وجاور سنة ثلاث ، ثم سنة أربع ، ثم في سنة ست وتسعين ، وجاور إلى أثناء سنة ثمان فتوجه إلى المدينة النبوية ، فأقام بها شهراً ، وصام رمضان بها ، ثم عاد في شوالها إلى مكة ، ومكث بها ما شاء الله ، ثم رجع إلى المدينة وجاور بها إلى أن مات . وحمل الناس

من أهلها والقادمين عليهما عنه الكثير جداً رواية ودراية ، وحصلوا من تصانيفه ، مع ملازمة الناس في منزله للقراءة دراية ورواية في تصانيفه وغيرها بحيث خُتم عليه ما يفوق الوصف من ذلك ، وأخذ عنه من الخلائق ما لا يحصى كثرة .

وشرع في التصنيف والتخريج قبيل الخمسين ، وهلم جزاً^(١) . وتصانيفه إليها النهاية في الشهادة له لمزيد علوه وفخره . ومن تصانيفه « فتح^(٢) المغيث بشرح ألفية الحديث^(٣) » ، وهو مع اختصاره في مجلد ضخمة وسبك المتن فيه على وجه بديع لا يعلم في هذا الفن أجمع منه ولا أكثر تحقيقاً لمن تدبره ، وتوضيح لها^(٤) حاذى به المتن بدون الإفصاح . « والمقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة^(٥) » ، وهو كتاب جليل لم يسبق إلى مثله ، مفيد في بابه جداً . و « القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع^(٦) » وهو في غاية الحسن . و « الضوء اللامع لأهل القرن التاسع^(٧) » . يكون ست مجلدات . و « عمدة المحتج في حكم الشطرنج » . و « المنهل العذب الروي في ترجمة قطب الأولياء النووي » . و « الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر » في مجلد ضخمة^(٨) ، وربما يكتب في

- (١) هَلَمْ : كلمة يراد بها الدُّعاء إلى الشيء كـ (تعال) فتكون لازمة ، وقد تستعمل متعدية نحو (هَلَمْ شُهَدَاءُكُمْ) أي : أحضروهم ، وهي من أسماء الأفعال . والجزء مصدر ، ومعناه : الجذب ، ونصب جزأً على المصدر أو الحال .
- (٢) في (ط) « فسح » وهو خطأ وصوابه من (م) .
- (٣) انظر حاشية الشذرات رقم (١) ٢٤ / ١٠ .
- (٤) في (م) و (ط) « توضح له » وهو خطأ وصوابه ما أثبتناه .
- (٥) انظر : حاشية الشذرات رقم (٣) ٢٤ / ١٠ .
- (٦) انظر حاشية الشذرات رقم (٥) ٢٤ / ١٠ .
- (٧) انظر حاشية الشذرات رقم (٢) ٢٤ / ١٠ .
- (٨) حققه (إبراهيم باجس عبد المجيد) ونشرته دار ابن حزم بيروت في ثلاث مجلدات سنة ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م .

مجلدين ، و « التاريخ المحيط » وهو في نحو ثلاثمائة ورقة على حروف المعجم ، لا يعلم من سبقه إليه . و « تلخيص تاريخ اليمن » . و « منتقى من تاريخ مكة » للفاسي . و « الفوائد الجليلة في الأسماء النبوية » . و « الفخر العلوي في المولد النبوي » . و « ارتقاء الغرف بحب أقرباء الرسول وذوي الشرف » . و « الإيناس بمناقب العباس » . و « رجحان الكفة في بيان أهل الصفة » و « الأصل الأصيل في تحريم النقل من التوراة والإنجيل » . و « القول المتين في تحسين الظن بالمخلوقين » ، وغير ذلك^(١) .

وقرّظ^(٢) أشياء من تصانيفه غير واحد من أئمة المذهب ، كالحافظ ابن حجر ، والجلال المحلي ، والعلم البلقيني ، والشرف المناوي ، والتقي الحصني ، والعيني ، والكافياجي ، وتنقلها الناس إلى كثير من البلدان والقرى ، وكتب الأكابر بعضها بخطوطهم حتى قال بعضهم : إن لم تكن التصانيف هكذا وإلا فلا .

● فائدة :

وكان شيخه شيخ الإسلام ابن حجر يُحبه ويُثني عليه ، وينوّه بذكره ،

(١) ومن مؤلفاته الهامة أيضاً كتابه « الذيل التام على دول الإسلام » الذي ذُكِّل فيه على « دول الإسلام » للذهبي ، وبدأ به بحوادث وتراجم سنة (٧٤٥) وانتهى به إلى سنة (٩٠١) هـ ، وهي السنة التي سبقت سنة وفاته ، وقد قام بتحقيقه (حسن إسماعيل مَزْوَة) وراجعته وقَدَّم له (محمود الأرناؤوط) ونشرته في ثلاث مجلدات مكتبة دار العروبة بالكويت ، ودار ابن العماد ببيروت بين عامي (١٤١٣ - ١٤١٨ هـ - ١٩٩٢ - ١٩٩٨ م) وقامت مؤسسة الرسالة بإصدار طبعة أخرى ناقصة منه بعنوان « وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام » سنة (١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م) اعتمد في إخراج معظمها على المجلد الأول من الطبعة الأولى الصادرة عن دار العروبة ودار ابن العماد ، وسقط منها مقدار مجلد كامل ، وتولى العمل بها (د . بشار عواد معروف) وبعض من يعمل معه ، ولتتام الفائدة راجع مقدمات الأجزاء الأول والثاني والثالث التي كتبها (محمود الأرناؤوط) للطبعة الأولى منه .

(٢) في (ط) « قرظ » والمثبت من (م) وفي اللسان (قرظ) أن التقارض في الخير والشر ، وأن التقارظ في المدح والخير خاصة ، وهو الموافق لسياق النص .

ويعترف بعلو فخره ، ويُرجحه على سائر جماعته المنسوين إلى الحديث وصناعته ، وكان من دعواته له قوله : « والله المسؤول أن يعينه على الوصول إلى الحصول حتى يتعجب السابق من اللاحق » .

ومما وصفه به بعض الحفاظ بعد كلام تقدم : « وهو والله بقیة من رأيت من المشايخ ، وأنا وجميع طلبة الحديث بالبلاد الشامية والبلاد المصرية وسائر بلاد الإسلام عيال عليه ، والله ما أعلم في الوجود له نظيراً » .

وقال غيره : « هو الآن من الأفراد في علم الحديث الذي اشتهر فيه فضله ، وليس بعد شيخ الإسلام ابن حجر فيه مثله » .

وقال غيره : « واسطةً عقدها ، من انعقد^(١) الإجماع على أنه أمسى كالجوهر الفرد ، وأصبح في وجه الدهر كالغرة ، حتى صارت الغرر مع جواهره كالذرة . بل جواد جوده شهد له جريانه بالسبق في ميدان الفرسان ، وحكم له بأنه هو الفرع الذي فاق أصله البديع بالمعاني فلا حاجة للبيان . أضواء هذا الشمس فاخترت منه كواكب الدراري ، كيف لا ، وقد جاده الفيض بفتح الباري . فهو نخبة العصر والدهر ، وعين القلادة في طبقة الجود لأنه عين السخاء وزيادة ، فبدايته إليها النهاية ، ومنهاجه أوضح الطرق^(٢) إلى الغاية ، وهو الخادم للسنة الشريفة ، والحاوي لمحاسن الاصطلاح والنكت المنيفة ، فبهجته زهت بروضها ، وروضته زهت ببهجتها » .

وقال آخر : « هو الذي انعقد على تفردِهِ بالحديث النبوي الإجماع ، وأنه في كثرة اطلاعه وتحقيقه لفنونه^(٣) بلغ ما لا يستطيع . ودوّنت تصانيفه واشتهرت ، وثبتت سيادته في هذا الفن النفيس وتقررت . ولم يخالف أحدٌ من العقلاء في جلالته ، ووفور ثقته وديانته وأمانته . بل صرحوا بأجمعهم بأنه هو

(١) في (ط) «العقد» وصوابه من (م) .

(٢) في (م) و(ط) «طرق» .

(٣) في (ط) «لفتونه» وصوابه من (م) .

المرجوع إليه في التعديل والتجريح ، والتحسين والتصحيح بعد شيخه شيخ مشايخ الإسلام ابن حجر حامل راية العلوم والأثر .

وقال آخر : « لقد أجاد النقل من كلامي الله ورسوله القديم والحديث ، وسارت بفضلله الركبان وبالغت في السير الحثيث » .

ومدحه آخر بهذه الأبيات وهي : [من الكامل]:

يا سيِّداً أضْحَى فريدَ زمانِه	ودليلُ ما قد قَلَّتْهُ الإجماعُ
عندي حديثٌ مسندٌ ومُسَلَّسٌ	يرويه ذو الإِتقان لا الوضَّاعُ ^(١)
ما في الزَّمانِ سِواكَ يُلْفَى عالِماً	صَحَّتْ بِذاك إجازةٌ وسَماعُ
الخَيْرُ فيكَ تواترتْ أخبارُهُ	وهو الصَّحيحُ وليس فيه نزاعُ
يا مَنْ إذا ما قد أتاه ممرَضٌ	يشكو يزولُ الضُّرُّ والأوجاعُ ^(٢)

ورئي بعد موته على هيئة حسنة ، ف قيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : حاسبني وغفر لي وحشرني مع العلماء .

وترجمته في تاريخه ثلاثة كراريس على القطع الكامل .

قال الشيخ جار الله بن فهد رحمه الله عقب تلك الترجمة : « إِنَّ شيخنا صاحب الترجمة حقيق بما ذكره لنفسه من الأوصاف الحسنة ، ولقد والله العظيم لم أر في الحفاظ المتأخرين مثله ، ويعلم ذلك كل من اطلع على مؤلفاته أو شاهده ، وهو عارف فقيه منصف في تراجمه ، ورحم الله جدي حيث قال في ترجمته : إنه انفرد بفنه ، فطار اسمه في الآفاق ، وكثرت مصنفاته فيه وفي غيره ، طار صيته شرقاً وغرباً ، شاماً ويمناً ، ولا أعلم الآن من يعرف علوم الحديث مثله ، ولا أكثر تصنيفاً ولا أحسن ، ولذلك أخذها عنه علماء الآفاق من المشايخ والطلبة والرفاق ، وله اليد الطولى في المعرفة بالعلل ، وأسماء الرجال ، وأحوال الرواة ، والجرح والتعديل ، وإليه يُشار في ذلك . ولهذا

(١) عجز البيت في (م) و (ط) « نرويه بالإتقان لا الوضاع » .

(٢) في (م) و (ط) « يشكو زوال . . . » وهو مما لا يستقيم به المعنى ويصبيه الإقواء أيضاً .

قال بعض العلماء : لم يأت بعد الحافظ الذهبي أحدٌ سلك هذه المسالك ، ولقد مات فنُّ الحديث من بعده ، وأسفَ النَّاسُ على فقدِهِ ، ولم يُخلَقْ بعده مثله « انتهى .

وولي تدريسَ الحديثِ في مواضع متعددة ، وعُرضَ عليه قضاءُ مصر فلم يقبله ، رحمه الله تعالى .

● وفيها : في شهر ذي القعدة توفي الفقيه الصالح جمال الدين محمد المقبول^(١) بن أبي بكر الزيلعي ، صاحب قرية اللُّحْيَةِ^(٢) ، نفع الله به .

● وفيها : أمر السلطان عامر بن عبد الوهاب بتقييد رئيس الإسماعيلية سليمان بن حسن بمدينة تعز ، وأودعه دار الأدب ، وكان يتحدث بما لا يعنيه من المغيبات المستقبلات ، وكان عالم الإسماعيلية . وأمر بإحضار كتبه وإتلافها ، فأُتلفت^(٣) ، والحمد لله .

* * *

(١) لم نعر على ترجمة له فيما بين أيدينا من المصادر .

(٢) اللحية - تصغير لحية الرجل - موضع في شمال اليمن . انظر « غاية الأمانى في أخبار القطر اليمني » ٥٦٩/٢ ، ٦٤٤ .

(٣) الخبر بتمامه في « شذرات الذهب » (٢٠ / ١٠) .

سنة ثلاث بعد التسعمائة

● وفي ربيع الأول توفي الفقيه^(١) العالم العارف بالله الجليل الربّاني محمد بن أحمد باجر فيل الدوعاني رحمه الله بغيل أبي وزير من أعمال الشّحر^(٢) . و« جرفيل » بجيم ثم راء ثم فاء . وكان مولده في يوم الإثنين ثاني عشر ربيع الأول سنة عشرين بعد الثمانمائة . غلب عليه التّصوّف ، فخاض غماره وحقق أسرارّه ، وصارَ من كبار مشايخ الطريقة ، وأعلام رجال أئمة الحقيقة ، يُقْتَدَى بآثاره ، ويُهْتَدَى بأنواره .

وحكي عنه أنه قال : لم أصحب مع كثرة من صحبته من العارفين بالله مثال الشيخ علي بن أبي بكر ، فلازمته أربعة أشهر على أن يقول لي : أنت منا أهل البيت ، كما قال ذلك النبي ﷺ لسلمان الفارسي رضي الله عنه^(٣) . فلم يجبني إلى ذلك ، فلما ألححت عليه وتحقق صدق ودي ومحبتي لأهل البيت . فقال : يا فقيه إنَّ الدّينَ النَّصيحةُ ، لا يجيبك إلى مقصودك هذا إلاّ الشيخ أبو بكر بن عبد الله ، فإنّه القطبُ الوارثُ للقطبية من صغره بعد موت أبيه الشيخ عبد الله بن أبي بكر ، ونحن نكتبُ لك إليه أن يجيبك إلى مرادك . قال : والشيخ أبو بكر يومئذ باليمن ، فكتب الشيخ علي إليه ، وكتبت أنا أيضاً إليه . فأتانا منه بحمد الله الجواب بالقصد والمراد .

(١) لم ترد في (ط) .

(٢) في (ط) « الشّحن » وهو خطأ وصوابه في (م) . والشّحرُ بكسر أوله وسكون ثانيه الشّط ، وهو صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن ، بين عدن وعُمان « معجم البلدان » (٣٢٧ / ٣) .

(٣) قطعة من حديث ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١١٧ / ٩) وعزاه لأبي يعلى ، وقال : وفيه النضر بن حميد الكندي وهو متروك . وانظر « مجمع الزوائد » (١١٨ / ٩) .

قال العلامة بحرَق : ولقد كُنْتُ أَسْتَشْكِلُ أَشْيَاءَ تَصَدَّرُ مِنَ الشَّيْخِ ^(١) أَبِي بَكْرٍ العِيدْرُوسِي ، قَدَّسَ اللهُ رُوحَهُ ، تَقْصُرُ عَنْهُ عُقُولُ أَمْثَالِنَا الْقَاصِرَةِ ، وَلَكِنِّي كُنْتُ بِتَوْفِيقِ اللهِ أَعْرِضُهَا عَلَى أَرْبَابِ الْبَصَائِرِ ، فَمَا مِنْهُمْ إِلَّا وَيَأْمُرُنِي بِالتَّسْلِيمِ . وَيَشْهَدُ عِنْدِي بَعْلُو مَقَامِ سَيِّدِي ، وَأَنَّهُ عَلَى هَدًى مِنْ رَبِّهِ الْعَلِيمِ . مِنْهَا : أَنِّي عَرَضْتُ عَلَى الْفَقِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بَاجِرْفِيلٍ تَصَرُّفَاتٍ مَالِيَّةٍ يَبَاشِرُ سَيِّدِي فِي قَبْضِهَا وَصَرَفِهَا ، فِي ظَاهِرِ الْأَمْرِ فِي غَيْرِ مَصَارِفِهَا . فَقَالَ لِي : أَنَا أَشْهَدُ أَنَّهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْمَالِكُ لِلتَّوْلِيَةِ وَالْعَزْلُ وَالْحُلُّ وَالْعَقْدُ ، وَالتَّصَرُّفَاتُ كُلُّهَا ، وَأَشْهَدُ أَنَّهُ أَفْضَلُ أَهْلِ الْأَرْضِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا . فَقُلْتُ لَهُ : أَمَّا الْبَاطِنُ ، فَبِصَائِرِنَا عَنْهُ قَاصِرَةٌ ، وَأَمَّا الظَّاهِرُ فَمَا وَجْهُهُ ؟ فَقَالَ : وَجْهُهُ أَنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ أَفْضَلُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ ، وَآلُ بَاعْلُوِي الْيَوْمِ أَفْضَلُ مِنْ سَائِرِ أَهْلِ الْبَيْتِ بِاتِّبَاعِهِمُ السُّنَّةَ وَلَمَّا اشْتَهَرُ لَهُمْ مِنَ الْعِبَادَةِ وَالزَّهَادَةِ وَالْكَرَمِ وَحَسَنِ الْأَخْلَاقِ ، وَالشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ أَفْضَلُ آلِ بَاعْلُوِي بِالْإِتِّفَاقِ ، فَهُوَ أَفْضَلُ أَهْلِ زَمَانِهِ .

● وفيها : فِي يَوْمِ السَّبْتِ خَامِسِ عَشَرَ شَوَالٍ تَوَفَّى الْفَقِيهِ الْمُنُورَ الْمُتَّفِقَ عَلَى جَلَالَةِ قَدْرِهِ عِلْمًا وَعَمَلًا وَوَرَعًا ، جَمَالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الشَّهِيرِ بَابِنِ عَلِيِّ بْنِ أَفْضَلِ السَّعْدِيِّ - نَسَبُهُ إِلَى سَعْدِ الْعَشِيرَةِ - الْحَضْرَمِيِّ ^(٢) ، ثُمَّ الْعَدْنِيِّ - رَحِمَهُ اللهُ - بَعْدَهُ ، وَحَزَنَ النَّاسُ عَلَيْهِ ، وَكَثُرَ تَأْسِفُهُمْ عَلَى فَقْدِهِ رَحِمَهُ اللهُ .

وَكَانَ مَوْلَدُهُ فِي حَضْرَمُوتَ بِتَرِيمَ سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَثَمَانِمِائَةٍ ، ثُمَّ ارْتَحَلَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ إِلَى عَدَنَ ، وَأَخَذَ عَنِ الْإِمَامَيْنِ الْفَاضِلَيْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْعُودَ بَاشْكِيلَ ، وَمُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بَاحْمِيشَ ، وَجَدَّ فِي الطَّلَبِ وَدَأْبَ حَتَّى بَرَعَ فِي الْعِلْمِ وَانْتَصَبَ لِلتَّدْرِيسِ وَالْفَتْوَى ، وَصَارَ مِنْ أَعْلَامِ الدِّينِ وَالتَّقْوَى . وَكَانَ إِمَامًا كَبِيرًا عَالِمًا عَامِلًا مُحَقِّقًا وَرِعًا زَاهِدًا مُجْتَهِدًا عَابِدًا ، مُقْبَلًا عَلَى شَأْنِهِ تَارِكًا

(١) فِي (ط) « مِنْ سَيِّدِ الشَّيْخِ » .

(٢) تَرْجَمْتُهُ فِي « شَذَرَاتُ الذَّهَبِ » (٢٩-٢٨ / ١٠) .

لما لا يعنيه ، ذا مقامات وأحوال وكرامات . وكان حسن التعليم ، لين الجانب ، متواضعاً ، صبوراً ، مثابراً على السنّة ، معظماً لأهل العلم .
وكان هو وصاحبه العلامة عفيف الدين عبد الله بن أحمد با مَحْرَمَة^(١) عمدة الفتوى بعدن ، وكان بينهما من التوادد والتناصف ما هو مشهور ، حتى كأنهما روحان في جسد .

وكان يعظم الشيخ أبا بكر العيدروسي . قال العلامة بحرّق : كان سيدي الشيخ أبو بكر - قدّس الله روحه - إذا قدم من بعض أسفاره من الجبال إلى عدن قدم قبله قاصداً يُعْلَمُ أكابر النَّاسِ بقدومه يوم كذا ويأمرهم بالخروج لملاقاته ، فقلت للفقير محمد بن أحمد بافضل : لأي شيء يفعل الشيخ هذا ؟ فقال : ليوصل النَّاسَ إلى رحمة الله ، ويوصل رحمة الله إليهم بالنظر إليه ، والحضور بين يديه ولو لحظة واحدة . ثم يخرج يتلقاه مع النَّاسِ .

وكان كثير السَّعي في حوائج المسلمين عند الملوك وغيرهم . وكان محبباً للناس ، مُعْتَقِداً عند الخاص والعام ، معظماً عند الملوك والأمراء ، لا تكاد تُرَدُّ له شفاعة . وكان الشيخ عامر بن عبد الوهاب كثير التعظيم له .
وبالجملة : فمناقبه وفضائله ومحاسنه أكثر من أن تحصر ، وأشهر من أن تذكر . وأفرد له ولده الفقيه عبد الله ترجمة .

وهذه القصيدة المسماة « بالوابل الصيّب والرجس الطيّب » ، نظم سيدنا ومولانا الشريف الولي الصالح سراج الدين عمر بن عبد الرحمن با علوي المقبور بتعز في السيد الإمام شيخ الإسلام أوجد العلماء الأعلام جمال الدنيا والدين محمد بن أحمد أبي الفضل ، رحمهما الله تعالى ، ونفع بهما وبعلمهما ، وأعاد علينا من أسرارهما ومعارفهما ، آمين ، آمين ، وهي هذه القصيدة : [من الطويل]:

إلى الله أشكو حرَّ نيرانِ فُرْقَةٍ لها في فؤادي مثل طعنِ الذّوابلِ

(١) في (ط) « با محزمة » وهو تصحيف .

واسأله جمعاً بوضلي محجب
 عسى بعد هذا البُعدِ يجمعُ شملنا
 سقى الله أوقاتاً لنا في ربوعهم
 وزاد اشتياقي للحبيب وقُربه
 سلامٌ على شخص به « عَدَنٌ » زهت
 جمالٌ لدينِ الله خادمٌ شَرَعِه
 نواوي هذا الوقتِ شمسَ زمانه
 حبيبٌ محبٌ للمساكين مؤنسٌ
 فعن مُنكَرِ ناهٍ وبالعُزفِ أمرٌ
 حلیمٌ سليمٌ دائمٌ البشرِ والرضا
 له منظرٌ بالقلبِ يعلقُ فهمه
 وتدريسه في كلِّ فنٍّ مؤسّسٌ
 ويرفُقُ بالقاري البليد كأنه
 فيها جرامُ الشوكِ مسكنه به
 لأنظره في كلِّ يومٍ وليلة
 فنظرته تُسلي الهمومَ جميعها
 حبا الله ذاك الوجه نوراً وبهجة
 كبحر خِضَمٌ^(٥) في العلوم قد امتلا

عن الجاهلين الغافلين الأسافل
 به ربنا معطي منى كلِّ أملٍ
 إذا خَطَرَتْ^(١) بالبال هاجت بلابلي
 وأنشدُ لا أخشى مَلامَ العَوَادلِ^(٢)
 « أبا فضل » المشهور زين الشمائل
 دليلُ طريقِ الله بِذُرِّ المَحافلِ
 بهيِّ المحيّا جَامِعٌ للفضائلِ
 ومقمعةٌ للظالمين الأراذلِ
 لكلِّ ولا يخشى عُتَاةً^(٣) القبائلِ
 صبورٌ وقورٌ عندَ وقعِ التَّوازلِ
 ولو كان فَذْماً^(٤) أبكماً غيرَ عاقلٍ
 بتعليله يا صاحبي والدلائلِ
 له أمُّ ثدي مشفقاً بالمسائلِ
 وتدريسه يا ليت ثمَّ منازلِ
 وأسأله عن كلِّ حقٍّ وباطلٍ
 ولفظته غيثٌ لمُضغِ بقائلِ
 جمالاً وعقلاً ظاهراً غيرَ حاملٍ
 وفاضٌ على الجنبات فوق السواحلِ

(١) في (ط) « أخطرت » .

(٢) في (م) « وأنشد ولا أخشى . . » .

(٣) في (ط) « عناة » ، والعناة جمع العاتي : الجبار الشديد الدُخول في الفساد المُتَمَرِّد الذي لا يقبل موعظة ، اللسان (عتا) .

(٤) الفَذَم من الناس : العَيُّ عن الحجة والكلام مع ثقل ورخاوة وقلة فهم ، وجمعه فِذَام ، اللسان « فدم » .

(٥) في (م) « كبحر خصيم » ولا معنى له . والخِضَمُّ : البحر لكثرة مائه وخيره ، والخِضَمُّ =

فإن شئت تفسيراً له اسأل فإنه
 وإن شئت في علم الحديث لقيته
 وإن شئت في فقه الإمام ابن شافع
 نعم أو كبستان حوى كل طيب
 وإن شئت في علم التصوف والصفاء
 أديباً لبيباً قانعاً^(١) متواضعاً
 وإن شئت في علم اللغات ونحوها
 كعلم المعاني والبيان وغيرها
 فإنا من يريد العلم فارحله ولا تقف
 هو الشيخ والأستاذ والنور والهدى
 إمامي وأستاذي وشيخي وسيدي
 فيا لائمى خل الملام فلئنسي
 تفكر بقلب منصف هل ترى له
 عزيز الحيا كل الحجا حاز والصفاء
 إذا ما أتت منه إلينا رسائل
 تُفرج أحزاناً وتكشف كُربة
 إمام له خلق حميد وسيرة
 زكي تقي مخلص صادق صفا
 وكم من محامد ليس تُحصي قصيدي

كمعدن تثر ما له من معادل
 ككنز له خاف عن السهو عاطل
 تراه ككث في المعارك جائل
 وفيه بيوت عاليات المنازل
 تراه إماماً عارفاً غير جاهل
 عن الذكر للرحمن ليس بغافل
 وتصريفها أيضاً وكل الوسائل^(٢)
 تراه لها أهلاً شفى كل سائل
 إلى عالم بالعلم لله عامل
 وخير محبوب عن جميع المسائل
 ومحبوب قلبي صادقاً غير هازل
 حببت وحيداً ما له من أمائل
 شبيهاً فإن لم تلقه لا تجادل
 مليح الحلا شيخ الشيوخ الأفاضل
 فله ربى دُرّها من رسائل
 وتجذب أحوالاً حوالى المناهل
 سمّت فاق بالأوصاف كل الأمائل^(٣)
 من الغش والبغضا وكل الدغائل^(٤)
 له يا أخي زادت على قول قائل

= أيضاً : الجمع الكثير . اللسان (خضم) .

(١) في (م) « تابعاً » .

(٢) في (م) « الرسائل » .

(٣) الأمائل : الأفاضل ؛ يقال : فلان أمثل من فلان أي أفضل . اللسان (مثل) .

(٤) الدغائل ، من الدغل ، بالتحريك : الفساد .

وَأَسْتَغْفِرَ اللَّهُ الْعَظِيمَ مِنَ الْخَطَا وَمِنْ جُمَحِ الْأَهْوَا وَكُلِ الرَّذَائِلِ^(١)
وَتَمَّتْ بِحَمْدِ اللَّهِ رَبِّي وَعَوْنِهِ وَصَلَّى إِلَهِي فِي الضُّحَى وَالْأَصَائِلِ
وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا وَدَائِمًا عَلَى الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارِ لِلْحُسْنِ كَامِلِ
وله تصانيف نافعة منها : « مختصر الأنوار » المسمى « نور الأبصار » ،
وهو في غاية الحسن ، وكأنما عناه المتنبي بقوله : [من الطويل] :

فَجَاءَتْ بَنَا إِنْسَانٍ عَيْنَ زَمَانِهِ وَخَلَّتْ بَيَاضًا خَلْفَهَا وَمَآقِيَا^(٢)
وشرح تراجم البخاري ، واختصر قواعد الزركشي وشرحه ، وكتاب
« العدة والسلاح لمتولي عقود النكاح » ، وهو مشهور انتفع به الناس . وشرح
« المدخل » وشرح « البرماوية » ، وغير ذلك من الكتب النافعة في فنون
متعددة .

ومن شعره : [من البسيط] :

إِنَّ الْعِيَادَةَ يَوْمًا بَيْنَ يَوْمَيْنِ وَاجْلَسَ قَلِيلًا كَلَحَظِ الْعَيْنِ بِالْعَيْنِ
لَا تُبْرَمَنَّ مَرِيضًا فِي مُسَاءَلَةٍ يَكْفِيكَ مِنْ ذَاكَ تَسَالٍ بِحَرْفَيْنِ

● وفيها : في ليلة الإثنين سلخ ذي القعدة الحرام ، توفي الشريف الفقيه
الصوفي الأديب الحافظ المحدث البار في أشات العلوم بدر الدين الحسين بن
الصدّيق بن الحسين بن عبد الرحمن الأهدل^(٣) ، قدس الله أرواحهم ، ببندر
عدن ودفن بها . وكان مولده في ربيع الثاني سنة خمس وثمانمئة بأبيات
حسين ، ونشأ بنواحيها ، واشتغل بها في الفقه على الفقيهين أبي بكر بن قعيص

(١) جُمَحَ : الفعل منه جَمَحَ : ركب هواه ، وفي اللسان (جمع) « الْجَمُوحُ من الرجال : الذي
يركب هواه فلا يمكن رده » . والأهوا ، أراد : الأهواء ، فحذف لضرورة الشعر ، ومفرد
الأهواء : الهوى ، وأراد هوى النفس وشهواتها .

(٢) ديوان المتنبي بشرح البرقوقي : ٤٢٤/٤ .

(٣) ترجمته في « شذرات الذهب » (٣٠-٢٩/١٠) و« غاية الأمانى في أخبار القطر اليماني »
(٦٢٤/٢) و« البدر الطالع » (٣/١٤٤-١٤٥) .

وأبي القاسم بن عمر بن مطير^(١) وغيرهما ، وفي النحو على أولهما وغيره . ثم انتقل إلى بلاد المراوغة^(٢) ، واشتغل بها على الفقيه إبراهيم بن أبي القاسم جعمان وغيره . ثم دخل زبيد في سنة ثمان وستين ، فاشتغل بها في الفقه على عمر الفتى وغيره ، وفي الأدب على ابن الزين الشرجي . ثم حج سنة اثنتين وسبعين وجاور التي تليها ، وحضر مجالس البرهان والمحيوي^(٣) قاضيها ، وأذن له البرهان وغيره . وزار النبي ﷺ ، وسمع بها^(٤) من أبي الفرج المراغي ، ثم عاد لبلاده ، وأخذ عن يحيى العامري ، وبحث عليه « المنهاج » .

ذكره السخاوي في « ضوئه »^(٥) قال : ولازمي في المجاورة الثالثة بمكة ، فقرأ عليّ أشياء من تصانيفي بعد أن كتبها بخطه ، وكذا سمع من لفظي وعليّ أشياء . قال : وهو فاضل بارع في فنون ، ناظم مفيد ، حسن القراءة والضبط ، لطيف العشرة ، متودد قانع عفيف ، أقرأ الطلبة بناحيته ، وقرأ الحديث على العامة سيما « القول البديع » ونحوه . مدحني بقصيدة أنشدنيها بحضرة الجماعة ، وكتبت له إجازة حافلة ، ورأيت النجم ابن فهد كتب عنه من نظمه كثيراً وترجمه . انتهى .

وذكره العلامة بحرّق في كتابه « موهب القدوس في مناقب ابن العيّدروس » وقال : إنّي قلتُ مرة له : إنّ أحوالَ سيدي الشيخ أبي بكر أشكلت علينا . فقال : دعها تحت حجابها مستورة بسحابها ، فلو أشرقت شمسها لأحرقت الوجود كلّهُ ، أما ترانا نقف على أبوابه ، ونكتفي بتقبيل أعتابه ؟ قال : وهكذا كان رحمه الله يقبّل العتبة وينصرف .

(١) في « شذرات الذهب » : « أبي بكر بن قضيص ، وأبي القاسم بن مطير » .

(٢) المراوغة : قرية باليمن . انظر « غاية الأمانى » (٢ / ٦٠٥) .

(٣) في (ط) « المجبوي » وصوابه في (م) .

(٤) الضمير عائد على المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام .

(٥) انظر « الضوء اللامع » (٣ / ١٤٤) .

ورأيت كأنه ورد عليه مرة حال ، فأخذ بيدي وهو كالذاهل فقال لي : تريد أن أريك القطب ؟ فقلت : نعم . فمشى حتى أتينا إلى سيدي الشيخ أبي بكر فقال : هذا هو القطب ، وانصرف . ولم يلبث أن امتدح سيدي الشيخ بقصيدته التي أولها : [من مجزوء الرجز]

من الحسان الخزرد / قد صادني غرير / يرمي بقوس حاجب
وأنشده إياها ، فلما بلغ المنشد قوله :

يا عيروس الأوليا / يا حازي الكمال / القطب أنت الأكمل

كان الشريف الحسين ينظر إليّ ثمّ يشير بيده إلى سيدي الشيخ ، ويقول :
القطب أنت الأكمل ، القطب أنت الأكمل . يكررها ليحقق ما كان قاله لي في
المنام في حالة ذهوله .

ومن شعره : [من المجتث]:

يا سيّدي يا إلهي	إن لم تكن لي فَمَنْ لي
أنت العليم بحالي	فأرحم بعزك ذلّي
ومنه : [من السريع]:	

أما لهذا الهمّ من مُنتهى	أما لهذا الحُزن من آخر
أما لهذا الضيق من فارج	أما لإناب الخطب من كاشر ^(١)
أما لهذا العُسر من دافع	باليسر عن هذا الشّجي العائر
بلى بلى مهلاً فكن واثقاً	بالواحد الفرد العلي القادر ^(٢)

(١) في « شذرات الذهب » : « كاسر » وقوله : « كاشر » أي كاشف من قولهم : كشر عن أسنانه : أي أبدى وكشف ، اللسان (كشر) .

(٢) الأبيات في « شذرات الذهب » (٣٠ / ١٠) .

ومنه هذه الوسيلة العظيمة وهي : [من الرمل]:

يا رسولَ اللهِ غوثاً^(١) ومَدَد
يا رسولَ اللهِ في جاهك ما
يا رسولَ اللهِ مالي عتدُ
يا رسولَ اللهِ قَومٌ أودي
يا رسولَ اللهِ هل من نظرة
يا رسولَ اللهِ هل من جَذبة
يا رسولَ اللهِ هل من عَطفة
يا رسولَ اللهِ هل من نَفحة
يا رسولَ اللهِ كُن لي شافعاً
يا رسولَ اللهِ هل تَسمَعُني
أنا باللهِ وبالوجهِ الذي
سَيِّد الرُّسل خِتام الأنبياءِ
أصل مبدا الكونِ بل غايته
رحمة الله التي عمَّ بها
صفوة الله من الخَلقِ معاً
الذي قد خَصَّه الله بما
كلُّ ما في الأنبياء من شَرَف
ولقد زيد عليهم شَرَفاً
مَنْ ليومِ الجَمعِ إلا أحمد
ينقذُ الناسَ بسجادات له

أنتم الوالد والعبدُ وَلَدُ
يلغُ القاصدُ أقصى ما قَصَدُ
غيرُ حَبِيك ويا نعمَ العَتَدُ^(٢)
فلکم قوَمَت بالذَّينِ أودُ
تُصلحُ القلبَ سريعاً والجَسَدُ
تجذبُ العبدَ إلى النهجِ الجدُّ
تعطفُ العبدَ إلى طُرُقِ الرِّشَدُ
مِنك تأتي ومن الفَرْدِ الصَّمَدُ
أنت واللهِ شفيعٌ لا تُرَدُ
إي وربِّي تسمع القولَ وَقَدُ^(٣)
قال ذو العرش له اسجُد فَسَجَدُ
صاحب السجدة والَقول الأسدُ
حجَّة الله على كلِّ أحدُ
كلُّ مَخْلوق على مرِّ الأَبَدُ
فهو الجوهر والخلقُ زَبَدُ
يعجز العدَّ فلا يحصى عَدَدُ
ضمَّ فيه بعد أن كان بَدَدُ
واختصاصات بمعناها انفَرَدُ
يوم لا والد يغني عن وَلَدُ
من هُموم وكُروبٍ وشَدَدُ

(١) في (ط) « عوناً » ثم إنه أسقط الواو بين الكلمتين « عوناً مدد » ولا يستقيم به الوزن .

(٢) العَتَدُ : أي ما يَصْلُحُ لكل ما يقع من الأمور .

(٣) للمؤلف تعليق على هذا البيت سيأتي في آخر هذه القصيدة .

يا مُجَلِّي الكُربِ السُّودِ اغِثْ
يا مَلِيحَ الوَجْهِ يا خَيْرَ الوَرَى
يا عَظِيمَ الجاهِ والفضلِ ويا
مَدحتي نحوكَ قد أَهدَيْتها
واسألِ الرَّحْمَنَ لي مِن فَضلهِ
رَبِّ جَنبنا بِجاهِ المُضطَفَى
واقضِ حاجاتي وأُصلِحْ عَملي
وكذاك الآل والأصحاب من
وصلاةِ اللهِ مَنعَ تَسلِيمِه
وكذاك الآل والأصحاب من
بِقِقاءِ اللهِ تَبَقَى وعلى الـ
بِقِقاءِ اللهِ تَبَقَى دائِماً

قلت : ولعله يشير بقوله :

يا رسولَ اللهِ هل تَسمَعُني إي ورَبِّي تَسمَعُ القولَ وَقَدْ
إلى أَنه ﷺ تَبْلُغُه صلاةُ المَصلينَ عليه ، ومَدَحَ المادِحينَ لجنابهِ العَلي ،
للأحاديثِ الصَحيحَةِ كقولهِ ﷺ : « ما مِن أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللهُ عَلَيَّ رُوحِي
حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ » . وكقولهِ ﷺ : « إِنَّ اللهَ وَكَلَّ بِقَبْرِي مَلَكاً أَعْطاهُ أَسْماءُ
الْخَلاتِقِ فَلَا يُصَلِّي عَلَيَّ أَحَدٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيامَةِ إِلَّا بَلَّغَنِي بِاسْمِهِ واسمِ أبِيهِ : هذا
فَلاَن بنُ فَلاَن قد صَلَّى عَلَيكَ » (١) .

وقد يتشرف بعض الأولياء فيسمع الجواب من النبي ﷺ كما وقع للناظم -

(١) ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٠ / ١٦٢) وعزاه للبخاري وقال : وفيه ابن الحميري ،
واسمه عمران ، قال البخاري لا يتابع على حديثه ، وقال صاحب « الميزان » : لا يعرف ،
ونعيم بن ضمضم ضعفه بعضهم ، وبقي رجاله رجال الصحيح .

رحمه الله - من أنه لما زار النبي ﷺ ووقف على القبر الشريف وأنشد قصيدة يقول فيها : [من مخلع البسيط]:

إِنْ قِيلَ زُرْتُمْ بِمَا رَجَعْتُمْ يَا سَيِّدَ الرَّسْلِ مَا نَقُولُ
فسمع الجواب من الحجرة الشريفة :

قُولُوا رَجَعْنَا بِكُلِّ فَضْلٍ واجتمع الفرع والأصول

● وفيها : في يوم السبت حادي عشرين المحرم توفي الإمام العلامة مفتي مدينة عدن ومدرسها وخاتمة العلماء بها ، صاحب الفتاوى المفيدة ، والتصانيف العديدة الفقيه عبد الله بن أحمد بن علي بن أحمد بن إبراهيم با مخرمة الحميري الشيباني الهجراني الحضرمي العدني الشافعي^(١) بعدن ، ودفن قريباً من قبر شيخه أبي شكيل داخل قبة الشيخ جوهر في القبر الذي دفن فيه شيخ مشايخ الإسلام مفتي اليمن القاضي جمال الدين محمد بن سعيد بن الطبري . وكان مولده ليلة الأربعاء ثاني عشر رجب سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة بالهجرين ، وحفظ القرآن بها ، ثم ارتحل لطلب العلم إلى عدن ، وتفقه بالإمامين محمد بن مسعود باشكيل ومحمد بن أحمد باحميش ، واجتهد في الطلب ودأب ، وواكب على الاشتغال ليلاً ونهاراً .

وكان فقيراً لا يملك شيئاً ، وقاسى في أيام طلبه من الجوع والمكابدة ما هو مشهور عنه .

وبرع في سائر العلوم ، وحقق الفنون ، وساد الأقران ، وسارت بفضلته الركبان ، ووقع على تقدمه الإجماع ، وابتهجت بذكره النواظر والأسماع وصار عمدة يرجع إلى قوله وفتواه في زمان مشايخه ، فلما رأى شيخه أبو شكيل ما آل إليه أمره اغتبط به وأحبه ، وخطبه لنكاح ابنته ، وزوجه إياها ، ورزق منها أولاداً فضلاء نجباء ، سيأتي ذكر بعضهم .

(١) ترجمته في « الضوء اللامع » (٩٨ / ٥) و « شذرات الذهب » (٣٠ / ١٠) .

وكان عالماً بالفقه ، والأصلين ، والفرائض ، والحساب ، والتفسير ،
والحديث ، والنحو ، والتصريف ، واللغة ، وعلم المعاني ، والبيان ،
والهيئة ، والفلك ، وغيرها من العلوم المشهورة ، والفنون المذكورة ، وكان
من العلوم بحيث يقضى له في كل فن بالجميع .

وكان مهاباً حتى أن العلامة الصالح عفيف الدين عبد الله بن عيسى كان
يقول : إني لا أخاف ولا أهاب أحداً من العلماء إلا الفقيه عبد الله با مخرمة ،
فإني أكاد أرعد من هيئته . وكان الملوك في زمانه يخضعون له ويخافونه .
وكان أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ، لا يراعي أحداً في دين الله ، ولا
يخاف في الله لومة لائم .

وكان صاحبه الإمام الولي جمال الدين محمد بن أحمد با فضل كثير التعظيم
له ، وبلغني أن الفقيه رحمه الله سئل أي أعلم أنت أم الفقيه محمد؟ فقال : أنا
أعلم منه وهو أروع مني - أو قال : أدين مني .

وكان الشيخ علي بن طاهر - أول ملوك اليمن من بني طاهر - كثير التعظيم
له ، والاعتباط به ، والامثال لأمره ، والانقياد له ، والتأدب معه ، ولم يزل به
حتى ولأه القضاء بعدن على كره منه بعد أن شرط عليه شروطاً وفي له بها ،
فباشر الوظيفة بنزاهة تامة ، وصدع بالحق ، وإقامة العدل ، واجتهاد في إيصال
الحقوق ، وإغلاظ للظلمة من الأمراء والوزراء وغيرهم ، وقمعهم عن الظلم ،
وتحكيم الشرع فيهم . فمكث على ذلك نحو سنتين أو سنة ونصف ، ثم هرب
من البلد على حين غفلة من أهلها ، وركب البحر إلى الشَّحْر ، ثم إلى بلده
الهجرين فراراً من القضاء ، وحذراً من فتنته ، فعفاه السلطان منه ، وعوّل عليه
في الرجوع مكرماً من غير قضاء ، فرجع .

ذكره السخاوي في «تاريخه» . قال : وكان برع في الفقه وأصوله ،
والعربية ، والحديث ، والتفسير . وكان من شيوخه في الفقه با حميش ، وفي
غيره با شكيل محمد بن مسعود قاضي عدن ، وغيرهم كأبي هرمز الحضرمي ،

وهو من أصلح شيوخه . قلت : ولبس منه خرقة التصوف . قال : ودرس وأفتى وكلفه علي بن ظاهر قضاء عدن ، فدام قريب أربعة أشهر ، ثم ترك وتوجه لنفع الطلبة خاصة ، مع علوهمة وشرف نفس .

وعمل على « جامع المختصرات » نكتاً في مجلدة ، وكذا على « ألفية النحو » في كرايس مفيدة ، وشرح « الملحة » للحريري شرحاً حسناً ، ولخص « شرح ابن الهائم » على هايميته ، إلى غير ذلك ، مثل الرسائل في علم الهندسة وغيرها ، وفتاواه جيدة^(١) وعبارته محكمة . انتهى كلام السخاوي .

وله كتاب « الفتاوى » ، وهو كتاب جليل عظيم الفائدة .

وممن تخرج به من الأئمة الأعيان : الفقيه العلامة الصالح عفيف الدين عبد الله بن عبد الرحمن فضل المعروف بابن الحاج ، والإمام العلامة جمال الدين محمد بن عمر باقضاء ، والفقيه العلامة عثمان بن محمد العمودي ، والقاضي الإمام البارع محمد بن عمر بحرق .

ورأيت بخط الفقيه عبد الله [بن الحاج]^(٢) فضل - رحمه الله - في آخر جواب له على مسألة اختلف فيها فقهاء عصره ما لفظه : وقد أفتى بذلك سيدنا وشيخنا الفقيه العلامة عبد الله بن أحمد مخرمة رحمه الله ، وأخذه من مقتضى كلام الأصحاب ، وهو أحق من أن يقلد . انتهى .

وبالجملة : فإنه كان بقية العلماء العاملين ، ليس له نظير في زمانه ، ولم يخلفه بعده مثله ، رحمه الله تعالى . وكان بعض الأولياء يقول في حقه : إنه من الأربعة الأوتاد الذين يحفظ الله بهم البلاد والعباد ، ويغيث بهم الحاضر والباد . وكان رحمه الله يقول : عمري سبعون سنة . فكان كذلك .

(١) في (ط) : « مجيدة » .

(٢) [] زيادة في (ط) .

ومن أولاده الفقيه الصوفي عمر ، وكان تصوف بعد أن برع في العلم ،
وكان شيخه في التصوف الشيخ عبد الرحمن باهرمز ، وله معه حكاية طويلة .

ومن شعره : [من مجزوء الكامل]:

أعطِ المعية حقها واخفَظْ له حُسْنَ الأدبِ
واغْلَمْ بَأْتِكَ عَبْدَه في كلِّ حالٍ وهو رب

ونظمه كثير جداً ، فهو مشتمل على كثير من إشارات الصوفية
واصطلاحاتهم ، ومسائلهم الدقيقة ، وعليه حلاوة ، وفيه طلاوة ، ولأجل
هذا يحفظه أهل تلك الجهة كثيراً ويتمثلون به ، ويستعملونه غالباً في مغانيمهم ،
ويعتنون به أشد العناية حتى العوام ، وهو سلس الألفاظ ، قريب المعاني ،
يفهمه كلُّ أحد بحسب حاله في المحبة المجازية ، ونحو ذلك . وهو مع ذلك
مشتمل على كثير من الأمثال المتداولة بينهم ، ومنه هذه الوسيلة العظيمة ، التي
اشتملت على ذكر كثير من أولياء الله ، رضي الله عنهم ، وهي : [من الكامل]:

يا ربَّ بالشَّيخِ الجُنَيْدِ وخاله وشقيقِ والشُّبلي وشهرة حاله
وحبيبِ العَجَمي ودَاوِدَ فتى طيِّ وبصريٍّ وطيبِ وصاله
وبُشْتَرِي الدَّارِ سَهْلٍ وما سَرَى يسراه في الأسرارِ من سِلْسَالِه
وبزهدِ إبراهيمَ صَفْوَةَ أذهم وفضيلِ الضَّافي على أفضاله
وبشاه^(١) كِرمان وبابن خفيفهم متحمِّلِ الأثقالِ من أثقالِه
وببُشْرٍ يُشْر طَيِّبِ الاسمِ الَّذي بحفاه لم يحتجْ لَحُضْفِ نَعَالِه
والوَاسِطِي جمال أرباب الصفا جالي صفا أسرارهم بصقالِه
وجليل جيلان الذي قد تُوِّجَت تيجانُ فخرٍ من عظيم جلالِه
مولاي عبد القادر المنعوت في الـ ملكوت بالبازي لبُعْدِ حلالِه

(١) في (ط) : « وبشارة » وهو خطأ صوابه في (م) ، وهو شاه الكِرمانِي توفي قبل
الثلاثمائة ، ترجمته في « طبقات الصوفية » للسلمي ، ص (١٩٢) .

والشاذلي المدعو أبو الحسن الذي
وسفيره المرسى وعيبة^(٢) سرّه
وأئمة الإسلام أعلام الهدى
سفيانه^(٣) الثوري وابن عينة
ظلم الجهالة والمملك مالك
وبأحمد المحمود صفوة حنبل
وبفخر شيراز أبي إسحاقها
وبسرّه السرور في تنبيهه
وبحجة الإسلام مرشد أهله
بسيطه ووسيطه ووجيزه
وضيا جواهره وما أبداه في
يا الله يا رباه يا غوثاه يا
فرج عليّ وأجل عن قلبي الصدا
وأزخ غيوم الغمّ عنه ونحّه
وأذقه برد الأنس مما يخشي
واجعل صلاتك والسلام يحقّها
سرّ الوجود محمد وأميره

خفقت قلوب القرب من إقباله^(١)
ومنيل من والاه خير نواله
وحماة علم الشرع كاف كماله
وأبو حنيفة من جلا بجماله
والشافعي وحزبه ورجاله
إذ ذاك لم ينسج على منواله
وصلاحه المصيون عن إخلاله
وبها مهذبّه وزهو جماله
سُبل الصواب بصائبات مقالّه
وبما حكى الإحياء من أحواله^(٤)
منهاجه من عين عذب زلاله^(٥)
من لا يصون السؤل عن سؤاله
إنني مؤمل طلق عقد عقاله
وأرحه يا مولاي من أغلاله
وأنله ما يرجوه من آماله
أبدأ على خير الأنام وآله
ومنيره بمقاله وفعاله

(١) في (م) و(ط) : « خفقت قبول . . » .

(٢) عيبة الرجل : موضع سرّه ، على المثل . وفي الحديث : الأنصار كرشى وعييتي ، أي خاصتي وموضع سري ، اللسان (عيب) .

(٣) في (ط) : « سفيانها » وما أثبتناه عن (م) .

(٤) (البسيط) و(الوسيط) و(الوجيز) و(إحياء علوم الدين) بعض من مؤلفات الإمام حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي (٥٠٥ هـ) رحمه الله تعالى .

(٥) جواهره ومنهاجه ، أراد : (جواهر القرآن) و(منهاج العابدين) من مؤلفات الإمام الغزالي رحمه الله تعالى .

ومنه أيضاً هذه الوسيلة التي نظم بها أكثر مشايخ الرسالة نفع الله بهم .
وهي : [من الكامل]:

يا مَنْ لقلبٍ بالصَّباةِ ممتلي
من ذا لما بي كاشفاً إلَّاكَ يا
يا الله يا مَنْ لا إله نؤمّه
يا حيُّ يا قيومُ ثَبَّتْني وكن
يا مَنْ هو الله العظيم وَمَنْ له الد
أنعم عليَّ فأنْتَ أكرمُ مُنعمٍ
وتوفني لك مُسْلماً ومُسْلماً
وبآية الكرسى أعظم آية
وبحقَّ خيرِ العالمينَ محمّد
وبحقَّ إسرَافيلَ بل ورفيقه
وبحقَّ ميكائيلَ خازنِ رِزقنا
وبحرمة الصّدّيق والفاروقِ بل
وبحقَّ فاطمة البتول وإبنها
وبجعفر الطيّار بل وبحمزة
والتابعينَ لهم بإحسان وَمَنْ
بيقين زينِ العابدين وباقرٍ
وبكظم موسى والملقب بالرّضى
بالباسِ والخضرِ الثّقيبِ ومن مضى
بالشيخ سَهْلٍ الشُّستري إمامنا

وأضالع بلطى القطيعة تصطلي
مَنْ قد مددت له أكفّ توشتلي
إلّا هو انظرني بعين تفضّل
باللطف والتدبير لي أبداً ولي
عزّش العظيم وَمَنْ عليه توكلتي
واغفر ذُنوبي واعف واكف وجمل
مع أولياك بحقّ حقّك يا علي
وبسرّ آيات الكتاب المنزّل
هادي الأنام وغوث كلّ مؤمّل
جبريلَ قيّوم^(١) الفريق الأوّل
وبقابض الأرواح غير مُمهّل
وبحقّ عثمان وسيّدنا علي
حسن وبالثاني حسين أفضل^(٢)
وبجمع أصحاب النبيّ الكمّل
والاكّ من أهل المحلّ المُغتلي
وبجعفر ذي الصّدق والفخر الجلي
زاكي الأصولِ عليّ المتبّل
ممن تصوّف في مدى الزّمن الخلي
وأخيه معروفٍ فأبلغ مأملي^(٣)

(١) قيّوم ، أراد : قُدّام نقيض وراء ، وهي أيضاً (القَيِّم والقَيِّدوم) اللسان (قدم) .

(٢) في (ط) : « حسين الأفضل » وما أثبتناه عن (م) .

(٣) في (ط) « . . أبلغني مأملي » وهو مما لا يستقيم به الوزن .

بَسْرِيَّ بِالشَّيْخِ الْجُنَيْدِ بَحَارِثٍ
وَبَابِنِ أَدْهَمَ ثُمَّ بِالطَّائِنِ وَبَالَ
بِفَضَائِلِ الشَّيْخِ الْفَضِيلِ وَبَابِنِهِ
بَأَبِي سَلِيمَانَ وَإِبْنَ مَبَارِكٍ
وَبِأَحْمَدَ بْنِ أَبِي الْخَوَارِي ثُمَّ مِنْ
بَأَبِي تَرَابٍ وَابْنَ مَسْرُوقٍ وَبَالَ
بِرُؤَيْمٍ وَابْنَ خَفِيفٍ وَالْحَدَّادِ وَالْ
وَبِابْنَ خَضْرُوئِهِ وَبِالْثُّورِيِّ وَالذَّ
وَبِابْنَ عَاصِمٍ وَاحْمَدٍ وَسَعِيدٍ الْ
وَبِابْنَ الْأَعْرَابِيِّ وَابْنَ نَصِيرِهِ
بِمُحَمَّدٍ الرَّقِّيِّ وَشَيْخِ زَمَانِهِ
بِالرَّازِيِّ الْأَوَابِ عَبْدَ اللَّهِ وَابْنَ
وَبِشَيْخِنَا ابْنَ خَفِيفٍ بَلْ بَعْلِيَّ الْ

بَشِيقِ الْبَلْخِيِّ بِذِي الثُّونِ الْوَلِيِّ
حَافِي الْفَقِيرِ الزَّاهِدِ الْمُتَنَصِّلِ
وَبِحَالِ طَيْفُورِ الَّذِي مِنْهُ مَلِي
وَبِحَاتِمٍ وَالْوَاسِطِيِّ الْفَيْضِ الْمُوَصَّلِ
صُورِ بْنِ عَمَّارِ الدَّلِيلِ الْمُوَصَّلِ
شَبْلِيِّ وَابْنَ مَعَاذٍ يَحْيَى الْأَنْبَلِ
قَضَابٍ ثُمَّ نُجَيْدِ الْمُتَبَذِّلِ^(١)
قَاقٍ وَالْمَكِّيَّ عَمْرُو الْأَعْدَلِ
حَيْرِي وَابْنَ الْفَضْلِ كَنْ يَا رَبِّ لِي
وَالرَّقِّيَّ إِبْرَاهِيمَ الْمُتَبَهِّلِ
أَسْتَاذِنَا السَّيَّارِ وَالْمَتَّأَوِّلِ
مِنْ نَجِيدٍ وَابْنِ الْبُوشَنجِيِّ الْمُتَجَمِّلِ^(٢)
خُضْرِي^(٣) تَجَاوَزَ وَأَمَحَ ذَنْبِي وَأَقْبَلَ

(١) في (م) : « برويم وابن خفيق ... » وفي (ط) : « برويم وابن جنيتي ... » وهو تحريف في الاسم الثاني منهما ، وصوابه (ابن خفيف) كما أثبتناه ، وهو من رجالاتهم : « صاحب رويحاً والجريري وأبا عمرو الدمشقي ، ولقي الحسين بن منصور ، وكان عالماً بعلوم الظاهر وعلوم الحقائق . . مات سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة » « طبقات الصوفية » (١٣٢) . وكذلك وقع التحريف في اسم « نجيد » فهو في (م) « بجير » وفي (ط) « نجير » وصوابه كما أثبتناه ، وهو من رجالاتهم ، قال السلمي « أبو عمرو إسماعيل بن نجيد . . لقي الجنيد ، وكان من أكبر مشايخ وقته . . مات سنة ست وستين وثلاثمائة » « طبقات الصوفية » (٤٥٤) .

(٢) في (ط) : « . . والبوشيخي المتجمل » وما أثبتناه عن (م) وهو أبو الحسن علي بن أحمد البوشنجي ، أحد رجالاتهم ، توفي سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة « طبقات الصوفية » (٤٥٨) .

(٣) في (م) « الخضري . . » وهو تحريف ، وفي (ط) « يعلى - الخضري . . » وهو تحريف أيضاً وصوابه كما أثبتناه ، وهو أبو الحسن علي بن إبراهيم الخضري . . وهو أستاذ =

وبشيخ نَصَرَ اِبادَ عالمها وبن
بنزِيل دِنْكَوَرِ أَبِي العباس واب
وإمامنا الدَّقَّاقِ والسُّلَمِيِّ وال
بالعابد الخشَّاب ثم دريدي
بالأسود الثَّاوي بدينور ومن
بأبي سعيد^(٤) إمام مَالَيْن وَمَنْ
وبزين الاسلام القشيري الذي
يا مَنْ يَغِيثُ المستغيث بَغَوْثِهِ
فبحقُّ مَنْ سَمَّيْتُ فِي قولي أَقْلُ
وتولَّيْتِي وتولَّ مَنْ واليته
واقمَّع ودَمَّرَ مَنْ أَرَادَ بنا أذى
ومتى دعوتك يا إلهي راغِباً
قل هاك يا عبيدي فها أنا واقف

سدار وشيخ في طَمَسْتَانِ ابْتَلِي^(١)
من عطا من روذَبَارِ^(٢) المنجلي
قَصَّابِ ثُمَّ الصَّيْرِفِيِّ الأُمْلِي
وبابن جهضم هضم كلَّ معطلٍ
صور الذي في الغرب^(٣) كان بمنزلٍ
قد سآحَ منهم أو أقام بمحفَلٍ
قد ذاق في التوحيد أعذب مَنَهْلٍ
هذا التوسَّل بعد بذل تحيُّلي
وأُنلني المأمولَ منك وعجَّلِ
واحلل بأعدائي سَقَامَكَ^(٥) واخذلِ
واعكس رَجاءَ وخُذه أخذَ مُنْكَلِ
أو راهباً من عاجل ومؤجِّلِ
بفناء جُودك سائلاً بتذلِّلِ

- = العراقيين ، وبه تأدب من تأدب منهم ، صحب أبا بكر الشبلي وغيره من المشايخ . مات ببغداد سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة « طبقات الصوفية » (٤٨٩) .
- (١) في (م) « ... نصر اباد » وفي (ط) « مضر أباد » وهو تحريف في الحالين ، وصوابه (نَصْر اِباد) كما أثبتناه ، ومعناه بالفارسية عمارة نصر : محلة بنيسابور ، ينسب إليه جماعة من العلماء ، « معجم البلدان » (٢٨٧ / ٥) وكذلك وقع التحريف في (ط) في قوله (طمسنان) أثبتاها بالنون قبل الأخير ، وهي تاء ، كما أثبتناها ، مدينة بفارس نسب إليها قوم من الرواة ، « معجم البلدان » (٤١ / ٤) .
- (٢) في (ط) : روذباد ، وهو تحريف .
- (٣) في (ط) : « في العذب ... » .
- (٤) كذا في (م) و (ط) : « بأبي سعيد ... » ولا يصح الوزن إلا به ، وهو (أبو سعد أحمد بن محمد الماليني الصوفي) « معجم البلدان » (٤٤ / ٥) وفيه « مَالَيْن في موضعين أحدهما كورة ذات قرى مجتمعة على فرسخين من هراة يقال لجميعها مَالَيْن . . وإليها ينسب أبو سعد ... » .
- (٥) في (ط) : « انتقامك » وفي (م) : « .. إسقامك » .

حاشاك أن تغني الملوكة وفودها وتردني يا من عليه معولي
أبدأ وصل على النبي محمد زين الوجوه ونور كل مهلل
وعلى صحابته الكرام وآله أهل الفضائل والفخار الأكمل

وإنما ذكرت هاتين القصيدتين تيمناً بذكر من فيهما من أولياء الله تعالى
الذين تنزل الرحمة عند ذكرهم ، لئلا يخلو هذا الكتاب عن شيء من نفس هذا
السيد العظيم ، والولي الكبير ، عارف زمانه ، ذي القدم الراسخة في
التصوف ، أعاد الله علينا من بركاته في الدارين آمين . وما وقفت على تاريخ
وفاته ، فلهذا لم أترجم له بالاستقلال ، وإلا فهو جدير بذلك .

● وفيها : توفي الفقيه الصالح العلامة جمال الدين محمد بن إبراهيم
المكديش^(١) بفتح الميم ، وسكون الكاف ، وكسر الدال المهملة ، وآخره شين
معجمة . فقيه اللامية ومفتيها ببلدة سامر . وكان له بها مشهد عظيم
رحمه الله .

قلت : وبنو المكديش هؤلاء أخيار صالحون ، شهر منهم جماعة بالولاية
التامة ، وظهور الكرامات ، وقريتهم يقال لها : الأنفة ، وهي بفتح الهمزة بعد
الألف واللام وفتح النون والفاء أيضاً وآخره تاء تأنيث بجهة وادي سهام وهي
مجللة^(٢) مقصودة للزيارة والتبرك ، ونسبهم في الغنيميين ، وهم قبيلة من قبائل
عك^(٣) بن عدنان ، ومسكنهم فيما بين الوادي سهام والوادي سردد .

ومن مشاهيرهم يوسف بن أبي بكر المكديش ، كان من كبار الأولياء ، وله
كرامات خارقة . ذكره الشرجي في الطبقات^(٤) ، وأثنى عليه ، وذكر شيئاً من
أحواله ، وتاريخ وفاته لم أطلع عليه ، غير أنه كان معاصراً لصاحبتي عواجة

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (٣١ / ١٠) .

(٢) في « طبقات الخواص » للشرجي (٢٩٤) (وهي مجلة محترمة بالفقهاء) .

(٣) في (م) : « معد » وما أثبتناه عن (ط) و « طبقات الخواص » (٢٧ و ٢٩٥) .

(٤) « طبقات الخواص » (٣٦٩) .

الشيخ الحكمي ، والفقيه البجلي ، وهما كانا على رأس الستمائة . ومنهم محمد بن إسماعيل بن أبي بكر بن يوسف المكديش ، وكان من كبار الصالحين . ذكره الشرجي أيضاً في طبقاته^(١) ، وحكى بعض كراماته ، وكانت وفاته سنة ثمان وتسعين وسبعمائة .

● وفيها : في يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من شهر المحرم توفي الشريف محمد بن بركات^(٢) صاحب مكة بوادي الأبيار خارجاً عن مكة ، وحُمل إليها ودفن بها يوم الأربعاء في حوشه رحمه الله .

● وفيها : في ذي القعدة توفي الفقيه محمد بن عبد الرحمن بن محمد باصهي بشام .

● وفيها : في سحر ليلة الأربعاء السادس عشر من جمادى الأولى توفي الفقيه المفتي القاضي الشيخ العلامة جمال الدين مفتي المسلمين محمد بن حسين بن محمد بن حسين القماط الزبيدي^(٣) بمدينة زَبِيد ، ودفن ضحى يومها ، وكان له مشهد عظيم ، ولم يخلف بعده مثله رحمه الله ، وكان مولده ببلدة زَبِيد في شهر صفر سنة ثمان وعشرين وثمانمائة ، ونشأ بها واشتغل فيها بالعلم ، ولازم القاضي العلامة الطيب الناشري صاحب « الإيضاح » ، والعلامة عمراً الفتى ، والفقيه كمال الدين موسى الضجاعي ، وغيرهم من علماء عصره . وبرع في الفقه ، ودرّس ، وأفتى ، وكان لا يمل الأشغال ، والاشتغال ، وحصل بيده كتباً جمّة ، وولي قضاء عدن سنة ثلاث وثمانين ، ولم يزل قاضياً بها إلى سنة تسع وتسعين ، فعزل بالقاضي العلامة شهاب الدين أحمد بن عمر المزجد ، ورجع إلى وطنه زَبِيد ، وأقام بها على التدريس والفتوى ونشر العلم ، وتخرج به جماعة من الفضلاء ، وانتفع الناس بعلمه ،

(١) المصدر نفسه (٢٩٤) .

(٢) أخباره في « غاية الأمان في أخبار القطر اليماني » (٦٠٩ ، ٦١١) .

(٣) ترجمته في « شذرات الذهب » (٣٢ / ١٠) .

ولم يزل على ذلك إلى أن توفي . وكان كثير الاستحضار للفروع ، جيد الاستنباط ، ولم يكن له يد في غير الفقه رحمه الله .

● وفيها : في يوم الإثنين الثاني من شهر ربيع الآخر توفي الفقيه الصالح المعمر جمال الدين محمد النور بن عمر الجبرتي^(١) ، من بقية أصحاب الشيخ إسماعيل بن أبي بكر الجبرتي ، عن خمس وثمانين سنة ودفن ضحى يومها قريباً من ضريح شيخه رحمه الله .

● وفيها : في عشية يوم الخميس الثالث من جمادى الأولى توفي الفقيه العلامة المتقن المتفنن رضي الدين الصديق^(٢) بن محمد الحكمي الشهير بالوزيفي^(٣) بمدينة زبيد ، ودفن ليلة الجمعة بعد صلاة المغرب بترية القضاة الناشريين بعنابة القاضي جمال الدين محمد بن عبد السلام الناشري رحمه الله .

● وفيها : في يوم الأحد الثاني عشر من جمادى الآخرة توفي الشيخ شمس الدين علي بن عبد الله الزجاجي الصوفي بزبيد ، ودفن بعد العصر رحمه الله .



(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (٣٢ / ١٠) .

(٢) في (ط) رضي الدين بن الصديق ، وما أثبتناه عن (م) و « شذرات الذهب » (٣٢ / ١٠) .

(٣) في (م) : « الشهير بالوزيفي » وفي (ط) : « الشهير بالوزيفي » وما أثبتناه عن « شذرات الذهب » (٣٢ / ١٠) ، وثمة ترجمته .

سنة أربع بعد التسعمائة

● وفي عشية يوم الأحد الرابع من شهر محرم : توفي العلامة الكبير المعمّر شيخ الإسلام نجم الدين يوسف المقرئ بن يحيى الجبائي إلى رحمة الله تعالى بمدينة زبيد ، ودفن بعد صلاة المغرب من ليلة الإثنين إلى جنب سيدي الشيخ أحمد الصياد ملاصقاً له داخل المشهد من جانب اليمن بوصية منه ، وكان له مشهد عظيم لم تر العيون مثله ، وصلي عليه بجامع زبيد رحمه الله ونفع به .

وجباء : ناحية مشهورة غربي مدينة تعز .

كان إماماً عالمياً محققاً مطلعاً ، قوي الإدراك ، جيد الفطنة ، حسن الاستنباط ، وتفقه بعلماء قطره ، ثم ارتحل إلى عدن ، وأخذ عن إمامها القاضي العلامة محمد بن سعيد كبن ، وبرع وتميز وساد الأقران وصار واحد الزمان ، وولي قضاء الأقضية في قطر اليمن ، وارتحل إليه الطلبة من كل جهة من جهات اليمن ، وانتفعوا به كثيراً ، وسادوا وتميزوا ، منهم : الإمام العلامة موسى بن زين العابدين الرداد ، والقاضي العلامة شهاب الدين أحمد بن عمر المزجد وغيرهما . وكان له رحمه الله ثروة عظيمة ، وأتباع ورئاسة تشبه رئاسة الملوك ، وكان عمدة وقته في الفتاوى ، ومن وقف على كلامه ، ورأى ما فيه من عظم البلاغة ، وحسن استنباطه ، واقتداره على تحرير المواضع المشككة وحلها وتقريرها على أحسن الوجوه ، علم جلالة الرجل وعلو مقامه . ولم يزل على الحال المرضي إلى أن توفي بزبيد رحمه الله تعالى .

● وفيها : في منتصف ربيع الأول قتل سلطان الديار المصرية الملك الناصر بن قايتباي^(١) رحمه الله .

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (٣٣ / ١٠) و « متعة الأذهان » (٧٢) .

● وفي عشية يوم الأربعاء من شهر ربيع الأول توفيت السيدة الصالحة أسماء بنت الفقيه العلامة كمال الدين موسى الضجاعي بمدينة زبيد ، وكانت صالحة عابدة ، قارئة القرآن ، تقرأ التفسير وكتب الحديث ، وتسمع النساء وتعظهن وتؤدبهن ، وكان لقولها وقع في القلوب ، وربما كتبت الشفاعات إلى السلطان والقاضي والأمير ، فتقبل شفاعتها ولا ترد . وصلي عليها بعد صلاة الصبح بمسجد الأشاعر ، ودفنت بجوار والدها صبح الخميس ثاني [يوم]^(١) موتها رحمها الله ، ولم يخلف بعدها مثلها في الدين والصلاح في بنات جنسها .

● وفيها : في ليلة السبت السادس والعشرين من الشهر المذكور توفي الفقيه العلامة الخطيب كمال الدين موسى بن عبد المنعم الضجاعي^(٢) ، إلى رحمة الله تعالى بعد طول مرضه ، ودفن إلى جانب قبر جده الصالح الفقيه علي بن قاسم الحكمي^(٣) رحمه الله تعالى .

● وفيها : في ليلة الأربعاء سلخ الشهر المذكور توفي الفقيه العلامة كمال الدين موسى بن أحمد الداوي المعروف بالمكشكش^(٤) قرب مدينة تعز ، وقد خرج به منها مريضاً إلى مدينة زبيد فرد إلى مدينة تعز ، وغسل وكفن وصلي عليه بها ، ثم دفن بمقبرتها الاجيناد قريباً من قبر الفقيه نفيس الدين سليمان بن إبراهيم العلوي ، رحم الله غربته وأسكنه جنته .

● وفيها : حصل برق عظيم ، أصاب رجلاً يحرق على ثورين له خارج مدينة زبيد قريباً من تربة الفقيه أبي بكر الحداد بمجنة باب القُرْبُ^(٥) فأحرق

(١) زيادة من (ط) .

(٢) ترجمته في « شذرات الذهب » (٣٦ / ١٠) .

(٣) ترجمته في « شذرات الذهب » (٣٦ / ١٠) .

(٤) ترجمته في « طبقات الخواص » (٢٠٧) .

(٥) في (ط) (القرب) تحريف ، وصوابه في (م) و « طبقات الخواص » (٢٨) وقد نص على =

الثورين بآلتهما ، وسلم الرجل بعد أن أصابه منه لفح كاد أن يهلكه ، فسبحان
القادر على كل شيء !

* * *

= ضبطها ، قال : « بضم القاف وسكون الراء وبعدها مثناة من فوق مضمومة وباء موحدة :
قرية من أقدم قرى الوادي زبيد » .

سنة خمس بعد التسعمائة

● وفي يوم الأربعاء التاسع عشر من شهر صفر سنة خمس توفي القاضي عبد العزيز بن عبد الرحمن بن إسحاق ، ناظر مدينة عدن . وكان ثقة مأموناً لم تعلم له خيانة . تولي نظر الثغر المحروس في الدولة المجاهدية الطاهرية ، ثم المنصورية ، ثم الظاهرة ، ولم يتهم بخيانة رحمه الله .

● وفيها : ظهرت على الشمس هالة عظيمة من ضحوة النهار إلى ما بين الظهر والعصر ، ثم اضمحلت .

● وفيها : في سحر ليلة السبت الثاني من شهر ربيع الآخر توفي القاضي شرف الدين أبو القاسم بن محمد الحداد مستوفي مدينة زبيد وناظرها ، ونعم الرجل كان ديناً وأمانة وعفة وصيانة ، وصلي عليه في جامع زبيد ، ودفن ضحى يومها بمشهد سيدي الشيخ أحمد الصياد مجاوراً له داخل المشهد ، وحضر دفنه جميع أهل البلد ، ولم يتخلف منهم إلا من حبسه عذر .

● وفيها : في يوم الإثنين الثاني عشر من جمادى الأولى توفي قاضي تعز الفقيه العلامة سراج الدين أبو بكر بن علي بن عمران ، وصلي عليه بجامع زبيد يوم الثلاثاء^(١) الثالث عشر منه .

● وفيها : طلع من مشرق نجد نجم ذو ذؤابة ، وكان طلوعه من برج الحمل وذؤابته في اليمن وسيره في الشام ، فسبحان القادر على ما يشاء !

● وفيها : انقضى كوكب عظيم من المشرق في المغرب وأضاءت له الدنيا ، ووقف ساعة ، ثم أضاء السماء ، فأضاء المكان الذي أصابه منها

(١) في (م) و (ط) (الجمعة) وهو خطأ .

إضاءة عظيمة ، ثم سقط في جهة المغرب ، وبقي ساعة ظاهراً في الموضع الذي أصابه ساعة طويلة ثم اضمحل . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

● وفيها : دفع مطر وادي زبيد بسيل عظيم لم يعهد مثله ، وسال بخلق ودواب ، وأخرب قرية مزارع ، وجاء بشيء من هدم البيوت لا يعلم من أين هو ، فسبحان العليم الحكيم ! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

● وفيها : وقع مطر بمدينة زبيد وما حوالها ، وكان جمع من الرعاة في البادية خارج باب الشبارق^(١) فلما وقع عليهم المطر لجأوا إلى المعقد الكبير الذي هو غربي دار الطويلع قبالة بستان حائط لبيق ، واكتئوا عندهم جماعة من الناس الذين كانوا بالحائط وغيرهم ، فبينما هم كذلك إذ رأوا الغنم تجول بعضها في بعض وتتساقط ميتة ، حتى سقط منها نحو ستة رؤوس ، ثم سكنت بعد ذلك ، فنظروا فإذا ثعبان عظيم تحت أرجلها ميتاً ، وقد وطئت إحداهن بظلفها رأسه فقتلته ، ودفع الله شره ، فسبحان القادر على ما يشاء !

● وفيها : في ضحى يوم الإثنين الثالث والعشرين من شهر شوال ، توفي الشيخ الصالح شيخ الشيوخ جمال الدين محمد المعروف بابن إسماعيل الصوفي ، وصلي عليه بعد صلاة العصر بمسجد الأشاعر ، ودفن في قبر والده داخل قبة جده الشيخ الكبير إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي^(٢) ، وكان له مشهد عظيم لم تر العيون مثله ، وكثر الأسف عليه رحمه الله ونفع به .

* * *

(١) في (ط) (الشبارق) وهو تصحيف ، وصوابه في (م) وفي « طبقات الخواص » (٣٢) وفيه : أنه من القرى العليا لودي زبيد .

(٢) ترجمته في « طبقات الخواص » (١٠٨-١٠١) .

سنة ست بعد التسعمائة

● وفي ليلة الإثنين الثامن والعشرين من المحرم سنة ست توفي قاضي الشريعة بزبيد الإمام العلامة جمال الدين محمد بن عبد السلام الناشري^(١) رحمه الله تعالى ، وصلي عليه بعد صلاة الصبح بجامع زبيد ، وكان له مشهد عظيم لم تر العيون مثله ، وكان المذكور من عباد الله الصالحين ، والعلماء العاملين ، وهو خاتمة القضاة الناشرين بزبيد رحمه الله ونفع به .

● وفيها : في يوم الخميس خامس عشر جمادى الأولى ، توفي شيخ الإسلام كمال الدين محمد بن محمد بن أبي بكر بن علي بن مسعود بن رضوان بن أبي شريف المري^(٢) بالمهمله ، المقدسي الشافعي بالقدس ، وكان مولده في يوم السبت خامس ذي الحجة سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة .

أخذ العلم عن جماعة منهم : شيخ الإسلام ابن حجر ، والعلامة ابن الهائم ومن في طبقتهم . ومن محفوظاته : « الشاطبية » ، و « المنهاج الفرعي » و « ألفية الحديث » ، و « مختصر ابن الحاجب » في النحو ، وعرض هذه الكتب على الشيوخ فأجازوه . وجوّد القرآن العظيم بعد حفظه ، وأخذ عن بعضهم علم الحديث والأصول والعروض والقافية والمنطق وغيرها ، وتفقه بآبَن شرف وجماعة ، وأخذ عن بعضهم خرقة التصوف سندها إلى الشيخ عبد القادر الكيلاني ، وأذن له غير واحد في الإقراء ، وحج وجاور في سنة ثلاث وخمسين . وسمع على الشرف أبي الفتح المراغي ، والتقي بن فهد ، والبرهان الزمزمي ، وأبي البقاء بن الضياء بمكة ، وعلي المطري وغيره بالمدينة .

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (٤٧/١٠) .

(٢) ترجمته في « شذرات الذهب » (٤٣/١٠) . وليس فيه « مسعود بن رضوان » من أجداد المترجم له .

ترجم له البقاعي ، ووصفه بالذهن الثاقب ، والحافظة الضابطة ، والقريحة الوقادة ، والفكر القويم ، والنظر المستقيم ، وسرعة الفهم ، وكمال المروءة ، مع عقل وافر ، وأدب ظاهر ، وخفة روح ، ومجد على سمته يلوح ، وأنه شديد الانقباض عن الناس غير أصحابه .

قال السخاوي : ودّرّس وأفتى وحدث ونظم ونثر ، وذكر من تصانيفه حاشية على « شرح جمع الجوامع » للمحلي ، وأخرى على « تفسير البيضاوي » ، وشرحاً على « الإرشاد » لابن المقرئ ، و « فصول ابن الهمام » ، و « مختصر الشفاء » وغير ذلك . قال : وبالجملّة ؛ فهو علامة متين التحقيق حسن الفكر والتأمل ، وكتابه أمتن من تقريره ، ورويته أحسن من بديهته ، مع صيانة وديانة ، وقلة كلام وعدم ذكره للناس ، ولكنه ينسب لمزيد بأو ، وإمساك مع الثروة ، وتجدد الربح من التجارة ، والكمالُ لله . وعاش^(١) صاحب الترجمة بعد السخاوي أربع سنين . وذكره مؤرخ دمشق ، وذكر بعض أوصافه الحسنة باختصار وقال : إنه خلف دنيا طائلة رحمه الله تعالى .

● وفيها : حصل بمدينة زبيد مرض عظيم ، ومات بسببه خلّاق لا يحصون ، وكثر الوباء ، واستمر الدعاء لذلك في الصلاة والخطب ، ودام ذلك إلى شهر ذي القعدة ، واشتد في آخر شعبان ورمضان فبلغ الموتى فيه بزبيد في كل يوم فوق ستين نفساً ، وكان غالبه في النساء والأطفال ، وانتقل إلى بوادي زبيد وحيس وموزع وغيرها ، ولا حول ولا قوة إلا بالله [العلي العظيم]^(٢) .

● وفيها : قدم قاصد صاحب مصر السلطان جان بلاط^(٣) بهدية عظيمة إلى

(١) في (م) و (ط) : « وعاش » وهو تحريف وصوابه كما أثبتناه .

(٢) ما بين الحاصرتين لم يرد في (ط) وورد في (م) فقط .

(٣) في (م) و (ط) (حنبلط) وهو تحريف ، والتصحيح من « شذرات الذهب » (١٠ / ٤١)
و « الكواكب السائرة » (١ / ١٧١) وثمة ترجمته .

السلطان عامر بن عبد الوهاب من جملتها فانوس بلور قدر قامة الإنسان ،
وصندوقان من بلور ، وسيوف عظيمة ، وأشياء نفيسة . ويقال : إنه رأى في
منامه منامات صالحة للسلطان المذكور ، فكتب إليه بذلك .

● وفيها : في سحر ليلة الثلاثاء من رمضان توفي الشيخ أبو بكر
المزجاجي ، ودفن ضحى يومها رحمه الله .

● وفيها : في ضحى يوم الخميس الخامس والعشرين من شهر شوال توفي
الشيخ الصالح وجيه الدين بن عبد الرحمن بن محيي الدين الجبرتي^(١) ، ودفن
بعد عصر ذلك اليوم رحمه الله .

● وفيها : في يوم الأربعاء مستهل ذي القعدة توفي نجم الصعدي بقية فقراء
الشيخ إسماعيل بن أبي بكر الجبرتي .

* * *

(١) ثمة ترجمة للمشايع بني الجبرتي في « طبقات الخواص » (٤٢٢) .

سنة سبع بعد التسعمائة

● وفي سنة سبع : توفي الفقيه العلامة الصالح محمد بن الفقيه عبد الله بن عبد الرحمن الحاج بافضل الحضرمي بالشَّحر .

وفيها : لأربع خلت من شهر ربيع الثاني توفي الشيخ الإمام العلامة الولي الصالح الورع الزاهد بقية السلف وعمدة الخلف القاضي الفقيه عبد الله بن محمد بن حسن بن محمد بن أحمد بن عيسى^(١) الشافعي بالشَّحر ، ودفن في تربة الشيخ فضل ، وحزن الناس بفقده وتأسفوا عليه كثيراً .

نشأ من صغره في الطاعة والعبادة ، وظهرت عليه من حيثئذ لوائح السعادة ، واشتغل بالعلم ، فبرع وسلك طريق التدقيق ، فلحق من قبله وفات من بعده ، وتصدر في الشَّحْرِ للفتوى والتدريس . وتخرج به الطلبة وانتفعوا به كثيراً . وكان سيداً شريفاً النفس كريماً سخياً مفضلاً وصولاً للطلبة كثير الإحسان إليهم ، وكان يجتهد في جمعهم وترغيبهم للطلب ، ويسعى لهم في الرزق باذلاً لهم نفسه . حسن التعليم ، لين الجانب في غاية التواضع ، وكان متقشفاً في ملبسه ، طارحاً للتكلف ، آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، ينكر على الملوك والأمراء [فمن دونهم]^(٢) ساعياً في قضاء حوائج المسلمين ، ولا يتأخر برء من رده ، ولا يكون ذلك منفراً له عن العود إلى الشفاعة مرة أخرى .

ومن فضائله المشهورة ومناقبه المذكورة سعيه في إخراج وقف الجامع الذي على المدرس والمدرسة وغيرهم من يد الدولة بعد أن استولوا عليه مدة ، وكاد أن ينطمس ويندرس . ومن ذلك أنه كان السَّبَب في وصول الفقيه العلامة

(١) في (ط) : (عيسى) وصوابه في (م) .

(٢) زيادة من (ط) .

عفيف الدين عبد الله بن الحاج فضل إلى الشُّخْرِ ، وترتيبه مدرساً في الجامع ، وانتفاع الناس به .

وبالجملة : ففضائله ومناقبه أكثر من أن تحصر . وكان رحمه الله يعلم الصبيان القرآن ، وحفظ القرآن عليه خلق كثير ، وكان ينسخ المصاحف ويجهتد في ضبطها وتصحيح رسمها ، وكتب نحو خمسين مصحفاً .

وحكي أنه كان لا يأكل إلا من كسب يده ، وكان حسن الخط ، وأهل تلك الجهة يضربون بخطه المثل ، وكان مع هذا كله متولياً القضاء بالشُّخْرِ ، وكان من قضاة العدل المشكورين ، وأئمة الفضل المشهورين . واشتهر بذلك ذكره ، وطار صيته ، وضربت به الأمثال ، ولم يكن يأخذ لنفسه من معلوم القضاء شيئاً ، بل كان يخص بعض المحتاجين من الفقهاء والدرسة . ولم يزل في جميع مدة ولايته القضاء وغيرها مستمراً على جميع ما ذكرناه عنه من التعليم ، ونسخ المصاحف ، والسعي في حوائج المسلمين ، والشفاعات لهم إلى الملوك فمن دونهم ، والقيام بالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وعدم المداهنة ، والمراعاة في الأحكام ، والإغلاظ للظلمة ، وعدم الاحتفال بأهل الدنيا وأرباب الجهات والمناصب ، والتقشف في الملبس حتى أنه كان يعصر المداد بعمامته ، وقد لا يكون له إلا ثوب واحد يتزر ببعضه ويجعل بعضه على عاتقه ، ويمشي كذلك في الأسواق وغيرها غير مكترث بأحد ولا مستحي من أحد .

وقضيته مع السلطان عبد الله بن جعفر الكثيري صاحب الشُّخْرِ مشهورة ، وذلك أن السلطان المذكور اشترى حصاناً من بعض الناس ثم بعد ذلك أراد ردّه ، وادعى فيه عيباً ، وامتنع من تسليم الثمن للبائع ، فاشتكى عليه إلى القاضي المذكور ، فكتب إليه أن احضر إلى الشرع الشريف ، ولم يراع السلطان ولا تساهل لأجله ولا حابه بكلمة واحدة . والله دره! ولقد أبقي فخراً وغنم أجراً ، وامتنى ذروة [السَّمَاك] ^(١) ، ورقي

(١) ما بين الحاصرتين لم يرد في (ط) وورد في (م) فقط .

فوق أوج الأفلاك . شعر [من الكامل]:

هيهات أن يأتي الزمان بمثله إنَّ الزَّمانَ بمثله لا يَسْمَحُ
وكان آية في العلم والفقه ، ويكفي في ذلك أنه اختلف هو والفقيه الإمام
محمد بن عمر بحرق في مسألة في الفقه ، وطال النزاع بينهما حتى اشتهر بين
الناس ، فجاء صاحب الترجمة إلى الفقيه بحرق ومعه كتاب الروضة للنووي ،
فأوقفه على المسألة ، فرجع إلى قوله . ثم إن الفقيه بحرق صعد المنبر وخطب
وقال : ألا إنَّ المسألة التي اختلفت فيها أنا والقاضي ابن عيسى وجدت الحق
فيها معه . ولا يخفى ما في هذه الحكاية من المنقبة العظيمة له التي تشهد
بغزارة علمه وكثرة اطلاعه ، وفيها ما يدل على تواضع الفقيه بحرق وإنصافه من
نفسه ، واعترافه بالحق ورجوعه إليه ، وهذا عزيز إلّا على من وفقه الله تعالى
وعصمه من الهوى ورزقه الإخلاص في العلم . والله درّهما وهكذا فلتكن
العزائم ، وهذه والله هي المناقب ، ولمثلها فليعمل العاملون ، وفيها فليتنافس
المتنافسون .

● وفيها : في أوائل شهر رجب توفي القاضي عفيف الدّين عبد الله بن أبي
الفضل ظهيرة بمكة المشرفة رحمه الله تعالى .

● وفي ليلة الاثنين توفي العلامة جمال الدين أبو المكارم بن الرافعي بن
ظهيرة بمكة المشرفة أيضاً رحمه الله .

● وفي ليلة الثلاثاء الثالث والعشرين منه توفي الفقيه المقرئ الصالح
المعمر جمال الدّين محمد بن أبي بكر بن بدير^(١) عن تسعين سنة ، ممتعاً
بسمعه وبصره وعقله ، وكانت إليه النهاية في علم القراءات السبع رحمه الله
تعالى .

● وفي ليلة الأربعاء الثامن عشر من شهر شوال توفي الفقيه العلامة جمال

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (٥١ / ١٠) .

الدِّين محمد بن علي الطَّيِّب^(١) إمام مقام الحنفية بجامع زبيد ، وصلي عليه بالجامع المذكور بعد صلاة الصبح ، ودفن إلى جنب أبيه وأخيه بمقبرة باب سهام رحمه الله تعالى .

● وفي آخر يوم الخميس التاسع عشر من الشهر المذكور : توفي الفقيه العلامة أبو بكر بن عبد الله قعيس^(٢) ، الشافعي ، وصلي عليه بالجامع بزبيد بعد صلاة الصبح ، ودفن بتربة الشيخ أحمد المزجاجي رحمه الله ونفع به .

● وفي صبح يوم الجمعة الخامس من شهر ذي الحجة الحرام توفي الفقيه النبيه الصالح المعمر عفيف الدين عبد العليم بن أبي القاسم بن عثمان إقبال القرطبي^(٣) الحنفي بمدينة زبيد ، وصلي عليه بالجامع بعد صلاة الجمعة ، ودفن بمجنة باب القرتب غربي مشهد الفقيه أبي بكر الحداد نفع الله بهما ، وكان له مشهد عظيم . ومولده في سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة رحمه الله ونفع به .

● وفي الشهر المذكور كتب الشريف بركات^(٤) إلى واليه بجزيرة القُنْفُدة^(٥) يأمره بتغريق القاضي أبي السعود^(٦) وأن لا يراجعه في ذلك ، فأخرجه من الجزيرة في السُّبُوق^(٧) وغرَّقه في البحر يوم الأربعاء^(٨) الثاني من شهر ذي

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (٥١ / ١٠) .

(٢) ترجمته في « شذرات الذهب » (٤٨ / ١٠) وهو فيه : (قعيس) .

(٣) ترجمته في « شذرات الذهب » (٥٠ / ١٠) .

(٤) هو الشريف بركات بن محمد والي مكة ، انظر خبره ونزاعه مع أخوته أحمد وهزاع حول ولاية مكة في « غاية الأمان في أخبار القطر اليماني » (٦٢٦-٦٢٨ ، ٦٣٢) .

(٥) القُنْفُدة ، بإهمال الدال : قرية بسواحل مكة (تاج العروس) (قنفذ) وانظر (قنفذ) وفيه : « وهي الآن قرية عامرة على البحر » وصوبه الزبيدي قال « والمشهور بإهمال الدال » .

(٦) هو أبو السعود إبراهيم بن ظهيرة ، وسبب فتك الشريف بركات بن محمد به أنه أعان أخاه أحمد الجازاني على ولاية مكة ، قاله في « غاية الأمان » (٦٢٨ / ٢) .

(٧) السُّبُوق : زورق صغير « المعجم الوسيط » (٤٧٠ / ١) .

(٨) في (ط) (الأحد) وما أثبتناه عن (م) .

الحجة الحرام ، وأولاده وعياله ينظرون إليه رحمة الله عليه .

● وفي سحر ليلة الثلاثاء سلخ السنة المذكورة توفي الفقيه القاضي العلامة الصالح مفتي المسلمين أحمد بن العلامة الولي المقرب جمال الدين محمد الطاهر بن أحمد جعمان^(١) قاضي مدينة حَيْس^(٢) إلى رحمة الله في بيته من مدينة زبيد ، وغسل وكفن بها ، وصلي عليه بجامعها ، وحملت جنازته على أعناق الرجال إلى حلدر العرق ظاهر مدينة زبيد ، وحمل في محمل على جمل إلى بيت الفقيه ابن عجيل ، ودفن بها آخر ذلك اليوم إلى قبر أبيه وجده - نفع الله بهم - بوصية منه رحمه الله تعالى . وكان له مشهد عظيم ، ولم يخلف بعده مثله في بني جعمان في العلم والمعرفة رحمه الله تعالى .



(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (٥٠ / ١٠) وترجمة والده أحمد بن عمر بن جعمان في « طبقات الخواص » (٨٨) وفيه « وبنو جعمان هؤلاء بيت علم وصلاح ، شهرتهم تغني عن التعريف بحالهم » .

(٢) في (ط) (جيس) وصوابه في (م) و« شذرات الذهب » (٥٠ / ١٠) وهي « بلد وكورة من نواحي زبيد باليمن ، بينها وبين زبيد نحو يوم للمُجْدِّ . » « معجم البلدان » (٣٣٢ / ٢) .

سنة ثمان بعد التسعمائة

● وفي ليلة الاثنين سنة ثمان توفي الحافظ العلامة عثمان بن محمد بن عثمان بن ناصر الفخر أبو عمرو^(١) الدِّيَمِي^(٢) بالمهملة المكسورة ثم تحتانية مفتوحة بعدها ميم ثم ياء - نسبة إلى ديمة ، وهي بلد والده - القاهري الأزهري الشافعي . ولد في المحرم سنة إحدى وعشرين وثمانمائة ، فحفظ القرآن العظيم ، ثم حفظ « العمدة » ، و « ألفية الحديث » ، و « الألفية في النحو » ، و « منهاج الفقه والأصل » ، وجوّد القرآن على بعضهم ، وأخذ الفقه عن جماعة . وكذا في العربية عند بعضهم ، ولازم الشهاب الهيثمي وأكثر معه من مطالعة « شرح مسلم » للنووي ، فعلق بذهنه الكثير منه ، وصار يستعير منه ما كان عنده من « الإكمال » لابن ماكولا [فيدرس]^(٣) فيه بحيث يأتي على الورقة منه سرداً ، وقرأ نصف البخاري على الشمس محمد بن عمر البرزنجيبي الأزهري خادم المؤيدية وقال : إنه انتفع بصحبتهم ، وذهب إلى النور الشلواني نزيل الأقرم فجلس معه يسيراً ، وسمع منه ، وأول ما سمع العشرة الأولى من عشاريات الزين على العز بن أبي التائب .

ثم أكثر من القراءة في حدود سنة تسع وأربعين وما بعدها على عدة من المسندين ، ولازم الرشيدي والصالحى حتى كاد يستوفي مسموعهما ، وزاد حتى قرأ على ثانيهما « المسند » لأحمد بتمامه وقرأ أيضاً على آخرين ، وكذا قرأ على الشيخ الإمام ابن حجر العسقلاني « مسند الشهاب » وغالب النسائي الصغير ، وسمع عليه أشياء . وحجّ في سنة ثلاث وخمسين صحبة الركب

(١) في (ط) (عمر) وما أثبتناه عن (م) ومصادر ترجمته .

(٢) ترجمته في « الضوء اللامع » (١٤٠ / ٥) و « الكواكب السائرة » (٢٥٩ / ١) .

(٣) ما بين الحاصرتين لم يرد في (ط) وورد في (م) فقط .

الرجبي ، فزار في جملته^(١) أولاً في المدينة وأخذ بها يسيراً من المحب المطري ، وأبي الفرج الكازروني وغيرهم ، وقرأ وهو هناك الصحيح بتمامه في الروضة الشريفة في أربعة أيام ، وسمع « الشفا » من لفظ البدر البغدادي قاضي الحنابلة ، ثم أخذ عليه اليسير أيضاً ، وعن أبي الفتح المراغي والزين الأميوطي وكان أخذ عنه أيضاً بالقاهرة ، وعلى التقي بن فهد ، والبرهان الزمزمي^(٢) ورجع إلى القاهرة ، وأقام بها على عادته .

وكان قد اشتهر بين الناس بحفظ الرجال ، وعينه شيخه العبادي لإسماع الحديث بالمقام الأحمدى بطنطدا ، فتوجه إليه مرة بعد أخرى ، فانتشر صيته بمعرفة الرجال فصار يجتمع عنده جماعة للقراءة عليه ، وأكثر بعضهم التنويه بذكره فعرف به جماعة من الأمراء .

وبالجملة : فكان مستحضراً لجملة من مشاهير الرجال ، وكذا المتون مع كثير من الغريب والمبهم . وهو أحد التسعة الذين أوصى إليهم شيخ الإسلام ابن حجر ، ووصفهم بكونهم أهل الحديث . هذا ملخص ما ذكره السخاوي في ترجمته .

قال الشيخ جار الله بن فهد المكي : أقول : وبعد المؤلف انفرد بالرواية ، وازدحم عليه الطلبة ، وصار له ذكر عند الخاصة والعامة مع عدم معرفته بتخريج الإسناد ، لكن الناس انتفعوا بتقريره ، واستمر كذلك إلى أن لقي الله عز وجل ، رحمه الله تعالى .

● وفيها : في ليلة الخميس ثامن عشر جمادى الثانية توفي الشيخ الكبير والولي الشهير العارف بالله تعالى برهان الدين أبو الطيب إبراهيم بن محمود بن أحمد بن حسن الأقصري الأصل^(٣) ، القاهري الحنفي الشافعي المواهبي نسبة

(١) في (ط) (وقرأ في رحلته) وما أثبتناه عن (م) .

(٢) في (ط) (الزمزمي) وهو تحريف ، وصوابه في (م) .

(٣) ترجمته في « الكواكب السائرة » (١١٤ / ١) و « الطبقات السنية » (٢٤١ / ١) و « شذرات =

لتلميذة^(١) لأبي المواهب بن رغان ، ودفن في صبح يوم الجمعة قبل صلاة الظهر بزاويته بالقاهرة .

قرأ طرفاً من العلم على شيوخ عصره كالسخاوي وغيره ، وصحب الشيخ الكامل محمداً أبا الفتوح الشهير بابن المغربي ، وأخذ عنه التصوف ، ثم أخذ بإذنه من الولي الكبير محمد أبي المواهب التونسي فعادت عليه بركات عوارفه ، وانهلت على أرض قلبه أمطار زوارفه^(٢) ، وفتح الله له على يديه ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . ذكره السخاوي باختصار .

قال الشيخ جار الله بن فهد رحمه الله : أقول : وقد جاور صاحب الترجمة بمكة سنة أربع وتسعمائة وأقام بها ثلاث سنين ، وألف بها شرحاً على الحكم لابن عطاء الله سماه « أحكام الحكم لشرح الحكم » ، وشرح رسالته المسماة « أصول مقدمات الأصول » ، وشرح كلمات علي بن محمد وفا المعروف يا مولانا يا واحد يا أحد سماه « شرح التمويل في بيان مشاهد يا مولانا يا واحد يا أحد » ، وشرح الرسالة السنوسية في أصول الدين ، وله ديوان نظم ، وعدة رسائل ، وسبعة أحزاب ، ومؤلفات في الزيارة النبوية وغير ذلك . أخذ الناس عنه في التصوف .

وحكي عنه أنه قال : أفادني أستاذي أبو المواهب : [أن من أدل دليل على خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه قوله ﷺ : « ما فضلكم أبو بكر بصوم ولا صلاة ولكن بشيء وَقَرَّ في صدره »^(٣) . أي فبذلك الشيء الذي وَقَرَّ في صدره يستحق الخلافة . ثم انتقل فانتقلت تلك الوراثة إلى عمر ، ثم إلى عثمان ، ثم إلى علي ، ثم إلى الحسن رضي الله عنهم أجمعين]^(٤) وبذلك كمال خلافتهم ظاهراً وباطناً .

= الذهب « (٥٢ / ١٠) .

(١) في « شذرات الذهب » (٥٢ / ١٠) : (نسبة لتلميذه) .

(٢) في (ط) (وارفه) ، وصوابه في (م) .

(٣) ذكره المرتضى الزبيدي في « إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين » (١ / ٣٢٤) .

(٤) ما بين حاصرتين جاء نصه في (م) على النحو الآتي : (أن أول الأقطاب سيدنا الحسن بن =

● وفيها : احترق من مدينة عدن جانب عظيم من نصف الليل إلى قرب الفجر ، وتلفت فيه بيوت كثيرة من بيوت التجار كأبي الليل ، وأحمد بن عبد السلام ، وأحمد الدملولي^(١) والحوايحي^(٢) ، وإسماعيل بن عبد الأول الناشري ، وجانب من السوق الكبير إلى بيت أبي شكيل ، وجانب من حافة اليهود ، وحافة الحبوش بأسرها ، وأحذقت النار بالمدرسة السفينية ، وتلفت فيها أموال جلييلة . ويقال : إنه بلغ عدد البيوت المحترقة تسعمائة بيت ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

● وفيها : حصل بمدينة زبيد ونواحيها زلازل ، وتواترت ليلاً ونهاراً ، وأشفق الناس منها ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

● وفي منتصف ليلة الأربعاء التاسع عشر من رجب منها توفي الفقيه العلامة [الصالح]^(٣) سراج الدين عبد اللطيف بن محمد بن يحيى الجهمي صاحب قرية المصباح من أصاب ببلده ، وكان معتمد أهل أصاب ، ومرجعهم وحاكمهم وعالمهم . قرأ على الفقيه أبي بكر البليما ، والفقيه محمد بن أحمد مفضل الواسطي ، والقاضي جمال الدين محمد بن حسن القمط ، والفقيه موسى بن زين العابدين الرداد ، وانتفع به كثيراً رحمه الله .

● وفي يوم الجمعة السابع والعشرين من شعبان توفي الإمام محمد بن ناصر صاحب صنعاء رحمه الله .

● وفي ليلة الأربعاء الثالث من شهر شوال توفي الفقيه رضي الدين أبو بكر بن عمر البليما ، وكان عارفاً بعلم اللغة والعربية بزبيد ، ودفن صبيحتها عند أخواله بني الناشري رحمه الله .

= علي وأن أول من تلقى ذلك فاطمة الزهراء مدة حياتها ثم انتقلت فانتقلت إلى السيد الكبير أبي بكر ثم إلى عمر ثم إلى عثمان ثم إلى علي ، ثم الحسن رضي الله عنهم أجمعين) .

(١) في (ط) : (الدهلوي) وما أثبتناه عن (م) .

(٢) في (ط) : (الحوامحي) وما أثبتناه عن (م) .

(٣) ما بين قوسين زيادة من (ط) .

● وفيها : حصل بمدينة زبيد ونواحيها وبمدينة عدن والجبال مرض يعرف بـشمندله^(١) وهو ريح يأخذ المفاصل والأعضاء ، ويمنع من الحركة ثلاثة أيام ، يكون معه حمى ثم نزول وهو سليم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

* * *

(١) في حاشية (م) بخط مغاير : « والله أعلم أنه الذي يُقال له النديغو بلغة حضرموت » .

سنة تسع بعد التسعمائة

● وفي سنة تسع : كان يتراءى للناس في ما بين حائط دار الشجرة ومسجد الحمّا رجل طويل يزيد طوله على منارة جامع الملاح ، أسود اللون ذو وفرة ، الخطوة الواحدة منه مقدار ثلاثين ذراعاً ، وكان يراه بعض الناس دون بعض ، وربما رؤي بطريق النخل ما بين مسجد الزيد ودار الشجرة .

● وفيها : في يوم الاثنين الرابع والعشرين من شهر رمضان توفي الفقيه العلامة الصالح عفيف الدين عبد المجيد بن عبد العليم إقبال المعروف بالقرتبي^(١) بمدينة زبيد ، وهو يومئذ رأس المفتين بها على مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه ، ودفن صباح يوم الثلاثاء ثاني يوم موته بمجنة باب القرب إلى جانب والده قريباً من مشهد الفقيه أبي بكر الحداد رحمهم الله تعالى .

● وفيها : استمر دعاء الخطيب على المنبر ، وارتفع تضرعه في كشف ما حل بالناس من الحبوب المعروفة بالنار الفارسي ، وكان قد كثر ببلاد اليمن وزاد ، وذهب عن الناس وعاد ، واستمر معهم من أوائل سنة ست وتسعمائة فما بعدها ، وحرجت منه الصدور ، وضافت النفوس .



(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (٦١ / ١٠) وفيه : (القرتبي) .

سنة عشر بعد التسعمائة

● وفي يوم الأحد سلخ المحرم سنة عشر توفي السلطان العادل المشهور بأفعال الخير وإقامة الشرع عبد الله بن جعفر الكثيري^(١) بالشَّحر ، وكانت سيرته في رعيته سيرة حسنة محمودة رحمه الله .

● وفيها : حصل بمدينة زَبِيد زلزلة عظيمة ، وزلزلت تلك الليلة مدينة زيلع زلزلاً عظيماً شديداً أوقع بعض بيوتها ، وخرج أهل البيوت إلى الساحل ولم يرجعوا إلى منازلهم إلا صباحاً ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

● وفيها : انقَضَ كوكب عظيم وقت العشاء من اليمن في الشام عرض مدينة زَبِيد ، وتشظَّى منه شظايا عظيمة ، ثم حصلت بعده هزة عظيمة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

● وفيها : وُجِدَ كنز ذهب بقرية هقده ما بين مدينتي عدن ، سوزع ، كان بها مسجد قد خرب ، فأراد رجل تجديد عمارته ، فوجد الحفارون في الأساس كنزَ ذهبٍ شخوصاً مضروباً عليها بسكة لا تشبه سكة الإسلام ، الوزن لكل شخص منها ربع أوقية كل أربعة منه أوقية ذهب . وكان قبل ذلك وجد أيضاً بمدينة عدن كنز آخر في أساس مسجد لكنه دون هذا .

● وفيها : كانت الواقعة المشهورة بين السلطان عامر بن عبد الوهاب والأمير محمد بن الحسين البهَّال صاحب صعدة على باب صنعاء ، فانهزم فيها البهَّال وعساكره هزيمة عظيمة ما سمع بمثله قط ، وأسر فيها إمام الزيدية محمد بن علي الوشلي إمام أهل البدعة ورئيسهم في جمع عظيم ، وقُتل منهم

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠ / ٦٦) .

جمعٌ لا يُحصى ، ونهبهم الناس ، وكانوا يأتون بهم وبخيلهم واحداً واثنين ، وأخذ السلطان عامر مدينة صنعاء .

● وفي يوم الجمعة رابع عشر من شهر ذي القعدة الحرام توفي إمام الزيدية محمد بن علي الوشلي^(١) أسيراً بمدينة صنعاء إلى رحمة الله تعالى ، وصلي عليه بجامعها ودفن بها رحمه الله .

● وفي ضحى يوم الخميس العشرين من الشهر المذكور توفي الفقيه الصالح تقي الدين عبد السلام بن القاضي محمد بن عبد السلام الناشري^(٢) إلى رحمة الله تعالى بمدينة زبيد ، وصلي عليه بعد صلاة العصر بمسجد الأشاعر ، ودفن إلى جنب قبر والده رحمه الله تعالى .

* * *

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (٧١ / ١٠) .

(٢) ترجمته في « شذرات الذهب » (٥١ / ١٠) .

سنة إحدى عشرة بعد التسعمائة

● وفي يوم الجمعة وقت العصر تاسع عشر جمادى الأولى سنة إحدى عشرة توفي الشيخ العلامة الحافظ أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين أبي^(١) بكر بن [محمد بن أبي بكر]^(٢) بن عثمان بن محمد بن خضر بن أيوب بن محمد بن الشيخ الهمام الخضيرى السيوطي^(٣) المصرى الشافعى ، وصلى عليه بجامع الأفريقى تحت القلعة ، ودفن بشرقى باب القرافة ، ومرض ثلاثة أيام . والخضيرى : نسبة إلى محلة الخضيرية ببغداد ، ووجد بخطه رحمه الله أنه سمع ممن يثق به أنه سمع والده يذكر أن جده الأعلى كان أعجمياً أو من المشرق ، فلا يبعد أن النسبة إلى المحلة المذكورة . وأمه أم ولد تركية .

وكان مولده بعد المغرب ليلة الأحد مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة بالقاهرة ، وكان يلقب بابن الكتب ؛ لأن أباه كان من أهل العلم واحتاج إلى مطالعة كتاب ، فأمر أمه أن تأتیه بالكتاب من بين كتبه ، فذهبت لتأتى به ، فأجاءها المخاض وهي بين الكتب ، فوضعت . وسماه والده بعد الأسبوع عبد الرحمن ، ولقبه جلال الدين ، وكناه شيخه قاضى القضاة عز الدين أحمد بن إبراهيم الكنانى لما عرض عليه وقال له : ما كنيتك؟ قال : لا كنية لي . فقال : أبو الفضل ، وكتبه بخطه . وتوفي والده ليلة الاثنين

(١) فى (ط) (أبو) وصوابه فى (م) .

(٢) ما بين الحاصرتين من (م) فقط .

(٣) ترجمته فى « الضوء اللامع » (٧٠-٦٥/٤) و « الكواكب السائرة » (٢٣١-٢٢٦/١) و « شذرات الذهب » (٧٩-٧٤/١٠) و « متعة الأذهان » الورقة (٤٤) و « مفاكهة الخلان » (٢٩٤/١) و « البدر الطالع » (٣٣٥-٣٢٨/١) و « جامع كرامات الأولياء » (٦٢/٢) و « الأعلام » (٣٠٢-٣٠١/٣) و « معجم المؤلفين » (١٣١-١٢٨/٥) .

خامس صفر سنة خمس وستين وثمانمائة ، وجعل الشيخ كمال الدين بن الهمام وصياً عليه ، فلحظه بنظره ورعايته^(١) . وختم القرآن وسنّه دون ثمانين سنين ، ثم حفظ « عمدة الأحكام » ، و « منهاج النووي » ، و « ألفية ابن مالك » ، و « منهاج البيضاوي » وعرضها وهو دون البلوغ على مشايخ عصره ، وأحضره والده وعمره ثلاث سنين مجلس شيخ الإسلام ابن حجر مرة واحدة ، وحضر وهو صغير مجلس الشيخ المحدث زين الدين رضوان العقبي ، ودرس الشيخ سراج الدين عمر الوردي ، ثم اشتغل بالعلم على عدة مشايخ . وحج سنة تسع وستين وثمانمائة ، وشرب من ماء زمزم لأمر منها : أن يصل في الفقه إلى رتبة الشيخ سراج الدين البلقيني ، وفي الحديث إلى رتبة الحافظ ابن حجر . ووصلت مصنفاته نحو الستمائة مصنف سوى ما رجع عنه وغسله . وولي المشيخة في مواضع متعددة من القاهرة ، ثم أنه زهد في جميع ذلك ، وانقطع إلى الله بالروضة . وكانت له كرامات ، وعظم غالبها بعد وفاته .

وحكى الشيخ العلامة زكريا بن الشيخ العلامة محمد المحلي الشافعي : أنه عرض له مهم في بعض أوقاته قال : فسألته أن يكتب إلى بعض تلامذته بالوصية عليّ فامتنع ، وأطلعني على ورقة بخطه وفيها أنه اجتمع بالنبي ﷺ في اليقظة مرات تزيد على سبعين مرة ، وقال له كلاماً حاصله : أن من كان بهذه المثابة لا يحتاج إلى مدد وإعانة من أحد . رحمه الله .

وحكى عنه أنّه قال : رأيت في المنام كأني بين يدي النبي ﷺ ، فذكرت له كتاباً شرعت في تأليفه في الحديث وهو « جمع الجوامع » ، فقلت له : أقرأ عليكم شيئاً منه؟ فقال لي : هات يا شيخ الحديث . قال : هذه البشري عندي أعظم من الدنيا بحذافيرها .

ومن تصانيفه : « الدر المثور في التفسير بالمأثور » ، اثني عشر مجلداً ، و « تناسق الدرر في تناسب السور » ، و « حاشية على البيضاوي » إلى

(١) في (م) و(ط) (ودعايته) وهو تحريف .

«الإسراء» ، و «الأزهار الفاتحة على الفاتحة» ، و «المعاني الدقيقة في إدراك الحقيقة» ، و «إتمام النعمة في اختصاص الإسلام بهذه الأمة» ، و «الدجاج على صحيح مسلم بن الحجاج» ، و «كشف الغطا في شرح الموطا» ، و «تنوير الحوالك على موطأ مالك» ، و «البدور السافرة عن أمور الآخرة» ، و «نتيجة الفكر في الجهر بالذكر» ، و «تزيين الآرائك في إرساله ﷺ إلى الملائك» ، و «مسالك الحنفا في إسلام والذي المصطفى» ، و «نشر العلمين المنيفين في إحياء الأبوين الشريفين» ، و «ذم القضاء» ، و «زيارة الأمراء» ، و «التنفيس عن ترك الإفتاء والتدريس» ، و «الأحاديث الحسان في فضل الطيلسان» ، و «طي اللسان عن ذم الطيلسان» ، و «التضلع في معنى التقنع» ، و «عين الإصابة في ما استدركته عائشة على الصحابة» ، و «الاحتفال بالأطفال» ، و «مارواه الأساطين في عدم المجيء إلى السلاطين» ، و «الأوج في خبر عوج» ، و «الوديك في الديك» ، و «الطرثوث في فوائد البرغوث» ، وله «مختصر نهاية ابن الأثير»^(١) ، و «الينبوع فيما زاد على الروضة من الفروع» ، و «مختصر الخادم» ، و «مختصر الأحكام السلطانية» ، و «شرح الروض لابن المقرئ» ، و «شرح التنبيه مختصر» ، و «البهجة المرضية في شرح الألفية ممزوج» ، و «المسائل الوفية في نكت الحاجبتين والألفية» ، على منوال التحرير للشيخ ولي الدين العراقي على الكتب الثلاثة في الفقه جامع لكل ما يرد [عليه]^(٢) على عبارتها ، وما ناقضوه في غيرها من مصنفاتهم مع ما أمكن من الجواب^(٣) .

ومن تصانيفه : «السيف الصقيل في نكت شرح الألفية لابن عقيل» ، و «الفتح القريب على مغني اللبيب» ، و «جمع الجوامع» في العربية وشرحه «همع الهوامع» ، و «المرقاة العلية في شرح الأسماء النبوية» ، و «شرح

(١) في حاشية (م) بخط مغاير : (سماء الدر النثير مختصر نهاية ابن الأثير) .

(٢) ما بين الحاصرتين لم يرد في (ط) وورد في (م) فقط .

(٣) في (م) : (الجواب) وما أثبتناه عن (ط) .

الشاطبية» ممزوج ، و «نظم جمع الجوامع في الأصول» و «شرحه» ،
و «الطب النبوي» ، و «طبقات الحفاظ» ، و «طبقات الشافعية» ،
و «طبقات النحاة» ، و «أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب» ،
و «الحجج المبينة في التفضيل بين مكة والمدينة» ، و «الإكليل في استنباط
التنزيل» ، و «فتح الإله في التفصيل بين الطواف والصلاة» ، و «البارع في
إقطاع الشارع» ، و «كشف الصبابة في مسألة الاستنابة» ، و «حسن المقصد
في عمل المولد» ، و «تشيف الأركان في ليس في الإمكان أبدع مما كان» ،
و «فجر الدياجي في الأحاجي» ، و «نزهة الجلساء في أشعار النساء» ،
و «شرح الصدور بشرح أحوال القبور» ، وله تعليق لطيف على البخاري ، وله
غير ذلك ، لكن كثيراً من مؤلفاته هذه المذكورة صغير ، وبعضها في كراس
وكراسين .

ومن شعره مضمناً لمصرع من البردة وهو مما كتب به إلى الحافظ
السخاوي متحاملاً عليه ومعرضاً به : [من البسيط]:

قُلْ لِلسَّخَاوِيِّ إِنْ تَغْرُوكَ مُشْكَلَةٌ علمي كبخر من الأمواج مُلْتَظِمٌ
والحافظُ الدِّيمِي غَيْثُ الزَّمانِ فَخُذْ «غرفاً من البحرِ أو رشفاً من الدِّيمِ»

قال بعض الفضلاء : والحقُّ أنَّ كلاً من الثلاثة كان فرداً في فنه مع المشاركة
في [فنٍّ] غيره ؛ فالسَخاوي تَفَرَّدَ بمعرفة علل الحديث ، والدِّيمِي بأسماء
الرجال ، والسيوطي بحفظ المتن ، والله أعلم . وكان بينه وبين الحافظ
السَخاوي منافرة كما يكون بين الأكابر .

[لطيفة]^(١) : ذكر الجلال السيوطي في «المقامة السندسية» له عند الكلام
على إحياء أبي النبي ﷺ ، فقال : وهل يُسْتَبْعَدُ على من أنجى الله به الثقلين
أن ينجي به الأبوين؟ فإن استبعد هو ذلك ، فليست الشدة عندي بأرجح من

(١) ما بين الحاصرتين لم يرد في (ط) وورد في (م) فقط .

الرخاء ، وإن استكثر ذلك ، فإنه لبخيل حيث شخ لأجمل الأمرين وهو السخاء . [شعر] : [من البسيط]:

شخ السخاوي بالإنجاء يذكره عن والدي سيّد الأبناء والأمم^(١)
إن عز أن يبلغ البحر الخضمّ روى يا ليت^(٢) يستقي من وابل الدّيم
وله أيضاً فيما يسن قبوله من الأشياء : [من الطويل]:

عن المصطفى سبغ يسن قبولها إذا ما بها قد أتحف المرء خلان
فحلو وألبان ودهن وسادة ورزق لمحتاج وطيب وريحان
وله أيضاً في من كان يفتي من الصحابة زمن النبي ﷺ : [من الطويل]:

وقد كان في عصر النبي جماعة يقومون بالإفتاء قومة قانت
فأربعة أهل الخلافة منهم معاذ أبي وابن عوف بن ثابت
وأسيوط : مدينة في غربي النيل من نواحي الصعيد في مستوى ، كثيرة
الخيرات ، أعجوبة المتنزّهات ، وعجائب عماراتها وسورها مما لا يذكر .
ولما صورت الدنيا للرشد لم يستحسن غير كورة أسيوط لكثرة ما بها من
الخيرات والمتنزّهات ، ومن عجائبها أن بها يكش^(٣) ألف فدان ينشر ماؤها في
جميعها لاستواء سطح أرضها ، ويسير الماء في أقطارها . قاله القزويني .

● وفيها : في يوم الخميس ثامن عشر ذي القعدة توفي عالم المدينة الإمام
القدوة والمفنن ، الحجة الشريف ذو التصانيف الشهيرة نور الدين^(٤) أبو الحسن

(١) في (ط) : « شيخ . . . » ولا يناسب المعنى ، وصوابه في (م) وفيه أيضاً في (م) :
« . . . الأنبياء . . » وبه يكسر الوزن وصوابه في (ط) .

(٢) في (ط) : بالثّيه ، والمثبت من (م) .

(٣) كذا الأصل ، والعبارة غير واضحة ، وهي في (م) و (ط) غير واضحة المعنى ، وذكرها
ياقوت على نحو آخر ، قال « وبها ثلاثون ألف فدان في استواء من الأرض لو وقعت فيها
قطرة ماء لانتشرت في جميعها . . . » « معجم البلدان » (١ / ١٩٤) .

(٤) ترجمته في « الضوء اللامع » (٥ / ٢٤٥-٢٤٨) و « شذرات الذهب » (١٠ / ٧٣) و « البدر
الطالع » (١ / ٤٧٠-٤٧١) و « معجم المؤلفين » (٧ / ١٢٩-١٣٠) .

علي بن القاضي عفيف الدين عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن علي بن أبي الروح عيسى بن أبي عبد الله محمد بن عيسى بن محمد بن عيسى بن جلال الدين أبي العلياء بن أبي الفضل جعفر بن علي بن أبي الطاهر بن الحسن بن أحمد بن محمد بن الحسن بن محمد [بن حسن بن محمد]^(١) بن إسحاق بن محمد بن سليمان بن داود بن الحسن [المُثَنَّى بن الحسن]^(٢) الأكبر بن علي بن أبي طالب الحسيني ، ويعرف بالسَّمْهُودي ، نزيل المدينة الشريفة وعالمها ومفتيها ومدرسها ومؤرخها .

ترجمه الحافظان : العز بن فهد ، والشمس السخاوي ، وساق أولهما نسبه كما ذكرته ، وقالوا ما مختصره : إنه ولد في صفر سنة أربع وأربعين وثمانمائة بسمهود^(٣) ، ونشأ بها ، فحفظ القرآن ، و « المنهاج الفرعي » ، وكتباً . ولازم والده حتى قرأ عليه المنهاج بحثاً مع شرحه للجلال المحلي ، و « شرح البهجة » نصفه سماعاً ، و « جمع الجوامع » ، وغالب « ألفية ابن مالك » ، وسمع عليه بعض كتب الحديث ، وقدم القاهرة معه [وبمفرده]^(٤) غير مرة ، أولها سنة ثلاث وخمسين ولازم أولاً الشمس الجوجري في الفقه وأصول العربية ، وعلى الجلال المحلي بعض شرحه على « المنهاج » و « جمع الجوامع » ، مع سماع دروسه من الروضة بالمؤيدية ، وأكثر من ملازمة الشرف المناوي ، وقسم عليه « المنهاج » مرتين ، و « التنبيه » و « الحاوي » ، و « البهجة » وجانباً من شرحهما ، وشرح « جمع الجوامع » كلاهما لشيخه الولي العراقي وغيرهما من مؤلفاته ، وجملة في فنون ، وألبسه خرقة التصوف .

(١) ما بين الحاصرتين من (م) فقط .

(٢) ما بين الحاصرتين من (م) فقط .

(٣) ذكره ياقوت بالطاء مكان الدال ، قال : « سَمْهُوط : بفتح أوله ، وسكون ثانيه ، ويقال

بالدال المهملة مكان الطاء : قرية كبيرة على شاطئ غربي النيل بالصعيد دون فِرْشُوط »

« معجم البلدان » (٢٥٥ / ٣) .

(٤) ما بين حاصرتين ورد في (ط) ولم يرد في (م) .

وقرأ على النجم بن قاضي عجلون تصحيحه « للمنهاج » وعلى الشمس البامي « تقاسم المنهاج » وغيره ، وعلى الشيخ زكريا في الفقه والفرائض ، وعلى الشمس الشرواني في [« شرح عقائد النسفي » ، وغالب « شرح الطوالع » للأصبهاني ، وسمع عليه الإلهيات ، وقطعة من « الكشف » ، ومن المختصر ، والمطول ، وللعصدي ، و « شرح المنهاج الأصلي » للغزي وغير ذلك .

وحضر عند العلم البلقيني ، وكذا الكمال إمام الكاملية^(١) وألبسه الخرقه ، ولقنه الذكر . وقرأ « عمدة الأحكام » بحثاً على السعد الديري^(٢) وأذن له في التدريس هو والبامي والجوجري ، وفيه في الإفتاء الشهاب الشارمساحي^(٣) بعد امتحانه بمسائل ، وفيه أيضاً زكريا والمحلّي والمناوي ، وعظم اختصاصه بالآخرين وتزايد مع المناوي ، وقرره في عدة وظائف ، وعرض عليه النيابة فأبأها مع قضاة بلده ، وأمر نوابها . وكان يتوجه لزيارة أهله أحياناً .

قال السخاوي : وسمع مني مصنف « الابتهاج » وغيره ، وكان على خير كثير ، وقطن بالمدينة من سنة ثلاث وسبعين ، ولزم فيها الشهاب الأبشيطي ، وحضر درسه في « المنهاج » ، وجانباً من « تفسير البيضاوي » و « شرح البهجة » للعراقي ، و « التوضيح »^(٤) لابن هشام ، بل قرأ عليه تصانيفه^(٥) ،

(١) في (ط) : (الكمالية) .

(٢) في (م) : (الديري) وصوابه في (ط) و « شذرات الذهب » (١٠ / ٧٣) .

(٣) في (ط) : « السارحي » والمثبت من (م) .

(٤) في (م) و (ط) : « التوشيح » وهو تحريف ، والصواب ما أثبتناه ، وأراد « التوضيح على ألفية ابن مالك » وهو من تصانيف ابن هشام المشهورة ، ويعرف بـ « أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك » مطبوع في مصر بتحقيق الأستاذ الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ، وشرحه الشيخ خالد الأزهرى باسم « التصريح على التوضيح » . وانظر « المنهج الأحمد » للعليمي (١١٥ / ٥) و « المدارس النحوية » للدكتور شوقي ضيف (٣٤٧) .

(٥) الضمير في هذه الكلمة عائد إلى (الشهاب الأبشيطي) وعليه قرأ المترجم له تصانيفه والكتب =

وأذن له في التدريس ، وأكثر من السماع هناك على أبي الفرج المراغي ، وقرأ على عبد الله بن صالح ، وألبسه خرقة التصوف بلباسه من عمر العراقي ^(١) . وكان سمع بمكة على كمالية بنت النجم المرجاني ، وشقيقها الكمال أبي الفضل ، والنجم عمر بن فهد في آخرين ، وبالقاهرة على جماعة سوى من تقدم .

وأجاز له جماعة ، والتمس من النجم عمر بن فهد تخريج مشيخة له ففعلها وعظمه في خطبتها ، ومات قبل إكمالها ، فتممها ولده العز عبد العزيز وبيضاها له وحدث بما فيها . وانتفع به جماعة من الطلبة في الحرمين . وألف عدة تأليف منها : « جواهر العقدين في فضل الشرفين » ^(٢) و « اقتفاء الوفا بأخبار دار المصطفى » ^(٣) احترق قبل إكمالها ، و « مختصر خلاصة الوفا لما يجب لحضرة المصطفى » في تنظيف الحجرة من الحريق ، وغيرها في مسائل واقعة فيها ، وحاشية على « الإيضاح في مناسك الحج » للإمام النووي وسماها « الإفصاح » ، وكذا على « الروضة » أيضاً سماها « أمنية المعتنين » ^(٤) بروضة الطالبين ، وصل فيها إلى باب الربا ، وجمع فتاويه في مجلد وهي مفيدة جداً . وحصل كتباً نفيسة احترقت جميعها وهو بمكة في سنة ست وثمانين . وسافر في موسمها إلى القاهرة فلقي سلطانها الأشرف قايتباي ، فأحسن إليه

= الأخرى المشار إليها ، وهو الذي أذن له بالتدريس أيضاً .

(١) في (ط) : (العربي) وهو تحريف ، وصوابه في (م) وكان ذكره في هذه الترجمة أكثر من مرة .

(٢) في (ط) : (الشريفين) وهو تحريف ، وصوابه في (م) وأراد بالشرفين : العلم والنسب ، ذكره العلامة الزركلي ، قال : « رأيت نسخة منه في مغنيسا (الرقم ٢٨٤) كتبت سنة ٩٣٠ ومنه نسخ كثيرة متفرقة » وأورد صورة من مخطوطة هذا الكتاب من مخطوطات « أياصوفيا كتيبخانة سي » الرقم ٣١٧١ باستامبول ، « الأعلام » (٣٠٧/٤) .

(٣) ذكره العلامة الزركلي باسم « وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى » وقال : مطبوع في مجلدين ، « الأعلام » (٣٠٧/٤) .

(٤) في (ط) : (المقتنين) وما أثبتناه عن (م) .

بمرتب على الذخيرة وغيره ، وأوقف كتباً بالمدينة وجعله ناظرها . وزار بيت المقدس ، وعاد إلى المدينة مستوطناً ، وتزوج بها عدة زوجات ثم اقتصر على السراري ، وملك الدور وعمرها .

قال السخاوي : قل أن يكون أحد من أهلها لم يقرأ عليه ، واستقر في النظر على المجمع^(١) لمدرسة الأشرف وما به من الكتب في مصارف المدرسة المزهرية مع الصرف من الصدقات كالقضاة . وتقرر في التدريس مع ما رتب له ملك الروم . وانقاد له الأمير داود بن عمر في صدقاته حين حج وبعدها وكذا ابن جبر^(٢) لما تقرر عندهم من علمه وتدينه مع التكسب بالبيع والشراء والمعاملة .

وبالجملة : فهو فاضل مفنن ، متميز في الأصلين والفقه ، مديم العلم والجمع والتأليف ، متوجه للعبادة بالمباحثة والمناظرة ، قوي الجلادة ، طلق العبارة مع قوة يقين^(٣) ، وربما أداه البحث إلى مخاشنة^(٤) مع المبحوث معه . وعلى كل حال فهو فريد في مجموعته .

ومن شعره : [من البسيط]:

تحكّم الحبّ منّي كيف أكتّمه؟ أم كيف أخفي الهوى والدمع يظهره؟
أهوى لقاءه ويَهوى سيّدي تلفي « ما كلُّ ما يتمنى المرء يدركه »

● وفيها : في عشية الجمعة عاشر جمادى الآخرة توفي الفقيه أحمد بن العلامة الفقيه عبد الله بن أحمد با مخرمة^(٥) ، وكانت ولادته بعدن وقت طلوع الفجر يوم الأربعاء أول يوم من صفر سنة ست وستين وثمانمائة ، وأخذ عن والده ، وبرع في الفقه وغيره من العلوم ولا سيما في الفرائض والحساب وإنه لم يكن له فيهما نظير حتى أن والده مع تمكنه في هذين الفنين كان يقول : هو

(١) في (ط) : (الجمع) .

(٢) في (ط) : « ابن خير » وما أثبتناه عن (م) .

(٣) في (ط) : « تفنن » وما أثبتناه عن (م) وهو الأقرب للصواب .

(٤) في (ط) : « محاسنة » تحريف وصوابه في (م) .

(٥) ترجمته في « شذرات الذهب » (٧١ / ١٠) .

أمهر مني فيهما . وكان يحفظ « جامع المختصرات » في الفقه . وممن أخذ عنه من الأئمة الأعيان الفقيه العلامة محمد بن عمر باقضاء ، وانتفع به كثيراً .

● وفيها : حصلت بمدينة زبيد وسائر جهاتها ربح شديدة ، واقتلعت أشجاراً كثيرة وكسرتها ، وهدمت بعض البيوت بزبيد ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

● وفي سحر ليلة السبت الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر توفي الشيخ الصالح نجم الدين طلحة العباس الهتار بمدينة زبيد ، ودفن بعد عصر ذلك اليوم بقبة جده الشيخ طلحة بن عيسى الهتار ، وكان له مشهد عظيم حضره الأمير والقاضي وغيرهم ، رحمه الله ونفع به .

● وفي يوم الثلاثاء من شهر رجب توفي الشيخ الصالح عفيف الدين عثمان بن أبي القاسم بن أبي الأفلاح بقرية الزريبة^(١) ، ودفن بها ، رحمه الله تعالى .

● وفي يوم الثلاثاء الثالث عشر من شهر ذي القعدة الحرام توفي الفقيه الصالح إبراهيم بن محمد بن علي الحداد صاحب الذراع^(٢) من بلاد صهبان ببلده ، وكان رجلاً مباركاً مشهوراً بإطعام الطعام وفعل الخير ، رحمه الله تعالى .

● وفيها : دفع وادي زبيد بسيل عظيم لم يُعهد مثله يقال : إنه ارتفع في الهواء مقدار خمسة أبواع ، وأخرج جملة من الأراضي التراكي ، وسال بيوت وزروع وطعام كثير وبني آدم ، وعسر الانتفاع به ، وأخرب المعقم الظاهري ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

* * *

(١) في (م) : « الزريبة » وفي (ط) : « الزبيد » وكلاهما تحريف ، وصوابه في « طبقات الخواص » (٢٠) قال : « الزريبة : من القرى العليا من وادي زبيد » .

(٢) في (ط) : « الذراع » وهو تصحيف ، وصوابه في (م) و « طبقات الخواص » (١٩) ، (٢٣) وهي قرية بجهة صُهبان .

سنة اثنتي عشرة بعد التسعمائة

- وفي ليلة السبت الخامس من صفر سنة اثنتي عشرة توفي الشيخ الصديق بن محمد المزجاجي^(١) صاحب الظاهرة بمدينة زَبِيد ، وصلي عليه بعد صلاة الصبح بمسجد الأشاعر . ودفن إلى جنب والده بترية بني المزجاجي ، وكان له مشهد عظيم ، وحضر يوم ثالث موته للقراءة جمع عظيم رحمه الله .
- وفي يوم الثلاثاء مستهل شهر رجب منها توفي الفقيه إسماعيل بن علي العجل الحنفي ، رحمه الله بمدينة زَبِيد .
- وفيها : في عشية الثلاثاء العشرين من شهر شوال توفي الفقيه العلامة مفتي مدينة تعز الشرف بن وهيب^(٢) عن أربع وسبعين سنة رحمه الله .



(١) في (ط) : « الزجاجي » وهو تحريف ، وصوابه في (م) . وبنو المزجاجي : « جماعة كثيرون . . . وهم من الأشاعرة ، القبيلة المشهورة ، وانتقل جدُّ هؤلاء إلى قرية المزجاجة ، فنسب إليها » . « طبقات الخواص » (٣٠) .

(٢) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠ / ٨٣) .

سنة ثلاث عشرة بعد التسعمائة

وفي سنة ثلاث عشرة : توفي الفقيه الأجل نجم الدين طلحة بن محمد بن يحيى الجهمي صاحب المصباح ببلده من أصاب^(١) ، ودفن هنالك بجوار جده الفقيه الصالح يحيى بن أحمد الجهمي ، وكثر عليه الأسف ، رحمه الله تعالى .

● وفيها : غلب الإفرنج على مدينة هرموز^(٢) وأخذوها .

● وفي يوم الأربعاء العشرين من شهر ذي القعدة توفي السيد الشريف الإمام شهاب الدين أحمد بن الناصر بمدينة تعز ، وصلي عليه بعد صلاة العصر بجامع ذي عدينة ، ودفن بمقابرها الاجتياد ، وكان له مشهد عظيم رحمه الله تعالى .



(١) أصاب : بضم الهمزة : اسم جبل يحاذي زبيد باليمن « معجم البلدان » (٣٧٨ / ٥) و « تاج العروس » (وصب) وانظر « طبقات الخواص » (٢) و « معجم المدن والقبائل اليمنية » ص (٤٦٥) .

(٢) انظر « شذرات الذهب » (٨٦ / ١٠) وهرموز : فرضة كرمان ، ذكره ياقوت قال : وهرمز : مدينة في البحر . . . ومن الناس من يسميها هُرموز بزيادة الواو « معجم البلدان » (٤٠٢ / ٥) و « تقويم البلدان » ص (٢٣) .

سنة أربع عشرة بعد التسعمائة

● وفي ليلة الإثنين رابع عشر المحرم سنة أربع عشرة توفي الشيخ عبد الرحمن بن عمر با هرmez الشبامي بهينن بلاد من أرض حضرموت . وهُزْمَز : بضم الهاء والميم وسكون الراء وآخره زاي . وهو شيخ الفقيه الصوفي عمر بن عبد الله با مخرمة ، وكان كبير الشأن ، وله أحوال غريبة وكرامات خارقة . رحمه الله تعالى آمين .

وحُكي أنه - نفع الله به - كان عندما يرد عليه الحال يطلب النساء الحسان من ذوات الجمال فيغنين بين يديه ويرقصن ، فكان هذا دأبه في أكثر الأوقات . وكان الفقيه عمر با مخرمة على طريقة الفقهاء ، فسمع بذلك ، فقصد الإنكار على الشيخ ، ومنعه من ذلك . فسافر من بلده [إليه]^(١) بهذه النية ، فلما وصل إلى أثناء الطريق بدا له أن يرجع ، فرجع إلى بلده . ثم سمع عنه أيضاً أمثال هذه الأشياء التي ظاهرها مخالفة الشرع ، فما أمكنه الصبر عن ذلك ، فسار إليه ثانياً ودخل عليه ، فلما وقع بصره على الشيخ كاشفه وقال له : عمر (عاد وقتك ما جاء) فرجع كذلك إلى بلده . وامتل ولم يحصل منه إنكار على الشيخ لما سبق له من الفتح على يديه . ثم سار إليه ثالثاً ، فلما دخل عليه أمر الشيخ - نفع الله به - بعض النساء الحسان ممن كانت ترقص عنده أن تعتقه ، فما هو إلا أن فعل به ذلك خرّ مغشياً عليه ، فلما أفاق تلمذ للشيخ ، وحكمه في ذلك الوقت ، وفتح الله عليه ببركة الشيخ ، وصار من كبار العارفين المربين . وقيل : إن الفقيه لما طلب التحكيم من الشيخ قال له : صلّ ركعتين إلى الشرق ، فامتل ، فلما أحرم رأى الكعبة تجاه وجهه .

(١) ما بين حاصرتين ورد في (ط) ولم يرد في (م) .

وروي عن الفقيه عمر - نفع الله به - أنه قال : وقفت بين يدي سيدي وشيخي عبد الرحمن بن عمر باهرمز رضي الله عنه وأسعفني بطلبتي ، وأجابني إلى مسألتني عشية يوم الاثنين ثاني شهر رجب سنة تسعمائة وثلاث عشرة . ووقفت بين يديه ليلة قبل ذلك وقلت له : يا سيدي حكمني وألبسني الخرقة فقال : أنت الحاكم المحكم [أنت الحاكم المحكم] ^(١) . قلت : فألبسني الخرقة على قاعدة الصوفية ، فقال : ما هي قاعدتي أو كلاماً هذا معناه . قلت : أنا أحب ذلك . قال : أنا خرقتك وأنت نائب عني ، قلت : فلا تغفل عني في أموري ، فقال : والله إني معك في صائب وغير صائب ، وإني لك مثل روحك ، ونحن على ساق واحدة . ومرة قال لي : أنت أنا ، وقد أشار إلى ذلك الفقيه بقوله على لسان حال شيخه ، وأنت أنا والطريقة واحدة والتمذهب ^(٢) .

ثم قال الفقيه : قلت له : لقني شيئاً من الأذكار . قال : قل في كل [صباح وفي كل] ^(٣) مساء : سبحان الله وبحمده مائة مرة ؛ فإنه لا يكتب عليك ذنب . وقل في كل مساء : يا لطيف مائة مرة ، ثم قل : يا حفيظ مائة مرة ، ثم قل : يا كريم مائة مرة ، ثم قل : يا كريم تكرّم علينا بكرمك ثلاث مرات ، ثم قل : يا لطيف لاطفنا بلطفك ثلاث مرات ، ثم قل : يا حفيظ احفظنا بحفظك ثلاث مرات . قلت : إن لي ورداً من آية الكرسي أقرأها كل يوم ثلاثمائة وثلاث عشرة مرة . قال : هذا كثير . قلت : هو سهل عليّ . قال : كثير . قلت : هو سهل عليّ . قال : ابق عليه وقرأها . وقال : اقرأها هكذا . وإذا صمت وداع رمضان ، فاجعل قراءتها سرّاً بالقلب فقط . قلت : لي ورد من الله لا إله إلا هو الحي القيوم فقط وهو ألف مرة . قال : ابق عليه وإن زدت فهو خير لك

(١) ما بين الحاصرتين من (م) فقط .

(٢) لعله أراد التمذهب .

(٣) ما بين الحاصرتين من (م) فقط .

وأبشر ، فإنهم معطوك أكثر مما توهم ما غير ما يجيبك إلا في العرض من غير تأمل . قلت : فلا تغفل عني ، فإنني مخلط ، كثير^(١) التخليط . قال : والله لو تلبس المعتب إن غير عليك عندنا شيء ، وأنا شيخك فعليك بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ . وأنا شيخك فيهما وفي علوم [تفاض على القلوب الطاهرة عند تصفيتها بتزكيتها ، قلت : وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت : ٦٩] وبقوله ﷺ « من عمل بما علم ورثه الله [عِلْمٌ] ما لم يعلم »^(٢) . وبقوله ﷺ « لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون وإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر »^(٣) . محدثون : ملهمون . انتهى ، رجعنا إلى القصة^(٤)

وقد أشار الفقيه إلى ذلك أيضاً حيث قال مشيراً إلى شيخه :

احملوني فتى يا هلي مخلط ولعاب

ثم قال على لسان حال شيخه :

إن لو تلبس المعتب وتسهى وتنساب

لا ولا الرد يا أبا مخرمة عنك ينجاب

أنت منا ونحن منك فيما خطأ أو صاب

ثم قال له شيخه : اجعل على نفسك ورداً من قراءة القرآن إما غيباً وإما نظراً في المصحف . قلت له : أدخل أربعينية . قال : لا وإنما أربعينيتك أن تحفظ لسانك وعينك وأذنك من المحرمات أربعين يوماً ، وأما الأربعينية المعروفة فلا تدخلها . انتهى .

(١) في (م) : (أكثر) وما أثبتناه عن (ط) .

(٢) ذكره ملا علي القاري في « الأسرار المرفوعة » ص (٣١٣) ولم ينسبه لأحد .

(٣) رواه البخاري رقم (٣٦٨٩) ومسلم رقم (٢٣٩٨) .

(٤) ما بين الحاصرتين لم يرد في (ط) وبديله ثمة : (تستفاد منهما) وما أثبتناه عن (م) فقط .

● تنبيه :

قلت : ربما أنه يشكل ما صدر منهم في مثل ذلك على بعض الأغبياء ميل أكثر الناس بالطبع إلى الفسق والفجور ، وينظرون إلى هنات وقعت من بعض من ينسب إلى العلم ، أو ما وقع لبعض أهل الله تعالى ، كأحمد الغزالي ، والشيخ [القطب أبي بكر بن عبد الله العيدروس والشيخ]^(١) . العارف علي وفاء ، والشيخ [أحمد بن الحسين العيدروس والشيخ]^(٢) العارف عبد الرحمن با هرمز ، وتلميذه الفقيه عمر با مخرمة ، [والسيد الأستاذ حاتم بن أحمد الأهدل]^(٣) والشيخ جبرائيل الهتار وغيرهم نفع الله بهم ، فيظنون أن الأمر سواء وليس كذلك ، فما كان يقع من ذلك للناس فهو شقوة في حقهم ، وأكثرهم لا يكثرث بما يصدر منه من العصيان ولا يندم على ذلك . وما كان يقع ممن ينسب إلى العلم فهو دعوة ، لأن المقام لا يعطي ذلك وهو أيضاً لا يرتضي بهذه الحالة ، وإنما تكون وقعت منه هفوة كعقوق الوالدين ، أو التكبر على خلق الله تعالى ، والنظر إليهم بعين الاحتقار والعياذ بالله ، فعوقب بمثل ذلك . وما كان نسب من ذلك إلى بعض أهل الله ، فهو إنما هو لصيانتهم أهل العصيان ، وذلك لكمال شفقتهم على خلق الله تعالى كما هو معلوم ، وقد يكون لله مراد في حق شخص معين منهم من يريد الله أن ينقله من تلك الحالة ويرقيه إلى مراتب الأولياء ، وربما غلب على ذلك الولي بعض الأحوال القوية ، فخشي على عقله أن يذهب أو جسمه أن يتلف ، فأراد تعديل لطافة الحال بكثافتهم ، والله أعلم .

● ولا بد ما نذكر نبذة تتعلق بقطر حضرموت وحده ، ووجه تسميته ، وأقوال العلماء في ذلك ، وما اختص به من العجائب والفضائل خصوصاً بلدة

(١) ما بين الحاصرتين لم يرد في (ط) وورد في (م) فقط .

(٢) ما بين الحاصرتين لم يرد في (ط) وورد في (م) فقط .

(٣) ما بين الحاصرتين لم يرد في (ط) وورد في (م) فقط .

تريم تيمناً بذكرها وتتميماً للفائدة إذ كثير ممن ذكر في هذا التاريخ مات بهذه
البلدة المباركة ، وبعضهم مات بغيرها مثل : شبام ودوعان من بلاد
حضر موت .

فنقول : حَضَرَمَوْت ، بفتح الحاء والميم وسكون المعجمة ، بلد باليمن .
قيل : إن صالحاً لما هلك قومه جاء بمن معه من المؤمنين ، فلما وصل إليه
مات ، فقيل : حضر موت .

وذكر المبرد أنه لقب عامر جد اليمانية كان لا يحضر حرباً إلاً كثر فيه
القتلى ، فقال عنه من رآه : حضر موت بتحريك الضاد ، ثم كثر ذلك فسُكِّن .
كذا ذكره الحافظ السيوطي في حاشيته على صحيح مسلم .

وقال الإمام أبو بكر بن عبد الرحمن بن شراحيل الشبامي الحضرمي في
كتابه « مفتاح السِّنة » : حضر موت بلاد مشهورة متسعة من بلاد اليمن ، تجمع
أودية كثيرة ، وهو بضم ميمها . وقد اختص بهذا الاسم وادي ابن راشد طوله
نحو مرحلتين أو ثلاث إلى قبر هود عليه السلام ، ويطلق على بلاد كثيرة ،
وساحلها العين وبروم إلى الشُّحر ونواحيها ، ويحدها^(١) من جردان ونواحيها
إلى تريم إلى قبر هود عليه السلام وما وراء ذلك بلاد مهرة ، والأحقاف بلاد
عاد - جمع حقف - هو كثيب الرمل . ذكره الواحدي في « البسيط » في تفسير
الأحقاف .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : الأحقاف ، واد بين عمان ومهرة . وفي
سيرة ابن هشام : بلاد عاد بين حضر موت وعمان . وقيل : الأحقاف رملة
الشُّحر ، وليس بشيء إلا أن يراد بالرملة ما وراء جبل الشُّحر الذي عند ظفار
الحبوضي ، فثم رملة متصلة بطرف عمان [والإحساء]^(٢) والله سبحانه وتعالى
أعلم . انتهى .

(١) في (ط) : « ونجدها » .

(٢) ما بين الحاصرتين لم يرد في (ط) وورد في (م) فقط .

وقال القزويني في « عجائب البلدان » : حضرموت : ناحية باليمن مشتملة على مدينتين يقال لأحدهما شبام ، وللأخرى تريم ، وهي بقرب البحر وشرقي عدن [وأنهار]^(١) وأنها بلاد قديمة .

حكى رجل من أهل حضرموت قال : وجدنا بها فخاراً فيه سنبله حنطة [وامتلاً]^(٢) الطرف^(٣) منها وزنها كانت مناً وكل حبة منها كبيض دجاجة ، وكان في ذلك الوقت شيخ له خمسمائة سنة ، وله ولد له أربعمائة سنة ، وولد ولد له ثلاثمائة سنة ، فذهبنا إلى ابن الابن قلنا إنه أقرب إلى الفهم والعقل ، فوجدناه مبلداً لا يعرف الخير والشر ، فقلنا : إذا كان هذا حال ولد الولد فكيف حال الأب والجد؟ فذهبنا إلى صاحب أربعمائة [سنة]^(٤) فوجدناه أقرب إلى الفهم من ولده ، فذهبنا إلى صاحب خمسمائة سنة ، فوجدناه سليم العقل والفهم فسألناه عن حال ولد ولده ، فقال : إنه كانت له زوجة سيئة الخلق لا توافقه في شيء أصلاً ، فأثر فيه ضيق خُلُقها ودوام الغم بمقاساتها ، وأما ولدي فكانت له زوجة توافقه مرة وتخالفه أخرى . وهذا هو أقرب إلى الفهم منه . وأما أنا فلي زوجة موافقة في جميع الأمور مساعدة ، فلذلك سلم فهمي وعقلي . فسألناه عن السنبل ، فقال : هذا زرع قوم من الأمم الماضية ، كانت ملوكهم عادلة ، وعلماءهم أمناء ، وأغنياءهم أسخياء ، وعوامهم منصفة .

وذكر القزويني أيضاً : أنَّ بها القصر المشيد الذي ذكره الله تعالى في كتابه العزيز ، بناه رجل يقال له : صد بن عاد ؛ وذلك أنه لما رأى ما نزل بقوم عاد من الريح العقيم بنى قصراً لا يكون للريح عليه سلطان من شدة إحكامه ، وانتقل إليه هو وأهله ، وكان له من القوة ما كان يأخذ الشجرة بيده فيقلعها بعروقها من الأرض ، ويأكل من الطعام مأكول عشرين رجلاً من قومه ، وكان

(١) ما بين الحاصرتين لم يرد في (ط) وورد في (م) فقط .

(٢) ما بين الحاصرتين لم يرد في (ط) وورد في (م) فقط .

(٣) في (ط) : « الطرف » .

(٤) وردت في (م) فقط .

مغرماً بالنساء ، تزوج أكثر من سبعمائة عذراء ، وولد له من كل واحدة ذكر وأنثى ، فلما كثر أولاده طغى وبغى ، وكان يقعد في أعالي قصره مع نسائه لا يمر به أحد إلا قتله كائناً من كان حتى كثر قتلاه ، فأهلكه الله تعالى مع قومه بصيحة من السماء وبقي القصر خراباً لا يجسر أحد على دخوله لأنه ظهر فيه شجاع عظيم وكان يسمع من داخله أنين كآنين المرضى . وقد أخبر الله تعالى عنهم وعن أمثالهم بقوله : ﴿ فَكَأَيِّنْ مِن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْنَؤُ مَعَطَلَةٌ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾ [الحج : ٤٥] والبئر المعطلة كانت بعدن .

ثم ذكر : أن بحضرموت قبر هود النبي عليه السلام ، قال كعب الأحبار : كنت في مسجد رسول الله ﷺ في خلافة عثمان رضي الله عنه ، فإذا رجل قد رمقه الناس لطوله ، فقال : أيكم ابن عم محمد ﷺ ؟ قالوا : أي ابن عمه ؟ قال : ذلك الذي آمن به صغيراً ، فأتوا^(١) إلى علي رضي الله عنه . قال علي : ممن الرجل ؟ قال : من اليمن من بلاد حضرموت ، فقال : أتعرف موضع الأراك والسدره الحمراء التي يقطر من أوراقها ماء في حمرة الدم ؟ فقال الرجل : كأنك سألتني عن قبر هود عليه السلام . فقال علي : عنه سألتك حدثني ، فقال : مضيت في أيام شبابي في عدة من شباب الحي ، نريد قبره ، فسرنا إلى جبل شامخ فيه كهوف ومعنا رجل عارف بقبره ، حتى دخلنا كهفاً ، فإذا نحن بحجرين عظيمين قد أطبق أحدهما على الآخر ، وبينهما فرجة يدخلها رجل نحيف ، وكنت أنا أنحفهم ، فدخلت بين الحجريين ، فسرت حتى وصلت إلى فضاء واسع ، فإذا أنا بسرير عليه ميت ، وعليه أكفان كأنها الهوى ، فمسست بدنه فكان صلباً ، وإذا هو كبير العينين مقرون الحاجبين واسع الجبهة أسيل الخد طويل اللحية ، وإذا عند رأسه حجر على شكل لوح مكتوب عليه : « لا إله إلا الله محمد رسول الله ﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء : ٣٢] . أنا هود بن الجلود بن عاد ، رسول الله إلى بني

(١) في (م) : « فأوموا » .

عاد بن عوص بن سام بن نوح ، جثتهم بالرسالة وبقيت فيهم مدة عمري فكذبوني ، فأخذهم الله بالريح العقيم ، فلم يبق منهم أحد ، وسيجيء بعدي صالح بن كالج»^(١) فكذبه قومه ، فأخذتهم الصيحة . فقال له علي رضي الله عنه : صدقت ، هكذا قبر هود على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام .

ثم ذكر القزويني : أن بها - أي بحضرموت - بئر برهوت^(٢) وهي التي قال النبي ﷺ : « أن فيها أرواح الكفار والمنافقين » . وهي بئر عادية قديمة عميقة في فلاة وواد مظلم .

وعن علي رضي الله عنه : أبغض البقاع إلى الله تعالى وادي برهوت بحضرموت ، فيه بئر ماؤه أسود منتن ، تأوي إليه أرواح الكفار .

وذكر الأصمعي عن رجل حضرمي قال : إنا نجد من ناحية برهوت رائحة متنتة فظيعة [جداً]^(٣) ، فيأتينا الخبر أن عظيمًا من عظماء الكفار مات .

وحكى رجل أنه بات ليلة بوادي برهوت فقال : كنت أسمع طول الليل : يا دومة ، يا دومة . فذكرت ذلك لبعض أهل العلم ، فقال : إن الملك الموكل بأرواح الكفار اسمه دومة . انتهى .

وقال ابن الوردي في كتابه « خريدة العجائب » : حضرموت وهي شرقي اليمن ، وبها بلاد أصحاب الرس ، وكانت لهم مدينة تسمى « الرس » سميت بذلك باسم نهرها . ومن أرض حضرموت المشهورة سبأ التي ذكرها الله تعالى في القرآن العظيم ، وكانت مدينة [عظيمة وكان بها طوائف من أهل اليمن وعمان وتسمى مدينة]^(٤) مأرب وهو اسم تلك البلاد ، وبهذه المدينة كان السد الذي أرسل عليه سيل العرم . انتهى .

(١) في (ط) : « كابوح » وصوابه في (م) .

(٢) ذكره في « عجائب المخلوقات » (١١٨ / ٢) .

(٣) ما بين قوسين زيادة في (ط) .

(٤) ما بين الحاصرتين لم يرد في (ط) وورد في (م) فقط .

وقال القزويني : سبأ : مدينة كانت بينها وبين صنعاء ثلاثة أيام ، بناها سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، كانت مدينة حصينة كثيرة [الأهل طيبة الهوى عذبة الماء كثيرة]^(١) الأشجار لذيدة الثمار كثيرة أنواع الحيوان . وهي التي ذكرها الله سبحانه في كتابه العزيز بقوله : ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَمْ بَلَدَةٍ طَيِّبَةٍ وَرَبِّ غَفُورٍ﴾ [سبأ : ١٥] . ما كان يوجد بها ذباب ولا بعوض ولا شيء من الهوام كالحية والعقرب ونحوها ، وقد اجتمعت في ذلك الموضع مياه كثيرة من السيول فتمشي بين جبلين ، فبنوا بين الجبلين سداً من الصخر والقار ، ونزل الماء العظيم خارج السد ، وجعلت في السد مشاعب أعلى وأوسط وأسفل ليأخذوا من الماء كلما احتاجوا إليه ، فحرث داخل السد ودام سقيها ، فعمرها الناس وبنوا وغرسوا وزرعوا ، فصارت أحسن بلاد الله وأكثرها خيراً ، كما قال تعالى : ﴿جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ [سبأ : ١٥] ، وكان أهلها إخوة وبني عم حمير وكهلان ، فبعث الله تعالى إليهم ثلاثة عشر نبياً ، فكذبوهم ، فسلط الله تعالى الجرذ على بلدهم . انتهى .

وقال في موضع آخر : مأرب : كورة بين حضرموت وصنعاء لم يبق بها العامر إلا ثلاث قرى يسمونها الدروب ، كل قرية منسوبة إلى قبيلة من اليمن ، وهم يزرعونها على الماء الذي جاء من ناحية السد ، يسقون أرضهم سقية واحدة ، ويزرعون عليه ثلاث مرات في كل عام ، ويكون بين زرع الشعير وحصاده في ذلك الموضع نحو شهرين ، وكان بها سيل العرم الذي جرى ذكره في سبأ ، فغرقت البلاد حتى لم يبق إلا ما كان على رؤوس الجبال ، وذهبت الحدايق والجنان والضياع والدور ، وجاء السيل بالرمل فطمها ، وهي على ذلك إلى اليوم كما أخبر الله تعالى : ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ [سبأ : ١٩] . والعرم : المسناة ، بنتها ملوك اليمن بالصخر والقار حاجزاً بين

(١) ما بين الحاصرتين لم يرد في (ط) وورد في (م) فقط .

السيول والضياع ، ففجرتة فأرة فيكون أظهر في الأعجوبة .

قال ابن الوردي : وكان من حديثه أن امرأة كانت رأت في منامها أن سحابة غشيت أرضهم فأرعدت وأبرقت ثم أصعقت ، فأحرقت كل ما وقعت عليه ، فأخبرت زوجها بذلك ، وكان يسمى عمرو بن عامر ، فذهب إلى سد مأرب ، فوجد الجرذ وهو الفأر يقلب برجليه حجر لا يقلبه إلا خمسون رجلاً ، فراه ما رأى وعلم أنه لا بد من كائنة تنزل بتلك القرية ، فرجع فباع جميع ما كان له بمأرب وخرج هو وزوجته وولده منها ، وأرسل الله تعالى الجرذ على ذلك السد الذي يحول بينهم وبين الماء فأغرقهم ، وهو سيل العرم فهدم السد ، وخرج إلى تلك الأرض فأغرقها كلها ، وهو السد الذي بناه لقمان الأكبر بن عاد ، بناه بالصخر والرصاص فرسخ في فرسخ ليحول بينهم وبين الماء ، وجعل فيه أبواباً ليأخذوا من مائه ما يحتاجون إليه . انتهى .

وذكر القزويني في « عجائب البلدان » ما يقرب من ذلك قال : إن سيادة اليمن كانت [لولد حمير ولولد كهلان]^(١) ، وكان كبيرهم عمران بن عامر ، وكان جواداً عاقلاً ، وكان له ولأقاربه من الحداثق ما لم يكن لأحد من ولد قحطان ، وكانت عندهم كاهنة اسمها « طريفة » قالت لعمران : والظلمة والضياع والأرض والسماء ليقلبن إليكم الماء كالبحر إذا طما فيدع أرضكم خلاء ، يسفي عليها الصبا ، فقالوا لها : فجعتينا بأموالنا فبيئي لنا مقاتلتك ، فقالت : انطلقوا إلى رأس الوادي لترون الجرذ العادي يجر كل صخرة صبحاء بأنياب حداد وأظفار شداد . فانطلق عمران في نفر من قومه حتى أشرفوا على السد ، فإذا هم بجرذ أحمر يقلع الحجر الذي لا يستقله رجال ويدفعه بمخالب برجليه إلى ما يلي البحر ليفتح السد ، فلما رأى عمران ذلك علم صدق قول الكاهنة وقال لأهله : اكنموا هذا القول من بني عمكم حمير لعننا نبيع حداثقنا منهم ونرحل عن هذه الأرض ، ثم قال لابن أخيه حارثة : إذا كان الغد واجتمع

(١) ما بين القوسين زيادة من (ط) .

الناس أقول لك قولاً خالفني ، وإذا شتمتك ردها عليّ ، وإذا ضربتك فاضربني مثله ، فقال : يا عم كيف ذلك ؟ فقال عمران : لا تخالف ، فإن مصلحتنا في هذا .

فلما كان الغد واجتمع عند عمران أشراف قومه وعظماء حمير ووجوه رعيته ، أمر حارثة أمراً فعصاه ، فضربه بمخصرة كانت بيده ، فوثب عليه حارثة فلطمه ، فأظهر عمران الغضب وأمر بقتل ابن أخيه ، فوقع في حقه الشفاعات ، فلما أمسك عن قتله حلف أن لا يقيم في أرض أمتهن بها ، وقال وجوه قومه : ولا نقيم بعدك يوماً ، فعرضوا ضياعهم على البيع ، فاشتراها بنو حمير بأعلى الأثمان ، فارتحل عن أرض اليمن ، فجاء السيل بعد رحيلهم بمدة يسيرة ، فخربت البلاد كما قال تعالى : ﴿ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾ [سبا : ١٦] . فتفرقوا في البلاد ، ويضرب بهم المثل يقال : « تفرقوا أيادي سبا »^(١) . وكانوا عشرة أبطن : ستة تيامنوا ، وهم : كندة والأشعريون والأزد ومذحج وأنمار وحمير ، وأربعة تشاموا ، وهم : عامرة وجذام ولخم وغسان . وكانت هذه الواقعة بين مبعث عيسى ونبينا ﷺ . انتهى .

وذكر صاحب كتاب « المستبصر » في الكلام على سد مأرب : أن أهل شداد وعاد سدّت بين منفذ جبلين بالحجر والرصاص ، وصعدوا في ارتفاعه إلى أن حاذى الحائط ذروة الجبلين ، فصارت السيول تقلب فيه الماء ليستجمع إلى أن رجع مسدوداً ، وكانوا يسقون منه أراضيهم وأنعامهم ، ويقال : إنهم كانوا يسقون منه إلى قرب الشام بساتين ذات أعناب ونخيل وزرع وقرى متصلة بعضها ببعض ، وبقي الإقليم عامراً إلى أن أخربه الله ، وكان الموجب لذلك ما ذكره الداري ، قال : خرجت قافلة من الشام وإذا بفأر قفز من الأرض وركب ظهر جمل من بعض الجمال التي في القافلة ، ولا زال ينتقل من جمل

(١) مثلٌ مشهور . ذكره الميداني في « مجمع الأمثال » (١ / ٢٧٥) .

إلى جمل ويعبر منزلاً بعد منزل إلى أن وصل مدينة مأرب ، فقفز الفأر من الجمل ودخل السد وصار يعمل فيه عمله .

ويقال : إن النعمان بن المنذر خرج يوماً في طلب الصيد ، فحصل في طرد الصيد ، فوجد الفأر بأنياب حديد يحفر السد ، فلما رجع إلى أبيه المنذر قص عليه حكاية الفأر وصفة أنيابه أنها من حديد يحفر بها السد . فقال المنذر : صح يا بني ما وجدناه في الكتب أن ما يخرب سد مأرب إلا فأر أنيابه من حديد ، وأريد منك إذا دخلنا يوم الأحد إلى الدير والكنائس والناس فيه مجتمعون قم إليّ وشاكلني في أمر من الأمور وطوّل ، وها أنا أشاقلك عليك ، فإذا رأيت الأمر قد طال قم الطمني براحة كفك على خدي . قال النعمان : وكيف يمكن ذلك؟ قال : يا بني افعل ما أمرتك به لأن لي فيه رأياً ، ولك فيه مصلحة ، ففعل الولد ما أمره به والده ، فلما لطم الشيخ غضب من الحين وسمي المظلوم ، فقام الشيخ إلى الجميع وقال : يا وجوه العرب ما بقي لي معكم سكن . قالوا له الجميع : ولم؟ قال : وكيف أقيم وصبي كسر حشمتي بينكم وحرمتي؟! ومن ساعته نادى على السد فتألبت والتأمت قبائل العرب في شرائه قالوا : بكم؟ قال : تغمدوا سيفي هذا ، وغرس ذباب سيفه على الأرض ، وصارت العرب تنقل الذهب والفضة والمصاغ إليه ، ولا زالوا على حالهم يصبون الذهب إلى أن غمد سيفه بالذهب ، فأخذ الشيخ المال وصعد الجبل وسكن مقابل السد - والجبل يسمى « حفاً » - هو وأهله ينتظرون خراب السد ولما تمكن الفأر من السد وخرقه أخر به وخرج السيل .

ثم قال : حدثني سلامة بن محمد بن حجاج قال : لما وقع السد أخذ الماء في جملة ما أخذ ألف صبي أمرد على ألف حصان أبلق غير البيض والشقر والدُّهم والخضر ، وقال الشاعر : [من الطويل]:

تَهْدَمُ سَدُّ الْمَآبِئِينَ وَقَدْ مَضَى زَمَانٌ وَهُوَ يَنْقَادُ حَيْثُ يُقَادُ

وإلى مأرب أربع فراسخ ، وتسمى الحضين . ومن هذا البلد نقلت الجن عرش بلقيس إلى أرض فارس في زمن سليمان بن داود عليهما الصلاة

والسلام ، كما قال الله عز وجل ﴿ أَهَكَذَا عَزَّشْتُ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ﴾ [النمل : ٤٢] فلما اندق السد أخذه في جملة ما أخذ ، فلما زال شر الماء دارت الخلق على موضعين سليمين منه سوران يسمى أحدهما درب الأعلى ، والثاني درب الأسفل .

ثم قال : ويقال إن مدينة مأرب بناها سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، ويقال : عابر وهو هود عليه الصلاة والسلام ، ويقال : إنما سمي سد مأرب لأن قوم عاد لما سلط الله عليهم الريح العقيم ، وكان يقف على السد كل يوم كذا وكذا من رجل^(١) ليردوا عن أصحابهم البلاء ، وكانت الريح تضرب بعضهم على بعض كما قال عز وجل ﴿ مَا نَذِرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرَّمِيمِ ﴾ [الذاريات : ٤٢] فبنوا السد ليرد عنهم قوة الماء ، فلما غدت تلك الأمة اجتمع السيول فيه وكثرت المياه فبقي جرياً للماء ، فبنى عليه قرى وعمارات وزراعات إلى حدود الشام ، وكان يسقي منه جميع ذلك ، فقتل ولد لحصيص بن حصين في مأرب ، وأمسى علمه في حضرموت مسيرة ثمانية أيام ؛ لأن كل ناطور زرع كان يخبر صاحبه الخبر حتى اتصل بحضرموت يعني في مقدار يوم في ذلك من عمارة البلاد وكثرة العباد . انتهى .

قال ابن الوردي في « الخريدة » : وكانت أرض مأرب من بلاد اليمن مسيرة ستة أشهر متصلة العمائر والبساتين ، وكانوا يقبسون النار بعضهم من بعض ، وإذا أرادت المرأة الثمار وضعت مكتلها على رأسها وخرجت تمشي بين الأشجار وهي تغزل الصوف ، فلا ترجع إلا والمكتل ملآن من الثمار التي بخاطرها من غير أن تمس شيئاً بيدها البتة ، وكانت أرضهم خالية من الهوام والحشرات وغيرها ، فلا توجد فيها حية ولا عقرب ولا بعوض ولا ذباب ولا قمل ولا براغيث ، وإذا دخل الغريب أرضهم وعليه في ثيابه شيء من القمل والبراغيث هلكوا في الوقت والحين ، وذهب ما كان في ثيابه من ذلك بقدرة

(١) في (ط) : « مجله » وصوابه في (م) .

قادر ، وأذهب الله جميع ما كان فيها ولم يبق من أرضهم إلا الخمط^(١) والأثل وهو الطرفاء^(٢) والأراك^(٣) وشيء من سدر^(٤) قليل ، قال الله عز وجل ﴿ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكَفُورُ ﴾ [سبا : ١٧] وسبأ الآن خراب ، وكان بها قصر سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ، وقصر بلقيس زوجته وهي ملكة تلك الأرض التي تزوجها سليمان ، وقصتها مشهورة . وبأرضها جبل منيع صعب المرتقى لا يصعد إلى أعلاه إلا بالجهد العظيم ، وفي أعلاه قرى عظيمة عامرة ، ويساتين وفواكه ونخل مثمر وخصب كثير ، وبهذا الجبل أحجار العقيق وأحجار الجشب^(٥) وأحجار الجزع ، وهي مغشاة بأغشية ترابية لا يعرفها إلا طالبها ، ولهم في معرفتها علامات ، فتصقل فيظهر حسننها . انتهى والله أعلم .

قال القزويني : إرم ذات العماد : بين صنعاء وحضرموت من بناء شداد بن عاد^(٦) .

روي أن شداد بن عاد كان جباراً من الجبابرة لما سمع بالجنة وما وعد الله فيها أوليائه من قصور الذهب والفضة والمساكن التي تجري من تحتها الأنهار والغرف التي فوقها غرف قال : إني متخذ في الأرض مدينة على صفة الجنة ، فوكل بذلك مائة رجل من وكلائه تحت كل وكيل ألف من الأعوان وأمرهم^(٧) أن يطلبوا أفضل فلاة [من الأرض]^(٨) من أرض اليمن ويختاروا أطيبها تربة ،

(١) الخمط ، المرء ، قال الزجاج : « يقال لكل نبت قد أخذ طعماً من مرارة حيث لا يمكن أكله خَمَطٌ » (اللسان) (خمط) .

(٢) الطرفاء من الحمض ، وقد تتحمض بها الإبل إذا لم تجد حمضاً غيره (اللسان) (طرف) .

(٣) الأراك : شجر السَّوَاك .

(٤) السدر : شجر له شوك .

(٥) في (ط) : « الجشب » وما أثبتناه عن (م) .

(٦) في (ط) : « عامر » وهو خطأ وصوابه عن (م) والآتي من النص .

(٧) في (ط) : « ولغيرهم » وصوابه في (م) .

(٨) ما بين القوسين زيادة من (ط) .

وممكنهم من الأموال ، ومثل لهم كيفية بنائها ، وكتب إلى عماله في سائر البلدان أن يجمعوا جميع ما في عددهم من الذهب والفضة والجواهر ، فجمعوا منها صبراً مثل الجبال ، فأمر باتخاذ اللبّن من الذهب والفضة ، وبنى المدينة بها ، وأمر أن يفصص حيطانها بجواهر الدر والياقوت والزبرجد ، وجعل فيها غرفاً فوقها غرف أساطينها من الزبرجد والجزع والياقوت .

ثم أجرى إليها نهراً ساقه إليها من أربعين فرسخاً تحت الأرض ، وظهر في المدينة ، فأجرى من ذلك النهر السواقي في السكك والشوارع ، وأمر بحافتي النهر والسواقي فطليت بالذهب الأحمر ، وجعل حصباه أنواع الجواهر الأحمر والأخضر والأصفر ، ونصب على حافتي السواقي والنهر أشجاراً من الذهب ، وجعل ثمارها من اليواقيت والجواهر ، وجعل طول المدينة اثني عشر فرسخاً وعرضها مثل ذلك ، وصيّر سورها عالياً مشرفاً ، وبنى فيها ثلاثمائة قصر مفصصاً بواطنها وظواهرها بأصناف الجواهر .

ثم بنى لنفسه على ذلك النهر قصراً منيفاً عالياً يشرف على تلك القصور كلها ، وجعل ماءها يشرع إلى واد رجب ، ونصب عليه مصراعين من ذهب مفصص بأنواع [الجواهر]^(١) واليواقيت ، وجعل ارتفاع البيوت والصور ثلاثمائة ذراع ، وجعل تراب المدينة من المسك والزعفران ، وجعل خارج المدينة مائة ألف قنطرة أيضاً رصعت بالذهب والفضة لينزلها جنوده ، ومكث في بنائها خمسمائة عام^(٢) ، فبعث الله تعالى هوداً عليه الصلاة والسلام ، فدعاه إلى الله تعالى ، فتمادى في الكفر والطغيان ، وكان إذ ذاك تمّ على ملكه سبعمائة سنة ، فأنذره هود بعذاب الله تعالى ، وخوّفه بزوال ملكه ، فلم يرتدع عما كان عليه . وعند ذلك وافاه الموكلون ببناء المدينة وأخبروه بالفراغ منها ، فعزم

(١) ما بين القوسين زيادة في (ط) .

(٢) لا يخفى على القارئ ما في هذه الرواية من مبالغات وخرافات لا تصدّق ، فذهب الأرض جميعاً لا يكفي لمثل هذه الأعمال ناهيك عن المسك والزعفران اللذين جعلتا تراباً للمدينة ، ولم يسمع أحد عن بيوت ارتفاعها ثلاثمئة ذراع .

على الخروج إليها في جنوده وخرج في ثلاثمائة ألف رجل من أهل بيته ،
 وخلف على ملكه مرثد بن شداد ابنه ، وكان مرثد - فيما يقال - مؤمناً بهود عليه
 الصلاة والسلام ، فلما انتهى شداد إلى قرب المدينة بمرحلة جاءت صيحة من
 السماء مات هو وأصحابه وجميع من كان في أمر المدينة من القهارمة والصناع
 والفعلة ، وبقيت لا أنيس بها ، فأخفاها الله تعالى لم يدخلها بعد ذلك إلا رجل
 واحد أيام معاوية رضي الله عنه يقال له عبد الله بن قلابة^(١) فإنه ذكر في قصة
 طويلة تلخيصها :

أنه خرج من صنعاء في طلب إبل ضلت ، فأفضى به السير إلى مدينة صفتها
 ما ذكرناه ، فأخذ منها شيئاً من المسك والكافور وشيئاً من الياقوت ، وقصد
 الشام وأخبر معاوية بالمدينة ، وعرض عليه ما أخذه من الجواهر ، وكانت قد
 تغيرت بطول الزمان ، فأحضر معاوية كعب الأخبار وسأله عن ذلك فقال : هذه
 إرم ذات العماد التي ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز ، بناها شداد بن عاد ،
 لا سبيل إلى دخولها ولا يدخلها إلا رجل واحد وصفته كذا وكذا ، وكانت تلك
 الصفة صفة عبد الله بن قلابة فقال له معاوية : أما أنت يا عبد الله ، فأحسن
 النصيح ولكن لا سبيل إليها ، وأمر له بجائزة .

وحكي أنهم عرفوا قبر شداد بن عاد بحضرموت وذلك أنهم وقعوا في
 حفيرة وهي بيت في جبل منقور^(٢) مائة ذراع في أربعين ذراعاً ، وفي صدره
 سرير عظيم من ذهب عليه رجل عظيم الجسم وعند رأسه لوح فيه مكتوب
 شعر : [من مجزوء الرمل] :

اعتبر يا أيها المغ	رور بالعمر المديد
أنا شداد بن عاد	صاحب القصر المشيد
وأخو القوة والبأ	ساء والملك الحشيد

(١) في (ط) : « قدامة » وما أثبتناه عن (م) .

(٢) في (ط) « تنور » وهو خطأ وصوابه في (م) .

دان أهل الأرض طرّاً [لي] من خوف وعيدي^(١)
فأتى هود وكنا في ضلال قبل هود
فدعانا لو قبلنا هـ إلى الأمر الرشيد
فعصيناه ونادى لنا ألا هل من مجد
فأتننا صيحة تهـ سوي من الأفق البعيد
فثوينا مثل زرع وسط بيداء حصيد

وكفى حضرموت من الشرف العظيم ، والمجد الفخيم ، والفخر الذي لا يبلى ويبعد ، بل ينمو ويزيد ، أن الإمام شيخ الإسلام مجتهد زمانه الشيخ أبا الحسن^(٢) البكري الصديقي ذكر في تفسيره عند قوله تعالى ﴿ وَإِنْ مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ الآية [مريم : ٧١] . يستثني من ذلك أهل حضرموت لأنهم أهل ضنك في المعيشة^(٣) .

وروي عن الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي ، رضي الله عنه ، أنه أرسل ولده عبد الرحمن من مكة المشرفة إلى حضرموت لزيارتها ، فله عاد إليه سألهم عنهم ، فقال له : رأيتم لا يحصون كثرة ، ورأيت أنوارهم شرقة كالشمس وأنشد : [من الطويل]:

مررتُ بوادي حَضْرَموت مُسَلِّماً فألفيته بالبشرِ مُبْتَسِماً رَحْباً
وألفيتُ فيها من جهابذة العُلا أكابر لا يُلقَوْنَ شَرْقاً ولا غَرْباً

وأما « تريم » التي قدرها كوزنها عظيم - وهي بتاء مثناة فوقية ثم راء مكسورة ثم ياء تحتية بعدها ميم - بلدة بحضرموت ، وهي أعدل أرض الله هواء

(١) ما بين قوسين زيادة من (ط) ولا بد منها لإقامة الوزن .

(٢) في (م) : « والشيخ أبو الحسن » وهو خطأ .

(٣) لا دليل للشيخ - فيما نعلم - على استثناء أهل حضرموت من الورود الذي ذكره الله سبحانه وتعالى في الآية الكريمة ربما أن هذا الورود ليس بضار للمتقين من أهل حضرموت وغيرهم لقوله عز وجل عقب الآية السابقة ﴿ ثُمَّ نَجَّى الَّذِينَ آمَنُوا أَنفُسَهُمْ وَأَنقَرُوا الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثَا ﴾ [مريم : ٧٢] .

وأصحبها تربة ، وأعذبها ماء ، وهي قديمة يقال إنها كانت في قديم الأيام عامرة جداً ، وأما الآن فهي ضعيفة إلى الغاية ، ولأجل ضنك المعيشة بها وقع من الشيخ أبي الحسن البكري ذلك القول في حق أهلها ، وهذا لعمرى من جملة محاسنها ، إذ القاطنون بها دائماً كأنهم في رياضة ، ولهذا يفتح على كثير منهم بأدنى توجه وإقبال على الله . فزوى الله عنهم أسباب البطر والأشر من حيث لا يشعرون ، ومن العصمة أن لا تقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون . والظاهر أن سبب خرابها سيل العرم الذي أرسله الله تعالى على سبأ ، فانقطعت عنها المياه التي كان يزرع عليها ، فسبحان من يقلب الأمور ، ولم يتغير بتغير الدهور ، ولم يوجد الآن بها من الفواكه غير التمر ، وهو كثير عندهم بحيث أنه غالب قوت البلد ، وعلى أنواع مختلفة ، فهي باعتبار كثرة النخيل بها كأنها جنة . شعر : [من الطويل]:

كَأَنَّ النَّخِيلَ الْبَاسِقَاتِ وَقَدْ غَدَّتْ مَنَاطِرُهَا حُسْنًا قَبَابَ زُبُرْجَدٍ
وَقَدْ عَلِقَتْ مِنْ قَبْنِهَا زِينَةً لَهَا قَنَادِيلُ يَاقُوتَ بَأْمَرِاشٍ عَسَجَدٍ^(١)

وقيل : إنه كان بها عيون كثيرة ، والذي سدها معن بن زائدة الشيباني الجواد ، فعد ذلك من سيئاته . وسبب ذلك فيما ذكروا ، أن أخاه كان والياً عليها وكان فاسقاً ، فقتله أهلها بسبب ذلك ، فغضب معن لذلك ، وأمر بسد العيون التي كانت فيها ، فسدت بالرصاص ، وحكم على أهلها بكشف الرؤوس ولبس السواد ، فمن ثم جرت عادتهم بذلك ، بل صار اليوم لبس السواد عندهم من جملة الزينة ، حتى إن أهل الورع يُحذِّرون منه .

وحكي أن بعض المغاربة جاء إلى حضرموت في زمن السلطان بدر الكثيري ، وأراد أن يفتح فيها بعض العيون ، ثم أن السلطان خاف أن يطمع فيها الأروام إذا قويت ، فترك ذلك بعد أن كان عزم عليه ، وبنهاا تريم بن

(١) في (ط) : « .. من قبتها » وصوابه في (م) وأراد حملها المجتمع على نفسه .
والأمراش : المسایل . والعسجد : الذهب . اللسان (قبن ، مرش) .

حضر موت ، فسميت باسمه ، وقيل : أسعد الكامل . وللفقيه محمد بن أبي
الحب قصيدة في صفتها وخواصها منها [من الوافر]:

نَسِيمٌ جُنُوبَهَا أَبْدَاً صَحِيحُ	وَطَبْعُ الْجَوِّ فِيهَا مُسْتَقِيمُ
وَطَبْعُ بِيَارِهَا فِي الصَّيْفِ بَرْدُ	وَأَيَّامُ الشِّتَاءِ هِيَ الْحَمِيمُ
تَعَادَلْ حَرُّهَا وَالْبَرْدُ فِيهَا	فَلَا حَرٌّ يَضُرُّ وَلَا سَمُومُ
وَطَبْعُ الْبَرْدِ فِيهَا فِيهِ لُطْفُ	بَطِيبِ نَسِيمِهِ تَنَمُّو الْجِسْمُ
وَحَرُّ الشَّمْسِ فِيهَا لَيْسَ يُؤْذِي	وَبَرْدُ شِتَائِهَا أَبْدَاً سَلِيمُ
بِلَادُ طَابَ مَسْكُنُهَا وَطَابَتْ	مُبَارَكَةٌ لَهَا رَبُّ رَحِيمُ
فَلَوْ نَظَرْتَ فَلَا سِفَةَ إِلَيْهَا	لَقَالُوا جَنَّةُ الدُّنْيَا « تَرِيمُ »

وسماها الشيخ القطب عمر المحضار^(١) ابن الشيخ عبد الرحمن السقاف في
بعض قصائده بلاد الطب . قال بعضهم : شملت هذه الكلمة من الشيخ عمر -
رضي الله عنه - الطين جميعاً طب القلوب ، وطب الأبدان .

ولي : [ترى صاحبي أفوز بزورة من تريم ، وأظفر بالمانا قال لي تبلغ
ما ترم سيدي من الريم ، وتحظى بالهنا] .

وما أحسن قول الشيخ عبد المعطي با كثير - رحمه الله - في صفتها : [من
الرجز]:

أَرْضاً غَدَتْ تُفَاخِرُ السَّمَاءَ	كَذَا حَصَاهَا فَاخِرَ الْجَوَازِ
أَرْضاً يَنَالُ كُلٌّ مِنْ أَمٍّ لَهَا	كَرَامَةٌ فَوْقَ الَّذِي أَمَلَهَا
وَتَرْبُهَا غَدَا يُضَاهِي الْمِسْكَ	لِلزَّغْفَرِ الْجَنَوِيِّ يَخْكِي
قَدْ أَشْرَقَتْ مِنْ سَائِرِ النَّوَاحِي	عَلَى الْمَلَا بِنُورِهَا الْوَضَاحِي

وهي معشر الأولياء ومعدنهم ، ومنشأ العلماء وموطنهم ، وهي مسكن
السادة الأشراف آل با علوي ، فإن جدهم أحمد بن عيسى لما قدم إلى

(١) في (ط) : « المحضار » بالخاء ، وما أثبتناه عن (م) .

حضر موت سكن قارة بني^(١) جشير - بكسر الجيم والشين المعجمة وبعدها ياء مثناة من تحت ساكنة ثم راء - يعرف اليوم ببيت بني جشيب بالباء الموحدة ، على نصف مرحلة من تريم . ثم انتقل منها إلى الحُسيّسة - بضم الحاء المهملة وفتح السين وياء مثناة من تحت بينهما مشددة مكسورة - قريب منها ، واشترى بها عقاراً كثيراً ، وبها توفي ودفن في شعبها الشرقي .

ثم إن ولده الشيخ عبد الله انتقل إلى سُمَل - بضم السين المهملة وفتح الميم - وسكنها مدة زمان ، واشترى بها أموالاً كثيرة ، وهي على نحو ستة أميال من تريم ، وحكي أن وفاته كانت بها ، ثم انتقل أولاده منها إلى بيت جُبَيْر - بضم الجيم وفتح الباء الموحدة وإسكان الياء المثناة من تحت وراء بعدها - قريب منها فسكنوها مدة ، ثم انتقلوا إلى تريم وسكنوا بها وتوطنوها من سنة إحدى وستين وخمسائة إلى يومنا هذا ، فازدادت بهم شرفاً وفخراً إلى فخرها ، وازدهت بهم أقطارها ، واخضرت أشجارها ، وأشرقت بدورها ، وفاح عبيرها ، وأنشد قائلها : [من البسيط]:

أشْمُ مِنْكَ نَسِيماً لَسْتُ أَعْرِفُهُ مَا ضَرَّ لِمِاءٍ جَرَّتْ فِيكَ أَذْيَالاً
[غيره]^(٢) : [من البسيط]:

تحيا بهم كلُّ أرضٍ ينزلون بها كأنهم لِخَرَابِ الْأَرْضِ عُمَّارُ
ولما كانت خير بلاد الله بعد الحرمين الشريفين وبيت المقدس أكرمها الله تعالى بخير عباده ، وأكرمهم عليه الذين زينهم باتباع السنة الغراء ، مع صحة نسبهم المتصل بالسيدة الزهراء ، الذي عز وجود نظيره في غيرهم ، فكاد لا يوجد الشريف السني إلا نادراً . هذا مع ما خصوا به واشتهر عنهم [من العبادة ، والعلم والتواضع والزهد ، فأدناهم والمقصر منهم]^(٣) في أموره هو

(١) في (ط) : « فابتنى » وما أثبتناه عن (م) .

(٢) ما بين قوسين زيادة من (ط) .

(٣) ما بين القوسين زيادة من (ط) .

الشریف السَّني رضي الله عنهم ونفع بهم آمين . والله در من قال : [من الكامل]:

طَابَتْ « تريم » بهم وطاب محلّها
تَخْتَالُ زَهْوَاً فِي الْعِرَاصِ لِحُسْنِهَا
أَضَحَتْ تريم بهم عَرُوساً تُجْتَلَى تَزَكُو^(١) عَيْراً نَشْرُهُ يَتَرَدَّدُ
يَا رَبِّع سَلَمَى رَحْمَةً وَتَحِيَّةً مَنِّي عَلَيْكَ مَدَى الزَّمَانِ تُرَدَّدُ

ويذكر أنها تنبت الصالحين كما تنبت الأرض البقل ، واجتمع بها في عصر واحد من العلماء الذين بلغوا رتبة الإفتاء ثلاثمائة رجل . وأنَّ بمقبرتها جماعة ممن شهد بدرأ مع رسول الله ﷺ وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم ، وأن عددهم سبعون نفرأ . وكان الشيخ عبد الرحمن السقاف - رضي الله عنه - إذا زار قبور تريم يشير إلى مكان قبورهم في محل مخصوص هناك . وروي عنه أنه قال : في تربة آل با علوي ثمانون قطبأ كلهم أشراف .

وروي عن بعض الصالحين أنه قال لرجل من أهل تريم : أتعرف الفريط الأحمر والجبل الأحمر ؟ فقال له : نعم . فقال : إِنَّ تحته روضة من رياض الجنة .

وروي عن الشيخ فضل بن عبد الله أنه قال : ثلاث ترب محمولات بترابهم إلى الجنة ، تربة تريم ، وتربة الهجرين ، وتربة غيل أبي سودان .

ويقال : إِنَّ أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - دعا لها بثلاث دعوات : أن يكثر بها الصالحون ، وأن يبارك الله فيما بها ، وأن لا تطفأ بها نار إلى يوم القيامة . ومعناه : أن لا تزال عامرة إلى يوم القيامة . وذلك حين بلغه أنَّ أهلها لم يرتدوا كغيرهم من العرب الذين ارتدوا بعد موت رسول الله ﷺ ، ولذا قيل لها مدينة أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

وروي أنَّ الفقيه محمد بن أبي بكر عباد - رحمه الله - كان يقول : إذا كان

(١) في (ط) : « تذكر . . . » وهو خطأ .

يوم القيامة أخذ أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - أهل تريم كلهم قبضة في يده ورمى بهم في الجنة .

وبها مساجد كثيرة مشهورة البركة ، منها المسجد المعروف بمسجد آل با علوي .

وقد نظم السبعة الذين يعتقد أهل زبيد أن من زارهم سبعة أيام متوالية قضيت حاجته ، الشيخ علي بن أبي بكر في معرض الثناء عليهم ، ثم التعريف بأن في بلدة تريم الجم الغفير ممن هم بهذا الوصف الخطير ، فقال رحمه الله ورضي عنه وعن سائر الصالحين وعنا بهم آمين : [من الطويل]:

لبابِ سهامِ سَبْعَةٍ مِنْ مشايخ	لِقاصِدِهِمْ دُخْرٌ ^(١) وَكَنْزٌ لِمَقْلَلِ
فيونس إبراهيم مرزوق جبرتي	وأفلح صياد كذا ابن الرّضي الولي
زيارتهم نَجَحُ كُلِّ حوائجِ	وفي الخُلْدِ سُكْنَى لِلَّذِي زَارَ مُقْبَلِ
تريمُ بها منهم ألوف عديدة	بساحة بشار شمسُ الهدى قَلْبًا ^(٢)
زيارةُ كلِّ منهمُ صَحَّ أنها	لما شئت من جَلْبٍ وَدَفْعٍ مُحْصَلِ
وإن قيلَ تَريقًا ببغدادَ جُربًا	ففي ربع بشار شفا كلُّ مُعْضَلِ
ويا حَبْذا ذاك القَريطِ وظلّه	فكم قد حَوَى من كاملِ السرِّ منهلِ
فكم مَعدِنٍ كم مَورِدٍ كم معظم	وكم جبرٍ تحقيقٍ وشيخ مدللِ
وبلبل قلبي نفح مسك بزنبِل ^(٣)	بها من كنوز السرِّ كم من مجلِّلِ
وكم جبهة فيها بنوا كدراتها	بهم ينزل الله الغيوثَ لممحل ^(٤)

(١) في (ط) : « فخرٌ » .

(٢) هذا البيت زيادة من (ط) .

(٣) في (م) : « مسك برسل » .

(٤) رواية الشطر الأول في (ط) « وكم جهبذ فيها بنوا كدرَ بها » ومعناه غير واضح وما أثبتناه عن (م) ما عدا الكلمة الأخيرة فصورتها ثمة « .. كدرتها » ولا يستقيم بها الوزن ، ولعل الصواب ما أثبتناه .

فلا تَحْقِرَنَّهَا رَبُّكَ أَشْعَثَ خَامِلٍ سَمَا سِرَّهُ فَضلاً عَلَى كُلِّ مُفْضِلٍ

● وفيها : في ليلة الثلاثاء رابع عشر شوال توفي الشيخ الكبير والعلم الشهير والقطب الربّاني شمس الشموس الشيخ أبو بكر بن عبد الله العيدروس با علوي^(١) بعدن ، فصارت به على الحقيقة عدناً ، وأكرمها الله به حياً وميتاً وسكوناً وسكناً كما قيل : [من الخفيف]:

صَارَ دَالِ اسْمِهَا كَمَا كَانَ فِيهَا سَاكِنًا سَاكِنًا فَدَامَ التُّزُولُ
فَبِهِ التُّغُرُ وَالْجِهَاتُ جَمِيعًا عَمَّهَا الثُّورُ وَالْبَهَا وَالْقَبُولُ
فَابْشُرُوا أَيُّهَا النَّزُولُ « بَعْدِنِ » بِسَلَامٍ مِنْ رَبِّكُمْ لَا يَزُولُ
وقبره بها أشهر من الشمس الضاحية ، يقصد للزيارة والتبرك من الأماكن البعيدة .

وقد ضَمَّنَ صاحبنا الفقيه عبد الله بن أحمد بن فلاح تاريخ عام وفاته في بيتين فقال : [من المتقارب]:

قَضَى جَاتِرَاهُ وَقِيَا بَعَامٍ وَفَاةَ الْوَلِيِّ الْقُطْبِ صَاحِبِ عَدْنِ
أَبِي بَكْرٍ الْعِيدُرُوسِ الَّذِي بِهِ اللَّهُ أَعْلَى مَنَارِ السَّنَنِ
وكان مولده بترميم سنة إحدى وخمسين وثمانمائة ، ومدة إقامته بعدن نحو خمس وعشرين سنة ، وكان من أكابر الأولياء ، بل هو القطب في زمانه كما شهد به العارفون بالله سبحانه وتعالى شرقاً وغرباً ، ولم يمت في ذلك ذو بصيرة من أهل الطريق ، وكان في الجود آية من آيات الله تعالى ، وكان يذبح في سماطه كل يوم في رمضان ثلاثون كبشاً ، ولذلك بلغت ديونه مائتي ألف دينار ، فقضاها عنه الأمير الموفق ناصر الدين [بن]^(٢) عبد الله با حلوان في حياته قبيل موته بمدة يسيرة حتى قرت بذلك عينه . وكان يقول : إِنَّ اللَّهَ وَعَدَنِي

(١) ترجمته في « الكواكب السائرة » (١١٣-١١٤) و « شذرات الذهب » (٩١-٩٣)

« معجم المؤلفين » (٦٥ / ٣) و « الأعلام » (٦٦ / ٢) .

(٢) ما بين الحاصرتين من (م) فقط .

أن لا أخرج من الدنيا إلا وقد أدى عني ديني .

ومن مشايخه في العلم عمه الشيخ [علي]^(١) ، والفقيه العلامة محمد بن أحمد با فضل [والفقيه العلامة عبد الله بن عبد الرحمن الحاج با فضل]^(٢) ومقروءاته كثيرة لا تنحصر ، وله إجازات متعددة من علماء الآفاق كالشيخ العلامة الحافظ السخاوي ، والشيخ العلامة المحدث يحيى العامري اليمني ، والشيخ الإمام العلامة المزجد الزبيدي وغيرهم . وعده الشيخ جابر الله بن فهد في معجمه من شيوخه في الحديث ، واجتمع على إثبات ولايته وعظيم خصوصيته من كان في زمانه من الأولياء العارفين ، واعترف بعلو منزلته من عاصره من أكابر علماء الدين .

وقد ذكر الفقيه العلامة محمد بن عمر بحرّق - رحمه الله - في كتابه الموسوم « بمواهب القدوس في مناقب ابن العيدروس » من ذلك جملة شافية مقنعة كافية تنشرح بمطالعتها الصدور ، ويزداد المحب بسماعها نوراً على نور ، منها : أن عمه الشيخ علياً رضي الله عنه شهد له بالقطبية في حكاية ، وقد تقدم ذكرها في ترجمة الفقيه الصالح محمد بن أحمد با جرفيل^(٣) ، وكذا شهد له بها من أهل عصره الشريف حسين بن الصديق الأهدل^(٤) .

قلت : وقد مرّ كلامه فيه أيضاً مستوفى في ترجمته . قال : وسألت بعضهم عنه فقال : الذي نعتقده وندين الله به أنه صاحب الوقت . وذكر أيضاً أنه سأل الفقيه الصالح [محمد]^(٥) بن أحمد با فضل عنه ، فأجاب بجواب يتضمن المدح والثناء عليه . وقد مرّ أيضاً في ترجمته^(٦) .

(١) ما بين القوسين زيادة في (ط) .

(٢) ما بين الحاصرتين من (م) فقط .

(٣) تقدم ذكر ذلك ضمن أحداث سنة (٩٠٣ هـ) .

(٤) تقدم ذكر ذلك ضمن أحداث سنة (٩٠٣ هـ) .

(٥) ما بين القوسين زيادة في (ط) .

(٦) تقدم ذكر ذلك ضمن أحداث سنة (٩٠٣ هـ) .

قلت : وحكي عن بعض الثقات أنه قال : حججت سنة سبع وتسعمائة
 فبينما أنا أطوف إذ برجل عليه هيئة أهل الصلاح أخذ بيدي وقال لي : أنت فلان
 وبلادك كذا ، وأخبرني بأشياء جرت لي ، وأنا لم أعرفه قبل ذلك . ثم قال :
 أتدري من غوث الأولياء اليوم؟ فقلت : لا . فقال : غوثهم الشريف أبو
 بكر بن عبد الله العيدروس الذي بعدن . فقلت له : منذ كم هو في القطبية؟
 فقال : منذ سنتين .

ومدحه العلامة أحمد بن عمر المُرْجَد الزَّيْدي^(١) مصنف العباب^(٢) بهذه
 الأبيات : [من الطويل]:

سلامٌ كروضٍ باكرته غمائه	وفتحَ عَنْ زهرِ الأقاحي كمائمه
وأغشَبَ واخضرتْ أفانين دوحة	وغثتْ على أغصانهن حمائمه
سلامٌ يباري المندل الرطب نشره	فتبعقُ مِنْ تلك الرُّبوع معالِمه
على السيّد السامي إلى ذُرْوَةِ العلى	وليس له في مثلها مَنْ يُزاحمه
أبي بكرِ الصّديق أكرم بنعة	نمته فقد نيطتْ عليه تمائمه
وهيمته في نيلِ كلِّ فضيلة	وليس إلى إحرازِ ما هو طاعِمه
له من كتاب الله أعذب منهل	ومن سنّة المُختار شربُ يلائمه
ومن نهجِ أشياخِ الطّريقة منهج	تَقَهَّقِر عنه عُزْبُهُ وأعاجِمه
ولا غَزَوْا إذ خير النّبیین جدّه	ومنه خوافي ريشه وقوادمه
أتاني كتابٌ منه يرعى عهوده	وإنّي على العَهْدِ الذي هو عالمه
فقلتُ له أهلاً وسهلاً ومرحباً	وفُضِّتْ جيوشُ الغمِّ إذ فضَّ خاتمه
عفى الله عن هذا الزّمانِ فإنّه	يُحاربُنا دأباً ونحن نُسالمُه

(١) وانظر ترجمته في « شذرات الذهب » (٢٣٥-٢٣٦) و « الأعلام » (١٨٨/١) وستأتي
 في أحداث سنة (٩٣٠ هـ) .

(٢) هو « العباب المحيط بمعظم نصوص الشافعي والأصحاب » في الفقه الشافعي ، انظر صفته
 وتقريره في ترجمة المؤلف « شذرات الذهب » (٢٣٦/١٠) .

يفارق ما بين الخليطين عَنوةً ومن كان أقوى منك كيف تحاكمه^(١)
ويلحمُ فينا غارةً بعد غارة وتفجأنا في كلِّ يومٍ ملاحِمةً
سلامٌ على الشيخ الكبير الذي غَدَتْ كراماته معروفةٌ ومكارمُهُ
لكلِّ زمانٍ قائمٌ في صُروفِهِ وهذا زمانٌ أنت لا شكَّ قائمُهُ
فلا تخلني من دَعوةٍ مُستجابة فأنت وسيعُ البرِّ جمٌ مراحِمُهُ

فهؤلاء العلماء الذين عاصروه ، وبكل فضل وصفوه ، ولم نذكر منهم إلا
اليسير إذ هم جمٌ غفير ، وجمع كثير ، ولو ذكرت الكلَّ مفصلاً لَطال هذا
الباب ، وخرجنا عما التزمناه من الإيجاز إلى الإسهاب .

وحكي من مجاهداته أنه هجر النوم بالليل أكثر من ثلاثين سنة .

وأما كراماته فكثيرة كقطر السحاب ، لا تدرك بعدد ولا حساب ، ولكن أذكر
منها على سبيل الإجمال دون التفاصيل ثلاث حكايات تكون كالعنوان على
باقيها بالدلالة والتمثيل ، منها : أنه لما رجع من الحج دخل زَيْلَع^(٢) وكان
الحاكم بها يومئذ محمد بن عتيق ، فاتفق أنه مات أم [ولد]^(٣) للحاكم
المذكور ، وكان مشغولاً بها ، فكاد عقله يذهب لموتها ، فدخل عليه سيدي
لما بلغه عنه من شدة الجزع ليعزيه ويأمره بالصبر والرضا بالقضاء ، وهي
مسجاة بين يدي الحاكم بثوب ، فعزاه وصبره ، فلم يفد فيه ذلك ، وأكبَّ على
قدم سيدي الشيخ يقبلها ، وقال : يا سيدي إن لم يحيي الله هذه متُّ أنا أيضاً ،
ولم تبق لي عقيدة في أحد . فكشف سيدي عن وجهها وناداهَا باسمها فأجابته
لبيك ، ورد الله روحها ، وخرج الحاضرون ولم يخرج سيدي الشيخ حتى
أكلت مع سيدها الهريسة وعاشت مدة طويلة^(٤) .

(١) في (م) : « كيف تحالمة » .

(٢) زَيْلَع ، بالعين المهملة ، قرية على ساحل البحر من ناحية الحبش (معجم البلدان)
(١٦٤ / ٣) والمراد : البحر الأحمر .

(٣) ما بين قوسين زيادة من (ط) .

(٤) هذه من المبالغات التي لا يقرها عاقل فضلاً عن أن يقرها الشرع الحنيف ، وما أكثر ما يورده =

وعن الأمير مرجان أنه قال : كنت في نفر من أصحابي في محطة صنعاء الأولى ، فحمل عليها العدو ، ففترق عني أصحابي ، وسقط بي فرسي لكثرة ما أثخن من الجراحات ، فدار بي العدو حينئذ من كل جانب ، فهتفت بالصالحين ، ثم ذكرت الشيخ أبا بكر رضي الله عنه ، وهتفت به فإذا هو قائم ، فوالله العظيم لقد رأيته نهاراً وعابته جهاراً أخذاً بناصيتي وناصية فرسي ونشلي من بينهم حتى أوصلني المحطة ، فحينئذ مات الفرس ونجوت أنا ببركته رضي الله عنه ونفع به .

وعن المرید الصادق نعمان بن محمد المهري^(١) أنه قال : بينما نحن سائرون في سفينة إلى الهند إذ وقع فيها خرق عظيم فأيقنوا بالهلاك ، وضج كل بالدعاء والتضرع إلى الله [تعالى] وهتف كل بشيخه ، وهتفت أنا بشيخي أبي بكر العيدروس رضي الله عنه ، فأخذتني سِنَّهُ ، فرأيت داخل السفينة وبيده منديل أبيض وهو قاصد نحو الخرق ، فانتبعت فرحاً مسروراً وناديت بأعلى صوتي : أن ابشروا يا أهل السفينة فقد جاء الفرج ، فقالوا : ماذا رأيت؟ فأخبرتهم ، فتفقدوا الخرق ، فوجدوه مسدوداً بمنديل أبيض كما رأيت ، فنجونا ببركته رضي الله عنه ونفع به .

● فائدة :

اعلم أن كرامات الأولياء حق ، والدليل على وقوعها موجود من المنقول والمعقول . أما المنقول فهو ما ثبت في القرآن العزيز وصح عن النبي ﷺ من قصة مريم وجريج^(٢) وغيرهم من الذين ليسوا أنبياء ووقعت على أيديهم ، وما روي عن الصديق - رضي الله عنه - وكان أخبر عند موته [أن]^(٣) امرأته تلد بنتاً وكانت إذ ذاك حاملاً ، وعن الفاروق - رضي الله عنه - في قصة سارية

= المؤرخون وأصحاب كتب السير من أمثال هذه القصة التي آفتها فيها واضحة .

(١) في (ط) : « المهدي » بالبدال المهملة ، وما أثبتناه عن (م) .

(٢) في (ط) : « جريج » بالحاء المهملة ، وما أثبتناه عن (م) .

(٣) لم ترد هذه الكلمة في (ط) ووردت في (م) فقط .

المشهوره ، وعن ذي النورين رضي الله عنه في الرَّجُلِ الَّذِي دخل عليه وقد نظر إلى امرأة أجنبية فكاشفه بذلك ، وعن المرتضى رضي الله عنه في الأسود الَّذِي قطع يده ثم رَدَّها مكانها فعادت كما كانت . وأما ما نقل من ذلك عن أولياء الله تعالى فكثير جداً ، من ذلك ما وقع لبعض الأولياء وهو على جبل فقال : إِنَّ من أولياء الله مَنْ إذا قال لهذا الجبل تحرك لتحرك ، فتحرك الجبل من قوله ، فقال له : اسكن إنما ضربت بك مثلاً . وكما قال ذو النون المصري للسري : طف بالبيت فطاف ثم عاد إلى مكانه ، وكان هناك شاب فصاح الشاب حتى مات .

وأما المعقول فذكر صاحب تفسير النيسابوري هو أن الرب حبيب العبد ، والعبد حبيب الرب لقوله ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة : ٥٤] فإذا بلغ العبد في طاعته مع عجزه إلى حيث يفعل ما أمره الله . فأى بعد في أن يفعل الرب مع غاية قدرته مرة واحدة ما يريد العبد ؟ وأيضاً لو امتنعت الكرامة ، فإما لأجل أن الله ليس أهلاً له وذلك قدح في قدرته ، وإما لأن المؤمن ليس أهلاً له وذلك بعيد لأن معرفة الله والتوفيق عليه أشرف العطايا وأجزلها ، وإذ لم يبخل الفياض بالأشرف فلأن لا يبخل بالأدون أولى . ومن هنا قالت الحكماء : إِنَّ النفس إذا قويت بحسب قوتها العلمية والعملية تصرفت في أجسام العالم السفلي كما تتصرف في جسده .

قلت : وذلك لأنَّ النَّفْسَ نورٌ ولا يزال يتزايد نوريته وإشراقه بالمواظبة على العلم والعمل ، وفيضان الأنوار الإلهية عليه حتى تنبسط وتقوى على إشراق غيره والتصرف فيه ، والوصول إلى مثل هذا المقام هو المعني بقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه : (ما قلعت باب خير بقوة جسدانية ولكن بقوة ربانية) . وقال الشيخ داود [بن] ^(١) باخلا الشاذلي الإسكندري : ولا تستبعد هذه الأشياء - يعني الكرامات - على أولياء الله تعالى ، فإنَّ الله تعالى جعل هذا العالم كله خادماً لبني آدم مؤمنهم وكافرهم طائعهم وعاصيهم ، ومكنهم في

(١) ما بين القوسين زيادة في (ط) .

المملكة ، وطوع لهم حيواناتها ونباتاتها ومياهها وأشجارها وسحابها
وأماطارها وهم لغيره عابدون وبه كافرون ، فكيف لا يسخر لأوليائه المقربين
وعباداه المتقين نوعاً آخر من التسخير وهو [الفاعل لكل شيء وهو] ^(١) على
ما يشاء قدير . انتهى .

ولسيدي الشيخ أبي بكر العيدروس من الكمالات والخوارق ما يعجز عنه
اللسان ولا يحصره البيان ، والله دُرٌّ من قال : [من الطويل]:

له كلُّ قلبٍ بالولاية شاهد وكلُّ فؤادٍ من محبته مَلِي
فلله ما أعلى مراتب فضله وأجزل ما أعطى وأسمَح ما ولى
فإنعم الفتى لا شك في عظم حاله فما شئت في الفضل الذي ناله قل

[وكان متمسكاً بالكتاب والسنة حتى أنه كثيراً ما يقول إذا جرى ذكر التفضيل
بين الصحابة رضي الله عنهم : والله العظيم لو بعث الله والدي الشيخ عبد الله
وأستاذه الشيخ سعد وذكر لي أن سيدنا علياً أفضل عند الله من سيدنا أبي بكر -
رضي الله عنهما - ما رجعت عن معتقد أهل السنة والجماعة من أن أبا بكر وعمر
وعثمان أفضل من علي رضي الله عنهم أجمعين] ^(٢) .

ومناقبه أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر : [من البسيط]:

إذا تَغَلَّغَلَ فكرُ المرء في طَرَفٍ من مَجْدِهِ غرقت فيه خَوَاطِرُهُ

وشهرته تغني عن ترجمته : [من الطويل]:

وليس يزيدُ الشمس قدراً ورفعةً إطالة ذي وصفٍ وإكثار مادحٍ
وإنِّي أَصِفُهُ وهو فوق ما وَصَفْتُهُ ، وغالبُ ظني بل يقيني أنني ما أنصفته . [من

البسيط]:

إنَّ الَّذِي قلت بعضٌ من مَنَاقِبِهِ ما زدتُ إلا لَعَلِّي زدتُ نقصاناً

(١) ما بين الحاصرتين من (م) فقط .

(٢) ما بين قوسين زيادة في (ط) .

وما ذكرته من أحواله ومقاماته دون ما تركته بكثير ، وقد صنف فيها غير واحد من العلماء الأعلام ، كالشيخ الإمام العلامة جمال الدين محمد بن عمر بحرق الحضرمي ، فإنه جمع فيها مؤلفاً سماه « مواهب القدوس في مناقب ابن العيدروس » أجاد فيه كل الإجادة ولم يترك لغيره محلاً للزيادة ، والشيخ الفاضل عبد اللطيف با وزير رحمه الله في مقدمة الديوان ، مع علمي أن كلاً منهما غير موفٍ بالمقصود ، ولا مؤدٍ للأحوال على حقيقتها ، إما لعدم استيعاب اطلاعه ، أو لقصور عبارته وضيق باعه ، وإلا فمناقب بني العيدروس أكثر من أن تحيط بها الطروس ، أو يضبطها قلم أو دروس ؛ فلقد كانوا زهرة الأيام وبهجة الأنام ، سموا في المعالي إلى أعلى مقام ، وبنوا من جميل الذكر ما خلدته في الصحف الأقلام ، فهم كما قال المعري : [من البسيط]:

جمال ذي الأرض كانوا في الحياة وهم بعد الممات جمال الكتب والسير
وكما قال الآخر : [من الكامل]:

قوم محاسن جودهم مبثوثة يلى الزمان وذكرها متجدد
[وما أحسن قول صاحبنا الشيخ العلامة الفقيه أحمد بن الفقيه محمد با جابر حيث يقول^(١) : [من الخفيف]:

كلهم في الورى شريف منيف لكن العيدروس أعلى وأعلم
وبهذا الدليل قد قال قوم قولهم في الورى أقوى وأقوم
فاعتمده ولا تمل لسواه إن شئت تسلى وتسلم^(٢)

وبالجملة : فإنه كان نسيج وحده ، ليس له نظير في زمانه ، ولم يخلفه بعده مثله ، وكان كما قيل : [من المنسرح]:

قطب الورى غوثها وجامعها زين طريق الرجال سيدها

(١) ما بين القوسين زيادة في (ط) .

(٢) هكذا الأصل ، والشرط الثاني من البيت مكسور الوزن .

قطبُ رحاها رئيسُ مجلسها جملة تفصيلها وأوحدها
شمسُ ضحاها هلالُ ليلتها درّ مقاصيرها زبرجدها

ومن تصانيفه تصنيف شريف واف شاف سماه « الجزء اللطيف في علم التحكيم الشريف » أتى فيه بالعجب العجائب ، وأغنى بما فيه من الإيجاز عن الأطناب . ذكر فيه ما ورد في إلباس الخرقه الصوفية من الأخبار والآثار ، وصفة التحكيم الوارد عن المشايخ ، وعدد مشايخه الذين أخذ منهم اليد والإذن في إلباس الخرقه الشريفة ، وانقسام الخرقه الموجودة في سائر الأقطار إلى خمسة مشايخ . وله ثلاثة أوراد : بسيط ، ووسيط ، ووجيز . وديوان شعر .

ومن شعره هذه الوسيلة المباركة وهي : [من الوافر]:

بسم الله مولانا ابتدأنا	ونحمده على نعماء فينا
توسلنا به في كل أمرٍ	غياث الخلق رب العالمينا
وبالأسماء ما وردت بنصٍّ	وما في الغيب مخزوناً مَصُوناً
بكلِّ كتابٍ أنزله تعالى	وقرآنٍ شفا للمؤمنينا
بكلِّ طوائف الأملاك ندعو	بما في غيب ربِّي أجمعينا
وبالهادي توسلنا ولذنا	وكلَّ الأنبياء والمرسلينا
وآلهم مع الأصحاب جمعاً	توسلنا وكلَّ التابعينا
وبالعلماء بأمر الله طرّاً	وكلَّ الأولياء والصالحينا
أخصُّ به الإمام القطب حقّاً	وجيه الدين تاج العارفينا
رقى في رتبة التمكين مرقى	وقد جمَعَ الشريعة واليقينا
وذكر العيروس القطب أجلاً	عن القلب الصّدا للصادقينا
عفيف الدين محيي الدين حقّاً	له تحكيمننا وبه اقتدَيْنَا
، لا تنسى كمال الدين سعداً	عظيم الحال تاج العابدينا

بهم ندعو إلى المولى تعالى
ولطف شامل ودوام ستر
ونختمها بتحصيل عظيم
وستر الله مسبول علينا
ونختم بالصلاة على محمد

ومنه : [من مجزوء البسيط]:

بغفران يعم الحاضرينا
وغفران لكل المذنبينا
بحول الله لا يقدر علينا
وعين الله ناظرة إلينا
إمام الكل خير الشافينا

ختم على العُمي لا تراني
وسيفه في العدى كفاني

فأي شمس أنا ولكن
كفاني العيدروس فخراً

ومنه : [من البسيط]:

ما بات عندي منه عشر أعشاري

ولو تدبنت ملء الأرض من ذهب

ومنه :

للجود مكرمة إنني لها الشاري
حرّ تسلسل من أصلاب أطهار
وكان ذاك ثلاثين الف دينار
مجد لما حُزْتُ من صبر وإثار

أنا الجواد ابن عبد الله إن عرّضت
وإنني العيدروس ابن البتول إذا
أما ترى أنني قضيت دين أبي
مجلي قديم أخير لا يسايره

ومنه : [من البسيط]:

ممن يسير ومن يعلو على الإبل
جدنا عدلنا بصوب العارض الهطل
كم أبدلت راحة خصباً من المحل
عند السماح اعتراه الغيظ بالخجل^(١)

يا صاح من مثلنا فيما ترى أحد
نحن الكرام بنو القوم الكرام إذا
لنا السماح الذي عم الأنعام معاً
لو أن للبحر أعياناً تشاهدنا

(١) في (م) : « .. النبض بالخجل » وما أثبتناه عن (ط) وغاض الماء : نقص أو غار فذهب : « اللسان » (غيض) .

لَجَدْنَا مِنْ إِلَهِ الْعَرْشِ مَنْزِلَةً كَقَابِ قَوْسَيْنِ لَمْ تَدْرِكْ وَلَمْ تُنَلِّ
وَجَدْنَا نَظَرَ الْبَارِي الْقَوِيَّ وَلَمْ يَسْبِقْ إِلَى مِثْلِهِ قِطْعاً مِنَ الرُّسُلِ
صَلَّى عَلَيْهِ إِلَهَ الْعَرْشِ مَا صَدَحَتْ وَزُقُّ عَلَى فَكْنٍ بِالْبُشْرِ ذِي مِيلِ
وَالْآلِ وَالصَّحْبِ وَالْأَتْبَاعِ عَنْ طَرَقِ وَنَاصِرِيهِ بَحْدَ الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ

● وفيها : توفي الشيخ أحمد بن محمد بالجفار بأحور وهي بلد بين الشَّحَرِ وعدن على الساحل .

وحكي عنه أنه قال : كان في مكة رجل يسلب من دخل عليه من الأولياء عن مقامهم فيأخذه من ذلك المقام . قال : فدخلت عليه بغفلة مني ، فسألني عن مقامي ، فضرعت بباطني إلى الذي يجيب المضطر إذا دعاه ، فألهمني أن قلت : مقام الافتقار إليه ، فصاح وقال : ما أحد نال منِّي إلا أنت ، أو كما قال .

قلت : وقريب من هذا ما ذكره الشيخ العلامة عز الدين بن غانم بن عبد السلام المقدسي في كتابه « شرح حال الأولياء ومناقب الأصفياء » أنَّ الشيخ أبا يزيد البسطامي - رضي الله عنه - رُئِيَ بعد موته في النوم فقيل له : ما فعل الله بك يا أبا يزيد؟ فقال : أوقفني بين يديه وقال لي : بم جئتني يا أبا يزيد؟ فقلت : يا رب جئتك بما ليس في خزائنك منه شيء . فقال : وما هو الذي ليس في خزائني منه شيء ؟ . قلت : يا رب الفقر والإفلاس ، فقال : يا أبا يزيد جئتني بكل شيء .

ومن كلام سيدي أحمد الرفاعي نفع الله به : سلكت كلَّ الطرق الموصلة فما رأيت أقرب ولا أسهل ولا أصلح من الافتقار والذل والانكسار . فقيل له : يا سيدي فكيف يكون ؟ قال : يعظم أمر الله ويشفق على خلق الله ، ويقتدي بسنة رسول الله ﷺ .

وما أحسن قول الشيخ عبد الهادي السوداني قدس الله روحه في المعنى : [من

[الخفيف]

وَأَجْعَلَ الْفَقْرَ شَافِعاً لَكَ يُغْنِي حَبْذا الْاِفْتِقَارُ دِيناً وَمِلَّةً

● وفيها : احترق من مدينة عدن طائفة عظيمة من المدرسة السفينانية إلى حافة اليهود وما هنالك ، واحترق فيها من الآدميين نحو ثلاثين نفساً ، وتلف من الأموال والبيوت ما لا يحصى .

● وفيها : ارتفعت الأسعار بمدينة زبيد وأعمالها ، فبلغ طعام الذرة الثمن بعشرة دراهم ، والدخن بأحد عشر درهماً ، والسّمسم بستة دنانير ، والسمن خمسة أواق وأقل بدرهم صغير ، وكاد الدّر^(١) أن يعدم وقلاً وجوده في الدواب ، وماتت أكثر البهائم جوعاً ، ولم يحصل في الصيف^(٢) مطر ، وضافت الأحوال وعدمت المكاسب .

● وفيها : حصل ببندر مدينة عدن ريح عظيمة ودامت إلى الصباح ، وزاد البحر زيادة عظيمة وطلع الماء فوق درجات [باب]^(٣) المدينة ، وكثر الموج ، وغرقت في البحر سفينة مقبلة من جهة ميط وعكبري والناس ينظرون إليها ، وكاد ما في البندر من السفن جميعاً أن يغرق ، فسلم الله تعالى والله الحمد .



(١) في (ط) (اللين) وما أثبتناه عن (م) .

(٢) في (ط) (الشتاء) وما أثبتناه عن (م) وذلك أن اليمن أمطارها صيفية .

(٣) ما بين الحاصرتين من (م) فقط .

سنة خمس عشرة بعد التسعمائة

● وفي عشية يوم الاثنين خامس شهر ربيع الآخر سنة خمس عشرة توفي الفقيه العلامة الحبر الفهامة المتقن المدقق جمال الدين محمد الطيب بن إسماعيل مبارز إلى رحمة الله تعالى ، وصلي عليه بعد صلاة العصر بمسجد الأشاعر ، ودفن في عصر ذلك اليوم ، وكان له مشهد عظيم ، رحمه الله ونفع به آمين .

● وفي ذلك اليوم توفي فقيه بيت الفقيه ابن حشبير الفقيه عبد الله بن الخطيب أحمد بن حشبير ببلده ، رحمه الله^(١) .

● وفي السابع من شهر رجب الفرد الحرام توفي الإمام البطل الجواد أمير الجوف^(٢) الشريف محمد بن الحسين البهال الحسيني رحمهما الله بصعدة^(٣) .

● وفيها : زلزلت مدينة زبيد ، وسمع على السطوح حركات شديدة ، وتقلبت الآنية في الرفوف ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

● وفيها : ظهر في السماء في آخر الليل من مطلع العقرب على هيئة قوس قزح أبيض له شعاع وهو أزج له رأس مائل نحو مطلع سهيل ، واستدام يطلع كل ليلة في الوقت المذكور نحو ثلاث عشرة ليلة ، ثم اضمحل .

* * *

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (٩٩ / ١٠) .

(٢) في (ط) (الجوق) وهو تصحيف ، وما أثبتناه عن (م) والجوف : مواضع عدة منها واد في أرض اليمن ، « معجم البلدان » (١٨٧ / ٢) .

(٣) صعدة : مخلاف باليمن بينه وبين صنعاء ستون فرسخاً « معجم البلدان » (٤٠٦ / ٣) .

سنة ستة عشر بعد التسعمائة

● وفي يوم الأربعاء الثامن والعشرين من شهر المحرم سنة ست عشرة توفي القاضي العلامة الصالح شهاب الدين أحمد بن محمد الفرغاني بمدينة تعز ، ودفن بعد صلاة الظهر من ذلك اليوم رحمه الله تعالى^(١) .

● وفيها : هاجت ريح شديدة وأظلمت الدنيا ، ثم انكشفت بإذن الله تعالى .

● وفيها : في آخر يوم [الأحد]^(٢) ثاني رمضان توفي السلطان العادل المجاهد أبو الفتح محمود^(٣) بن محمد صاحب كجرات^(٤) بأحمد آباد ، ودفن بها .

ذكره السخاوي في «ضوئه» وقال : ولد سنة ثمان وأربعين تقريباً . أسلم جدّه مظفر على يد محمد شاه صاحب دلي ، وكان عاملاً له على فتن من كجرات [فلما وقفت الفتن في مملكة دلي وتقسمت البلاد كان الذي خص مظفراً كجرات]^(٥) ، ثم وثب عليه ابنه وسجنه ، ولم يلبث أن استفحل أمر الأب بحيث قتل ولده ، ثم بعد سنين انتصر أحمد لأبيه وقتل جده واستقر في كجرات ، وخلفه ابنه غياث الدين ، ثم ابنه قطب الدين ، ثم أخوه داود ، فلم

(١) ترجمته في «شذرات الذهب» (١٠٦/١٠) .

(٢) ما بين الحاصرتين من (م) فقط .

(٣) في «الشذرات» : (١٠٥/١٠) « أحمد » وانظر ترجمته أيضاً في « الضوء اللامع » (٩١/٢ و ١٤٤/١٠) .

(٤) كجرات من بلاد الهند ، انظر « الشذرات » (١٠٥/١٠) .

(٥) ما بين الحاصرتين لم يرد في (ط) وورد في (م) و « الشذرات » (١٠٥/١٠) عن « الضوء اللامع » .

يلبث سوى أيام وخلع ، واستقر أخوهم محمود شاه صاحب الترجمة وذلك في سنة ثلاث وستين حين كان ابن خمس عشرة سنة ، ودام في المملكة إلى الآن ، وأخذ من الكفار قلعة الشبانير^(١) فابتناها مدينة ، وسماها محمد آباد . ومن جملة ممالكه كبناية .

وقال الشيخ جار الله بن فهد رحمه الله : أقول : وعمر بمكة رباطاً مجاور باب الدرية^(٢) عرف بالكبنابتية ، وقرر به جماعة ودروساً وغير ذلك ، وكان يرسل لهم مع أهل الحرمين عدة صدقات ، ثم قطعها لما بلغه استيلاء النظار عليها ، واستمر على ولايته حتى مات في التاريخ السابق رحمه الله تعالى .

● وفيها : ارتفعت الأسعار لقلة الأمطار ، وبلغ ثمن الطعام عشرة دراهم .

● وفي ليلة الاثنين الخامس من شهر جمادى الأولى توفي الفقيه شمس الدين علي بن موسى المشرع^(٣) عجيل بمدينة زبيد ، ودفن صباح يومها رحمه الله تعالى .

● وفيها : انقضى كوكب عظيم من نصف الليل آخذاً في الشام ، وأضاءت الدنيا كذلك إضاءة عظيمة ، حتى لو أن الإنسان حاول رؤية الذر بذلك لم يمتنع عليه ، ثم غاب في الجهة الشامية ، وبقي أثره في السماء ساعة طويلة .

● وفيها : حصل بمدينة عدن ولحج وأبين والمسيلة وتلك النواحي مطر عظيم لم يعهد مثله من نصف الليل إلى عصر يوم الأربعاء ، وامتألت الصهاريج كلها حتى تفجرت ، وزاد الماء زيادة عظيمة حتى سال إلى البحر من نصف الليل إلى آخر النهار ، واشتد حتى أشفق الناس وخافوا ، وسقطت بعدن ولحج بيوت كثيرة ، وسقط بيت بها على أهله فهلك منهم تحت الردم خمس نسوة

(١) في « الضوء اللامع » : (الشيبانية) .

(٢) في (ط) : (المدينة) وصوابه في (م) و « الشذرات » .

(٣) ترجمته في « الشذرات » (١٠ / ١٠٨) .

وعبد ، وسال بولد ليوسف البهيشي^(١) ، فلم يوجد إلا في البحر في البرج الذي ترسي عنده المراكب وقد مات ، وكان بلحج وأبين وتلك النواحي أعظم مما بعدن ، وسقطت البيوت وسال السيل بالإبل والبقر والغنم وأكثر الزرع ، ولم يبق مكان إلا عمّه المطر ، وسقى الأراضي وسال إلى البحر والله الحمد .

● وفيها : زلزلت مدينة زبيد زلزالاً شديداً ، ثم زلزلت مرة أخرى ، ثم زلزلت الثالثة ، وانقض في عصر ذلك اليوم كوكب عظيم من جهة الشرق آخذاً في جهة الشام ورؤي نهاراً ، وحصل عقبه رجفة عظيمة كالرعد الشديد ، وزلزلت مدينة موزع ونواحيها زلزالاً عظيماً ما سمع بمثله ، واستمرت تتردد ليلاً ونهاراً زلازل صغار وزلازل كبار ، وقد أضرت بأهل الجهة أضراراً عظيمة حتى تصدعت البيوت الضعيفة البناء ، وما سلم بيت من تشعب ، وتشققت الأرض المعدة للزراعة ، وتهدمت القبور واختلطت جملة من الآبار .

● وفي عصر يوم الثلاثاء الثامن عشر من ذي الحجة توفي الفقيه رضي الدين الصديق بن عبد العليم إقبال^(٢) القرتبي ، ودفن في آخر ذلك اليوم عند ولده بمجنة باب القرتب بجوار مشهد الفقيه أبي بكر بن علي الحداد . وكان له مشهد عظيم رحمه الله .

* * *

(١) في (ط) : « البريشي » وما أثبتناه عن (م) .

(٢) ترجمته في « الشذرات » (١٠٧ / ١٠) .

سنة سبع عشرة بعد التسعمائة

● وفي سادس عشر المحرم سنة سبع عشرة توفي السيد الشريف البارع في العلم والعمل والجلود والكرم الشيخ الحسين بن عبد الله العيدروس^(١) بترميم ، ودفن بها عند أبيه ، وكان مولده سنة إحدى وستين وثمانمائة ، وكان عالماً بالكتاب والسنة ، حافظاً لكتاب الله ، مواظباً على تلاوته ليلاً ونهاراً ، قائماً بما جرى عليه سلفه من الأوراد والأذكار ، وإكرام الوافدين والفقراء والمساكين ، وبذل الجاه في الشفاعات للمسلمين وإصلاح ذات بينهم ، والله در من قال :
[من الكامل]:

إِنَّ الْحُسَيْنَ تَوَاتَرَتْ أَخْبَارُهُ	فِي فَضْلِهِ عَنْ سَادَةِ فَضْلَاءِ
غَيْثٌ يَسُخُّ عَلَى الْعَفَاةِ سَحَابُهُ	سَحّاً إِذَا شَحَّتْ يَدُ الْأَنْوَاءِ
تَالِ لَأَثَارِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ	مُسْتَمْسِكٍ بِالسَّنَةِ الْبَيْضَاءِ
وَرِثَ الْمَكَارِمَ وَالْعُلَى عَنْ سَادَةٍ	وَرِثُوا عَنْ الْأَبَاءِ فَالْآبَاءِ

وروي عن الشيخ عبد العيدروس أنه كان يقول : كنت كثير الدعاء في سجودي أن يرزقني الله ولداً عالماً سنياً وأرجو أن يكون هو الحسين .

وروي عن أخيه الشيخ أبي بكر بن عبد الله العيدروس أنه كان يقول : الشيخ الحسين أكرم مني ، فقليل له في ذلك ، فقال : ينفق عن ضيق لكونه بحضرموت ، ونحن ننفق عن سعة ، فهو بذلك أكرم مني .

وكان مشاركاً في جميع العلوم المنطوق منها والمفهوم . ومن مشايخه : الفقيه عبد الله بن أحمد با كثير ، والقاضي إبراهيم بن ظهيرة ، والفقيه محمد بن عبد الرحيم الأسقع ، والفقيه العلامة عبد الهادي السوداني قبل أن

(١) ترجمته في « الشذرات » (١٠ / ١١٣) .

ينجذب . وكانت له اليد الطولى في علم الفلك ، وكان يحقق قراءة الشيخين ، وكان الشيخ^(١) عبد الله بن أحمد با مخرمة يقول : ما رأيت أعقل منه . وجاور بمكة المشرفة سنتين ، وزار [قبر]^(٢) جده المصطفى ﷺ مرتين .

ومن كراماته : حكى عبد الرحيم الخطيب قال : صليت وراء السيد حسين رضي الله عنه صباح يوم الجمعة ، فقرأ السجدة ، فأصابني حقنة وهممت بمفارقتها ، فقرأ في الثانية سورة الإخلاص وأسرع فعجبت لذلك ، وظننت أن له حاجة أيضاً ، فلم يزل في مصلاه حتى طلعت الشمس كعادته .

ومن شعره : هذه الأبيات الحسان التي أشار فيها إلى التعرض لنفحات الرحمن : [من البسيط]:

فرَبِّما نفحات الله تَقْتَرِبِ
وَعَبْ عن الكَوْنِ والأغيارِ واستلبِ
حسبي وقسمك في المطلوبِ والطلبِ
يأتيك من فضله منّا بلا تعبِ
وانظره نظراً ابتهاج غير مضطربِ
هذا هو الحقُّ والمعنى بلا ريبِ
من لا يطيب بذكر الله لم يطبِ
سراً تقرب فهو من أفضل القربِ
محبة وتأذب غاية الأدبِ
على الفرار من الآفاتِ واللعبِ
وانظر لما قال أهلُ العلمِ والكتبِ

ترجّ فضلاً بدا في الوقت وارقبِ
وكنْ مع العالمِ القدسيّ منقطعاً
واشهد محيّا جمالِ والجلالِ وقلْ
وانظر إلى وجهه الواضح بلا حجبِ
وامعن إلى حُسنه السّاري مكافحةً
واعكفْ على الغاية المطلوبِ منه وقلْ
وعش وطبْ وبشرب الذكر ذوق له
هذا صفا العيش إن كنت اللبيب به
واسلك سبيلَ طريق الله أجمعها
واعمل إلى عالمِ اللاهوت منظوياً
وجاهد النفسَ واعملْ ما يخلصها

(١) في (ط) : (الفقيه) وما أثبتناه عن (م) .

(٢) ما بين قوسين زيادة من (ط) .

فَإِنَّ عَزَّ أَوْلِي الدَّارِينَ قَدْ جَمَعَتْ فِي طَاعَةِ اللَّهِ لَا فِي الْمَالِ وَالنَّسَبِ
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى الْمُحَمَّدِ مُرْتَقِيًا مَقَامَ قَوْسَيْنِ عَالِ عَالِي الرُّتَبِ

● وفيها : توفي العلامة الفقيه محمد بن عبد الرحمن الأسقع با علوي^(١)

بتريم في شوال ، وكان من الفقهاء البارعين والعلماء المتفنيين . أخذ أنواع العلوم وبرع وتفنن ولزم الجد والاجتهاد في العلم والعمل ، وأقبل على نفع الناس إقراء وإفتاء مع الدين المتين ، وترك ما لا يعنيه وشدة الورع والزهد والعبادة والخمول ، وكان حسن التقرير في تدريسه ، وأخذ عنه غير واحد .

ومن مشايخه : خاله الفقيه الصالح محمد بن أحمد بن عبد الله با فضل ، وكان جل انتفاعه عليه ، ومنهم الشيخ علي بن أبي بكر با علوي ، والقاضي إبراهيم بن ظهيرة القرشي ، والفقيه عبد الله بن عبد الرحمن با فضل ، والحافظ السخاوي وله منه إجازة ، ومكث في مكة مدة لطلب العلم . ومن محفوظاته « الحاوي » في الفقه ، و « منظومة البرماوي » في الأصول ، و « ألفية بن مالك » في النحو ومقرراته كثيرة جداً ، وحكي أنه قرأ « الإحياء » أربع مرات . ومن كلامه : « كُلُّ قَرَصِكَ وَالزَّمْ خَلَصِكَ » . إشارة إلى القناعة والعزلة . ورآه بعضهم في المنام بعد موته فسأله عن حاله فقال : ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْنَدٍ ﴾ [القمر : ٥٥] .

ومن كراماته : أن بعض خدامه سُرِقَ داره فقال له : اذهب إلى المكان الفلاني تجد فيه ما أخذ منك ، ففعل فوجد سرقة في ذلك المكان الذي عينه رحمه الله .

● وفيها : في ضحى يوم الخميس الرابع من شهر محرم الحرام توفي الفقيه العالم الصالح وجيه الدين عبد الرحمن بن القاضي صفى الدين أحمد بن عمر المَزْجَد^(٢) إلى رحمة الله تعالى ، وصلي عليه بعد صلاة العصر بمسجد

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠ / ١٢١) .

(٢) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠ / ١١٢) وثمة : « المزجد الي » ولعله تحريف من =

الأشاعر ، ودفن بجوار الشيخ علي المرتضى بمقبرة باب سهام ، وأسف عليه والده أسفاً كثيراً ، وصبر واحتسب ، وكان له مشهد عظيم ، وكان قد نجب ودرس وأفتى رحمه الله .

● وفيها : ولدت مولودة بقرية النويدرة ، وطلب لها من يؤذن لها في أذنها ، فحين بلغ « أشهد أن محمداً رسول الله » سمع الطفلة عند ذلك تقول : الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر . ثلاث مرات .

● وفي فجر يوم الأربعاء الرابع عشر من شهر ربيع الأول توفي الشيخ الصالح علي بن إسماعيل المشرع إلى رحمة الله ، ودفن ضحى ذلك اليوم إلى جنب والده .

● وفي ليلة الأحد العشرين من شهر جمادى الآخرة توفي الفقيه الصالح أبو القاسم بن علي بن موسى المشرع^(١) شهيداً بمرجام . حصل له في ليلة الجمعة الحادي عشر من الشهر المذكور وهو قاعد بين الناس في بيته لقراءة مولد النبي ﷺ . [مَنْ ضربه على رأسه] فانكسر رأسه ، وأقام تسعة أيام ثم مات رحمه الله تعالى وعوضه الجنة ، ولم يعرف قاتله ، ودفن إلى جنب أبيه وجده .

● وفي يوم الخميس الثالث عشر من شهر رمضان توفي الشيخ العالم الصالح جمال الدين محمد بن إسماعيل المشرع عجیل^(٢) بمدينة زَبِيد ضحى ، وصلي عليه بمسجد الأشاعر بعد صلاة العصر ، ودفن إلى جنب أبيه قبلي تربة الشيخ إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي ، رحمه الله وعوضه الجنة آمين .

● وفي يوم الأربعاء الثامن والعشرين من ذي الحجة الحرام توفي الشيخ الصالح أبو القاسم الجنيد أحمد بن موسى المشرع عجیل بمكة المشرفة ، وكان

= الناسخ عن قوله (المزجّد إلى رحمة الله) .

(١) « شذرات الذهب » (١٠ / ١١٢) وما بين الحاصرتين خلال الترجمة زيادة منه .

(٢) « شذرات الذهب » (١٠ / ١٢١) .

قد انقطع للمجاورة بالحرمين الشريفين ، فكان يقيم بمكة أياماً وبالمدينة أياماً ، وصلي عليه بالحرم الشريف بعد صلاة العصر من ذلك اليوم ، وشيَّعه جمع عظيم ، وحملت جنازته على الرؤوس ، ودفن بالمعلاة ، رحمه الله تعالى ونفع به .

● وفيها : خسف بفيل السلطان عامر بن عبد الوهاب المسمى مرزوق بقرية يقال لها « الركن » من زوايا الشيخ شهاب الدين قطب زمانه وواسطة عقد أقرانه أحمد بن علوان نفع الله به قريباً من قرية يفرس ، وكان قد أدخله بيت بعض فقراء الشيخ كرهاً وسألهم ما لا طاقة لهم بتسليمه ، فلم يشعروا حتى غاب أكثر الفيل في الأرض ، وكانت من القفا من قبل رجله ، فصرخ صرخات ومات .
ألا^(١) رحم الله سائسه ، فكان عبرة لمن رآه . ولم يقدر أحد على إخراج شيء منه من موضع الخسف .

● وفيها : كان دخول الإفرنج عدن ، وقتل كبيرهم المسمى عين البقر على يد الأمير مرجان ، وهذا مرجان هو الذي عمّر قبة العيدروس بعدن ، ودفن معه فيها .



(١) في (م) : (لا) وما أثبتناه عن (ط) . وانظر « الشذرات » (١٠ / ١١١) .

سنة ثمانى عشرة بعد التسعمائة

● وفي سنة ثمانى عشرة توفي الشيخ محمد بن الشيخ أحمد بن الشيخ أبى بكر بن الشيخ عبد الله العيدروس با علوي^(١) بتريم ، [وقبر بمشهد جده الشيخ عبد الله العيدروس]^(٢) وكان مشاركاً في العلوم . قرأ « المنهاج » في الفقه ، وكان من محفوظاته « الإرشاد » للمقري و« ملحة الإعراب » .

● وفيها : يوم الأحد وقت العصر خامس شهر رمضان توفي الشيخ الإمام العلامة الصالح الفقيه عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر با فضل الحاج الحضرمي^(٣) بالشحر ، وكان له مشهد عظيم ، ودفن في طرف البلد بالشحر من جهة الشمال في موضع موات نجدي عقل با غريب ، وهو أول من دفن هناك ، ودفن الناس إلى جانبه حتى صارت مقبرة كبيرة ، وعُمِلَ على قبره بنيان وصار مزاراً مشهوداً يطلب للتبرك عنده . وكان أوحد وقته علماً وعملاً وورعاً .

ومولده سنة خمسين وثمانمائة^(٤) . وارتحل لطلب العلم إلى عدن وغيرها ، وأخذ عن الإمامين محمد بن أحمد با فضل وعبد الله بن أحمد با مخرمة ، ولازم الثاني وتخرج به وانتفع به كثيراً . وحجَّ سنة خمس عشرة وتسعمائة ، وأخذ أيضاً عن قاضي القضاة برهان الدين بن ظهيرة ، وأبى الفتح المراغي وغيرهما ، ودأب في الطلب وأكبَّ على الاشتغال حتى برع وتميز واشتهر ذكره وبعُدَ صيته وأثنى عليه الأئمة من مشايخه وغيرهم ، وكان شيخه

(١) « شذرات الذهب » (١٢٨/١٠) .

(٢) ما بين قوسين زيادة في (ط) .

(٣) « شذرات الذهب » (١٢٥/١٠) .

(٤) في (م) بجانبه بخط مغاير « عمره/ ٦٨ » .

أبو مخرمة كثير الثناء عليه ، ولعمري إنه كان بذلك حقيقاً ، وبكل نعت حميد خليقاً ، وكان عالماً عاملاً فاضلاً عابداً ناسكاً ورعاً زاهداً ، شريف النفس كريماً سخياً مفضلاً ، كثير الصدقة ، حسن الطريقة ، لين الجانب ، صبوراً على تعليم العلم ، متواضعاً حسن الخلق لطيف الطباع ، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ، حسن التوصل لنفع الطلبة وغيرهم ، كثير السعي في حوائج المسلمين ومصالحهم ، فكانت له حرمة وافرة عند الملوك وغيرهم ، وكان كثير التوسط بين سلاطين حضرموت وقبائلها ، وكان حافظاً أوقاته لا يرى إلا في تدريس علم ، أو مطالعة كتاب ، أو اشتغال بعبادة أو ذكر ، وولي التدريس بجامع الشَّحْر وانتصب فيها للاشتغال والفتوى ، وصار عمدة القطر ، وانتهت إليه رئاسة الفقه في جميع تلك النواحي ، وانتفع به الناس كثيراً من وجوه كثيرة ، ولم يزل على ذلك حتى توفي على الحال المرضي . وكان عمدة أهل زمنه في الفتوى والتدريس ، وتصدى لنفع الأنام ، وانتفع به غير واحد من العلماء الأعلام ، ومنهم الفقيه الصالح العلامة عبد الله بن محمد باقشير ، وقد ذكره في إجازته لوالدي من جملة شيوخه الذين أخذ عنهم ، ومدحه فيها وأطنب فيه غاية الإطناب .

وله جملة من التصانيف منها « المختصر في علم الفقه » وهو المشهور بين الناس ، اقتصر فيه على ربع العبادات ، وانتفع به الطلبة والمتدينون . وقد اعتنى شيخ الإسلام ابن حجر الهيتمي بشرحه فشرحه شرحاً فائقاً ، وأراد أن يكمله إلى آخر أبواب الفقه ، فبلغ فيه مع الشرح إلى باب الفرائض وأدركته الوفاة . وله أيضاً مختصر آخر في الفقه أصغر منه ، وقد شرحه العلامة الشيخ محمد الرملي المصري الشافعي . ومنها « لوامع الأنوار وهدايا الأسرار وودائع الأبرار في فضل القائم بالأسحار » . ومنها « الحجج القواطع في معرفة الواصل والقاطع » . ومنها « مؤلف لطيف في أذكار الحج » . ومنها « وصية نافعة ورسالة صغيرة في علم الفلك » .

وروي أن السيد الجليل إبراهيم الخواص رضي الله عنه ونفع به قال : دواء

القلب خمسة أشياء : قراءة القرآن بالتدبر ، وخلاء البطن ، وقيام الليل ، والتضرُّع عند السحر ، ومجالسة الصالحين . فنظم هذا صاحب الترجمة فقال : [من الطويل]:

تدبّر قرآن وجُوع تهجّد جلوسُ أولي التقوى دعاءٌ مع السّحر
ورأى الفقيه الصّالح جمال الدين محمد بن عمر بحرَق ليلة موته النبي ﷺ
في المنام وهو يقول : من حضر جنازة الفقيه عبد الله الحاج با فضل غفر له ، أو
كما قال دخل الجنة .

● وفيها : في يوم السبت ثامن من المحرم توفي الشيخ الصالح عفيف الدين عبد الله بن عبد الرزاق الجبرتي بالمدينة بعد الحج والزيارة ، رحمه الله تعالى .

● وفي يوم الخميس الخامس من شهر صفر ، توفي الفقيه شهاب الدين أحمد بن محمد الموزعي بمدينة زَبِيد قافلاً من الحج ، وكان فاضلاً عالماً ، ولي قضاء المقرّنة^(١) ثم مَوَزَع^(٢) ، فصل عنها فحج ومات عقب ذلك في التاريخ المذكور ، ودفن بمجنة باب القرتب ، رحمه الله .

● وفيها : في يوم الاثنين سابع الشهر المذكور توفي الشيخ الصالح شمس الدين علي بن محمد السّدح ببلده من أصاب ودفن بها ، رحمه الله .

● وفيها : في ليلة الاثنين السادس عشر من الشهر المذكور توفي القاضي عفيف الدين عبد العليم بن القاضي جمال الدين محمد بن حسين القمّاط^(٣) بعد طول مرض بمدينة زَبِيد ، وكان قد قدم إليها في السنة التي قبلها من مدينة « أب » متوعكاً بعد طلوع ولده الفقيه عفيف الدين عبد الله إليه ، فجعله نائباً

(١) المقرّنة : حصن باليمن « معجم البلدان » (١٧٤ / ٥) .

(٢) مَوَزَع : « بفتح الزّاي (شاذ في القياس) موضع باليمن ، وهو المنزل السادس لحاج عدن ودونها تُزَن » « معجم البلدان » (٢٢١ / ٥) .

(٣) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٢٦ / ١٠) .

له ، وقدم إلى مدينة زبيد فلم يزل بها مريضاً حتى قبل موته بأيام ، وصل ابنه عبد الله باستدعائه إليه فمات بعد قدومه بأيام في التاريخ المذكور رحمه الله . ونعم الرجل كان فقهياً وصالحاً ودينياً وأمانة وعفة وصيانة ، وصلي عليه بعد صلاة الصبح يوم الاثنين بمسجد الأشاعر ، وشيَّعه خلق كثير ، ودفن إلى جانب والده بمجنة باب سهام ، رحمه الله .

● وفيها : في يوم الأربعاء الثالث عشر من جمادى الأولى توفي الفقيه شهاب الدين أحمد بن حسن الصباحي مفتي مدينة تعز .

● وفيها : في عشية يوم الأربعاء التاسع عشر من شهر جمادى الآخرة توفي الفقيه الصالح شهاب الدين أحمد بن علي الواحدي المقرئ بمدينة زبيد ، ودُفن قبل غروب الشمس من اليوم غربي مشهد الشيخ أحمد الصياد ، وكان رجلاً مباركاً ، له قرب من السلطان ، بل كان يؤمه غالب الأوقات ، رحمه الله .

● وفيها : كثر الموت بمدينة زبيد وعمّ الوباء ، وبلغت الموتى فيها كل يوم إلى قريب مائة نفس ، ومات بسببه من الأعيان وغيرهم خلائق لا يحصون .

● وفيها : توفي الشيخ موسى بن أبي الغيث الخاص صاحب المراثة^(١) بها يوم الاثنين سلخ شهر رجب .

● وفيها : توفي الفقيه الصالح حسين بن محمد بن نور الدين يوم السبت ثاني عشر شعبان .

* * *

(١) في (ط) : « الموثاة » وما أثبتناه عن (م) .

سنة تسع عشرة بعد التسعمائة

● وفي المحرم أول سنة تسع عشرة توفي جدّ والدي الشيخ الإمام والصدّيق الهمام الشريف شيخ بن الشيخ عبد الله العيدروس^(١) ، وكان من أعيان الصالحين وعباد الله المقربين ، حسن الأخلاق والشيم ، جميل الأوصاف معروفاً بالمعروف والكرم ، سليم الصدر ، رفيع القدر ، صحبَ غير واحد من الأكابر كأبيه الشيخ عبد الله العيدروس ، وعمه الشيخ علي ، وعمه الشيخ أحمد ، وأخيه الشيخ أبي بكر ، ومن في طبقتهم ، وأخذ عنهم ، وتخرج بهم ، وتلقى منهم ، ودخل من بابهم ، وصار وحيد عصره ومن المشار إليهم في قطره . ومحاسنه كثيرة وبحار فضائله غزيرة ولا^(٢) سبيل إلى حصرها والأولى الآن طيها دون نشرها ، رحمه الله .

وفيه يقول حفيده وسميه سيدي الشيخ الوالد قدس الله روحه شعر : [من الوافر]:

وفي شيخ بن عبد الله جدّي	معاشرة بحسن الخلق تُبدي
لَهُ قَلْبٌ مَنِيبٌ ذُو صَفَاءٍ	سليمُ الصّدرِ بالإنفاق يُسدي
له في الأوليا حُسْنُ اعتقادٍ	كريمُ الأصلِ ذُو فَخْرٍ ومُجدٍ
تربّى بالوليّ القُطبِ حقّاً	أبوه العيدروس الخيرَ يَهدي

ولله در الشيخ عبد المعطي حيث يقول فيه من قصيدة امتدح بها سيدي الوالد التزم فيها ذكر آبائه إلى النبي ﷺ : [من الخفيف]:

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٣١ / ١٠) .

(٢) في (م) « إلي » وصوابه في (ط) .

ابن شَيْخِ الَّذِي يُضَاهِي أَبَاهُ فِي الْمَعَالِي رَفْعَةً وَارْتِقَاءً

● وفيها : توفي العلامة محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن حسن بن جلال الدين بن فتح الدين بن وجيه الدين المصري المالكي^(١) ، ويعرف كسلفه بابن سويد بأحمد آباد من كجرات ، ودفن بها ، وكان مولده في سادس شهر شعبان سنة ست وخمسين وثمانمائة .

أمه أم ولد ، ونشأ في كنف أبيه ، فحفظ القرآن ، « وابن الحاجب » الفرعي والأصلي ، و « ألفية النحو » وغيرها ، وعرض على خلق واشتغل قليلاً عند أبيه ، وورث عنه شيئاً كثيراً ، فأتلفه في أسرع وقت ، ثم أملق وذهب إلى الصعيد ، ثم إلى مكة ، وقرأ هناك على الحافظ شمس الدين السَّخَاوي « الموطأ » و « مسند الشافعي » و « سنن الترمذي » و « ابن ماجه » وسمع عليه « شرحه للألفية »^(٢) وغير ذلك من تصانيفه ، ولازمه مدة .

ذكر السخاوي في تاريخه قال : وكان صاحب ذكاء وفضيلة في الجملة والاستخصار^(٣) وتشدق في الكلام ، وكانت سيرته غير مرضية ، وأنه توجه إلى اليمن ، ودخل زيلع ودرس وحدث ، ثم توجه إلى كنيابة^(٤) وأقبل عليه صاحبها .

قال الشيخ جار الله بن فهد رحمه الله : وقد عظم صاحب الترجمة في بلاد

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٣٥/١٠) .

(٢) واسمه « فتح المغيث بشرح ألفية الحديث » قال في « الشذرات » (٢٤/١٠) « لا يُعلم أجمع منه ولا أكثر تحقيقاً لمن تدبره » . (وهو مطبوع في ثلاث مجلدات منذ سنوات طويلة ، وأعادت إصداره دار الكتب العلمية ببيروت مصوراً قبل سنوات قليلة . ثم نُشر نشرة جيدة في الهند في أربعة أجزاء بتحقيق الشيخ علي حسن علي) عن حاشية « الشذرات » .

(٣) في (ط) : (واستحقار) وفي « الشذرات » نقلاً عن كتابنا (واستحضار) والمثبت عن (م) .

(٤) في (ط) : « كنيابة » تحريف ، وصوابه في (م) و « شذرات الذهب » (١٣٦/١٠) وهي من بلاد الهند ، وقد سبق الحديث عنها .

الهند ، وتقرب من سلطانها محمود شاه ، ولقبه بملك المحدثين لما هو
مشمول عليه من معرفة الحديث والفصاحة ، وهو أول من لقب بها ، وعظم
بذلك في بلاده ، وانقاد له الأكابر في مراده ، وصار منزله مأوى لمن طلبه ،
وصلاته واصله لأهل الحرمين الشريفين ، واستمر كذلك مدة حياة السلطان
المذكور ، ولما تولى ولده السلطان مظفر شاه أخرج بعض وظائفه عنه بسبب
معاداة بعض الوزراء له فتأخر عن خدمته إلى أن مات . قال : ولم يخلف
ذكراً ، بل تبنى ولداً على قاعدة الهند ، فورثه مع زوجته ، ولم يحصل لابنته
التي بالقاهرة شيء من ميراثه لغيبتها ، رحمه الله تعالى .

* * *

سنة العشرين بعد التسعمائة

● وفي سنة العشرين حصل مطر عظيم في مدينة زبيد وما حوالها ، حتى اشتبه وقت صلاة الجمعة على الناس ، وفاتت صلاة الجمعة معظمهم من المطر وعدم رؤية الشمس ، وكانت صلاة من صلى منهم ذلك اليوم بالاجتهاد .

● وفيها أيضاً بعد أيام : حصلت بمدينة زبيد مطرة عظيمة جداً كأفواه القرب ، وعقبتها ريح شديدة كادت تقلع البيوت ، وأشفق الناس من ذلك ، ونفس الوادي نفساً عظيماً ، وسقى أكثر الأرض وأخرب منها كثيراً حتى قيل : إنَّ بعض الردم الذي بناه السلطان الملك الظافر من أسفل قرية مسلب ويمانيها شعثه السيل ، وسال بخلق كثير يزيدون على المائة ، ومات أكثرهم ، وسال بدواب كثيرة تنيف على ألف دابة من الإبل والبقر والغنم والحمير مات أكثرها ، وحصل بَرْدٌ مات به جماعة وسلم منه جماعة بعد أن أصابهم لفتح منه ، ولانت الأسعار ، ووجد الطعام بعدما كاد يعدم .

● وفي ليلة السبت الحادي عشر من شهر ربيع الأول ، توفي الفقيه العلامة جمال الدين محمد بن الصديق الصايغ^(١) إلى رحمة الله بمدينة زبيد ، وصلي عليه بعد صلاة الصبح بمسجد الأشاعر ، ودفن غربي مشهد الشيخ أحمد الصياد رحمه الله ، وحضر القراءة له ثلاثة أيام والعزاء به جماعة كثيرة ، وحضر من أعيان الدولة الفقيه عبد الحق النظاري^(٢) ، والشرف الموزعي ، وقاضي الشريعة أحمد بن عمر المزجّد وغيرهم .

(١) في (ط) : (الصانع) وما أثبتناه عن (م) و « شذرات الذهب » (١٠ / ١٤٠) وثمة مصادر ترجمته ..

(٢) في (ط) : (النظاري) بالطاء المهملة ، وما أثبتناه عن (م) .

● وفي مستهل شهر رجب الفرد الحرام توفي الشيخ شمس الدين علي بن الشجاع العنسي برداع العرش ، ودفن هنالك رحمه الله تعالى ، ونعم الرجل كان عقلاً ورجاحة وديناً وأمانة .

● وفي يوم الأربعاء الثاني عشر من شهر شوال توفي الفقيه الصالح عمر بن معوضة الشرعي^(١) ، وصلي عليه بعد صلاة العصر بمسجد الأشاعر ، ودفن بمجنة باب سهام قريباً من مسجد الشيخ إسماعيل الجبرتي من جهة القبلة بوصية منه ، رحمه الله .

● وفيها : حجّ ولد سلطان الديار المصرية الملك الأشرف قانصوه الغوري وامراته ، وتصدقا بمال عظيم ، وفعلوا من البر والمعروف والإحسان في الحرمين الشريفين ما يجلّ عن الوصف ، ولما رجعا إلى الديار المصرية بعد الحج والزيارة تجهز معهما أمير الحجاز الشريف بركات بن محمد بن بركات باختياره ورضاه ، وتوجه صحبتهما إلى باب السلطان ، فقابلته بالإحسان الجزيل والبر العريض الطويل ، وأكرم نزله ، وأعلى محله ، ولم يزل عنده مجللاً محترماً مقضي الحوائج أول داخل وآخر خارج إلى أن رجع إلى الحجاز متولياً أمورها ليس لأحد معه كلام ، والحمد لله .



(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٤٠ / ١٠) .

سنة إحدى وعشرين بعد التسعمائة

● وفي يوم الخميس الثاني والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة إحدى وعشرين توفي الفقيه الأجل جمال الدين محمد بن محمد النظاري^(١) رحمه الله تعالى بمدينة « أب » بعد أن طلع إليها متوذكراً بنحو شهر ، وترك ولده الفقيه عبد الحق عوضاً عنه بزييد ، ووصل العلم بوفاة إلى مدينة زييد يوم السبت الرابع والعشرين من الشهر المذكور ، وصلي عليه بمسجد الأشاعر بها ، وقرأ له ثلاثة أيام بالمسجد المذكور ، وحضر القراءة له خلق كثير لا يحصون ، وحضر عبد الوهاب بن السلطان عامر القراءة يوم الثالث ، وتصدق عنه أولاده بصدقة عظيمة ، رحمه الله تعالى وأسكنه جنته ، فنعم الرجل كان عقلاً وصيانة وديناً وأمانة ، باذلاً للمعروف ، كافاً للأذى ، معيناً للملهوف ، له صدقات جليلة سرّاً وعلانية . وكان [قطب]^(٢) رحي المملكة السلطانية الظافرية ، وعين الأعيان في الجهة اليمانية . ومن آثاره المخلفة لذكره بناء الجامع ببيت الفقيه عجيل ، عمره عمارة متقنة إلى الغاية ، ومدرسة بمدينة أب ، ووقف عليها وقفاً جليلاً وجملة من الكتب النفيسة ، وله من الآثار الحسنة ما يجعل عن الوصف .

* * *

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٤٦ / ١٠) .

(٢) ما بين قوسين زيادة في (ط) .

سنة اثنتين وعشرين بعد التسعمائة

وفي سلخ المحرم أول سنة اثنتين وعشرين توفي الشيخ أحمد بن الشيخ أبي بكر العيدروس^(١) بعدن ، ودفن بها في قبة أبيه وعمره يومئذ أربعون سنة تقريباً ، وأمه بهية بنت الشيخ علي بن أبي بكر بن الشيخ عبد الرحمن السقاف ، وأمها فاطمة بنت الشيخ عمر المحضار ابن الشيخ عبد الرحمن السقاف ، فولده الشيخ عمر من الجهتين كما ولده أيضاً الشيخ أبو بكر بن عبد الرحمن السقاف مرتين ، وقد تميز بهذا عن غيره من بني عمه ، كما أشار إليه العلامة بحرق رحمه الله حيث يقول : [من المتقارب]:

أَصِيلُ السَّيَادَةِ لَا يَنْتَمِي	إِلَى جَدِّ الْا هُوَ السَّيِّدُ ^(٢)
لِئَن شَارَكْنَاهُ بَنُو الْعِيدُرُوسِ	بِفَخْرٍ هُوَ الشَّمْسُ لَا يُجْحَدُ
فَقَدْ خَصَّصَهُ اللَّهُ مِنْ بَيْنِهِمْ	بِآيَاتٍ مُجَدِّ لَهُ تَشْهَدُ
حَوَى سِرَّ جَدِّهِ مِنْ أُمِّهِ	فَطَابَ لَهُ الْفَرْعُ وَالْمَخْتِدُ

فهو الوارث لأبيه وجده ، وحامل الراية من بعده وولي عهده . فقد قام بالمقام أتم قيام ، ونهض بما نهض به آباؤه الكرام ، فساد وجاد ، وبني معاقل المجد وشاد ، وأحیی الرواتب التي أسسها أبوه والأوراد ، وواظب على إطعام الطعام وصلة الأرحام والإحسان إلى الفقراء والأيتام ، باذلاً جاهه وماله في إيصال النفع إلى أهل الإسلام . وكان رأى بعد موت أبيه كأنه حمل أباه على كتف وجدّه على كتف ، وتوقف في تأويلها ، فكان تأويلها قيامه بمقام أبيه بعدن ، وبمقام جده بحضر موت .

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٥٠ / ١٠) .

(٢) في (ط) : « أصل ... » ولا يستقيم به الوزن ، وفيه أيضاً « حد » تحريف .

وكان في مدة أيامه السعيدة وطول حياته العزيزة الحميدة مجرياً النفقة التامة الوافرة والكسوة الفاخرة لمن كان أبوه مجرياً له من زوجة وخادمة ونحوها ، قائماً بكفاية الفقراء نفقة وكساء صيفاً وشتاء ، حتى إن ثمن الكسوة التي اشتراها في آخر ختمته لرمضان صلاها بلغ خمسة آلاف دينار فأكثر .

وحكي أن خبز مطبخه إذا ركموه يبلغ إلى سطح الدار ودور عدن عالية جداً بحيث أنها تكون على ثلاثة قصور غالباً . قال الراوي : فعجبت فقلت : ما كان بعدن إذ ذاك سائل ؟ قالوا : لا ما كان في زمن الشيخ أبي بكر وولده الشيخ أحمد يوجد في عدن سائل أصلاً . ومحاسنه رضي الله عنه أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر .

ومن كراماته : حكى الشريف محمد بن عبد الرحمن كريشه با علوي [أنه مرض مرة بزيلع وهو عند الشريف علوي]^(١) بن إسماعيل وأصابه وجع البطن ، وكان علوي المذكور وكيلاً للسيد أحمد بن أبي بكر وهو إذ ذاك بها ، فعنَّ له الرجوع إلى عدن ، فقال له : يا سيدي إن كريشه مبطون فكيف أعمل به ؟ فقال : رح اقدف له ، وكان له حسن ظن كامل في الشيخ وعقيدة ثابتة ، فلم يتمالك أن جاء إليه ووضع بطنه على بطنه وتقياً شيئاً كثيراً . ثم قال محمد : فما هو إلا أن قام عني وقمت وكأنه لم يكن بي شيء ، وسارا في تلك الليلة .

وللعلامة محمد بن عمر بحرَق فيه مرثية في غاية الحسن وهي : [من الوافر]:

لِمَنْ تُبْنَى مَشِيدَاتِ الْقُصُورِ	وَأَيَّامِ الْحَيَاةِ إِلَى قُصُورِ
وَحَتَّامِ التَّهَالِكِ وَالتَّفَانِي	عَلَى الْخَدَاعَةِ الدُّنْيَا الْغُرُورِ
فَمَا يَغْتَرُّ بِالدُّنْيَا لَيْبٌ	وَلَوْ أَبَدَتْ لَهُ وَجَهَ الشُّرُورِ
فَغَايَةُ صَفْوِهَا كَدَرٌ وَأَقْصَى	حَلَاوَتِهَا إِلَى الْكَأْسِ الْمَرِيرِ

(١) ما بين القوسين زيادة في (ط) .

ألم ترَ كيفَ هدَّت ركنَ مجدٍ
وروّعتِ الأنامَ بفقدِ شخصٍ
شهابٍ ثاقبٍ من نورِ بدرٍ
نماه العيدروس وكلُّ قُطبٍ
تناثرَ عقدهم نجماً فنجماً
فأظلمَ بعدهم دِسْتُ المعالي
فوا أسفاً على أطوادِ حلُمٍ
وواحزناً على تيارِ جودٍ
ويا لهفاً على أخلاقِ لُطفٍ
لئن ذهبوا فقد أبقوا فخاراً
ففاقوا الناسَ أحياءَ وفاقتِ
فلا يأتي الزَّمانُ لهم بمثلٍ
على تلك الوجوه سلامُ ربِّ
إلهي كُنْ لنا خلفاً وذخراً
وصَلِّ على أجلِّ الخلقِ قِدرأ
ومَن والاه من آلٍ وصحبٍ

وغاضت^(١) بحر مكرمة زخورٍ
رزيتُهُ على بشرٍ كثيرٍ
تبقي من شموسٍ من بُدورٍ
غياثٍ للورى فزِدَ شهيرٍ
تغيَّب تحت أطباقِ الصُّخورِ
وأكسَفَ قطرهم بعد الزُّهورِ
إذا اشتلت^(٢) ملَمَّات الأمورِ
يمدُّ بصيِّب الغيثِ الغزيرِ
يفوقُ الزَّهر في الروضِ النضيرِ
يضيقُ لحصره صدرُ الشُّطورِ
ضرائحُهم على أهلِ القُبورِ
وهل للشمسِ ويحك من نظيرِ
رحيمٍ غافرٍ برُّ شكورٍ
فإنَّكَ جابرُ العَظَمِ الكَسيرِ
محمَّدُ البشيرِ لنا النَّذيرِ
على مرِّ الأصائلِ والبُكورِ

● وفيها : زالت دولة الجراكسة على عهد الغوري^(٣) وهو آخر ملوكهم ،
فقد في حرب السلطان سليم ولم يظهر له خبر .

● وفيها : في يوم الخميس الثاني من شهر صفر توفي الفقيه العالم الفاضل
جمال الدين محمد بن الفقيه موسى بن عبد المنعم الضجاعي^(٤) أحد المدرسين

(١) في (ط) : « وفاضت ... » تحريف .

(٢) في (ط) : « إذا اشتكلت ... » .

(٣) انظر تفصيل ذلك في « شذرات الذهب » (١٠ / ١٥٩ - ١٦٢) .

(٤) ترجمته في « الشذرات » (١٠ / ١٦٥) .

بمدينة زَبِيد ، ودفن بها بعد صلاة العصر من ذلك اليوم عند أبيه وجده بعد أن صلي عليه بمسجد الأشاعر ، وكان له مشهد عظيم .

● وفيها : في عصر يوم الثلاثاء خامس شعبان توفي العلامة إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل ، البرهان أبو الوفاء بن الزين المقرئ أبي هريرة بن الشمس بن المجد ، الكركي الأصل ، القاهري المولد والدار ، الحنفي ، إمام السلطان ، ويعرف بابن الكركي^(١) غريقاً شهيداً في بركة الفيل تحت منزله بها . وكان مولده وقت الزوال من يوم الجمعة تاسع رمضان سنة خمس وثلاثين وثمانمائة بالقاهرة ، وأمّه أم ولد جركسية ، فحفظ القرآن ، و« أربعين النووي » ، و« الشاطبية » ، و« مختصر القدوري » ، و« ألفية ابن مالك » وغيرها . وعرض على أئمة^(٢) عصره كالشهاب ابن حجر ، والعلم البلقيني ، والعلمين القلقشندي واللؤلؤي السقطي ، وسعد الدين بن الديري ، وابن الهمام ، وجماعة آخرين وكتبوا كلهم له . وسمع « صحيح مسلم » أو أكثره على الزين الزركشي ، وتلا القرآن على بعضهم ، وجوّد القراءة مع رؤسائها ، وأكثر من ملازمة الشافعي والليث وغيرهما من المشاهد الجليلة وعادت بركة أربابها وزوارها عليه ، و[هو] في غضون ذلك مقبل على العلم وتحصيله متوجه لمنقوله ومعقوله ، فأخذ الميقات عن البدر القيمري^(٣) ، والفقه والعربية عن الشمس إمام الشيخونية^(٤) ، وكذا أخذ عن النجم الغزي قاضي العسكر ، بل والعز عبد السلام البغدادي ، وسمع عليه « الشفاء » ملفقاً بقراءة قارئين ، وقرأ « الصحيحين » على الشهاب أحمد بن [محمد بن]^(٥) صالح الحلبي الحنفي بن العطار ، وحضر دروسه ، بل حضر دروس الكمال بن

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠ / ١٤٧-١٤٩) .

(٢) في (ط) : « علماء » .

(٣) في (م) : « المقيمري » وما أثبتناه عن (ط) .

(٤) في (ط) : « الشيخوخة » .

(٥) ما بين الحاصرتين من (م) فقط .

الهمام ، ولازم التقي الحصني ، وكذا التقي الشُّمْنِي والكافياجي ، وعظم اختصاصه بهم .

ومما أخذ عن الشُّمْنِي التفسير ، وعلوم الحديث ، والفقه ، والأصليين ، والعربية ، والمعاني ، والبيان ، والمنطق وغيرها ، بقراءته ومرة غيره ، تحقيقاً ودراية ، وبقراءته أيضاً « الشفاء » و« البخاري » ، ودخل معهم في كثير من مشكلات كتب هذه الفنون وغيرها ، وأذنوا له في إقرائها .

ولما سافر قايتباي في أيام إمارته قبل أن يصير إليه الملك إلى بعض البلاد استصحبه إماماً ، ثم لم يلبث إلى أن ارتقى إلى السلطنة ، فقربه وأدناه ، وأحبه فبلغه مناه ، واختص به عمن عداه ، وخوله مزيد النعم ، وشمله فيما يلتمسه بنعم ، وأعطاه قراءة « البخاري » بالقلعة ، وولاه تدريس أماكن متعددة ، ومشیخة الصوفية في بعضها ، وخطابة بعض المدارس ، وإقطاع ، ورتب له في كل يوم ديناراً وجوالي وعدة وظائف كانت معه ومع أبيه بجامع طولون من رئاسة وغيرها بحيث قيل : إنَّ المستقر في متحصله اليومي من جهاته شيء كثير ، سوى ما يساق إليه من الهدايا والعطايا كإعطائه في جهاز ابنة له فيما قيل ألف دينار من السلطان ومن الدواidar مثلها بل أزيد ، ونوه به في قضاء الحنفية ، وكان شأنه أعلى من ذلك ، إذ كان القضاة وغيرهم من الأعيان ممن يتردد لبابه ويتلذذ بخطابه ، بل مال الفضلاء من الغرباء وغيرهم إلى الاستفادة منه ، وسماع مباحثه ، والانتفاع بتنويهه ومساعدته ، وبمساعده استقر شيخه الحصني في مشیخة الشافعي ، ولم يزل يزيد اختصاصه بالسلطان بحيث لم يختلف عنه في أسفاره ، حتى أنه دخل معه الشام وحلب وبيت المقدس ومكة والمدينة .

قال السخاوي : إنه تمنى بحضرته الموت ، فانزعج من ذلك وقال : بل أنا أتمناه لتقرأ عليّ عند قبوري وتزورني ونحو ذلك ، ولذا لم يجب سؤاله في مشیخة مدرسته المكنية . قال : وقد صنف وأفتى ، وحدث وروى ، ونظم ونثر ، ونقَّب وتعقب ، وخطب ووعظ ، وقطع ووصل ، وقدم وأخر .

ومن تصانيفه في الفقه : فتاوى مبوبة في مجلدين ، و « حاشية على توضيح ابن هشام » هذا كله مع الفصاحة والبلاغة ، وحسن العبارة المقتضية للانتظام والربط والانسجام والضبط ، وجودة الخط ، ولطف العشرة والظرف ، والميل إلى النادرة واللفظ ، ومزيد الذكاء والتفنن وسرعة البديهة التي يتضح بها التبيين ، وطراوة النعمة ، والاعتراف بالنعمة ، والطبع المستقيم الذي لا يميل به غالباً لدني ولا لثيم . ولم يزل في ازدياد من الترقى حتى بلغ مبلغاً عظيماً إلى أن كان في أواخر جمادى الآخرة سنة ست وثمانين تنكد خاطر السلطان من جهته ، فمنعه من الحضور في حضرته ، فتوجه للإقراء في بيته لفنون العلم والفتيا ، إلى أن كان في مستهل ذي القعدة سنة ثمان وتسعين عاد للإمامة على عادته ، ثم أُعيد لكل من قراءة الحديث ومشيحة الأشرافية في السنة التي تليها .

قال الشيخ جار الله بن فهد رحمه الله : أقول : وبعد المؤلف في زمان الناصر ابن الأشرف قايتباي تولى قضاء الحنفية بالقاهرة مستهل المحرم عام ثلاث وتسعمائة ، ثم عُزل عن القضاء في سنة ست وتسعمائة ، واستمر مفصولاً حتى عرض عليه القضاء شرف الغوري ، فلم يقبله ، فاستحسن الملك منه ذلك ، وصار مبعجلاً معظماً حتى مات رحمه الله .

● وفيها : في ليلة الثلاثاء عاشر جمادى الأولى توفي الشيخ العالم الفاضل الجمال أبو الفتح إبراهيم بن علي بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن علي القلقشندي الأصل ، القاهري المولد والدار الشافعي بالقاهرة^(١) . وكان مولده في حادي عشر سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة بالقاهرة ، ونشأ بها ، فحفظ القرآن و « الشاطبيتين » ، وعرض على خلق كثير كالبساطي ، والمحب ابن نصر الله ، والحافظ ابن حجر العسقلاني ، وسمع

(١) ترجمته في « متعة الأذهان » الورقة (٢٤) و « الكواكب السائرة » (١٠٨ / ١) و « شذرات الذهب » (١٤٨ / ١٠) .

عن الآخرين وأبيه^(١) وجده ، والتاج السرابيسي ، والناقوسي ، والزركشي ، وابن ناظر الصلاحية ، وابن الطحان ، وابن بردس ، وعائشة الحنبلية ، والواسطي في آخرين . وقرأ بنفسه الكثير على غير واحد من المسندين ، بل قرأ في « محاسن الاصطلاح » على ابن ابن المولد العلم البلقيني . وأجاز له خلق منهم العلاء البخاري ، وقرأ على ابنه في التقاسيم والحديث وغير ذلك ، وكذا قرأ على المحلي « شرح المنهاج » و « جمع الجوامع » و « شرح البردة » وما كتبه من التفسير وغيرها ، وعلى الشرواني في « التوسط » وغيره . وحجَّ في حياة أبيه ، وكان دخوله بمكة في رجب سنة إحدى وخمسين ، وسمع بها على المراغي ، والأسيوطي ، وابن هند وغيرهم . ثم أخذ بالمدينة في سنة سبع وخمسين عن عبد الله بن فرحون لقراءته ، ثم حج ثالثة في سنة تسع وثمانين . واستقر في مشيخة الدواديرية وخزانة الكتب الأشرفية برسباي وغيرها بعد أبيه ، وكذا في تدريس الحديث بجامع طولون مشاركاً لعمه ، ثم استقل به بعد موته مع المباشرة به ، وفي تدريس التفسير بالجمالية برغبة عبد البر بن الشحنة ، وفي الفقه بالسكرية بمصر ، ودرس بعض الطلبة ، بل حدث باليسير ، هذا مع ما ذكر وزائد ، قاله السخاوي .

قال الشيخ جار الله بن فهد رحمه الله تعالى : أقول : وبعد المؤلف عمر حتى انفرد بعلو الإسناد ، وتزاحم عليه الطلبة من العباد ، وخرج لنفسه أربعين حديثاً عشارية الإسناد ، [وبعض طلبته أربعين حديثاً عشارية الإسناد]^(٢) وبعض طلبته أربعين أخرى عالية فرغب الطلبة^(٣) في أحدهما مع غالب مروياته في معرفة العالي والنازل وأسماء الرواة ، واعتناء بالحديث^(٤) واعتقاد في الصوفية ، وصدقات مع جلالة وعظمة ، ولذلك ولي قضاء الشافعية بالقاهرة

(١) في (م) : (وأخيه) وما أثبتناه عن (ط) وهو مناسب للسياق الذي سيرد بعد قليل .

(٢) ما بي قوسين زيادة من (ط) .

(٣) في (م) « بالطلبة » ما أثبتناه عن (ط) .

(٤) في (ط) « بالتحديث » وما أثبتناه عن (م) .

مرة بعد أخرى ، أولها سنة إحدى عشرة وتسعمائة ، وثانيها في سنة ثلاث عشرة ، واجتمعتُ به في أيام ولايته فيها فقرأت عليه أشياء ، ثم عُزل في السنة التي تليها فضعفت بنيته ، وقلت حركته لاستيلاء البلغم عليه ، وقل ما بيده ، واستمر مفصولاً حتى مات رحمه الله تعالى .

● وفيها : في يوم الأحد رابع عشر ذي القعدة توفي الفاضل برهان الدين إبراهيم بن موسى بن أبي بكر بن الشيخ علي الطرابلسي الحنفي^(١) نزيل الريدية من القاهرة بمدرسته بالقاهرة ، وصلي عليه فيها ، ودفن بالقرافة . وكان مولده في سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة بطرابلس . وأخذ بدمشق عن جماعة منهم الشرف بن عبد وقدم معه القاهرة حين طلب لقضائها ، فلازم الصلاح الطرابلسي ورغب له عن تصوفها بالريدية لما أخذ مشيخة الأشرف . وأخذ عن الريمي « شرح ألفية العراقي » للناظم ، وعن الشيباني أشياء ، وكذا سمع على الحافظ السخاوي « شرح معاني الآثار » و« الآثار » لمحمد بن الحسن وغيرهما ، وعلق عنه بعض التأليف ، بل سمع على أبي السعود القرآن والرضي الأوجافي .

قال السخاوي : وهو فاضل ساكن دِين ، ممن حضر بعد في أثناء سنة أربع وتسعين مع الحنفية بالقبة الدوادارية بين يدي السلطان ، وعلم بحاله وفضله فأنعم عليه بأشياء ، ثم قرره في الجوالي المصرية عن الكوراني .

قال الشيخ جار الله بن فهد رحمه الله أقول : وبعد المؤلف صار من أكابر الحنفية ، وتولى مشيخة المدرسة القحماشية ، وفصل كل قضية لإجماعهم على علمه وخيره وصلاحه ، وألف عدة مؤلفات منها « الإسعاف في حكم الأوقاف » . وجاور بمكة وأقر في سنة خمس عشرة وتسعمائة ، ثم عاد إلى القاهرة رحمه الله تعالى .

* * *

(١) ترجمته في « الكواكب السائرة » (١١٢ / ١) و« شذرات الذهب » (١٥٠ / ١٠) .

سنة ثلاث وعشرين بعد التسعمائة

● وفي المحرم سنة ثلاث وعشرين توفي الشيخ الكبير العارف بالله تعالى عبد الرحمن بن الشيخ علي بن أبي بكر^(١) رضي الله عنهم « بتريم » ودفن بها ، وكان مولده سنة خمسين وثمانمائة ، وكان من الأولياء العارفين والمشايخ الصالحين ، زاهداً عابداً .

وحكي من مجاهداته أنه كان وهو صغير يخرج هو وابن عمه الشيخ أبو بكر العيدروس إلى شُعْبٍ من شُعَاب « تريم » يقال له التَّعِير بعد مضي نصف الليل ، فينفرد كل منهما يقرأ عشرة أجزاء في صلاة ثم يرجعان إلى منازلهما قبل الفجر . وقرأ « الإحياء » على والده أربعين مرة . وبلغني أنه كان يغتسل لكل فرض . ومن مشايخه أبوه الشيخ علي ، والفقيه محمد بن أحمد با فضل العدني ، والفقيه عبد الله بن عبد الرحمن بالحاج با فضل ، والفقيه الدوسري . وكان يحفظ « الحاوي » في الفقه للقزويني ، و« الوردية » في النحو . واجتمع بالشيخ العلامة الصالح يحيى العامري ، وله منه إجازة .

وحكي أنه لما اجتمع بالشيخ العامري وكان معه ابن عمه الشيخ أبو بكر العيدروس فالتمسا منه أن يريهما موضع الأصابع النبوية من ظهره ، فكشف لهما عنها ، فأروها بالعيان .

وقريب من هذا ما أخبرنا به صاحبنا الشيخ العلامة البسكري قال : كان عندنا رجل من أهل الغرب^(٢) يعلم القرآن ، وكان يغطي إحدى يديه فلا يكشفها

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٧٣ / ١٠) .

(٢) نسب ابن العماد الحنبلي هذه القصة إلى المترجم له . انظر « شذرات الذهب » (١٧٣ / ١٠) .

لأحد ، فسأله بعضهم عن السبب في ذلك فأبى أن يخبره به ، فألحَّ عليه في ذلك فقال : كنت شاعراً وامتدحت النبي ﷺ بجملة قصائد ، ثم اتفق أن قلت قصيدة امتدحت بها بعض أهل الدنيا ، فرأيت النبي ﷺ في النوم وهو يعاتبني على ذلك ، ثم أمر بقطع يدي فقطعت ، فشفع فيَّ الصديق رضي الله عنه فشفعه ، والتحمت فعادت كما كانت ، فانتبهت والعلامة ظاهرة في يدي ، ثم كشف له عن يده فإذا محل القطع نور يتلألأ .

وممن أخذ عن الشيخ عبد الرحمن بن علي من كبار العلماء الفقيه عبد الله بن محمد بن سهل باقشير ، والفقيه عمر با شيبان .

وكان مشاركاً في جميع العلوم لكن غلب عليه علم التصوف ، وكان يقرأ لأبي عمرو ونافع ويقرأ لعاصم برواية حفص .

ومن كراماته ما حكاه بعضهم أنه قال : كنت جالساً عنده بمسجد با مروان بتريم ، فسمعت شيئاً سقط في جانب المسجد ، فقال : قم هات الذي سقط ، فقممت فلقيت ورقة مغرية فجئت بها إليه ، فحملها وقرأها ، ثم أخذ بياضاً وكتب ورقة وقال لي : خذ هذه الورقة واطرحها في مكان الورقة التي وجدتھا ، فأخذتها وطرحتها مكان تلك الورقة التي وجدتھا وبقيت ألقت إلى الورقة ، فإذا طائر قد جاء وأخذ الورقة ، فأخبرته بذلك وسألته عن الطائر ، فقال : إن الشيخ أبا عباد بيننا وبينه معرفة ، وكتب لنا ورقة وردّينا جوابها .

● وفيها : في ليلة الجمعة سابع المحرم توفي العلامة الحافظ أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك بن أحمد [بن محمد بن محمد] ^(١) بن حسين بن علي القسطلاني المصري ^(٢) الشافعي بالقاهرة ، وصلي عليه بعد صلاة الجمعة بجامع الأزهر ، ودفن بالمدرسة العينية جوار منزله .

(١) ما بين الحاصرتين مستدرك من « الضوء اللامع » و « القبس الحاي » .

(٢) ترجمته في « الضوء اللامع » (١٠٣/٢) و « القبس الحاي » (١٩٦/١) « الكواكب السائرة » (١٢٦/١) و « شذرات الذهب » (١٧١-١٦٩/١٠) .

ذكره السخاوي في « ضوئه » ، وأن مولده ثاني عشر ذي القعدة سنة إحدى وخمسين وثمانمائة بمصر ونشأ بها ، وحفظ القرآن وتلا للسبع ، وحفظ « الشاطبية » و « الجزرية » و « الوردية » وغير ذلك ، وذكر له عدة مشايخ منهم الشيخ خالد الأزهري النحوي ، والفخر المقسمي ، والجلال البكري وغيرهم ، وأنه قرأ « صحيح البخاري » في خمسة مجالس على الشاوي ، وأنه تلمذ له أيضاً وقرأ عليه بعض مؤلفاته - أعني السخاوي ، وأنه حج غير مرة ، وجاور سنة أربع وثمانين وسنة أربع وتسعين ، وأنه أخذ بمكة عن جماعة منهم النجم بن فهد ، وأنه ولي مشيخة مقام سيدي الشيخ أحمد بن أبي العباس الحرار بالقرافة الصغرى ، وأنه عمل تأليفاً في مناقب الشيخ المذكور وسماه « نزهة الأبرار في مناقب الشيخ أبي العباس الحرار » ، وأنه كان يعظ بالجامع العمري وغيره ، ويجتمع عنده الجم الغفير ، وأنه لم يكن له نظير في الوعظ ، وأنه كتب بخطه شيئاً كثيراً لنفسه ولغيره ، وأقرأ الطلبة ، وأنه تعاطى الشهادة ، ثم انجمع وأقبل على التأليف .

وذكر من تصانيفه : « العقود السنية في شرح المقدمة الجزرية » في علم التجويد ، و « الكنز في وقف حمزة وهشام على الهمز » ، وشرحاً على « الشاطبية » زاد فيه زيادات ابن الجزري مع فوائد غريبة لا توجد في شرح غيره ، وشرحاً على « البردة » سماه « الأنوار المضيئة » ، وكتاب « نفائس الأنفاس في الصحبة واللباس » و « الروض الزاهر في مناقب الشيخ عبد القادر » و « تحفة السامع والقاري بختم صحيح البخاري » ورسائل في العمل بالربيع المجيب . انتهى ما ذكره السخاوي ملخصاً .

قلت : وارتفع شأنه بعد ذلك فأعطي السعد في قلمه وكلمه ، وصنف التصانيف المقبولة التي سارت بها الركبان في حياته ، ومن أجلها « شرحه على صحيح البخاري » مزجاً في عشرة أسفار كبار لعله أحسن شروحه وأجمعها وألخصها . ومنها « المواهب اللدنية بالمنح المحمدية » وهو كتاب جليل المقدار ، عظيم الوقع ، كثير النفع ، ليس له نظير في بابهِ .

ويحكى أن الحافظ السيوطي كان يغض منه ، ويزعم أنه يأخذ من كتبه ، ويستمد منها ولا ينسب النقل إليها ، وأنه ادعى عليه بذلك بين يدي شيخ الإسلام زكريا ، فألزمه ببيان مدعاه ، فعدد عليه مواضع قال : إنه نقل فيها عن البيهقي وقال : إن للبيهقي عدة مؤلفات فليذكر لنا ما ذكر في أي مؤلفاته ليعلم أنه نقل عن البيهقي ، ولكنه رأى في مؤلفاتي ذلك النقل عن البيهقي فنقله برمته ، وكان الواجب عليه أن يقول نقل السيوطي عن البيهقي . وحكى الشيخ جار الله بن فهد رحمه الله أن الشيخ رحمه الله تعالى قصد إزالة ما في خاطر الجلال السيوطي ، فمشى من القاهرة إلى الروضة ، وكان الجلال السيوطي معتزلاً عن الناس بالروضة ، فوصل صاحب الترجمة إلى باب السيوطي ودق الباب . فقال له : من أنت؟ فقال : أنا القسطلاني جئت إليك حافياً مكشوف الرأس ليطيب خاطرك عليّ ، فقال له : قد طاب خاطري عليك ، ولم يفتح له الباب ، ولم يقابله .

وبالجملة : فإنه كان إماماً حافظاً متقناً ، جليل القدر ، حسن التقرير والتحرير ، لطيف الإشارة ، بليغ العبارة ، حسن الجمع والتأليف ، لطيف الترتيب والترصيف . كان زينة أهل عصره ، ونقاوة ذوي دهره . ولا يقدح فيه تحامل معاصريه عليه ، فلا زالت الأكابر على هذا في كل عصر رحمهم الله .

● وفيها : في شهر المحرم توفي فقيه مدينة تعز ومفتيها ومدرسها الفقيه عفيف الدين عبد الباري بن سليمان الطويل .

● وفيها : في عصر يوم الجمعة التاسع والعشرين من الشهر المذكور توفي العلامة الكبير مفتي مدينة زبيد وعالمها شيخ الإسلام مفيد الطالبين ، كمال الدين موسى بن زين العابدين بن أحمد بن أبي بكر الرداد البكري الصديقي الشافعي^(١) الجهبذ المحقق المصقع^(٢) المدقق ، شافعي زمانه ، ورئيس أقرانه علماً وعملاً .

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٧٧-١٧٦/١٠) .

(٢) في (م) : « المرتفع » وما أثبتناه عن (ط) .

كان - رحمه الله تعالى - بجرأً من بحار العلم ، وجبلاً من جبال الدين ، له القدم الراسخ في المذهب والباع الطويل في كل مشرب نهد إليه الطالبون ، ورغب في الأخذ عنه الراغبون . تفقه بالقاضي العلامة شيخ مشايخ الإسلام الطيب الناشري ، وصدر العلماء المبرزين عمر الفتى ، والشمس علي بن محمد الشرعي^(١) ، ونجم الدين يوسف المقرئ الجبائي .

روى فقه الشافعي من طرق العراقيين والمراوزة عن الإمام علي بن عطيف نزيل مكة وأهل طبقة ، ودرّس وأفتى ، وانتشر صيته في معرفة الخلاف والوفاق ، وطار طائر فضله في جميع الآفاق ، واعترف له الأكابر بالإمامة ، وقصد للفتوى من كل نجد وتهامة ، وتفقه به الجلة ، منهم : ابنه المحقق علامة دهره ونادرة عصره الشيخ فخر الدين أبو بكر ، وأبو العباس الطنبداوي ، والفقيه عمر بن الوجيه الدوالي ، والزين الناشري ، ويوسف بن الناصر ، وعيسى بن عطيفة وغيرهم .

وله الجوابات الرائقة والبحوث الفائقة ، والتفقهات الخارقة ، والمصنفات المقبولة ، والشروح المتداولة المنقولة ، فمنها « الكوكب الوقاد شرح الإرشاد » في نحو أربع وعشرين مجلداً ، كتاب جليل لم يصنف مثله في كثرة الجمع والفوائد . وله شرح صغير على « الإرشاد » أيضاً لكنه لم يظهر ، لكن قال الفقيه العلامة أبو المكارم مفتي الإسلام أحمد بن محمد الجابري الزبيدي رحم الله روحه : وقفت على بعض منه في ناحية الجبل جهة المخلاف . انتهى . وكثيراً ما ينقل عنه ولده فخر الدين فيقول : قال شيخنا في « شرح الإرشاد الصغير » ورأيت بخط الشيخ العلامة عبد السلام بن شيخ الإسلام عبد الرحمن بن زياد أن المراد بالشرح الصغير مسودة الكبير . انتهى . وله أيضاً فتاوى جمعها ولده المذكور ، ورتبها ترتيباً حسناً ، وزاد عليها بزيادة لا غنى عنها .

(١) في (ط) : « الشرعي » وما أثبتناه عن (م) .

قال العلامة مفتي الوقت أحمد بن عبد الرحمن الناشري أبقاه الله تعالى :
اتفق لصاحب الترجمة ما لم يتفق لأحد قبله بمحارث الوادي زبيد ، وذلك أنه
زرع البُرِّ في أرضه واستغله وحرث غيره ، فلم يتم له ذلك ، وكان قوته في
غالب الأحوال اللوز والعسل . قال : ومن جسام نعم الله عليه أنه مكث أربعين
سنة ما رزىء في أحد من بيته ، ولم يخرج من بيته بجنائز ، بلَّ الله ثراه بوابل
الغفران والرضوان .

● وفيها : في ليلة الجمعة ثاني عشر شهر ربيع الآخر توفي الفقيه الكبير
الصالح تقي الدين عمر بن محمد بن أبي بكر جعمان ببيت الفقيه ابن عجيل .

● وفيها : في يوم السبت ثاني عشر ذي الحجة توفي الشهاب أحمد بن
أحمد بن محمد بن عبد الله بن زهير الرملي ثم الدمشقي^(١) الشافعي المقرئ
الشاعر ، إمام مقصورة جامع بني أمية بدمشق ، ودفن بباب الصغير ، وكان مولده
في شهر ربيع الأول سنة أربع وخمسين وثمانمائة بالرملة ، ونشأ بها ثم تحول
إلى دمشق ، وحفظ « المنهاج » و « ألفية » النحو والحديث و « الشاطبيتين »
و « الدرة في القراءات الثلاث » لابن الجزري^(٢) وعرض على جماعة . وممن
أخذ عنه أبو زرعة المقدسي ، وابنُ عمران ، وخطاب^(٣) ، وعمر الطيبي ،
والزين الهيثمي^(٤) ، وجعفر بالقاهرة ودمشق وتميز فيها ، وولي مشيخة الإقراء
بجامع بني أمية ، ودار الحديث الأشرفية وبتربة الأشرفية بعد خطاب ، وبتربة
أم الصالح بعد البقاعي ، وكان لازمه حين إقامته بدمشق حتى أخذ عنه في ألفية
الحديث وغيرها ، وعادى أهل بلده أو الكثير منهم بسببه . وكذا لازم خطاباً
في الفقه والعربية والعروض وغيرها قراءة وسماعاً ، والشمس بن حامد في
الفقه وأطراه فيه ، والنجم ابن قاضي عجلون في آخرين كالعبادي

(١) ترجمته في (الكواكب السائرة) (١٣١/١) و « شذرات الذهب » (١٠/١٦٨-١٦٩) .

(٢) في (م) : « الجوزي » تحريف .

(٣) في « الشذرات » : « والزين خطاب » .

(٤) في « الشذرات » : « النور الهيثمي » وفي حاشيته : (صاحب مجمع الزوائد) .

والبكري بالقاهرة ، وأخذ « المختصر » قراءة و« المطول » سماعاً عن ملا زاده السمرقندي ، وكذا أخذ عنه العقائد وبعض شرح المواقف ، وتكرر قدومه القاهرة .

كذا ذكره السخاوي في ترجمته قال : وقصدي في بعض قدماته ، وأخذ عني ، وأنشدني قصيدة من نظمه امتدح بها الخضيرى وكان نائبه في إمامة مقصورة الجامع الأموي ، ثم ناب في القضاء . قال : وبالجمل : فهو خفيف مع فضيلة .

قال الشيخ جار الله بن فهد رحمه الله : أقول : وبعد المؤلف استمر نائباً في القضاء والإمامة ، وعليه أبهة ومهابة ، وحصلت له محنة مع قضاة بلده طُلبوا إلى القاهرة لأجلها ، ونالهم التعب بسببها لإنكارهم على كاتب سرها الأسلمي سلامة لبقاً^(١) على ضريح وليها الشيخ رسلان ، وهجاه بأبيات سمعتها منه مع تكلم غيرها في رحلتي لدمشق عام اثنين وعشرين .

● وفيها : تغيرت دولة الجراكسة بالعثمانية ، ففوضوا إليه^(٢) قضاء الشافعية في البلاد الشامية ، فانفرد بذلك بين^(٣) فانتفع به جماعة من الأصحاب ، وأنا ممن لاحظني بنظره ، وحصل لي حجة على يده فعدت بعدها^(٤) [إلى بلدي]^(٥) رحمه الله .

● وفيها : في يوم الجمعة الثالث والعشرين من شهر ربيع الآخر استشهد السلطان الملك الظافر عامر بن عبد الوهاب^(٦) سلطان اليمن ، وكان على جانب عظيم من الدين والتقوى والمشي في طاعة الله تعالى ، لا تعلم له صبوة ، وكان ملازماً للطهارة والتلاوة والأذكار ولا يفتر عن ذلك آناء الليل

(١) في (ط) : « الله تعالى » وما أثبتناه عن (م) . وهي في الحاليين غير واضحة .

(٢) أي إلى الشهاب الرملي .

(٣) كذا في (م) و(ط) .

(٤) في (م) « بها » تحريف ، وما أثبتناه عن (ط) .

(٥) ما بين القوسين زيادة من (ط) .

(٦) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٧٢ / ١٠) .

وأطراف النهار ، كثير الصدقات وفعل المبرات .

ومن مآثره المخلدة لذكره على الدوام والموجبة لحلوله دار السلام في جوار الملك العلام عمارة الجامع الأعظم بمدينة زبيد ، لم يسبق إلى مثلها ، أنفق في ذلك جملة مستكثرة من أمواله وخالص حلاله ، وعمارة مدرسة من جنوبه الدار الكبير بمدينة زبيد ، وعمارة مدرسة الشيخ الكبير إسماعيل بن إبراهيم الجبرتي بها ، وعمارة مشهد الفقيه أبي بكر الحداد خارج باب القرتب بظاهر مدينة زبيد ، ومدرستين بمدينة تعز وإجراء العين بها ، والجامع الكبير بالمقرانة ، ومسجد القبة بها ، ومدرسة عظيمة برداع العرش ، ومسجد بداخل عدن ، وإجراء المياه بظاهر باب البر منها ، وصهريج عظيم بها لم يسبق إلى مثله ، وآخر بقرية عسيب ، وما لا يحصى من المساجد والصهاريج والآبار والأسداد في الأماكن المحتاج إليها ، والمواضع المنقطعة . وهو الذي أجرى التلاج إلى مدينة عدن من أماكن بعيدة ، وأنفق في ذلك أموالاً عديدة ، وله من أعمال البر ما لا يحصى كثرة ، ضاعف الله تعالى له الثواب وأحسن له المرجع والمآب . وكانت مدة ملكه إلى انقضاء دولته تسعاً وعشرين سنة إلا أياماً .

واللعلامة الدَّيِّع رحمه الله فيه : [من الطويل]:

أَخْلَايَ ضَاعَ الدِّينُ مِنْ بَعْدِ عَامِرٍ وَبَعْدَ أَخِيهِ^(١) عَادَهُ النَّاسُ فِي النَّاسِ
فَمُذْ فَقَدْ وَاللَّهِ وَاللَّهُ إِنَّنَا مِنَ الْأَمْنِ وَالسَّلَوانِ فِي غَايَةِ الْيَاسِ

وله فيه : [من الطويل]:

تَحْطَمُ مِنْ رُكْنِ الصَّلَاحِ مَشِيدُهُ وَقَوُضُ مِنْ بِنَانِهِ كُلُّ عَامِرٍ
فَمَا مِنْ صَلاحٍ فِيهِ بَعْدَ صَلاحِهِ وَلَا عَامِرٍ وَاللَّهِ مِنْ بَعْدِ عَامِرٍ

* * *

(١) في (ط) : « .. عاد الناس .. » وبه يكسر الوزن .

سنة أربع وعشرين بعد التسعمائة

● وفي سنة أربع وعشرين توفي الشريف الفاضل العالم العامل محمد بن علوي بن الفقيه الصالح الولي محمد بن علي صاحب عيديد .

اشتغل بالعلم حتى برع فيه ، تفقه بالفقيه أحمد بن يحيى رشيد بعدن ، ونقل كتاب « الإرشاد » للمقري ، وسمع « البخاري » على غيره ، وكان جيد الفهم ، وكان شيخه الشيخ القطب عبد الرحمن بن علي - نفعنا الله ببركاته - يثني عليه ويقول : استفدت منه حال قراءته علي أشياء ، وكان على قدم من الصلاح والزهد والخمول ، كثير التلاوة لكتاب الله تعالى .

وكانت وفاته بعدن رحمه الله تعالى . وجده الفقيه محمد بن علي صاحب عيديد - نفعنا الله ببركاته - من كبار الأولياء ، وعمه الشريف الصالح العالم عبد الله . وهو الذي جمع كلام الأستاذ الأعظم الشيخ عبد الله العيدروس في كتاب ، فله بذلك علينا المنة معاشر الأصحاب .

● وفيها : مات السلطان سليم سلطان الروم^(١) ، وولي بعده ولده السلطان سليمان ، وفي أيامه زال ملك الجراكسة واعتبار خلفاء بني العباس ، فسبحان من لا يزول ملكه !

* * *

(١) يعني أنه سلطان الدولة العثمانية ، آخر دولة للمسلمين جمعت مشرق بلادهم مع مغربها . انظر ترجمته ومصادرها في « شذرات الذهب » (١٠ / ١٩٨ - ٢٠٠) ضمن وفيات سنة (٩٢٦) هـ .

سنة خمس وعشرين بعد التسعمائة

● وفي يوم الجمعة رابع ذي الحجة سنة خمس وعشرين توفي الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام قاضي القضاة زين الدين زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري^(١) السنيكي ثم القاهري الأزهري الشافعي بالقاهرة ، ودفن بالقرافة بالقرب من الإمام الشافعي ، وحزن [الناس]^(٢) عليه كثيراً لمحاسنه الكثيرة وأوصافه الشهيرة ، ورثاه جماعة من تلامذته بعدة مرثي مطولات .

وكان مولده في سنة ست وعشرين وثمانمائة بسنيكة من الشرقية ، ونشأ بها ، وحفظ القرآن عند الفقيهين محمد بن ربيع والبرهان الفاقوسي البليسي « وعمدة الأحكام » وبعض « مختصر التبريزي » في الفقه ، ثم تحول إلى القاهرة في سنة إحدى وأربعين ، فقطنَ جامع الأزهر ، وأكمل حفظ « المختصر » ثم حفظ « المنهاج » الفرعي و « الألفية النحوية » و « الشاطبية » و « الرائية » وبعض « المنهاج الأصلي » ونحو النصف من « ألفية الحديث » ومن « التسهيل » إلى « كاد » وبعض ذلك بعد هذا الأوان ، وأقام بعد مجيئه القاهرة بها يسيراً ثم عاد إلى بلده ، ثم رجع وداوم الاشتغال وجدّ فيه . فكان ممن أخذ عنهم الفقه القاياتي ، والعلم البلقيني ؛ أخذ عنهما بقراءة « شرح البهجة » ملفقاً ، بل وأخذ عنهما في الفقه غير ذلك ، والشرف السبكي^(٣) والشموس الوفاي والحجازي والبدرشي ، والشهاب ابن المجدي والبدر

(١) ترجمته في « الضوء اللامع » (٢٣٩-٢٣٤ / ٣) و « متعة الأذهان » (ق ٤٠-٣٩) و « الكواكب السائرة » (٢٠٧-١٩٦ / ١) و « شذرات الذهب » (١٨٨-١٨٦ / ١٠) .

(٢) ما بين قوسين زيادة من (ط) .

(٣) في (ط) : « السنيكي » وما أثبتناه عن (م) وانظر « الشذرات » (١٨٧ / ١٠) .

النسابة ، والزين البوشنجي ، بل وعن شيخ الإسلام ابن حجر ، والزين رضوان في آخرين .

وحضر دروس الشرف المناوي وغيره ، وأصول فقه القاياتي والمحوي الكافياجي ، قرأ عليهما « العصد » ملفقاً ، والعز عبد السلام البغدادي ، والكمال نزيل زاوية الشيخ نصر الله قرأ عليه العبري « شرح الطوال » للآمدي وغيرهم .

وعن كل مشايخه في أصول الدين أخذ النحو ، بل وأخذه أيضاً عن ابن المجدي وابن الهمام والشمسي ، والصرف عن العز عبد السلام والشرواني ، وكذا عن محمد بن أحمد^(١) الكيلاني قرأ عليه شرح « تصريف المقرئ^(٢) » للتفتازاني وطائفة ، والمعاني والبيان والبديع عن القاياتي أخذ عنه « المطول » ما بين قراءة وسماع ، والشمس البخاري المذكور فقرأ عليه « المختصر » والكافياجي والشرواني ، وعن ما عده أخذ المنطق ، وكذا عن ابن الهمام والآمدي والزين جعفر - نزيل المؤيدية - قرأ عليه « شرح الشمسية » وغالب « حاشية للسيد الجرجاني » والتقي الحصني أخذ عنه ظناً القطبي وحاشيته ، أخذ عن القاياتي في اللغة ، كذا أخذ عنه وعن الكافياجي وشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني في التفسير ، أخذ علم الهيئة والهندسة والميقات والفرائض والحساب والجبر والمقابلة وغيرها عن ابن المجدي^(٣) ، وقرأ عليه من تصانيفه أشياء^(٤) ، الفرائض والحساب أيضاً عن الشمس الحجازي والبوشنجي ، كذا عن أبي الجود الليثي « المجموع » و « الفصول الحكيمة » عن الشرواني وجعفر المذكور الطب ، عن الشرف بن الخشاب العروض ، عن

(١) في (ط) : « حمد » وما أثبتناه عن (م) .

(٢) في (ط) : « العزي » وما أثبتناه عن (م) .

(٣) في (م) : « المحمدي » .

(٤) في (ط) : « أشباه » وما أثبتناه عن (م) .

السراج الورودي ، علم الحرف عن محمد بن قرقمان^(١) الحنفي ، والتصوف عن جماعة منهم أبو عبد الله الغمري ، والشهاب أحمد الأذكاوي ومحمد الفومي وكلاهما من أصحاب أبي إسحاق الأذكاوي ، عن السراج عمر البلقيني والزين عبد الرحمن الجليلي ، وتلقن منهم ومن الفقيه أحمد بن الفقيه علي بن محمد بن حميد الدمياطي - عرف بالزلباني - الذكر . تلا بالسبع على كل من النور البلقيني إمام الأزهر ، والزين الرضوان ، والشهاب القلقيلي السكندرني بعد تدريسه في ذلك لبعض طلبتهم . وبالثلاث الزائدة عليها مما تضمنته مصنفات [ابن]^(٢) الجزري في « النشر » و « التقريب » ، و « الطيبة » على الزين طاهر المالكي بالعشر لكن إلى « المفلحون » فقط ، عن الزين ابن عياش المكي أخذ رسوم الخط ، عن الزين رضوان سمع عليه في البحث من « شرح الشاطبية » للجعبري ، وحمل عنه كتباً جمّة في القراءات والحديث وغيرهما كجملة من « شرح ألفية الحديث » للعراقي ، عن ابن الهمام أخذ هذا الشرح بتمامه سماعاً وبعضه قراءة ، وعن القاياني بعضه ، أخذ عن شيخنا الكثير منه ومن ابن الصلاح وجميع « شرح النخبة » له ، وقرأ عليه و « السيرة النبوية » لابن سيد الناس ومعظم « السنن » لابن ماجه وأشياء غيرها ، وسمع في « صحيح مسلم » على الزين الزركشي ، كذا سمع على العز بن الفرات « البعث » لابن أبي داود وغيره ، على سارة ابنة ابن جماعة في « المعجم الكبير » للطبراني بقرائتي وعلى البرهان الصالحي والرشيدي وكثير ممن تقدم كالزين رضوان ، واشتدت عنايته بملازمته له في ذلك حتى قرأ عليه مسلم والنسائي ، والبوشنجي ، والبلقيني . وبمكة سنة خمسين حين حج على الشرف أبي الفتح المراغي والتقي ابن فهد والقاضيين أبي اليمن النويري وأبي السعادات ابن ظهيرة في آخرين بالقاهرة وغيرها ، كتب له أسانيد في جزء وأجاز له في ذلك بعض من ذكر من جميع شيوخه في أخذه عنه أكثر من بعض .

(١) في (ط) : « قرقماز » وما أثبتناه عن (م) .

(٢) ما بين قوسين زيادة من (ط) .

كما أن عمله في هذه العلوم أيضاً يتفاوت ، ولم ينفك عن الاشتغال على طريقة جميلة من التواضع وحسن العشرة والأدب والعفة والانجماع عن بني الدنيا ، مع التقلل وشرف النفس ، ومزيد العقل وسعة الباطن ، والاحتمال والمداراة ، إلى أن أذن له غير واحد من شيوخه في الإفتاء والإقراء .

وممن كتب له شيخ الإسلام ابن حجر ونص كتابته في شهادته على بعض الإجازات له : « وأذنت له أن يقرئ القرآن على الوجه الذي تلقاه ، ويقرر^(١) الفقه على النمط الذي نص عليه الإمام وارتضاه . قال : والله المسؤول أن يجعلني وإياه ممن يرجوه ويخشاه إلى أن تلقاه » . وكذا أذن له في إقراء « شرح النخبة » وغيرها .

وتصدى للتدريس في حياة غير واحد من شيوخه ، وانتفع به الفضلاء طبقة بعد طبقة ، وشرح عدة كتب منها : « آداب البحث » وسماه « فتح الوهاب شرح الآداب » ، و« فصول ابن الهائم » وسماه « غاية الوصول إلى علم الفصول » مزج المتن فيه ، وشرحه شرحاً آخر سماه « منهج الوصول إلى تخريج الفصول » وهو أبسطها ، و« التحفة القدسية » لابن الهائم في الفرائض أيضاً سماه « التحفة الأنسية لغلق التحفة القدسية » . وألفية ابن الهائم أيضاً المسماة « بالكفاية » وسماه « نهاية الهداية في تحرير الكفاية » و« بهجة الحاوي » فقه سماه « الغرر البهية بشرح البهجة الوردية » و« تنقيح اللباب » لابن العراقي^(٢) ومختصر الروضة للمقري المسمى « روض الطالب » سماه « أسنى المطالب إلى روض الطالب » وكتب على ألفية النحو يسيراً أقرأه معظم ذلك .

طار [اسم]^(٣) « شرح البهجة » في كثير من الأقطار ، قُصِدَ بالفتاوى ،

(١) في (ط) : « ويقدر » تحريف ، وما أثبتناه عن (م) .

(٢) في (ط) : « العراق » .

(٣) ما بين قوسين زيادة من (ط) .

وزاحم كثيراً من شيوخه فيها . وله تهجد وتوجه وصبر واحتمال وترك القيل والقال ، وله أوراد واعتقاد وتواضع وعدم تنازع ، وعمله في التودد يزيد عن الحد ، ورويته أحسن من بديهته ، وكتابته أمتن من عبارته ، وعدم مسارعته إلى الفتاوى يُعَدُّ من حسناته . واختصر « المنهاج الفرعي » للنووي وسماه « منهج الطلاب » وشرحه شرحاً مفيداً .

قلت : وصنّف في كثير من العلوم كالفقه والتفسير والحديث والنحو واللغة والتصريف والمعاني والبيان والبديع والمنطق والطب . وله في التصوف الباع الطويل ، وصنف في الفرائض والحساب والجبر والمقابلة والهيئة والهندسة إلى غير ذلك . وترأس بجدارة^(١) دهرأ ، وولي المناصب الجليلة كتدريس مقام الإمام الشافعي ، ولم يكن بمصر أرفع منصباً من هذا التدريس ، وولي تدريس عدة مدارس رفيعة وخانقاه صوفية وغيرها إلى أن رقي إلى المنصب الجليل وهو قاضي القضاة بعد امتناع كثير وتعفف زائد ، ووقع ذلك في شهر رجب سنة ست وثمانين وثمانمائة .

ثم استمر قاضياً مدة ولاية السلطان الأشرف قايتباي رحمه الله تعالى . ثم استمر بعد ذلك إلى أن كُفَّ بصره فعزل بالعمى رحمه الله تعالى ، ولم يزل رحمه الله تعالى ملازماً للتدريس والإفتاء والتصنيف ، وانتفع به خلائق ، ودرس تلامذته في حياته وأفتوا وتولوا المناصب الرفيعة ببركته وبركة الانتساب إليه ، ولم يزل كذلك في نشر العلم ، وكثرة الخير والبر والإحسان إلى أن توفي رحمه الله تعالى .

وقال الشيخ ابن حجر الهيتمي في معجم مشايخه : وقدمت شيخنا زكريا لأنه أجل^(٢) من وقع عليه بصري من العلماء العاملين والأئمة الوارثين ، وأعلى من عنه رويت ودريت من الفقهاء الحكماء المسندين . فهو عمدة العلماء

(١) في (م) : « وروس جداً » تحريف وما أثبتناه عن (ط) .

(٢) في (م) : « رجل » تحريف ، ما أثبتناه عن (ط) .

الأعلام ، وحجة الله على الأنام ، حامل لواء مذهب الشافعي على كاهله ، ومحرر مشكلاته ، وكاشف عويصاته في بكرته وأصائله ، ملحق الأحفاد بالأجداد ، المتفرد في زمنه بعلو الإسناد ، كيف ولم يوجد في عصره إلا من أخذ عنه مشافهة أو بواسطة أو بوسائط متعددة ، بل وقع لبعضهم أنه أخذ عنه مشافهة تارة وعن غيره ممن بينه وبينه نحو سبع وسائط تارة أخرى ، وهذا لا نظير له في أحد من أهل عصره ، فنعم هذا التمييز الذي هو عند الأئمة أولى وأحرى ؛ لأنه حاز به سعة التلامذة والأتباع وكثرة الآخذين عنه ودوام الانتفاع . انتهى كلام ابن حجر .

ويقرب عندي أنه المجدد على رأس [القرن]^(١) التاسع لشهرة الانتفاع به وبتصانيفه واحتياج غالب الناس إليها فيما يتعلق بالفقه وتحرير المذهب بخلاف غيره ، فإن مصنفاته وإن كانت كثيرة فليست بهذه المثابة على أن كثيراً منها مجرد جمع بلا تحرير حتى كأنه حاطب ليل .

ومن أحسن ما رُئي به قول بعضهم : [من الطويل]:

قَضَى زَكْرِيَا نَحْبَهُ فَتَفَجَّرَتْ عَلَيْهِ عُيُونُ النَّيْلِ يَوْمَ حِمَامِهِ
لَتَعْلَمَ أَنَّ الدَّهْرَ رَاحَ إِمَامُهُ وَمَا الدَّهْرُ يَبْقَى بَعْدَ فَقْدِ إِمَامِهِ
سَقَى اللَّهَ قَبْرًا ضَمَّهُ غَوثٌ^(٢) صَيِّبٍ عَلَيْهِ مَدَى الْأَيَّامِ سَحٌّ غَمَامِهِ

وحكي أن بعض قضاة مصر المحروسة كان يسمى صالحاً ، وكانت أحكامه غير مرضية ، وكان شيخ الإسلام المذكور يكره أفعاله القبيحة ، ويتأذى منه جداً ، حتى أنه هجاه بهذين البيتين : [من مجزوء الكامل]:

الاسْمُ غَيْرُ الْمُسَمَّى وَالْحَقُّ أْبْلَجُ وَاضِحٌ
إِنْ كُنْتَ تَنْكُرُ هَذَا فَاَنْظُرْ لِسِيرَةِ صَالِحٍ

(١) ما بين قوسين زيادة من (ط) .

(٢) في (ط) : « مزن » .

● وفيها : في ليلة السبت ثالث عشر شهر ربيع الثاني توفي الفقيه الصالح العلامة الشيخ عبد الله بن أحمد با كثير الحضرمي^(١) ثم المكي بمكة ، فجُهِزَ في ليلته ، وصُلِّيَ عليه صبحَ يومها عند باب الكعبة ، ودُفِنَ بالمَعْلَاةِ في الشعب الأقصى [و] حملت جنازته على الرؤوس ببركات العيدروس . وكثير : بفتح الكاف وكسر الثاء المثناة .

وكان من العلماء العاملين والفضلاء البارعين ، متصفاً بمحاسن الأخلاق وحسن الارتفاق . ولد تقريباً في سنة ست أو سبع وأربعين وثمانمائة بحضرموت ، ونشأ بها سبع سنين ، ونقله والده إلى غيل با وزير ، فحفظ القرآن في سنة وعمره ثمانين سنين ، وحفظ « المنهاج » و « البهجة » لابن الوردي ، و « خلاصة ابن ظفر » ، و « ألفية ابن مالك » وغيرها . ثم سأل والده في الاجتماع بشيخ من الصوفية فأشار عليه بالشيخ عبد الله العيدروس رضي الله عنه ، فتوجه إلى تريم وأخذ عنه وتربى على يديه ، وكان يقول : لو اجتمع شيوخ الرسالة في جانب الحرم وأنا في جانبه الآخر ما كنت أهتز إلى ما^(٢) عندهم لما ملاني به الشريف - يعني به الشيخ عبد الله رضي الله عنه .

وحُكي أنه كان سبب انتقاله إلى مكة ما روي أن شيخه الشيخ عبد الله العيدروس قال : من حصَّل كتاب « الإحياء » وجعله في أربعين جزءاً ضمنت له على الله الجنة ، فسارع الخلق إلى ذلك ، وكان الشيخ عبد الله با كثير المذكور ممن حصله وجعله في أربعين جزءاً ، وجعل لكل جزء كيساً ، وزينه في أوله زيادة على ما شرطه الشيخ ، فلما أتاه به ورآه قال : إنك قد زدت فيه فيحتاج لك زيادة على الجنة فتمنّ ما تريد ، فقال : أريد أن أرى الجنة في هذه الدار ، فأجابه الشيخ إلى ذلك وقال : لا يمكنك الجلوس بعدها عندي ، فأمره بالعزم إلى مكة والمجاورة بها ، فعزم إليها وأقام إلى أن توفي بها .

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٨٨/١٠) .

(٢) ليست اللفظة في (م) .

ولقي جماعة من العلماء ، وأجازه بعضهم بالإفتاء والتدريس ، فتصدى لذلك ، ونثر ونظم . ومن ذلك « الدرر^(١) اللوامع في نظم جمع الجوامع » و« تنمة التمام » و« سفك المدام في عقائد أهل الإسلام » وقرظها^(٢) له جماعة . وهو كثير الفوائد . وكان من فضلاء مكة وعين المدرسين فيها ، مع الزهد والصلاح والتعفف والاحتمال والسكون والانجماع عن أبناء الدنيا . وخلف أولاداً ذكوراً وإناثاً نحو العشرة .

ومن شعره : [من الكامل]:

مَنْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مُشَاهَدٍ فَعَلَّ الْإِلَهَ فَمَا لَهُ أَنْ يَغْضَبَا
بَلْ وَاجِبٌ أَنْ يَرْتَضِيَ مَا شَاهَدْتُ عَيْنَاهُ مِنْ ذَاكَ الْفَعَالِ وَيَطْرَبَا

* * *

(١) في (ط) : « الدر » وما أثبتناه عن (م) .

(٢) في (م) : « وفرضها » وما أثبتناه عن (ط) .

سنة ست وعشرين بعد التسعمائة

● وفي ضحى يوم الثلاثاء من ذي الحجة عام ست وعشرين توفي الشهاب الفاضل أحمد بن الحسين بن محمد بن الحسين بن عيسى بن محمد بن أحمد بن مسلم ، الشهاب بن البدر^(١) ، المكي^(٢) - ويعرف كأبيه بابن العُليّيف بضم العين تصغير علف - بمكة ، فجُهِز في ظهر تاريخه ، ودفن بالمَعْلَاة ، وخلف ولداً وبنتين .

وُلِدَ في جمادى الأولى سنة إحدى وخمسين وثمانمائة بمكة ، ونشأ بها ، فحفظ القرآن و « الألفية النحوية » و « الأربعين النووية » وعرضهما والكثير من « المنهاج » . وسمع بمكة على التقي بن فهد وولده النجم ، والزين عبد الرحمن الأسيوطي^(٣) ، وأبي الفضل المرجاني ، ويحيى العلمي^(٤) ، ولزم النور الفاكهي في دروسه الفقهية والنحوية . وبالقاهرة على الشهاب الشادي ، وحضر عند الخيضري ، بل سمع « الشفاء » على الجوجري ، وأخذ عن العباد والجوجري وآخرين بالقاهرة ، فقد دخلها مراراً .

قال السخاوي : وكنت ممن أخذَ عنه بها وبالحرمين ، وتلا الكثير لأبي عمرو على عمر النجار^(٥) ، وحضر دروس القاضي عبد القادر في العربية . قال السخاوي : وتكسَّب بالنساخته مع عقل وتودد وحسن عِشْرَةٍ وتميَّز ، وربما نظم

(١) في (ط) : « المبذر » تحريف .

(٢) ترجمته في « الضوء اللامع » (٢٩٠ / ١) و « التحفة اللطيفة » (١٧٨-١٧٦ / ١) و « شذرات الذهب » (١٩٥-١٩٦ / ١٠) و « البدر الطالع » (٥٦-٥٤ / ١) .

(٣) في « البدر الطالع » (الأفيطوي) .

(٤) في (ط) : (العلم) وفي (م) : (المعلم) وما أثبتناه عن « البدر الطالع » .

(٥) في (ط) : (البخاري) وما أثبتناه عن (م) .

ما يقع له فيه الجيد ، ومع ذلك لم يسلم ممن يعاديه ، بل كاد أن يفارق المدينة لذلك . قال : وأغلب إقامته الآن بطيبة على خير وانجماع وتقلل ، ونعم الرجل .

قال الشيخ جابر الله بن فهد رحمه الله : أقول : وبعد المؤلف باع داره بها وسكن مكة ، وتزوج فيها ورزق بنتين ، وكان انتصر للمؤلف على الشيخ جلال السيوطي « بالشهاب الهاوي على منشي الكاوي »^(١) ثم « المنتقد اللوذعي على المجتهد المدعي » ، وألف لسلطان الروم با يزيد بن عثمان « الدر المنظوم في مناقب سلطان الروم » ومدحه وغيره من أقرانه ، فرتب له خمسين ديناراً في كل سنة ، فتجمل بها ، ومدح صاحب مكة السيد بركات بن محمد الحسيني ، فاقتصر على مدحه ، وحظي عنده لبلاغته ، حتى صار متنبى زمانه ، ثم أصيب بكثرة الأسقام في آخر عمره حتى مات رحمه الله .

ومن نظمه الحسن هذه القصيدة العظيمة المشتملة على الفصاحة التامة والأمثال العجيبة وهي : [من الكامل]^(٢):

خُذْ جَانِبَ الْعَلِيَا وَدَعْ مَا يُتْرَكُ	فَرْضَى الْبَرِيَّةَ غَايَةً لَا تُدْرَكُ
وَاجْعَلْ سَبِيلَ الذَّلِّ عِنْدَكَ بِمَعَزِلٍ	فَالْعَزُّ أَحْسَنُ مَا بِهِ يُسْتَمْسَكُ
وَامْنَحْ مَوَدَّتَكَ الْكِرَامَ فَرَبَّمَا	عَزَّ الْكَرِيمُ وَفَاتَ مَا يُسْتَدْرَكُ
وَإِذَا بَدَتْ لَكَ فِي عَدُوِّكَ فَرَصَةٌ	فَافْتِكْ فَإِنْ أَخَا الْعُلَا مَنْ يَفْتِكُ
وَدَعْ الْأَمَانِيَّ لِلْغَبِيِّ فَإِنَّمَا	عُقْبَى الْمُنَى لِلْحُرِّ دَاءٌ مُهْلِكُ ^(٣)
مَنْ يَقْتَضِي سَبِيًّا بَدُونِ عَزِيمَةٍ	ضَلَّتْ مَذَاهِبُهُ وَعَزَّ الْمُدْرَكُ
تَعَسَّتْ مُدَارَاةُ الْعَدُوِّ فَإِنَّهَا	دَاءٌ تَحُولُ بِهِ الْجُسُومُ وَتُوعَكُ

(١) ردّ فيه على مصنف السيوطي « الطاوي لدماغ السخاوي » انظر « البدر الطالع » (٥٦ / ١) .

(٢) ذكر ابن العماد ستة أبيات منها في « الشذرات » وذكر الشوكاني ثلاثة وعشرين بيتاً منها في « البدر الطالع » .

(٣) في « البدر الطالع » : « . . داء منهك » .

لا يدرك العلياء إلا مَنْ له
ندب عريق لا يُرام مُرَجَّبٌ^(١)
ذو هضبة^(٢) لا تُرتقى وشكيمة
لا فائل^(٣) عند الحفيظة رأيه
فاركب سنام العز في طلب العلا
واستفرغ المجهود في تحصيل ما
وإذا نَبَا بك منزل فانبذ به
وارغب بنفسك أن تُرى في ساحة
وارحل عن الأوطان لا مستعظماً
فالحز ينكر ضد ما يعتاده
ومتى تنكّرت المعارف خلته
لا خير في دار يضام بها الفتى
وفتى تقاضته المساعي نفسه

في كل حي من عداه منسك
ضرب جزيل في الأمور محكك
عزت يدين له الألد الأملك
لكن بتجريب الزمان مُحَنك
حتام تسكن والنوى يتحرك
فيه النفوس تكاد جُبناً تهلك^(٤)
ودع المطية تستقل وتبرك^(٥)
يُسقى بها الحز الكريم المرتك^(٦)
خطراً ولو عز المدى والمسلك
ويميط ثوب الذل عنه ويبتك^(٧)
يثني العنان عن الديار ويعتك^(٨)
وإلى سواها لا يميل ويترك
فغدا يمنيها القضاء ويمعك

- (١) مرجّب : معظم ، والترجيب : التعظيم ، اللسان (رجب) .
(٢) في (م) : « ذو هضمة » وصوابه في (ط) و « البدر الطالع » .
(٣) في (م) و (ط) : (ألا فائل) تحريف ، وصوابه في « البدر الطالع » وفائل : من (فال
رأيه يفيل فَيَلُولَة : أخطأ وضعف) « اللسان » (فيل) .
(٤) في « البدر الطالع » : « حباً تهلك » .
(٥) في (ط) : « . . ويترك » وما اثبتناه عن (م) و « البدر الطالع » .
(٦) المرتك : فارسي معرب ، قال الجواليقي « لا أعلمه جاء في الكلام القديم » (المعرب)
ص (٣١٧) . وفي « القاموس » (رتك) : وهو المُردّاسْبِخ ، وهو الآنك المُحرّق أي
الرصاص أسوده وأبيضه ، « معجم الألفاظ الفارسية المعربة » ص (١٤٤) ، واللسان
(مرتك) و (أنك) .
(٧) البتك : القطع .
(٨) يعتك : من (عتك في الأرض يَعْتِكُ عُتُوكاً : ذهب وحده) « اللسان » (عتك) .

بهرأ لنفسٍ لا تكون عزيزةً
ولو اجدِ سُبُل الكرام ولم يزلْ
والمرء يُعذر إن سَعَى وتعذرتْ
تَبَتْ يَدُ الأَيَّامِ تلقى للفتى
يبكي اللبيبُ على تقاعسِ حَظِّه
لكنْ دُفَاتِرُهُ (٣) قد دونها
سميْتُها في القنعِ أعلى غاربِ
وسقيْتُها عَلَلاً على نهْل به
عجياً لمن سرَّ الزمان وأهله
ولمن له فضلٌ يَمُرُّ به فلا
حتى متى أطوي الليالي بالمُنَى
ويجولُ فكري في لعلٍ وأختها
وينالني بالنقصِ غَمْرٌ ماله
لا صاحبَتني نفسٌ حرٌّ لم تكن
هلْ في القضية أن أرى متقابلاً

ولها إلى طُرُقِ المعالي مَسْلُكُ (١)
يغضي الجفون على القذى ويفتَكُ
عنه المساعي أو حَوَاهِ المَهْلِكُ
سِلماً تَسْلُمُهُ يَدُ ما تملكُ (٢)
حيناً ويطمعه الرجاء ويضحكُ
عن حوضه فغدا لديها يفركُ
فغَدَتْ بِذَرْوَةِ عَزِّهِ تَتَوَرَّكُ (٤)
وتركتُها ترضى عليه وترمكُ (٥)
فغدا بتعليل المطامع يمسكُ
يسمو على هامِ السَّمَاءِ وَيَسْمُكُ (٦)
والجدّ ينهضني وجدِّي يبركُ
ويحولُ دونهما زمان أنوكُ (٧)
في الفضل سهمٌ مثل سهمي يُشْرِكُ
نزاعةً فيما يُنَالُ ويُشْرِكُ
أحكي القوافي للشامِ وأخْتِكُ (٨)

- (١) في (ط) : « بهوى النفس » تحريف وبه يكسر البيت ، وصوابه في (م) و « البدر الطالع » .
(٢) رواية الشطر الثاني في « البدر الطالع » (سلماً وتسلبه غداً ما يملك) .
(٣) في (ط) : « لكن تغامره » وما أثبتناه عن (م) والشطر في الحالين لم يخل من كسر وغموض في المعنى .
(٤) تتورَّك : تعتمد على وَزَكِها ، وفلان وَرَّك على دابته وتورَّك إذا وضع عليها وَزَكَّه « .
اللسان » (ورك) .
(٥) العَلَلُ : الشربة الثانية ، والنَّهْل : أول الشُّرب . ورمك : أقام في المكان .
(٦) السَّمَاءُ : نجم معروف ، وهما سِماكان : رامح وأعزل . وَيَسْمُكُ : يرتفع .
(٧) الأنوك : الأحمق .
(٨) في (ط) : « ... في القشبة ... » . والحَتَكُ : من (حَتَكَ الرَّجُلُ يَحْتِكُ أي مشى وقارب الخطو وأسرع) « اللسان » (حتك) .

وَأَبَيْتُ أَنْسُجُ مِنْ سَرَابِيلِ الثَّنَا
 أَكْسُو بِنَائِلَةٍ تَخَالُ وَجُوهَهُمْ
 وَأَغْوَصُ عَنْ دَرِّ النَّظَامِ بِهَمَّةٍ
 فِي كُلِّ فِئْدَمٍ لَا سَلِيمَ يُرْتَجَى
 مَتَغَافِلٌ عَنْ فَطْنَةٍ مُسْتَبْطَنٌ
 هَلَا فَتَى فِي الْمَجْدِ تَقْصِرُ دُونَهُ
 سَمَحٌ عَلَى الْعَلَّاتِ^(٤) بَحْرٌ فِي النَّدَى
 مَاتُوا بُنَاةَ الْمَجْدِ وَالْعَزَّ الْأَلَى
 التَّازِلِينَ مِنَ الْمَكَارِمِ مَنْزِلًا
 وَنَكَضْتُ فِي خَلٍّ أَجَلٌ نَوَالِهِ
 فَعَلَامَ لَا أَلْوِي رَجَائِي عَنْهُمْ
 وَأَرَى بِرَأْيٍ يَقْتَضِي ذُو^(٧) هَمَّةٍ
 لَوْلَمْ يِعَارِضْنِي زَمَانٌ عَائِرٌ
 لِلَّهِ عَصْرٌ بَسْتُ أَطْوِي عَتَبَهُ
 وَأَشُوبُهُ عُودَ الضَّمِيرِ مَغَالِطًا

حُلَلًا عَلَى طُولِ الْمَدَى لَا تُذْعَكَ
 بِاللَّمَحِ^(١) حَالِ الْمَدْحِ غِيظًا تَعْرُكُ
 وَأَصَوِّغُ مِنْ تَيَّرِ الْكَلَامِ وَأُسْبِكُ
 يَرْضِيكَ مِنْهُ الْقَوْلُ وَهُوَ مُرْوَدُكَ^(٢)
 لَوْ مَا كَثِيرُ الْخَيْرِ وَافِرُ حَوْتِكَ^(٣)
 مَعَ طَوْلِ غَايَتِهَا الْجِبَالِ السُّمُكُ
 يَحْيَا بِهِ دُرُّ الْقَرِيضِ الْمَهْتَكُ
 كَانُوا بِطَيْبِ ثَنَائِهِمْ يُسْتَمْسِكُ
 بِتَرَابِهِ يَتَبَرَّكُ الْمَتَبَرَّكُ
 وَعَدُّ يَوْكُدُهُ بِقَوْلٍ يَغْفُكُ^(٥)
 نَاسًا وَفِي جَنْبِي قَلْبٌ دَكْدَكَ^(٦)
 لَا يَسْتَقِلُّ بِهَا اللَّثِيمُ الْمُئْسَكُ
 فِيهِ وَحِطٌّ حِينَ أَذِدُو أَشْوَكُ
 مَنِّي عَلَى تِلْكَ وَدَلَا أَحْبَكَ^(٨)
 فَيَنْلِنِي وَنَدَا عَايَهُ وَيَنْسَكُ

(١) فِي (ط) : « بِالْمُلْحِ حَالٌ . . . » تَحْرِيفٌ ، وَمَا أَثْبَتَاهُ عَنْ (م) .

(٢) فِي (م) : « فِدَمٌ لَا يَسْلَمُ » تَحْرِيفٌ يُكْسِرُهُ الْوِزْنَ وَمَا أَثْبَتَاهُ عَنْ (ط) . وَالْفِدَمُ : الْعَبِي .

(٣) فِي (ط) : (وَافَهُ) وَمَا أَثْبَتَاهُ عَنْ (م) . وَالْحَوْتُ : الْقَصِيرُ .

(٤) الْعَلَّاتُ : يُقَالُ لِبَنِي الضَّرَائِرِ بَنُو عَلَّاتٍ ، وَهُوَ يَسْتَعْمَلُ فِي الْجَمَاعَةِ الْمُخْتَلِفِينَ ، وَأَرَادَ سَمَاحَتَهُ فِيمَنْ خَالَفَهُ .

(٥) يَغْفُكُ : لَا يَثْبِتُ عَلَى حَدِيثٍ وَاحِدٍ ، وَلَا يَتِمُّ وَاحِدًا حَتَّى يَأْخُذَ فِي آخَرٍ غَيْرِهِ ، « اللَّسَانُ » (عَفَكَ) .

(٦) قَلْبٌ دَكْدَكَ : غَلِيظٌ ، وَأَصْلُ الْوَصْفِ لِلْأَرْضِ ، انْظُرْ « اللَّسَانُ » (دَكَكَ) .

(٧) فِي (م) : « . . . يَقْتَضِي هَمَّةٌ » وَبِهِ يَكْسَرُ الْبَيْتَ ، وَمَا أَثْبَتَاهُ عَنْ (ط) .

(٨) الْحَبْكُ : الشَّدُّ وَمِنْهُ أُخِذَ الْإِحْتِبَاكُ ، وَهُوَ شَدُّ الْإِزَارِ . وَالشُّطْرُ الثَّانِي مِنَ الْبَيْتِ مُخْتَلِ الْوِزْنَ .

ويطيل بالتسويق في تقصيره
لا كنت من لألي الفضائل مُتَمِّم
كلاً ولا كانت كرام أبوتي
أيضاً ولا مُتَعَت من أربي بها
إن لم أرَد النفس عن إتيانه
ولقد ندمت على مديحي معشراً
وذمت دهرى إذ^(١) غدا متغافلاً
دهرأ متى أوسعت فيه أهله
قلدت فيه الدُرَّ^(٢) غير نفيسه
لو لم يكن فيما أذم لأجله
فمتى أسمروا مكاني مثلها
ليت المكارم لم تكن مقصودة
قسماً بنفس بالزمان قصيرة
لولا اشتغال الخطب في جهالة

حلفاً ويرميني بخصم يحك
للفضل أفعّل ما أروم وأترك
أهدي إليه ولاية تنسك
في موقف عند التنافر يفتك
وأنا منه ما ينال المذكر
ندماً يضل الدمع منه ينبك
عني وصار بأهله يتحكك
ذمأ بباب والمدائح تُؤفك
وسلكته في موضع لا يسلك
إلا معاصرة اللئام وأفرك^(٣)
فلبئس دامكة تجيء وتدمك^(٤)
في كل ذي قدر وضع ينبك^(٥)
وبحرمة الأدب التي لا تُهتك
عني لكنك لكل فضل أملك

● وفيها : أخذ السلطان بدر رحمه الله تعالى « تريم » قسراً من السلطان أحمد بن محمد .

● وفي ضحى يوم الخميس تاسع عشر شهر ذي القعدة توفي الفقيه الفاضل الأديب البارح حمزة بن عبد الله بن محمد بن علي بن أبي بكر بن علي بن محمد

(١) في (م) : « . . . وهوي إذا . . . » تصحيف ، وما أثبتناه عن (ط) .

(٢) في (ط) : « قلدت فيه الدهر » .

(٣) الفرك والفرك : البغض .

(٤) الدامكة : الداهية يقال : (أصابته دامكة من دوامك الدهر أي داهية) « اللسان » (دملك) . والبيت مختل الوزن في شطره الأول .

(٥) ينبك : يرتفع ، من قولهم (مكان نايك ، أي مرتفع) « اللسان » (نيك) .

الناشري^(١) بمدينة زَبِيد ، ودُفِنَ بمقبرة سلفه الصالح بباب سهام قريباً من آل مرزوق وقبر إسماعيل الجبرتي ، وكانت ولادته ثالث عشر شوال من سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة .

وأخذ الفقه والحديث عن العلامة قاضي القضاة الطيب بن أحمد الناشري مصنف « الإيضاح على الحاوي » ، وعن والده^(٢) قاضي القضاة عبد الله ، والعلامة محمد بن أحمد حميش وغيرهم .

وروى عن القاضي مجد الدين الشيرازي^(٣) صاحب « القاموس » ، والفقيه محمد بن أبي الفتح المدني .

وأجازه شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني صاحب « فتح الباري » وكتب له بالإجازة هو وعلماء مصر ، كالشيخ زكريا الأنصاري ، والجوهرية ، والسيوطي ، وابن أبي شريف وغيرهم من علماء مصر ، ومن الحجاز الحافظ أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي .

وله مصنفات حسنة غريبة منها : « الأربعون التهليلية » و« مسالك التحبير من مسائل التكبير » ، ومختصره « التحبير في التكبير » و« انتهاز الفرص في الصيد والقنص » وكتاب النبات العظيم الشأن المسمى « حقائق الرياض وغوضة الفياض » ، و« عجائب الغرائب وغرائب العجائب » ، و« البستان الزاهر في طبقات علماء آل ناشر »^(٤) ، ذيل به على مؤلف قريبه ، و« النعمة المشكورة في المسائل المنثورة » و« سألقة العذار في الشعر المذموم والمختار » ، وله « ألفية في غريب القرآن » وغير ذلك .

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٩٧/١٠) و« البدر الطالع » (١/ ت : ١٥٨) .

(٢) في (م) و (ط) : (وعن ولده) وهو خطأ ، وصوابه في سياق نسب المُترجم له ، وانظر « الشذرات » (١٩٧/١٠) .

(٣) في « الشذرات » (الفيروز ابادي) وهو ما اشتهر به صاحب « القاموس » .

(٤) اسمه في « البدر الطالع » : « البستان الزاهر في طبقات بني ناشر » .

ومن مؤلفاته أيضاً مجموع حسن مفيد في بابيه في الفقه يسمى «مجموع حمزة» ، وذلك من فتاوى علماء اليمن ، وغالبه من فتيا علماء زبيد ، رحمه الله تعالى أمين ، وغالب مؤلفاته لم تبيض .

قلت : ووقفت له على قصيدة في روي لام ألف في منافع البن ذكر فيه نيفاً وسبعين خاصية ، وعدتها نحو الخمسين بيتاً ومنها : [من الطويل]:

كُلِّ البَنِّ لَا تَعْدِلْ بَيْنَكَ تَنْبَلًا لَتَعْلُو بِهِ بَيْنَ الْأَنَامِ وَتَنْبَلًا
واشتهر باللطافة وكثرة الزواج ، ورزق كثيراً من الأولاد مات غالبهم ، وكان ضعيف الحال ، عظيم المقدار ، قوياً في نفسه والتمتع بحواسه ، ولقد قارب المائة وهو يفتض الأ Bakar ويستعمل الحرات القوية المعينة على النكاح إلى أن قضى نحبه وحط سلبه .

وتفقه به خلائق كثيرون ، كإسماعيل بن إبراهيم العلوي ، وأخيه أحمد ، والحافظ ابن الدَّيْبِيع^(١) ، وأبي البركات الناشري ، وأخيه حافظ الدين عبد المجيد وغيرهم .

ومن شعره في الفل الأبيض : [من الوافر]:

زَهُورُ الْفَلِّ تَنْظُرُهَا ابْتِهَاجًا نَجُومًا زَاهِرَاتٍ فِي غِيَاضٍ
وَمَا غَرُبَتْ نَجُومُ اللَّيْلِ لَكِنْ نُقْلَنَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الرِّيَاضِ

وله فيه : [من البسيط]:

انْظُرْ إِلَى الْفَلِّ فِي الْأَغْصَانِ وَالْوَرَقِ وَنَزَّهُ الطَّرْفَ فِي رُؤْيَاهُ بِالْحَدَقِ
تَزْهُو حَدِيقَتُهُ فَخْرًا بَبْهَجَتِهَا فِي رَفْرِفٍ أَخْضَرٍ أَوْ أَبْيَضٍ يَقَقِ^(٢)
كَأَنَّ خُضْرَتَهَا وَالْفَلَ حِينَ بَدَا صَخْنُ السَّمَاءِ فِيهِ أَنْجُمُ الْأَفْقِ

(١) في (ط) : (الربيع) تحريف .

(٢) اليقق : شديد البياض ناصعه .

ومن شعره في الأنبيج : [من الرافر]:

وَمُضَفَّرُ الْمَلَاءَةِ قَدْ جَنَانِي
أَشْبَهُ شَامَةً حَمْرًا عَلَيْهِ
رَحِيقُ الشَّهْدِ مِنْ رَشْفِ الْمُجَاجِ^(١)
بِفَضْلِ الْخَمْرِ فِي كَأْسِ الرُّجَاجِ

وله فيه : [من البسيط]:

إِذَا نَظَرْتُ إِلَى الْعِنْبَاءِ^(٢) تَحْسِبُهُ
أَوْ خَدَّ غَانِيَةٍ يَحْمَرُّ مِنْ خَجَلٍ
جَامَأً مِنَ التَّبَرِّ فِيهِ فَصٌّ يَاقُوتِ
أَوْ قُرْصَ عَاشِقَةٍ أَدْمَاهُ كَالْتَّوتِ

ولي في الأنبيج :

يَا صَاحِبَ إِنَّ الْعِنْبَ لَهُ لَذَّةٌ
وَوَقْتُ إِتْيَانِهِ لَا تَنْسَهُ
تَفُوقَ لَذَاتِ الْفَوَاكِهِ وَالثَّمَارِ
فَهُوَ الَّذِي يُنْسِيكَ ذَاتَ الْأَسْتَارِ

ولي فيه :

أَيَّامَ الْعِنْبِ قَدَسَتْ يَا أَيَّامَ
بَذَلْتِي الرِّضَاعَ لِلنَّاسِ دَهْرًا
أَذْكَرْتَنِي الرَّاحَةَ وَتِلْكَ الْأَعْلَامَ
وَمَا مَفْجَعُهُمْ مِنْكَ إِلَّا الْفِطَامَ

ولي فيه :

الْعِنْبُ سُلْطَانُ الثَّمَا
فَلَوْ نُفِهُ الْمَحْمَرُّ يَحْكِي
ر وَمَا سِوَاهُ الْحَاشِيَةِ
حُسْنُ خَدِّ الْغَانِيَةِ
بِكُلِّ طِيبٍ وَغَالِيَةٍ
وَرِيحُهُ الْعَاطِرُ يَزْرِي

* * *

(١) في (ط) : « وَمُضَفَّرَةُ الْمَلَاءَةِ » ولا يستقيم وزنه . ومجاجة الشيء : عصارته .

(٢) في (ط) : « ... إِلَى الْعِنْبِ . » .

سنة سبع وعشرين بعد التسعمائة

● وفي سنة سبع وعشرين توفي الأمير مرجان الظافري^(١) ، وتولى بعده الشيخ عبد الملك بن طاهر ، وهذا مرجان هو الذي عمّر قبة العيدروس بعدن وهو مدفون معه فيها ، وكانت له عقيدة كاملة وحسن ظن زائد في العيدروس نفع الله به . ولقد قال عندما ذُكرت عنده كراماته قدس الله روحه : لو شئت أن أُملي من كراماته مجلداً لأُمليت . نقل ذلك العلامة بحرّق - رحمه الله - في كتابه « مواهب القدوس في مناقب ابن العيدروس » .

وكان الأمير مرجان مشهوراً بالشجاعة والكرم ، متصفاً بمحاسن الأوصاف والشيم . ويكفي في فضله العظيم أن الفقيه بحرّق قال في وصفه : الكريم الأمير ، المؤيد بتوفيق الله تعالى وعنايته ، المسدد بحفظ الله ورعايته ، الذي فتح الله بنور الإيمان عين بصيرته ، وطهر عن سوء العقيدة باطن سريره ، وصار معدوداً من الأولياء لموالاته لهم باطناً وظاهراً ، وحاز من بين الولاة والحكام من التواضع لله والرفق بالفقراء والمساكين حظاً وافراً ، مرجان بن عبد الله الظافري لا زال على الأعداء ظاهراً ، وإلى مرضاة مولاه مبادراً .

● وفيها : طلب الشيخ عبد الله بن طاهر جدي الشيخ عبد الله العيدروس إلى عدن المحروس ، فسار إليه من بلدة تريم ، وأقام عنده مدة نحو ست سنين على غاية التعظيم ، ثم رجع إلى تريم سنة ثلاث وثلاثين .

* * *

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (٢١٥ / ١٠) .

سنة ثمان وعشرين بعد التسعمائة

● وفي سنة ثمان وعشرين توفي العلامة محمد بن أسعد جلال الدين الصديق الدَّواني^(١) - بفتح المهملة وتخفيف النون نسبة لقرية من كازرون - الكازروني^(٢) الشافعي القاضي بإقليم فارس ، والمذكور بالعلم الكثير .

وممن أخذ عنه المحيوي اللّاري ، وحسن بن البقال . وتقدم في العلوم سيّما العقليات ، وأخذ عنه أهل تلك النواحي وارتحلوا إليه من الروم وخراسان وما وراء النهر .

ذكره السخاوي في «ضوئه» قال : وسمعت الثناء عليه من جماعة ممن أخذ عني ، فاستقره السلطان يعقوب في القضاء ، وصنف الكثير ، من ذلك : «شرح على شرح التجريد» للطوسي عمّ الانتفاع به ، وكذا كتب على «العصدي» مع فصاحة وبلاغة وصلاح وتواضع ، وهو الآن في سنة تسع وتسعين حي ابن بضع وسبعين . انتهى .

● وفيها : سُئل الحكيم بدر الدين محمد بن محمد القوصوني بما صورته : ما قولكم - رضي الله عنكم ونفع بعلومكم المسلمين - في القهوة ، هل استعمالها مضرٌّ أم نافع؟ وهل طبعها الحرارة أم البرودة أم اليبوسة أم الرطوبة؟ وإذا قلتم بأن استعمالها نافعٌ فما القدر النافع منها وما المضرُّ؟ وهل الإكثار منها ضار أم لا؟ وهل فيها تقوية للباه أم لا؟ وهل استعمالها على الشبع مضر أم نافع؟ وكذلك استعمالها على الجوع هل هو مضرٌّ أم نافع؟ وهل فيها

(١) ترجمته في «الضوء اللامع» (١٣٣/٤) و«شذرات الذهب» (٢٢١/١٠) و«البدر الطالع» (١٣٠/٢) .

(٢) في (ط) : «الكاروني» وهو خطأ .

هضم؟ وهل استعمالها حارة أولى من استعمالها فاترة أم عكسه؟ وهل يضاف إليها شيء من الأشياء عند طبخها أم لا؟ أفتونا مأجورين ، أثابكم الله الجنة .

فأجاب : الحمد لله ، لم أجد ذكراً للبن فضلاً عن القهوة في شيء من كتب الطب التي طالعته واطلعت عليها ، والذي نتكلم فيه الآن إنما هو بحسب ما ظهر لنا من آثارها بطريق التجربة ، فأما هل استعمالها مضر أم لا ، فنقول : إنه ليس يمكننا الحكم على دواء من الأدوية بأنه نافع مطلقاً ، ولا بأنه ضار مطلقاً في كل حال ، بل إن أثبتنا له نفعاً في بعض الأحوال فلا ينافي ذلك أن يكون له مضرة في حالة أخرى ، وأن يكون غيره أنفع منه في تلك الحال ، ونوضح ذلك بمثال فنقول : الدرياق الفاروق قد أجمع الأطباء أنه أعظم الأدوية ، ومع ذلك لا يمكن أن يقال بنفعه مطلقاً وفي كل حال ، بل بعض الأدوية المبردة كبزر قطونا للمحموم مثلاً أنفع منه بكثير ، فبقي أن يقال : إن القهوة كغيرها من الأدوية لها نفع في بعض الأحوال .

فأما طبع القهوة ، فنقول : إن في الكيفيتين الفاعلتين - أعني الحرارة والبرودة - فالظاهر أنها معتدلة ومائلة إلى البرد قليلاً ، ولا يبعد أن يكون لها جزء حار به يكون الهضم ونحوه من أفعالها ، فإن كثيراً من الأدوية كذلك ، وأما في الكيفيتين المنفعلتين فتجدها مائلة إلى جانب اليبس ؛ لأننا نجدها تجفف الأبدان وتغيّر أصحاب الأمراض اليابسة .

وأما القدر النافع منها ، فهو مختلف بحسب مزاج مستعملها .

وأما هل الإكثار منها مضر؟ فقد قال الأطباء : إن كل كثرة عدو للطبيعة ، ولا شك أن الإكثار من القهوة مضر خصوصاً بذوي الأمزجة اليابسة .

وأما هل فيها تقوية للباه؟ فنقول : لا يبعد ذلك بواسطة تجفيفها للرطوبات المرطبة للأعصاب فيكون ذلك بطريق العرض .

وأما هل استعمالها على الشبع مضر؟ فنقول : قد نهى الأطباء عن استعمال سائر المشروبات عقيب استعمال الغذاء ؛ لما يفجج الغذاء وينفذه قبل

انهضامه ، لكن القليل من المشروبات خصوصاً المعينة على الهضم كالقهوة ونحوها نافعة بشرط أن لا يبلغ إلى حد تنفذ الغذاء إلى فجاجته ، وأولى ما استعملت القهوة بعد أخذ الغذاء في حالة الانهضام . فأما على الجوع فمجففة تنفع أصحاب الأمزجة الباردة الرطبة ، وتغير المهزولين ويابسى الأمزجة . واستعمالها فاترة أولى لأنها حينئذ تكون ألد طعماً وأقوى على النفوذ .

وأما هل أنه يضاف إليها دواء عند الطبخ؟ فنقول : لا يبعد^(١) أن يُضاف إليها أدوية مصلحة لمزاجها مقوية لأفعالها ، لكن تخرج عن كونها قهوة وتدخل في جملة الأدوية النافعة . ولكن الأولى أن يضاف إليها شيء من السكر أو العسل لباردي المزاج ليعين ذلك على نفوذها ، والله أعلم . قاله بدر الدين محمد القوصوني في المحرم سنة ٩٢٨ هـ .

* * *

(١) في (ط) : « لا يتعذر » .

سنة تسع وعشرين بعد التسعمائة

● وفي سنة تسع وعشرين توفي الفقيه العلامة شهاب الدين أحمد بن الفقيه عبد الله بن عبد الرحمن بالحاج با فضل^(١) ، وكان مولده يوم الجمعة خامس شوال من سنة سبع وسبعين وثمانمائة ، وتفقه بأبيه ، وبالفقيه محمد بن أحمد فضل ، وأخذ عن قاضي القضاة العلامة يوسف بن يونس المقرئ ، والقاضي أحمد بن عمر المزجد وغيرهما ، وبرع وتميز وتصدر للإفتاء والتدريس في زمان والده ، وكان متولياً لإعادة في درس الجامع في زمان والده ، ولما مات والده خلفه وصار [في]^(٢) عين المكان .

وكان فقيهاً فاضلاً ، حسن الاستنباط ، قوي الذهن ، شريف النفس ، وكان والده يعظمه ويثني عليه ويشير إليه بالمعرفة في الفقه . وحجّ مراراً ، واجتمع في حجته الأخيرة بالشيخ العالم الصالح محمد بن عراق ، وكان من رجال الطريق ومشايخ التحقيق ، فصحه ولازمه وتسلك على يده .

وكان سخيّاً كثير الصدقة وفعل المعروف ، محباً للصالحين والفقراء ، حسن العقيدة فيهم ، كثير المواصلات لهم ، مواظباً على الطاعة . ولم يزل على ذلك حتى استشهد في معركة الكفار لما دخل الإفرنج الشحر وقتلوا الأمير مطران وغيره وأسرّوا ونهبوا ، وذلك بعد فجر يوم الجمعة عاشر شهر ربيع الثاني من السنة المذكورة ، ودفن عند والده ، رحمهما الله تعالى ونفع بهما آمين آمين .

وله من التصانيف : « نكت على روض المقرئ » في مجلدين لطيفين ، وله

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠ / ٢٢٥-٢٢٦) والأعلام (١ / ١٦٠) .

(٢) ما بين قوسين زيادة من (ط) .

« نكت على الإرشاد » في مجلدين لطيفين أيضاً ، وهو^(١) تصنيف حسن في باب مفيد جداً ، وله أيضاً كتاب « مشكاة الأنوار » وهو غاية الحسن كثير النفع ، وكفاه شرفاً أن مؤلفه قال في وصفه في أثناء وصيته : عليك بالأوراد التي علقتها في كراريس سميتها « مشكاة الأنوار » عليك بها ، عليك بها ، فإني ضمنتها والله الاسم الأعظم الذي هو إكسير الأولياء ، ولكن لا يظهر إلا بالمداومة مع الصيانة والديانة والعفة والسلامة من الوقوع في الشبهات والشهوات ، عليك بحفظ ما فيها عن ظهر القلب . وله وصية مختصرة .

ومن كلامه : « من كان همّه المعالف فاتته المعارف » .

وكان يعظم السادة الأشراف آل با علوي جداً . وحكي عنه أنه قال : طفت كثيراً من البلدان كمكة المعظمة والمدينة المشرفة واليمن الأنيس وغيرها ، ونظرت كثيراً من الحجاج ممن يفتد إلى بيت الله الحرام من أطراف البلاد وسائر الآفاق ، وسألت غير واحد من الثقات فما ذكروا لي ولا وجدت في الأشراف مثل آل با علوي وطريقتهم في الاستقامة والاتباع للكتاب والسنة .

ومما كتب به إلى بعض السادة آل با علوي من جملة مكتوب ما صورته : « فأنتم أهل الفضل والإحسان ، ومعدن سرّ النبوة والفضائل والفتوة ، قليلكم كثير ، حقيركم جليل ، ضعيفكم قوي ، مسكينكم غني ، ولكن أكثرهم لا يعلمون . أوصاف غيركم طارئة ، وكمالاتكم ذاتية . كيف يبلغ شأو الذات فضيلة الصفات ، هذا إن صحت . كيف وقد ساق الله لكم الكمالين ؟! نعوذ بالله من الجهل بمعرفة حقكم » . انتهى .

* * *

(١) في (ط) : « وله » ولا يستقيم به السياق .

سنة ثلاثين بعد التسعمائة

● في فجر يوم الأحد سلخ^(١) شهر ربيع الآخر سنة ثلاثين وتسعمائة توفي الشيخ الإمام شيخ الإسلام العلامة ، ذو التصانيف المفيدة والفتاوى السديدة ، المجمع على جلالته وتحريره وورعه ، أفضى قضاء المسلمين ، أوحده عباد الله الصالحين ، صفى الدين أبو الشرور القاضي أحمد^(٢) بن عمر بن محمد بن عبد الرحمن بن القاضي يوسف بن محمد بن علي بن محمد بن حسان بن الملك سيف بن ذي يزن^(٣) المذحجي السيفي المرادي ، شهاب الدين الشهير بالمُرْجَد - بميم مضمومة ثم زاء مفتوحة ثم جيم مشددة مفتوحة ودال مهملة آخر الحروف - الشافعي ، الزبيدي ببلده زَبِيد ، وصُلِّيَ عليه بجامعها الكبير ، ودفن بباب سهام ، وقبره قبلي تربة الشيخ علي أفلق ، ولم يخلف بعده مثله رحمه الله تعالى ونفعنا بسرّه وسرّ علومه . ورثاه جماعة من أكابر العلماء والأدباء من تلامذته ومعاصريه ، وعظم الأسف عليه ، وكان من العلماء المشهورين ، وبقية الفقهاء المذكورين ، وأحد المحققين المعتمدين المرجوع إليهم في النوازل المعضلة والحوادث المشككة ، وكان على الغاية من التمكن في مراتب العلوم الإسلامية من الأصول والفروع وعلوم الأدب . وذكرناه كرامات . وهو الذي أفتى بحلية البن والقهوة .

وُلِدَ رحمه الله تعالى سنة سبع وأربعين وثمانمائة بجهة قرية الزيدية^(٤) ونشأ

(١) لم ترد اللفظة في (ط) ووردت في (م) فقط .

(٢) ترجمته في « الكواكب السائرة » (١١٣/٢ - ١١٤) و « شذرات الذهب » (٢٣٥/١٠ - ٢٣٦) .

(٣) ذكر صاحب الشذرات بعض أجداد المترجم له ثم قال : وينسب إلى سيف بن ذي يزن وهو الأقرب للصواب .

(٤) في (ط) : « الزيدية » وما أثبتناه عن (م) و « الشذرات » (٢٣٥/١٠) .

بها ، وحفظ « جامع المختصرات » ، ثم اشتغل فيها على أبي القاسم بن محمد بن مريد ، ثم انتقل إلى بيت الفقيه ابن عجيل ، فأخذ فيها على شيخ الإسلام إبراهيم بن أبي القاسم جعمان ، والظاهر بن أحمد بن عمر جعمان ، وأخذ أيضاً عن القاضي عبد الله بن الطيب الناشري . وقال تلميذه شمس الدين الناشري : لقد سمعت شيخنا شهاب الدين المشار إليه يقول : ما دخلتني هبة من أحد قط كما كانت تدخلني بين يدي إبراهيم المذكور . انتهى .

ثم ارتحل إلى زبيد واشتغل فيها بالفقه على العلامة أبي حفص عمر الفتى ، ونجم الدين يوسف المقرئ بن يونس الجبائي وبهما تخرج وانتفع ، وأخذ الأصول عن السيفكي^(١) والجبائي ، والحديث عن الحافظ يحيى العامري ، وعن الصديق الطيب المطيب ، والحساب والفرائض عن موفق الدين الناشري ، والعلامة الحسين الصباحي بتعز وغيرهم . وبرع في علوم كثيرة وتميز في الفقه حتى كان فيه أوجد وقته .

ومن مصنفاته المشهورة في الفقه : « العُباب المحيط بمعظم نصوص الشافعي والأصحاب » وهو كاسمه وكما وصفه جامع رحمه الله إذ قال : [من الوافر]:

أَلَا إِنَّ الْعَبَابَ أَجَلٌ سِفْرٌ	مَنْ الْكُتُبِ الْقَدِيمَةِ وَالْجَدِيدَةِ
كَتَابٌ قَدْ تَعَبْتُ عَلَيْهِ دَهْرًا	وَحَضْتُ لَجْمَعِهِ كُتُبًا عَدِيدَةً
وَقَرَّبْتُ الْقَصِيَّ لَطَالِيهِ	وَقَدْ كَانَتْ مَسَافَتُهُ بَعِيدَةً
وَعُضْتُ عَلَى الْخَبَايَا فِي الزَّوَايَا	فَهَا هِيَ فِيهِ بَارِزَةٌ عَتِيدَةً
وَكَمْ قَدْ رَضْتُ فِيهِ جِيَادَ فِكْرِي	وَمَرَّتْ لِي بِهِ مَدَدٌ مَدِيدَةً
إِلَى أَنْ بَلَغَ الرَّحْمَنُ مِنْهُ	مَرَادِي مِنْ مَوَاهِبِهِ الْمَدِيدَةِ
فَدُونُكَ كَنْزَ عِلْمٍ لَسْتُ تَلْقَى	مَدَى الْأَزْمَانِ فِي الدُّنْيَا مَدِيدَةً

(١) في (ط) : « السيفكي » وما أثبتناه عن (م) وهو في « الشذرات » : « السيفكي » .

وِثْقٌ بِجَمِيعِ مَا فِيهِ فَإِنِّي مِنْحْتُ الْعِلْمِ فِيهِ مُسْتَفِيدُهُ
إِلَهِي اجْعَلْهُ لِي ذُخْرًا وَضَاعِفًا ثَوَابِي مِنْ عَطَايَاكَ الْحَمِيدَةِ
وَجَدُّ بِقَبُولِهِ وَاجْعَلْ جَزَائِي رِضَاكَ وَجَنَّةَ الْخُلْدِ الْمَشِيدَةِ
بِجَاهِ مُحَمَّدٍ خَيْرِ الْبَرَايَا وَمَنْقَذِهِمْ مِنَ الْكَرْبِ الشَّدِيدَةِ
وَصَلِّ وَسَلِّمْ أَبَدًا عَلَيْهِ وَعَمَّ جَمِيعَ عَتَرَتِهِ السَّعِيدَةِ

وهو على أسلوب « الروض » جمع فيه مسائل « الروض » ومسائل « التجريد » وهو كتاب عظيم جامع لأكثر أقوال الإمام الشافعي وأصحابه ، وأبحاث المتأخرين منهم ، على الغاية من جزالة اللفظ وحسن التقسيم . ولقد اشتهر هذا الكتاب في الآفاق ، ووقع على حسنه ونفاسته الإجماع والاتفاق ، وكثر اعتناء الناس بشأنه ، وانتفاع الطلبة به ، واغبتا طهم ببيانه ، واعتناء غير واحد من علماء الإسلام بشرحه ، كالعارف شيخ الإسلام أبي الحسن البكري ، فإنه شرحه بشرحين صغير وكبير ، كتب الصغير أولاً وجعله أصلاً ، وميّز فيه المتن من الشرح بخطوط سود ، ثم كتب على الحواشي زيادات كثيرة وميزها عن الشرح الأول ، وذكر أن ما دونها شرح صغير ، وأنها مع الشرح الصغير شرح كبير .

قالوا : وخط الشارح على غاية من الصعوبة ، بحيث عجز أكثر أصحابه عن استخراج خطه ، واستمر الشرح في المسودة لتلك الصعوبة ، ثم تصدى بعض الطلبة لتبييض الشرحين المذكورين ، فيبّض حتى وصل إلى نحو ثلث الشرح ، وانتهى ذلك إلى نحو من تسعين جزءاً .

وكذا شرحه شيخ الإسلام أحمد بن حجر الهيتمي رحمه الله تعالى إلا أنه لم يتم ، بل قارب ثلث الكتاب فيما أظن . نعم ؛ عيب عليه فيه قوله « خلافاً للشيخين » في مواضع متعددة ، وقد تقرر أن الذي عليه الفتوى الآن في مذهب الإمام الشافعي هو ما اتفق عليه الشيخان الرافعي والنووي ، فإن اختلفا فالنووي ، لأنه مُتَعَقِّبٌ ، ربما ظهر له ما خفي على الأول إلا ما اتفق المتأخرون قاطبة على أنه سهو أو غلط ، وما عداه لا عبرة بمن خالف فيه .

تَبَّه على ذلك خاتمة المتأخرين شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي رحمه الله تعالى ، وذكر أن هذا هو ما أخذه عن مشايخه وهم عن مشايخهم وهكذا . انتهى والله أعلم . وهو في مجلد ضخمة .

ومنها « تجريد الزوائد وتقريب الفرائد » في مجلدين . جمع فيه الفروع الزائدة على الروضة غالباً . وكتاب « تحفة الطلاب ومنظومة الإرشاد » في خمسة آلاف وثمانمائة وأربعين بيتاً ، وزاد على الإرشاد كثيراً من المسائل والقيود ، ونظم أوائله إلى « الرهن » في مدة طويلة ، ثم مكث نحو خمس عشرة سنة ، ثم شرع في تتمته فكملة في أقل من سنة .

وفتاوى جمعها ولده القاضي العلامة بركة المسلمين حسين بن أحمد المَزَجِد ، ثم جمعها ابن النقيب وزاد فيها من تفقهاته ما لا غنى عنه . وله غير ذلك .

وتفقه به خلائق كثيرون منهم : أبو العباس الطنبذاوي ، وشيخ الإسلام ابن زياد ، والحافظ الدَّيْبِع ، والعلامة محمد بن عمر بحرَق ، وصالح النماري ، وغيرهم من أكابر الأعيان واختلاف أجناس الطلبة من جهات شتى .

وله شعر حسن ومنه في الحصن الحصين : [من الوافر]:

إذا ما خفتَ من نوبِ الفَنَاءِ	فلازمَ عدَّةِ الحصنِ الحصينِ
ووثقَ بجميعِ ما فيها لتظفرَ	سريعاً بالتخلُّصِ عن يقينِ
فقدَ جرَّبْتُهَا فوجدتُ فيها	أمانَ الخائفينَ من المُنُونِ
وفيهَا بُرءُ داءٍ لا يُدَاوَى	وتفريجُ عَنِ القلبِ الحزينِ

ومنه : [من البسيط]:

لا تصحبِ المَرْءَ إلَّا في استكانته	تلقاه سَهلاً أديباً لِيَنَ العُودِ
واحذره إن كانتِ الأَيَّامُ دولتهُ	لَعَلَّ يُوليكَ خُلُقاً غيرَ محمودِ
فإنه في مهاوٍ من تَغَطَّرِسهِ	لا يَزْعُوي لَكَ إن عَادَى وإن عُودي
وقلْ لأَيَّامه اللَّاتِي قد انصَرَمَتْ	باللهِ عُودي علينا مَرَّةً عُودي

ومنه : [من الخفيف]:

قُلْتُ لِلْفَقْرِ أَيْنَ أَنْتَ مُقِيمٌ قال لي في محابر العلماء
إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ لِإِخَاءٍ وعزيرٌ عليّ قطعُ الإخاءِ
وكان ينظم في اليوم الواحد نحو ثمانين بيتاً مع القيود والاحترافات . وله
مرثية عظيمة في شيخه عمر الفتى .

قال حفيده شيخ الإسلام قاضي قضاة الأنام أبو الفتح بن حسين المُرْجَد
رحمه الله تعالى : كان جَدِّي رحمه الله تعالى شرح « جامع المختصرات »
للنسائي في ست مجلدات ، ثم لما رآه لم يستوف ما حواه الجامع المذكور من
الجمع والخلاف ألقاه في الماء فأعدمه ، والله المستعان .

قال علامة العصر ومفتيه أحمد بن عبد الرحمن الناشري أبقاه الله تعالى :
كان القاضي المشار إليه إذا سئم من القراءة والمطالعة استدعى بمقامات
الحريري فيطالع فيها ويسميها طبق الحلوى . وولي قضاء عدن ثم قضاء زَبِيد ،
وباشر ذلك بعفة وديانة ، وطالت مدته فيها .

وحُكي أَنَّهُ لما جاء إلى زَبِيد وأُتي إليه بمعلومها قال : جئنا من عدن إلى
عدم ، وكأنَّه - والله أعلم - كان غيرَ راضٍ بهذه المرتبة لما فيها من الخطر
العظيم ، وذلك لكمال ورعه واحتياطه في دينه واستحقاره لزهرة الدُّنيا ،
ومنصبها .

وكان على جانب عظيم من الدِّين ، حتى قال بعضهم في عصره : لو جاز
أن يبعث الله نبياً في عصرنا لكان أحمد المُرْجَد هو ذلك النبي .

قال النماري : ولما دخلت عليه وشرعت في قراءة « العباب » لديه أخذتني
من دهشة الهيبة والعظمة ما منعني استيفاء ما كنت آلفه من الانبساط^(١) في حال
القراءة ، ففهم ذلك مني ، وأخذ يباسطني بذكر بلدي ، وأن منها الشاعر

(١) في (م) : « الاستنباط » تحريف وصوابه في (ط) .

الفلاّني الذي قال في قصيدته ما هو كيت وكيت ، حتى زال عني ذلك الدهش ، وثابّت إليّ نفسي .

قلت : والهيبة من علامات الأولياء ، ولا يعزب عنك ما مرّ قريباً من أنه - أي المُرَجَّد - قال : ما دخلتني هيبة قط كما كانت تدخلني بين يدي الفقيه إبراهيم يعني شيخه إبراهيم بن أبي القاسم جعمان ، وبذلك يعلم أنه من وفقه الله ليعظم شيخه قيّض الله له من يعظمه من الآخذين عنه .

وكان رحمه الله تعالى ملازماً للعزلة والعبادة وتلاوة القرآن والدفع بالتي هي أحسن ، ويشهد له بذلك قوله من قصيدة : [من الرافر]:

فلازم كسر بيتك فهو أدعى	لبعدك عن قبيح الإعتياد
وسامخ أهل عصرك واعف عنهم	وعش مستأنساً بالإنفراد
وقل أقرضتكم عرضي جميعاً	وقد أبرأتكم يوم المعاد
لكم حقّ عليّ ولا أرى لي	حقوقاً عندكم هذا اعتقادي
لأنّي عبد سوء ذو عيوب	يُصاحُ عليّ في سوق الكساد

وقال النماري : كان شيخنا المذكور أوقاته مرتبة ، يجعل أواخر الليل وأول النهار لدرس القرآن ، ثم يشتغل بما له من أوراد ثم بالتفسير ثم بالفقه ، ثم يخرج إلى الحكم إلى وقت الظهر ، ثم يقيل ، ثم يشتغل بالإحياء للغزالي ونحوه من كتب الرقائق ، وفي أواخر النهار ينظر في التواريخ ، إلى أن يخرج لمجلس الحكم بعد صلاة العصر ، لأنه كان يجلس للحكم في اليوم مرتين .

قال الشيخ جار الله بن فهد : انتفع به الناس وأخذ عنه الطلبة ، واستمر على عظّمته ووجاهته حتى مات في دولة الأروام رحمه الله تعالى ، انتهى .

وحكى تلميذه العبد الصالح العلامة المفنن محمد بحرّق قال : « رأيت النبي ﷺ في المنام في ثغر عدن وقت السحر ، ويده الكريمة كتاب يطالع فيه ، قال : فقلت له : ألك اطلاع يا رسول الله على تصانيف أمتك؟ قال : نعم . فقلت : ما تقول في عقيدة إحياء علوم الدين؟ قال : لا بأس بها .

فقلت : هل لك اطلاع على تصانيفهم الفقهية؟ قال : نعم ، ولم أر أجزل عبارة من إمام الحرمين ، وما رأيت مثل مجموع لأبي السرور الذي ضمنه « الروض » وزاد عليه باقي مسائل المذهب . فوقع بيالي أن المجموع المذكور هو « العباب » انتهى .

وكان بينه وبين سيدي الشيخ القطب شمس الشموس أبي بكر بن عبد الله العيدروس اتحاد كلي ، ولكل منهما إلى الآخر ميل قلبي ، وكانت بينهما محبة ومكاتبات ومواصلات ومراسلات ، ومدح هو العيدروس بقصيدة سبقت في ترجمته ، وفيه أيضاً يقول العيدروس نفع الله به : [من الطويل]:

سَلَامٌ كَوْبِلُ عَمَّ فِي الْكَوْنِ سَاجِمُهُ	تَفْتَحُ عَنْ نَوْرِ الْكَامَامِ مَبَاسِمُهُ ^(١)
سَلَامٌ يَفُوقُ الْمِسْكَ فِي نَشْرِ عَطْرِهِ	وَيُزْرِي بِذَوْقِ الشَّهْدِ فِي فِيَّ طَاعِمُهُ
عَلَى السَّيِّدِ الْحَبْرِ الْعَلِيمِ شَهَابُنَا	نَوَاوِي الْعُلَا مَفْتِي الزَّمَانِ وَحَاكِمُهُ
لَهُ فِي سُلُوكِ الدِّينِ أَوْضَحَ مِنْهَجٍ	لَهُ مِنْ فُنُونِ الْعِلْمِ أَوْفَى مِقَاسِمُهُ
لِكُلِّ زَمَانٍ عَالَمٌ يُقْتَدَى بِهِ	وَهَذَا زَمَانٌ أَنْتَ لَا شَكَّ عَالَمُهُ
بِمَجْلِسِهِ تُجَلَّى الْعُلُومُ وَيَهْتَدَى	بِهِ كُلُّ حَبْرٍ لَيْتَ مَنْ هُوَ مُلَازِمُهُ
يَفُكُّ عَوِيصَ الْمُشْكَلَاتِ دَرَايَةً	بِدِيهَتِهِ تُبْدِي خَفِيَّ مَكَارِمُهُ

وفيه يقول أيضاً من قصيدة له أخرى : [من الطويل]:

شَهَابُ الْعُلَا غَوْتُ الْمَلَا هُوَ أَحْمَدُ	وَقَاضِي قَضَاةِ الْوَقْتِ فِي مَدَّةِ الْعَصْرِ
فَيَوْمٌ لَهُ فِي الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ وَالْحَجَى	يَزِيدُ عَلَى أَعْمَارِ سَبْعٍ مِنَ النَّسْرِ
وَفِي الْعِلْمِ يَسُّ لَمْ يَزَلْ مُتَلَاظِمًا	يَجَلُّ عَنِ الْإِحْصَاءِ وَالْعَدِّ وَالْحَصْرِ

ومناقبه كثيرة ، وترجمته طويلة كبيرة ، وقد أفردتها بالتصنيف حفيده القاضي أبو الفتح بن الحسين المُرْجَدُ في جزء لطيف سماه « منية الأحاب في مناقب صاحب العباب » .

(١) في (ط) و (م) : « سلام كَوْبِلُ عَمَّ سَاجِمُهُ » ولا يستقيم معه الوزن ، ولعل الصواب ما أثبتناه .

وإذا تأملت ما أسلفناه عنه من الأخبار الجميلة والسير الحميدة ، علمت أنه من العلماء الأخيار الأبرار ، ولا ينافي ذلك ما كان متلبساً به من القضاء ونحوه ، فقد ابتلي بمثل ذلك غير واحد من العلماء الصلحاء ، كشيخ الإسلام تقي الدين السبكي ، وشيخ الإسلام زكريا الأنصاري . وحسبك أن العيدروس - نفع الله به - وصفه بهذه الأوصاف الجليلة والنعوت الجميلة ، وإذا وقع من مثل هذا الرجل فيه مثل هذا القول ، فقد أغنى ثناؤه عن كل وصف ، والشهادة منه خير من شهادة ألف ألف .

وكان لصاحب الترجمة أربعة أولاد : علي والحسن والحسين وعبد الرحمن ، وكل منهم أفتى في حياة أبيه ، ومات منهم اثنان في حياة أبيهما وهما : عبد الرحمن وحسن ، ورثاهما وحزن عليهما ، فوفاة حسن سنة تسع وتسعمائة ، ووفاة عبد الرحمن سنة إحدى عشرة وتسعمائة .

● وفيها : في ليلة العشرين من شعبان توفي الشيخ الإمام البارع النحوي اللغوي ، الأديب المفنن ، القاضي جمال الدين محمد^(١) بن عمر بن مبارك بن عبد الله بن علي الحميري الحضرمي الشافعي الشهير ببحرّق - بحاء مهملة بعد الموحدة ثم راء مفتوحة بعدها قاف - .

وكان من العلماء الراسخين ، والأئمة المتبحرين ، اشتغل بالعلوم ، وتفنن بالمنطوق منها والمفهوم ، وتمهر في المنثور والمنظوم ، وكانت له اليد الطولى في جميع العلوم ، وصنف في كثير من الفنون كالحديث والتصوف والنحو والصرف والحساب والطب والأدب والفلك وغير ذلك . وما رأيت أحداً من علماء حضرموت أحسن ولا أوجز عبارة منه ، وله نظم حسن ، وهو أحد من جمع بين ديباجتي النظم والنثر ، فنثره منثور الرياض جاد بها السحائب ، ونظمه منظوم العقود زانتها النحور والتراتيب . [من البسيط:]

إن شاء أنشأ نثراً رائعاً وكذا إن ودّ أنشد نظماً يُشبه الدُّررا

(١) ترجمته في «الضوء اللامع» (٢٥٣-٢٥٤) و«شذرات الذهب» (١٠/٢٤٤-٢٤٦) و«الأعلام» (٦/٣١٥-٣١٦).

وهو الذي يقول هذه الأبيات مجيباً لبعض الفضلاء الممتحنين له من أهل زمانه : [من الكامل]:

يا مَنْ أَجَادَ غَدَاةً أَنْشَدَ مَقُولَا
إِنْ كُنْتَ مَمْتَحَنِي بِذَاكَ فَلِإِنِّي
وإِذَا تَبَادَرَتِ الْجِيَادُ بِحَلْبَةٍ
قَسَمًا بِآيَاتِ الْبَدِيعِ وَمَا حَوَى
لَوْ كُنْتَ مَفْتَخِرًا بِنَظْمِ قَصِيدَةٍ
مِنْ كُلِّ قَافِيَةٍ يَرُوقُ سَمَاعُهَا
وَيَرَى لَبِيدٌ فِي بَلِيدٍ قَلْبَهُ
وَعَلَى جَرِيرٍ نَجَرَ مَطَرُفٍ نَبْهَنَا
وَلِئِنْ تَنَبَّأَ ابْنُ الْحُسَيْنِ^(١) فَلِإِنِّي
أُظَنَنْتُ أَنَّ الشَّعَرَ يَصْعَبُ صَوْغُهُ
أَبْدِي الْعُجَابَ إِذَا بَرَزْتَ مَفَاخِرًا
لَكُنْتَنِي رَجُلٌ أَصُونٌ بِضَاعَتِي
وَأَرَى مِنَ الْجَرَمِ الْعَظِيمِ خَرِيدَةً
مَا كُنْتُ أَحْسَبُ عَقْرَبًا تَحْتَكُ بِالِ
وَأَنَا الْغَرِيبُ وَأَنْتَ ذَاكَ وَبَيْنَنَا
وَلَقَدْ أَجَادَ فِيهَا كُلَّ الْإِجَادَةِ وَلِلَّهِ دُرُّهُ ، وَلَا يَبْعَدُ أَنْ بَرَاعَتُهُ فِي الشَّعْرِ لِمَعْنَى

- (١) ابن الحسين : هو أحمد بن الحسين أبو الطيب المتنبي ، الشاعر المشهور ت (٣٥٤هـ) .
(٢) في (ط) « أو مادحاً للقوم . . . » وما أثبتناه عن (م) والقرم من الرجال : السيد المعظم .
(٣) في (ط) : « ولا هيفا » وهو خطأ ، وصوابه في (م) ، والهَيْجُ : ما نتج في الصيف ، وسمي هَيْجاً لأنه يهيج إذا مشى ، أي يمد عنقه ويتكاثره ليدرك أمه . والبزل : جمع بازل من « بزل البعير يَبْزُلُ بَزُولاً إِذَا فَطَرَ نَابَهُ أَيْ انشَقَّ ، وَذَلِكَ فِي السَّنَةِ الثَّاسِعَةِ » « اللسان » (بزل) .

أرثى من إمامه الشافعي رضي الله عنه ، فقد حكي عنه من ذلك الكثير ، وكان من فحول الشعراء وهو الذي يقول^(١) : [من الوافر]:
ولولا الشَّعْرُ بالعلماء يُزري لكنّ اليومَ أشعرَ من لبيدٍ

● فائدة :

ذكر الإمام فخر الدين الرَّازي رحمه الله في كتابه « مناقب الإمام الشافعي رضي الله عنه » قبل ذكر الأشعار المنقولة عن الشَّافعي مقدمة وهي : أن إنشاء الشعر وإنشاده غير مذموم ، والدليل عليه النَّصُّ والمعقول .

أما النَّصُّ : فما رُوِيَ أن رسول الله ﷺ استنشد من شعر أمية بن أبي الصلت مائة بيت وقال : إن كاد يسلم . واستنشد من أبي بكر رضي الله عنه شعرٌ قُسَّ ابن ساعدة وهو قوله : [من مجزوء الكامل]:

فِي الذَّاهِبِينَ الْأَوَّلِ من من القرون لنا بصائر
لَمَّا رَأَيْتُ مُوَارِدًا للموت ليس لها مَصَادِر

وقد تلفظ عليه الصلاة والسلام بمصاريح من أبيات لبيد ، منها : [من الطويل]:

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ وكلُّ نعيمٍ لا محالة زائلٌ
ومنها قول طرفة : [من الطويل]:

سَتُبْدِي لَكَ الْأَيَّامَ مَا كُنْتَ جَاهِلًا ويأتيك بالأخبار من لم تزوده
وكان الصديق - رضي الله عنه - حاضراً فقال : بأبي أنت وأمي لم يقل القائل كذلك ، بل قال : « ويأتيك بالأخبار من لم تزود »^(٢) .

(١) البيت في « ديوان الشافعي » ص ٣٩ ، ط : دار النور ببغروت .

(٢) ينظر كتاب « أحاديث الشعر » للإمام الحافظ عبد الغني المقدسي .

وأما المعقول : فالنكتة فيه ما ذكره الشافعي رضي الله عنه ، وهو أن الشعر كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام : « إِنَّ مِنَ الشُّعْرِ لِحِكْمَةً » (١) .

والمقصود من هذه المقدمة أن لا يقول جاهل : إِنَّ صنعة الشعر لا تليق بالعلماء المجتهدين ، فإن ذلك جهل بالشعر ، لأن الشعر إذا كان مشتملاً على العلم والحكمة كان أشرف الكلمات . انتهى .

وبالجملة : فإنه كان آية من آيات الله تعالى ، وكتبه تدل على غزارة علمه وكثرة اطلاعه ، وكان غاية في التحقيق وجودة الفكر والتدقيق .

وكان مولده في ليلة النصف من شعبان سنة تسع وستين وثمانمائة بحضرموت ، ونشأ بها ، فحفظ القرآن ، ومعظم « الحاوي » و« منظومة البرماوي » في الأصول « وألفية النحو » بكماها . وأخذ عن جماعة من فقهاء حضرموت منهم : الفقيه الصالح محمد بن أحمد با جرفيل ، ثم ارتحل إلى عدن ولازم الإمام عبد الله بن أحمد مخرمة ، واشتغل عليه في الفقه وأصوله والعربية حتى كان جل انتفاعه به ، وقرأ عليه جميع « ألفية ابن مالك » في النحو ، وجميع « سيرة ابن هشام » وجملة صالحه من « الحاوي الصغير » في الفقه ، وسمع عليه جملة من علوم شتى ، وكذلك أخذ عن الفقيه الصالح محمد بن أحمد با فضل ، ثم ارتحل إلى زبيد وأخذ عن علمائها ، فأخذ علم الحديث عن زين الدين محمد بن عبد اللطيف الشرجي ، وعلم الأصول عن الفقيه جمال الدين محمد بن أبي بكر الصائغ ، وكذلك أخذ عنه التفسير والحديث والنحو ، وقرأ عليه « شرح البهجة الوردية » لأبي زرعة ، وأخذ

(١) رواه البخاري رقم (٦١٤٥) وأبو داود رقم (٥٠١٠) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه .

ورواه الترمذي رقم (٢٨٤٧) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .
وذكره السخاوي في « المقاصد الحسنة » رقم (٢٥٥) وأطال الكلام عليه فليراجع .

أيضاً عن السيد الشريف الحسين بن عبد الرحمن الأهدل ، وألبسه خرقة
التصوف ، وصحب الشيخ أبا بكر العيدروس ، وأخذ عنه وانتفع به ،
فعادت عليه بركته . ولما حج في سنة أربع وتسعين وثمانمائة سمع من
الحافظ شمس الدين السخاوي . وسلك السلوك في التصوف ، وحكي عنه
أنه قال : دخلت الأربعينية بزبيد ، فما أتممتها إلا وأنا أسمع أعضائي
تذكر الله تعالى كلها .

ولزم الجد والاجتهاد في العلم والعمل ، وأقبل على نفع الناس إقراء وإفتاء
وتصنيفاً .

وكان - رحمه الله - من محاسن الدهر ، له اليد الطولى في النظم والنثر
والخطب وغيرها .

وكان غاية في الكرم ، محسناً إلى الطلبة وغيرهم ، كثير الإيثار ، محباً
لأهل الخير ، متصفاً بالإنصاف ، رجاعاً إلى الحق ، مفضلاً جواداً سيّداً ،
قوي النفس ، مواظباً على أفعال الخير . وتولى القضاء بالشَّعر ، فصدع
بالحق ، وحمدت أحكامه ، وعزل نفسه عن القضاء ، ثم عزم إلى عدن ،
وحصل له بها قبول وجاه عند أميرها مرجان ، ثم لما مات مرجان عزم إلى الهند
ووفد على السلطان مظفر ، فقربه السلطان وعظمه ، ولما خبر علمه وفضله زاد
في تعظيمه وتبجيله وأنزله المنزلة التي تليق به .

ومن تصانيفه : « تبصرة الحضرة الشاهية الأحمدية بسيرة الحضرة النبوية
الأحمدية » ، و « الأسرار النبوية في اختصار الأذكار النووية » ، و « مختصر
الترغيب والترهيب » للمنزري ، وكتاب « الحديقة الأنيقة في شرح العروة
الوثيقة » ، وكتاب « عقد الدرر في الإيمان بالقضاء والقدر » ، وكتاب « العقد
الثلثين في إبطال القول بالتقبيح والتحسين » ، وكتاب « الحسام المسلول على
منتقضي أصحاب الرسول » ، وكتاب « العقيدة الشافعية في شرح القصيدة
اليافعية » ، وكتاب « الحواشي المفيدة على أبيات اليافعي في العقيدة » . وذكر
في كتابه « ترتيب السلوك » أن له على أبيات الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي

ثلاثة شروح « بسيط » و « وسيط » و « وجيز » . و « مختصر المقاصد الحسنة » ، وكتاب « حلية البنات والبنين فيما يحتاج إليه من أمر الدين » ، وكتاب « ذخيرة الإخوان » المختصر من كتاب الاستغناء بالقرآن ، وكتاب « النبذة المنتخبة من كتاب الأوائل » للعسكري ، وكتاب « ترتيب السلوك إلى ملك الملوك » ، وكتاب « متعة الأسماع بأحكام السماع » المختصر من كتاب « الإمتاع » ، وكتاب « النبذة المختصرة في معرفة الخصال المكفرة للذنوب المقدمة والمؤخرة » وكتاب « مواهب القدوس في مناقب ابن العيدروس » ، وكتاب « شرح الملحة » للحريري ، و « شرح لامية ابن مالك » في التصريف ، وهو شرح مفيد جداً . وله أيضاً عليها شرح أصغر منه ، واختصر شرح الصفدي على « لامية العجم » ، وله أيضاً رسالة في الحساب ورسالة في الفلك ، ومنظومة في الطب وشرحها ، وغير ذلك .

وبالجملة : فمحاسنه كثيرة وفضائله شهيرة . ومن مقاطيعه : [من الخفيف]:

أنا في سلوة على كلِّ حالٍ إن أتاني الحبيب أو إن أباني
أغنم الوصل إن دنا في أمانٍ وإذا ما نأى أعش بالأماني
وله أيضاً : [من الطويل]

لئن بلغ الزوار خيف مني منّا وأمناً برمي الجمر من لهب الجمر
فبالمنحنى من أضلعي والعقيق من دموعي على التشريق شاركت في الأجر^(١)

وذكره السخاوي في « ضوئه » قال : وصاهر صاحبنا حمزة الناشري على ابنته وأولدها ، وتولع بالنظم ، ومدح عامر بن عبد الوهاب حين شرع في بناء مدارس بزييد والنظر فيها ، وكان من أولها فيما أنشدنيه حين لقيه بمكة وأخذه علي ، وكان قدومه ليلة الصعود ، فحج حجة الإسلام ، وأقام قليلاً ثم رجع :
[من الطويل]:

(١) في (م) : « على التسويف شاركت . . . » .

أبى الله إلا أن تحوزَ المفاخرَا فسمّاك من بين البريّة عامِرا
عَمَزَتْ رُسُومَ الدّين بعد دروسها فأحييت آثار الإله الدّواثِرا
فأنت صلاح الدّين لا شكّ هذه شواهد تَبْدُو عليك ظَوَاهِرا

قال : وكذلك أنشدني مما امتدح به المشار إليه بيتاً هو عشر كلمات وهو :
نشرت بحرأ برأ معيناً ناصراً شمس الملوك صلاح دينك عامِرا

وضمنه في أربعة أبيات يستخرج منها الضمير من العشر فقال : [من البسيط]:
أيدت دينك ياربّ العُلا أبداً بناصرٍ لملوك الأرضٍ قد ضهدا
أعني به عامراً شمسَ الملوك فكُنْ نصيرَه أبداً في كلّ ما قصدا
وناصراً ومعيناً فهو شمسٌ ضحى أخفى نجومَ ملوك الأرض منذ بدا
سمّيته عامراً لَمّا أردت به صلاحَ دينك إرغاماً لمن جَحَدا
انتهى .

وكان السلطان عامر بن عبد الوهاب يرأسل الشيخ حسين بن عبد الله العيدروس بقصائد يخبره فيها بأموره ويطلب منه الدعاء ، فكان الفقيه المذكور يجيبه عنها . والقصائد مذكورة مع جواباتها مثبتة في كتاب الشيخ أحمد بن الحسين الذي صنفه في أخبار والده وهي في غاية الفصاحة والبلاغة ، وأعظم شاهد على فضل الفقيه وما أودعه الله من السر فيه . وذكر الشيخ أحمد في الكتاب المذكور أنه اجتمع بالفقيه بحرق ومدحه وأطنب فيه غاية الإطناب رحمه الله . وستأتي قصيدته التي رثى بها الشيخ أحمد بن أبي بكر العيدروس في ترجمته وهي في غاية الجودة .

ومن نظمه الحسن هذه القصيدة المسمطة التي امتدح بها شيخه سيدي الشيخ أبو بكر بن عبد الله العيدروس نفعا الله ببركاته وهي :

سأبيحُ بالغرام كم ذا تستر بعشقي
وارفغُ ذا اللثام أو خُذ نصيبي ورزقي

زَذْنِي فِي الْمَلَامِ
وَاشْهَرِ ذَا الْكَلَامِ
مَا لِلنَّاسِ مَعِي
وَاحْنَيْتُ إصْبَعِي
وَأَصْغَى مَسْمَعِي
وَسَاشْرَبَ مِنْ مُدَامِ
مَا فِي الْحَبِّ عَارِ
سَأَخْلَعُ ذَا الْعِذَارِ
وَأَعْصِي مَنْ أَشَارِ
مَنْ كَانَ مُسْتَهَامِ
وَاللَّهِ الْعَظِيمِ
لِي رَبُّ كَرِيمِ
كَرَّرَ يَا نَدِيمِ
حَرَّكَ^(١) يَا غَلَامِ
سَأَصْرُخُ وَأَقُولِ
وَأَغْنِمُ ذَا الْقَبُولِ
مَا لِلنَّاسِ فَضُولِ
دَعَهُمْ فِي سَلَامِ
سَأُنْثَرُ فِي الْجُلُوسِ
فِي ابْنِ الْعِيدَرُوسِ
مَنْفُوسِ النَّفُوسِ
طَالَ عَمْرُهُ وَدَامَ

يَا عَاذِلِي لَا تَبْقِي
فِي كُلِّ غَرْبٍ وَشَرْقِ
إِذَا هَوَيْتِ كُلَّ رَغْنَا
فِي عِشْقِ سَلْمَى وَلُبْنَى
لِكُلِّ مَعْنَى وَمَغْنَى
الْحَبِّ يَا صَاحِ وَأَسْقِي
كَلًّا وَلَا فِيهِ مِنْ بَاسِ
وَأَحْمِلْهُ شَهْرِي عَلَى الرَّاسِ
وَأَتْرِكْ رِضَا النَّاسِ لِلنَّاسِ
مِثْلِي فَيَأْتِي بِشَقِّ
لَا أُرْعَوِي لِلْعَوَاذِلِ
بِجُودِهِ الْكُلِّ شَامِلِ
مِنْ مُطَرِّبَاتِ الْبَلَابِلِ
الْدَفِّ مِنْ كُلِّ طَرَقِي
عَشَقْتُ زَيْدَ الْمُسَمَّا
مَنْ قَبْلَ إِمَّا وَأَمَّا
مَنْ هَابَهُمْ مَاتَ غَمًّا
يَسْعَدُ حُدَّ اللَّهِ وَيَشْقِي
عَقُودَ دُرٍّ وَعَقِيَانِ
عَالِي الْمَقَامَاتِ وَالشَّانِ
وَمُنْتَهَى كُلِّ إِنْسَانِ
لِكُلِّ فَتَقٍ وَرَثَقِ

(١) فِي (ط) : « حَرَّكَ ... » وَمَا أُثْبِتَنَاهُ عَنْ (م) وَهُوَ الْمُنَاسِبُ لِلْسِّيَاقِ .

وله قصيدة عظيمة سماها « العروة الوثيقة في الجمع بين الشريعة والحقيقة » أجاد فيها إلى الغاية وشرحها شرحاً سماها « الحديقة الأنيقة » . وقد مر ذكره عند مؤلفاته ، وقد كتبت عليها أيضاً شرحاً مختصراً سمّيته « الحواشي الرشيقة على العروة الوثيقة » .

وله هذا اللغز وقد حله أيضاً بالنثر بعده ، وهو مذكور بعبارته . قال : [من البسيط]:

يا مُتقناً كلمات التحوِ أجمعها حدّاً ونوعاً وإفراداً ومنتظمة
ما أربع كلمات وهي أحرفُها أيضاً وقد جمعتها كلّها كلمة
ثم قال : هذا في تمثيل الوقف على هاء السكت أي قولك (كلمة) فالكاف في قولك كلمة للتمثيل ، واللام للجر ، والميم أصلها ما الاستفهامية حذفت ألفها ، والهاء للسكت .

ووجدت بخطه ما صورته : [فرع] لو صدر منه لفظ محتمل للطلاق فظنه طلاقاً أو أفتاه جاهل بوقوع الطلاق البائن ، فأقر عند الشهود أنه طلقها ، أو أنشأ طلاقاً آخر مع اعتقاده أنها قد بانت باللفظ الأول ، لم يؤاخذ بإقراره ، لم يقع طلاقه الثاني لأنه مبني على ظن فاسد ، والله أعلم . قاله محمد بن عمر بحرّق الحضرمي كان الله معه .

ومن كراماته : ما حكى أنه حضر مجلس بعض الوزراء بالهند ، وكان في ذلك المجلس رجل من السحرة ، فبينما هم كذلك إذ ارتفع ذلك الساحر وقعد في الهواء . قال : فوقع عندي من ذلك واستغثت بالنبي ﷺ وأومأت إليه بفردة من حذائي ، فما زالت تضربه إلى أن رجع إلى مكانه بالأرض .

وحكى أنه وقع بينه وبين بعض وزراء السلطان بحث ، فاحتقره ذلك الوزير ، فتعب الفقيه من ذلك فدعا عليه ، فذهب بيته في ذلك اليوم ، ونفذ^(١)

(١) في (ط) « وأخذ » .

جميع ما كان فيه ، فجاء إلى الفقيه معتذراً ومستعظفاً ووصله بشيء ، وطلب منه الدعاء ، فحسب أنه فعل ذلك ، وإذا بالخبر يأتيه من عند السلطان بالإجلال والتعظيم ، ويُردُّ جميع ما نُهب له ، وأن الذي وقع من ذلك إنما كان غلطاً ، فإنه أمر بنهب بيت غيره ، فَرُدَّ جميع ما أخذ له .

وحكي أن أمَّ الفقيه كانت من جوارى الشيخ عبد الله العيدروس ، فيرون أن تلك البركة كانت فيه بسببها .

وحكي أنه مات بالسم ، وسبب ذلك أنه حظي عند السلطان إلى الغاية ، فحسده الوزراء على ذلك ، فوقع منهم ما أوجب له الشهادة ، وناهيك بها من سعادة .

ومن أحسن ما قيل فيه هذا الدوبيت لبعضهم يمدحه :

لأيِّ المعاني زِيدت القاف في اسمكم وما غَيَّرت شيئاً إذا هي تذكُرُ
لأنك بحرُ العلم والبحرُ شأنه إذا زِيدَ فيه الشيء لا يتغيَّرُ
ومثله قول الآخر فيه أيضاً : [من البسيط]:

فأنت بحرٌ وقاف ماله طَرَفٌ محمدٌ إسمك المعروف موصوفا
سميَّ خيرِ الأنام الطُّهر من مضر^(١) يهناك يهناك هذا الفخرُ تشريفاً

● وفيها : توفي الشهاب أحمد بن سليمان بن محمد بن عبد الله الكناني الحوراني المقرئ الحنفي المغربي^(٢) نزيل مكة ببلده غزة ، ودفن بها . وولد في حدود الستين وثمانمائة بغزة ، ونشأ بها ، فحفظ القرآن و« مجمع البحرين » و« طيبة النشر » وغيرهما ، واشتغل بالقراءات وتميز فيها ، وفهم العربية واشتغل فيها ، وقطن مكة على خير وانجماع مع تحرز وتبجل . كذا ذكره السخاوي قال : وقد لازمني في الدراية والرواية ، وكتبت له إجازة ،

(١) في (ط) : « الطاهر من مضي » وهو تحريف .

(٢) ترجمته في « الضوء اللامع » (٣٠٩/١) و« الطبقات السنية » (٣٥٧/١) و« شذرات الذهب » (٢٣٧/١٠) .

وسمعته ينشدني نظمه : [من الطويل]:

سلامٌ على دارِ الغُرورِ لأنَّها مكدَّرةٌ لذاتِها بالفجائعِ
فإنَّ جَمَعَتْ بينَ المحيَّينَ ساعةً فعَمَّا قليلٍ أُرِدْفَتْ بالموانعِ

قال : ثم قدم القاهرة من البحر في رمضان سنة تسع وثمانين ، وأنشدني من لفظه قصيدتين في الحريق والسيول الواقع بالمدينة ومكة ، وكتبهما لي بخطه ، وسافر لغزة لزيارة أمه ، وأقبل عليه جماعة من أهلها .

قال الشيخ جار الله بن فهد رحمه الله : وبعد المؤلف اجتمعت به في غزة سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة وهو يعظ بها ويخطب نائباً بجامع الأشرف قايتباي فيها ويقرئ الأبناء ، مع فقره وفضله وحسن نظمه ، وكتبت عنه بعضه ، وقال لي : إنه أقام بمكة ثلاث عشرة سنة وتردد إلى المدينة واليمن وزيلع ، وأخذ عن جماعة فيها وفي القاهرة . وهو مبارك متقشف نفع الله به .

● وفيها : توفي الشريف بركات بن محمد^(١) ، سلطان الحجاز ، والد الشريف أبي نُمَي .

* * *

(١) ترجمته في «الكواكب السائرة» (١٦٤/١) و«شذرات الذهب» (٢٣٨/١٠) و«الأعلام» (٤٩/٢) .

سنة إحدى وثلاثين بعد التسعمائة

● وفي سنة إحدى وثلاثين عند طلوع الفجر ليلة الجمعة مستهل شهر رمضان توفي الشيخ العلامة عبد الحق بن محمد بن عبد الحق السنباطي القاهري الشافعي ، ويعرف كأبيه بابن عبد الحق^(١) بمكة ، فجهز في يومه ، وصلي عليه عند باب الكعبة عقيب صلاة الجمعة بعد النداء له على زمزم ، وشيعه خلق بحمل جنازته على الرؤوس وطابت برؤيتها النفوس ، ودفن بالمعلاة ، ورثاه جماعة بمراثٍ مطولة منهم : تلميذه الأديب الزيني عبد اللطيف الديري الأزهري ، وقال مضمناً لتاريخ وفاته في ثلاثة أبيات وهي : [من الطويل]:

توفّي عبدُ الحقِّ يومَ عَروبة بمكّة عِنْدَ الصُّبْحِ بدءَ تمامهِ
قَضَى عَالَمُ الدُّنْيَا كَأَن لَمْ يَكُنْ بِهَا سَقَى اللهُ قَبْرًا ضَمَّهُ مِنْ غَمَامِهِ
وَزِدَّ وَاحِدًا فَوْقَ الثَّلَاثِينَ مُزْدَفًا بتسعِ مِئِينَ اجْعَلْهُ عَامَ حِمَامِهِ
وفجع الخلق بموته ، وكثر الأسف عليه .

وبالجملة : فإنه كان بقية شيوخ الإسلام ، وصفوة العلماء الأعلام ، وكان مولده في أحد الجمادين سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة بسنباط ، ونشأ بها ، فحفظ القرآن و « المنهاج الفرعي » ، ثم أقدمه أبوه القاهرة في ذي القعدة سنة خمس وخمسين ، فحفظ بها « العمدة » ، و « الألفيتين » ، و « الشاطبيتين » ، و « المنهاج الأصلي » ، و « تلخيص المفتاح » ، و « الجعبرية » في الفرائض ، و « الخرجية » . وعرض على خلق كالجلال البلقيني ، والمحلي ، وابن الهمام ، والديري ، وأبي الفضل المغربي ، والولي السنباطي ، والبدر

(١) ترجمته في « الضوء اللامع » (٣٩٣٧/٤) و « متعة الأذهان » الورقة (٧/٤٤)
و « الكواكب السائرة » (٢٢٣-٢٢١/١) و « شذرات الذهب » (٢٤٩-٢٤٨/١٠) .

البغدادي . وجدَّ في الاشتغال فأخذ عن الأولين يسيراً ، والفقه عن المناوي ولازمه والعبادي ، ومن قبلهما عن الجلال البكري والمحوي الطوحي ، وكذا أخذ فيه عن الفخر فلان^(١) والزين^(٢) زكريا ، والجُوجري . والأصليين عن التقي الشمني والحصني والأقصري والشرواني ، وأصل الدين فقط عن زكريا ، وأصل الفقه فقط عن السَّنهوري ، وكذا أخذ عنه وعن النَّفيس والتَّور الوراق والآمدي العربية ، وعن الحصني والعزَّ عبد السلام البغدادي الصرف ، وعن الشَّرواني والسَّنهوري والنَّفيس المعاني والبيان ، وعن الوراق والسيد علي الرضي الفرائض والحساب ، واليسير من الفرائض فقط عن أبي الجود ، وعن الشَّرواني قطعة من « الكشاف » وحاشيته ، وعن السيِّف الحنفي قطعة من أولهما ، وبعض « البيضاوي » عن الشُّمَّني ، و « شرح ألفية العراقي » بتمامه عن الزين قاسم الحنفي ، والكثير منه عن المناوي ، والقراءات بقراءته أفراد الغالب السبع وجمعاً إلى أثناء الأطراف عن التَّور الإمام وجمعاً تاماً عن ابن أسد ، بل قرأ على الشهاب السكندري يسير النافع ، إلى غير هؤلاء وبعضهم في الأخذ أكثر من بعض ، وجل انتفاعه بالتقي الحصني ثم بالشُّمَّني ، ومما أخذه عنه حاشيته على المغني والشَّرواني .

وأجاز له شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني ، والبدر العيني ، والعزَّ بن فرات وآخرون ، فأذن له غير واحد بالتدريس والإفتاء . وولي المناصب الجليلة في أماكن متعددة كتدريس الحديث في موضعين ، ومشيخة الصوفية ، وغير ذلك . وتصدى للإقراء بالجامع الأزهر وغيره ، وكثر الآخذون عنه . وحجَّ مع أبيه ، وسمع هناك يسيراً ، ثم حجَّ بعده في سنة اثنتين وثمانين ، وجاور بمكة في السَّنة التي تليها ، ثم بالمدينة النبوية التي تليها ، ثم بمكة أيضاً ، وأقرأ الطلبة بالمسجدين متوناً كثيرة ، بل أقرأ بجانب الحجرة النبوية

(١) هكذا وردت في (م) و (ط) وفي حاشيته (كذا بالأصل) .

(٢) في (ط) « والدين » وما أثبتناه في (م) .

غير واحد من الكتب ، ثم رجع فاستمر على الإقراء والإفتاء . هذا ملخص ما ذكره السَّخَاوِي ، قال : وهو على طريقة جميلة في التواضع والسكون والعقل ، وفي ازدياد من الخير بحيث أنه الآن أحسن مدرسي الجامع .

قال الشيخ جار الله بن فهد : وبعد وفاة المؤلف سنة ثلاث وتسعمائة عاد لمكة من الحاج ، وجاور بها في السنة التي تليها ، وزار المدينة وأقرأ بها عدة علوم ، ثم رجع مع الحاج ، وأقام بالقاهرة يدرس الفقه والحديث وكنت أحد القراء عليه ، بل لا يخلو ساعة من النهار مع ضعفه بالمرض وكبر سنه وكثرة عائلته وقلة ما بيده . ثم توجه إلى المدينة في أثناء جمادى الأولى ، وأقام بها إلى آخر رجب ، ثم رجع لمكة وسافر مع الحاج . قال : ثم ملَّكَ كتبه لأولاده ونزل لهم عن وظائفه ، وتخلَّى عن الدنيا وتكفل به أولاده الثلاثة ، فانتفع به خلائق لا يحصون ، ثم عاد لمكة في موسم سنة ثلاثين بأولاده وعائلته وأقاربه وأحفاده ليموت بأحد الحرمين ، فانتعشت به البلاد ، واغتنب به العباد ، فأخذ الناس عنه طبقة بعد أخرى ، وألحق الأحفاد بالأجداد . واجتمع فيه كثير من الخصال الحميدة كالعبادة والعلم والتواضع والحلم وصفاء الباطن والتقشف وطرح التكلف ، بحيث علم هذا من طبعه كل من اجتمع به ، ولا زال على جلالته وعظمته ، إلى أن توفي رحمه الله .

* * *

سنة اثنتين وثلاثين بعد التسعمائة

● وفي يوم الأربعاء سابع صفر سنة اثنتين وثلاثين توفي الشيخ الكبير والعلم الشهير قطب العارفين وسلطان العاشقين ، أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم بن محمد الشُّودي^(١) الشهير بالهادي اليمني بتعز ، وقبره مشهور بها يُزار ، وعليه قبة عظيمة . أحد الأولياء الكبار والمشايخ المشهورين في الأقطار ، وأحد من تنزل عند ذكرهم الرحمة ، وكان من العلماء الراسخين والأئمة المتبحرين ، ودرّس وأفتى ، ثم طرأ عليه الجذب وصدرت منه أمور تدل على أنه من العارفين بالله ، ورُويت عنه كرامات .

وله ديوان مشهور ، وشعره رائق جداً على طريقة أهل التصوف ، ونظمه هذا ما وقع إلّا بعد الجذب .

وحكي أنه كان ما يقوله إلّا في حال الوارد مثل ابن الفارض ، فكان يكتب بالفحم فوق الجدران ، فإذا أفاق محى ما كتبه من ذلك ، وكان فقراؤه بعد أن علموا منه ذلك يبادرون بكتب ما وجدوه من نظمه على الجدران ، فيجمعونه بعضه إلى بعض .

وحكي أن بعض المنشدين أنشد بين يديه قصيدة من نظمه ، فطرب لها وتمايل عليها ، ثم سأل عن قائلها ، ف قيل : إنها من نظمك ، فأنكر ذلك ، وقال : حاشا ما قلت شيئاً ، حاشا ما قلت شيئاً .

وكان مولعاً بشرب القهوة ليلاً ونهاراً ، وكان يطبخها بيده ، وكان لا يزال [قدرها]^(٢) بين يديه ، وقد يجعل رجله تحتها في النار مكان الحطب ، وكان

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠ / ٢٦٢ - ٢٦٥) و « الأعلام » (٢٨٩ - ٢٩٠) .

(٢) ما بين القوسين زيادة من (ط) .

كل ما يأتي إليه من النذورات إن كان من المأكولات طرحه فيها ، أو من غيرها أوقد به تحتها ، كائناً ما كان من ثوب نفيس أو عود أو غير ذلك .

وقيل : إنَّ السلطان عامر بن عبد الوهاب بعث إليه بخلعة نفيسة ، فألقاها تحتها فاحترقت ، فبلغ ذلك السلطان فغضب ، وأرسل يطلبها منه ، فأدخل يده في النار وأخرجها كما كانت ، ودفعها إليهم . وقد أشار إلى هذا الشيخ عبد المعطي بن حسن با كثير في قصيدته التي عارض فيها شيخ الإسلام أبا الفتح المالكي وكلاهما مدح القهوة^(١) فقال :

قَهْوَةُ البُنِّ جُلٌّ مَقْصُودِي	فِي الحَفَا والعَلَنِ
هَامَ فِيهَا إِمَامُنَا السُّودِي	قُطِبَ أَهْلُ اليَمَنِ
وطبخها بالنَّدِّ والعودي	وبغالي الثمَنِ
من ثياب حرير مع قطن	فأخّر الملبس
وبذاكم خوارق تشي	عليه لم تدرس

وحكي أنه كان يقرأ في الفقه على بعض العلماء ، فلما وصل إلى هذه المسألة « والعبد لا يملك شيئاً مع سيده » كرر هذا السؤال على شيخه كالمتفهم^(٢) ، واعترفته عند ذلك هيبة عظيمة وبهت وحصل عليه الجذب .

وبالجملة : فإنه كان آية من آيات الله ، وأقواله تدل على حاله في المحبة ومقامه في المعرفة ، وكذا تدل على تفننه في العلوم الظاهرة مثل النحو والبديع والمعاني والبيان وغير ذلك ، وعلى اطلاعه على الأخبار السالفة والأمثال السائرة ، حتى كأنما جميع العلوم والمعاني كانت ممثلة بين عينيه يختار منها التي يريد ، ولا يعدل عن الشيء إلا إلى ما هو خير منه .

وعلى نظمه قبول عجيب ، وفيه تأثير غريب ، فإنه السهل الممتنع ، يفهمه

(١) في (ط) : « القوة » تحريف ، وصوابه في (م) .

(٢) في (ط) : « كالمتفهم » وما أثبتناه عن (م) .

كل أحد مع متانة عبارته ، وتتأثر به الناس غالباً ، ويكثر عليه وجد المتواجدين ، بل قيل : إنه فارضي اليمن ، وهو رقيق جداً ، تقبله الطباع ويفهمه الخاص والعام ، ويذكر الأوطان ، وبهيج الأشجان ، فهو في رفته يشبه كلام التلمساني والحاجري رحمهما الله تعالى : [من البسيط]:

شاهد جمال محيا غاية الطلب
ولا تكن عن حياة الرُّوح مشتغلاً
والحظ محاسن تسبي العقل أجمعه
وخلص القلب من أكوام غُربته
وانس العلوم وما قد كنت تكتبه
وانهض إلى العالم الأسنى على قدم التَّد
واصرف على حسن من تهوى وصالهم
ولا ترد عوضاً عنهم إذا قِيلوا
ما أنت لولا هم أجروا عنايتهم
لولا تعرفهم ما كنت تعرفهم
هم أهْلوك لهم جوداً ومكرمةً
سافِز إلى حضرة عليا مقدسة
ومن مقالك لِمَ هذا وكيف وهل
وكن عبيداً لهم لا تعترض أبداً
وإن بدا وجه ذات الخال صلّ له
واشطخ على سائر النساك إن عدلوا
فنيث عني بها يا صاح إذ برزت
فما أبالي إذا ما لمتني أبداً

تظفر فديتك بالأعلى من القُرب
بالتّرهات فما هذا من الأدب
من السّرور بها والأنس والطّرب^(١)
وادخل حمى ربّة الأستار والحُجب
فمخوّه واجب من كل مكتتب
جريد لا تلتفت يوماً إلى سبب
جسماً وروحاً وهذا ليس بالعجب
فالكل ملكهم ما فُتت بالكذب
عليك إلا محلّ الشكّ والريب
ولا رُفعت إلى شيء من الرُتب
وبلغوك الذي ترجو من الأرب^(٢)
تصح من ألم الأغيار والنّصب
لا كان هذا مقال الجهل والعطب
واضمم جناحك مع هذا من الرّهب
واسجد كما جاء في القرآن واقترّب
وقل لمن لام من عجم ومن عرب
وغبت إذ حضرت حقاً ولم تغب
وربّما دُقت طعم اللوم كالضرب

(١) في (ط) : « .. والأنس والطلب » .

(٢) في (ط) : « ... من الأدب » .

ومنه : [من الكامل]:

وبطيبِ ذُكْرِكُمُ أَلْدُ وَأَطْرِبُ
وعذابكم يحلو لديّ ويعذبُ
فجميع ما يحوي الوجودُ مغيبُ
هل ظاهر عن غير أعمى يحجبُ
عنها المعارف كلها لا تغربُ
كم ذا عن الرّبع الأنيّس تغرّبُ
حاشا يُضامُ نزيلُكم ويخيّبُ

يا عُربَ نَجِدِ أَنْتُمْ لِي فِتْنَةٌ
وأغيبُ عن كُلِّي وحقّكم بكم
وإذا شهدتُ جمالكم وجلالكم
رَمَدْتُ عَيونُ لَيْسَ تَلَحْظُ حُسْنُكُمْ
روحٌ بحبّكم تحلّى جيدها
يا سادتي بل يا أحبةً مُهَجَّتِي
إن دَامَ هَذَا الْهَجْرُ هَا أَنَا مَيّتٌ

ومنه : [من السريع]:

في حبّكم لي مذهبٌ مذهبُ
لكنّه فيما نَوَى أَشْعَبُ
وفيكُمُ الأمثالُ بي تُضْرَبُ
تعذيبكم كالشّهدِ يُستَعَذَّبُ
بعد الجفا يصفو لي المَشْرَبُ
ما فارقتُ ربعي به زينبُ
من أين هذا النّفسُ الطّيبُ؟
أم أنت عن أسرارها تعربُ؟
أم تُغَرِّها قَبْلَكَ الْأَشْنَبُ؟
فعهدك اليوم بها أَقْرَبُ
فاليوم مُنِّي عَجَبٌ يَعْجَبُ
لكنّ إليكم منكم المَهْرَبُ

يا سادة ما عنهم مذهبُ
قد رامَ مُنِّي عاذلي تركه
من أين تَسْلُو عنكم مُهْجَتِي؟
يا ساكني وادي عُذَيْبِ الْهَوَى
بَدَدْتُمْ شَمْلِي فَيَا هَلْ تَرَى
أَسْتودع الله الزمان الَّذِي
ناشدتك الله نسيَمَ الصّبا
هل أنت من ليلي بشير الرّضا
أم جُرْتَ في رَوْضٍ به قد مَشَتْ
فَهَاتِ أَطْرِبْنِي بِأَخْبَارِهَا
عجبت دهرًا من رجالٍ صَبَّوْا
يا أهل نَجْدٍ هذه قَصَّتِي

ومنه : [من الوافر]:

هواهم في الحشى أرسى خِيامَهُ
ولا دانيثُ أدنان المُدَامَةِ

معاذَ الله أن أسلو عُريباً
ثَمِلْتُ بِهِمْ وما خامَزْتُ خمرًا

رعى الله الأبيرق والمصلّى
فتلك مواطن الصّبّ المعنى
على عُزْبٍ بها مني سلام

ومنه : [من المديد]:

ليسَ عِنْدَ الخَلْقِ من خَبَرٍ
تَاهَتِ الألبابُ فيكَ وما
خَيْرَةٌ عَمَّتْ فَأَيُّ فتَى
عَمِيَتْ أنباء ذاك على
وغدا يسألُ بعضُهم
فانثنوا والله ما وقعوا
بل عظيمُ القومِ مطلبُبه
كيف حاروا فيكَ واعجباً
أنت لا تخفى على أحدٍ
أو على شخص به كَمَّةٌ
بالظهور الصّرفِ محتجبٌ
أنت فيهم ظاهرٌ وبهم
لو تلاشت عنهم ظلم
شاهدوا مَعْنَاكَ منبسطاً
ودروا أن الحجابَ همُ
وقضى يعقوبُ حاجته

ومنه : [من الخفيف]:

ثِقْ بمولاك في جميعِ الأمورِ
وارجُ مِنْهُ العطاء لا مِنْ سواه

وبان الحيّ ما سَجَعَتْ حَمَامَةٌ
بها الأرواح صارت مُسْتَهَامَةٌ
يكون المسكُ من قبلي خِتَامَةٌ

عَنكَ يا أغلوطةَ الفِكرِ
مِيَزَتْ ورداً من الصّدرِ
رامَ عِزْفَاناً ولم يَحِرِ
كلُّ من في البَذْوِ والحَضَرِ
عَنكَ بعضاً علّ من ظفرِ
لا على عيني ولا أثرِ
شَدّةِ التّحييرِ والحصرِ
يا مُنى سَمْعِي ويا بَصْري
غير أعشى^(١) الفِكرِ والنّظرِ
لم يشاهد صورةَ القَمَرِ
أنت هذا صحّ في الأثرِ
ولهم لولا بقاء الأثرِ
وانمحوا عن عالم الصّورِ
سارياً في سائر الفطرِ
عن شهود المنظر النّضرِ
وانتهى زَيْدٌ إلى الوَطَرِ

واحسبِ النَّاسَ كُلَّهُم في القُبُورِ
فهو يُوليك كل فضلٍ وخيرِ

(١) في (ط) : « غير عشق... » تحريف .

لَا تَعْوَلْ إِلَّا عَلَيْهِ تَعَالَى
 كُلُّ مَنْ فِي الْوُجُودِ كُلُّ عَلَيْهِ^(١)
 عنده ما تروم من كل خير
 فالزم الباب لا تحل عنه يوماً
 فهو باب مجرب للأمانى
 حسبى الله من جميع البرايا
 فهو غوثي إذا طلبت غيائاً
 عمّ بالفضل كل عبدٍ وحرّ
 وصلاة الإله في كل يوم

ومنه : [من الكامل]:

عن شريك في ملكه وظهير
 ليس يرجون غيره من نصير
 جلّ من خالقٍ عظيمٍ قدير
 لم يفز غير من حظي بالحضور
 فيه ما شئت من منى وسرور
 وكفى عن غنيّهم والفقير
 ومُعيني على المراد الخطير
 فهم بين حامدٍ وشكور
 وأوانٍ على البشير النذير

يا مقعدَ العزمات يا عبدَ الهوى
 زرنى أعلمك الهوى وفنونه
 فأنا إمام جيوشه وجنوده
 لي في الغرام حقائق ودقائق
 يا نازلين على منى وحياتكم
 أنتم سكتتم في سويدا مهجتي
 لكم الجمالُ بديعه وغريبه
 يا مَنْ أعيد جمالهم بجلالهم
 لا تحسبوني خائفاً من هجركم
 هيهات لي شغل بكم عن ذا وذا
 ما قدّرنا ما نحن حتّى إنّنا
 لولاكم ما شاقني بان اللوى

يا بانياً والبينُ يهدم ما بنى
 واشتم أنفاسي يزُلْ عنك العنا
 وأنا الدليل لهم على كنز الغنى
 من نالها أو بعضها نال الهنا
 ليس القتل بحبكم إلّا أنا
 لِمَ لا أصير لسركم كلّى أنا
 والحب لي ما شطّ منه وما دنا
 ما كان فيه رضاكم فهو المُنَى
 أو راجياً لدوام وضيّ يُجتنى
 وبكم عليكم في الهوى إذلالنا
 طُبْنَا بكم لولاكم طبتم بنا
 كلاً ولا وادي الثّقا والمُنحنى

وقد خمّسَ هذه القصيدة سيدنا ومولانا وشيخنا وأستاذنا العارف بغوامض

(١) في (ط) : « .. كل عليم » .

الحقائق ، الجامعُ للطائف أسرار الدقائق ، المعربُ عن مغيبات الأسرار ،
المغربُ بلدنيات الأخبار ، مظهر الصفات الأزلية ، مهبط الرحمات الأبدية ،
شيخنا السيد حاتم بن أحمد الأهدل ، أعاد الله علينا من بركاته آمين ، تخميساً
بديعاً بحيث يظن أنها لواحد .

وكان السيد حاتم المذكور من آيات الله الكبرى وأعجوبة الزمان الذي بهر
الورى ، ليس له نظير في أحواله وأقواله ومقاماته ، وكانت له يد في جميع
العلوم لكن غلب عليه علم التصوف ، فكان ابنَ عربيِّ زمانه ، ويومي أوانه ،
لم ير مثل^(١) نفسه ، ولا رأى الراؤون مثله في كماله وبراعته ، جمع بين علمي
الشريعة والحقيقة ، وشرح أحسن الشرح أصول الطريقة ، وكانت له أحوال
فاخرة ، وكرامات باهرة ، ظهرت بركات أنفاسه على خلق كثير من العصاة ،
فتابوا وأنابوا إلى الله تعالى ، ووصل به خلق عظيم إلى الله عز وجل ، وصار له
أصحاب وأتباع كالنجوم .

وبالجملة : كان قطب زمانه وسيّد وقته وسر الله بين خلقه ، والتطويل بذكر
كراماته تطويل في مشهور وإسهاب في معروف . وكنت أحب لقاءه وأحدث
نفسي به ، وأنا شغف بحبه كلف بقربه ، فعاق دون لقائه بعد الشقة وضعفي عن
تحمل المشقة ، وتأسفت بعد موته جداً حيث لم أكن ذهبت إليه وفزت من
علومه ومعارفه فيما بقي من عمره بما يخرج فضله عن الحدّ والحصر ، وما
علمت أنني أصبت في عمري بمثل مصابي به ، ولكن قضاء^(٢) الله سبحانه
وتعالى غالب ، ومطلوبه لا يخرج عنه من الطالبين طالب ، وكان قد وصلتني
منه قبل وفاته بنحو تسع سنين مكاتبة جواب كتابي إليه ، فلما حصل اليأس من
الاجتماع به أنشدت في ذلك هذه الأبيات :

أفدي زماناً نِعِمْتُ بِهِ تُغَرِّ الزَّمان كان فيه بِاسِمِ

(١) لم ترد الكلمة في (ط) .

(٢) لم ترد الكلمة في (ط) ووردت في (م) فقط .

عَصْرُ الشَّبَابِ لَهُ رَوْنَقٌ سَيِّمَا إِنْ يَكُنِ الْخَلُّ فِيهِ رَاحِمٌ
حَظِيْتُ فِيهِ بِوُرُودِ خُطَابِهِ وَكَانَ مَكْتُوبُهُ خَيْرَ قَادِمٍ
كُنَّا نَوْمِلُ وَنَرْجُو دَائِمًا لِقَاءَهُ وَاللَّهُ فِي أَشْرَفِ الْمَوَاسِمِ
فَشَحَّ بِاللِّقَاءِ وَحَرَمَتِهِ وَاعْجَبَاهُ مَنْ بَخَلَ حَاتِمٌ
حَاشَا عِلَاهُ حَاشَاهُ أَنْ يَحْرِمَ الرَّاجِي الْمَكَارِمِ
لَنْ قَصَّرْتُ فِي قَصْدِي لَهُ فَقَدْ كُنْتُ فِي ذِكْرِي لَهُ دَائِمٌ
أَسْأَلُ الرِّكْبَانَ عَنْهُ أَبَدًا وَشَغَفَنِي بِهِ لَا يَزَالُ مُلَازِمٌ
وَكَانَ شَوْقِي لِرُؤْيَيْهِ مُتَزَايِدًا وَكَانَ حُبِّي لِدَاثِهِ مُتَقَادِمٌ
وَمَعَ هَذَا فَاشْتَغَالِي بِسِوَاهُ كَانَ وَاللَّهُ مِنْ أَعْظَمِ الْجَرَائِمِ
كَذَا وَتَسْوِيفِي ^(١) بَلَقَاهُ كَانَ وَاللَّهُ مِنْ أَعْظَمِ الْعِظَائِمِ
لَقَدْ أَصْبَتُ بِفَقْدِهِ مَصَابِيًا مَا أَظُنُّ أَصِيبَ بِمِثْلِهِ الْعَوَالِمِ

نسخة ما كتبه ومن خطه الشريف نقلت بحروفه :

بسم الله الرحمن الرحيم . حمداً لله يا من عمَّ الخلق إحسانه ، وشكراً لك اللهم على ما أسديت ^(٢) من بركة الإيجاد والوجود ، وأنعمت من الممدد المتوالي إمكانه ، والصلاة والسلام على من خص بالسبق في ميادين الشهود وعمم إرساله ، فلم يشذ عن أمره ونهيه من وسم برسم الوجود ، فهو السابق إلى مجالي الأرواح ، والفائق رتق حضرة الواحدية لظهور الإظهار وبروز الأشباح ، ﷺ صلاة لا غاية لها ولا انتهاء ، ولا أمد لها ولا انقضاء ، ما دامت التجليات الذاتية مدار الحضرات الصفاتية وما قبلت القوابل الأحمدية فيوض الكمالات الإلهية من الأسرار المحمدية والأنوار القاسمية ، حتى يظهر الاسم الظاهر بكماله في ذات مولانا وسيدنا الشريف الولي المقرب عبد القادر العيدروس ظهوراً ملتحقاً بالجمال لجلاله ، معتجراً بالمجد الباذخ المجيد

(١) في (ط) : « كذا وتشويقي ... » .

(٢) في (ط) : « ما أسليت » .

بنوالة ، فينشد لسان حاله في مرتبة كماله معرباً عن حاله مغرباً عن مجاله : [من
مجزوء الخفيف]:

ليس بي حاجة إلى ظاهرٍ من علومه
قد كفاني بذاته عن مباني رسومه

وصل كتابكم فشرح صدر التصوف ، ونور جهات التعرف ، فأنعـم^(١) قوابل
الأعيان بما أفاضه من نفس الرحمن ، ووصلت الطاقة البيضاء وحصل بوصولها
للفقراء غاية الأنس والرضاء ، وذكرتم يا سيدي أنكم أرسلتم بأوراق وكراريس
إلى الفقير وإلى العلامة عبد الملك ، فلم يقف الفقير على ذلك ، وربما أن
مولانا الفقيه يرى قصور الفقير عن ذلك ، وأما مولانا الفقيه ، فهو إمام
المصنفين وعلامة المؤلفين ، فلا تؤاخذوا عبدكم في التقصير لأن العجز
حرفتي ، والضعف صفتي ، وبي حاجة إلى دعائكم فاجعلوه صلتي .
والسلام .

هذا والشوق إلى رؤية وجهكم السعيد كل يوم يزيد ، فتوجهوا بقلوبكم
الواسع الوجداني إلى جهة عبدكم ، لتطفح عليه بركات أنفاسكم ، فتقوى
روحه على السريان ، ويتسع قلبه لمشاهدة الماضي والمستقبل في الآن ، فيعود
ناشراً برود الثناء على حضرتكم الشريفة ، ويستمر على وظيفة الدعاء لذاتكم
اللطيفة ، وانظروا إليه نظراً يبسط وجوداته^(٢) ، ويسرح من قبضة الكون
لموجوداته ، فيخرج عن المكان إلى عالم الإمكان ، ولا يحصره الزمان بعد
اطلاعه على حضرة الأعيان ، هذا وليس الخبر كالعيان ، وسلام على
المرسلين والحمد لله رب العالمين . ومن حضر حضرتكم الشريفة فهو
مخصوص بجزيل السلام . العبد الفقير حاتم بن أحمد الأهدل لطف الله به
آمين . انتهى .

(١) في (ط) : « فأفعم » وما أثبتناه عن (م) .

(٢) في (ط) : « ببسط وجودان » تحريف ، وما أثبتناه عن (م) .

قلت : وأرجو من الله بركة هذه الإشارات المتضمنة للبشارات . والله دُرٌّ من
يقول : [من الرمل]:

قد سمعت الفالَ أبشر بالهَنا زال والله التَّئائي والعَنا
وأَتاني قائلٌ نِلت المُنَى صَحَّ هذا الفالُ فالِبشري لنا^(١)
غيره : [من الطويل]:

توسَّل بأنفاسِ الكرامِ لربِّهم إذا رُمت مطلوباً وعزَّت وسائلُهُ
فهم شُفعاء الخلقِ في باب عزِّه وما خاب راجيه لديهم وسائلُهُ
ولمَّا لَرى النسبةَ إلى هذا الرجل العظيم والسَّيدِ الكريم من أجلِّ ما أنعم الله
به عليَّ ، وأجمع ما وصل من الطافه إليَّ . ولي فيه قصائد متعددة ، منها أبيات
التزمت فيها أن يكونَ يخرج منها من أوائل السطور اسمه الشريف وهي :

« ح »^(٢) حمام الأيكِ بالله أسعدينا ورددي البُكا حيناً بَعْدَ حيناً
« أ » أفي نَجْدٍ حُزْنِكِ فلا تُلامي وعُمري والله إنِّي مثلكِ حَزِينَا
« ت » تناءت داري فَحَرِمْتُ وصالَهُمْ^(٣) وصرت بعد اغتباطي مَغْبُونَا
« م » ما أرى لي في وَجْدي شبيهاً وأيُّم الله ذا حقاً يَقِينَا
ومنها أبيات كنت قلتها فيه في حياته وهي :

رباعي به قلبي الشَّجي صار مُولعاً فجاء الحياة قد حَوَى السَّرَّ أجمعا
وثانيه أَلِفَ الابتداءِ بَع لَه وثالثه تاء التَّمَامِ المُبدعا
وفي آخره ميمٌ يدلُّ بأنَّه وريثُ النَّبي الهادي سَرّاً ومترعا
وآخره مبداة اسم نبيِّه دليل أنَّه من سرِّه قد تَضلَّعا
لأنَّ بدايات النَّبيِّ نَهاية الوليِّ فما أَجلٌ ذاك وأرفعا

(١) رواية هذا الشطر في (م) و (ط) : « صَحَّ هذا الفال » ولعل الصواب في الزيادة التي
أثبتناها .

(٢) الحروف في أوائل الأبيات الشعرية زيادة في (ط) .

(٣) في (م) : « . . . فمرست وصالهم » وما أثبتناه عن (م) .

وللسيد حاتم المذكور نظم كثير ، وجمع إخواننا من أصحابه منه ديواناً كبيراً فكان يقوله وقت الوارد ، وبلغني أنه كان إذا ورد عليه الوارد يلقى يملي عليهم وهم يكتبون وهو يجري في ذلك مثل السَّيل ، وما من معنى أشار إليه أئمة الطريق مما يتعلق بالذات المقدس أو الصفات المنزهة أو بالذات المحمدية والصفات النبوية إلا وله فيه القول الأبلغ واللفظ الأوضح إلى غير ذلك من الأشعار اللطيفة على لسان الطريقة . ومن شعره : [من الكامل]:

إِنِّي عَلِمْتُ بِأَنْ فَضْلِكَ وَاسِعٌ لَكِنْ ذَنْبُ الْعَبْدِ يورثه الْبَكَمُ
ولقد بدأت بنعمة الإيجاد والـ إمداد فالإسعاد خاتمة الْكَرَمِ

ومنه : [من مخلع البسيط]:

الفقرُ والذلُّ في صفاتي والعزُّ ياربِّ والغنى لَكَ
كَمُلْ سِمَاتِي جَمُلْ صِفَاتِي^(١) كمال ذاتي دَعَى كَمَالِكَ

ومنه : [من مخلع البسيط]:

حقائقُ الحقِّ قد تجلَّتْ للخلْقِ في الحقِّ بالمجالِ
ما الخلقُ إلا كواو عَمَرُو رَسْمًا وَلَكِنْ بلا محالِ

ومنه هذه القصيدة العظيمة في مدح النبي ﷺ وهي : [من الكامل]:

سَعِدَتْ بِرُؤْيَا وَجْهَكَ الْأَبْصَارُ وَتَسَابَقَتْ فِي مَذْحِكَ الْأَفْكَارُ
وَسَرَتْ نَوَافِحُ رَحْمَةِ الرَّحْمَنِ فِي كُلِّ الْوُجُودِ فغِيْثُهَا مِذْرَارُ
وَبِكَ اسْتَنَارَ وَجُودُ كُلِّ مَكُونٍ وَأَضَاءُ الْأَقْطَارِ وَالْأَمْصَارُ
عَلِمُ تَعْيِنَ بِالْثُبُوءِ وَضَفَهُ مِنْ قَبْلِ آدَمَ خَصَّهُ الْجَبَّارُ
فَبَادَمَ الْأَسْمَا سَمَتْ وَلَكَ اقْتَضَتْ ذَاتَ الْمَسْمَى وَانْقَضَتْ أَوْطَارُ
مِنْ قَبْلِ قَبْضِ تُرَابِ طِينَةِ آدَمَ حُزَّتَ الْفَخَارُ أَفَوْقَ ذَاكَ فَخَارُ؟

(ر) خرج هذا الشطر عن الوزن!

ما زلت تبني بالعلوم عوالم الـ
 فظهرت عن غيب الغيوب لحضرة
 بَطُنْتُ بما ظَهَرْتُ وقد ظَهَرْتُ بِمَا
 صَمَدْتُ حَقَائِقُهَا لِحَقِّكَ فاقْتَضَى
 وتنزَّلَ الأمرُ العَلِيُّ معدداً
 حظيت بك الأملاك في مَلَكُوتِهَا
 وأدار جودك في جودك دورة
 نسخت شريعتك الشرائع وانطوت
 وخُصِصَتْ بالقرآن ذِكراً جامعاً
 منه علوم الأولين جميعها
 لولاك ما عَلمَ العوالمَ عالمٌ
 كانت جميع الكائنات كصورة
 إنَّ البَها والمُلْك والملكوت والـ
 بك سار سرُّ الروح في حضراته
 من نورك الأنوار قد وجدت وفي
 وبِقَاب قُوسين استوت وتكملت
 لِمَقَامٍ أو أدنى أراك لوجهه
 أوحى إليك بذاته وصفاته
 شاهدت بالنصِّ المحقِّق ذاته
 من غير لا جهة ولا كيف ولا
 فرفلت في حُلل البقاء مؤيداً
 صَلَّى السَّلامُ عليك والآل الذي

أَرَوَّاح في ذاك المقام بحيث لا تحتار^(١)
 فيها استوى الإعلان والإسرار
 بَطُنْتُ فوَاجِدُهَا بِهَا قَهَّارُ
 منك الظهور لحَقِّهَا^(٢) إظهارُ
 بمظاهِرٍ كملت بها الأدوارُ
 ولعالم الجبروت منك مَنَارُ
 ظهرت بها الأسماء والآثارُ
 في ضوء نورِ كتابك الأسفارُ
 من فيضه^(٣) تتفَجَّرُ الأنهارُ
 والآخِرِينَ حَبَاكها المختارُ
 كلاً ولا طارت به الأطوارُ
 الرُّوح فيها أنت يا مختارُ
 جبروت أفلاكٍ عليك تُدارُ
 وتبهَجَّت بحديثك الأسماءُ
 إسرائِكَ الأنوار والأسرارُ
 في ذلك الأسرارُ والأنوارُ
 ربُّ العُلَى وَحَبَاك ما تختارُ
 كَشْفاً ولا حُجْبٌ ولا أَسْتَارُ
 لا حَدَّ يحويه ولا مِقْدَارُ
 حُجْبٍ تعالَى الواحدُ القَهَّارُ
 بالحقِّ كَشْفاً ما عليه غُبَارُ
 آلوا إِلَيْكَ فَكَلَّهْم أَبْرَارُ

(١) كذا رواية الشطر الثاني بالأصول ، وهو مختل الوزن .

(٢) بالأصول : « لخفائها » ولا يستقيم به الوزن .

(٣) في (ط) : « من قبضه . . . » .

وله كلام عال في التصوف ، وهذه نبذة من الجوابات عما سئل من
السؤالات : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لولي الحمد حمداً لا يحصره
الحد ولا يقصره العد ، والصلاة والسلام على سيدنا وعبدنا محمد وعلى الآل
الأحمد وبعد : فإن لطائف العطف نظمت عواطف اللطف في معاطف
الاستقامة ، ونفحات القرب قرّبت قوارب الاقتراب بريح السلامة ، وخضم
الجود لا ينضب تياره ، وبر الوجود لا يشق غباره ، وما ثمّ إلّا ما يرضاه من
ألقى السّمع وهو شهيد ، وبرز في عين السّيادة بصفة أقلّ العبيد ، فلم ترحزحه
الزعازع لثبوته في مركز الدائرة ، ولم يتحرك ولو كان الفلك طار أو نغمت
صريف الأقلام بقصائده شاعرة ، والسلام على الإخوان ، والحمد لله بكل قلب
ولسان : [من الخفيف]:

ليس إلّا الذي مراد من الحَيِّ	ر على كلّ حالة لا محالة
فاشتمل مطرف التقا بي وغَيَّب	عن نفوس أرواحها في تَبالّة
وتذلل في حيّ ليليّ ليليّ	وارضَ بالموت فهو فيها جلاله
يا أخي إن لمحت معنى كلامي	كُنْ عليّاً تكن على البدرِ هالَه
تلحظ العين من قريب بعين	ينظر البدر من سناها هلاله
مظهر جامع لجمع وفرق	شمس عزفانه دليل الدلالة
برزخ فاصل قريب بعيد	مطلق الوصف فيه يدي كماله

وله ومن فيضه - نفع الله به - جواباً على رؤيا رآها بعض الفقراء : الحمد لله
مدير الفلك ومنور الحلك ، والصلاة والسلام على العين المقصودة بالأصالة ،
وعلى إخوانه وآله كمال علومه وأسراره مظاهر الجلالة ، وبعد : فإنما هي
معاني تبرز من الغيوب على صفحات القلوب فتتحقق بها الأسرار ، وتملأ
بأنوارها المسالك والأقطار . تنطق التراجمة بالأذن العليّ فتودعها مخازن
القلوب المتعطشة إلى مراحم الوليّ . فتارة تعرف فتؤلف ، وتارة تنكر فتصرف
من يصرف . واعلموا - وفقكم الله وأيدكم بروح منه وأسمعكم عنه - أنه كلما
عرج الوليّ في معارج العلى ودرج على مدارج سبح اسم ربك الأعلى جهلت

صفته ، وتنكرت معرفته ، فلولا رسم العبودية اللازم لما ثبتت له المعالم ، ولا عملت كينونته العوالم ، وكيفيكم في شأن حاله قول بعض أهل المقام ورجاله : [من الطويل]:

تسترت عن دَهْرِي بظُلِّ جَنَاحِهِ فعِني تَرَى دَهْرِي وليس يَرَانِي
فلو تسأل الأَيَّامَ ما اسْمِي ما دَرَّتْ وأين مكاني ما عَرَفْنَ مَكَانِي
والصلاة الجامعة على عروس أهل الطبقة الرابعة ، والسلام على الأتباع
الأفراد والأشفاع ، والحمد لله رب العالمين .

وله أيضاً على هذين البيتين للتلمساني : [من المنسرح]:

ما صادحاتُ الحَمَامِ فِي القُضْبِ ولا ارتقاصُ المُدَامِ بِالْحَبِّ
إِلَّا لمعنى إذا ظَفَرَتْ بِهِ ألْزَمَكَ الجِدُّ صورة اللَّعْبِ
ما صادحاتُ حمام الأرواح على قضب الأشباح ، ولا ارتقاص مدام المحبة
الذاتية في حضرات الغيوب الأزلية بتعين حب حبيب الأعيان الإلهية والكونية إلا
لمعنى لا يظهر لنفسه إلا في مراتب نفسه ، إذا ظفرت به أيها المُعَانِي لهذه
المُعَانِي ألْزَمَكَ جِدُّ الحق المشروع صورة اللَّعْبِ الموضوع ، كما قال
المحقق : الكون كله خيالٌ والوجود الحق فيه للكبير المتعال ، عَلِمَهُ من عَلِمَهُ
فاستراح ، وجَهَلَهُ من جَهَلَهُ فلم يبرخ من قفص الأشباح ، إنما الكون خيالٌ
وهو حقٌ في الحقيقة ، والذي يفهم هذا حاز أسرار الطريقة .

اللهم وفقنا لما يرضيك عنا يا رب العالمين . بتاريخ ليلة الجمعة ٢٦ من
شوال سنة ١٥٥٨^(١) .

وله أيضاً حين سأله السائل عن معنى هذا البيت للفقيه عبد الرحمن العلوي
نفع الله به :

(١) في (ط) : (٥٥٤) ولا يستقيم هذا العدد لا في التاريخ الهجري ولا الميلادي ، وما أثبتناه
عن (م) ولعل المؤلف عمد إلى الترقيم بالتقويم الميلادي .

يا مُطلقَ التقييدِ لا تحكم فاعلم في شأنك حكم وعنك الاحتمال

فقال سيدنا حاتم في معنى هذا البيت : يا مطلق التقييد هو الذي لا يلزمه القيد هو مطلق في حال التقييد ، ومقيد في حال الإطلاق ، لأنَّ الإطلاق قيد معنوي يقتضي الحصر ، [والحصر خلاف حكم واجب الوجود]^(١) وإنَّما الشأن في الإطلاق الذي لا يقابله فافهم . أي قل يا من هذا شأنه ، وهذه صفته لا تحكم أي لا تحكم علينا بأن نحكم عليك بما ليس لك لأنَّ القيد يقتضي الحصر ، والحصر خلاف حكم واجب الوجود ، وكذلك الإطلاق الذي يقابله القيد قيد عن الإطلاق المطلق لكن أن العلم الإلهي الذاتي حكم على الوجود المطلق بالإطلاق وعلى الوجود المقيد بالتقييد حكماً نسبياً لا حقيقة له في شأن التوحيد ، ولهذا قال : وعنك الاحتمال . يعني وإن كان الوجود المحدث يرجع إلى المطلق لأنه أصله فلسان الأدب يحكم بالفرق ، ولسان العلم يقتضي بالتمييز ، ولسان الوجود يحكم بالتوحيد ، لا إله إلا الله ، كان الله ولا شيء معه ، وهو الآن على ما عليه كان ، والشأن المشار إليه هو الكنه الذاتي المغيب عن الإطلاق والتقييد . وأما قوله : وعنك الاحتمال ، يريد أن الأعيان الثابتة من حيث هي تحملت حصص الوجود المفاض عليها في عالم النور المرشش في حضرة الإمكان . والإشارة إليه من الحديث القدسي في قوله : « إن الله خلق الخلق في ظلمة ، ثم رشّ عليهم من نوره »^(٢) ، فالظلمة ظلمة العدم الإمكانية ، والنور نور الوجود المفاض إلى الأعيان بحسب الإرادة المرجحة والمشيتة القاضية بما حكم به من العلم عليها ولها ، وإنَّما حكم عليها بها ، فلهذا صح الاحتمال . والسلام على أهل التوفيق من أهل الطريق .

ومما أملاه أيضاً في ليلة الأربعاء الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة

(١) ما بين قوسين لم يرد في (م) وورد في (ط) فقط .

(٢) ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٩٣ / ٧) وعزاه لأحمد بإسنادين ، وللبزار والطبراني ، وقال : ورجال أحمد إسنادي أحمد ثقات .

١٥٥٨^(١) لما جاءت الرّاء في أول السّور القرآنية في ستة مواضع انبسطت في نفسها ، ونظرت إلى أصلها وهواثنين ، فحصل منها اثنا عشر اسماً هي ذاتية ، وهي حقيقة من حقائق التطوير . كان هذا العدد مشتملاً على اثني عشر برجاً ومراتب العدد ونصفه عن ست الجهات في العالم السفلي . بيان ذلك أنّ عدداً اسمه ثلاثة ، فإذا ضربت الثلاثة في الجذر الذي هو اثنان ظهرت الستة وإذا ضربت الستة في الاثنان اثني عشر ، وهو الفلك المشار إليه محيط بجميع العوالم العلويات والسفليات ، فلهذا ظهر بذاته في آخر الكلمات الثلاث : التطوير والتغيير والتصوير . وهذا حرف الرّاء لما كانت حقيقته راجعة إلى حرف الواو من وجه ظهر في مرتبة التوحيد ، وهو من الحروف التي لها الاتصال البعدي وليس لها القبلي ولها من الصفات ستة آلاف .

والدال والذال والواو والراء والزاء يتصل بها ولا تتصل به لها من الخصائص الإلهية ست صفات ، وهي : الجلال والعظمة والكبرياء والأحدية والغنى المطلق والعزة المطلقة . ولها من الرجال ستة ، هؤلاء الستة حالهم البطون ، ويحبون الخمول ، ليس لهم التفات إلى شيء من الكائنات ينتفع بهم الخلق ولا يشعرون . انتهى .

ومن إملائه ليلة الثلاثاء ٢٧ من شهر رمضان سنة ١٥٥٨^(٢) من ترك حديث النفس حرمةً لوارِد الحق انقلب وسواسها إلهاماً ، وحديثها وجداناً ، ولذلك قرئ في بعض القراءات وهي قراءة بعض الصحابة رضي الله عنهم ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ ﴾ [الحج : ٥٢] (ولا نبي ولا محدث)^(٣) الآية . وقال ﷺ : « إِنَّ مِنْ أُمَّتِي مُحَدِّثِينَ ، وَإِنَّ عُمَرَ لَمِنْهُمْ »^(٤) . يقول بعض

(١) أراد التاريخ الميلادي .

(٢) أراد التاريخ الميلادي .

(٣) ما بين قوسين هو تتمّة الآية السابقة بقراءة بعض الصحابة ، مما أشار إليه صاحب الإملاء .

(٤) قطعة من حديث رواه البخاري رقم (٣٦٨٩) ومسلم رقم (٢٣٩٨) وقد ذكره المؤلف هنا بالمعنى .

السلف الصالح : أخبرني قلبي عن ربي ، وأخبرني ربي عن قلبي . وقد صحَّ
أنَّ الحقَّ على لسان كل قائل . والسلام على أهل التسليم .

وسأله الفقيه مرجان وهو حينئذ بمدينة تعز سنة (١٥٥٩)^(١) في ليلة
الأربعاء من جمادى الآخرة عن معنى قصيدة بيت الشيخ عبد الهادي وهي قوله
رضي الله عنه : [من مجزوء الرمل]:

لبلُّ الجحفِ اليماني	لم أزل مِنْهُ مُبْلَل
كلِّما غَنَى شَجَانِي	قَطَّ لَا مَلَيْت لَا مَلَّ
قد عناه ما عناني	فلهذا مَالٌ أُمَيْلُ
فَلِمَهُ يَا أَهْلَ الْمَعَانِي	أنا معجم وهو مُهْمَلٌ؟

فأجابه سيدنا ومولانا بهذا النفس المعظم : بلبل الجحف اليماني : البلبل
داعي الحق في قلوب المؤمنين . والجحف : منعطف الوادي ، وإضافته إلى
اليمن لقوله ﷺ : « إني لأجدُ نفس الرحمن من قبل اليمن »^(٢) فهو يهتف
بعشاق الجمال ويذكرهم زمن الوصال قبل الانفصال ، حيث قال السيد الأكبر
والمحبوب الأفخر : « كنتُ نبياً وآدم بين الماء والطين »^(٣) ، ولا بد للنبي من
قابل يتلقى عنه أسرار النبوة التي شرف بها ، فإن كان من عالم الأرواح فالقابل
من عالم الأرواح ، وإن كان من عالم الأشباح فالقابل من عالم الأشباح ، فلا
يزال يتذكر ما كان به في ذلك العالم قبل ضرب الحجاب وحصول الشك

(١) يعني حسب التقويم الميلادي .

(٢) ذكره العجلوني في « كشف الخفاء » (١ / ٢٥١ و ٣٠٤) وقال : قال العراقي : لم أجد له
أصلاً .

(٣) ذكره السيوطي في « الدرر المنتشرة » ص (١٠٦) رقم (٣٣١) وقال : لا أصل له بهذا
اللفظ ، ولكن في الترمذي : « متى كنت نبياً ؟ » قال : « وآدم بين الروح الجسد » . وفي
« صحيح ابن حبان » والحاكم من حديث العرياض بن سارية : « إني عند الله لمكتوب خاتم
النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته » . قلت (القائل السيوطي) : وزاد العوام فيه : « وكنت
نبياً ولا أرض ولا ماء ولا طين » ولا أصل له أيضاً . وانظر « الأحاديث الموضوعة » لابن
تيمية ص (٥٠) .

والارتباب ، فلم يزل العارف المعتنى به يتذكر سوابقه ويحقق لواحقه ، فلم يزل مببل بالبال ، [والبال]^(١) : القلب ، أي فلم يزل قلبه متحركاً متقلباً في أودية العشق حتى تظهر له كلمة السبق في عالم الحق .

يقول : كلما غنى شجاني ، أي كلما كرر في السجود أحرم عين المحب الهجوع ، قال الترجمان الأكبر : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمْلُوا »^(٢) قال الشيخ الأقدس : [قط]^(٣) لا ملية ولا مل . يعني : أن سر « يحبهم » ظهر في « يحبونه » وأمر يحبونه ظهر [في]^(٤) من يحبهم ، فمنه إليهم ومنهم إليه . وإليه يرجع الأمر كله فاعبده عبودية الاضطرار ، وتوكل عليه بالاختيار ، فهم هذه الإشارة من فهمها وعقلها من خلق لها .

قد عناه ما عناني فلهذا مال وميل^(٥) فيه إشارة إلى الحديث المشهور وهو الذي يقول فيه قال ﷺ : « ينزل ربنا آخر كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : هل من مستغفر فأغفر له ، هل من تائب فأتوب عليه ، هل من سائل فأعطيه »^(٦)؟ وهنا النزول نزول لطف ورحمة ، وعطف ونعمة ، فنبه قلب من أيقظه واعتنى به فميله إليه فاستيقظ من نوم الغفلة لما ميله هذا النداء الرحماني الرباني من حضرة الاسم اللطيف الرؤوف العطوف . واعلم أن المحبة إذا صحت قامت بالمحبة والمحبوب ، فيعود المحبة محبوباً والمحبوب محبة ، والمريد مراداً والمراد مريداً ، فلهذا قال الشيخ : قد عناه

-
- (١) لم ترد الكلمة في (م) وردت في (ط) فقط .
 - (٢) قطعة من حديث رواه البخاري رقم (٤٣) عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً لرسول الله ﷺ ، وللتوسع انظر « جامع الأصول » (٣٠٦-٣٠٣ / ١) .
 - (٣) وردت الكلمة في (ط) فقط .
 - (٤) وردت الكلمة في (ط) فقط .
 - (٥) هكذا في (م) بإخراجه عن وزنه .
 - (٦) رواه البخاري رقم (٧٤٩٤) في التوحيد : باب قول الله تعالى « يريدون أن يبدلوا كلام الله » ومسلم رقم (٧٥٨) في صلاة المسافرين : باب الترغيب في الدعاء والذكر آخر الليل من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . وانظر « جامع الأصول » (١٤١-١٣٨ / ٤) .

ما عناني ، أي : قام به من وصف المحبة ما قام بي منها . وقد أشار إليه الأستاذ القطب الغوث الفرد الجامع الشيخ ناصر الدين بن عبد الدائم الأنصاري الشاذلي^(١) الشهير بابن بنت الميلي^(٢) رضي الله عنه في قصيدته الشهيرة الموسومة بحال السلوك في قوله : [من البسيط]:

إنَّ المريدَ مرادٌ والمحبُّ هو الـ محبوب فاستمل هذا من أماليه
فلهذا يتنزل المحبوب من مقام عزته وجماله إلى مقام اللطف والعطف
بالمحب الصادق .

قال الشيخُ نفع اللهُ به : فلهذا مال وميل ، مال إلى المحب باللطف والعطف
فميله فنهض به من رقدة غفلته وأنعشه من سجن شهوته ، فبادر إلى باب محبوه
وأُسرع إلى فناء مطلوبه ، فيا لها من رجعة ما أحلاها ، ومن نجعة ما أصفها .
فلما صَحَّت المنازلة وكملت المواصلة وصار كل واحد محباً ومحبوباً ؛ محباً
من وجه ومحبوباً من وجه ، شرع الشيخ فيه بالتمييز بلسان البيان متجاهلاً
بلسان من لم يعلم هو يعلم ، فنادى بأصحابه وأترابه من أهل المعاني
والمعارف يعجبهم على هذا المعنى الذي ظهر بسر الاتحاد ، وتميز فيه الوجود
من الإيجاد ، فقال :

فَلِمَ يا أهل المعاني أنا معجم؟ أي مقيد بالنقطة التي أعجمت وجودي
وكانت غيباً على عين شهودي ، وهو مهمل : أي مطلق عن القيود والحروف
والحدود ، فعلى الحقيقة هو عين الشاهد والمشهود . والسلام على أهل
التسليم ممن أتى الله بقلب سليم ، وصلى على سيدنا محمد وآله وصحبه
وسلم .

ومن إملائه - نفع الله به - حين سئل عن هذا البيت للشيخ عبد الهادي

(١) هو محمد بن عبد الدائم المعروف بابن بنت الميلي ، ويختصر فيقال : ابن الميلي ، قاض مصري ، من الوعاظ البلغاء ، توفي عام ٧٩٧ هـ ، انظر ترجمته في «الأعلام» (١٨٨/٦) .

(٢) في (ط) : « الميلي » تحريف .

السُّودِي^(١) نفع الله به : [من البسيط]:

وأنسَ العلومَ وما قد كنتَ تكتبُهُ فمَحَوُهُ واجبٌ من كلِّ مكتتبٍ
أمره بنسيان العلوم وهي كثيرة : فمنها علوم يجب نسيانها لذاتها كعلم
السحر والنجوم والرمل والجدل والرجز والفال والمنطق عند قوم من أهل
الورع ، وثم علوم يستحب نسيانها بمعنى الترك لما هو أعلى منها ، وهو علم
الصرف والنحو والعروض والتواريخ والبديع إلا المعاني والبيان لتكلفهما
بإيضاح معاني القرآن وإظهار بلاغته .

واعلم أنَّ العلومَ حجبٌ على القلب كما قال الإمام الغزالي رضي الله عنه ،
وأنَّ الحجبَ كثيرةٌ وأقواها العلم . ولما كان طلب العلمِ فريضةً على كل مسلم
تكلم فيه العلماء بأقوال كثيرة ، منها : أنَّه العلم النافع الَّذي يعرفك بالله
وأسمائه وصفاته وأفعاله وما ينبغي له وما يستحيل عليه . فهذا هو العلم
المفروض المشار إليه ، ويلحق به ربيع العبادات ، فوجب ترك تلك العلوم
جميعها ونسيانها والتجرد لتحصيل العلم المفروض وهو الَّذي يعرفك بمعبودك
وآخرتك وما يقربك إليه ، فوجب عليك نسيان تلك العلوم الشاغلة للقلب عن
التطلع إلى أنوار التوحيد الفعلي والصفات والذاتي ، فامحُ نقوش غير هذا من
قلبك ، واغسلها من مكتتب سمعك وبصرك ولوح فكرك ، حتى يتوجه قلبك ،
لواحد لا إله إلا هو الواحد القهار . والسلام .

ذكر الإمام الياضي^(٢) في بعض مصنفاته قال : سمعت غير واحد من
الصالحين يروون عن الشيخ أبي الغيث بن جميل أنه قال : أتى الشيخ والفقيه
صاحباً عواجه إلى شيخنا الشيخ علي الأهدل وطلبا منه أن يذهب معهما إلى
بعض المواضع ، فوافقهما ، وذهبت أنا معهم ، فلما كان بعض الليالي وإذا أنا

(١) أراد صاحب الترجمة عمر بن علي الشهير بالهادي ، والبيت من قصيدة له تقدمت في أول
الترجمة .

(٢) في (ط) : « الرافعي » وما أثبتناه في (م) .

أنظر الشيخ والفقير وهما فوقنا في الهواء وفي أيديهما سيفان مسلولان ،
فذكرت ما رأيت منهما لشيخى ، فقال لي : يا أبا الغيث هذان في مقام التولية
والعزل^(١) يوليان ويعزلان ويميتان ويحييان بإذن الله تعالى ، وسوف أرثهما
وترثني أنت . وهذه الحكاية تقتضي موتهما قبل الأهل .

[وسأتي في ترجمة الشيخ عبد الله ما يدل على موت الأهل أولاً قبل
الشيخ والفقير ، والذي يظهر أن الصحيح وفاة الأهل]^(٢) قبل وفاتهما .
ويحمل قوله : « أرثهما أنا وترثني أنت » في هذه الحكاية على أنه يبلغ مثل
مرتبتهم وإن كانا في الحياة ، ويكون ذلك في طريق التجوز في العبادة وإن كان
حقيقة الوراثة إنما يكون بعد الموت .

فلما وقف مولانا السيد حاتم بن أحمد الأهل على هذا القول كتب فوقها
بخطه الشريف « فائدة فيها تأنيس وتفهم » .

ذكر الشيخ الكبير الأكبر في « فتوحاته » وفي « فصوصه » أن الشيخ القطب
الكبير أبا السعود ابن الشبل صاحب سيدي الشيخ القطب الأكبر محيي الدين
عبد القادر^(٣) الجيلاني أنه قال : أعطيت التصرف منذ كذا وكذا سنة فتركته
نظر^(٤) . فإنه يشير إلى مقام الخلافة وهي البرزخية الكبرى ، وصاحبها واسطة
بين الحق والخلق ، والمقام الذي أثره الشيخ أبو السعود مقام الفردية ، وهي
أخص وأشرف من المقام الأول لتحقيق صاحبها بالعبودية المحضة ، ومقام
الخلافة لا بد فيه من رائحة الربوبية إلا من عصمه الله تعالى ، فإنه حصل وجاز
إلى المقام الثاني الذي هو مقام الفردية إثارةً لجناب الحق أعطاهم ذلك كمال
المعرفة بالبوطن .

(١) في (ط) : « العز » وهو تحريف ، وصوابه في (م) .

(٢) ما بين القوسين لم يرد في (م) وورد في (ط) فقط .

(٣) في (ط) : « القاهر » خطأ .

(٤) كذا بالأصل .

وسادتنا المشار إليهم تحققوا بالمقام وخلصوا إلى مقام الختام ، وهو رؤية
الأحد الموصوف بالجلال والإكرام ، فافهم .

حكى القشيري في بعض كتبه أنّ أبا يزيد الأكبر لما أقامه الحق في مقام
الخلافة قال تعالى له : اخرج بصفتي إلى خلقي ، فخطا خطوة ثم صاح ،
فناداه الحق تبارك وتعالى : ردوا عليّ حبيبي فإنه لا صبر له عني ، وذلك لإيثار
جناب الحق والتخلص من حمل أعباء مقام الدعوة للخلق ، فافهم .

● إيضاح :

إذا علمت أنّ مقام الفردية أخص من مقام التصرف فاعلم أنّ إشارة سيدي
الشيخ الأهدل قدس الله سره تقتضي أنّ الحق - سبحانه وتعالى - أطلعه على
علمه الذي لا يُحاط بشيء منه إلّا بإذنه وهو الإذن الإلهي المحيط
بالمعلومات ، فأنبأ عن حال الشيخين بحكم ما رآه هناك من حوزهما المقام
الأول ، وخلصهما إلى المقام الثاني ، وتحققه رضي الله عنه وخلصه إلى
المقام الأفضل ، ووراثه الشيخ أبي الغيث له رضي الله عن الجميع . وقد يكون
ذلك لهؤلاء الأكابر في يوم واحد أو أقل أو أكثر . وأما عبارته بالإرث فهو من
مطلع قوله تعالى : ﴿ وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٩] ﴿ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ ﴾ [آل عمران : ١٨٠] لا من مفهوم الإرث الذي مات مورثه ، أو سيموت
وارثه . تعالى الله عن ذلك ، وعزّ جناب أهل الله عن التطفل على مصطلحات
الغير ، فالمعنى الذي عبر به الشيخ إلهي وهو غير اللفظة التي تستعملها الناس
في عرفهم . والحمد لله ربّ العالمين . وتحقيق الأمر النظر في الشيء
الموروث إن كان مفارقاً للروح كالأموال على اختلاف أجناسها ، فيلزم عليه
ما قاله المصنف من شرط موت الموروث ، وإن كان الموروث من الأحوال
والمقامات والأسرار والعلوم التي تتصف به الروح ويشرق بها ضياء العلم
وتتجلى بها النفس الناطقة ، فهي كمالات للنفس وصفات للروح لا تفارق
الموصوف بها والمتحقق بحقائقها والمتخلق بأوصافها ، فلا يصح الشرط

المقدر ، فالأمر كما تقرر . والله الموفق الهادي .

وقد اقتصرنا من كلامه الرفيع في هذا المهيع الوسع على هذا القدر اليسير
إيثاراً للاختصار .

وأما خوارقه وكشفه وتصرفه في الموجودات فقد حفظ إخواننا من أصحابه
من ذلك كله كثيراً ، والله دُرٌّ من يقول : [من السريع]:

واصلتُمُ الكَلِمَ بقطعِ الكَلَامِ	على حياتي وهي أنتم سَلام
ألغيتُمُ ذُكْرِي ضَنْأً بِهِ	ذُكِرْتُمُ فِي الكَاتِبِينَ الكِرَامِ
أما كَفَى البَيْنَ عذاباً فَلِمَ	شهرتُمُ سيفَ الجفا يا سلام؟
ظلمتمُونِي وتظَلَّمْتُمُ	يا رَبِّ لا واخذتْ أَهْلَ الأثامِ
بخلتْ يا دهرُ أما تستحي	وحاتمٌ بالجود أعدى اللئامِ
هَلَّا تَأْدِبْتَ بِأَدَابِهِ؟	أما تعلمتْ فِعَالَ الكِرَامِ؟
فلو كتبنا الاسمَ منه على	صخرٍ لَسَالَ الصَّخْرُ بالإنسجامِ
ولو دَعَوْنَا بِاسْمِهِ مَيَّأً	قامَ وإنْ كانَ رُفَاتاً عِظامِ

وبالجملة : فإنه ما كان إلا شيخَ أهلِ هذه الطَّرِيقِ حالاً وعلماً ، وإمامَ
أربابها حقيقة ورسمًا ، ومحبي رسوم المعارفِ فعلاً وإسمًا . عباث لا تكذِّره
الدُّلاءُ ، وسحابُ تنقاصر عنه الأنواء . ولقد رأيت من أقواله وسمعت من
أخلاقه وأحواله ما لا تسعه عبارة ولا يهتدى إليه بإشارة ، نفعنا الله ببركاته
وأمدنا في الدارين بإمداداته آمين .

وما ذكرته من أحواله ومقاماته دون ما تركته بكثير ، وتوفي - رحمه الله تعالى -
- في يوم الأحد عند غروب الشمس سابع عشر محرم الحرام سنة ثلاث عشرة بعد
الألف بالمخا^(١) ، ودفن في بيته ، ولي فيه مريثة مطلعها : [من الخفيف]:

أَيُّهَا الغافلُ الغبيُّ تنبَّهْ إنَّ بالنَّومِ يَفْظُةَ النَّاسِ أَشْبَهْ

(١) المَخَا : موضع باليمن بين زبيد وعدن بساحل البحر « معجم البلدان » (٦٧ / ٥) .

ومنها :

يا خليلي فرقة الخل والد
سيما خلّك الخصيص الذي لم
الحبيب الذي حوى كل وصف
ذاك والله حاتم خير خل
عارف الوقت من رفاق المعالي
من جميع العلوم حاز فنونا
حاتمي العضر في المعارف فرد
خصه الله منه بعلم لدني^(٣)

هـ على الأنفس الكريمة صعبة
تزلّ تمنى لقاء وقربة^(١)
حين يملا يملا القلوب محبة^(٢)
قطّ ما ذمّ صاحب منه صعبة
أوجهاً وسما لأرفع رتبة
قد ورثها من النبي وحزبه
شاذلي الزمان علماً ونسبه
وحبّاه منه بوصل وقربة

ومنها :

قد قضى حاتم حميداً فما لي
صاحبي من قريب عشرين عاماً
بكت الأرض والسماء عليه
الفتوحات والفصوص البهية
وبكاه اليمن الأنيس ومضّر
يا رعى الله أعصراً وبقاعاً

بعده في الحياة والعيش رغبة^(٤)
كل يوم يزداد منّي حبة
وعُلم ابن عربي وكتبه
حلّ منها ما كان غامض^(٥) ونبة
وجميع البلاد شرقه وغربه
قد تباغت به وفازت بتربه

ولي فيه مرثية أخرى ، وعدد أبياتها خمسة وسبعون بيتاً ، وهي في غاية
اللطافة ، لو قرئت على الصُخور لانصدعت من الرقة والسّلالة منها :

(١) في (ط) : « ... تمنى للقاء ... » ولا يصح وزناً ولغة ، وما أثبتناه في (م) ولا يصح وزنه أيضاً .

(٢) في (م) : « حين يملئ يملئ ... » .

(٣) في (ط) : « .. لدين » وما أثبتناه عن (م) والشرط الأول من البيت غير مستقيم الوزن .

(٤) في (م) و (ط) : « ... حاتم حميد ... » وصوابه كما أثبتناه بالنصب على الحال .

(٥) كذا في (م) و (ط) .

فشحَّ باللقاء وحزمته
 السيّد الأستاذُ فردُ زمانه
 سار في السلوك بجِدٍّ وعزمٍ
 ولا زالَ في الدّرجاتِ يَرْقى
 فجَلَّ الله الَّذي أعطاهُ
 وضاهى في التّصوّف اللَّيّ مضوا
 وخاضَ في بحرِه لَجّةً
 وأبدى في التّكسير غرائباً
 وغاب في شهود الحقيقة قلبه
 وكم خوارقٍ عنه قد اشتَهَرَتْ^(١)
 وكم مُريدٍ لاذَ به في أمره
 طالَ ما نيلَ على يديه المراد
 طالَ ما طاف إلى ربعه
 درّ ثديّ المعارفِ منه فسقى
 طال ما كان في محراب المعارفِ
 تباهتْ الأعصار به عجباً مفرطاً
 غاضَ^(٢) الوفاء لفَقْدِه وكذا
 ماتَ التّصوّف بموتِه
 وا أسفِي على أخلاقه إنَّها
 وا لهفِي على نُطقه إنَّه
 فما عظم الله العزاء لامرئٍ
 إنَّه الموتُ ليس منه خلاصٌ

واعجباه لي من بخل حاتمٍ
 الشريفُ المنتقى من أولاد هاشمٍ
 هكذا فلتكن في الله العزائمُ
 حتّى أتاه الفتحُ بالغنائمِ
 من فيضِ فضله أسنى المقاسمِ
 فكأنّما حاتمٌ كان لهم خاتمُ
 وكان فيه أبداً عائِمُ
 وفي جمعهم جمعه غداً سالمُ
 وظاهره كان بأمر الله قائمُ
 ولسانُه أمضى من كلّ صارمٍ
 فما بات إلا وقد سرتُ إليه المراهِمِ
 وقال لسانُ الحال منه أنا قاسمُ
 النّاس من عُربها والأعاجِمِ
 جمّاً غفيراً وما كان لهم فاطمُ
 إمّامٌ صادخٌ وبِاغِمُ
 وتحلّت الأيّامُ منه بأشرافِ خاتمِ
 ذهبَت والله المَكّارمُ
 وغدا طالبه خيرانَ هائمِ
 قد حكّت [الروض البهيّ الناعم]^(٣)
 مثل الزّلالِ لمن أتى طاعِمِ
 كان قاصداً ورائِمِ
 وغير الله ليس باقي ودائمِ

(١) في (ط) : « ... قد شهدت » تحريف ، وصوابه في (م) .

(٢) في (م) : « غامض ... » .

(٣) ما بين قوسين ورد في (ط) ولم يرد في (م) .

ومنها :

فهو به لا شك إنه غانم
جعلت اسمه لذاك صدر التَّمائم
لَعَادَتِ الروحُ فيه وثَبَّ قائمٌ

هنيئاً لمن كان اسمه وزده
إنِّي إذا ما رميتُ مطلباً
ولو كَتَبْنَا اسمه على ميتٍ

ومنها :

كأنِّي سُقِيتُ سَمَّ الأرقامِ^(١)
شوقي نار ودمعي كالغيث المتراكم
والآن صرت بعد نشوتي خادمٌ
ذهاب الخوافي منه والقوادمُ
قاسيته من هذه العظائم^(٢)
في لرؤياه بات حائمٌ

إنِّي مما بأحشائي من الأسى
يا عجباً كيف اجتمعاً في شجى
وكنت جذلان من فرحي بوجوده
كأنني الطير وقد بقي بعد
ما مجنونٌ وقيس قاسياً ما
طال ما رقيته وطائر طُرُ

ومنها :

ولا لدائي سواه حاسمٌ
ويلاهُ ما أطيب تلك النسائمُ
فاستنشق [ذلك]^(٣) مني الخياشمُ
أيقظتني وكنت نائمٌ
تركنتي بشأنه حازمٌ
من شجوي ناحتِ الحَمائمُ
وعدت من بعد جهلي به عالمٌ

ما لقلبي غيره يُداويه
نَسَمَةٌ سَرَتْ لي من عنده
نفثت بسرّها في سراري
أهدت إليّ علومه ونُوره
علّمتني الهوى وفنونه
فكنتُ في دين الهوى قذوةً
وغصت في بحرهِ فزال الظّما

(١) السم : مثلثة السين ، والأرقام ، جمع الأرقم ، وهو من الحيات ما فيه سواد وبياض ،
اللسان « سمم » و (رقم) .

(٢) في (م) : « .. قاسوا ما » وما أثبتناه في (ط) .

(٣) لم ترد الكلمة في (م) ووردت في (ط) فقط .

وفزْتُ من سِرِّهِ^(١) بما رمته
 شغفي به لا يُقاسُ أبداً
 حُبِّي به لا يحُدُّ حدّه
 وغرامي فيه لا يكون له نظير
 ما مرّ بي صبحٌ ولا مساء
 شابهت الخنسا في شجوي
 كلّ يومٍ عندي من حزني
 مولاي ناداك عبد إلى
 من أرض الهند يريدُ القرى
 حاشا عُلاه حاشاه أن
 ومنها :

وصرت من بعد غبني به غانمٌ
 فكأنما هو وأيم الله حاتمٌ
 دمعي أزرى بفيض الغمائم
 نَعَمْ قد حكاه البحر المتلاطم
 إلّا وذُكره على قلبي جائمٌ
 بل شابهتني في وجدي الملازم
 كمثّل كربلا ومآتم
 عليك ما زال ينظر دائمٌ
 وأنت بكلّ ما يرويه عالمٌ
 يحرم الرّاجي له المكارم

لقد أصبْتُ بفَقْدِهِ مُصاباً
 لهفي عليه إنّ فضلَه
 لذا لا يفارقني أسفي أبداً
 إنّي وإن أجهدتُ فيه^(٢) طاقتي
 أعزّي به الدُّنيا بأسرها
 لَيْسَ الوجود السَّوادَ حلّةً
 عليه من ربّه كما يرضاه له
 وصَلَّى الله على أصله
 وعلى صحابته كذا وآله

ما أظنُّ أصيب بمثله العوالمُ
 يعجز عن شرحه كل ناثِرٍ وناظمٍ
 ولا يزال دمع العين مني ساجمٌ
 عسى أن أكون ببعض حقه قائمٌ
 إنّ عزاه حقاً في كلّ العوالمُ
 وغداً كل طالب محروم هائمٌ
 من الرضا وجمّ المراحمُ
 محمّد النور أبي القاسمُ
 الجميع واخصص حاتم

ولنرجع إلى ما نحن بصددّه من ترجمة الشيخ عبد الهادي السوداني ، فمن

(١) في (ط) : « ... من سِرِّي » .

(٢) هذه اللفظة من (م) فقط .

شعر الشيخ عبد الهادي أيضاً : [من البسيط]:

عَسَاكَ يَا بُلْبُلَ الْأَفْرَاحِ تَجْبِرُنِي
فَتَلِكْ لِي مِنْ قَدِيمِ الدَّهْرِ مَالِكَةٌ
كَمْ قُلْتُ لِلْقَلْبِ أَقْصَرَ عَنْ مَوَدَّةٍ مِنْ
فَقَالَ لِي وَقَوَاهُ قَدْ وَهَتْ فَرْقاً
ومنه : [من الكامل]^(١):

قَالَتْ سَعَادٌ وَقَدْ رَأَتْ دَمْعِي جَرَى
فَدَهَشْتُ مِنْ فَرْحِي وَقُلْتُ نَعَمْ نَعَمْ
لِي مِنْ هَوَاكُم صَرْفُهُ وَعَتِيقُهُ
بِاللَّهِ يَا حَادِيَ النَّيَاقِ لِحَيْهِمْ
سَلِّمْ عَلَى أَهْلِ الْخِيَامِ وَقُلْ لَهُمْ
ومنه : [من مخلع البسيط]:

قَلْبِي عَلَى عَهْدِكُمْ مَقِيمٌ
وَمِنْ عَدُولِ الشُّهُودِ أَنِّي
وَفِي حِمَاكُم حَطَطْتُ رَخْلِي
وَحَقَّكُمْ بَعْدَ إِذْ حَصَلْتُمْ
مَا يَلْتَقِي مِثْلَكُمْ فَوَادِي
فَسَاعِدُونِي عَلَى هَوَاكُم
وَالشُّوقُ لِي مَقْعَدٌ مَقِيمٌ
مَوْذَنٌ فِي الْهَوَى مَقِيمٌ^(٢)
وَالْغَيْرُ مِنْ حَوْلِهِ يَحُومُ
لَأَعْصَيْنَ الَّذِي يَلُومُ
يَا أَهْلَ نَجْدٍ بِهِ يَهِيمُ^(٣)
يَا مَنْ هُمُ الْكَأْسُ وَالنَّدِيمُ

(١) في الأبيات اللاحقة تضمين لبعض قصيدة البرهان القيراطي الرائعة. انظر «تعريف ذوي العلا بمن لم يذكره الذهبي من النبلاء» لتقي الدين الفاسي ص (١٣٠-١٣٣) طبع دار صادر بيروت.
(٢) الدَّرْدِيَّةُ : الزَّوْبَةُ ، أي الخميرة التي تترك على العصير والنبيد ليتخمر ، «اللسان» (درد) وأراد أن القليل لا يسكره .

(٣) في (م) : «سقيم» تحريف ، ولعله أراد : «سقين» بالسین . وما أثبتناه في (ط) .

(٤) في (ط) : «ماذا يلتقي . . . » وبه يكسر الوزن ، وما أثبتناه في (م) .

ومنه : [من الخفيف]:

عذبتني بالمطل منها سعاد
وجفاني من بعد ما هجرتني
لو تراني أسامر النجم ليلاً
يا أخلاي أصل سقمي أنتم
عاملوني باللطف يا أهل ودّي
ما أحيلى الوصال في ظلم ليل
ذاك أهنى الوصال لا شك فيه
أنا مملوككم على كل حال
يا أهيل الحمى حللتكم بقلبي
كل كلي بحبككم مستهام
لا يحق البكاء إلا عليكم

وبراني وهذ ركني البعاد
طيب عيشي وزار جفني الشهاد
علّ ليلى يكون منها افتقاد
ولقاكم هو الشفا والمراد
لاحظوني ما قد مضى لا يعاد
وقد غال كل واش رقاد^(١)
هكذا هكذا يكون الوداد
ومريض فهل تروني أعاد
وإليكُم يحنّ منّي الفؤاد
والسويدا تشاقتكم والسواد
وعلى وضلّكم يليق الجهاد

وقد شرحت هذه القصيدة شرحاً فائقاً في كتاب « جواهر الأحياء وإمدادات الأولياء » ، وجعلت اسم الشرح : « فتح الله الجواد بشرح عذبتني بالمطل منها سعاد » .

ومنه : [من الوافر]:

لقد غنى الحبيب لكل صب
أيشدو من تحب وأنت قاس
إذا ما كنت صباً مستهاماً
وقل للعاذلين دعوا ملامي
أفي أهل اللوا^(٢) وعريب نجد
معاذ الله أن أصغي إليكم

فأين الرّاقصون على الغناء
وترضى بالقساوة والعناء
فمل طرباً كغصن في هواء
فإن العذل عندي كالهباء
أطيعكم وقد سكنوا حشائي
نعم ألقى ملامكم ورائي

(١) هكذا الشطر الثاني وهو مختل الوزن ، ولعل الصواب : « ولقد ... » .

(٢) في (م) : « في أهل الهوى ... » .

ومنه : [من مخلع البسيط]:

ما طابَ عيشي ولا وجودي
ونَقَر دَف وَصَوْتُ عُود
وليلة الوصلِ منك عيدي
يكفي من الهجر والضدود
لا سيمًا للشجي العמיד
لئلا على السّفح من زرود
عُودي ليخضرَ منك عُودي

لولاكَ يا زينةَ الوجودِ
ولا شجاني وميضُ برق
أنتَ الذي همتُ في هواهُ
بالله زرنني فدَتَكَ رُوحِي
ما أصعبَ الهجر من حبيبٍ
وما أُخيلُ وصالِ ليلي
فيا ليالي اللّقا علينا

ومنه : [من الخفيف]:

يا عريباً همُّ بقلبي حضورُ
أنا صبٌّ إلى الوصالِ فقيرُ
نحوكم يا أهيلَ نجدٍ أطيرُ
إنّ نفعَ القليلِ منكم كثيرُ
لا بجهدي فذاك شيءٌ حقيرُ
من سواكم لعلّه يستنيرُ

ليس إلّا بكم يتمُّ السّرورُ
أنتم الأغنياءُ حُسنًا ولكن
كلّما هبتَ الصبا كنتَ شوقاً
فاسمحو لي ولو بطيفِ خيالٍ
واقبلوني بفضلكم يا موالِي
وأريحوا فدَتُكم الرُّوحِ قلبي

ومنه : [من الخفيف]:

حبُّ غيداء^(١) بالجمال مدلّة
وغدا العقل من هواها مُدلّة
يا طفيلي عشقتني أنتَ أبلّة
لا ينال الوصال من فيه فضلّه
كلُّ هاتيك يا فتى مضمحلّة

قد كساني لباس سقم وذلّة
سلبتني وغيّبتني عني
سفكت في الهوى دمي ثمّ قالت
إنّ تردّ وصلنا فموتك شرطُ
فافنّ عن جملة الوجود لتبقى

(١) في (ط) : « حب غيد . . . » وبه يُكسر الوزن ، وما أثبتناه في (م) إلا أن أتى به مقصوراً ، والمد هو الصواب .

وانخلع عنك يا خليع غرامي
 طهّر العين بالمدامع سنبعا
 وترى حُسْننا البديع فتضحى
 وابذل الرّوح فهو فينا قليل
 واجعل الفقر شافعا لك تغنى
 [مَنْ أتى تائباً قبلناه فضلاً
 كم محبّاً بعجزه قد تحلى
 نقطة الباء كن إذا شئت تسمو
 وأرذنا لنا بغير مراد
 واحفظ العهد كي توافي حمانا
 هذه سنّة المحييين فاسلك

ومنه : [من المجتث]:

يا راحة الرّوح يا مَنْ
 واصل فديتك صَبّاً
 وباين الكلّ إلّا
 مشارب القوم شتّى
 قد شرفّ النَّاس طرّاً
 فهو الغريب ولكن
 تعجّب الخلق منه
 يا موجبين لصخوي
 وليس يوجب صخوي
 بين الغويير ونجد

لا يكن لك غير وجهي قبله
 من شهود السّوى^(١) تزل كلّ علّه
 في سرورٍ قرير قلب ومقلّه
 راضياً لا تقل دمي من أحلّه
 حبّذا الافتقار ديناً وملّه
 تلك عاداتنا لمن جاء قبله^(٢)
 نال منّا الذي يروم ومثله
 أو فدغ ذكر قربنا يا مولّه
 والزم الباب في حياء وخجله
 سالم القلب من تناسر وعقله
 واترك العاذل الجهول وعدله

هواه أشرف مذهب
 أنسيته كلّ مذهب
 من بالهوى قد تمذهب
 من كلها صار يشرب
 وللغرائب غرّب
 محبوبه منه أغرب
 وباطن الأمر أعجب
 السّكر والله أوجّب
 إلّا بليد معذب
 طول الزّمان مُذبذب

(١) في (ط) : «... شهود السرى...» تحريف ، وصوابه في (م) .

(٢) البيت لم يرد في (م) وورد في (ط) فقط .

فطالعوا إن شككتكم
ياما ألد استماعي
في حضرة ليس فيها
ومطرب الحي يشدو

ومنه : [من البسيط]:

تهذيبكم والمهذب
قول الندامي لي اشرب
إلا مراد مقرب
لا عاش من ليس يطرب

عليّ الله نذر لا أخلّ به
إن شاهدت مقتلتي سلمى بذي سلم
فبذل روعي قليل في محبتها

ومنه : [من الكامل]:

إلا لعذر إلى الإخلال ألاجاني
تعفير خدي بذاك الحي كالجاني
دع عنك بذل عروض ثم أعياني

لا تحسبوا يا قوم قلبي خافق
ومنه :

لكنه طرباً عليه يصفق

ذلي لعزك يا حبيبي لائق

ومنه : [من المتقارب]:

وبك الوصال من القطيعة أليق

كتمت هوى ساكن في الحشا
لقد صاد قلبي وما صدته
سوى البذل للروح لا يرتضي
إذا رام هجري ورمت اللقا

ومنه : [من البسيط]:

ولكن على الرغم مني فشا
فوا عجباً كيف سمي رشا
فلا ترج منه قبول الرشا
رضيت بحكم الهوى ما يشا

لو قيل لي وهجير الصيف^(١) في وهج وطئ أحشاي كم فيه من الشعل
أهم أحب إليك اليوم تشهدهم
لقلت مشهدهم أهوى ولو تلفت
وهكذا الحب إن صحت قواعده
أم شربة من زلال الماء كالعسل؟
روحي أسي وجوى يا ليت ذلك لي
« ليس التكلل في العينين كالكلحل »

(١) في (ط) : « لو قيل لي هجير والصيف » وبه يكسر الوزن .

وقد سبقه إلى هذا المعنى الإمام الشاشي فقال : [من البسيط]:

لو قيل لي وهجيرُ الصَّيفِ في وهج وفي فؤادي جوى للحرِّ يضطرمُ
أهم أحب إليك اليوم تشهدهم أم شربة من زلالِ الماءِ قلتُ همُ
والأخذ على هذا الوجه عند أهل البديع جائز .

ومنه : [من السريع]:

باللهِ كَرَّرَ أَيْهَـا المطرب تذكار قوم ذكرهم يعجبُ
ما زمزم الحادي بذكرهم في الشرقِ إلّا رقص المغربِ

ومنه :

خلّوا عذلي فقد حلا لي العشقُ كم من جدل رقوا لحالي رقوا
زادت عِلّلي وما بقى لي نطقُ أرجى عملي أني لسعدى رُقُ

ومنه :

قد بلبلَ خاطري وأجرى دمعي تغريدُ حمامِ بيانِ إدي الجزعِ
لما نَدَبْتَ هديلَها بالسَّجعِ أمسيت ألوبُ في نواحي الرِّبعِ

ومنه :

يا ليلُ إلى متى أقاسي بيني ما الذنبُ وما جرى لقطعِ البينِ
باللهِ عيدي مريضَ هَجَرِ نوى يا مالكتي إضلاحِ ذاتِ البينِ

ومنه :

يا مانحَ مهجتي ويا مُسْعِفَها في الطّورِ ضحى عساك أن توقفَها
عينُ نَظَرَتْ حماكُ ما ألطفَها أذنُ سَمِعَتْ نداكُ ما أشرفَها

ومنه :

دُلِّي لجمالِ عزّه يكفيني عزّاً وبذلك إن أمت تكفيني
ما الحبِّ ولو فנית إلا ديني من ذا معه عشقُ عسى يعديني

ومنه :

أهوى قمرأ رضيته لي وعلي
كم من أسد إذا به وهو ظبي
مَنْ مات به فذلك الميتُ حي
إن رمتَ تحبه فللموت [تَهَي] (١)

ومنه :

غنى البلبلُ معتمأً في بابل
فارتاح من الهموم قلبي القائل
والبالُ مبلبل وجسمي ذابل
أما شجي فاهتز مثل الذابل

ومنه :

لا كانَ عن النقا فؤاداً عدلاً
يا مَنْ رحل الجمال يبقى ملأً
وانقل فتواي إنه ما عدلاً
حاذر كسلاً في قُضدها أو مَللاً

ومنه :

يا مالكَ مهجتي ووالي ديني
والهجرُ إذا أطلتَه يزديني
أنجز عدتي فالوعدُ مثل الدين
حاشاك وأنت لم تزل تهديني

ومنه :

قلبي لِشرابِ حبِّ سعدى قدحُ
دَغ من طعنوا في حبِّها أو جرحوا
لأتركه لعذلٍ قد قدحُوا
فالقاهرُ عالمٌ بما قد جرحوا

ومنه :

عودوا صَبّاً بكم مريضاً عودوا
منكم طَربي إذا شجاني العودُ
يا مَنْ صَرموا وللتصافي عودُوا
فاسقوا غرسي يخضر منه العودُ

ومنه :

لم أخشَ وأنت ساكن إنساني (٢)
يا مَنْ بجماله الورى أنساني

(١) ما بين قوسين زيادة من (ط) .

(٢) في (م) : « ... ساكن إنساني » تصحيف ، وصوابه في (ط) .

لا نال مُناه يا حبيبي قلبٌ عن حبّك عاقه إنساني

ومنه :

قد صرتُ على سعادَ وقفاً ولها باللهِ علامَ ذا كستني ولها^(١)
إن كان الذنبُ أنني همتُ بها فالكونُ سَهاً بالحسنِ قبلي ولها^(٢)

ومنه :

لم أنسَ زمانَ وضيّلكم بالسّفح يا مَنْ منحوا جفني دوام السّفحِ
إعراضكم في القلب منه جزخُ داووا بالله يا موالِي جرحي

ومنه :

أهوى رشاً ذابت عليه كَبدي في الحبِّ له حياةُ رُوح الجسدِ
لا أسمع فيه زور أهل الفَنَدِ فالعاذلُ لم يزلُ ضجيعَ الجسدِ^(٣)

ومنه :

أفدي قمرأ في حي قلبي سَكنا لم أرض لمهجتي سواه فيها سَكنا
من واصلَه لاقى سكوناً وهنا لَكِن وجدي بوضليهِ ما سَكنا

ومنه :

إنْ جزت بسلعِ سَلْ عن الأحباب واذكر لهم كي يَزحمونَ ما بي
قل صَبِّكم قد ضاق صدرأ فمتى بالوصلِ يفوزُ أو بفتح الباب

ومنه :

ما ناخَ مطوّقٌ بأعلى البان أو لآخَ بويرق على نَعْمانِ^(٤)

(١) الرّولة : ذهاب العقل والتحير من شدة الوجد أو الحزن ، اللسان « وله » .

(٢) ولها : من (لَهَا يلهو لهواً) .

(٣) في (م) : « فالحاصل لم يزل . . . » .

(٤) المطوّق من الحمام : ما كان له طوق . ونَعْمان : واد في مواضع متعددة من أرض الجزيرة والشام والعراق . وهو حصن من حصون زبيد . « معجم البلدان » (٢٩٤ / ٥) .

إِلَّا أَمْسَيْتَ صَانِعاً لِي فُلْكَأ

ومنه :

كِي لَا أَفْنَى بِدَمْعِي الطَّوْفَانَ

لَمْ أَرْضَ بِغَيْرِ حَبِّكُمْ لِي مَذْهَبُ
يَا مَنْ سَكَنُوا الْعُذِيبَ مِنْ أَحْشَائِي

ومنه :

هَذَا دِينِي وَمَالِي عَنْهُ مَذْهَبُ
تَعْذِيكُمْ يَا سَادَتِي مَا أَعَذَبُ

فَارْقُتْكُمْ وَالْقَلْبُ فِي أَسْرَكَمْ^(١)
عِيشَتِي مِنْ بَعْدِ مَا نَأَيْتُمْ كَفَنِي

ومنه :

يَا مَنْ مَنَعُوا جَفَنِي لِذِيذِ الْوَسَنِ
فَالْمَيْتُ أَنَا وَالْفَرْقُ تَرَكُ الْكَفَنِ

تَغْرِيدُ الْوُورِقِ فِي الدَّجَى أَرْقَنِي
مَا لِي سَكَنُ أَشْكُو إِلَيْهِ شَجَنِي

ومنه :

لَمَّا بَاتَتْ تَشْدُو بِأَعْلَى الْفَنِي
حَبِيبِي رَبِّي إِنْ رَمْتُ شَكْوَى الْحَزَنِ

لِلَّهِ لِيَالِيَا عَلَى ذِي سَلَمٍ
أَمْسَيْتُ بِهَا سَمِيرَ سَلَمَى وَحْدِي

ومنه :

مَا يَبِينُ أَرَاكُهَا وَيَبِينُ السَّلَمُ
حَتَّى هَزَمَ الصَّبَاحُ جَيْشَ الظُّلَمِ

يَا سَعْدُ إِذَا جُنَّتِ النَّقَا وَالْبَانَا
وَانْقَلَّ أَخْبَارُ مِنْ هَوَاهِمِ فَرْضِي

ومنه :

فَاذْكُرْ لِبْنِي وَالسَّفْحَ مِنْ لِبْنَانَا
مَا زِلْتُ بِهِمْ حِلْفَ الضَّنَا وَلِهَانَا

أَفْدِي قَمْرًا فِي حُسْنِهِ نَزْهَنِي
مَا كُنْتُ عَلَى حَدِيثِهِ مَطْلَعًا

ومنه :

قَالُوا أَلْهَاكَ قَلْتُ بَلْ وَلَّهَنِي
لَوْلَا مَكْحُولُ طَرَفِهِ حَدَّثَنِي

حَبِّي لَكُمْ يَا أَهْلَ نَجْدٍ شَرَفُ

مَا فِيهِ كَمَا يَظُنُّ لَاحِ سَرْفُ

(١) فِي (م) : « ... وَالْقَلْبُ فِي أَمْرِكُمْ » .

والمحكم من حديث قطعي سَقَمِي
فيكم صَحَّت آيَاتُهُ وَالصُّحُفُ
ومنه :

جمعي بكم يَجْلُو سويدا بصري
طُوبَى لَفَتَى رَمَاه لَحْظٌ مِنْكُمْ
ومنه :

أَصْبَحْتُ أَرْقُ مِنْ شَمَالٍ وَصَبَا
قَلْبِي لِإِمَامٍ حُسْنُهُ شَتَعَنِي
ومنه :

بَانُوا عَنِي فَبَانَ كُلُّ السُّلُوانِ
هَلْ يَجْمَعُنِي وَأَهْلُ وَادِي نُعْمَانِ
ومنه :

أَفْدِي قَمراً جَمَالَهُ أَهْأَنِي
مَنْ شَاهَدَهُ يَصِيرُ كَالْوَلْهَانِ
ومنه :

فِي الْقَلْبِ لَكُمْ مَنْزِلٌ مَقْصُورٌ
فِي الذَّرِّ عَرَفْتَكُمْ فَلَا أَنْسَاكُمْ
ومنه : [من المجتث]:

وَعَاذِلِ لِي يَلُومُ
وَمَا أَصَابَ فَلَإِنِّي
يُظَنُّ أَنَّ نِي سَلِيمٌ
كَلِيمٌ قَلْبٍ سَلِيمٌ

(١) في (ط) : « شويذن » بالذال المعجمة : تصحيف ، وما أثبتناه في (م) والشويذن :
تصغير شادن وهو ولد الظبي الذي قد قوي وطلع قرناه واستغنى عن أمه . والشمال : ريح
تهبُّ من الشَّام يسار القبلة ، والصَّبا : ريحٌ تستقبل البيت . « اللسان » (شدن ، شمل ،
صبا) .

ومنه : [من الكامل]:

يا هاجراً لي طولَ عمري عامداً
واجعل نصيبي القرب منك^(١) تفضلاً
أنعم بوصلك يا حياتي آخرة
أو لا فإن العيشَ عيشُ الآخرة

ومنه : [من المجث]:

جَرَحْتَ يَا نُورَ عَيْنِي
وَلَيْسَ يُنْكَرُ جَرْحُ
خَلْدِي بِمَاءِ مَعِينِ
أَتَى بِهِ « ابْنُ مَعِينِ »^(٢)

ومنه : [من الكامل]:

ومهفهفٍ قَبَلْتُ أَشْنَبَ ثَغْرِهِ
قَالَ اخْشَبِ الْقَبْلَ الَّتِي قَبَلْتَنِي
وبلوغ ذاك الثَّغْرِ مَا لَا يُخْشَبُ
فأجبت « إِنَّا أُمَّةٌ لَا نُخْشَبُ »

ومنه : [من المجث]:

مَالِي إِلَيْكَ رَسُولُ
فَحَمَلُوهُ شَذَاكَمُ
إِلَّا التَّسِيمُ الْعِيلُ
يَصِحُّ مِنْهُ الْعِيلُ

ومنه : [من الطويل]:

مراسيلُ شوقي نحو ليلي رسائلي
ولكنْ جَرَى دَمْعِي وَنَمَّ بِمَا جَرَى
وكتمانٌ وجدي من أجلِّ رسائلي
فتحقيق جارٍ عند جارٍ رسائلي

ومنه : [من المجث]:

بِاللهِ دَغْ ذَا التَّغَابِي
وَارْحَمْ بَعْزَكَ ذَلِّي
واسمح برْدُ الجوابِ
فقد أحاط الجوى بي

(١) في (ط) : « ... القرب بتلك تفضلاً » وبه يكسر الوزن ، وما أثبتناه في (م) .
(٢) هو يحيى بن معين البغدادي ، أبو زكريا : من أئمة الحديث ومؤرخي رجاله . وقال
العسقلاني : إمام الجرح والتعديل ، توفي سنة (٢٣٣ هـ) ترجمته في « شذرات الذهب »
(٣ / ١٥٥) و « الأعلام » (٨ / ١٧٢ - ١٧٣) .

ومنه : [من مخلق البسيط]:

بالله ما بينكم وبينني
لا عَيْش إلا إذا وصلْتُم
حتى أطلتُم زمان بيني
عذابَ بَيْنٍ بعذب بَيْنِي

ومنه : [من الكامل]:

بالوصلِ منك مريض هَجَرٍ يُشْتَفَى
يا منتهى الآمال يا كلَّ المُنَى
مِمَّا أَلَمَ به ومثلك من شَفَا
أدركهُ فهو من الصّدود على شَفَا

ومنه : [من المجتث]:

أفدي الذين إذا ما
أنستهم فنسوني
ذكرتهم أنسوني
لا بَلْ هم أنسوني

ومنه :

بلا بلُّ الحبِّ تشدو
وليس تلك المعاني
بكلِّ مَعْنَى غَرِيبٍ
إلا لَصَبِّ غَرِيبٍ

ومنه :

زارَ الحبيبُ فأحيا
فشاهدوا مَيِّتَ حيٍّ
مَيِّتَ الغرامِ وحيّا
بـزورة عاد حيّا

ومنه :

هواكُم صار ديني
وقد جرى دمعُ عيني
يا غُرب وادي العقيقِ
مِمَّا جَرَى كالعقيقِ

ومنه : [من الكامل]:

يا حَبْذا يا حَبْذا يا حَبْذا
والله لا خطرَ السلو بخاطري
بدُرٍّ أصابني عليه كم إذا
ما دمت في قيد الحياة ولا إذا

ومنه : [من المجتث]:

يا مَنْ لَهُ الْقَلْبُ بَيْتٌ
أراك تسأل عنه
سواك ما فيه مَرًّا
و« صاحب البيت أذرى »

ومنه : [من الخفيف]:

يا قَتِيلَ الْغَرَامِ كُنْ لِي مَعْنَى
لَوْ رَأَيْتُ مَجْنُونٍ لَيْلَى لَقَرَّتْ
أنا في الحبِّ أَلْطَفَ النَّاسِ مَعْنَى
عينه بي وهام في كل مَعْنَى

ومنه : [من البسيط]:

سَلِّمْ لَهُمْ تَلَقَّ مِنْ أَلْطَافِهِمْ عَجَبًا
وَلَا تَقُلْ سِبْبي يَوْمًا وَلَا نَسْبي
واخضع لهم يا طفيلي الهوى أدبا
يكفي بهم سبباً يكفي بهم نَسَباً

ومنه : [من مخلص البسيط]:

يا سَالِبَ النَّوْمِ عَنْ جُفُونِي
وَأَشْرَخَ بَطِيبِ الْوَصَالِ صَدْرِي
أَنْتَ لِرُوحِ الْمُحِبِّ قُوْتُ
اجعل لهذا الصَّدودِ حَدًّا
نَقْدًا وَإِنْ شِئْتَ كَانَ وَغْدًا
وَطَالِبُ الْقُوْتِ مَا تَعْدَا

ومنه : [من السريع]:

يا هَاجِرًا حَبِيْ لَهُ زَائِدُ
لَمْ أُنْسَ طِيبَ الْوَضْلِ فِيمَا مَضَى
لا « صِلَة مِنْكَ وَلَا عَائِدُ »
يا لَيْتَ ذَاكَ الْوَضْلَ لِي عَائِدُ

ومنه : [من المديد]:

أَيُّهَا اللَّحْظُ الْمَرِيقُ دَمِي
حَبَّذَا يَا فَتْتِي قَدَمِي
نِسْبَتِي فِي الْحَبِّ ثَابِتَةٌ
كُنْتُ مَجْهُولًا بِلا سَمَةِ
كَمْ مَعَانٍ فِيكَ يَا قَمْرِي
أنت في حل وفي سَعَةٍ
بي إلى حتف الهوى سَعَتِ
همتي عن غيره سَمَتِ
وهي لي بين الورى سَمَتِي
للمعنى الصَّبِّ قَدْ دَعَتِ

من تمنعها وعائنها عاش في خفض^(١) وفي دعة

والسودي : نسبة إلى قرية تسمى « سودة شضب » وهي على ثلاثة مراحل من صنعاء ، ونسبه يرجع إلى بني شمر ، وهم من أولاد كندة . وكان للشيخ نفع الله به ولدان : أحدهما عبد القادر ، والآخر محمد ، ومات عبد القادر في حياة أبيه وخلف بنتاً ، ولم يبق للشيخ عبد الهادي الآن نسل إلا منها . وأما محمد فعاش بعد والده وصار متولياً قضاء تعز ، ولما استولى الأروام على تعز لزموه وبعثوا به إلى مصر فمات هناك ، وذلك في حدود الستين بعد التسعمائة .

● وفيها توفي السلطان الأعظم مظفر شاه ابن محمود شاه^(٢) صاحب كجرات ، وكان عادلاً فاضلاً محباً لأهل العلم ، وكان حسن الخط وكتب بيده جملة مصاحف أرسل منها مصحفاً إلى المدينة الشريفة ، وخرجت روحه وهو ساجد ، والظاهر أنه هو الذي وفد عليه الشيخ العلامة بحرق الحضرمي ، وصنف بسببه السيرة النبوية وإن كان اسم الكتاب يشعر بغير ذلك ، فإنه ما كان في ذلك الزمان أحد ممن ولي السلطنة اسمه أحمد غيره ، ولم يزل عنده مجللاً مكرماً إلى أن مات .

* * *

(١) في (ط) : « .. حفظ .. » .

(٢) ترجمته في « شذرات الذهب » (٢٥٥ / ١٠) وثمة اسمه : « مظفر شاه أحمد بن محمود » .

سنة ثلاث وثلاثين بعد التسعمائة

● وفي يوم الأحد سابع شهر صفر سنة ثلاث وثلاثين توفي العارف بالله الربّاني والقطب الصمداني شافعي زمانه وجنيد أوانه ، ولي الله بالاتفاق وشيخ المشايخ على الإطلاق المشهور في الآفاق الشيخ محمد بن علي بن عراق^(١) الكناني الشافعي بمكة المشرفة زادها الله شرفاً وتعظيماً . وكان وصوله من مكة إلى مدينة المصطفى في شهر رمضان من سنة اثنين وثلاثين لإطفاء الفتنة التي أطفأها الله تعالى بوصوله بين الشريف أبي نُمي بن بركات^(٢) والأروام وأميرهم سلمان ومعهم خير الدين ، وإظهارهم أن نيتهم العزم على الفرنج ، فقتلا كلاهما باليمن .

وكان رضي الله عنه من كبار المشايخ العارفين ، وبقية الصفوة من الأولياء الوارثين ، وكان من رجال الطريق ومشايخ التحقيق ، وخاتمة ذوي العرفان ، وعمدة في تربية المريدين .

ومن كراماته : أنه كان في يوم من الأيام جالساً تحت شجرة فمر على خاطره قول البوصيري في البردة « وراودته الجبال الشم من ذهب » البيت وإن ذلك قليل بالنسبة إلى رتبة النبي ﷺ . قال : فما استتمت بخاطري إلا ونظرت إلى تلك الشجرة قد استحالت ذهباً ، فهالني ذلك ، وتضرعت إلى الله تعالى حتى عادت كما كانت .

وله - نفع الله به - عقيدة مختصرة وهي هذه :

(١) ترجمته في « الشقائق النعمانية » ص (٢١٢-٢١٣) و« الكواكب السائرة » (١/٥٩-٦٨) و« شذرات الذهب » (١٠/٢٧٣-٢٧٧) و« الأعلام » (٦/٢٩٠) و« معجم المؤلفين » (١١/٢٢-٢١) .

(٢) في (ط) : « بركاب » تحريف .

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .
اللهم إنا نوحّدك ولا نحدّك ، ونؤمن بك ولا نكيفك ، جلّ ربنا وعلا تبارك
وتعالى . حياته ليس لها بداية فالبداية بالعدم مسبوقة ، قدرته ليس لها نهاية
فالنهاية بالتحقيق ملحوقة ، إرادته ليست بحادثة فالحادثة بالأضداد مطروقة ،
سمعه ليس بجارحة فالجارحة مخروقة ، بصره ليس بحدقة فالحدقة مشقوقة ،
علمه ليس بكسبي فالكسبي بالتأمل والاستدلال بعلم ، ولا بضروري فالضرورة
على الإرادة والإلزام تلزم ، كلامه ليس بصوت فالأصوات توجد وتعدم ، ولا
بحرف فالحروف تؤخر وتقدم ، ذاته ليست بجوهر فالجوهر بالتحيز معروف ،
ولا بعرض فالعرض باستحالة البقاء موصوف ، ولا بجسم فالجسم بالجهات
محفوف ، هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس ، على العرش استوى من
غير تمكن ولا جلوس ، لا العرش له من قبل القرار ولا الاستواء من جهة
الاستقرار ، العرش له حدّ ومقدار والزّب لا تدركه الأبصار ، العرش تكيفه
خواطر العقول وتصفه بالعرض والطول ، وهو مع ذلك محمول والقديم
لا يحول ولا يزول ، العرش بنفسه هو المكان وله جوانب وأركان وكان الله ولا
مكان ، وهو الآن على ما عليه كان . جل عن التشبيه والتقدير والتكليف
والتغيير والتأليف والتصوير ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . والصلاة
والسلام على سيدنا محمد البشير النذير ، ونستغفر الله من كل تقصير ، غفرانك
ربنا وإليك المصير . انتهت العقيدة ، وشرحها شيخ الإسلام ابن حجر
الهيتمي . وله وصية نافعة وغير ذلك .

● ومن أولاده الشيخ العلامة الجبر الفهامة ، قدوة وقته في المعقول
والمنقول ، والمعمول عليه في الفروع والأصول ، شيخ الأنام بطيبة النبوية ،
ومرجع الخاص والعام بالحضرة المصطفوية الشيخ علي^(١) . وكان من كبار
أهل العلم ، وله جملة مصنفات منها : شرح على « العُباب » في الفقه إلا أنه لم

(١) ذكره في « شذرات الذهب » (٢٧٦/١٠) في ترجمة والده .

يتمّ ، ومنها « تنزيه الشريعة عن الأحاديث الموضوعية » وهو كتاب جليل عظيم الفائدة^(١) ، ومنها « الصراط المستقيم في شرح بسم الله الرحمن الرحيم » ، واختصر « رحلة ابن رشيد » ، وعمل تذكرة جمع فيها فوائد عديدة . وسئل عن القهوة بهذه الأبيات : [من الرمل] :

<p>بجوارِ المُصطفى والمروّتين ذا علا فوق ذين الثّيرين وهو في بذل الندى رَحَبَ اليدين حيثما شئت تعاطيها بشين وافتراق للأقاويل ومين في الحانِ كِلتا المُقلّتين^(٢) فالتّداني بين تين الفرقتين^(٣) أو دعوا فالأس إحدى الراحتين</p>	<p>أيّها السّامي لكِلتا الذّروتين والعليّ القَدْر علماً وكذا من له في الزُّهد باعٌ ويدٌ أفنتني في قهوة قد ظلمتُ من تلة هالنا مهيعه ومراعاة أمور شاهذتها وحكى شرابها أهل الطّلا أو دعوا ذا الطرس ما يرجو الغنى فأجابه رحمه الله :</p>
--	--

<p>وإمامُ العلمِ مفتي الفرقتين من رجاكم راح مملوء اليدين في نصوع اللفظ مسبوك اللّجين خلطوها بتله وبميين</p>	<p>أيّها السّامي سمو الفرقدين يا رضيّ الدّين يا بحر النّدى جاءني منكم نظام قد حكى قلت فيه إنّ ذا القهوة قد</p>
--	---

(١) وهو من خيرة المؤلفات المصنّفة في بابته ، قدّم له بمقدمة ضافية نافعة تكلم فيها عن أمر الأحاديث الموضوعية وما قيل فيها ، وضمنها فصلاً مهماً بأسماء الرواة الوضاعين والكذابين ومن كان يسرق الأحاديث ويقلب الأخبار ، ومن اتهم بالكذب والوضع من رواة الأخبار ملخصاً من مؤلفات ابن الجوزي والذهبي وابن حجر العسقلاني ليحذرهم الباحث المشتغل بحديث رسول الله ﷺ ، ثم سرد مجموعة كبرى من الأحاديث الواهيات ، وقد طبع منذ سنوات طويلة بمصر بعناية الشيخين عبد الوهاب عبد اللطيف ، وعبد الله الصديق الغماري ، ولكنه بأمس الحاجة إلى إعادة إخراجها في طبعة محققة متقنة مفهرسة .

(٢) البيت غير مستقيم الوزن .

(٣) في (ط) : « ... الفرّذني » تحريف .

وبمطعموم حرام وغنى
وطلبت الحكم فيها بعدما
فعلى ذي الأمر إنكار الذي
فإذا لم يستطعه دون أن
والتداني من حماها وهي في
والصفا في شربها مع فئة
ثم ناجوا ربهم جنح الدجى
فابتداء الأمر فيها هكذا
ذا جوابي واعتقادي أنه

ومن شعره أيضاً : [من الكامل]:

قالوا العزيز له صفات أربع
صعب الوصول له وقلّ نظيره

ومنه : [من الكامل]:

ولربما صاد العقاب بكئيده
حتى تحقق والقضاء مساعداً

وبرقص وبصفق الرّاحتين
قد رأيتم ما ذكرتم رأي عين
شأبها حتى يُصفى دون رين^(١)
يمنع الأصل ففعل منه زين
وصفها المذكور شين أي شين
أخلصوا التقوى وشدوا المثرين
بخشوع ودُموع المُقلتين
قد حكوه عن ولي دون مئين
في اعتدال كاعتدال الكفتين

بالقهر يأخذ كل من يطأوا عليه
واشتدت الحاجات من كلّ إليه

من لو تراه لخلته مكسالا
إن العلا ما أعجزت مُختالا
صورة شيء من إجازة صاحب العباب المُزجّد للشيخ علي بن عراق بعد
أبيات تتضمن الحمد والصلاة : [من البسيط]:

وبعد فالولد العالي عليّ فتى
السّالكُ النَّاسكُ المحيي طريقة من
فالله يبقيه في خيرٍ وعافية
أراد مني إجازات ولست هنا
محمّد بن عراق العالم العَلَمِ
روى فأروى الورى من ورده الشّبم
من غير بأسٍ ولا بؤس ولا نقم
إنّي وإن كنتُ موجوداً فكالعدم

(١) الرين : الدّنس .

«أنا المعيدي فاسمع بي ولا ترني»^(١)
وقد علمت بحسن الظنّ منه بما
أجزته في علوم الشرع أجمعها
بما لها من أسانيد مطولة
هذا نهاية ما أسطيع جئت به
والحمد لله حمداً لا نفاذ له
ثم الصلاة على المختار من مضرٍ
نعم وما السّمَنُ المرّيُّ كالورمِ
دعى إليه بأمرٍ منه مُنحتِمِ
وكلّ مالي من نثرٍ ومُنْتَظِمِ
عن المشايخ أهل الفضل والهممِ
ومن يقصر وراء الجهد لم يُلمِ
على التّواصل في بدء ومُختَمِ
ما أومض البرق في مُحلولك الظلمِ

صورة صدر إجازة الشيخ أبي القاسم بن إقبال للشيخ علي بن عراق :
الحمد لله الذي جعل صدور العلماء مشكاة لمصابيح الأنوار ، وأمدّها بزيت من
الهداية والتوفيق ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضَيُّ وَلَوْ لَمْ تَمَسَّهُ نَارٌ﴾ [النور : ٣٥] وزين
ظواهرهم بالسكينة والوقار ، وبواطنهم بمعارف عوارف الأسرار .

وفي تذكرة الشيخ علي بن عراق أنّ آدمَ لما أهبط وأزال درنه وظفره وشعره
خلق الله منه النخلة فالحشب من الدرن ، والجريد من الظفر ، والليف من
الشعر .

وتاريخ وفاته لم أقف عليه ، وهذا هو الذي منعني من أن أترجم له على
حدّته رحمه الله تعالى .

● ومن أولاد الشيخ محمد بن عراق أيضاً الشيخ عبد النافع^(٢) ، وكان
عالماً فاضلاً فصيحاً بليغاً رئيساً كبيراً ، ذا أدب وظرف وملح ولطف .

وحكي أنّه سئل عن الشّوي الذي يصنعه الحضرميون المسمى عندهم

(١) هو مثل قاله المنذر بن ماء السماء لِشِقَّةِ بنِ ضَمرة ، وكان يسمع به ويعجبه ما يبلغه عنه ،
فلما رآه قال : « تسمع بالمعيدي لا أن تراه » انظر : « أمثال العرب » ص (٥٥)
و « الفاخر » ص (٦٥) و « البيان والتبيين » (١٧١ / ١) و « الشعر والشعراء »
(٦٣٧ / ٢) .

(٢) ذكره في « شذرات الذهب » (٢٧٦ / ١٠) في ترجمة والده .

المطبي : أتقول به معنى يعجبك؟ فقال : حتى أذوقه ، فلما ذاقه قال : نعم أقول به ، أقول به [قلت] : وعلى ذكر الشوي المذكور ذكرت بيتين فيه لصاحبنا الأديب الفاضل جمال الدين محمد بن عبد اللطيف مخدوم زاده وهما : [من السريع]:

إِنَّ الهَبَارِيشَ لَهَا لَذَّةٌ تَفُوقُ لَذَاتِ الشَّوِيِّ وَالْكَبَابِ
وَلَذَّةُ الْوَقْصَةِ لَا تَنْسَهَا وَهِيَ الَّتِي تُنْسِيكَ شَرْخَ الشَّبَابِ

والحضارم يسمون ما يشوى من سواد البطن ونحوه الهباريش - بالهاء والباء الموحدة وبعدها ألف وراء ثم تحتية وآخره شين معجمة . ومن عادتهم أنهم إذا جَلَسُوا على أكلة يشرع أحدهم في قطع اللحم فيدور فيه على الجماعة فيدفع إلى أحدهم قطعة ويصنع بالآخر مثل ذلك ومثله بالآخر إلى أن تعود نوبة الأول ، فيعطيه ويستمر كذلك إلى آخر أكلهم ، ويسمون ذلك الأكل على هذه الكيفية الوقصة ، ويجدون لذلك لذة عظيمة لا يعدها لذة أخرى .

وله أشعار رائقة وأخبار فائقة . ومن شعره وفيه التورية والانسجام والتوجيه : [من البسيط]:

يَا قَائِلِينَ وَقَوْلِي حِينَ أَذْكَرَهُم كَمْ هَكَذَا أَغْتَدِي فِي غُرْبَةٍ وَفِرَاقٍ
لَوْ سَارَ رَكْبٌ بِعِشَاقِ الْهَوَى رَمَلًا نَحْوَ الْحَجَازِ لَمَا ذَاقَ النَّوَى ابْنَ عِرَاقٍ
وله أيضاً : [من الكامل]:

كُلُّ لَهْ وَرَدُّ يَكُونُ وَسِيلَةً لِمَعَاشِهِ وَمَعَاذِهِ وَمَعَادِهِ
وَجَعَلْتُ وَرْدِي فِي الْخُرُوجِ عَنِ السَّوِي وَأَكُونُ مَعَ مَوْلَايَ تَحْتَ مُرَادِهِ
ومنه : [من مجزوء الرمل]:

هَذِهِ الْقَهْوَةُ هَذِهِ لَيْسَتْ الْمَنْهِيَّ عَنْهَا
كَيْفَ تَدْعَى بِحَرَامٍ وَأَنَا أَشْرَبُ مِنْهَا

ومنها : [من الوافر]:

لَشَارِبِ قَهْوَةِ الْبَنِّ التَّغَادِي فَسِرُّ شَرَابِهَا فِي الْكُونِ بَادِي

لها عرف العنابر في الأيادي ولون المسك تشرب بالزبادي
وحكي أنه كان له أخ يسمى نعمان وولد له ابن من سرية له حبشية فأنشد في ذلك : [من الوافر]:

وقد نلت البنين من السّراري وأقربهم إلى روعي وجاشي
وليّد لا يزال يقول عمّي هو النّعمان والخال النّجاشي
قلت : وعلى ذكر النعمان والنجاشي قد وقع لي تشبيه بديع جداً ، ولكن في غير هذا المعنى :

خديدٌ حبّي حكى الشّقائِق وخاله خلّته وجه واشي
رمت تشبيهاً فقال خدّه أنا النّعمان والخال النّجاشي
وكان تولى الخطابة بالمدينة الشريفة ، وتولى قضاء الأقضية باليمن .
وللعلامة الفقيه عبد الله بن عمر مخزومة فيه وهو يومئذ قاضي الأقضية بزييد لما غاب عنها إلى بندر المخافي أواخر شهر جمادى الأولى وأوائل جمادى الآخرة من سنة ست وخمسين وتسعمائة وذلك : [من الوافر]:

رأيتُ زيندَ في شَهري جُمادى بأخرة ذا وأول ذا كَيْبَه
وبذُر جمالها فيه انكِسافٌ وقد كانت محاسنها عجيبة
فقلتُ لها اخبريني أيُّ شيء كساكِ الكسفَ؟ قالت لي مجيبة
ألستَ نظرتَ في عِلْمِ الطّيعي ففي الهيئات عِلّة ذا قريه
وذلك أن نورَ الشمس يعطي الضّيف... يا للبدر وهي له حبيبة
فحين يحول ظلّ الأرض عنها عراه كسفه ولقي المصيبة
وشمسي غاب عني فاعتراني كُسوف وضاقَ أنحائي الرّحيبة
فإن شمسي تعود يعود نُوري وتصفو كلّ أحوالي الشّغيبة
فبالله اطلبوا ربّي يعيده ويحرسه من النّوب التّعيبه
ويصحبهُ بتأييدٍ ولُطفٍ فما يخشى الذي ربّي صحيبه

وله أيضاً : [من الوافر]:

سألتُ زبيدَ عمّا قد عَراها من الإِظلام في وجهٍ وخدٍّ
وقلتُ لها أما سبب لهذا؟ فقالتُ لي مُفارقة الأُندي
ولم أعثر على تاريخه أيضاً رحمه الله تعالى آمين .

* * *

سنة أربع وثلاثين بعد التسعمائة

● وفي سنة أربع وثلاثين أخذ الإمام الجواد^(١) أحمد^(٢) مدينة همر من بلاد الحبشة وضعف عن مقاومته^(٣) سلطانها ، وكان من ولد سعد الدين . ولم يزل أمر الإمام بعد يعظم حتى صار إلى ما صار إليه ، واستفتح كثيراً من بلاد الحبشة ، وقهر الكفار ، وواظب على الجهاد والغزو في سبيل الله ، ونقل عنه في ذلك ما يبهر العقول حتى سمعت بعضهم يقول : ما تشبه فتوحاته إلا بمثل فتوحات الصحابة ، وناهيك فيمن يكون بهذه المثابة . وكذلك حكى من أمر شجاعته حكايات غريبة ، قالوا : وكانت أموره جميعاً على قوانين الشريعة الغراء حتى أنه كان يخرج الخمس من الغنيمة ويصرفه إلى أقارب النبي ﷺ .

ورأى بعضُ الأخيار النبي ﷺ ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وعندهم الإمام المذكور ، قال الرائي : فقلت : يا رسول الله من هذا الرجل؟ قال : هذا رجل نشأ فصلاح به بلاد الحبشة ، وكانت هذه الرؤيا قبل أن يترقى الإمام إلى هذا المقام ، ورأى بعضهم العيدروس وهو يقول : لا تسموهُ سلطاناً ولا أميراً ، سموه إمام المسلمين .

وبالجملة : فكان هذا الرجل من آيات الله تعالى ، رحمه الله تعالى آمين .

* * *

(١) في (م) : « الجراد » .

(٢) ترجمته في « شذرات الذهب » (٢٧٩ / ١٠) .

(٣) في (ط) : « مقاومة » .

سنة خمس وثلاثين بعد التسعمائة

● وفي شهر ربيع الثاني سنة خمس وثلاثين توفي محمد بن علي بن أحمد بن سالم الجُنَاجي^(١) بجيمين الأولى مضمومة بينها نون خفيفة ، نسبة لجُنَاج^(٢) قرية بين البحراية وسنهوور من الغربية ، ثم القاهري الأزهري المكي وربما يعرف هناك بابن وحشي بمكة ، وصلي عليه عند باب الكعبة ، ودفن بالمعلاة ، وكان مولده في سنة ستين أو بعدها تقريباً .

وحفظ القرآن ، ونحو النصف الأول من مختصر الشيخ ومن « ألفية النحو » ، واشتغل عند داود الفلتاوي في الفقه والعربية ، بل وقرأ على السنهؤوري النصف من « توضيحه » وسمع عليه غير ذلك ، وقرأ على الديمي « البخاري » ، وسمع على الكمال بن أبي شريف في « مسلم » ، وعلى الشاوي في « البخاري » بحضرة الخيضري كذا ذكر السخاوي ، قال : « وحج غير مرة ، ولقيني في سنة سبع وتسعين بمكة ، فقرأ علي « الموطأ » ونحو النصف من « الشفاء » بسماع باقيه ، ولازمي في غير ذلك سماعاً وتفهماً ، ولديه استحضار ومشاركة ، واختص بالشمس الحلبي التاجر ، ثم بأبي الفتح ابن كرمون ، وسافر معه إلى اليمن فحصل ما ارتفق به وعاد بعد أشهر في سنة تسع ، واستمر مقيماً بمكة يقرئ ولد المشار إليه بعد رجوع الأب إلى القاهرة ، ومعه جارية يتقنع بها ، ولا بأس به » .

قال الشيخ جار الله بن فهد رحمه الله : أقول : « وقد رزق منها ذكران

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠ / ٢٩١-٢٩٢) .

(٢) جنّاج : قرية من أعمال الغربية في مصر ، انظر « التحفة السنية » ص (١٧٥) .

وبنت ، وانقطع بمنزله من وجع رجله ، وتقرر في عدة وظائف ، وضررَ فصار أولاده يباشرونها عنه بحيلة وإظهار فضيلة ، واستمر على ذلك حتى مات رحمه الله .

● وفيها : كانت وفاة الأمير سلمان الرومي الذي قُتِلَ في جزيرة المجاملة قريباً من بندر البقعة ، ويجمع مقتله له « قررت » وكان قاتله ابن أخته خير الدين ، ثم إن مصطفى بهرام ابن أخت الأمير سلمان الثاني استوفى وأخذ ثأر خاله بقتل خير الدين ، ثم دخل الهند مصطفى بهرام هو والخواجه صفر سلمانى فخطب مصطفى بهرام برومي خان ، وخطب صفر بخداوند خان ، وسيأتي ذكرهما وتاريخ ذلك العام قريباً .



سنة ست وثلاثين بعد التسعمائة

● وفي عصر يوم الخميس تاسع عشر المحرم سنة ست وثلاثين توفي الشهاب أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن عمر بن عبد الله بن أبي بكر الفاكهي الأصل المصري المكي الشافعي^(١) ابن أخت السراج ، وجهاز في ليلته ، وصلي عليه صبح ليلة الجمعة ، ودفن على قبر أبيه وجده في شعب الأقصى جوار الفضيل بن عياض وتربة بني الشيباني . وكان مولده في شعبان سنة ثمان وستين وثمانمائة بمكة ، ونشأ بها ، وحفظ القرآن و«أربعين النووي» و«الإرشاد» لابن المقري و«ألفية ابن مالك» وعرض على البرهان بن ظهيرة ، والمحب الطبري ، والعلمي ، وعمر بن فهد في آخرين .

قال السخاوي : سمع مني بمكة والمدينة أشياء ، بل قرأ علي بالقاهرة في «سنن أبي داود» ، وتكرر قدومه لها ، وهو حاذق فطن منور .

قال الشيخ جابر الله بن فهد رحمه الله : أقول : وبعد المؤلف استمر على حاله في التودد والحدق وكثرة دخول القاهرة ومخالطة الأكابر مع الحرص على تحصيل الوظائف ، وتزوج واحدة بعد أخرى ورزق جملة [من]^(٢) أولاد أنجبهم : عبد الله من حبشية ، وغيره من مكّية ومدنيّة . وحصل الأملاك وعمرها ، ثم ضعف في آخر عمره ، وطلع له فتق في بدنه ، وانقطع في بيته نحو جمعة بالإسهال ، ثم مات بعد وصية ، وحصل (له)^(٣) بالإسهال الشهادة ، ووقي فتنة القبر بموته يوم الجمعة وناهيك بهما من سعادة رحمه الله

(١) ترجمته في «الضوء اللامع» (٣٤/٢) و«شذرات الذهب» (٣٠٠/١٠) .

(٢) لم ترد الكلمة في (م) .

(٣) لم ترد الكلمة في (ط) .

تعالى وإيانا . وخلف عبد الله وعمر وعبد القادر وأبا السعادات . قلت : وقد
اشتهر كل من أولاده بمزيد العلم خلا عمر ، وسيأتي ذكر الثلاثة منهم عند ذكر
السنة التي توفوا فيها فليعلم .

● وفيها : توفي السيد الشريف الفقيه حسين بن أحمد بن علي با جبهان با
علوي ، وكان فقيهاً فاضلاً صاحب إتقان وتحقيق ، تفقه بجماعة من أهل
عصره وعلماء مصره كالفقيه أحمد بن علي خرد الملقب قاضي شريف ،
والعلامة الفقيه عبد الله بن محمد با قشير صاحب « القلائد » والفقيه علي بن
عبد الرحمن با حرمي ، والفقيه الزين بن الفقيه عبد الله با فضل . وكان
محفوظه « الإرشاد » للمقري في الفقه و« ألفية ابن مالك » في النحو
و« الشاطبية » في القراءات ، وقرأ « المنهاج » للنووي مراراً ، وقرأ « روض
المقري » و« الإيسعاد شرح الإرشاد » لابن أبي شريف ، وغير ذلك من كتب
المذهب . وكانت وفاته بدورة من برّ سعد الدين رحمه الله تعالى آمين .



سنة سبع وثلاثين بعد التسعمائة

● وفي سنة سبع وثلاثين سار جَدَي الشيخ عبد الله العيدروس للحجّ واستصحب معه ولده سيدي الوالد ، وكان الأروام في تلك السنة حصروا عدن ومنعوا المراكب أن تسير إليها مدة من الزمن ، فلما وصل سيدي الجد إلى الشَّحْرِ ، وسمع به الأمير مصطفى بهرام الرومي ، وكان يريد الهند فتوه في الشَّحْرِ ، جاء إليه يزوره ، فأخبره سيدي الجدُّ بأنّه يريد عدن ، فأذن له وسار إليها ، وكان يوم دخوله فيها يوماً مشهوداً ، وكان سلطانها يومئذ عامر بن داؤد آخر ملوك بني طاهر ، فقابله بالإجلال والإكرام ، وقام بواجبه أتم القيام .

* * *

سنة ثمان وثلاثين بعد التسعمائة

● وفي ليلة السبت سادس عشر شوال عام ثمان وثلاثين توفي يحيى بن علي بن أحمد بن شرف الدين الرحبي الأصل ، المكي المالكي ، ويعرف كأبيه بالمغربي^(١) ، فجُهِزَ في ليلته وصلي عليه في صباحها ، ودفن بالمعلاة عند قبر جده رحمه الله . وكان مولده في ليلة الأربعاء رابع وعشرين من شهر ربيع الأول سنة خمس وستين بمكة ، ونشأ بها ، فحفظ القرآن و « أربعين النووي » ، و « الشاطبية » ، و « الرسالة » ، و « ألفية النحو » ، وعُرِضَ في سنة تسع وسبعين على قضاء مكة الأربعة ، وعمر بن فهد ، واشتغل قليلاً ، وحضر عند الفخر بن ظهيرة وأخيه البرهان مع ذكاء وفهم ، ثم تعاطى التجارة بعد أن أثبت البرهان بن ظهيرة رشده ، وسلّمه ماله ، وسافر في التجارة لدمشق ، وتلقن في القاهرة الذكر من ابن عبد الرحيم الأنباسي .

ذكره السّخاوي في تاريخه قال : وله ترددٌ إليّ وسماع عليّ ، ولي إليه زائد الميل ، ونعم هو تواضعاً وأدباً وفهماً وذكاء وحسن عشرة بحيث صار بيته بمكة وغيرها مألفاً لأحبابه مع عدم اتساع دائرته .

قال الشيخ جار الله بن فهد رحمه الله : أقول : وعاش بعد المؤلف ، وتردد للقاهرة وأقام بها مدة ثم عاد لمكة ، واستمر على حاله في الجمع لأحبابه حتى توفي بعد طول مرض انقطع بسببه في المنزل مدة أعوام ، ولم يخلف غير ابنة واحدة ملكها جميع مخلفه وأثبت ذلك في حياته رحمه الله .

● وفيها : توفي الفقيه الصالح المقرئ إبراهيم بن علي بن الولي علوي

(١) ترجمته في « الضوء اللامع » (١٠ / ٢٣٥-٢٣٦) وفيه « المغربي » و « شذرات الذهب » (١٠ / ٣٢٣) .

خرد با علوي ، وعمره سبع وثلاثون سنة ؛ لأنه ولد سنة إحدى وتسعمائة كما قاله أخوه المعلم خرد ، تفقه بالعلامة المُرْجَد ، والعلامة الدَّيْبَع^(١) وغيرهما . وكان يحقق للقراء العشرة ورواتهم برواياتهم ، ولم يسبق إلى ذلك فيما نعلم في زماننا في قطرنا ولا قبل ولا بعد ، بل كانوا يحققون للسبعة . وكان حسن العشرة ، وجاور بمكة المشرفة ومات بها رحمه الله تعالى آمين .

● وفيها : كان وصول مصطفى بهرام إلى أرض الهند ، ووصل في صحبته بالمدفعين المشهورين المسميين ليلي والمجنون .

* * *

(١) تحرفت الكلمة في (ط) إلى (الربيع) .

سنة تسع وثلاثين بعد التسعمائة

● وفي سنة تسع وثلاثين : قَفَلَ سيدي الشيخ الجَدُّ عبد الله العيدروس من الحج إلى عدن ، وأمر ولده سيدي الشيخ الوالد بالذهاب إلى الإمام أحمد الجواد^(١) بالحبشة بسبب دين لحقه ففعل ، وحصل المقصود على أحسن الوجوه وأجملها ، ورجع إلى عند والده بعدن في مدة يسيرة جداً ، وقضى الله عنه ذلك الدَّين الذي كان استدانه في سفره إلى الحج ، ورأيت بخط سيدي الوالد أن جائزة الجواد لهم كانت ألف وخمسمائة ذهب .

* * *

(١) في (م) : (الجراد) .

سنة أربعين بعد التسعمائة

● وفي آخر ذي الحجة سنة أربعين توفي الشريف الصالح الفقيه العابد الولي شيخ ابن الولي عبد الله بن الأستاذ الأعظم الشيخ عبد الرحمن السقاف ، وكان كثير العبادة متواضعاً . تفقه على علماء عصره ، قرأ « التنبيه » على العلامة الصالح الفقيه محمد بن أحمد با فضل ، وقرأ « المنهاج » على الفقيه محمد بن عبد الله با جعفر ، وابن أخي المذكور . كان فاضلاً بليغاً ، نقل « الحاوي » و « الألفية » ، وقرأهما وحققهما على العلامة محمد بن أحمد با فضل بعدن ، ونظم على منوال القصيدة الموسومة بالوترية قصيدة أجاد فيها .

ذكره المعلم خرد في كتابه « النور المضي والدر البهي » ولم يذكر تاريخ الوفاة ، والظاهر أنه كان إذ ذاك حياً ، واسمه عبد الله بن أبي بكر ، وكان يعاني التجارة .

● وفيها : خرج سيدي الوالد من عدن إلى تريم بأمر والده وتزوج فيها ، وولد له ولد مات صغيراً ، وقرأ في تلك السنة على الفقيه عبد الله با سهل وغيره من المشايخ .

* * *

سنة إحدى وأربعين بعد التسعمائة

● وفي سنة إحدى وأربعين توفي العالم الكبير ملا عماد بن محمود الطارمي^(١) مولده بطارم^(٢) : قرية من خراسان ، نشأ بها ، واشتغل بتحصيل فنون العلوم حتى برع ، ثم جاء إلى كجرات وأقام بها إلى أن مات .

وسمعت شيخنا ملا عبد الرحمن بن حسن يقول : إنَّ والد صاحب الترجمة كان يعاني التجارة ، فاتفق أنه صنع خيمة عظيمة أنفق فيها مالاً جزيلاً ورصعها بالجواهر والالآء ، وذهب بها إلى ملك الروم فعجز عن قيمتها ، ثم أتى بها إلى كجرات وذلك في عهد السلطان محمود الكبير فلم يأخذها أيضاً ، فأراد الرجوع إلى وطنه فاتفق أن مرَّ ذات يوم - وكان يوم الجمعة - على بعض المساجد ، وكان الشيخ الكبير شاه عالم في ذلك المسجد ، فسمع الجلبة والغوغاء فقال : ما هذا ؟ فقليل له بالقصة ، فقال : اطلبوه ، فأحضر بين يديه وعرض تلك الخيمة عليه ، فاشتراها الشيخ منه على أن يؤدي إليه الثمن بعد أيام ، ورجع إلى منزله ، فقال بعض الناس له : إيش صنعت ، ابتعت من هذا الشيخ من أين يعطي هذا المبلغ الذي عجز عنه الملوك ؟ فدخل عنده هذا الكلام ، وذهب من وقته إلى الشيخ فوجده جالساً وقد نصب الخيمة وجعلها نهبة للناس ، فلما رأى التاجر ذلك هاله هذا الأمر ، وطلب من الشيخ المبلغ قبل حلول الأجل ، فقال الشيخ : لقد حرضك بعض الناس على هذا أي جنس من النقد تختاره ؟ فذكر نقداً معيناً ، فرفع الشيخ بساطاً كان تحته وأمره أن يأخذ حقه ، فوجد ذلك المبلغ بعينه من جنس ما طلب هناك من غير زيادة ولا

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠ / ٣٤٥-٣٤٦) .

(٢) ذكرها مستوفياً الكلام فيها صاحب « بلدان الخلافة الشرقية » ص (٢٦٠) .

نقصان ، فاعترف عند ذلك بقدر الشيخ ، وطلب منه أن يرزقه الله ولداً ، فأخرج الشيخ تائبولاً من فيه وأعطاه إياه وقال له : سيكون ذلك إن شاء الله تعالى ، فرجع إلى بلده وولد له هذا الولد ، واشتغل بتحصيل العلوم حتى فاق أقرانه ، وكان قد سمع من والده أحوال الشيخ وكراماته ، فسافر إلى كجرات لملاقاته فما قدر الله وصوله إليها إلا بعد وفاته ، وكان وصل في عهد السلطان مظفر بن السلطان محمود .

وكان بارعاً في كثير من العلوم ولا سيما العقليات ، قيل : إنه كان عنده منها كذا وكذا علماً ، وكانت له يد طولى في علم السيمياء وعنه في ذلك حكايات مشهورة .

وممن أخذ عنه من العلماء الأعلام مولانا وجيه الدين ، ومولانا العلامة القاضي عيسى .

● وفيها : توفيت فاطمة بنت القاضي كمال الدين محمود بن سيرين بالقاهرة ، ودفنت بالقرافة . ولدت تقريباً سنة خمس وخمسين وثمانمائة ، ونشأت فتعلمت الكتابة وما تيسر ، وتزوجت الناصر بن محمد بن الطنبغا ، فاستولدت ابنتها فاطمة وغيرها ، ثم مات عنها فتزوجها العلاء علي بن محمد بن بيبرس حفيد ابن أخت الظاهر برقوق فاستولدها بيبرس ، ولاحظ لها في ذلك ، مع براعتها في النظم وحسن فهمها وقوة جنانها حتى كانت فريدة فيما اشتملت عليه .

ذكرها السّخاوي في « تاريخه » ، وذكر كثيراً من نظمها مما امتدحته به هو وغيره من فضلاء ذلك العصر ، من ذلك أنها أرسلت إليه بأبيات تستفتيه فيها عن بعض المسائل ، فأجاب عنها نثراً ، ومن ذلك أن الشهاب المنصوري كتب للزين سالم : [من الطويل]:

أيا سيداً قد حسنَ الخالقُ اسمه وجملته واللهُ بالخلقِ عالمُ
أعنَّ يَدِ فيها أيادٍ لسائلٍ ولا تخشَ حُساداً فإنك سالمُ

فقلت هذه بديها : [من الطويل]:

أيا سيّداً عمّ الخلائق برّه وإحسانه فرض تضاعف لازمُ
أعِنْ سائلاً يأتيك والدمعُ سائلٌ ولا تخشَ من سوء فإنك سالمُ
وكان بحضرة السّراج العبادي وغيره فرجحوها عليه ، بل وافق المنصوري
على ذلك . قال : وقد حجت سنة أربع وثمانين ، ثم سنة أربع وتسعين
وجاورت في هذه بجوارنا ، ثم في سنة ثمان وتسعين مع أبيها وجاورا في السنة
التي تليها .

قال الشيخ جابر الله بن فهد رحمه الله : أقول : وبعد المؤلف عمرت نحو
أربعين سنة حتى بلغت نحو خمس وثمانين سنة ، وجاورت بمكة سنين عديدة
في حدود العشرين ، وخالطت سلطان مكة السيد بركات الحسيني وزوجته ، بل
وامتدحتهما وأنعما عليها بعدة إنعامات ، بل راسلها الشريف وغيره من
الأكابر . وجمعت نظمها في كراريس ، وقد أخذت دورها في أول دولة
الأروام وتوجهت للقاهرة بسببها ، وفقدت نظرها وقدحت عينها فلم ينتج
شيئاً ، ثم مات ولدها سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة وضعف حالها بعده
رحمها الله .

قلت : وعلى ذكر قدح العين فهنا حكاية غريبة يحسن ذكرها ، وهي : أن
الفقيه الصّالح محمد بن الحسن بن عبْدُوْنِه - بفتح العين وإسكان الباء الموحدة
وفتح الدال المهملة والواو وإسكان المثناة من تحت ثم هاء - تلميذ الشيخ أبي
إسحاق الشيرازي كُفَّ بصره في آخر عمره ، وكان متوطناً في جزيرة كمران^(١)
فقال بعض من كان يقرأ عليه : خرجت مرة من بلدي أريده في الجزيرة ،
فدخلت المهجم فوجدت به طبيباً فأخبرته بحال الفقيه وسألته أن يسير معي
فأجابني ، وخرج معي إلى المهجم ، ثم ركبنا البحر حتى أتينا الجزيرة فأتيت

(١) جزيرة كَمْران : بالتحريك : جزيرة قبالة زَبِيد باليمن سكن بها الفقيه المذكور محمد بن
الحسن بن عبدويه ، انظر « معجم البلدان » (١٣٩ / ٢) مادة (جزيرة) .

الفقيه وسلمت عليه وأخبرته بقدومي بالطبيب فقال : لا بأس . ثم لما كان آخر
اليوم الذي قدمنا فيه عليه دعا بابن ابن له فقال له : اكتب ثم أملئ عليه شعراً :
[من الوافر]:

وقالوا قد دَهَى عَيْنُكَ سُوءُ	فلو عالجتَه بالقَذَحِ زَالَا
فَقُلْتُ الرَّبُّ مُخْتَبِرِي بِهِذَا	فَإِنْ أَصْبَرَ أَنْلَ مِنْهُ مَثَالَا
وَإِنْ أَجْزَغَ حُرِمْتُ الْأَجَرَ مِنْهُ	وَكَانَ خَصِيصَتِي مِنْهُ الْوَبَالَا
وَإِنِّي صَابِرٌ رَاضٍ شَكُورٌ	وَلَسْتُ مَغْيِيراً مَا قَدْ أَنَالَا
صَنِيعٌ مَلِكُنَا حَسَنٌ جَمِيلٌ	وَلَيْسَ لَصُنْعِهِ شَيْءٌ مِثَالَا
وَرَبِّي غَيْرُ مُتَّصِفٍ بِحَيْفٍ	تَعَالَى رَبَّنَا عَنْ ذَا تَعَالَى

قال : ولما بلغ قوله « وإني صابر راض شكور » البيت رد الله تعالى عليه
بصره ، وأضاء له المسجد وعاین ابن ابنه وهو يكتب ، وتكامل بصره بفضل الله
تعالى فقال له : أعط الطبيب ما شرط له ، فقد حصل الشفاء بإذن الله تعالى
لا بمداواته .

* * *

سنة اثنتين وأربعين بعد التسعمائة

● وفي سنة اثنتين وأربعين توفي الشيخ الشريف عبد الله بن الشيخ علي بن أبي بكر ، وكان من الأولياء العارفين والعلماء العاملين ، وكان والده يقول فيه : عبد الله صوفي حقاً .

ومن كراماته : أنه كان يجلس في بعض البيوت بتريم^(١) ، وكان البيت غميراً ، فذكر له بعض الحاضرين أن البيت غميرٌ ، فقال : عاذكم تنظرون من هذه الطاقة بيت فلان ، فبعد نحو عشر سنين أخرج السلطان بدر تلك البيوت وكانت كثيرة ، ورأى البيت الذي كان أشار إليه من ذلك الموضع .

● وفيها : في ضحى يوم الخميس حادي عشر شعبان توفي الفقيه العلامة عبد الله بن الفقيه محمد بن أحمد با فضل^(٢) بعدن ، وكان تفقه بوالده وانتصب بعده للتدريس بمسجد المدرسة بعدن ، وكان فقيهاً محدثاً فاضلاً ، حسن الأخلاق ، شريف النفس ، مخالفاً للناس ، حسن السعي في حوائج المسلمين ، محبباً إلى الناس ، سليم الصدر ، ثم عمي في آخر عمره وتطب ، فردّ الله عليه بصره ، ولم يزل على الحال المرضي إلى أن توفي رحمه الله ، وهو من شيوخ والدي رحمهم الله .

● وفيها : وصل السلطان همايون إلى كجرات وهزم السلطان بهادر ، وكان مصطفى بهرام المخاطب رومي خان هو الذي أغراه على ذلك ، وحمله على المجيء إليها وكاتبه فيه ، ثم عرض له بعد ذلك ما كدر خاطره من الخوف على ولايته القديمة ، وتغلب بعض السلاطين هناك فذهب إليها ، وعاد أمر

(١) تحرّفت في (ط) إلى (بترم) .

(٢) ترجمته في « شذرات الذهب » (٣٥١ / ١٠) .

كجرات إلى السلطان بُهادر كما كان . وسبب طلب رومي خان له أنه كان استفتح للسلطان بُهادر قلعة تسمى جيتور من الكفار بعد أن تعب في ذلك لأنها كانت حصينة ، وكان السلطان وعده بها ولم يتم له بذلك .

● وفيها : قتل السلطان بدر الإفرنج في الشَّحر بعد أن عزموا على قتله فخذلهم الله تعالى ، وكان هو وإياهم في بيت يشربون ، وقد أغلقوا الأبواب عليه ، فأخبرته بعض الجوار منهم ، ولم يجد له مخرجاً إلا من بيت الماء ، فخرج منه وسلمه الله منهم ، وأصبح في ذلك اليوم هلب عليهم ، وقتلوا عن آخرهم ، وأرسل برؤوسهم إلى السلطان سليمان .

* * *

سنة ثلاث وأربعين بعد التسعمائة

● وفي شهر ذي القعدة سنة ثلاث وأربعين توفي الفقيه الصالح القاضي عفيف الدين عبد الله بن أحمد سرومي الشَّحْرِي^(١) بمكة ، وكان عزم إلى الحج في السنة المذكورة ، فما أن وصل إلى مكة توفي بها قبل الحج في شهر ذي القعدة ، ودفن بالمعلاة ، وكانت ولادته ببلده الشَّحْر ونشأ بها ، وقرأ بها القرآن ، ثم ارتحل لطلب العلم إلى زيد ، فأخذ عن إمامها الفقيه كمال الدين موسى بن الزين ، والعلامة جمال الدين محمد بن حسين القمط وغيرهما ، ثم رجع إلى بلده الشَّحْر ، وأخذ عن عالمها الفقيه الصالح عفيف الدين عبد الله بن عبد الرحمن فضل المعروف بالحاج ولازمه ، ثم سعى له رحمه الله في وظيفة القضاء بها في آخر أيام السلطان عبد الله بن جعفر ، فولاة القضاء وذلك أول سنة عشر بعد وفاة القاضي الصالح عبد الله بن عيسين^(٢) بنحو ستين ، ولم يزل متولياً بها القضاء إلى أن عزم إلى الحج ، وكان - رحمه الله تعالى - يحب الطلبة ويؤهلهم ، ويحب الإفادة والاستفادة ، وكان لطيفاً ، قريب الجانب ، سليم الباطن .

ذكره الفقيه عبد الله با مخرمة في « ذيل طبقات الإسنوي » ، وذكر أنه من جملة شيوخه قال : وأما معرفته في الفقه فلم تكن بذلك ، بل كان بعيد الذهن ، ضعيف التصرف ، بل لم أر له تصرفاً ، لكنه كان كثير الاعتناء بالروضة ، قوي الصبر على الطاعة والأوراد النبوية ، كثير التعظيم للأكابر من

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (٣٥٨/١٠) .

(٢) في (ط) : « عيسرين » وما أثبتناه في (م) .

العلماء والصالحين ، ونرجو من فضل الله أن يحشرنا وإياه في زميرتهم وينفع الجميع ببركتهم آمين .

وحكي أنه قدم الشُّخر في بعض السنين بعض السياحين من أهل الإرادة ، فقام ذات يوم إلى القاضي عبد الله وقال له : يا سيدي كيف الطريق إلى الله تعالى؟ فأطرق القاضي ساعة ثم قال : ﴿ وَمَا أُنْكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَأَنْتَهُوا ﴾ [الحشر : ٧] فخر ذلك السياح على أقدام القاضي يقبلها .

وبلغني أنه كان اعتنى بحاشيته على الروضة ، لكن خفيت في آخر أيامه وبعد وفاته ، والسبب في ذلك أن أحد أولاده دخل بها الهند حتى أنها عُدِمَت ولم تظهر ، والله أعلم .

● فائدة :

روي عن النبي ﷺ أنه قال : « من خرج من بيته قاصداً للحج ومات قبل أن يحج ، فإن الله عز وجل يوكل ملكاً ينوب عنه بالحج في كل عام إلى يوم القيامة » (١) .

قلت : وجرى مثل هذا للشيخ القطب أبي الحسن الشاذلي نفع الله به ، فإنه سافر من بلده بنية الحج فمات قبل أن يحج ، وحكي أن الشيخ في تلك السفرة قال لأصحابه : في هذا العام أحج حجة نيابة ، فمات قبل أن يحج ، فلما رجع أصحابه إلى الديار المصرية سألوا المفتي شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام وأخبروه بمقالته ، فبكى وقال لهم : الشيخ والله أخبركم أنه يموت وما عندكم به علم ، وقد أخبر به أن الملك هو الذي يحج نائباً عنه لأنه جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : « من خرج من بيته قاصداً للحج ومات قبل أن يحج

(١) لم نقف عليه بهذا اللفظ فيما بين أيدينا من المصادر الحديثية ، والظن أنه موضوع ، والله أعلم .

فإن الله عز وجل يوكل ملكاً ينوب عنه بالحج في كل عام إلى يوم القيامة » .
● وفيها : في ثالث شهر رمضان قتل السلطان بُهادر^(١) بن السلطان مُظفَّر
صاحب كجرات في بندر الديو . يجمع ذلك عدد حروف « قتل سلطاننا
بُهادر » .

* * *

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (٣٥٧/١٠) وزاد فيه « صاحب كجرات من بلاد الهند » .

سنة أربع وأربعين بعد التسعمائة

● وفي ليلة الأربعاء رابع عشر شعبان سنة أربع وأربعين توفي جَدِّي الشريف عبد الله بن شيخ ابن الشيخ^(١) عبد الله العيدروس بتريم ، ودُفِن بها ، وكان مولده سنة سبع وثمانين^(٢) وثمانمئة ، وكان من كبار الأولياء . صاحب صاحب عمه الشيخ الكبير فخر الدين أبا بكر بن عبد الله العيدروس صاحب عدن ، واختص به ، وكذا صاحب عمه الشيخ حسين وأباه الشيخ شيخ وغيرهما من الأكابر ، وأخذ عنهم ، وتخرج بهم إلى أن بلغ المرتبة التي تعقد عليها الخناصر . وكان له جاه عظيم في قطر اليمن ، وقبول كثير عند الخاص والعام خصوصاً في ثغر عدن ، ولبس منه الخرقة جماعة من أعيان مكة .

وذكر الشيخ ابن حجر الهيتمي في معجم مشايخه : أنَّ له في لبس الخرقة جملة طرق يرجع بعضها إلى العيدروس . والظاهر أن الشيخ ابن حجر لبس من المذكور بلا واسطة ، أو لبس من بعض أولئك الجماعة الذين لبسوا من يده الشريفة والله أعلم .

وكان حسن الأخلاق ، كثير الإنفاق ، شريف الأوصاف ، نقيب الأشراف ، وافر العقل ، ظاهر الفضل ، غني النفس ، قانعاً بالكفاف ، وضيء الوجه ، أخضر اللون ، طويل القامة ، كثير المناقب ، عظيم المواهب ، ليس له في زمانه نظير ، وبحر فضائله غزير . وبينما هو ذات يوم في الحرم الشريف بمكة إذ دخل رجل بصبي وهو يهرول به وألقاه بين يديه فإذا برجله مرض واعوجاج خلقي ، فمسح بيده المباركة عليها فعادت كأختها مستقيمة ليس بها

(١) في (ط) : « عبد الله بن شيخ عبد الله العيدروس » وفيه سقط ، وصوابه في (م) .

(٢) سقطت هذه الكلمة في (ط) . وهي مما يقتضيه هذا التاريخ .

شيء ببركته . وكراماته كثيرة رحمه الله تعالى .

وقد نظم صاحبنا العلامة عبد القادر ابن الشيخ الإمام العلامة محمد ابن الشيخ الإمام العلامة عبد القادر بن أحمد الحياتي كتابي « الفتوحات القدوسية » فقال لما انتهى في النظم إلى ذكر هذا السيد العظيم ، وأتى من ذلك بما يفوق الدر النظيم : [من الرجز]:

أما أبوه الشيخ عبد الله	ذو العقل والفضل وسيح الجاه
قد حاز في زمانه السيادة	والعلم والزهد مع العبادة
عليه أنوار الجمال الباهرة	تخافه الملوك والجبابرة
كريم نفس أكثر الإنفاق	مهذب وحسن الأخلاق
أوصافه كثيرة عديده	شائعة بين الورى حميده

● وفيها : في ذي القعدة توفي الفقيه الصالح الشريف عمر با شيان بن محمد بن أحمد بن أبي بكر ، وكان مولده سنة ثمانين أو إحدى وثمانين وثمانمائة ، وكان من العلماء العاملين والأولياء الصالحين .

وحكى الفقيه الصالح علي بن علي با يزيد الدوعني المقبور بالشُّخر : أنه زار السادة الأشراف آل با علوي في بعض السنين ، فاجتمع بالشريف عمر با شيان ، ومما وقع له معه من الكرامات أنه قال عند الخروج لزيارة قبر نبي الله هود عليه السلام : تجدون عند القبر رجلاً من أهل الكشف يقال له محمد بن سليمان باسنان يتكلم بكلام يزعم أنه منامات ، وهو من طريق الكشف فالزموه ، وعنده ولدان من أولاد الأشراف أحدهما عقيل بن عبد الله ، والثاني عبد الودود ، فوجدنا الأمر كما ذكر ، ووجدنا أولئك الذين سماهم بأسمائهم . قال : وقال لي : لا بد لك من عودة إلى هنا ، فعدت بعد ثلاثين سنة .

ومن تصانيفه كتاب « ترياق أسقام القلوب الواف في ذكر حكايات السادة الأشراف » .

● وفيها : في ضحى يوم الجمعة السادس والعشرين من شهر رجب توفي الشيخ الإمام الحافظ الحجة المتقن ، شيخ الإسلام ، علامة الأنام ، الجهبد الإمام ، مسند الدنيا ، أمير المؤمنين في حديث سيد المرسلين ، خاتمة المحققين ، شيخ مشايخنا المبرزين ، أبو محمد عبد الرحمن بن علي الدَّبَّيْع الشيباني العبْدري^(١) وجيه الدين الشافعي ، العالم الفاضل ملحق الأواخر بالأوائل .

قال - رحمه الله ورضي عنه - في آخر كتابه « بغية المستفيد بأخبار زبيد » : كان مولدي بمدينة زبيد المحروسة في يوم الخميس الرابع من شهر الله المحرم الحرام أول سنة ست وستين وثمانمائة بمنزل والذي منها ، وغاب والذي عن مدينة زبيد في آخر السنة التي ولدت فيها ولم تره عيني قط ، ونشأت في حجر جدي لأمي العلامة الصالح العارف بالله تعالى شرف الدين أبي المعروف إسماعيل بن محمد مبارز الشافعي رحمه الله ، وانتفعت بدعائه لي في أوقات الإجابة وغيرها ، وهو الذي حَدَبَ علي وربَّاني وأطعمني وسقاني وكساني وواساني وعلمني وأوصاني . جزاه الله عني بالإحسان ، وقابله بالرحمة والرضوان .

وكان المذكور على قدم في عبادة الله عز وجل ، محافظاً على قيام الليل ، وإحياء ما بين العشائين ، وملازمة الجماعة في الصلوات المفروضات ، تالياً لكتاب الله تعالى ، عارفاً بسنة رسول الله ﷺ .

أخذ العلم عن غير واحد من أشياخ قطره وغيرهم كالعلامة نور الدين الفخري ، والخطيب كمال الدين الضجاعي^(٢) ، والنفيس العلوي ، والشيخ

(١) ترجمته في « الكواكب السائرة » (١٥٨/٢) و « شذرات الذهب » (٣٦٢-٣٦٣)

و « البدر الطالع » (٣٣٥-٣٣٦) و « الأعلام » (٣١٨/٣) .

(٢) في (ط) : « الضجامي » .

أبي الفتح المارفي ، والمقرئ شمس الدين الجزري^(١) ، والقاضي زين الدين البرمكي^(٢) وغيرهم رحمة الله عليهم ، وصحب الشيخ الصالح شرف الدين أبا المعروف إسماعيل بن أبي بكر الجبرتي الصوفي نفع الله به ، وقرأ كتب القوم وحفظها ، وكانت له اليد الطولى في فتح مغلقها . وكان رحمه الله تعالى يؤثرني حتى على أولاده الذين لصلبه أثره الله بحبه وقربه .

ثم إنني تعلمت القرآن الكريم عند سيدي الفقيه نور الدين علي بن أبي بكر خطاب كان الله له حتى بلغت سورة يس وانتفعت به كثيراً ، وظهرت نجابتي عنده ، ثم انتقلت إلى سيدي وخالي الفقيه العلامة جمال الدين أبو النجباء محمد الطيب بن إسماعيل مبارز جزاه الله تعالى عني خيراً . فلما رأى نجابتي أمرني بنقل القرآن العظيم من أول سورة البقرة إلى آخره ، فقرأته عنده شرفاً واحداً حتى ختمته وحفظته بذلك الشرف عن ظهر القلب وأنا ابن عشر سنين والله الحمد .

ثم توفي الله والدي إلى رحمة الله تعالى ببندر الديو من بلاد الهند في أواخر سنة ست وسبعين ، ولم يحصل لي من ميراثه سوى ثمانية دنانير ذهباً . ثم أخذت بعد ختم القرآن على خالي المذكور في علم القراءات السبع ، فنقلت « الشاطبية » ، ثم قرأت القراءات عنده مفردة ومجموعة ، وتم لي ذلك بحمد الله وعونه ، ثم أخذت في علم العربية على خالي المذكور وعلى غيره ، وأخذت عليه خصوصاً في علم الحساب والجبر والمقابلة والمساحة والفرائض والفقه حتى انتفعت في كل علم منها ، ثم قرأت كتاب « الزبد » في الفقه للإمام شرف الدين البارزي على شيخنا الإمام العلامة الصالح المعمر تقي الدين مفتي المسلمين أبي حفص عمر بن محمد الفتى بن معبيد الأشعري رحمه الله قراءة بحث وتحقيق وفهم وتدقيق في سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة ، ثم حججت إلى

(١) في (ط) : « الجزوي » .

(٢) في (ط) : « مكّي » وما أثبتناه في (م) .

بيت الله الحرام في آخرها ، وأنفقت ثمانية الدنانير التي ورثتها من والدي رحمه الله في تلك الحجة ، ثم تقدمت بعد الحج إلى مدينة زبيد وقد توفي بها جدي المذكور في حال غيبيتي ، وكانت وفاته ضحى يوم الأربعاء منتصف المحرم سنة أربع وثمانين وثمانمائة عن ثمانين سنة غير أربعة أشهر رحمه الله تعالى ، وكان قدومي يوم رابع موته ، فأقمت بزبيد عند خالي المذكور في أطيب عيش وأتم سرور ، ولم أزل عنده حتى ذهبت إلى الحجة الثانية في أواخر سنة خمس وثمانين ، فرجعت إلى مدينة زبيد سالماً غانماً ، ثم من الله علي بصحبة شيخنا الإمام العلامة المحدث بقية أهل اليمن زين الدين أبي العباس أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي كان الله معه ، فأخذت عليه في علم حديث رسول الله ﷺ ، وكان هو المرشد لي إلى ذلك جزاءه الله عني أحسن الجزاء ، فقرأت عنده « صحيح البخاري » و« مسلم » و« سنن أبي داود » و« الترمذي » و« النسائي » و« موطأ الإمام مالك » و« الشفاء » للقاضي عياض و« عمل اليوم والليلة » لابن السني و« الشمائل » للترمذي و« الرسالة » للقسيري ، وجميع مؤلفاته ومصنفاته ، وما لا يحصى من الأجزاء والكتب اللطيفة ، وبه تخرجت وانتفعت ، وألفت في حياته كتابي المسمى بـ « غاية المطلوب وأعظم المنة فيما يغفر الله به الذنوب ويوجب به الجنة » ، وهو الذي تعلمت منه صنعة التأليف والتصنيف ، وارتحلت في حياته بإشارته إلى بيت الفقيه ابن عجيل لزيارة الفقهاء بني جعمان ، فأخذت في الفقه بها على شيخنا الإمام الصالح المقرئ ولي الله تعالى جمال الدين أبي أحمد الطاهر بن أحمد عمر بن جعمان فقرأت عليه « منهاج الطالبين » للنووي جميعه ، ومن « الحاوي الصغير » و« تيسيره » للبارزي و« نظمه » لابن الوردي إلى ثلث كل كتاب منها ، وأخذت في الحديث بها على شيخنا الإمام الأوحـد الصالح ذي الفنون العديدة والمآثر الحميدة برهان الدين أبي إسحاق إبراهيم بن أبي القاسم بن جعمان ، فقرأت عليه كتاب « الأذكار » للإمام النووي ، و« الشمائل » للترمذي ، و« عدة الحصن الحصين » للجزري وغير ذلك ،

وسمعت عنده بقراءة غيري مجالس من « صحيح البخاري » و « مسلم » وبعضاً من كتاب « الإرشاد » مختصر « الحاوي » للعلامة شرف الدين ابن المقري وغير ذلك ، وانتفعت بدعاء كل واحد من مشايخي المذكورين ومحبتهم لي ، رحم الله جميعهم وشكر صنعهم .

ثم حججت الحجة الثالثة في سنة ست وتسعين وثمانمائة ، وزرت بعد الحج قبر سيدنا رسول الله ﷺ في أواخر ذي الحجة منها ، ثم رجعت إلى مكة المشرفة في المحرم من سنة سبع وتسعين وثمانمائة ، فمَنَّ الله علي بقاء الشيخ الإمام حافظ العصر مسند الدنيا فريد الوقت شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن السَّخاوي المصري الشافعي فيها ، فصحبته وانتفعت به ، وأخذت عليه في علم الحديث النبوي ، وسمعت عنده كثيراً من صحيح « البخاري » و « مسلم » ، ومن كتاب « مشكاة المصابيح » للتبريزي ، وجملة من « ألفية الحديث » ، وقرأت عليه كتاب « بلوغ المرام من أدلة الأحكام » للحافظ أبي الفضل بن حجر ، وبعضاً من كتاب « سيرة ابن سيد الناس » لليعمري المسماة بـ « عيون الأثر » ، وبعضاً من كتاب « رياض الصالحين » للنووي ، و « ثلاثيات البخاري » وما لا يحصى من الأجزاء والمسلسلات . وكان يجلني ويشير إلي ويعظمني ويقدمني على سائر الطلبة ويؤثرنني ، وأحسن إلي كثيراً جزاه الله عني خيراً . ثم لما رجعت من الحج إلى وطني وألفت كتابي المسمى « كشف الكربة في شرح دعاء الإمام أبي حربة »^(١) ثم ألفت بعده كتابي هذا « بغية المستفيد في أخبار مدينة زَبيد » ، ولما وقف عليه مولانا السلطان الملك الظافر عامر بن عبد الوهاب بن داود طاهر - جدد الله سعوده ونصر جنوده - طلبني إلى مجلسه الشريف العالي المنيف واستجاده واستحسنه ، ودعاني ونبهني على إلحاق أشياء فيه كنت أغفلتها ، واستدراك فوائد شوارد لم أكن

(١) في (ط) : « أبي حوبة » وما أثبتناه في (م) . وانظر « شذرات الذهب » (١٨ / ٣٦٣) فيما أشار إليه من مؤلفاته ، وسيأتي ذكره بلفظ (حربة) بآخرة من هذه الترجمة .

ذكرتها ، ثم اختصرت منه كتابي المسمى : ب « العقد الباهر في تاريخ دولة بني طاهر » ، ذكرت فيه دولة جَدِّيه بني طاهر ووالده ومآثرهم الحميدة ودولته المباركة الميمونة السعيدة ، فلما وقف عليه مولانا السلطان أضاف علي مواهب الجود والإحسان ، وأجازني من مواهبه الهنية بجائزة ميمونة سنية ، ثم حصل هذا التاريخ تحصيلاً عظيماً ، وتقدمت به إلى مولانا السلطان وهو إذ ذاك بمحروسته المقرانة مقيماً ، وقدمت إليه فأثابني بثواب عليه ، وأفاض علي من مواهبه وكرمه ما يقصر صوب الغمام عن غزير ديمه ، ولم أزل عنده في روض أريض وجود فياض عريض ، حتى أذن لي في الرجوع إلى وطني ، وخلع علي خلة نفيسة وأكرمني ، وتصدق علي بيتاً من سلطانية بمدينة زَبِيد للسكنى ، وأعطاني قطعة نخل بوادي زَبِيد ، وصيرني لإحسانه قناً ، وتلافاني بعد الضعف وتدارك ، وجعل لي قراءة الحديث بجامع زَبِيد على المنبر المبارك ، فرجعت مسروراً إلى الوطن في نعمة وافرة وحال حسن ، شاكراً لجوده وإحسانه ، معترفاً بفضلِهِ وامتنانه ، سائلاً الله تعالى أن يجمع الخلق على طاعته ، وأن يمد في أيام دولته ، وأن يعز بمتابعته كل صبار شكور ، ويذل بمخالفته كل ختار كفور ، ويجمع له بين نصره العزيز وفتحه المبين ، ويجعل كلمة الحق باقية فيه وفي عقبه إلى يوم الدين ، آمين . [من البسيط]:

آمِينَ آمِينَ لَا أَرْضَى بِوَاحِدَةٍ حَتَّى أَضِيفَ إِلَيْهَا أَلْفَ آمِينَا
وهذا محصل خبر مبتداه إلى منتهاه رحمه الله تعالى . أخذ عنه الأكابر كالعلامة ابن زياد ، والسيد الحافظ الطاهر بن حسين الأهدل ، والشيخ أحمد بن علي المزجاجي وغيرهم . وأجاز لمن أدرك حياته أن يروي عنه فقال : [من الوافر]:

أَجَزْتُ لِمُذْرَكِي وَقَتِي وَعَضْرِي	رواية ما تجوز روايتي لَه
مِنَ الْمَقْرُوءِ وَالْمَسْمُوعِ طَرّاً	وما أَلَفْتُ مِنْ كُتُبٍ قَلِيلَةٍ
وَمَا لِي مِنْ مَجَازٍ مِنْ شِيُوخِي	مِنَ الْكُتُبِ الْقَصِيرَةِ وَالطَّوِيلَةِ
رَأَوْا اللَّهَ يَخْتَمُّ لِي بِخَيْرٍ	وَيَرْحَمُنِي بِرَحْمَتِهِ الْجَزِيلَةِ

وسمعت صاحبنا العلامة الفقيه محمد بن أحمد الجابري رحمه الله يقول : أخبرنا شيخنا السيد الطاهر بن عبد الرحمن بن الأهدل قال : أخبرنا شيخنا الضياء وجيه الدين عبد الرحمن بن علي الدَّيَّع بما لفظه قال : أخبرني شيخنا القاضي العلامة العدل الفقيه محمد بن عبد السلام الناشري كان الله معه وزاد فضله قال : أخبرني الفقيه كمال الدين محمد بن عبد الله فقيش وهو رجل ثقة صالح [قال : أخبرني الفقيه عمر بن محمد الملاح وهو ثقة صالح^(١)] قال : تزوجت امرأة شابة وأنا رجل كبير ، وكان أهلها يحبوني ويعتقدوني ، وهي كارهة بباطنها لصحبتي من حيث كبري ، وتظهر الود من أجل أهلها ، فاتفق أن امرأة دخلت عليها خفية مني ، وأنا أسمع وهي لا تشعر بي ، وكانت كلما تكلمت كلمة كتبتها في ورقة عندي ، ثم إن المرأة أرادت أن تخرج فقالت لها زوجتي : اصبري نقرأ الفاتحة كما يفعل الفقيه وأصحابه ، فقرأت هي والمرأة ، فكتبت أيضاً قراءتهما الفاتحة ، ثم ذكرت لأخوتها وقلت لهم : لا تكرهوها ، وأردت أن أفارقها فكرهوها ذلك وعتبوا عليها ، فأنكرت جميع ما صدر عنها ، فقلت لهم : قد كتبت كلامها في ورقة ، ثم جئت بالورقة لأريهم كلامها ، فلم أجد في الورقة شيئاً سوى الفاتحة . وهذا من بركات الفاتحة .

قال الحافظ [ابن] الدَّيَّع ، قال شيخنا جمال الدين : هذا ما أخبرني به الفقيه محمد فقيش ولعمري إنَّ هذا من فضلها قليل ، وقد قال ﷺ « إنها رقية »^(٢) ، وذلك حقيقة أنها رقية الظاهر والباطن .

قال الفقيه محمد بن عبد السلام : ولقد أخبرني الفقيه محمد بن عطف أيام وصل إلينا زبيد : أنَّ رجلاً رأى أنَّ القيامة قامت ، وأن منادياً ينادي : يا أهل

(١) ما بين حاصرتين لم يرد في (م) وورد في (ط) فقط .

(٢) قطعة من حديث رواه البخاري رقم (٢٢٧٦) ومسلم رقم (٢٢٠١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ .

اليمنِ قوموا ادخلوا الجنة ، فليل للمنادي : بِمَ أعطوا هذه المنزلة؟ قال :
لقراءتهم الفاتحة . وكان إخباره لي بذلك أَنَّا كُنَّا إِذَا دخلنا عليه نتحدث عنده
ساعة ، فإذا أردنا الخروج طلب منا قراءة الفاتحة ، وكذا كُلُّ من دخلَ عليه من
أهل زَبِيد يعجب من هذه القاعدة ، وذكر هذه القصة ، والحمد لله الذي ألهمنا
ذلك وتفضل علينا بفضلِه سبحانه .

ووجدت بخط شيخنا الشيخ أبي السعادات الفاكهي المكي قال : وجدت
بخط شيخنا الحافظ وجيه^(١) الدين عبد الرحمن بن علي [ابن] الدَّيَّع ما لفظه :
الحمد لله ، مصنف كتاب « مولد النبي ﷺ » المفتتح بالحمد لله الذي شرف
الأنام بصاحب المقام الأعلى هو الشيخ الإمام شهاب الدين أحمد بن علي بن
قاسم المالكي البخاري الأندلسي المرسي اللخمي الشهير بالحريري ، وهذا
المولد هو الفصل التاسع من كتابه الذي صنفه في الوعظ والرقائق ، ووقفت
على الجزء الأول منه يشتمل على خمسة وعشرين فصلاً بعد طول البحث عن
مؤلف هذا المؤلَّف ، وعدم معرفته عند أكثر العلماء ، وهذه فائدة تساوي
رحلة . انتهى ما وجدته .

قلت : وبذلك يعلم عدم صحة نسبة هذا المولد إلى ابن الجوزي ، فإنني
سمعت كثيراً من الناس ينسبونه إليه ، والله أعلم .

ومن شعره في اللغات التي نزلَ بها القرآن : [من الكامل]:

نَزَلَ الْقُرْآنُ بِلَفْظِ سَبْعِ قِبَائِلٍ وَهُمْ قَرِيشٌ مَعَ خُزَاعَةٍ وَالْيَمَنُ
وَتَمِيمٌ ثُمَّ هُذَيْلٌ وَالسَّعْدَانُ سَعْدٌ مَدْهُزِيمٌ مَعَ سَعْدِ بْنِ بَكْرِ فَاعْلَمُنْ

وله في مصنفات النووي : [من الرمل]:

أَيُّهَا السَّالِكُ نَهَجَ الْمُصْطَفَى تَابِعاً سَتَّهَ فِي كُلِّ حِينٍ
غَيْرَ كَتَبِ النَّوَوِي لَا تَغْتَمِذْ وَتَنْزَعُ فِي رِيَاضِ الصَّالِحِينَ

(١) في (ط) : « وحيد » وما أثبتناه في (م) .

وله في « الأربعين النووية » : [من الخفيف]:

أَيُّهَا الطَّالِبُونَ عِلْمَ حَدِيثٍ هَذِهِ أَرْبَعُونَ حَقًّا صَحِيحَةً
كُلُّهَا غَيْرَ سَبْعَةٍ فِحْسَانٌ فاعتمدها فإنَّها لَصَحِيحَةٌ
ومنه في « صحيح البخاري » و« مسلم » : [من الطويل]:

تَنَازَعَ قَوْمٌ فِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ لَدَيَّ وَقَالُوا أَيُّ ذَيْنِ يُقَدَّمُ
فَقُلْتُ لَقَدْ فَاقَ الْبُخَارِيُّ صَحَّةَ كَمَا فَاقَ فِي حُسْنِ الصَّنَاعَةِ مُسْلِمٌ
ومنه أيضاً فيهما : [من مجزوء الكامل]:

قَالُوا لِمُسْلِمٍ سَبَقُ قُلْتُ الْبُخَارِيُّ جَلًّا
قَالُوا تَكَرَّرَ فِيهِ قُلْتُ الْمَكَرَّرُ أَخْلَا

ومن شعره : [من الطويل]:

كَفَانِي مِنْ عَجْزِي وَفَخْرِي أَنَّنِي جُبِلْتُ عَلَى التَّوْحِيدِ وَاخْتَرْتَهُ طَبْعَا
وَأَنِّي لَمْ أَشْرِكْ بِرَبِّي غَيْرَهُ وَأَنِّي لِلرَّحْمَنِ عَبْدٌ لَهُ أُدْعَى

ومنه قوله : [من السريع]:

يَا رَبِّ كَمْ أَنْعَمْتَ مِنْ نِعْمَةٍ عَلَيَّ مَعَ عَجْزِي وَتَقْصِيرِي
إِذَا لَمْ تَقْبَلْ عَمَلِي لَمْ يَكُنْ بِنَافَعِي جَدِّي وَتَشْمِيرِي
ومنه قوله :

أَذْنَبْتُ وَالرَّحْمَنُ ذُو مَنَّةٍ بِالْعَفْوِ وَالْغَفَرَانِ لِلْمَذْنِبِينَ
أَوْقَعَنِي فِي الذَّنْبِ تَقْدِيرُهُ وَهُوَ تَعَالَى أَزْحَمَ الرَّاحِمِينَ
ومنه قوله : [من البسيط]:

أَعْضَا ابْنِ آدَمَ فِيهَا مَا بِأَوَّلِهِ كَأَنَّ وَعْدَهَا عَشْرُ هِيَ الْكَوْعُ
كَفٌ وَكَيْتٌ وَكَبْدٌ كَاهِلٌ وَكِلَا وَكَمْرَةٌ كَفَلٌ وَكَعْبٌ وَكَرْسُوعٌ

ومنه : [من السريع]:

قالتُ لي النفسُ أَمَا تَسْتَحْيِ فقلتُ توفِيقِي على خَالِقِي
قَدْ أَحْسَنَ الرَّحْمَنُ فِيمَا مَضَى لَا بَدَأَ أَنْ يَحْسَنَ فِيمَا بَقِيَ

وله وقد اشترى جارية اسمها حرير : [من الطويل]:

حريزٌ لعمري جنةٌ لي وجنةٌ بها اللهُ أغْنَانِي وَكُنْتُ فَقِيرًا
صَبِرْتُ فَسَاقَ اللهُ لِي أَحْسَنَ الْجَزَا عَلَى حُسْنِ صَبْرِي جَنَّةٌ وَحَرِيرَا

وله في الزبيب الرازقي : [من الكامل]:

يَا أَهْلَ صِنْعَا قَدْ رُزِقْتُمْ جَنَّةً أَنَهَارَهَا حَفَّتْ بُلْطَفِ الْخَالِقِ
وَرُزِقْتُمْ فِيهَا زَبِيئًا أَبْيَضًا وَبِلَا نَوَى فَتَنَعَمُوا بِالرَّازِقِ

ومنه في « مقامات الحريري » : [من الطويل]:

أحبُّ مقامات الحريري لأنها لدى مسمعي أحلى من المنِّ والسَّلوى
ولستُ بهذا القول أول قائلٍ بريثُ إلى الرَّحْمَنِ مِنْ كَذْبِ الدَّعْوَى
فقد قال قبلي ابن العجيل لَصَّخْبِهِ بغير تحاش هذه طبق الحَلْوَى
وكان إماماً لا يجازف في الذي يَفْوه به فُؤُه وحاشاه أن يَغْوَى
وما قالَ إِلَّا الْحَقَّ وَاللهُ إِنَّهَا لأحلى من الحلوى ومن وصل^(١) من أهوى

وبلغه من فضلاء عصره أنه ﷺ خضب لحيته ، فأنكر ذلك عليه وكتب بهذه

الآبيات : [من البسيط]:

واللهِ مَا وَقَّرَ الْمُخْتَارُ مِنْ مُضَرٍ مَنْ أَدْعَى أَنَّهُ لِلشَّيْبِ قَدْ خَضَبَا
لَمْ يَبْلُغِ الْخَضْبَ فِيمَا قَالَه أَنَسٌ وَهُوَ الْخَبِيرُ بِهِ مِنْ دُونِ مَنْ صَحَبَا
إِذْ كَانَ خَادِمُهُ دَهْرًا مَلَاظِمُهُ لَيْلًا وَصُبْحًا مَقِيمًا عِنْدَهُ حَقَبَا
قَالُوا لَهُ احْمَرِّ مِنْهُ الشَّعْرُ قَالَ نَعَمْ مِنْ كَثَرَةِ الطَّيِّبِ تِلْكَ الْحُمْرَةُ اكْتَسَبَا

(١) في (ط) : « من وضع .. » .

ما شاب شيئاً إلى فعل الخضاب دعا
 إذا تدهّن وارى الدهن ذاك فلم
 ومن يقل قد أرتني أم سلّمة مخ
 إذ لم يقل إنها قالت له خَضَبَ الذّ
 ومن روى صبّغه بالضّفرة اعتبروا
 لا في الشّعور وقِس ما قيل فيه على
 بل كان يدخل تحت الحصر لو حسبنا
 يرى له أثراً من رام أو طَلَبَا
 ضوباً من الشّعْر أي من طيبه انخضبا
 بيّ هذا مقال الحقّ قد وَجَبَا
 ما قال في ثوبه أو فِعله أدبا
 ما قيل إنّ رسول الله قد كَتَبَا
 وكان ثقةً صالحاً حافظاً للأخبار والأثار متواضعاً ، انتهت إليه رئاسة الرحلة
 في علم الحديث ، وقصده الطلبة من نواحي الأرض .

ومن مصنفاته « تيسير الوصول إلى جامع الأصول » مجلدين ، « مصباح
 المشكاة » ، و« شرح دعاء ابن أبي حربه » وكتاب « غاية المطلوب وأعظم
 المنّة فيما يغفر الله به الذنوب وتوجب به الجنة » ، وله كتاب « بغية المستفيد
 في أخبار مدينة زبيد » وكتاب « قرة العيون في أخبار اليمن الميمون » ، وله
 « مولد شريف نبوي » وله كتاب « المعراج » . إلى غير ذلك من المؤلفات .
 ولم يزل على الإفادة وملازمة بيته ومسجده لتدريس [الحديث]^(١) ، والعبادة
 واشتغاله بخصوصيته عما لا يعنيه إلى أن توفي رحمه الله ، واجتمع به سيدي
 الوالد بزبيد سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة ، وأخذ عنه ، رحمهم الله الجميع
 آمين .

* * *

(١) ما بين قوسين من (ط) فقط .

سنة خمس وأربعين بعد التسعمائة

● وفي ليلة الجمعة آخر يوم من شهر صفر الخير سنة خمس وأربعين توفيت أم والدي السيدة الشريفة الصالحة فضل الله بنت السيد الشريف الصالح الموجود للقرآن العظيم محمد بن حسن بن أحمد بن عمر با علوي ، وذلك بعد وفاة زوجها السيد عبد الله بنحو ستة أشهر ونصف ، وهي أم سائر أولاده خلا رقية رحمها الله تعالى .

● وفيها : في ليلة الأربعاء ثامن عشرين المحرم كانت ولادة شيخنا السيد الكبير والعلم الشهير العارف بالله تعالى عفيف الدين الشيخ عبد الله العيدروس - فسح الله في مدته - بتريم ، وتاريخ ذلك العام يجمعه « ذرهم » وكان جعل هذا التاريخ والده نفع الله به ثم نظمه فقال [من الرجز]:

« ذرهم » إشارة لك عَنِ العبارة تُفَصِّحُ بِمِلَادِكَ مَعَ البشارة
الله قال ذرهم فِي الحَرارة فِي ضَمْنِهِ التَّوْحِيدُ مَعَ الإِشَارَة
ونشأ على قدم العفاف والتقوى ، وقرأ على جماعة من علماء عصره ،
وشارك في كثير من الفنون مع عقل وجود وتواضع وحلم وحسن خلق .

وما أحسن قول شيخنا الشيخ عبد المعطي بن حسن با كثير المكي رحمه الله تعالى فيه : [من الطويل]:

هو القُطْبُ عَبْدُ اللهِ نَجْبة حَيْدَرٍ رَبِّي العِلا والمجد والأُضْلُ هَاشِمُ
تَفَرَّدَ بالمعروف والذِّين والتَّقَى وليس له فِي عَضْرِهِ مَنْ يُقَاوِمُ
له هَمَّةٌ فوق السَّمَاكِين^(١) قد عَلَتْ وَحُسْنُ اتِّضَاعِ زَيْتِنَةِ المَكَارِمُ

(١) السُّمَّاكَان : نَجْمَان نَبْرَان أحدهما السُّمَّاك الأعزل والآخر السُّمَّاك الرامح ، « اللسان (سمك) » .

فَيَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ يَا سَرَّ سَبْطِهِ
 وَرَثَتِ الْعُلَا وَالْمَجْد لَا عَنْ كَلَالَةٍ
 فَيَا قُطْبُ يَا ابْنَ الْقُطْبِ يَا أَوْحَدَ الْوَرَى
 بِصَدْرِ رَحِيبٍ وَاسِعٍ قَدْ وَسِعَتْهُمْ
 وَسَعَتِ الْوَرَى حُلُمًا وَبَشْرًا بِهِيَّةَ
 ثَنَاءٍ جَمِيلٍ عَنْكَ يُثْنِي مَعْطَرُ
 دِمَائَةٍ أَخْلَاقٍ عَظِيمَةٍ خَالِقِ
 جَمْعَتِ خِصَالًا يَا بَنَ شَيْخِ حَمِيدَةٍ
 حَيَاءٍ وَمَعْرُوفًا وَجُودًا بِشَاشَةٍ
 وَيَا بَضْعَةَ الزَّهْرَاءِ جَاهَكَ قَائِمِ
 فَا بَاؤُكَ الْأَطْهَارُ أَسَدُ ضَرَاغِمِ
 رَقِيتَ مَقَامًا لَيْسَ فِيهِ مُزَاجِمِ
 وَجُودِ حَكَاهُ الْوَابِلُ الْمُتَرَكِمْ
 وَبِذَلِكَ لِلْمَعْرُوفِ وَالْثَغْرِ بِاسِمِ
 وَوَفَرَكَ مَبْذُولٌ وَعِزُّكَ سَالِمِ
 وَخِيمِ^(١) كَرِيمِ أَصْلِهِ مُتَقَادِمِ
 بِوَاحِدَةٍ يَسْمُو الْفَتَى وَيُسَاهِمِ
 وَعِلْمًا وَحِلْمًا جَلَّ مِنْ هَوَا قَاسِمِ

وهو والله كما وصفه شيخنا وفوق ذلك ، فكم قد اجتمع في ذاته الشريفة من الأخلاق المحمودة المنيفة كالحياء والمروءة والسخاء والفتوة .

وبالجملية : فهو جواد كريم ، عالم بالكتاب والسنة عامل بهما ، قائم بما جرى عليه سلفه من الأوراد والأذكار وإكرام الوافدين وإطعام الفقراء والمساكين ، وبذل الجاه في الشفاعات للمسلمين وإصلاح ذات بينهم ، حتى إنه لو حلف الحالف أنه لم يكن أكرم منه ولا أعقل منه في زمنه لم يحنث ، إلى غير ذلك من الأحوال الباهرة والكرامات الظاهرة ومقامات الرجال وصفات الكمال . ورحم الله الشيخ عبد المعطي حيث يقول فيه من قصيدة [من الخفيف] :

يَا خَلِيلِي يَمَّا أَرْضَ نَجْدٍ وَاسْلُكَا كُلَّ فَدْفَدٍ^(٢) وَقِفَارِ
 وَأَقْصِدَا حَضْرَمَوْتَ نَحْوَ تَرِيمِ بُقْعَةَ الْخَيْرِ مَنِبْتَ الْأَخْيَارِ
 وَانْزِلَا سَاحَةَ الْمَمَجَّدِ عَبْدِ اللَّهِ هـ مَعْدَنَ الْأَسْرَارِ^(٣)

(١) الخِيمُ : الشيمة ، والطبيعة ، والخُلُق ، والسجية ، والأصل ، « اللسان » (خيم) .

(٢) الْفَدْفَدُ : الفلاة التي لا شيء فيها .

(٣) هكذا في (م) و (ط) : « معدن الأسرار » وهو مختل الوزن .

الشَّريف المنيّف غَوْث البرايا كامل الوصفِ عالي المقدارِ
 عيدروس الهدى إمام المعالي مستباح الندى منيع الجارِ
 وسع الوافدين حلمًا وجُوداً قد حكى شيخ في اقتفا الآثارِ
 خلُق كالنسيم سهلٌ وجودٌ في يديه كالوابل المذارِ
 همّة زاحمت نجوم الثريا واتضاع مزينٌ بوقارِ
 لك يا عيدروس ذكّر جميلٌ وثناء في سائر الأعصارِ
 خصّك الله بالسّماحة والبرّ وبذل المعروف للزوّارِ
 وبفضل جم وخيم كريم فطرة الله الواحد القهارِ
 لا برحتم يا آل شيخ هداة وجماكم مُستودع الأسرارِ
 منكم القطب والوليّ ومنكم كل قزم^(١) يسمو على الأقمارِ

وأمة الولية الصّالحة فاطمة بنت الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ علي بن أبي بكر . وأثنى عليه جماعة من الكبراء ، وأشار إليه غير واحد من الصلحاء . وكان والده يحبه ويعجله ويعظمه ويحترمه حتى إنني سمعته مراراً يقول : ما أحد يعرف قدري مثل ولدي^(٢) عبد الله ، وكان بعض أولاد السيد عبد الله المذكورين يقرأ عليه بعض المدائح التي قيلت في سيدي الشيخ عبد الله العيدروس ، فقال له عند ذلك : لا تشهد هذا إلا في أبيك أو كما قال . وكان بُنى المساجد والنخيل التي اتخذها والذي بحضرموت كلّها على يديه ، وكان والذي قد جعله وكيلاً مطلقاً في كل ما يتعلق به لما رأى من نجابته وكياسته ، ولم يسافر من بلده تريم إلّا مرة واحدة ، فإنه قد دخل فيها إلى الهند لزيارة والده وذلك سنة ست وستين ورجع إليها في عامه . وله من المصنفات « شجرة آل با علوي » وضعها على أسلوب بديع .

(١) القرم من الرجال : السيّد المعظم .

(٢) في (ط) : « والذي » .

ومن كراماته : أنه كان أمرني بالسفر إلى بَرْوَج^(١) والإقامة بها إلى أن يأذن الله ، وما كان في ذلك مصلحة من حيث الظاهر ، وامثلت إشارته ففتح الله علي من فضله بأشياء ما كنت أتوقعها . ومنها : أنه كان في بعض السنين كتب يأمر بالاهتمام في عمارة قبة على ضريح والده نفع الله به ، وما كان يتيسر ذلك بسبب قلة توفيق أهل الزمان ، وعدم مساعدتهم في فعل الخير . ثم وقع الشروع فيها بعد ذلك وتيسر بناؤها على أحسن ما يكون ببركته نفع الله به آمين . وكان كُفَّ بصره الشريف منذ سنوات ، ثم ردَّ الله عليه بصره ، وعُدَّ ذلك من خرقِ العادات ، وكتب إليه الشيخ العلامة شهاب الدين أحمد بن علي البسكري مهتئلاً له بهذه الأبيات : [من السريع]:

حَمْدًا لِمَا أَوْلَاكَ مَوْلَاكَ مِنْ	نِعْمَائِهِ الظَّاهِرَةِ الْخَافِيَةِ
قَدْ نَوَّرَ الْأَبْصَارَ مِنْ نُورِهِ	فَالْعَيْنُ كَالسَّمْعِ غَدَتْ وَاعِيَهُ
وَسَلَّ سَيْفًا كَانَ فِي غَمْدِهِ	عَلَى عُتَاةٍ حُسَّيدٍ طَاغِيَةٍ
يَهْنِي عَفِيفَ الدِّينِ غَوْثَ الْوَرَى	قُطِبَ الْمَلَا أَنْوَارُهُ الزَّاهِيَةِ
يَهْنَاكَ نَوْرُ الْحَقِّ هَا قَدْ أَتَى	مَنْ فَضَّلَ رَبِّ عَيْنُهُ رَاعِيَهُ
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَشُكْرًا لَهُ	عَلَى زَوَالِ الْعِلَلِ الْمَاضِيَةِ
قَدْ سَرَّنَا وَاللَّهُ مَا قَدْ أَتَى	مَنْ صَحَّةٌ تَبْقَى وَمَنْ عَافِيَةٌ
وَسَرَّ سَادَاتٍ وَأَهْلٍ وَمَنْ	قَدْ كَانَ فِي الْحَضَرِ وَفِي الْبَادِيَةِ
وَسَرَّ أَهْلَ الْجُودِ ثُمَّ التَّقَى	وَخَصَّ مَوْلَى ذَاتِهِ سَامِيَةَ
غَوْثُ الْوَرَى فَخْرُ الْعُلَا سَيِّدُ	إِلَى الْمَعَالِي نَفْسُهُ رَاقِيَهُ
عَبْدُ الْإِلَهِ الْقَادِرُ الْفَخْرُ مِنْ	يُمْنَاهُ بِالْجُودِ غَدَتْ سَارِيَهُ
ذُو غَرَّةٍ كَالْبَدْرِ فِي تَمِّهِ	تَرْتَاخُ مِنْهُ النَّدَّ وَالْغَالِيَهُ
وَالْمِسْكُ وَالْكَافُورُ وَالْعُبْرَالُ	سَرَّطَبَ إِذَا وَافَى مَعَ النَّاعِيَهُ

(١) بَرْوَج : بفتح الواو ، وجيم - ويُقال : بَرْوَص ، بالصاد المهملة : من أشهر مدن الهند البحرية وأكبرها وأطيبها . « معجم البلدان » (٤٠٤ / ١) .

كذا شهابُ الدين ذو الحال من كل المَلا منه الدّعا راجية
والعيدروسُ القطب ربّ النّدا حاوي العُلا ذو الأنفس الزاكية
قد سرّهم والله أخبركم من كلّ مكتوبٍ ومن ناحية
فدُم مدى الأيام في نعمةٍ تبقى لكم في عيشةٍ راضيةٍ
والعبدُ يرجو منكم دعوةً بأن ينال الأمن في الفانيةِ
في الدّين والدُّنيا وفي الأهل ما كانوا بذی الدُّنيا وفي الثانيةِ
وصلّ يا ربّ على المصطفى وآله ما دامتِ العالیه

(انتقل إلى رحمة الله عشية يوم الخميس ثالث عشر ذي القعدة الحرام سنة تسع عشرة بعد ألف ، وهو في صلاة سنة العصر هاوياً للسجود ، ولم يدفن إلا في مثل ذلك الوقت من يوم الجمعة لشدة ما وقع عليه من الازدحام ، وحضر الصلاة عليه خلق كثير من سائر القرى القريبة والبلدان ، ودفن في الموضع الذي اختاره لأهله وجماعته قبلي قبة العيدروس وشرقي مسجد النور ، فهو ما بينهما إلا أنّه إلى المسجد أقرب)^(١) .

* * *

(١) ما بين القوسين لم يرد في (ط) وورد في (م) فقط .

سنة ست وأربعين بعد التسعمائة

● وفي سنة ست وأربعين توفي الشيخ الكبير الولي شهاب الدين أحمد بن الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ علي بن الشيخ أبي بكر با علوي ، وكان من المشايخ المشهورين .

وحكي أنه اجتمع بحجة الإسلام الغزالي يقظة في غرفة بداره في بلدته تريم ، فاستجاز منه كتبه فأجازه ، وأذن له في إجازتها . روي ذلك عن الشيخ الولي عبد الرحمن بن عمر العمودي نفع الله به . وروى أنه زار مرة قبر جدّه السيّد أحد بن عيسى وهو متوجه إلى « بور » لأخذ شيء من النقاول^(١) منها ، فحصل له وهو جالس عند قبره المعروف الآن ذهول وغيبة ، ثم أفاق وأخبر أنه استحضر روحانيته وسأله عن قبره أهو ذلك حقيقة؟ فقال : نعم ، ثم ذكر أنه طلب - وهو في تلك الحالة - أن يحصل له من أهل بور أربعمئة نقييل من غير طلب وقال : إن حصل لنا ذلك منهم من غير طلب فذلك حق ، ثم دخل بور ، وقصد جامعها فهُرَّعَ الناسُ إليه ، وكان كل من سلم عليه منهم قال : عندي لكم من النقاول ما هو كذا وكذا ، حتّى وفّت الأربعمئة ، فأراد أن يحقق ذلك أيضاً ، فأمر من يطلب منهم غير ذلك ، فاجتهدوا في ذلك فلم يحصل ، فزالت الشبهة . ومنها أنه قدم بعض قرى حضرموت وكان قد شرع في بناء بيت له بتريم ، فطلب بعض أهل تلك القرية وقال : نريد منك حاجة ، فقال له ذلك الرجل : وأنا أريد منك حاجة ، فقال الشيخ : تتم إن شاء الله تعالى ، ثم قال : نريد الخشبة التي عندك نجعلها باباً للبيت ، وأنت ما حاجتك؟ قال أريد

(١) في (ط) : « التفاؤل » وما أثبتناه في (م) .

أن أقرأ [القرآن]^(١) بظهر الغيب . قال له : افتح فمك [فتحه]^(٢) ، فتفل فيه ثلاثاً ، فحفظ القرآن لوقته . ورأيت في مجموع مناقبه لفقيهه الولي الصالح الشهير يحيى خطيب أنه سمعه يقول : دخلت على جدّي الشيخ يوماً في حياته ولي من العمر سبع سنين ، فقال : تعالَ ، فجئت إليه ، فمدّ لسانه وقال لي : مصها ، فمصصتها ساعة طويلة ثم قال لي : يا ولدي أنت وارث سري . وفيه أيضاً من كلامه أنه نفع الله به قال : من نظر إلى المشايخ بعين العظمة^(٣) حُرِمَ بركتهم ، ومن نظرهم بعين التعظيم رُزِقَ بركتهم ولحق بهم وإن لم يعمل بعملهم . وكان مولده سنة سبع وثمانين وثمانمائة .

● وفي هذه السنة سار الشيخ أبو بكر العيدروس نفعا الله ببركاته من بلده تريم للحج وهي الحجة الأخيرة ، ولم يعد إلى تريم ، بل أقام بعدن وتوطنها إلى أن مات بها رحمه الله .

* * *

(١) لم ترد الكلمة في (م) ووردت في (ط) فقط .
(٢) لم ترد الكلمة في (م) ووردت في (ط) فقط .
(٣) في (م) : « العصاة » تحريف ، وما أثبتناه في (ط) .

سنة سبع وأربعين بعد التسعمائة

● [سادس شهر المحرم أوله]^(١) سنة سبع وأربعين توفي العلامة الطيبي ابن الفقيه الإمام العلامة عفيف الدين عبد الله بن أحمد مَخْرَمَة^(٢) بعدن ، ودفن في قبر جده لأمه القاضي العلامة محمد بن مسعود أبي شكيل بوصية ، وذلك في قبة الشيخ جوهر رحمهم الله تعالى ، وكثر الحزن والتأسف من الخاص والعام ، وكان من محاسن الدهر ، جمع الله فيه من محاسن الصفات من التواضع وحسن الخلق والبشاشة ولين الجانب وكرم النفس وصلة الإخوان والصبر والرفق ومدارة الناس وحسن التدبير والمواظبة على الطاعة .

ولد بعدن ليلة الأحد ثاني عشر شهر ربيع الثاني سنة سبعين وثمانمائة ، وأخذ عن والده ، وعن الفقيه محمد بن أحمد فضل وانتفع به كثيراً ولازمه ، وكذلك أخذ عن غيرهما كالقاضي العلامة محمد بن حسين القمط ، والقاضي العلامة أحمد بن عمر المَزَجِد ، وذلك في أيام قضائهما بعدن . وتفنن في العلوم وبرع ، وتصدر للفتوى والاشتغال ، وكان من أصح الناس ذهناً ، وأذكاهم قريحة ، وأقربهم فهماً ، ومن أحسن الفقهاء تدريساً حتى إن جماعة من الطلبة وغيرهم يذكرون أنهم لم يروا مثله في حسن التدريس وحل المشكلات في الفقه ، وصار في آخر عمره عمدة الفتوى بعدن هو ومعاصره^(٣) العلامة محمد بن عمر با قضا ، وأبو قضا المذکور كثير الاستحضار للفروع

(١) ما بين الحاصرتين من (م) فقط .

(٢) ترجمته في « شذرات الذهب » (٣٨٢/١٠ - ٣٨٣) و « الأعلام » (٩٤/٤) واسمه فيه الطيب ، وفي حاشيته عن « هدية العارفين » (٤٣٣/١) أن اسمه (طيب بن عبد الله) ويُنظر تعليق العلامة الزركلي على الترجمة فهو مفيد نافع .

(٣) تحرفت الكلمة في (م) « مصريه » .

وحسن التصرف فيها ، وليس له في غير الفروع يد .

وأما المذكور : فإنه مشارك في كثير من العلوم منها : الفقه والتفسير والحديث والنحو واللغة وغيرها ، وروي عن تلميذه العلامة شهاب الدين أحمد بن عمر الحكيم أنه كان يقول : سمعت شيخنا يعني شيخه المذكور يقول : إِنِّي أَقْرَىء فِي أَرْبَعَةِ عَشَرَ عِلْمًا ، أَوْ كَمَا قَالَ يَقْرَأُ فِي أَرْبَعَةِ عَشَرَ عِلْمًا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وولي القضاء بعدن ، وحدث به في آخر عمره وجع عطله عن الحركة ، وذلك ييس قوي في عصبه وتشنج في بدنه ، ولم يزل يتزايد به حتى منعه من الصلاة إلا بالإيماء برأسه ، ومكث كذلك نحو سنتين أو أكثر ، واستمرت به هذه العلة إلى أن مات رحمه الله تعالى .

ولابن أخيه الفقيه عبد الله بن عمر مخرمة فيه مريثة عظيمة مطلعها : [من

الكامل]:

وَأَنْهَارَ طَوْدِ الْمَجْدِ وَهُوَ صَمِيمٌ	أَنْهَذَا رُكْنُ الدِّينِ وَهُوَ قَوِيمٌ
وَتَنَائَرَتْ مِنْ أَفْقَهْنَ نُجُومٌ	وَتَغَيَّرَتْ شَمْسُ الْبِلَادِ وَأَظْلَمَتْ
دُخَانٌ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَرْكُومٌ	وَالْأَفَقُ مَنَعَكَ الظَّلَامِ كَأَنَّمَا الـ
أَشْرَاطُ هَذَا الْمَوْعِدِ الْمُخْتُومُ	هَذِهِ عَلَامَاتُ الْقِيَامَةِ هَذِهِ الـ
الطَّيِّبِ الْعَلَامَةُ الْمَرْخُومُ	هَذَا الْإِمَامُ قَضَى عَلَيْهِ نَحْبُهُ
مَحْيِي الْفُهُومِ إِذَا تَمَوْتُ فَهُومُ	شَيْخُ الْعُلُومِ وَنَاشِرُ أَعْلَامِهَا
وَلِكُلِّ عَضْرِ وَاحِدٍ مَغْلُومُ	عِلْمِ الْأَئِمَّةِ وَاحِدٌ فِي عَضْرِهِ
هِيَهَاتَ قَدْ رَمَسَتْ وَرَاءُ عُلُومُ	مَنْ لِلْعُلُومِ الزَّهْرِ بَعْدَ وَفَاتِهِ

ومنها :

مَوْلَايَ أَوْحَشْتَ الدِّيَارَ فَهَذِهِ أَطْلَالُكُمْ فِيهَا تَصِيحُ الْبُومِ

لا عَيْشَ يصفو بعدكم كلاً ولا
قد كانت الدنيا تزِينُ بذكركم
واختصّ ذا اليمن المبارك بالذي
لا سيماءَ عدنٌ فقد فخرت
والثغرُ منها كان يسمُ ضاحكاً
لهفي على تلك المحاسن إنها
وسع الأنام فكلهم أولاده
كثرت فضائله فطاب لِقائِلِ

تلك الرّسوم وإن عظمَنَ رسومُ
منها العراقُ ومُضرها والرّومُ
قد خصّه واليمنُ فيه قديمُ
فخراً على وجهِ العُلى مَزقومُ
فاليوم ينيكي واغترته هُمومُ
كالزهرِ وهو الطيّبُ المَشومُ
راضون عنه كأنه مَعْصومُ
في وُصفهِ المشورُ والمنظومُ

وله رحمه الله تعالى تصانيف حسنة منها : « شرح صحيح مسلم » غالب
استمداده فيه من « شرح الإمام النووي » ، بل هو في الحقيقة شرح النووي مع
زيادات وتحقيقات في بعض المواضع ، و « أسماء رجال مسلم » ، و « تاريخ »
مطول مرتب على الطبقات والسنين ، وابتداء التاريخ المذكور من أول
الهجرة ، وكتاب في « مشبه النسبة إلى البلدان » وهو مفيد في بابه جداً .



سنة ثمان وأربعين بعد التسعمائة

● وفي سنة ثمان وأربعين توفي أحمد بن الطيب^(١) ابن شمس الدين الطنبداوي^(٢) ، البكري الصديقي الشافعي شهاب الدين شيخ الإسلام الحبر الإمام العارف بالله القانت الأواه واضح المحجة والسنن ، بلغ غاية من العلم ما ارتقى إليها أهل ذلك الزمن . كان مع أهل عصره بمنزلة الشمس مع النجوم وتميز عليهم في معرفة المنطوق والمفهوم ، شديد التصلب في الدين والصدع بالحق لا يخاف في الله لومة لائم .

مولده بعد السبعين وثمانمائة تقريباً . تفقه بالنور السنهوي ، والقاضي أحمد المَزَجِد ، والكمال الرِّداد ، والجمال القماط ، والعلامة شيخ الإسلام محمد بن عبد السلام الناشري ، وأحمد بن الطاهر جعمان وغيرهم . وأخذ عنه خلق كثير منهم شيخ الإسلام ابن زياد ، والحافظ شهاب الدين أحمد الخزرجي ، والغريب الأكسع ، وعبد الملك بن النقيب ، وعبد الرحمن البجلي ، وصالح النماري وغيرهم . وانتهت إليه رئاسة الفتوى والتدريس بمدينة زَبِيد ، وولي التدريس في كثير من مساجدها ، وأقام بذلك أتم قيام ، وانتفع به الخاص والعام . وله « فتاوى » مشهورة عليها الاعتماد بزَبِيد ، و« شرح التنبيه » في أربع مجلدات .

قال الفقيه العلامة مفتي الوقت ، العبد الصالح شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن الناشري : كان أبو العباس - يعني المترجم له - يقول لشيخنا ابن زياد تلميذه : أنتم نفعكم أحمد المَزَجِد بلحظه ، ونحن بلحظه ولفظه . انتهى .

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠ / ٣٩٠-٣٩١) .

(٢) في (ط) : « الطنبداوي » وما أثبتناه من (م) وهو في « الشذرات » بالذال المعجمة .

وله على « العُباب » حاشية علقها على نسخته وأفردها بعض تلامذته في كراريس ، وهي موجودة مفيدة .

قال الشيخ صالح التماري : ومن عجيب ما سمعته منه أنه قال : طالعت جميع « الإيضاح شرح الحاوي » للقاضي الطيب الناشري في ليلة واحدة وهو مجلدان ضخمان ، قال : وعلقت من كل باب فائدة . وهذا خرق عادة . وقال الخولاني : سمعته يقول : كانت الفوائد التي كتبتها تلك الليلة ثلاثة كراريس . انتهى .

وكان يقول : قراءتي « للإرشاد » سبع مرات وما صحَّ لي إلّا في المرة السابعة . مع أنه كان يحفظه .

وكان رحمه الله مفرط الذكاء ، صافي الخاطر ، نقي الذهن ، ألمعياً ، مسدداً في فتواه وبحوثه ، شديد الاعتقاد في أهل الله من المتصوفين .

حكى العلامة الحافظ جمال الدين محمد بن المعروف أفلح محدث الديار اليمنية قال : كنت أيام قراءتي عليه أخرج معه في الأسبوع يوماً نزور السبعة المشهورين المسمين بالأعلية - جُمعَ على غير قياسٍ لأنهم يريدون جمع عليٍّ - فكلما وصل إلى قبر واحد منهم قرأ ما شاء الله تعالى وأهدى ذلك إلى روح صاحب القبر ، ثم يأمرني أن آتيه بإناء من ماء فيضع من تراب القبر فيه ويشرب ، ثم يأمرني أن أفعل مثله ويقول لي : هو ترياق مجرب .

وهو ممن أفتى بحلية القهوة ، وله في حلّها وإباحتها فتاوى متعددة قال في بعضها : وأما القهوة فليس فيها إلّا روحنة^(١) يسيرة وتقوية قليلة .

قال : وقد سمعت شيخ الإسلام المجمع على تجديده للقرن التاسع زكريا الأنصاري أنه كتب إليه بعض المالكية بتحريم شرب القهوة وساعده من لا بصيرة له على ذلك ، ومنع الناس من شربها ، فانتشر الخبر إلى مصر

(١) تحرفت الكلمة في (م) « رونحة » .

والقاهرة ، فكتب المولعون بها سؤالاً إليه ، فكان جوابه أن قال : أحضروا إلي جماعة من المتعاطين لها ، فسألهم عن عملها ، فذكروا له أنها لا عمل فيها سوى ما قدمناه من التَّقوية ، فأراد الاختبار ، فأحضر قشراً البن ثم أمر بطبخه ، ثم أمرهم بشربها ثم فاتحهم في الكلام ، فراجعهم فيه ساعة زمنية فلكية ، فلم ير منهم تغيراً ولا طرباً فاحشاً ، بل وجد منهم انبساطاً قليلاً ، فلم يؤثر ، ثم زاد فلم يؤثر ، فصنف في حلها مصنفاً قاطعاً بالحل .

قلت : لله دَرَه ! لم يقدم على التحريم بمجرد ما نقل إليه ، بل اختبرها ، فلما لم ير فيها شيئاً من أسباب التحريم أفأتى بحلّها رحمه الله . وقد أفْتِيت قديماً بحلّها واستدللت على ذلك بدليل أجمع عليه الأصحاب وهو : أنَّ الشيءَ إنّما يحرمُ تناوله وأكله وشربه ، إما لأضراره كالسّم ، أو لإسكاره كالخمر والنبذ مع نجاسته ، أو لنجاسته كالبول والغائط ، أو لتخديره وتخيله للعقل كالبنج والحشيش ونحوهما ، أو لاستقذاره كالمخاط والبزاق المنفصل من الآدمي ، فإنه يحرمُ بلعه بعد إخراجهِ من الأنف والضم ، كما يحرم تعاطيه من غيره مطلقاً ، سواء تناوله بعد انفصاله أو قبله لاستقذاره . وليس في القهوة شيءٌ من ذلك لأنّها ليست بمضرة ولا مسكرة ولا نجسة ولا مخدرة ولا مخيلة ولا مستقدرة . وهذه أسباب التحريم فانتفاء أسبابه^(١) .

قال : وقد كنت كتبت هذا الجواب قديماً وأنا باق عليه مقدر له . فإن قيل : إنّ بعض الناس يضره شرب القهوة أو الإكثار منها؟ فالجواب أن نقول : إنّها محرّمة في حقّه فقط ، لأنّ حجة الإسلام محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي حبر هذه الأمة - رضي الله عنه ونفع به وبعلمومه - قال في كتب متعددة : إنّ الشيءَ المجمعَ على حلّه كالعسل قد يحرم في حق من غلبت عليه الحرارة ، وشهد علماء الطب بأنه يضره . فكذلك القهوة من باب أولى نقول

(١) هكذا في (م) و(ط) ولعل الصواب « فانتفاء أسبابه يستلزم الحلّ » وكذلك ذكره في حاشية (ط) .

بتحريمها حيث أضرت بعض الناس لكن في حقه فقط . ثم قال : فينبغي أن يُقال في حق من تعينه القهوة على التلاوة أو مطالعة العلم : إن تعاطيها مستحب لأن للوسائل حكم المقاصد ، وإن كان يستعان بها على مباح فتعاطيها مباح .

ومن شعر صاحب الترجمة رحمه الله تعالى : [من الوافر]:

شهدتُ بأنَّ ربِّي ذو اقتدارٍ على كلِّ الأمور بغير شكٍّ
وذو لُطفٍ وذو عِلْمٍ محيطٍ تعالى الله عن كيفٍ ودزكٍ
فأسأله يلاطفني سريعاً ويفرِّجُ كزبتي ويزيلُ ضنكي

ومنه : [من الوافر]:

ألا قُلْ للحسودِ وللمُعاندِ أقلَّ عَنَّاكَ فالإحسان زائدُ
يزيدُ عداوةَ ويزيدُ ربِّي فزِدني كي يزيدَ لي العوائدُ

ومنه : [من مَخْلَع البسيط]:

بجُودك الجَمُّ ربِّ قَضدي أنزلت يا منتهى المقاصدِ
مع اعترافي بضعفِ رأيي وقُبِحَ فِعْلي الذي أكابِدُ
فَقُم بحالي بحسبِ فَضْلِ وفُكَّ عُنِّي عُرَى الشَّدائدِ
وأصلحِ الشَّانَ ربِّ جمعاً ولا تكلني إلى العوائدِ

ومنه : [من البسيط]:

يا ربِّ جد لي الذي ترضاه يا أُملي واصلح بفضلِكَ جوداً فاسدَ الخللِ
وقم بحالي في الدَّارينِ مرحمةً ولا تكلني إلى عِلْمي ولا عَملي

وأخبرني سيدي الفقيه عمر بن زيد قال : سمعت شيخنا الشيخ بدر الدين المصري يقول : اجتمعت بالعلامة الطنبداوي في زَبيد سنة ست وثلاثين وتسعمائة وأنشدني من لفظه : [من الطويل]:

ومُذْ كُنْتُ ما أهديت للحبِّ خاتماً ومِسْكَاً وكافوراً ولا بستَ عَيْنَه
ولا القلمُ المبريُّ أخشى عداوةً تكون مدى الأيام بيني وبينه

قلت : ولا أعلم لهذه الخصال أصلاً من الكتاب والسنة ، وسمعت سيدي
الوالد يقول : ليس لها تأثير . قلت : ولا بأس باجتنابها مع عدم اعتقادها .

ورأيت بخط الفقيه أحمد بن الفقيه محمد با جابر قال : وجدت بخط
العلامة أبي العباس الطنبداوي أن من قرأ الفاتحة أربعمائة وتسعين مرة قضيت
حاجته كائنة ما كانت . مجرب مجرب .

● وفيها : في ظهر يوم السبت عاشر شهر ربيع الثاني توفي أحمد بن
الشمس بن محمد بن القطب محمد بن السراج البخاري الأصل ، المكي
الحنفي^(١) بجُدَّة ، وحمل منها لمكة ، ودفن فيها ثاني يوم تاريخه على أبيه
بالمعلاة ، وخلف أولاداً رحمه الله . وكان مولده في صفر سنة ثلاث وثمانين
وثمانمائة بمكة ، واشتغل بالعلم فقرأ على السخاوي في « سنن أبي داود »
و« الشفاء » ودخل القاهرة مراراً ، وسمع الحديث فيها على جماعة منهم :
الحافظ الدِّيمي^(٢) والجلال السيوطي ، ولبس خرقة التصوف من بعض
المشايخ ، وولي المناصب الجليلة كالقضاء والإمامة والمشيشة ، وأجازه
بعضهم ، وقرأ الكتب الستة وغيرها ، واستمع^(٣) كثيراً في الذنه والحديث ،
مع قوة حافظه وحسن كتابه وناطقية .

* * *

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (٣٩١ / ١٠) .

(٢) في (ط) : « الدليمي » وصوابه في (م) و« الشذرات » (٣٩١ / ١٠) .

(٣) في (ط) : « واسمع » وما أثبتناه في (م) وكذا في « الشذرات » (وسمع) .

سنة تسع وأربعين بعد التسعمائة

● وفي صبح يوم الثلاثاء من جمادى الآخرة سنة تسع وأربعين كان مولد سيدنا ومولانا الشيخ الكبير والعلم الشهير الولي العارف بالله ، شمس الشمس شهاب الدين أحمد بن الشيخ القطب شيخ بن عبد الله بن الشيخ القطب الغوث عبد الله العيدروس أبقاه الله تعالى آمين . وتاريخ ذلك العام يجمعه (ولي الله شمس الشمس) وجعل هذا التاريخ الوالد وأنشأ في ولده قصيدة وهي :

طالعه سَعْدُ السُّعُود	الله حَمْدِي بِمَوْلُود
عَبْدُ الْإِلَهِ الْمَعْبُود	أحمد محمَّدٌ محمود
بفضلِ رَبِّهِ يُجُود	فوقَ الخلائق يسود
من كلِّ حاسِدٍ ظمَّان	يعطيه رَبُّه أمان
والمعرفة والبُرْهان	يفهمُ معاني القرآن
دائم وهو في شُهُود	بالقلبِ والتَّرجِمان
حصنت روحه بالأحد	تاريخه خطا ولد
محفوظٌ بالله الصَّمْد	وقل هو الله أحد
عناية الله الودود	ملحوظٌ من عينِ الأبد
قوله وفِعله يُحَمِّد	يا حافظ احفظ أحمد
وسرِّ طه ^(١) وأحمد	وفي العواقبِ يرشد
نفحة لطفل مولود	والعيدروس الممَجَّد

أحد أولاد الوالد من السيدة الطاهرة فاطمة بنت الشيخ عبد الرحمن بن علي

(١) في (ط) « وسوطه » تحريف .

وشقيق أخيه عبد الله كلاهما نجل ذلك السيد الكريم ، وشبل^(١) ذلك الأسد العظيم . نشأ بتريم ، ودخل الهند في سنة ثمان وستين وتسعمائة لزيارة والده ، ثم رجع إلى حضرموت معاولاً لوطنه وتجديد المعاهدة ، ودخل الهند مرة ثانية في سنة إحدى وسبعين وتسعمائة ، وبقي بها إلى الآن ، ورزق القبول العظيم مع الناس وصار لهم فيه اعتقاد ، وزُويت عنه كرامات ، وحصل له حال غيبه عن إحساسه^(٢) وقلت فيه شعراً :

أَيُّهَا الشُّهَابُ الْمُفْدَى	أَنْتَ هُوَ الْفَرْدُ الْأَوْحَدَا
أَعْطَاكَ الْمَهِمَنُ مَنَحاً	تَفَوْقَ الْمَنَحِ وَأَزِيدَا
اللَّهُ أَقَامَكَ مَقْصِداً	يَا فَوْزَ مَنْ لَكَ يَقْضِدا
تَهَنُّ بِالشُّهُودِ ذِي نَلْتِهِ	فِيَا سَعْدَ مَنْ لَكَ يَشْهَدَا
أَتَيْتَ مَرَاتِباً بَعْضُهَا	إِذَا نَالَهَا الشَّخْصُ سَوْدَا
فَبَيْنَ الْأَوْلِيَاءِ بِأَسْرِهِم	مَقَامَكَ الْأَحْمَدِ يَا أَحْمَدَا

وما أحسن قول العلامة حميد بن عبد الله السُّنْدِي فيه : [من البيط]:

اللَّهُ آتَاكَ فَضْلَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ	يَا أَحْمَدَ الْخَلْقِ هَذَا غَايَةُ الْأَمَلِ
مَوَاهِبُ لَكَ دُونَ النَّاسِ قَدْ خُبِتْ	فِي لَوْحِكَ الْمَوْدِعِ الْمَحْفُوظِ فِي الْأَزْلِ
لِللَّهِ فِي الْخَلْقِ أَسْرَارٌ تَدَقُّ وَلَا	نُكِرَ إِذَا جُمِعَ الْأَسْرَارُ فِي رَجُلٍ
فَمَنْ يَسَامِيكَ لَا يَنْفُكَ مُسْتَفْلاً	وَأَنْتَ أَنْتَ عَلَى رَغَمِ الْحَسُودِ عَلِي
وَأَنْتَ فِي الْفَضْلِ بَحْرٌ لَا انْتِهَاءَ لَهُ	وَأَنْتَ أَشْبَهَ وَقْتُ الْحَلَمِ بِالْجَبَلِ

(١) في (م) : « ونسل » وما أثبتناه من (ط) .

(٢) في (م) بجانب هذا الموضع حاشية كتبت بخط مغاير ، وهي في حاشية (ط) أيضاً وفحواها « توفي صاحب الترجمة القطب الرباني السيد أحمد العيدروس قدس الله سره يوم الجمعة سابع عشر شعبان سنة ١٠٢٤ بروج من أرض الهند ودفن في صحن بيته بها ، وأحواله باهرة وكراماته ظاهرة ، وبنيت عليه قبة عظيمة في سعة نفع الله به وبعلومه وأعاد علينا من بركاته آمين .

وَالْخَلْقُ مِنْكَ حَكَمُهُ رَوْضَةُ أَنْفٍ^(١)
ولم تكن عندك الدنيا لها خَطَرٌ
لو أن زهرتها في الكفِّ منك وقد
عطاء من لم يَضِقْ صدرًا بقلتها
وقد صفا القلبُ منه عن تكدرها
شيخ الشريف بن عبد الله والده
أطاع خالقه فالخلقُ أجمعها
وكم له من كراماتٍ قد اشتهرت
ربِّي وهَذَّبَ أقواماً وأرشدهم
وأصبحوا كلَّهم أعيان وقتهم
لله دَرَكٌ أخلاقاً عرائسها
بقيتَ بحر فيوضٍ من جواهره
ودمتَ بالعلم مشغولاً وملتهياً
ودمتَ [تجلى]^(٢) بِحِفْظٍ قد حفظتَ به
أزكى الصلاة عليه والسَّلام معاً

تفتُرُ أكمَامها في زَهْرِها الخَضِلِ
فليس إهمالك الدنيا مِنْ الخطلِ
سُئِلْتُهَا كُنتَ تعطيها ولم تَسَلِ
ولا بكثرتها تلفيه ذا جَدَلِ
لما تولاه قطب الوقتِ خيرٌ ولي
فهو العريقُ إذاً في السادة الكُملِ
في طَوْعه لم تحل عنه ولم تَزَلِ
في الشرق والغرب أيضاً شهرة المَثَلِ
فصار طَبْعهم ما فيه من ميلِ
وأنت إنسان تلك الأعين الثُّجَلِ
تجلى محاسنها في أواخر الحِللِ
تبدي تصاريف قد أضحى بهن مَلِي
عَمَّا يعانيه أهل اللّهُ من شُغْلِ
حدودَ ملّة جَدِّكَ خاتم الرّسلِ
والآل ما عَزَّ ذو شرفٍ وصار ولي

* * *

(١) في (ط) : روضة أنف . وروضة أنف : لم تزع .

(٢) لم ترد الكلمة في (م) ووردت في (ط) فقط .

سنة خمسين بعد التسعمائة

● وفي سنة خمسين توفي السيد الجليل صاحب الكرامات الخارقة والآيات الصادقة الشيخ شيخ بن إسماعيل بن إبراهيم بن الشيخ عبد الرحمن السقاف^(١) بالشَّحْرِ ، وكان من المشايخ الكبار رحمه الله .

وحُكي عنه أنه قيل له : ها هنا رجل تحصل له حالة عظيمة عند السَّماع ، فقال : ليس الرّجل الذي يحتاج إلى محرك يحركه إنّما الرّجل هو الذي لا يغيب عن الشّهود حتى في حالة الجماع فضلاً عن غيره . فيحتمل أنه أشار بذلك إلى نفسه نفع الله به . وكان يعظم الشيخ أبا بكر العيدروس .

وبلغني أن له ديوان شعر ، ومن نظمه في القهوة :

ذي قهوة ما مثلها قهوة	سَلْ فيها بالسّين من ياسين
أبو الفقراء بالله تجبرني	تقرأ لي ثلثاً من ياسين
وإن زدت أربعاً فذا قُضدي	عدّ أركان البيت بالتّمكين
في الحضرة دائم فتقرأها	والقهوة تكون في التّسكين
إن دامت [و] هذا بها سدنا	زاد النّور في البَصْرِ والعَيْن
والفقراء مائة مائة جمعاً	بصلاة على البها في العَيْن
الشّافع المُصطفى النّافع	يا غوثي من كلّ همٍّ ^(٢) أو دين

● وفيها : توفي الشريف الصالح الولي حسين بن أحمد با علوي صاحب «قسم» بها ، وكان من الأولياء الكبار أهل المقامات والأنوار .

ومن كراماته ما حكاه أخي السيّد عبد الله قال : أرسلني والدي إليه ، فجئنا

(١) ترجمته في «شذرات الذهب» (١٠/٤٠٣) .

(٢) في (ط) «... كلّ كرب...» .

ولم نجده ، فنادت بعض نسائه وهي عندنا بصوت خفي كثير وقالت : حسين حسين ثلاث مرات ، فحسب أن يجيء الجائي من المسجد إلى البيت إلا وهو يدق الباب ويقول : أنتم طلبتمونا؟ قالوا : نعم ، وأخبروه الخبر .

● وفيها : توفي الصالح الشريف عبد الرحمن بن^(١) زين با فقيه با علوي ، وكان من الأولياء الكبار^(٢) ، وذكروا عنه كرامات رحمه الله .

● وفيها : في النصف الأخير من ليلة السبت ثاني عشر صفر توفي الشيخ الإمام والحبر الهمام وليّ الله تعالى ، العلامة محمد بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد ، أبو عبد الله الرُّعيني^(٣) الأندلسي الأصل ، الطرابلسي المولد المالكي ، نزيل مكة ، ويعرف هناك كسلفه بالخطاب^(٤) ، ويتميز عن شقيق له أكبر منه اسمه محمد أيضاً بالرُّعيني وذلك بالخطاب ، وإن اشتركا في ذلك لكن للتمييز ، ويعرف في مكة بالطرابلسي .

وُلِدَ وقت صلاة الجمعة من العشر الأخير من صفر سنة إحدى وستين وثمانمائة بطرابلس ، ونشأ بها ، فحفظ القرآن و« الرائية » و« الجزرية » في الرسم والضبط ، ثم « الرسالة » ، وتفقه فيها يسيراً على محمد القابسي وربما يُحذف ألفه ، وعلى أخيه في « المختصر » ، ثم تحول مع أبويه وأخيه وجماعتهم إلى مكة سنة سبع وسبعين فحجوا ورجعوا . وقد توفي بعضهم ، فأقاموا بها سنين ، ومات كلٌّ من أبويه في أسبوع واحد في ذي الحجة سنة إحدى وثمانين بالطّاعون ، واستمر هو وأخوه بها إلى أن عادا لمكة في موسم سنة أربع وثمانين فحجا ، ثم جاورا بالمدينة النبوية في السّنة التي تليها ، وعاد الأخ بعد حجه منها إلى بلاده وهو إلى المدينة ، وقرأ بها على الشمس العوفي في العربية ، وكذا حضر عند السراج معمر في الفقه وغيره ، وعاد لمكة ،

(١) لم ترد الكلمة في (ط) وردت في (م) فقط .

(٢) لم ترد الكلمة في (ط) ووردت في (م) فقط .

(٣) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠ / ٤٠٨ - ٤٠٩) .

(٤) في (ط) : « الخطاب » بالخاء المعجمة . وما أثبتناه في (م) و« الشذرات » .

فلازم الشيخ موسى الحاجبي ، وقرأ فيها القراءات على موسى المراكشي ، وصاهر ابن خرم^(١) في سنة إحدى وتسعين على ابتته ، بل أخذ عن الشهاب بن حاتم مع كونه أفضل منه ، وكثر انتماؤه بعبد المعطي ، وسمع من الحافظ السخاوي ، وجلس للإقراء في الفقه والعربية وغيرها ، وولي مشيخة رباط المؤلف ، وباشر في عمارة وقف الطرحا . كل ذلك مع الفاقة والعفة ونعم الرجل .

قال الشيخ جار الله بن فهد : أقول : وقد فتح عليه في آخر عمره وصار من المعتقدين في العلم والدين ، وظهر له ثلاثة من الأولاد وهم : الجمال محمد ، وزيني بركات ، والشهاب أحمد ، وزوجهم في حياته ورأى أولادهم مع نجابتهم ، وصار أكثرهم من المفتين والمدرسين بحرم الله الأمين . وقدمه والده في جميع جهاته لعجزه عن الحركة لكونه بلغ من العمر تسعين سنة إلا عاماً ، وانقطع بمنزله عدة سنين وهو يدرس فيه ، ورُتّب له مرتب في الجوالي ، واعتقده الناس في الآفاق ، وقصد بالفتوحات والودائع ، وناله الضرر من الدولة بسببها وهو متقنع متعفف مجتهد في عمارة الأوقاف التي تحت نظره ، وكذلك ولده الأكبر من حياته ، وتحمل لذلك كثيراً من الديون ، وقاسى شدة في مرضه حتى قضى نحبه رحمه الله .

* * *

(١) في (ط) « حزم » .

سنة إحدى وخمسين بعد التسعمائة

● وفي سنة إحدى وخمسين توفي الولي الصالح الشيخ شهاب الدين أحمد بن علي الحلبي تلميذ الشيخ أبو بكر العيدروس بأحمد آباد ، وكان قد تحكم للشيخ العيدروس المذكور ، وأخذ عنه وتخرج به ، واختص بنظره ، ومكث في ملازمته نحواً من عشرين سنة ، ثم أمره بالدخول إلى الهند والإقامة بها فدخلها ، وأخذ عنه جماعة كثيرون ، وانتفع به خلائق لا تحصى ، وكان قبل دخوله في هذا الطريق من أعيان التجار ، فآثر زِيَّ الفقر ، وترك ما كان عليه من أسباب التجارة ، وكان حسن الخط .

وحكي أنه كان بمكة وكان يعاني تعلم الخط ، فلقه رجل بالمسعى وقال له : اذهب فقد أعطيناك الخط والحظ ، قال : فلما لقيت الشيخ أبا بكر وتلمذت له قال لي : أتذكر ما قال لك ذلك الشخص ، وتدرى من هو وما عناه بذلك ؟ ثم قال الشيخ : هو الشيخ أبو العباس الخضر ، وما أشار إليه من الحظ فهو نحن ، نفع الله بهم .

● وفيها : في يوم السبت ثامن شهر ربيع الأول توفي الفقيه العلامة الفروعى جمال الدين محمد بن عمر با قضا^(١)م أبو مخرمة ، يجتمع مع الفقيه العلامة عبد الله بن أحمد مخرمة في الأب السادس .

ولد ببلده الهجرين^(٢) ونشأ بها ، ثم ارتحل إلى عدن لطلب العلم ، وأخذ

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (٤١٨-٤١٧/١٠) .

(٢) الهجران : مدينتان متقابلتان في رأس جبل حصين تطلع إليه في منعة من كل جانب . والهجر - بلغة أهل اليمن : القرية . « معجم البلدان » (٣٩٢/٥) وقد ذكرها المقحفي في « معجم المدن والقبائل اليمنية » قال : « بلدة عامرة بحضرموت ، تقع بين صقع (الكسر) ووادي (دوغن) ص (٤٤٥) » .

عن إماميها الفقيه عبد الله بن أحمد مخرمة ، والفقيه محمد بن أحمد فضل ، ثم ارتحل إلى زَبيد وأخذ عن علمائها ، ثم رجع إلى عدن ولازم الإمام عبد الله بن أحمد مخرمة ، وولده العلامة شهاب الدين أحمد ، وانتفع بهما وتخرج عليهما . ولما أن وصل العلامة محمد بن حسين القمط قاضياً على عدن ثم بعده العلامة أحمد بن عمر المَرْجَد قاضياً أيضاً لازم كلاهما ، ولم يزل مجتهداً حتى فاق أقرانه في الفقه ، وصار في عدن بعد موت الإمامين عبد الله بن أحمد مخرمة ومحمد بن أحمد فضل هو الإمام في الفقه المشار إليه ، والعالم المعول عليه ، واحتاج الناس إلى علمه وقصدوه بالفتاوى من النواحي البعيدة ، لكنه قد كان يتساهل في الفتاوى ويترك المراجعة لا سيما في أواخر عمره ، فاختلفت أجوبته وتناقضت فتاويه ، وكان ذلك مما عيب عليه . ثم كان السلطان عامر بن داود - وهو آخر ملوك بني طاهر بعدن - استماله في آخر عمره وأحسن إليه لأغراض فاسدة عزم عليها ، وكان إذا عزم على أمر فاسد يتعلق بالشرع أرسل إليه من يشاوره في كتب سؤال في القضية على أنه يجيب عليها فيجيبهم إلى ذلك ، ويكتب على سؤالاتهم أجوبة توافق أغراضهم ، فيتوصلون بها إلى مفاسد لا تنحصر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . وحكي أن الناس تركوا فتاويه رأساً .

● وفيها : مات شير شاه البتان^(١) يجمع ذلك عدد حروف « شيرمات » .

* * *

(١) في (م) : (التبان) بتقديم التاء على الباء .

سنة اثنتين وخمسين بعد التسعمائة

● وفي شهر جمادى الآخر سنة اثنتين وخمسين : توفي الشيخ الإمام والجبر الهمام العلامة أبو السعود [بن] محمد بن مصطفى بن عماد الإسكيلي^(١) نسبة إلى إسكليب^(٢) قصبة في أماسية^(٣) الرومي المشهور ، قاضي السلطان سليمان سلطان الروم ، صاحب التفسير . قال الانقشاري في تاريخ وفاته :

أَمْسَى بِجَوَارِ رَبِّهِ ذِي الْحِلْمِ مفتي الإسلام بل سمي الاسم
وَالْعِلْمُ بِكِي مَذْقِيلَ فِي تَارِيخِهِ قد مات أبو السعود مَوْلَى الْعِلْمِ
وُلِدَ فِي إِسْكَلِيبِ تَاسِعَ عَشَرَ صَفَرَ سَنَةِ سِتٍّ وَتَسْعِينَ وَثَمَانِمِائَةٍ ، وَوَالِدَتُهُ
بَنْتُ أَخِي الْعَلَامَةِ مَوْلَانَا عَلَاءُ الدِّينِ عَلِيِّ الْقَوْشَجِيِّ ، وَكَانَ وَالِدُهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ
وَالصَّلَاحِ كَذَا قِيلَ ، وَتَرَبَّى صَاحِبَ التَّرْجُمَةِ فِي حَجَرِ وَالِدِهِ الْمَرْحُومِ مَرْتَضِعاً
ثَدِي الْكِمَالَاتِ فِي مَهْدِ الْعُلُومِ فَحَفَظَهُ وَالِدُهُ كِتَاباً مِنْهَا : « الْمِفْتَاح » لِلْسَّكَاكِيِّ ،
فَامْتَازَ فِي صَغَرِهِ بِفَصَاحَةِ الْعَرَبِ الْعَرَبَاءِ ، وَاشْتَغَلَ بِفَنُونِ الْآدَابِ وَدَخَلَ إِلَى
الْفَضَائِلِ مِنْ كُلِّ بَابٍ ، وَأَخَذَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ عُلَمَاءِ عَصَرِهِ ، وَانْتَهَتْ إِلَيْهِ رِئَاسَةُ
الْفَتْيَا وَالتَّدْرِيسِ ، وَلَمَّا جَمَعَ السُّلْطَانُ سُلَيْمَانُ رَحِمَهُ اللَّهُ الْعُلَمَاءَ بِمَجْلِسِهِ
وَأَمْرَهُمْ بِالْمُنَازَظَةِ رَجَحَ الْمَشَارَإِلِيهِ فِي بَحْثِهِ وَتَبَيَّنَ فَضْلُهُ وَاسْتَحَقَّ التَّقْدِيمَ وَكَانَ

(١) ترجمته ومصادرها في «شذرات الذهب» (١٠/٥٨٤) وما بين الحاصرتين مستدرک منه ، والصواب أنه مات سنة (٩٨٢) هـ .

(٢) (م) : «سكليب» بإسقاط الألف من أولها ، وما أثبتناه من (ط) .

(٣) أماسية : إحدى مدن جبال الأناضول بآسيا الصغرى ، قال القرمانى : (مدينة كبيرة بسور وقلعة شاهقة عاصية ، وهي خرشنة المشهورة . .) « أخبار الدول وآثار الأول » (٣/٣٠٦) وانظر : « تاريخ الدولة العلية » ص (١٤٨-١٩١) .

أهله ، وكان قبل ذلك قد ولي التدريس في مواضع متعددة ، ثم ولي قضاء بروسا^(١) ، ثم ولي قضاء اسطنبول^(٢) .

قال الشيخ قطب الدين المفتي : واجتمعت به في الرحلة الأولى وهو قاضي اسطنبول سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة ، فرأيتَه فصيحاً وفي الفن رجيحاً ، فعجبت لتلك العربية ممن لم يسلك ديار العرب ولا محالة أنها منحُ الربِّ ، ثم ولي في سنة أربع وأربعين قضاء العسكر ، وصار يخاطب السلطان في الأمر والنهي ، ثم في سنة إحدى وخمسين ولي منصب الإفتاء ، وكان سلوكه لا عوج فيها ولا أمتا ، وسمعتَه يقول : جلست يوماً بعد صلاة الصبح أكتب على الأسئلة المجتمعة ، فكتبت إلى صلاة العصر على ألف وأربعمائة واثني عشر فتياً .

وكان له في الألسنة الثلاثة شعر بديع ، ومن قصائده التي سارت بها الركبان قصيدة ميمية غريبة الشأن وهي طويلة ومطلعها هذه الأبيات : [من الطويل]

أبْغَدُ سُلَيْمَى مَطْلَبٌ وَمَرَامٌ	وغيرُ هَواها لوعةٌ وغَرامٌ
وفوقِ حِمَاهَا ملجأٌ ومثابةٌ	ودونِ ذراها موقفٌ ومقامٌ
وهيهاتَ أنْ يُثْنَى إلى ^(٣) غيرِ بابها	عِنانُ المَطايا أو يُشَدَّ حِزامٌ
هي الغايةُ القُصوى وإن فات نيلُها	فكلُّ من الدُّنيا عليَّ حَرامٌ
شدا ^(٤) النفسَ عنها واطمأن لبابها	سَلَوَ رضيعٍ قد عَراه فِطامٌ

(١) بروسا : مدينة عظيمة ببلاد الروم ، ذكر القرماني أنها عُمُورية ، وهي التي فتحها المعتمد ، قال : (وهي أحسن بلاد الروم قاطبة ، ذات بساتين وأشجار وأنهار . . . كانت قاعدة ملك بني عثمان) « أخبار الدول وآثار الأول » (٤٥ / ٣) .

(٢) إسطنبول : مدينة كبرى عرفت بـ (القسطنطينية) وبـ (الآستانة) سابقاً ، وكانت عاصمة الدولة العثمانية ، وتكتب بالسين والصاد (إستانبول) و (إصطنبول) « معجم البلدان » (٢١٢ / ١) و (٢٤٧ / ٤) .

(٣) في (ط) : « .. أن يُثْنَى غير . . . » وبه يُكسر الوزن ، وصوابه في (م) .

(٤) في (ط) : « سلوا » .

وصب سقاء الرشد سلوان رشده
صحا عن سلاف الغي بعد انهماكه
محوث نقوش الجاه من لوح خاطري
فأضحى كأن لم تجر فيه قلام
ومنها :

وقد أخلق الأيام خلعة حُسْنها
على حين شيب قد ألم بمفرقي
فلله در الهم حيث أمدني
فسبحان رب العرش ليس لملكه
فألمهم ضحت وديبا جُ البها رمام^(١)
وغادرها الشعر وهو ثغام^(٢)
بطول حياتي في الهموم سمام
تناء وحد مبدأ وختام

قال : ولم يزل في عزة إلى أن مات رحمه الله تعالى ، وأتى نعيه إلى
الحرم ، فنودي بالصلاة عليه من أعلى زمزم ، وصلي عليه صلاة الغائب ،
ورثاه جماعة من أهل مكة منهم : الإمام الشيخ رضي الدين محمد بن أحمد
القازاني الشافعي بقصيدة ذكرها القطب الحنفي ، وإنما لم نأت بها هنا طلباً
للاختصار .

* * *

(١) كذا رواية الشطر الثاني في (م) و (ط) وهو غير مستقيم الوزن ، ومعناه غير واضح تماماً .
(٢) كذا رواية الشطر الثاني في (م) و (ط) وهو غير مستقيم الوزن . والثغام : نبت إذا يبس
ابيضاً ايضاً شديداً فشب الشيب به .

سنة ثلاث وخمسين بعد التسعمائة

● وفي سنة ثلاث وخمسين بعد التسعمائة توفي السيد الجليل عبد الله بن علوي بن الشيخ عبد الله العيدروس (زوج السيدة الولية مزنة بنت الشيخ أبي بكر العيدروس)^(١) صاحب عدن بتريم ، وقُبر في قبر أبيه ، وهو والد السيد الولي وحيد عصره وفريد دهره شمس الشموس عمر بن عبد الله العيدروس الآتي ذكر بعض محاسنه البهية وطرف من أوصافه الرضية .

● وفيها : لست ليال بقين من شهر ربيع الثاني قُتل الأمير الكبير الخواجة صفر سلماني الرومي المخاطب بخداوندخان ، ويجمع تاريخ موته « نبأ مقتل صفر » . وكان مشهوراً بالشجاعة والرأي وفعل الخير والإحسان رحمه الله تعالى .

* * *

(١) ١٠ بين القوسين سقط من (ط) .

سنة أربع وخمسين بعد التسعمائة

● وفي سحر ليلة الثلاثاء خامس عشر جمادى الثاني عام أربع وخمسين توفي الشيخ جار الله بن عبد العزيز بن عمر بن محمد بن محمد بن فهد الهاشمي^(١) المكي ، ويعرف كسلفه بابن فهد ، وسنه أربع وستون سنة ، وخلف أولاداً . وكان مولده في ليلة السبت لعشرين من شهر رجب سنة إحدى وتسعين وثمانمائة بمكة ، ونشأ بها في كنف أبويه ، فحفظ القرآن ، وكتباً كـ « أربعين النووي » « ومنهاجه » ، وسمع من السَّخَاوي والمحَبِّ الطَّبري ، وأجاز له جماعة كعبد الغني بن البساطي ، وغيره ، ولازم والده في القراءة والسماع ، وتوجه معه للمدينة وجاور بها سنة تسع وتسعمائة ، وسمع بها من لفظ والده تجاهه^(٢) الحجرة الشريفة الكتب الستة ، و« الشفاء » لعياض ، وغيره ، وعلى السيد السمهودي بعضها وتاريخه « الوفاء » وفتاواه . وألبسه خرقة التصوف ، وقرأ على أبيه فيها « العمدة » و« الشمائل » وغيرهما .

ولما عاد لمكة أكثر عليه من قراءة الكتب الكبار والأجزاء الصغار وانتفع بإرشاده ، وخرج الأسانيد والمشيخات لجماعة من مشايخه وغيرهم ، واستوفى ما عند مشايخ بلده من السماع ، ورحل إلى مصر والشام وحلب وبيت المقدس واليمن وأخذ بها وفي غيرها من البلدان نحو السبعين على جماعة من المسندين ، وأجازه خلق كثيرون جمعهم في مجمع حافل ، واشتغل في فنون ، وأخذ الفقه والنحو والأصلين عن الشيخ عبد الله بكثير ،

(١) ترجمته في « الضوء اللامع » (٥٢/٣) و« دُرِّ الحَبِّ » (١/١) ٤٣٤-٤٣٦) و« الكواكب السائرة » (١٣١/٢) و« شذرات الذهب » (١٠/٤٣٢-٤٣٣) و« معجم المؤلفين » (١٠٧/٣) و« الأعلام » (٢٠٩/٦) .

(٢) في (ط) : (تجار) تحريف ، وما أثبتناه في (م) .

وقرأ عليه « المنهاج » للنووي وغالب شرحه للمحلي ، و « ألفية ابن مالك » وغيرها ، وبعض شرح الورقات ، وقسم « المنهاج » على الشيخ شهاب الدين اليسري مرتين ، وعلى الشيخ عبد الحق السنباطي مرة ولازمه في قراءة كتب الحديث ، وخرج له مشيخة اغتبط بها ، وكذا الخطيب محب الدين التويري وغيرهما من الأكابر ، ودخل الروم عوداً على بدء ، وتزوج ورزق الأولاد ، وحديث بالحرمين الشريفين وغيرهما .

* * *

سنة خمس وخمسين بعد التسعمائة

● وفي سنة خمس وخمسين : وصل من مكة المشرفة الخان الأعظم آصفخان الكجراتي إلى كجرات ، وأقام بها في منصب الوزارة إلى أن قُتِل مع مخدمه السلطان محمود في الليلة التي قُتِل فيها ، وهي ليلة ثالث عشر شهر ربيع الأول سنة إحدى وستين وتسعمائة رحمه الله ، وكان الوزير آصفخان رجلاً صالحاً جواداً ممدوحاً شريف النفس عالي الهمة ذا تهجد وأوراد . وكانت ولادته في ليلة الخميس ثاني عشر شهر ربيع الأول سنة سبع أو تسع وتسعمائة ، واشتغل بالعلم حتى مهر في كثير من الفنون ، وزر للسلطان بهادر شاه ، ولما جاء السلطان همايون خشي السلطان بهادر على حريمه ونفائس خزائنه ، فأمر المذكور على الحريم والخزائن وأرسله بها إلى مكة المشرفة ، فمكث بها أكثر من عشر سنين مشغلاً بالعبادات وأنواع الطاعات ، حتى حُكي أنه أقام بمكة تلك المدة لا يعرف أنه ترك الجماعة فيها مع الإمام بالمسجد الحرام في فرض واحد من غير مرض ونحوه ، وكان محباً لأهل العلم محسناً إليهم مؤلفاً لأهل الفضل مشفقاً عليهم ، حتى نفق العلم في زمنه بمكة نفاقاً عظيماً واجتهد أهله فيه اجتهداً بالغاً ، وثاب الطلبة وعكفوا باهرأ عليه ، وبحثوا عن الدقائق لينفقوها في حضرته ، وتحفظوا الإشكالات ليتقربوا بها إلى خواطره ، كل ذلك لإسباغه على المنتسبين إلى العلم من صنوف الإحسان وواسع الامتنان وهوامع الأنعام وواسع الإكرام ما لم يسمع بمثله عن أهل زمنه ومن قبله بمدة مديدة حتى قال بعض العلماء : قد أذكرنا ذلك ما يحكى عن الخلفاء والبرامكة وأبان لنا حقيقة ما في التواريخ عنهم ، حتى قيل : إنه أنفق بمكة في نحو سنة مائة وخمسين صندوقاً ذهباً . حتى ألبس أهل مكة نساءهم وخدمهم حلي الذهب الذي لم يعهدوا مثله ، وتوسعوا في الملابس والمعاش

بما لم يعرفوه قبل ذلك ، فجزاه الله خير الجزاء ، وأكمله وأتمه وأشمله وأفضله بمنه وكرمه ، ولما بلغ أهل مكة خبر مصابه حزنوا جداً لما كان ينالهم من الإحسان بسببه ، ورثاه الشيخ العلامة عبد العزيز الزمزمي^(١) المكي بهذه القصيدة العظيمة وهي : [من البسيط]:

<p>أطواده الشّم لم تُنَسَفْ ولم تَزَلْ بلفحها كلُّ حَبْرٍ في الحجازِ صلي بَرّاً وبخراً مسير السُّفنِ والإبلِ طُروقهَا عبءَ رزءٍ غير مُخْتَمِلِ واليأسُ بعد الرجا كالظُلِّ بالأسلِ^(٢) كثيرة ومزاج غير مُعْتَدِلِ ونعمة قلّدت جيدَ الزّمانِ حلي أمراً به صرْتُ مثل الشّاربِ الثَّمَلِ أُصِيبَ من هَوْلِ هذا الخطبِ بالخَطَلِ وقَرَّبَ البُعدَ بين الحُزنِ والجَدَلِ^(٣) فصار وقتُ طلوعِ الشّمسِ كالطّفلِ سكري بطافح همّ فيه لا تسلِ أو تبلغِ الرّوحُ منّي مُنتهى الأجلِ على إمام بتحقيق العلوم ملي لآملين بما أربى على الأملِ ما قدّمتُ يده من صالحِ العملِ ربُّ غفورٌ رحيمٌ أكرمَ النّزلِ</p>	<p>أيُّ القلوبِ لهذا الحادثِ الجَلَلِ وأيُّ نازلةٍ في الهِنْدِ قد نَزَلَتْ أعظمُ بنازلةٍ في الكونِ طار بها أخبارها طرقت سمعي فحملني أهدتُ لأهل الحجاز اليأسَ بعد رجا فأصبحَ الناسُ في وهج وفي فكر خطب على كلِّ معروفٍ ومكرمةٍ أصمّ أذني به النَّاعي وأسمعني وهو البشيرُ بضدِّ الأمرِ ربّتما عمري لقد جمع الصّدين في نسي في حال إشراق شمس البشر قد غربت يا صاح سلّ عن فؤادي بالحديثِ وعن على آصفخان وجدي لا يُفارقني لهفي ولهف رجالِ العلم قاطبةً على الجواد الَّذي فاضتْ مكارمه مضى شهيداً إلى دارِ البقا ليرى لقد أعدَّ له عند النّزولِ بها</p>
---	--

(١) ستأتي ترجمته في أحداث سنة ٩٧٦ هـ .

(٢) الأسَل : الرماح .

(٣) في (م) : « الخذل » بالخاء ، والمثبت من (ط) . ومعناه : الفرغ .

بكت عليه السما والأرض إذ فقدت
 وورد صومر ظمأه فيه أدخله
 وفعل خير وإحسان ينيل غداً
 لها بهاتيكُم الطاعات قد شهدت
 ومسجدُ القدس والمكي لا برحت
 وكم طواف بيت الله كان له
 وبالمعرف أعواماً متابعة
 سلوا مشاعر جمع كيف ليلتها
 وكان شمساً بها لما يحل منى
 سقياً ورعيّاً لأيام سلفن بها
 إذ الزمان عزيز وجهه خضل
 والعيش غص بما يوليه من نعيم
 والذهر يلحظنا شزراً ويوهمنا
 فحين رد إلينا طزفه ارتجعت
 فشتت الشمل بعد الالتئام ولم
 حتى رمانا فأصمتنا رمايته
 أيا « آصفخان » لا يحصى تأسفنا
 لقد فقدناك فقدان الربيع ولم
 تفديك منا ألوف لو فديت بها
 إني لأبكيك للجوّد الذي فضحت
 أبكيك للعلم والعقل اللذين هما
 وللحجاز وأهليه إذا فقدوا
 وللصيام وإحياء الظلام إلى

تهجداً عند طول الدهر لم يحل
 جنات عذن من الزيان في عجل
 قرار سجساج ظل غير مُتقل
 بطاخ مسجد طه خاتم الرسل
 أرجاؤهم من غمام الأمن في ظلل
 وكم وقوف بيباب الله في وجل
 بها استتم فروض الحج عن كمل
 كانت تضيء بيدٍ منه مكتمل
 أيام تشريقها إشراقهن جلي
 ونحن في مجلس سام لديه علي
 بغرة من محيا وجهه الخضل
 لذن الحواشي بأنس منه مقبل
 خديعة أنه عنا لفي شغل
 يداه منا الذي أولاه من نحل
 يقنع بنوح مقيم إثر مُرتحل
 عمداً بأسهم هذا الحادث الجلل
 عليك ضبط بتفصيل ولا جمل
 نجد لنا عنك بعد الفقد من بدل
 من خيرنا لا من الذمماء والسفل
 أنواؤه كلّ وسمي وكلّ ولي
 عماد دنيا ودين الحازم الرجل
 مألوف برّ إليهم منك مُتصل
 حين الممات بلا وهن ولا ملل

مسافراً ومقيماً ما كَسَلْتُ ولا
 قد كُنْتُ بَخَرَ علومٍ زاخراً وندي
 ففاضَ ما فاضَ من أمواجه وطغاً
 بموته مات ذكر الجُودِ واندَرَسَتْ
 عَذْلْتُ في قتله دهري فقال أما
 لَبَى نداء المنايا عندما هَتَفْتُ
 لاقْتَه وهي كمين فاستكان وَلَوْ
 فَإِنَّه كان ثَبْتاً حازِماً حَذِراً
 أباد أحمد آباد^(٢) هولُ مَضْرَعِه
 قدم محمود باد الناس حين بدا
 وريحُ نَكْبَةٍ كَتَايَتِ عواصفها
 والنَّارُ شَبَّتْ بِشَبَّانِينَ^(٣) من فِتْنِ
 والْدِيُو^(٤) أودت بها أدواؤها وبدَتْ
 فلا ملام على سَرَاتِ^(٥) إن لبست
 أوفى وسلطانَه السامي المقام معاً

عَجَزَتْ حاشاك^(١) من عجزٍ ومن كسلٍ
 من فيضه كل بحرٍ كان في خجلٍ
 منها ورَوَّى الوَرَى علأً على نهلٍ
 منه الرُّبُوعِ ورسم المَكْرَمَاتِ بلي
 أحطت علماً بسبق السِّيفِ للعَدَلِ
 به وسار بها يمشي على مهلٍ
 بدتْ له لم تجده كان ذا فَشَلٍ
 ولم يكن رأيه يؤتى من الزَّلَلِ
 وباد بعد الإبا من فيه بالوَجَلِ
 منها عنا ما به للناس من قبلٍ
 نكباء هَبَّتْ خلال الدَّورِ والحَلَلِ
 تموجُ كالْبَحْرِ ملء السهل والجبلِ
 فيها أراجيف أهل الغلِّ والثقلِ
 ملابسَ الحُزْنِ بعد الحليِّ والحُلَلِ
 على انتها الأجلِ المحتومِ في الأزلِ

(١) في (م) و(ط) : « حوشيك » .

(٢) أحمد آباد : من مدن الشَّمال الغربي للقارة الهندية ، انظر مجلة المجمع العلمي الهندي العدد (١٤٨) ص (٣٩) . وسيأتي قول المؤلف فيها ص ٤٨٥ .

(٣) في (ط) : « . . بشبنانير » وما أثبتناه في (م) . وكان المؤلف ذكرها بلفظ مماثل لما ورد في (م) في أحداث سنة ست عشرة ، وذكر أنها في أصلها قلعة للكفار استولى عليها محمود شاه وحولها إلى مدينة .

(٤) في (ط) : « والديو . . . » تصحيف وما أثبتناه في (م) . والديو من مدن الشمال الغربي للهند ، ذكرها المؤلف في أحداث سنة ثلاث وأربعين .

(٥) سَرَات : من المدن المجاورة لأحمد آباد ، وسيأتي ذكرها في مواضع مختلفة من الكتاب (أحداث سنة ثلاث وستين وسبع ستين) وغيرها .

كذا الخليفة والفتح الوزير له
عزَّ العزاء وأزمان المسرة قد
عبد العزيز عزيز ما أصبت به
عبد العزيز عزيز ما أصبت به
عبد العزيز عزيز ما أصبت به
عبد العزيز عزيز ما أصبت به
كانت تتوق لأرض الهند أنفسنا
فمذ نُعيت نأت عنها المني وغدت
يلومني فيك أقوامٌ ولو علموا
محبب كل من يولي الجميل وقد
إن ساء مصرعه أهل الحجاز فكم
يعطيك والبشر يكسو صفحته فقل
أفعاله صدقت ما قد تكذبه
فانظر إلى فعله واترك حديثهم
يلقاك لا يس بُزْد من تواضعه
في عزة لم يشبها كبر ذي حمق
بالعلم كان وفعل الخير مشغلاً
ولم يزل برجال العلم محتفلاً
تأثّلوا^(١) المال في أيامه وبه
في حضرة ومغيب كان يمنحهم
منه أتتني سنّيات الهبات ومن
مدحته كي أوفي شكرها فأبى

كانت وفاتهما في عصر أول
ولت وكل خلي بالهموم ملي
على الممالك والأديان والملل
على شهامة أهل الملك والدول
على المشايخ والطلاب والملل
على مجالس أهل البحث والجدل
كيما تحقق أن العز في النقل
أبواب نيل الغنى مسدودة السبل
عذري لما أكثروا لومي ولا عذلي
أوليتني جملاً منها على جمل
قد سرهم بالعطايا الغر والنحل
بعداً لتقطيب وجه العارض الهطل
أسماعنا من حديث الجود في الأول
«في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل»
ما قط دَنَسَه بالذل والفشل
يظن بالكبر تعلو رتبة السفل
ولم يكن عنهما باللّهُو في شغل
لكنه بسواهم غير مُختفل
نالوا مكاناً من العلياء لم يُنل
ما لم يكن لهم والله في أمل
تمامها أنها جاءت ولم أسل
مزيد فائض إحسان له هطل

(١) تأثّل مالا : اكتسبه واتخذته وثمره .

والآن عَلَيَّ أَوْفَى بِالرِّثَاءِ لَهُ
قد كنت آمل هذا الدهر يمتعنا
وما توهمتُ أَنَّ الدهرَ ينزعه
شَلْتُ يَمِينُ الَّذِي بِالْقَتْلِ فَاجَأَهُ
ملاحمٌ حكم المولى بها وقضى
يا من يُسائل عن تاريخ مضرعه
عليه والله لا أنفك ذا أسف
همتُ على روضِ قبرٍ حلّه ديمٌ
ثمّ الصلاة على المختارِ من مُضَرٍ
والآل والصّحب ما أوفى الحجيح على

حقاً فإنني وفيّ بالحقوقِ ملي
به ويبقيه غوثاً للعفاة ولي
نزعاً ويجفؤه^(١) بالقتل والغيل
عمداً وشينَ كفّ المجدِ بالشّلل
وجودها سابق في علمه الأزل
عنه الجوابُ «انقضى» فاكفُ ولا تسلي
أهدي إليه الدّعا ما امتدّ في أجلي
من الرضى ما هما دمعٌ من المُقلِ
خير البريّة طه خاتم الرّسلِ
بيت الإله وحيّا الركن بالقبلي



(١) وجفا الرجلُ جفاً : صرعه .

سنة ست وخمسين بعد التسعمائة

● وفي سنة ست وخمسين توفي السيد الشريف الصالح الفاضل الشيخ حسن بن علي ، وكان من المشايخ العارفين وعباد الله الصالحين ، صاحب هبة عظيمة لا يراه أحد إلا هابه ، وكان يصلي إماماً في مسجد والده الشيخ علي بن أبي بكر ، وكان إذا دخل في الصلاة وأحرم ارتعدت فرائص الحاضرين لهيبته ، فهمم بالصلاة معه الولي الشريف عبد الله بن الفقيه با علوي ، فلما سوى الصفوف وكبر طاش لبّه ، ودُهِشَ عقله وقال : ما هؤلاء إلا بقرّ - يعني الحاضرين - وحمل ثوبه وخرج هارباً ولم يصل معه .

قُلْتُ : وحضر وفاة ابن عمه^(١) الشيخ أبو بكر العيدروس بعدن ، وصلى على جنازته إماماً . كذا قاله العلامة جارا الله بن فهد المكي رحمه الله في معجمه .

* * *

(١) في (ط) : « محمد » وما أثبتناه في (م) .

سنة سبع وخمسين بعد التسعمائة

● وفي سنة سبع وخمسين توفي الولي العارف بالله تعالى الشريف عمر بن شهاب الدين بن الشيخ عبد الرحمن بن علي با علوي ، وكان مشهوراً بالصلاح والمكاشفات .

● وفيها توفي العلامة القاضي أحمد شريف بن علي بن علوي^(١) (خرد با علوي)^(٢) ، وكان مولده يوم الجمعة تاسع شهر ذي الحجة سنة [أربع]^(٣) أو خمس وثمانمائة ، واشتغل بالفقه على جماعة كالعلامة الفقيه عبد الله بن عبد الرحمن با فضل صاحب « المختصر » المشهور ، والعلامة الفقيه محمد بن عبد الرحمن الأسقع با علوي وغيرهما ، وجدّ واجتهد حتى برع فيه وأشير إليه بالرئاسة والفتوى ، وذكره أخوه المعلم خرد في « طبقات فقهاء آل با علوي » قال : وولي قضاء (وادي)^(٤) ابن راشد وهو مشتمل على مدن متعددة من قرى حضرموت أشهرها تريم ، لم يعارضه معارض ولم ينقض عليه مناقض . انتهى .

قلت : ولم يل أحد من آل با علوي القضاء غيره رحمه الله ، وبلغني : أنه لم يكن من القضاة الورعين سامحه الله وإيانا آمين .
وفي « تاريخ سنبل »^(٥) أنه وأخاه عبد الله شريف ولدا توأمين في بطن .

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (٤٥٢/١٠ - ٤٥٣) .

(٢) ما بين القوسين سقط من (ط) .

(٣) ما بين الحاصرتين سقط من (م) .

(٤) ما بين القوسين سقط من (ط) .

(٥) في « شذرات الذهب » (٤٥٣/١٠) : « تاريخ سنبل » .

وعزل من القضاء وقال : أنا لا أعزل وإن عزلني السلطان بسبب أنه ليس في
الجهة من هو أعلم مني .

قلت : وهذا الذي ذهب إليه القاضي أحمد شريف لا أدري أهو له وجه
ضعيف في المسألة ، أو أراد به النكتة والمطايبة ؟ وقريب من هذا أن
الصاحب بن عباد قال لقاضي قم :

أيها القاضي بقم قد عزلناك فقم
فكان القاضي يقول : أنا معزول السجع . قلتُ : وذكرتُ بقوله « أنا
لا أعزل وإن عزلني الوالي » قول بعضهم : [من مجزوء الكامل]:
إِنَّ الْأَمِيرَ هُوَ الَّذِي يَضْحِي أَمِيرًا يَوْمَ عَزَلَهُ
إِنْ زَالَ سُلْطَانُ الْوَلَايَةِ لَمْ يَزَلْ سُلْطَانُ فَضْلُهُ
وما أحسن قولهم في الحكم : إن أردت أن لا تُعزل فلا تتولَّ .

* * *

سنة ثمان وخمسين بعد التسعمائة

● [وفي شعبان]^(١) في سنة ثمان وخمسين : توفي الشيخ الصالح العلامة الفقيه ، عبد الله بن الفقيه محمد بن الشيخ الفقيه حكم سهل بن الفقيه الولي عبد الله بن الفقيه الجليل الإمام محمد بن الشيخ حكم با قشير الشافعي الحضرمي^(٢) بحضرموت في العُجُز^(٣) ببلدة « قسم » وقبره بها معروف يزار ، وكان من الأئمة المحققين والعلماء العاملين والفقهاء البارعين . صاحب تصانيف مفيدة ، وحيد زمانه علماً وعملاً وزهداً وورعاً . جمع بين معالم الشريعة وسلوك الطريقة وعلوم الحقيقة .

ومن تصانيفه المشهورة في الفقه : كتاب « قلائد الخرائد وفرائد الفوائد » في مجلد ضخّم ، ذكر أنه جمع فيه ما لا يوجد صريحاً في الكتب المختصرة في الفقه مما أخذ من المبسوطات والفتاوى المتفرقات ، ومنها « القول الموجز المبين » ، ومنها كتاب « السعادة والخير في مناقب السادة بني قشير » ، و« رسالة صغيرة في الفرج » .

ومن مشايخه : الشيخ الكبير والعلم الشهير القطب الرباني شمس الشّمس أبو بكر عبد الله العيدروس ، والولي الصّالح الشّيخ عبد الرّحمن بن علي با علوي ، والفقيه الصّالح العلامة عبد الله بن عبد الرّحمن الحاج با فضل .
ومن كراماته : أنّ والدي رحمه الله لما استودع منه في دخول الهند في

(١) ما بين الحاصرتين سقط من (ط) .

(٢) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠ / ٤٦٢) و« الأعلام » (٤ / ١٢٨) و« معجم المؤلفين » (١١٧ / ٦) .

(٣) في (م) : « الفجر » بالغين المعجمة وآخره راء ، تصحيف ، وصوابه في معجم البلدان (٨٧ / ٤) وفيه أنها قرية بحضرموت ، وأن ضبطها بالعين المهملة والزاي كما أثبتناه .

سفرته الأخيرة قال له : أظنُّ أنَّ هذا آخر عهدكم بحضرموت ، فكان كذلك .

● وفيها : وقع من أمير الحاج الفاجر مما سولت له نفسه الخبيثة من الهجوم على السيّد الشريف صاحب مكة محمد أبي نمي (بيته بمنى)^(١) يوم عيد النحر ليقتله هو وأولاده في ساعة واحدة ، فظفروا به وأرادوا قتله وجميع جنوده ، لكنه - أعني السيّد أبا نمي - أشفق على الحاج أن يقتل عن آخره فلا يعقل منه عقال ، فأمسك عن قتاله ، ثم ذهب ليلة الغد إلى مكة والناس في أمر مريج ، فلم يزد ذلك الجبار إلّا طغياناً ، فنادى أنَّ الشريفَ معزولٌ ، فلما سمعت الأعراب ذلك سقطوا على الحاج ونهبوا منهم أموالاً لا تعد ، وعزموا على نهب مكة بأسرها واستئصال الحجاج والأمير وجنده ، فركب الشريف - جزاه الله تعالى عن المسلمين خيراً - وأتخن في العرب الجراح ، وقتل البعض فخمدوا ، واستمر ذلك الجبار بمكة والناس في أمر مريج بحيث بطلت أكثر مناسك الحج ، وقاسوا من الخوف والشدة ما لم يسمع بمثله ، ثم رحل ذلك الجبار بأن يسعى في باب السلطان بعزله وقاتله .

قال بعض الصّالحين من أهل اليمن : فخرجت من مكة في تلك الأيام إلى جدّة وأنا في غاية الضيق والوجل على الشريف وأولاده والمسلمين ، فلما قربت من جدة قبل الفجر نزلتُ أستريح ساعة حتى يفتح سورها ، فرأيت في النوم النبي ﷺ ومعه علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه ، وفي يده عصي معوجة الرأس ، وكان يضرب على الشريف أبي نمي ويقول : أخبره أنّه لا يبالي بهؤلاء ، وأن الله تعالى ينصره عليهم . فما مضت إلا مدّة يسيرة وإذا الخبر يأتي من باب السلطان بغاية الإجلال والتعظيم للشريف ، فنصره الله تعالى على ذلك المفسد ومن أغراه على ذلك ، وعاد أمر المسلمين إلى ما عهدوا من الأمن الذي لم يعهد في غير ولايته .

● وفيها : كانت وقعة الجرب - بجيم موحدة بينهما راء ساكنة . المشهورة

(١) ما بين القوسين سقط من (ط) .

وهي أنّ جماعة من القبائل مفتنين يقال لهم عبيد آل يمانى ، وكان السلطان لا يقدر عليهم لكثرتهم ولشجاعتهم وشيعتهم ، فاتفق أنهم اجتمعوا كلهم في قرية تسمى « الجرب » بأسفل حضرموت ، فأخبر السلطان بذلك ، فجهز إليهم عسكرياً وحاصرهم في تلك القرية مدة إلى أن أضربهم الجوع والتعب من شدة الحصار حتى أكلوا الجلود والميتة ، ودخلوا عليهم فقتلوهم عن آخرهم ، وكانوا نحو خمسمائة رجل وطهر الله الأرض منهم ، وصار قتلهم تاريخاً مشهوراً عند أهل حضرموت يقال « سنة وقعة الجرب » .

● وفيها : دخل والدي الهند ، وأقام فيها إلى أن مات رحمه الله تعالى .

* * *

سنة تسع وخمسين بعد التسعمائة

● وفي سنة تسع وخمسين : كانت عمارة البيت الشريف زاده الله تعظيماً ،
وتاريخ ذلك للشيخ عبد العزيز الزمزمي في المصراع الأخير من هذا البيت :
[من السريع]

وقد أتى تاريخُ ترميمه رَمَمَ بَيْتَ اللَّهِ سُلْطَانُنَا

● وفيها : سافر الولي الشهير الشريف عبد الله بن الفقيه با علوي من
حضر موت بنية العزم إلى مكة بأهله ، فأدركه يوم عرفة وهو بالليحة .

● وفيها : عمّر السلطان بدر بن السلطان عبد الله بن جعفر الكثيري مدرسة
لطلبة العلم بالشُّخْر ، وجعل عليها^(١) وقفاً معلوماً ، فقال الفقيه أحمد الجابري
- برّد الله مضجعه - مؤرخاً لذلك العام : [من الخفيف]:

شَادَهُ الْبَدْرُ مَسْجِدٌ قَدْ تَعَالَى بُعْلَاهُ عَلَى النَّجُومِ الْمُضِيَّةِ
رَبِّ مَنْ قَالَ أَرْخُوهُ فَقُلْنَا^(٢) مَسْجِداً شَيَّدُوهُ لِلشَّافِعِيَّةِ

* * *

(١) في (ط) : « فيها » وصوابه في (م) .

(٢) في (ط) : « فقلت » .

سنة ستين بعد التسعمائة

● وفي سنة ستين توفي الشريف الفاضل جمال الدين محمد بن علي بن علوي خرد با علوي^(١) صاحب كتاب « غرر البها » .

● وفيها : وقعت عمارة ميزاب الرحمة من البيت الشريف عظمه الله تعالى ، ومن غريب الاتفاق أن جاء تاريخ ذلك « رحمة من ربك »^(٢) وكان قد جعل هذا التاريخ الشيخ أبو بكر اليتيم المكي ثم نظمه في بيتين فقال : [من الكامل]:

يا أيُّها المولى الجليلُ ومنْ له الـ مجدُّ الأئيلُ الفائقُ المَرِّخا
ميزابُ بيتِ الله جُدَّد فاقْتَبَسْنا رحمةً من ربِّك التَّاريخا

* * *

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (٤٧١ / ١٠) و « الأعلام » (٩٢ / ٦) و « معجم المؤلفين » (٢٩ / ١١) .

(٢) العبارة محوطة في (م) ، وهي في (ط) مبدوءة بحرف النفي (لا) وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه على حساب الجمل .

سنة إحدى وستين بعد التسعمائة

● وفي ليلة ثلاثة عشر من شهر ربيع الأول سنة إحدى وستين قتل السلطان محمود شاه بن لطيف شاه صاحب كجرات شهيداً . وسببه أن بعض خدمه سولت له نفسه قتل السلطان ، فدبر الحيلة في ذلك ، وواطأ بعض الوزراء ، وواطأ أيضاً بعض حرسه السلطان وخدمه ، وكان ذلك الخادم هو المتولي لمأكل السلطان ومشروبه ، فقبل دس له سمّاً في شرابه ، وقيل في نحو حلو^(١) وقيل غير ذلك . فشكى السلطان عقيب تناوله حرارة عظيمة اشتعلت بباطنه فاستغاث ، فقيل : بلّ له سكرأ نباتاً ودسّ له سمّاً أيضاً ليعجل موته قبل أن يشعر به ، وقيل : بل طلب السلطان الطبيب فبادر ذلك الشقي وذبح السلطان ، وذبح أيضاً الطبيب كذلك ، ولم يُشعِرْ أحداً ، ثم أرسل رسل السلطان المعتادين إلى وزرائه وطلبوهم على لسان السلطان ، فقدم كل على انفراده من غير شعور له بشيء مما وقع واحداً بعد واحد وذلك الشقي وجماعته واقفون والسلطان عندهم مقتول ، فكل من دخل من الوزراء قتلوه بأسلحتهم ، فلما كثر القتل وقع الإحساس ببعض ما جرى .

● وفي زمنه أخذ الإفرنج (لعنهم الله)^(٢) الدّيو^(٣) من المسلمين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

● وفيها : مات السيّد أحمد بن أبي نمي صاحب مكة ، وهو الذي دعس بساط سلطان الروم سليمان ولم يدعس غيره من سلاطين مكة . وشوكته

(١) في (ط) : « علو » تحريف ، وما أثبتناه في (م) و « الشذرات » (١٠ / ٤٧٤) .

(٢) ما بين القوسين سقط من (ط) .

(٣) في (ط) : « الدير » وما أثبتناه في (م) وهو الصواب .

استقرت في حياة أبيه ، وحكاياته مشهورة^(١) .

● وفيها : مات سليم شاه^(٢) بن شير شاه البتان .

● وفيها : مات برهان نظام شاه^(٣) سلطان الدكن .

● وفيها : قُتِلَ السلطان با يزيد بن سليمان العثماني^(٤) . قتله شاه طهماز

بأمر أبيه السلطان سليمان . فهؤلاء خمسة سلاطين اتفق موتهم في هذه السنة ، فقال بعضهم مؤرخاً لذلك « زوال خسروان » .

* * *

(١) خبره في « شذرات الذهب » (١٠ / ٤٧٥) .

(٢) خبره في « شذرات الذهب » (١٠ / ٤٧٥) .

(٣) خبره في « شذرات الذهب » (١٠ / ٤٧٥) .

(٤) خبره في « شذرات الذهب » (١٠ / ٤٧٥) . و « تاريخ الدولة العلية العثمانية » ص (٢٤٧) .

سنة اثنتين وستين بعد التسعمائة

● وفي سنة اثنتين وستين توفي الشيخ الإمام العلامة الهمام الشيخ حامد بن محمود الجبرتي^(١) . نزيل مكة المشرفة ، وكان إليه النهاية في العلم والعبادة ، ورثاه الشيخ عبد العزيز الزمزمي بهذه القصيدة العظيمة وهي : [من الخفيف]:

أَيُّهَا الْغَافِلُ الْغَبِيُّ تَنَبَّهْ	إِنْ بِالنَّوْمِ يَقْطَعُ النَّاسُ أَشْبَهْ
وَتَأْمَلْ فَإِنَّمَا النَّاسُ سَفَرٌ	دَارُ دُنْيَاهُمْ لَهُمْ دَارُ غُرْبَةٍ
كُلَّ يَوْمٍ تَحُلُّ فِي السُّوحِ ^(٢) مِنْهَا	عَصَبَةٌ مِنْهُمْ وَتَرْحَلُ عَصَبَةٌ
كَيْفَ يَهْنَأُ الْفَتَى بِهَا وَهُوَ فِيهَا	يَشْتَكِي دَائِمًا فِرَاقَ الْأَحْبَةِ
وَاحِدٌ إِثْرُ وَاحِدٍ يَتَدَاعَوُ ^(٣)	لِلْفَنَاءِ يَالْكَرْبَةَ إِثْرُ كَرْبَةٍ
كُلَّ حُلُوٍ بَعْدَ الْأَحْبَةِ مُرٌّ	فَحَيَاتِي مِنْ بَعْدِهِمْ غَيْرُ عَذْبَةٍ
يَا خَلِيلِي فِرْقَةُ الْخَلِّ وَالِدِ	هَ عَلَى الْأَنْفُسِ الْكَرِيمَةِ صَعْبَةٌ
سَيِّمَا خَلَّكَ الْخَصِيصُ الَّذِي لَمْ	يَزَلْ الْجَنْبُ مِنْكَ يَلْصُقُ جَنْبَهُ
الْوَفِيُّ الَّذِي يَسْرُكُ فَعَلًا	إِنْ يَسُوكَ الزَّمَانُ يَوْمًا بَنَكْبَةً
الْحَبِيبُ الَّذِي حَوَى كُلَّ وَضْفٍ	حِينَ يَمْلَأُ يَمْلَأُ الْقُلُوبَ مَحَبَّةً
ذَاكَ وَاللَّهِ حَامِدٌ خَيْرُ خَلٍّ	قَطَّ مَا ذَمَّ صَاحِبٌ مِنْهُ صَخْبَةً
قَدْ مَضَى حَامِدٌ حَمِيدًا فَمَا لِي	بَعْدَهُ فِي الْحَيَاةِ وَالْعَيْشِ رَغْبَةٌ

(١) في (م) : « الجبروتي » وما أثبتناه في (ط) وانظر ترجمته في « شذرات الذهب » (٧٠٦/١٠) .

(٢) في (ط) : « السرج » تصحيف ، وما أثبتناه في (م) والسوح : جمع ساحة .

(٣) حذف نون الرفع في « يتداعو » من غير ناصب أو جازم وهو ضرورة وله نظائر . انظر « ضرائر الشعر » لابن عصفور الإشبيلي ص (١٠٩) وما بعدها .

صاحبي من قريب خمسين عاماً
مُزَجَّتْ روحه بروحي فأضحى
يَتَدِينِي بما به أبتديه
ذو حفاظٍ تلفيه في الهَزَلِ والجد
طاهرُ الذَّيْلِ لم يزنْ بسوء
لم يكن فاحشاً بسب ولم يُلد
حازمُ الرَّأْيِ ثابتُ الجأشِ شهمٌ
أيّ حفظٍ وأيّ إيرادٍ لفظ
من جميع العلوم حازَ فنوناً
نازعته إلى سمو المراقبي
بَلَّغَتْ غاية المطالب والأغ
لم يكن راهباً سوى الله لكن
كان يحيي إلى الممات الليالي
كم صلاة يطول وصفِي فيها
وطواف ما غبّه منه ورد
ومن الذكر والتلاوة أورا
بَكَتِ الأرضُ والسَّما فقدَ عبدٍ
وسبيكيه حين يفقد منه
طالما قامه وشمّر فيه
كيف لا يدخلُ الجنانَ من الرِّيد
كيف يظما غداً وفي كلِّ يومٍ
يا رَعَى الله أغصُراً وبقاعاً

ما تراءت لي في محيائه غَضَبَهُ
منطقي نطقه وقلبي قَلْبَهُ
من حديث لم ينتقص منه حَبَهُ
دُّ صَدوقاً عليه ما عُدَّ كَذْبَهُ
صَيَّنَ ما عليه تؤثر سَبَهُ
قَ من النَّاسِ واحدٌ قط سَبَهُ
فيه مع عزمه أناة ودربة
مستلذٌ يُنْسِي أخا^(١) الكرب كربة
فتسامى بها لأرفع رُتْبَهُ
هَمّة أنزلت من الأفق شبهة^(٢)
راض أحبّاه الجميع وصَحْبَهُ
كان فيه الله أعظم رَهْبَهُ
أخذاً بالنَّصيب من كلِّ قرْبهِ
قام عن فرشه لها وتنبّه
شكر الله سَعِيَهُ فيه غَبَهُ
دُّ بها لم يزل يرتب حزْبَهُ
كان يعصي الهوى ويعبد ربّه
رمضان إذا أتى أي أهْبَهُ
مُزراً واستحثّ قوماً وأنْبَهُ
يان رِيَّانَ والمعاطفُ رطبهُ
كان والله ماء زمزم شربهُ
جَمَعْتَنَا في عُنفوانٍ وشيبهُ

(١) في (ط) : « يُنْسِي أخاه... » تصحيف ، وما أثبتناه في (م) .

(٢) في (ط) « ... في الأفق شبيهة » .

حيث ندعى إلى الدروس ونلقى
 من رضاع العلوم أي إحاء
 يا أخي يا أبا محمد عهدي
 كيف فارقتني وكنّا جميعاً
 كنديمي جديمة نتعاطى
 كل يوم نزداد حباً إذا مد
 فجعتني فيه المنون فنفسى
 في فنا الترب للبيت نذير
 إن أعش بعده لعمري إنى
 إنه الموت ليس فيه وفاء
 وبعيد إذا انقضى نخب شخص
 يا جليسي الذي على كل خير
 يا صديقي الذي يكافح عني
 يا سميري لقد تقرّح جفني
 نم هنيئاً فطالما في الليالي
 وسلام عليك ما حنت الور
 روح الله منك في الخلد روحاً

كل شيخ ربى المريد وربّة
 بيننا بيننا به أي نسبة
 بك تهوى لقياً أخيك وقربّة
 فرقدي إلفة صفت ومحبة
 من كؤوس الوداد أعذب شربة^(١)
 ل سوانا من الأحباء حبة
 للتفاني من بعده مشربة
 أنه لا حق على القرب تربة
 خنته في ودايه والمحبة
 فيه ضاهى إلى الفنا من أحبة
 أن شخصاً يقضي لذلك نخبة
 فعله دلّ والمقال ونبة
 زمني إن عدا ويدفع خطبة
 سهرأ مذ أتى الردى إن تنبة
 سهرت مقلّتاك ديناً وحسبة
 ق فأكبت على حبيب محبة
 وسقى صيب الحيا منك تربة

(١) جديمة ، أراد جديمة الوضاح الملك ونديميه المعروفين ، وبهما ضرب المثل في طول
 الصحبة ، كما ضرب بالفرقدين ونخلتي خلوان ، والمعنى مما سبق إليه الشاعر ، فمن ذلك
 قول متمم بن نويرة في رثاء أخيه مالك :

وكنا كندمانني جديمة حبة من الدهر حتى قيل : لن يتصدعا
 فلمّا تفرّقنا كأنني ومالكاً لطول اجتماع لم نبث ليلة معا
 قال الثعالبى : « وهو من الأمثال السائرة » . « ثمار القلوب في المضاف والمنسوب »
 (٣٠٧-٣٠٦ / ١) .

● وفيها كان موت السلطان همايون بن بابر^(١) ، وكان سبب موته سقوطه من سقف ، فقال مؤرخ وفاته بالفارسي « همايون باد شاه ازبام افتاد » .

* * *

(١) رُوي الخبر في « شذرات الذهب » (٤٨٣ / ١٠) .

سنة ثلاث وستين بعد التسعمائة

- وفي سنة ثلاث وستين وصل الوزير الأعظم الفخان الكبير ياقوت سلطان في جمادى الثاني مكسوراً من بيرم كام إلى سرت . كذا ذكره العلامة أبو السعادات الفاكهي المكي في رحلته .
- وفيها : قُتِلَ السَّيِّدُ مَرْتَضَى رَحِمَهُ اللهُ .
- وفيها : سافر الشَّيْخُ أَبُو السَّعَادَاتِ مِنْ أَحْمَدَ أَبَادَ إِلَى سَرْتِ ، ثُمَّ جَاءَ بَعْدَهُ بِأَرْبَعَةِ أَشْهُرِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْمُعْطِيِّ بْنِ حَسَنِ بِكَثِيرِ الْمَكِّي ، وَالْخَطِيبِ أَبُو السَّعَادَاتِ بْنِ ظَهِيرِهِ ، وَعَبْدُ اللهِ الْعِرَاقِيُّ مِنْ أَحْمَدَ أَبَادَ إِلَى سَرْتِ بِأَهْلِهِمْ وَتَدَيَّرُوا^(١) بِهَا .

* * *

(١) تَدَيَّرُوا بِهَا : اتَّخَذُوا دَارَ إِقَامَةٍ .

سنة أربع وستين بعد التسعمائة

● وفي شهر جمادى الأول من سنة أربع وستين توفي الشيخ الولي الصالح العلامة المحقق العارف المدقق ، بحر الحقيقة وإمام الشريعة والطريقة ، بقية السلف الصالح ومرشد الخلق إلى النهج الواضح ، أبو العباس أحمد بن علي المزجاجي الحنفي^(١) شهاب الدين ، ودفن بجوار مسجده بتربة الظاهر الذي أنشأه جدّه الشيخ الصديق بن عبد الله المزجاجي الصوفي قدس الله أرواحهم .

وُلِدَ - رحمه الله تعالى ورضي عنه - سنة سبع وتسعين وثمانمائة ، وقرأ القرآن وحفظه ، وسمع الحديث على جماعة منهم الحافظ عبد الرحمن بن علي الدّيع رحمه الله ، وكتب له الإجازة والأسانيد بخطه ، وتفقه بجماعة من الحنفية ، وقرأ في كتب الرقائق ، وسمع على الشيخين الوليين الكاملين المحققين نور الدين القطب الرباني يحيى بن الصديق النور وبه تخرج وانتفع ، والشيخ العلامة الحافظ القدامة بقية المحققين العارفين الصادقين المكملين أبي الضيا وجيه الدين عبد الرحمن بن إبراهيم العلوي أعلى الله أنواره وأسمى مناره ، وقرأ في أصول الدين على الشيخ العالم المصقعي المفضن شرف الدين دامغ الملحدين إسماعيل أبي الذبيح شرف الدين بن إبراهيم العلوي أخذ عليه كتاب « النكت » لأبي القاسم القشيري^(٢) ، وسمع عليه بقراءة غيره شيئاً كثيراً من كتب الأصول وغيرها ، ولبس الخرقة من والده ، ثم ألبسه مرة أخرى أخوه لأمه الشيخ إسماعيل بن المشهور المزجاجي ، وأذن له في إلباسها من استحقها ، وكانت له اليد الطولى في كتب القوم وهو شاب ، وأفاد وأملى

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠ / ٤٩٥) .

(٢) هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري الشافعي . توفي سنة (٤٦٥ هـ) .

انظر « الرسالة القشيرية » (١٤ / ١) و « الأعلام » (٥٧ / ٤) .

وأجاد ، واستمدَّ فأمدَّ ، وبلغ في كلِّ فضلٍ الأمدَ ، تخرج به ولده العلامة الحافظ المجتهد الولي المقرب العارف بالله تعالى شيخنا ومولانا أبو الحسن علي شمس الدين ، وحقق وانتفع انتفاعاً عم الخلق نفعه ، وأخذ عنه شيخنا الأستاذ الإنسان الكامل المحقق خاتم الأولياء مولانا السيد الشريف حاتم بن أحمد الأهدل ، وخلائق لا تحصى ، والشيخ كمال الدين أحمد بن إبراهيم العلوي . وله أتباع بلغوا مبلغ الكاملين ، ومكنوا في الولاية أي تمكين .

وبالجملة : فكان فريد دهره ، ونادرة عصره ، ونسيج وحده ، ولزيم أبده أبده علماً وعملاً وإفادة وسيادة ، وله كلام في الحقائق يشهد له بحياسة علم . وكان علماء وقته يجلبونه غاية الإجلال ، ويشهدون له بالتقدم على الأمثال ، من رآه ذكر الله ، وقال : تبارك الله ، يقصده الخاص والعام والقضاة والحكام للزيارة والتبرك به والتماس الدعاء منه إذا نزل بهم مهم ، وكان يُسَطُّ له في الوقت ويُمدَّ له فيه بحيث أنه يقرأ مائة شرف القرآن في نصف نهار أو دون ذلك .

وحكى لي فقيره الصّادق محمد قحطان - وكان رجلاً صدوقاً من أهل الخير والصلاح وتلاوة القرآن وكتبه وكتب القوم - قال : بلغ سمع شيخنا رحمه الله أن رجلاً يحوك الثياب بجواره يقرأ ستين ختمة^(١) من بعد الشروق إلى بعد الظهر ، فعظم أمره على الشيخ ، وقال : هذا في جوارنا ولا نطلع عليه أو كما قال ، فلما كان اليوم الثاني بكر إليه ، فجاء وهو يسدي خيوطه ويهذبها وينقيها ، فلما وقع نظر الرجل على الشيخ سرَّ سروراً عظيماً بدخول الشيخ منزله ، فرحب [به]^(٢) وانبسطت نفسه . فقال له الشيخ : يا فلان ما حديث حدثته عنك من تلاوتك القرآن كلّ يوم كذا وكذا ختمة؟ فقال : نعم كل يوم ستين ، فقال له : هل شرعتَ اليوم في القراءة؟ قال : بلى الآن أفرغ من التسديد وأقعد للعمل

(١) في (م) : « خيمة » وهو تصحيف .

(٢) سقطت الكلمة من (م) .

وأشـرع ، فقال الشـيخ : أحب أن أشـرع أنا وأنت فمتى تفرغ من السـتين؟ قال : وقت كذا من النهار ، فلما قعد للعمل شرعا معاً وفارقه الشـيخ ، فلما كان الوقت الذي عينه الحائك للشـيخ جاءه الشـيخُ ، فقال له : كيف أنت؟ قال : حصل لي ببركة دخولكم علي في هذا اليوم زيادة ست ختمات . فقال له الشـيخ : وأنا أتممت المائة . رضي الله عنهما . وهذه من باب خرق العادة وتوسعة الوقت ، فقد حكى الفرغاني في تائية ابن الفارض ما هو أعظم من ذلك فيطلب من هناك .

وكان الفقيه إسماعيل العلوي المذكور من أكبر المنكرين على الشـيخ المذكور ، وكان المقوي لإسماعيل على ذلك صالح النيماري^(١) ، وكان إسماعيل يعنف أخاه أحمد على كثرة تردده إلى الشـيخ أحمد وصحبته له ، فقال أخوه أحمد : يا أخي أنت أخي وشيخي ووالدي ، ولك علي حق وطاعتك واجبة ، فهل نذهب أنا وأنت الليلة إلى راتب الشـيخ ونقعد من وراء وراء ونباشر حال الشـيخ وعمله ، فإن وجدت على طريقة مرضية دخلنا عليه وإلا رجعنا ولا أصل بعدها إلى الشـيخ ، وكان هذا من أحمد كيد خفي ، لأنه يعلم أنه متى وقع بصر أخيه على الشـيخ انصبغ^(٢) وإن لم يره الشـيخ بعين الرأس ، فطمع أخوه إسماعيل فيه ولم يدر أن للبيت رباً يحميه ، فذهبا معاً فحضرا درس القرآن ، فكاد إسماعيل يحترق من ذلك ، فلما ختم الدرس والدعاء أنشد المنشد ، وشرع صاحب السماع في الإسماع قال له أخوه أحمد : نذهب إلى البيت؟ قال : لا . بل ندخل على الشـيخ ، فهو على قدم صدق ، فسرّ بذلك أحمد ، ودخلا على الشـيخ أحمد ، فلما رآه الشـيخ سرّ به وحصل له من الأنس والبسطة ما لا مزيد عليه ، فعاد إسماعيل من أكبر المحبين الآيين إلى الله تعالى .

(١) في (م) : « النماري » وما أثبتناه في (ط) وقد أعاد رسمه بهذه الصورة أكثر من مرة .

(٢) في (ط) : « الصبغ » تحريف ، وما أثبتناه في (م) .

وكان صالح النيماري في جهة الجبل ، فلما نزل بلغه قصد الفقيه إسماعيل المذكور فجاء إليه ، وقال له يا فقيه إسماعيل : انتظمت في سلك فلان ، ثم تكلم في حق الشيخ وطريقته ، فقال : لا تقل هكذا ، وجدنا الرجل على خير كبير نحن في حجاب عنه ، لكن الموعد بيني وبينك الليلة وقت صلاة المغرب الجبرتية مسجد إسماعيل الجبرتي ، فتواعدا على ذلك ، فحضرا معاً صلاة المغرب بالمسجد المذكور ، فلما أذن وأقيمت الصلاة دخل الفقيه الصالح الولي الفالح عبد الرؤوف المشيم يصلي بالناس ، فكاد أن يفوت الوقت بكثرة الخشوع في القراءة ، فلما فرغت الصلاة قال الفقيه إسماعيل لصالح : رأيت حال هذا الرجل وعظم توجهه ورقة قلبه ، والله لو تلوت أنا وأنت كذا وكذا ختمة ما قطرت لنا دمعة . قال : نعم مع قوة معرفتنا أنا نقرأ أحسن منه . قال له إسماعيل : هكذا القبول؟ قال : نعم . وإن هذا من أولياء الله تعالى . قال له إسماعيل : هذا من أصغر أصحاب أحمد بن علي مقاماً ، فما زاده ذلك إلا نفوراً حتى أفضى الأمر إلى منافرة ومناقرة وأهاجي بينهما ، والله المستعان .

* * *

سنة خمس وستين بعد التسعمائة

● وفي يوم السبت الحادي عشر شهر المحرم سنة خمس وستين توفي الشيخ الكبير والقُدوة الشهير الولي العارف بالله تعالى الإمام العلامة شهاب الدين أحمد (ابن)^(١) الفقيه عثمان بن محمد بن أحمد بن محمد بن عثمان بن عمر بن محمد بن الشيخ الكبير الولي المربي سعيد بن عيسى بن أحمد الشهير بالعمودي^(٢) بتعز ، وكان من كبار أهل العلم وأهل الفتيا والتدريس ، مع الورع التام والزهد العظيم ، والإقبال على الطاعة ، وكثرة العبادة ، والسلوك على نهج السلف الصالح ، ولزوم الخمول ، وترك ما لا يعني ، والإحسان الدائم إلى الفقراء والمحتاجين والطلبة والملازمين . وكان مع ذلك من أهل الولاية العظيمة والتصرف النافذ في الوجود ، وقيل : إنه كان يعرف اسم الله الأعظم ، وكان ينفق من الغيب ، وكان الباشوات تعظمه وتخضع لهيبته ، وكان من محفوظاته « الإرشاد » في الفقه ، وكانت تجيء إليه الفتاوى من البلاد البعيدة فيجيب عنها ، وكان ولي مدرسته بتعز ، وكان ينفق جميع ما يصير إليه من وقفها على الفقراء والطلبة ولا يمسك منه لنفسه شيئاً ، ولم يزل على ذلك حتى مات .

وبالجملة : فإنه كان أَوحد عصره علماً وصلاً ، ولم يخلفه بعده مثله ، وكانت ولادته بزييد ، وما وقفت على تاريخ مولده إلا أنه مات وهو ابن خمسين سنة تقريباً ، وبُنيت عليه بعد موته قبة عظيمة رحمه الله تعالى .

● وكان والده الفقيه عثمان بن محمد من أهل العلم والصلاح ، وكان

(١) سقطت الكلمة من (ط) .

(٢) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠ / ٤٩٩) .

انتقل من بلاده قيدون^(١) إلى زبيد وهو شاب لتحصيل العلم ، فأخذ عن جماعة حتى برع في العلم ، وتزوج هناك امرأة فولدت له صاحب الترجمة هذا ، وهو الذي أخذ عنه وتخرج به الفقيه الصالح علي بن علي با يزيد الدؤعني صاحب « النكت » على الإرشاد وصاحب « الفتاوى » المشهورة ، وكانت وفاة الشيخ عثمان في هذا القرن ، وتاريخ مولده لم أعثر عليه ، ولهذا لم أفرد بالذكر في هذا التاريخ وإلا فهو حقيق بذلك .

● فائدة :

اعلم أن في قلبي حسرة عظيمة إذ لم يتيسر إليّ الوقوف على تواريخ جماعة من الأعيان المشهورين كطائفة من الأولياء الكرام ، وجملة من العلماء الأعلام مثل : الشيخ الإمام والحبر الهمام مجتهد زمانه وعارف أوانه الشيخ أبي الحسن البكري^(٢) والشيخ الإمام العلامة شهاب الدين أحمد بن عبد الحق السنباطي المصري ، والولي العارف سراج الدين الفقيه عمر بن عبد الله بامخرمة الحضرمي ، والشيخ الكبير والولي الشهير عمر بن أحمد العمودي والد الشيخ عبد الرحمن الآتي ذكره ، والشيخ الإمام العلامة عبد القادر بن أحمد الجباني ، والشيخ العلامة علي بن أحمد البسكري المالكي المغربي المكي والد صاحبنا الشيخ أحمد البسكري ، والشيخ الفاضل محمد الخطاب^(٣) سمي أبيه ، والشيخ العلامة علي بن عراق ، وأخوه الشيخ عبد النافع ، والشيخ الكبير العلامة المفنن أحمد بن عبد الغفار المالكي ، والولي الصالح الشيخ أحمد بن عبد القوي با فضل الحضرمي ، والشيخ الكبير والولي الشهير

(١) قيدون : بلدة بوادي دؤعن بحضرموت ، (معجم المدن والقبائل اليمنية) ص (٣٣٩) .

(٢) توفي سنة (٩٥٢) هـ ، وانظر سائر ترجمته في « الكواكب السائرة » (٢ / ١٩٤-١٩٧) و « شذرات الذهب » (١٠ / ٤١٩-٤٢١) واسمه في هذين المصدرين (علي) ، وترجم له

العلامة الزركلي باسم (محمد بن محمد) « الأعلام » (٥٧ / ٧) .

(٣) توفي سنة (٩٥٤ هـ) وانظر سائر ترجمته في « الأعلام » (٥٨ / ٧) .

أحمد بن سهل با قشير ، والولي الصالح المعلم با جابر صاحب عندل ،
والشيخ العلامة عبد الرؤوف الواعظ تلميذ الشيخ ابن حجر الهيتمي ، والعلامة
الشهير الشيخ محمد الرملي المصري ، والعلامة الطبلاوي^(١) ، وآخرين يطول
ذكرهم ويتعذر حصرهم ، مع أنني قد أذكر بعضهم في ترجمة غيره بطريق
الاستطراد ولكنني لم أستوعب أخباره كما ينبغي ويُراد ، والمرجو أن يمنّ الله
علي بذلك حتى أشفي الغليل بشرح مناقبهم العديدة وسيرتهم الحميدة ، والله
ولي التوفيق ، والمسؤول ممن وقف على هذا الكتاب من الإخوان الفضلاء
وظفر بشيء من ذلك ، فليضفه إليه على هذا النمط والسياق ، ويرجى لمن فعل
ذلك إن شاء الله ببركتهم الاندراج في المسرعين إلى الخيرات السباق . انتهى .

● وبنو العمودي أهل إصلاح وولاية ، اشتهر منهم جماعة بالعلوم الظاهرة
ومقامات الولاية الفاخرة ، ويقال : إن نسبهم يرجع إلى أبي بكر الصديق
رضي الله عنه ، وأما خرقتهم فهي ترجع إلى الشيخ أبي مدين المغربي رضي الله
عنه ، فإن جدّهم الشيخ الكبير والعلم الشهير تاج العارفين ومربي المريدين
الشيخ سعيد بن عيسى العمودي قدس الله روحه أخذها عن الشيخ عبد الله
الصالح رسول (رسول)^(٢) الشيخ أبي مدين ، فهي كخرقة قطب العارفين
وإمام الأولياء المتمكنين الشيخ فقيه محمد بن علي مقدم التربة .

وحُكي أنّ الشيخ أبا مدين أرسل تلميذه الشيخ عبد الرحمن المقعد من
المغرب نائباً عنه ، وأمره بالذهاب إلى حضرموت وقال له : إنّ لنا فيها أصحاباً
سز إليهم وخذ عليهم عقد الحكم ، وأخبره بأنه سيموتُ في أثناء الطريق ،
فكان كذلك ومات بمكة المشرفة ، ثم أرسل تلميذه الشيخ عبد الله الصّالح كما
أمره شيخه ، وقال له : اذهب إلى حضرموت تجد فيها الفقيه محمد بن علي

(١) توفي سنة (٩٦٦هـ) وانظر سائر ترجمته في « الكواكب السائرة » (٣٣/٢) و« شذرات
الذهب » (٥٧-٥٠٦/١٠) و« معجم المؤلفين » (١٧/١٠) و« الأعلام » (١٣٤/٦) .

(٢) ما بين القوسين لم يرد في (ط) وورد في (م) فقط .

يقرأ في العلم على الفقيه علي بن أحمد با مروان وسلاحه على رجله موضوع فاطله من عنده وحكمه ، ثم اذهب إلى قيدون تجد فيها الشيخ سعيد بن عيسى العمودي فحكمه ، فلما قدم إلى تريم وجد الفقيه بتلك الصفة التي ذكرها له شيخه ، ففعل ما أمره ، وذهب إلى قيدون كذلك .

وكان الشيخ سعيد أحد كبار مشايخ حضرموت مشهوراً بالولاية الكاملة والكرامات العظيمة ، وكان كاملاً مريباً مسلماً ، وبه انتفع الشيخ أبو معبد وغيره ، وله في ناحيته ذرية مباركون وأتباع وزاوية لهم مشهورة .

وروي عنه أنه قال : زيارتي بعد وفاتي أفضل من زيارتي في حياتي .
وروي عنه أيضاً أنه قال : من أحبني أو أحب من أحبني أو زارني أو زار من زارني أو صافحني أو صافح من صافحني ، فأنا ضمينه بالجنة . وحكي أنه عمّر في القطبية ثمانية عشر يوماً . وروي عنه أنه قال : من رضي بي شيخه فليشهد الله على نفسه أنه رضي بي شيخه دنيا وأخرى ، وأنا شيخه ولا يمدّ يده إلى أحد . وروي عنه أنه قال : من زارني ثلاث مرات يتعنى ما له حاجة إلّا زيارتي فأنا ضمينه بالجنة .

وكان الشيخ سعيد رضي الله عنه أمياً ويردّ على الفقهاء في المسائل الفقهية وعلى القاريء إذا غلط أو لحن ، وتوفي سنة إحدى وسبعين وستمائة ، وترثه مقصودة^(١) للزيارة والتبرك نفع الله به آمين ، وطبقت تاريخ وفاته بحساب الجمل على أحرف « ساء معشر » ثم نظمته فقلت :

سعيد الذي شاع فضله « ساء معشر » نقلته

وكذا طبقته على أحرف « شعر سما » ثم نظمت ذلك أيضاً فقلت :

هو العمودي الشيخ سعيد العلما تاريخ عام نقلته « شِعْرُ سَمَا »

(١) في (ط) : « مقصورة » .

وقال بعض الفضلاء من الصّالحين في ذلك أيضاً : [من الطويل]:

بسّث مئین کان تاریخ شیخنا	وإحدى وسبعين بذلك فاعلما
سعيد بن عيسى القطب واحد عصره	عمود لدين الله قدره معظما
ويجمع ذا التاريخ أعداد أحرف	إذا شئت فاعدها تجد « عرش سما »

* * *

سنة ست وستين بعد التسعمائة

● وفي سنة ست وستين توفي الإمام عبد القادر الشافعي رحمه الله ، ورثاه صاحبه الأديب الفاضل السيد محمد السمرقندي نزيل طيبة المشرفة - على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام - بهذه القصيدة وهي : [من البسيط]:

مات الإمام فعيشي بعده كدر	ودمع عيني لا ينفك ينحدِرُ
قضى ولم يقض لي من وده وطر	وأصبحت دُوره بعد العُلا الحُفرُ
يا ليتَه علني من بعد نهلتَه	علا به تشرف الأسماع والبصرُ
قد كنتُ أحذر هذا اليوم من عمري	لو كان ينفُخ في مقدوره الحذرُ
حتى رميتُ بسَهْمٍ ليس يمنعني	منه صديقٌ ولا خِذنٌ ولا وزرُ
مالي وما لليالي كلما جَنَحَتْ	سالمتها وهي لا تُبقي ولا تذرُ
حملتُ من جهلها ما ليس يخمله	قلْبٌ وما عجزت عن دركه الفكرُ
وأنت يا رائحاً عني وتاركني	ونارٌ وجدي في الأحشاء تستعرُ
إن جئت داراً أعز الله جانبها	وجادها المزنُ لا ينفك ينهمرُ
بلغ سلامي إلى من بالتراب ثوى	ما كان ظنِّي فيه ينزل القمَرُ
بلغ تحية محزونٍ إلى جدثٍ	به الذي عفّ منه الفرج والأُرُ
بلغ تحية محزونٍ إلى جدثٍ	به الذي طاب منه الخبر والخبرُ
إمام مكة عبد القادر بن أبي الـ	يمن الذي خيرٌ من قد أنجبت مضرُ ^(١)

(١) في (م) : «... طبر» تحريف ، وصوابه في (ط) .

من نبعة المصطفى الهادي أرومته
يا ابن الأئمة والقوم الذين هم
يا صاحب الرتبة المعذور حاسدها
إليك قد كان يُعزى الفضل منتسباً
قد كان وجهك في الإقبال قِبلتنا
أنت الذي كنت نِعَم المُستشار به
جعلت فضلك فيما بيننا نسباً
أرضعتني ثدي أنسٍ منك آلفه
تبدي التواضع للإخوان منبسطاً
كم خطبة لك عند البيت فائقة
لله كم من مقام بالمقام لكم
يبكي المقام على هذا الإمام كما
أبكي عليه وهل يشفي البكا كبداً
قد كان يجدي التآسي عنك دمع أسى
برغم أنفي أن يدعوك ذو أملٍ
وأن يرى ربك العالي وليس به
ماتت بموتك عُرْبُ كنت غيْثهم
سقى ضريحك صوب المُنزِن منتحباً
تاريخه « جنة الفردوس منزله »
والآل والصَّحب والأزواج ما نظموا^(٣)

أكرم بفرعٍ بذاك الأصل يفتحُر
على الحقيقة فينا الأنجمُ الزهرُ
إنَّ الحسودَ على مرماك ينعِذُر
واليوم فيك يعزى البدو والحضرُ
به تعزّزت الحجات والعمرُ
إذا دهّنتني في دنيائي الغيرُ
إذ كان في الأم والآباء مُنحصِرُ
واليوم عنك رضيعُ الأنسِ مُنقَصِرُ^(١)
ولو وُضِعت على هامٍ لهم شكروا
بها يسلسل عن خير الورى الأثرُ
حلّت بترديده الآيات والسُورُ
يبكيه منبرُ بيتِ الله والحجرُ
كادت لموقع هذا الخطبِ تنفطرُ
لو كان مثلك في أم القرى بشرُ
فلم يجنبه سوى الأطباق والسترُ
لكلّ ذي مقّة^(٢) وردّ ولا صدرُ
فكيف حالٌ غريب ما لهم مطرُ
حتّى يضاحك أقصى ثربه الزهرُ
ثم الصلاة على من حقه الحجرُ
أهلُ القريضِ مديحاً فيه أو ثنّوا

(١) في (ط) : « ... منقهر » .

(٢) المقّة : المحبة .

(٣) في قوله « .. نظموا » ألحق بالفعل علامة الجمع ، وحقه الإفراد ، وربما اضطره الوزن إلى ذلك .

● وفيها : قتل الوزير عماد الملك رحمه الله يوم سبع وعشرين في رمضان ، وقتل معه جمع منهم مصطفى القرماني عيدل خان وغيرهم ، قتلهم رجب خداوند خان ولد الخواجا صفر .

* * *

سنة سبع وستين بعد التسعمائة

● وفي يوم الجمعة تاسع عشرين من شهر رجب الحرام سنة سبع وستين :
توفي الشيخ الكبير والولي الشهير ، قدوة العارفين ، وحجة الله على
السالكين ، وجيه الدين عبد الرحمن بن الشيخ عمر بن الشيخ أحمد بن
محمد بن عثمان بن محمد العمودي^(١) - وهو الذي يلتقي فيه نسبه مع ابن عمه
الشيخ أحمد بن عثمان الذي تقدم ذكره -^(٢) بمكة المشرفة ، ودُفِنَ بالمعلاة ،
وكان من الأولياء الصالحين والمشايخ العارفين ، كثير العبادة والاجتهاد ،
عظيم الورع والزهد والمثابرة على الأعمال الصالحة مع الاشتغال بالعلوم
النافعة لوجه الله تعالى ، وكان مشاركاً في كثير من فنونها ، وكان يحفظ
« الإرشاد » في الفقه .

ومن مشايخه : الشيخ أبو الحسن البكري ، والشيخ الحافظ شهاب الدين
ابن حجر الهيتمي . وما أحسن قول الشيخ عبد القادر الفاكهي فيه حين ذكر أنه
أخذ عن الشيخ ابن حجر : أخذ عنه رواية أخذ شيخ عن شيخ كما قيل في أخذ
أحمد عن الشافعي ، ثم قال : ولعمري إن شيخنا العمودي هو أجل من أن يقال
في حقّه بعد انتهائه تلميذ^(٣) ويطلق ، وإن جلَّ الشيخ يعني ابن حجر ، وحسبك
بما أشرت إليه في التنبيه في أخذ أحمد عن الشافعي فإنه بديع يدرّيه أهله إذ فيه
توقير لمنصب [المشبه و]^(٤) المشبه به . انتهى .

ومن تصانيفه : « حاشية على الإرشاد » ، وكان أراد محوها فمنعه الشيخ

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠ / ٥٠٩ - ٥١٠) و« معجم المؤلفين » (١٦٠ / ٥) .

(٢) ينظر في أحداث سنة (٩٦٥ هـ) .

(٣) في (ط) : « تقيّد » وما أثبتناه في (م) .

(٤) ما بين الحاصرتين زيادة من (ط) .

ابن حجر من ذلك ، ومنها « النور المذرور » .

وكان كثير التعظيم لأهل العلم مع الخمول المفرط والتواضع الزائد والاستقامة والانقطاع إلى الله تعالى ، فلم يتزوج لذلك مدة عمره مقبلاً على الطاعة مذنساً .

وحكى الفاكهي أنه سمعه يقول : طلب مني الشيخ أبو الحسن البكري الحضور في الليل ساعة لاستماع درسه العام ، فما وافقته إلا امتثالاً لأمره الأكيد ، قال : فقلت له : ما سمعت؟ فقال : وقفت ساعة وأنا مشغول ولم أدر ما يقول ، وإنما وقفت امتثالاً أي لشغله بالأوراد التي لا رخصة عنده في تركها .

وروي أنه قدّم إلى تريم لزيارة من بها من المشايخ ، فاجتمع بالشيخ الكبير الولي العارف بالله شهاب بن الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ علي با علوي ، فأخبره بأنه اجتمع بالإمام الغزالي في غرفة بداره يقظة من طريق الكشف ، واستجاز منه كتبه فأجازه بها ، فطلب منه الشيخ عبد الرحمن أن يجيزه بها بالإجازة المذكورة ، فأجازه بذلك .

وكانت له أحوال فاخرة ، وكرامات طاهرة . قال الفاكهي : ومناقبه أفردتها برسالة .

قلت : وهو الذي طلب من الشيخ ابن حجر أن يشرح مختصر الفقيه عبد الله با فضل في الفقه .

جاور بمكة المشرفة سنيناً ، ومات بها رحمه الله تعالى ، وكان لا يقبلُ من أحد شيئاً .

وحكى أن الشريف أبو نمي سلطان مكة أرسل إليه بمائة دينار فلم يقبلها ، واستحى الرسول أن يردها على الشريف فبقيت عنده حتى مات الشيخ عبد الرحمن رضي الله عنه ، فأخبر الشريف عند ذلك ، فأمره بأن يدفعها إلى الشريف عبد الله بن الفقيه الآتي ذكره .

قال الفاكهي : وسمعت من لفظ شيخنا صاحب الكرامات الباهرة والمجاهدات المعلومات الظاهرة ، ولي الله عبد الرحمن العمودي نفع الله به يقول : إنَّ شخصاً من آل العمودي يخرج من مقبرة المعلاة وهو من السبعين الألف الشافعة ، ولا أعلم في المعلاة من العموديين أجلّ منه وإن كان بها عمه وآخرون منهم . بل سمعت منه أيضاً ما دلّ دلالة صريحة : أن أباه الشيخ عمر المدفون بالقنفذة من السبعين الألف الشافعين ، ولا يستعظم هذه المنقبة عليه وعلى أبيه إلا جاهل بحالهما ولو من مخالطيه ، ومن أراد الوقوف على عنوان مناقبه وعلي مراتبه ، فليقف على كتابي « إرشاد المغني والفقير إلى فضل التقشف والرضا باليسير » ، فإنني شرحت فيه بعض أحواله وأشرت إلى جمع كراماته الدالة على قطبيته وكماله ، بل إن أراد أوسع منه فليطلبه فربما يعثر عليه ، فإنني أرجو جمع كتاب واسع في كراماته بعد تتبعها من أهل جهاته وخصوصياته ضامّاً ذلك إلى ما عندي من كثير ، ولا ينبئك مثل خبير .

ومن نظمه هذه الأبيات في القهوة : [من البسيط]:

أسرارُ قَهوتنا خُذْها مَبِينَة	تُعِينُ سالِكنّا في اللَّيل ما سَهرا
وتشرُحُ القلبَ والأعضاء تبسطها	وتذهبُ الهمَّ والأحزانَ والكَدرا
فاشربْ فَدَيْتِكَ منها ما قدرت له	وقُـم نصحتك بالأسحارِ ما يَسرا
واخلصْ لَدَى نِيَةِ مَهما شربت لها	وَكُن كَيْساً ^(١) بها الخيراتِ مَدخرا
واقْتد بشربها مَمَّن مَضَى خَلْفاً	ذوي الصّلاحِ ولا تَقْتد بمن خَسرا
واسألْ إلهك أن يفضّلَ برحمته	على نبيِّك خيرَ الخَلقِ والبَشرا

وكان والده الشيخ عمر نفع الله به من كبار أهل العلم ، وكان يدرس ببلده قيدون ويفتي بها ، وحكي أنه ارتفع إليه اثنان في دعوى ، وكان أحدهما على الحق والآخر على الباطل ، فأشار عليهما الشيخ أن يصطلحا سترّاً للحال ، فأبى ذلك الرّجل الذي كان مبطلاً وقال : لا أرضى إلا بحكم الشرع ، فغضب

(١) في (م) : « كن كيساً . . . » وفي (ط) : « وكن كيئساً » ولا يستقيم الوزن في الروایتين .

الشيخ عند ذلك وقال : أما إذا كان هكذا فشهود الملاحف ما يجوزوا عندي ، وكان ذلك الشخص أعطى اثنين كل واحد ثوباً حتى يشهدا له ، فكاشفه الشيخ بذلك .

وحكى أنه دخل عدن في زمان الشيخ أبي بكر العيدروس ، فأضافه الشيخ أبو بكر وبالع في ذلك ، فلما رأى الشيخ عمر كثرة ما صنع خطر في قلبه أن هذا إسراف ، فالتفت إليه الشيخ أبو بكر عند ذلك وقال : أكرمناهم . قالوا : إسراف . فقال الشيخ عمر عند ذلك : أستغفر الله ، ولم يعلم الحاضرون بشيء من ذلك حتى حكى لهم الشيخ عمر بخاطره الذي خطر له ، وكاشفه الشيخ به .

وحكى ولده الشيخ عبد الرحمن العمودي رحمه الله عنه : أنه كان في مجلس وفيه جماعة من أهل الكشف ، فصدر من أحدهم سوء أدبٍ عليه ، فعوقب ذلك الرجل بالسلب في الحال .

وحكى أن الشيخ عمر رضي الله عنه بلغ رتبة القطبية وكان قد ولي المشيخة ببلاده قيدون بعد أبيه على طريقة سلفه ، فلما آل الأمر في ذلك إلى سفك الدماء ونحوه ورجوع أمر تلك المرتبة إلى قوانين الملك ترك ذلك وعزل نفسه زهداً فيها ورغبة فيما عند الله من الثواب . وكان في زمنه يسوس الخلق إلى قوانين الشرع الشريف ولا يحابي في الحق القوي على الضعيف ، فكرهته العامة لذلك وعزموا على أن يقتلوه ويولوا مكانه أخاه عثمان ، فأخبره بذلك فقال : ما يحتاج إلى هذا ، وتركهم وما يريدون وعزم إلى مكة المشرفة ، فلما قفل منها مات بالقنفذة ، وقبره بها مشهور وعليه بناء عظيم رحمه الله تعالى . وقيل : إنه دعا عند ذلك عليهم أن الله تعالى يبتليهم بسبع مثل سبع يوسف ، فاستجاب الله ذلك فمنعوا القطر هذه المدة حتى أقحطت الأرض ، ولاقى الناس بسبب ذلك شدة عظيمة ، وكانا صاحب الترجمة وأبوه هذا يكرهان ما يفعله بنو عمهم من حمل السلاح ونحوه ، وكانا ينكران عليهم أشد الإنكار . أعاد الله علينا من بركتهما في الدارين آمين .

وكانت وفاته في هذا القرن ولم أعلم تاريخه ، ولهذا لم أترجم له كما وقع لي في غيره ، وقد ذكرت السَّبَبَ في ذلك ، وإلا فهو حري بأن يذكر على الاستقلال ، كيف وهو أحد من تنزل الرحمة عند ذكره ، وهو غني بفضلته وشهرته عن الإطناب في أمره وترجمته .

● وفيها : كانت وفاة أحمد شاه بأحمد آباد قتيلاً .

● وفيها : جاء جنكيز خان إلى سرت وحرق دورها وخربها ، وخرّب أهلها واستأسر ، ثم صالحه صاحب سرت خداوند خان وذهب إلى بلده بروج .

* * *

[سنة ثمان وستين بعد التسعمائة]^(١)

ثم جاء^(٢) إلى سرت أيضاً عام ثمانية وستين وخرب جانباً من الكوت ، وأخرب جمعاً من أهل سرت ومنير وغيرهما من التجار والرعية ، ثم ذهب إلى بروج في أواخر شهر رمضان ، وكان ذهب من الكوت خفية ليلاً صاحب سرت خداوند خان ، فذهب إلى بلاد الكفار ، ثم وصل إلى أحمد آباد ثاني شوال ، ثم قتل آخر يوم من ذي القعدة يوم الثلاثاء بعد العصر ، قتله بجليخان^(٣) وأغا ريحان ورستم خان مع عسكرهم ، وفي العسكر جمع من عبيد خداوند خان هربوا منه من رهبته . وقد قلت في الواقعة المذكورة :

سمي حرام ذاق الحمام في مثله وفعل حرام في حرام من أعظم الوزر
ومعنى البيت : أن سمي شهر حرام - يعني رجب - ذاق الحمام ، وهو الموت ، في مثله يعني في شهر حرام أيضاً وهو القعدة ، وفعل حرام وهو القتل . في شهر حرام هو القعدة من أعظم الذنوب . ولا شك أن المعاصي إذا وقعت في مكان عظيم كمكة أو زمان شريف كالأشهر الحرم تتضاعف من الله سبحانه وتعالى العقوبة على مرتكبيها وهذا ظاهر .

وكان خداوند خان رحمه الله تعالى أميراً كبيراً ، جليل القدر ، رفيع المنزلة ، حسن الأخلاق ، كثير الإنفاق ، جميل الصورة ، طيب السيرة ، جواداً سخياً وشهماً ألياً شديد البأس ، محبباً إلى الناس ، متواضعاً مملوحاً ، لين الجانب ، مشهوراً في المشارق والمغارب ، كثير الإحسان والإفضال ،

(١) ما بين الحاصرتين لم يرد في (م) وما أثبتناه من (ط) .

(٢) يعني جنكيز خان .

(٣) رسم الكلمة في « شذرات الذهب » : « جلنجان » .

مقصوداً بشد الرجال ، محباً لأهل الخير والفلاح ، مجمعاً لأهل العلم والصلاح ، حسن العقيدة في الأولياء والصالحين ، محسناً إلى الفقراء والمساكين ، عظيم الصدقة والمعروف ، كثير الاحتفال بالوفود والضيوف ، وكان عريق الرئاسة ، حسن السياسة ، ظريفاً لطيفاً ، وفي آخر الأمر اعتراه نوع من الوسواس حمله على الاستيحاش من الناس اختل به نظام تدبيره ، فخذله وزيره ومشيره ، وقل معه معاونه وناصره ، وتفرقت بسببه عنه عساكره ، والكمال لله . فكان هذا هو السبب في زوال الملك عنه وظفر العدو به ، ونفور الناس منه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وللشيخ العلامة أبي السعادات الفاكهي فيه مريثة عظيمة وهي : [من البسيط]:

والْمَوْتُ يَدُو بِبَطْشِ الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ	الدَّهْرُ فِي يَفْظَةِ وَالسَّهْوِ ^(١) لِلْبَشَرِ
قَبْلَ التَّدَثُّرِ لِلْأَجْسَادِ بِالْحُفْرِ	وَالسَّامُ أَصْعَبُ كَأْسٍ أَنْتَ ذَائِقُهُ
إِنْ كُنْتَ ذَا رَيْبٍ فَاسْأَلْ عَنْهُ وَادْكُرْ	لَا مِينَ فِيمَا أَقُولُ لَا وَلَا رَيْبَ
كَذَا السَّلَاطِينِ وَالْأَقْيَالِ مِنْ مُضَرٍ	وَاسْأَلْ زَمَانَكَ عَنْ كَسْرِي وَقِصْرِهِ
كَانُوا وَكَانُوا وَهَذَا أَعْظَمُ الْعِبَرِ	أَفْنَاهُمُ الدَّهْرُ حَتَّى صَارَ ذِكْرُهُمْ
أَجْرَى دُمُوعاً عَلَى الْأَخْدَادِ كَالْمَطَرِ	يَا وَيْحَ نَاعٍ أَتَى يَوْمًا يَخْبِرُنَا
كَأْضَلُهُ مَنَبِعِ الْإِحْسَانِ وَالظَّفَرِ	أَتَى بِرَأْسِ رَيْسٍ كَانَ مَفْخَرُنَا
بِمَوْتِهِ مَا صَفَتْ أَرْوَاحٌ مِنْ كَدَرِ	أَبُو الْأَرَامِلِ وَالْأَيْتَامِ وَالْغُرَبَا
أَبُو الرِّعْيَةِ مِنْ أَنْثَى وَمِنْ ذَكَرِ	أَبُو الْمَشَايخِ وَالْأَشْرَافِ وَالنَّجْبَا
مَرْجَبٌ قَدْ بَرَاهُ اللَّهُ مِنْ صَفَرِ	خَانَ عَظِيمٌ لَهُ رَجَبٌ سَمِيَ رَجَبِ
وَبَيْتِ سَلْمَانَ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالظَّفَرِ	أَكْرَمَ بِهِ وَفُرُوعَ مِنْهُ قَدْ بَسَقَتْ
أَصْلُ الْفَخَارِ إِلَى حِينٍ مِنَ الدَّهْرِ	هُمْ الْأَكَابِرُ أَصْلًا ثُمَّ فَرْعُهُمْ

(١) في (ط) : « .. والسهو للبشر » تحريف ، وما أثبتناه عن « م » .

تَبَا لِنَاعِقِ بَيْنِ صَاحِ يَنْبُنَا
أَبكى الفحولَ مع الأبطالِ أجمعها
أَبكى الأسودَ مع النَمورِ مع الظبا
أَبكى الرعيّة والفتوة والندى
أَبكى المواكب والأملأك قاطبةً
أَبكى الرمالَ كذا الأطلالَ نادبةً
أما التجارُ فقد صاروا بأسرهم
يا ويحَ « سِرّت » ما سرتَ لساكنها
لبس السّواد رعاياه ولم يُلْمُوا
كانت شجاعته في كل مُعْتَرِكٍ
وكم خصائص فيه ما لها عدد
لو كان يسمُعُ أهل الروم كيف جرى
لكن نصرَ إله جلّ ناصرنا
تاريخُ ميّته سلخُ لَقْعَدَتِنَا
أما السنون فإني سوف أرقمها
لا غرو أن « الشهورَ حازها رَجَبٌ »
خوِطَبَ كاصل له مذ كان في صغر
فاعجب لهذي الدّنا لا تحتسم أحداً
فقل لمن غرّ في دُنياه كنّ يقطاً
كيف التّحدّرُ والأقدارُ سابقه

أَبكى الدماء وأبكى الجنّ مع بشرٍ
أَبكى الخيولَ كذا الأفيال فاعتبر
أَبكى الدّيار وأعماها مع البَصْرِ
أَبكى البريّة من ساه ومدكرٍ
أَبكى المراكب والأفلاك ذو الدسرِ
أَبكى القفارَ مع الأنهار والبحرِ
كالشاةِ تَخشى شرور^(١) كلّ ذي أشرٍ
الله يحفظها من طارقِ الغيرِ^(٢)
لكنّ حكمَ القضا جاري بلا نكرٍ
كيومِ ميرانِ أسنى من سنا القمرِ
ومكرمات بلا عدّ لمستطيرٍ
لجَهّزُوا الجيش للغارات في الأثرِ
يكفي ويجعلُ من عاداه في عبرِ
يوم الثلاثا مساء منه فادكرِ
بحمرة بحساب الجمّل البهرِ
فَزُدْ كفرِدِ عظيمِ القدرِ في الشهرِ
خان خداوند ساد الناس في كِبَرِ
قد أسست صفوها دأباً على كَدَرِ
لها المصارعُ في غَفلات مُختَدِرِ
لا بدّ منها على الأرواح والصّورِ

(١) رواية الشطر الثاني من البيت في (م) و(ط) : « .. تخشى شر ذي ... » وبه يُكسر البيت ، ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٢) رواية الشطر الأول من البيت في (م) و(ط) (مختلة الوزن ، ولعل صواب الرواية « يا ويحها سِرّت ... » .

لو كان يفدى من الأموات سيّدنا
يا ربّ ترحمه تغفر لمعشره
ورضّ عنه خصوماً أنت تعلمهم
وعمّ أهلاً وأحباباً وكل فتى
وخصّ أصلاً له أيضاً قرابته
يا ربّ وارحم لميتهم^(١) وميتنا
يا رب واحرس لكوت ثم ساكنه
واغفر لمنشئها حقاً وسامعها
يا ربّ احمي الإسلام وحوزته^(٢)
يا ربّ وانصر لدينك كلّ ناصره
يا ربّ يا ربّ أنت الله مُقْتَدِر
يا ربّ واستر بفضل كل معترف
مِنَ الفعّالِ مع الأقوالِ أجمعها
يا ربّ يا ربّ يا رحمن يا صمد
واحفظ لمن قد بقي وأبقيه في رَغد
ثمّ الصّلاة على المُختارِ صَفْوَتِهِ
كذا السّلام عليه دائماً أبداً
وخصّ من بعده آلاً وعترته^(٣)

كنّا فديناه بالأسماع والبصير
تجعل مآثره أبهى من الدّرر
وخصّه بعلا الجنّات والسرر
يهوى لخير وبالخيرات مُشْتَهَر
الله يحفظهم بالعلم والسور
يا ربّ واعمّم بخير منك وانتصر
واحفظ لحافظيه وصفيهم من الكدر^(٤)
وارحم لراقمها في الطرس والسطر
من الضلال وأهل الكفر والفجر
يا ربّ وانعم بجبر كلّ مُنْكَسِر
أنت الغنيّ فأغنّ كل مُفْتَقِر
بالهفو فيما فاه من عورٍ أو من عثر^(٥)
يا ربّ يا ربّ يا ساتر على العثر
اغفر لمن قد مضى في غابر الدّهر
وجمّل الكلّ واحمل كل ذي العسر
خير البريّة من فهرٍ ومن مُضَرٍ
صلى عليه إله الخلق والفطر
والتابعين له في كل مُفْتَخِرٍ

-
- (١) أقحمت بعدها في (ط) لفظة « فضلاً » وبها يختل الوزن .
(٢) كذا رواية هذا الشطر في (م) و (ط) وهو مختل الوزن .
(٣) كذا رواية هذا الشطر في (م) و (ط) وهو مختل الوزن .
(٤) كذا رواية الشطر الثاني في (م) و (ط) وهو مختل الوزن .
(٥) تصحفت في (ط) إلى : « وعثرته » .

وكان الشيخ أبو السعادات المذكور من المشمولين بعنايته والمنتظمين في سلك نعمته كغيره من العلماء والصلحاء ، فإن « سرت » في أيامه السعيدة كانت طافحة بالمشايخ والفضلاء ، ومشحونة بأكابر الناس من سائر الأجناس ، مملوءة بأعيان التجار والأكابر وشجعان الجنود والعساكر ، وكانت عامرة أشد العمارة ، يجلب إليها سائر البضائع والنفائس للتجارة ، وكان يسافر منها عدة من المراكب والسفن إلى سائر النواحي كمصر وغيرها من المدن ، وكانت الرعاية في أعظم أمان وسرور دائم بلا أحزان ، والناس في أرغد عيش وأنعم بال ، والوقت في أطيب صفاء وأسر^(١) حال ، والقلوب مطمئنة والشرور مستكنة^(٢) . حتى قال بعضهم [سرت]^(٣) سرّت الخواطر وقرت النواظر - يعني لكثرة ما كان بها في زمنه من الأفراح وأسباب الانشراح . وبلغني أنه كان يجعل لكل من يدخل إليها من الغرباء مرتباً بحسب حاله ، وإذا أراد الذهاب كذلك زوده من ماله .

وبالجملة : فمحاسن هذا الرجل كثيرة ، وأخباره معروفة في الناس شهيرة ، رحمه الله تعالى وإيانا آمين .

● وفيها : في سابع جمادى الأولى توفي الشيخ الكبير القطب العارف بالله تعالى أحمد بن الشيخ حسين بن الشيخ عبد الله العيدروس^(٤) بتريم ، وكان من سادات مشايخ الطريقة المكاشفين بأنوار الحقيقة ، جُمع له بين كمال الخلق وحسن الأخلاق وبسط المعرفة وصحة النية وصدق المعاملة . مناقبه كثيرة وأحواله شهيرة .

ومن كراماته رضي الله عنه : كان مرة بمسجد في سماع عظيم ويده سبعة

(١) في (ط) : « في أطيب سناء وأستر حال » وما أثبتناه في (م) .

(٢) في (م) : « ساكنة » وما أثبتناه في (ط) .

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة في (ط) .

(٤) ترجمته في « شذرات الذهب » ص (٥١٣-٥١٤) .

يسر ، وكان كلما قال سبحان الله وبحمده ودرج الحبة فانفلقت أربع فلق وأقل وأكثر فأخذوها منه وقد انفلق منها أكثرها كذلك ، وأصاب بعض الحاضرين شيء من ذلك في بدنه فألمه .

وروى الولي الصالح الشهير أحمد بن عبد القوي با فضل أنه رأى الشيخ عياناً واقفاً بعرفات ، وشاهده مشاهدة يطوف بالبيت العتيق ويسعى بين الصفا والمروة .

ولسيدي الشيخ الوالد فيه مريثة عظيمة وهي : [من الكامل]:

تَقْضِي فتمضي حُكْمُهَا الْأَقْدَارُ	والصفوُ تحدث بعده الْأَكْدَارُ
والدهرُ أبلغُ واعظُ بفعاله	وكفى لنا بفعاله إنذارُ
نادى وأسمع لو وعَتْ آذاننا	وأرى العواقب لو رأت أبصارُ
قل للذي يغترُّ منه برونقِ	لا تغترُّ فخطيره أخطارُ
من ينظرِ الدُّنيا بعينِ فؤادهِ	كشفت له من خُبرها أخبارُ ^(١)
ما كنت قلت بأنَّ « تريم » تضعضتْ	أرجاؤها أو أنها تنهارُ
حتى نَعَى ناع شهاباً أحمداً	ابن الحُسين من العفيف مزارُ
العيدروس سرا سرا لله من	أسراره تسري به الأدوارُ
رفع الوليَّ ابن الوليَّ ابن الولي	من جدّه خيرُ الورى المختارُ
أرواحهم بالعرشِ قنديل يضي	كشعاعِ شمسٍ زادها الأنوارُ
ما إن ذكرت فضائلاً في أحمد	إلا وهيجَ حُزني التَّذكارُ
فسقى الحيا تابوت قبرٍ قد ثوى	وتعاهدت تابوته الأمطارُ
آه على وادي ابن راشد بعده	واستبهمت من بعده الأسرارُ
قد كنت نوراً في تريم ظاهراً	تُقضى به الحاجات والأوطارُ
هيهات ما إن للمنيّة دافعُ	أبدأ ولا لحياتنا استقرارُ

(١) في (م) : « ... أعبار » .

قد قال لي بلسان حالٍ مُفصح لَمَّا احتسبت لربنا القَهَّارُ
 هوّن عليك فكلّ حيٍّ مَيّت والدَّهرُ في أبنائه دَوَّارُ
 فليَنظُرَنَّ أهْلَةً منكم فقد طلّعت في سما العُلا أقمارُ^(١)
 لا زالَ منكم في الولاية سيّد ما غرّدت في أيّكها الأطيّارُ
 وقد ضمنها التاريخ في قوله « العيدروس سرا سرا لله » .

* * *

(١) كذا الشطر الثاني من هذا البيت ، وهو مختل الوزن .

سنة تسع وستين بعد التسعمائة

● وفي ليلة السبت خامس عشر صفر الخير سنة تسع وستين توفي الشيخ الكبير والقدوة الشهير العارف بالله تعالى أبو محمد معروف^(١) بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد مؤذن ابن عبد الله بن محمد بن أحمد جمال بدوَعان^(٢) ، وكانت ولادته بِشَبَام^(٣) في ليلة الجمعة حادي عشر شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة ، وكان كبير الشأن ، ذا كرامات ظاهرة وآيات باهرة ، وبلغني أن مناقبه أفردتها بعض الفضلاء بتصنيف رحمه الله . وكان من المشايخ المشهورين والأساتذة الكبار المذكورين بتربية المريدين وتخريج السالكين ، وكان ذا جاه عظيم وقبول عند الخاص والعام . وسبب خروجه من بلده إلى دوعان أنه كان وشي به إلى السلطان بدر الكثيري في أشياء منها : فرط اعتقاد الناس فيه وامثالهم لأوامره ونواهيه . فأمر بنفيه من البلاد بعد الإشهار بإهانتة بين العباد ، فنودي هذا معبودكم يا أهل شبام ، وجعل في عنقه حبلاً وطيف به بين الأنعام .

ومن غريب الاتفاق أن السلطان أمر بعض أمرائه أن يتولى فعل ذلك منه بنفسه ، وكان ذلك الشخص من معتقدي الشيخ المذكور ، فتوقف لذلك ، فأرسل إليه الشيخ معروف قدس الله سره : أن افعل ما أمرت به وأنا ضميناك

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠ / ٥٢١-٥٢٠) .

(٢) دوعان : موضع بحضرموت ، وذكره ياقوت ، بعين مهملة بعدها نون مباشرة ، « معجم البلدان » (٢ / ٤٨٤) .

(٣) شَبَام : جبل عظيم فيه شجر وعيون ، وشرب صفاء منه ، انظر خبره في « معجم ما استعجم » (٢ / ٧٧٨) و« معجم البلدان » (٣ / ٣١٨) وفيه أن في اليمن أربعة مواضع اسمها شبام : شبام كوكبان ، وشبام سُحَيْم ، وشَبَام حراز ، وشَبَام حضرموت ، وهي إحدى مدينتي حضرموت ، والأخرى تريم ، ولعل شَبَام الأخيرة هي بلد المترجم له .

على الله بالجنة . فانظر إلى مشهد هذا الشيخ العظيم الذي يرى الأشياء كلها من الله الحكيم ، وما وقع عليه من الامتحان له فيه أسوة بغيره من الأعيان أراد الله أن يرفع به في درجاتهم ويضاعف بسببه في ثوابهم وحسناتهم ، على أن هذه الطائفة العلية كما قيل في نعوتهم السنية : إنهم رضي الله عنهم يتلذذون بالبلاء كما يتلذذ غيرهم بالنعيم ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

● وفيها : صار بحضرموت حريق البرد المشهور^(١) .

● [وفيها توفي الفقيه محمد بن حسين بن الشيخ محمد النهاري دعسين ، وكان فقيهاً عالمياً محصلاً ، وكان أكثر إقامته بجهة إصاب وغيرها من الجبال وأقام بحصن المصباح^(٢) عند الفقيه شهاب الدين أحمد بن محمد بن يحيى الجهمي الأشعري نحو ثمانية عشر عاماً ثم انتقل من عنده إلى بني جعفر العبدريين أصحاب جبل ريمة^(٣) . ذكره شيخنا شيخ الإسلام عبد الملك بن عبد السلام في كتابه « قرة العين بمعرفة بني دعسين » . قال : وإنه قرأ الفقه أولاً على الفقيه الإمام العالم العلامة برهان الدين إبراهيم بن العلامة أبي القاسم الحكمي بيت الفقيه ابن حشبير وختم عليه « التنبيه » و« المنهاج » ثم انتقل إلى تلك الجبال المصابقة لتلك الجهة ولقي جماعة من العلماء وأخذ عنهم وانتفع بهم ، ثم انتقل بعد ذلك إلى جهة إصاب وأخذ على من بها من الفضلاء ، وأنه ألف كتاباً مختصراً في المسائل التي خالف الشيخين الإمام الرافعي والإمام النووي فيها القاضي الإمام العلامة صفى الدين أحمد بن عمر بن محمد بن عبد

(١) الكلام الذي سيأتي ، مما وُضع بين الحاصرتين ، لم يرد في (ط) وورد في (م) فقط .

(٢) وهو حصن في وصاب (إصاب) السافل ، ويطل على مدينة زَبِيد من شرقها . ذكره في « معجم المدن والقبائل اليمنية » ص (١٥٤) باسم (الداشر) .

(٣) ريمة : اسم مشترك بين عدد من البلدان ، أشهرها : ريمة الأشايط ، وريمة جَبْلان ، وهو من أشهر جبال اليمن خصباً ، انظر « معجم المدن والقبائل اليمنية » (١٨٧-١٨٨) .

الرحمن بن القاضي العلامة الكبير نجم الدين يوسف بن محمد بن علي بن محمد بن حسان المَزْجَد - بفتح الجيم - السَّيفِي الزَّيْدِي في « عبابه » وأنه عزا كل مسألة إلى من خالفهما فيها أولاً ثم ذكر من تبعه من المتأخرين ، وذكر أنه مجلد لطيف وسماه « فتح الوهاب فيما خالف فيه الشيخين صاحب العباب » ، وأنه وصل إلى المَخَا مرتين الأولى سنة أربع وستين وتسعمائة ، والأخرى سنة تسع وستين وتسعمائة ، وأنه لم يلبث بالمَخَا أولى المرات ولا عشرة أيام وفي أخرها أقام بها نحو ثلاثة أشهر ، وقرأت عليه في مدة إقامته من أول كتاب « الإرشاد » في الفقه إلى أثناء استقبال القبلة ، وأعطاني جملة من كتبه وفيها الكتاب الذي صنفه وسماه « فتح الوهاب » ثم عزم إلى قرية التُّرَيْبَةِ^(١) ومرض مرض الموت ، فنقله بنو عمه إلى جنة المَعَاصِلَةِ^(٢) فتوفي عندهم [٣] .



-
- (١) بلفظ التصغير . بلدة عامرة بالشرق من زَبِيد ، المصدر السابق ص (٦٩) .
(٢) المَعَاصِلَةُ : عزلة كبيرة من ناحية زَبِيد ، «معجم المدن والقبائل اليمنية» (٦٩) .
(٣) إلى هنا نهاية النقل عن (م) ، ويبدو أن هذا (السقط) لم يقف عليه ابن العماد الحنبلي فيما وقف عليه من مخطوط هذا السفر ، وإلا لكان ترجم للفقيه محمد بن حسين دعسين صنيعة مع من ترجم لهم من الفقهاء الذين ذُكروا في هذا الكتاب .

سنة سبعين بعد التسعمائة

● وفي سنة سبعين ثاني يوم من شوال : كان السيل العظيم الهائل بحضرموت الذي لم يُسَمَّع بمثله ، أخرج كثيراً من النخيل ، وأهل تلك الجهة يذكرونه إلى اليوم ويؤرخون به ، وهو المسمى عندهم سيل الإكليل^(١) ، وقد ضمن تاريخه صاحبنا الفاضل الفقيه عبد الله بن أحمد بن فلاح الحضرمي في بيتين هما : [من الكامل]:

سَيْلٌ بوادي حضرموت أذاه عم في نوء إكليل النجوم أخذ نسْمُ
وضعوا له تاريخَ ناسبَ جوره يلقاه من يطلبه في أحرف « ظلم »
ويقال إنه في قديم الزمان كان قد وقع سيل أو سيلان مثله أو قريب منه ،
ولا حول ولا قوة إلا بالله .

* * *

(١) ذكر خبره ابن العماد في « الشذرات » (١٠/٥٢٢) .

سنة إحدى وسبعين بعد التسعمائة

● وفي شهر جمادى الأولى سنة إحدى وسبعين توفي الشيخ الكبير والعلم الشهير تاج العارفين وبقية الأولياء الكاملين وجيه الدين الشريف عبد الرحمن بن حسين بن الصديق الأهدل اليمني^(١) قدس الله روحه بزَبيد ، وقبره بها مشهور مَزُورٌ وعليه قبة ، وكان من كبار المشايخ أرباب الأحوال الفاخرة والكرامات الظاهرة ، نهد إليه الزائرون من سائر الأقطار ، وقصد التبرك بفضله الخاص والعام من القرى والأمصار ، دائره مهبط الوفاد ومحط رحال القصاد ، ما قصده قاصد إلا وأحرز غاية المراد ، وفاز بالمدد المعنوي والمحسوس من فضل الله الجواد .

ولد رضي الله عنه سنة إحدى وتسعين وثمانمائة ، نشأ بمدينة زَبيد ، وقرأ بها القرآن العظيم ، وصحب جماعة من المشايخ ، وحكمه شيخ المعروف ابن إسماعيل الجبرتي ، ونصبه شيخاً وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، فقال للشيخ : يا سيدي أنا لا أقدر أقوم بما تقوم به المشايخ ، فقال له الشيخ : أنت حظك مطلق . وظهرت عليه آثار بركة المشايخ الصالحين ، وفُتح عليه فتوح العارفين حتى لحق من قبله وساد أهله وتضاءلت له^(٢) المشايخ الأكابر ، وشهد له بالتقدم على الأوائل والأواخر ، فأصبح فريد دهره ووحيد عصره ، منقطع النظر متصلاً مجده بالآثير ، كثرت أتباعه [و]^(٣) أصحابه من المشايخ والعلماء والقضاة والأمراء والوزراء والأغنياء والفقراء . وكان رحمه الله تعالى كثير الإنفاق ميسرة عليه الأرزاق ، ما قصده سائل فخاب ولا أمه وافد إلا ورجع

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠ / ٥٣٠) .

(٢) في (ط) « تضالت عليه » وهو تحريف ، وصوابه في (م) .

(٣) الحرف زيادة في (ط) وهي مما يناسب تمام المعنى .

بزلفى وحسن مآب ، يعطي مما يُعطى ويجيب داعيه بغير إبطاء ، يفرق ما يلقي إليه من الفتوح ، فكل ينال منه ما قُسم وخُط له في اللوح من ذهب وفضة وفلوس وكساء وغير ذلك .

وكان رضي الله عنه دأبه الإنفاق على الفقراء والمساكين خارجاً عن صدقات مخصوصة بأقوام ، وعن صلة ذوي القربى والأرحام ، وهو مع ذلك على قدم التوكل والفتح الرباني . وكان محباً للعلم وأهله ، معظماً مشاركاً في كثير من العلوم ، وجمع كتباً كثيرة في فنون شتى . وكان من حسن الخلق ولين الجانب ولطف الشمائل وسلامة الصدر وطلاقة الوجه والبشر ما يجلب عن الوصف . وكان إذا خرج من بيته يزدحم عليه^(١) الناس ويلتمسون بركته ، ورزق من القبول والمحبة والوجاهة ما يشهد أن له عند الله أعظم من ذلك ، وحببه الله إلى خلقه ، واعتقده الخاص والعام ، وانتشر صيته ، واشتغل به الناس اشتغالاً عظيماً ، الرجال والنساء والصغار والكبار ، حتى كان لا يكاد يخلو عنهم ساعة واحدة ، يتبركون به ويلتمسون دعاءه ، وكانت شفاعته لا ترد عند أولي الأمر فمن دونهم .

وكان صاحب كرامات خارقة وأحوال صادقة ، وانتفع به الناس انتفاعاً عظيماً ، وعلى الجملة فترجمة هذا الرجل لا تسعها الأوراق . ومن كراماته : أنه جاء إليه مريض وقد عظم بطنه من الاستسقاء ، فقرب إليه طعاماً وأمره أن يأكله جميعه ، فحسب أن فعل ما أمره زال عنه ذلك المرض في الحال واستوى بطنه . وكراماته كثيرة لا تنحصر .

وبالجملة : فإنه كان وحيداً عصره وفريدَ دهره ، لم يخلفه مثله في مصره . وشهرته تغني عن ترجمته .

ومن شعر والده الحسين : [من السريع]:

قد كان في سنة خير الورى صلى عليه الله طول الزمن

(١) في (ط) : « فيه » .

أَنْ لَا يَرِدَ الطَّيِّبَ وَالْمُتَّكَا وَالتَّمَرَ وَاللَّحْمَ كَذَاكَ اللَّبَنَ
ومنه : [من السريع]:

لَا أَعْتَبُ الدَّهْرَ وَلَا أَهْلَهُ فِي حَظٍّ مَقْدَارٍ وَلَا مَنَزَلَةٍ
نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ قَالَهُ إِلَهْنَا وَالْفَضْلُ وَالْعَدْلُ لَهُ
الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ لِمَنْ قَدْ جَرَتْ أَحْكَامُهُ بِالْقِسْمَةِ الْعَادِلَةِ
رحمه الله تعالى .

● وفيها : توفي الشريف العالم الفاضل النسابة نور الدين علي با جبهان با علوي .

● وفيها : فاضت أودية بمكة المشرفة بسيول عظيمة ، فدخل السَّيْلُ الحرم الشريف^(١) وعلا على الركن اليماني ذراعاً ، فقال مؤرخاً لذلك الأديب صلاح الدين القرشي رحمه الله تعالى في بيت مفرد وهو : [من السريع]:

يَا سَائِلِي تَارِيخَ سَيْلٍ طَمَأَ عَلا عَلَى الرُّكْنِ الِّمَانِي ذِرَاعُ
● وفيها : عمر والدي رحمه الله مسجده « بسرت » . فقال الشيخ الأديب عبد المعطي بن حسن با كثير المكي في تاريخ ذلك هذه الأبيات وهي : [من المتدارك]:

هَذِهِ بَقْعَةٌ شَرَفَتْ فِي الْأَزَلِ قَدْ حَوَتْ قُبَةَ نَزْهَتْ عَنْ مِثْلِ
شَقَّ فِيهَا ضَرِيحُ الشَّرِيفِ الْأَجَلِ مِمِّ حَامِيمٍ ذَا مُصْطَفَى فِيهِ حُلٌّ^(٢)
الْوَلِيُّ الْكَبِيرُ لِلْجَنَانِ انْتَقَلَ نَجَلٌ مِنْ قَدْ سَمَا فَوْقَ هَامِ الْقُلُلِ
الشَّرِيفُ شَيْخُ شَيْخِ الشُّيُوخِ الْأَوَّلِ سَيِّدِي الْعِيدْرُوسُ غِيثُ فَضْلِ هَظَلٍ
الصَّفِيُّ الْوَلِيُّ سَرَّ خَيْرِ الرِّسْلِ قَطْبُ هَذَا الزَّمَانِ الرَّفِيعُ الْمَحَلِّ

(١) ذكر ابن العماد الحادثة في « الشذرات » (١٠ / ٥٢٥) .
(٢) في (م) و (ط) : « .. ذاك مصطفى .. » وبه يخلط الوزن .

يا لها بقعة سرّها قد حصل
جاء تاريخه رافلاً في حلل
وبها مسجد فضله لم يزل
« مسجد خالص لوجه الله جل »^(١)

* * *

(١) في (ط) « .. تاريخه » رافلاً . . . وضع إشارة التنصيص من أجل تاريخ بناء المسجد على حساب الجمل بدءاً من كلمة « رافلاً » وهو خطأ على مبادئ هذا الحساب ، وصوابه كما أثبتناه من قوله « مسجد . . . إلى قوله : جل » .

سنة اثنتين وسبعين بعد التسعمائة

● وفي سنة اثنتين وسبعين توفي الشيخ العلامة عبد الله بن أحمد الفاكهي المكي الشافعي^(١) وأمه أم ولد حبشية ، وكان مولده سنة تسع وتسعين وثمانمائة ، وكان من كبار العلماء ، مشاركاً في جميع العلوم ، وله مصنفات مفيدة ، منها « شرح الأجرومية » و« شرح على متممها » للخطّاب^(٢) أجاد فيها كل الإجادة ، وشرح على « قطر ابن هشام »^(٣) في غاية الحسن وصنفه سنة ست عشرة وتسعمائة ، وكان عمره حينئذ ثمانين سنة ، وشرح على « الملحة » واستنبط حدوداً للنحو ، وجمعها في نحو كراسة ، ثم شرحها أيضاً في كراريس ولم يسبق إلى مثل ذلك .

وبالجملة : فإنه لم يكن له نظير في زمانه في علم النحو ، فكان فيه آية من آيات الله حتى قيل : إنه سيئويه عصره ، رحمه الله .

وحُكي أنه حضر في الجامع الأزهر وقارئ يقرأ « شرح القطر » على بعض المشايخ ، فأشكل عليهم بعض العبارات فيه ، فحلّها المذكور ، وذكر أنه هو الشارح فلم يصدقوه حتى أقام البينة على ذلك ، وشهد له من كان هناك من أهل مكة بذلك .

● وفيها : في ليلة الاثنين لعشر ليال مضت من شهر رجب الحرام توفي الفقيه العلامة عبد الله بن الفقيه الصوفي عمر بن الإمام العلامة عبد الله بن أحمد

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (٥٣٦/١٠) . و« الأعلام » (٦٩/٤) و« معجم المؤلفين » (٢٨/٦) .

(٢) في (م) : « الخطّاب » بالخاء المعجمة . وما أثبتناه في (ط) و« شذرات الذهب » (٥٣٦/١٠) .

(٣) هو المعروف بـ « قطر الندى وبلّ الصّدى » .

مخرمة^(١) بعدن ، وعمره خمس وستون سنة ، وكان آية في العلم خصوصاً الفقه والفلك . أخذ عن والده الفقيه الولي عمر ، وعمه العلامة طيّب ، والقاضي العلامة عبد الله بن أحمد با سرومي ، وكان يقول : إنني استفدت من هذا الولد أكثر مما استفاد مني . وجدّ واجتهد حتى برع ، وانتصب للتدريس والفتوى ، وصار عمدة يرجع إلى فتواه ، وانتهت إليه رئاسة العلم والفتوى في جميع جهات اليمن ، وقصد بالفتاوى من الجهات النازحة والأقاليم البعيدة ، وكان عمه الطيب يقول : لا أستطيع ما يستطيع عليه ابن أخي في حل المشكلات ، وتحرير الجوابات على المسائل العويصات الغامضات .

وكان الشَّيْخ الإمام العلامة جمال الدين محمد بن الإمام عبد القادر الحباني يعظمه جداً ويرجحه على والده ، وكان معظمُ تحصيله عليه ، وجلُّ انتفاعه به . وممن أخذ عنه أيضاً من العلماء الأعلام وشيوخ الإسلام سيدنا وشيخنا الشَّيْخ العلامة الصَّالح الفقيه محمد بن عبد الرحيم با جابر .

ومدحه الأديب أبو زكريا الدَّمَشَقِي ببيتين وهما : [من الرجز]:

يا عُمَرِي الأَصْلُ أَنْتَ مالِكِي ونافعي بفضلِهِ بَيْنَ البَشَرِ
ها قَدْ رَفَعْتُ مَسْنَدِي إِلَيْكُمْ لِمَالِكٍ لِنَافِعِ لابنِ عُمَرَ

وبالجملة : فكلّامه وأبحاثه في كتبه وأجوبته تدل على قوة فطنته وغزارة مادته ، وكان مع ذلك يغلب عليه الحرارة حتى على طلبته ، وكان فيه على ما قيل بأو^(٢) مفرط والكمال لله ، وكان فصيحاً بليغاً فاضلاً في الأدب نادرة الوقت في النظم^(٣) والنثر ، وكان قد ولي قضاء مدينة الشَّعْر مرتين ، وفي آخر عمره أقام بعدن ، وولي بها مشيخة التدريس في مواضع متعددة .

(١) ترجمته في «شذرات الذهب» (١٠/٥٣٨-٥٣٦) . و«الأعلام» (١١٠/٤) و«معجم المؤلفين» (٩٥/٦) .

(٢) البأو : الكبير والفخر ، «لسان العرب» (بأي) .

(٣) في (ط) : «النظر» وهو تحريف وصوابه في (م) .

ومن تصانيفه : كتاب ينكت فيه على « شرح المنهاج » للشيخ ابن حجر الهيثمي في مجلدين ، و« فتاوى » كبيرة في مجلد ضخيم ، و« المصباح لشرح العدة والسلاح » و« شرح الرحبية » ، و« ذيل على طبقات الشافعية » للإسنوي ، ورسالتان في الفلك والميقات ، ورسالة في الربع المجيب ، وغير ذلك . ومن شعره : [من السريع]:

قُلْتُ سَلَامُ اللَّهِ مِنْ مُغْرَمٍ مَا إِنْ سَلَا عَنْكُمْ فَقَالُوا سَلَاً
فَقُلْتُ هَلْ تَرْضَوْنَ لِي وَقْفَةً قَالُوا : فَمَا تَطْلُبُ ؟ قُلْتُ : الْكَلَا

ومنه : وقد بلغه موت بعض أصحابه بالشُّخْر : [من الطويل]:

وكيف يقيمُ المرءُ في سُوحِ بلدةٍ وقد كان منها مَوْتُهَا وفَنَاؤُهَا
لئن صَحَّ هذا العلمُ فالشُّخْرُ بعدكم حَرَامٌ عَلَيْنَا ظَلُّهَا وفِنَاؤُهَا

ومنه :

يا قَرِيبَ الْفَرْجِ عَبْدُكَ عَلَى الْبَابِ واقِفْ
كَلِمَا آيَسَ تُزْجِي مِنْ جَنَابِكَ لَطَائِفْ

ومنه : [من البسيط]:

يا سَادَةً عَوْدُونِي كُلَّ مَكْرَمَةٍ لَا تَقْطَعُوا الْبَرَّ عَنْ مَمْلُوكِكُمْ وَصَلُوا
وَجَمِّلُوا الْحَالَ فَالْذُّنْيَا مَجَامِلَةٌ وَالْخَيْرُ أَبْقَى وَكُلُّ الْمَالِ مُتَقَلُّ

ومنه : [من الكامل]:

لَا تَنْسَ مَنْ لَمْ يَنْسَ ذِكْرَكَ سَاعَةً وَانْظُرْ إِلَيْهِ بَعِينَ وَدَّ وَاعْطَفِ
أَوَّلَيْسَ مَنْسُوباً إِلَيْكَ وَأَنَّهُ فَرَضٌ عَلَيْكَ « عَرَفْتَ أَمْ لَمْ تَعْرِفِ »

ومنه : [من الطويل]:

وقَائِلَةٌ بِاللَّهِ صِفْ لِي مَتِيماً أَضَرَّ بِهِ طَوْلُ النَّوَى كَيْفَ حَالُهُ
فَقُلْتُ عَلَى نَوْعَيْنِ : أَمَّا نَهَارُهُ فَيَكِي ، وَأَمَّا لَيْلُهُ لَا كَرَى لَهُ

ومنه - قاله وهو ببدر الموضع المبارك المشهور : [من البسيط]:

ذكرتُ في بدرٍ بدري عندما غرُبْتُ شمسُ النهارِ وضاءِ البدرُ بالأفقِ
فقليل : بدرك هذا؟ قلتُ : بينهما فرقٌ وشاهده في الليل والشفقِ
ومنه هذان البيتان - وقد ضمنهما قول أبي تمام « السيف أصدق أنباء من
الكتب » : [من البسيط]:

الواو من صدغه في العطف تطمئني والسيفُ من لحظه يومي إلى العطبِ
فحين ما حِزَّت قامَ الهجر ينشدني « السيف أصدق أنباء من الكتب »^(١)
وأيضاً هذين البيتين - وقد ضمنهما قوله أيضاً « سيد قومه المتغابي » : [من
الكامل]:

قالت أراك من الذكا في غاية جلست عن الإسهاب والإطنابِ
فعلام تبدي في الأمور تغايياً فأجبت « سيد قومه المتغابي »^(٢)
وأيضاً هذين البيتين - وضمنهما قول المتنبي « لكل امرئ من دهره
ما تعودا » : [من الطويل]:

وعاذلة أبدت لفقري توجُّعاً وقالت أذاك الفقرُ من جانبِ النداءِ
فقلتُ لها لا تطمعي في تغيري « لكل امرئ من دهره ما تعودا »^(٣)

(١) تمامه « في حده الحدُّ بين الجدِّ واللعب » وهو مطلع قصيدته المشهورة في مديح المعتصم إثر
وقعة عمورية « ديوانه » (٤٠ / ١) .
(٢) البيت بتمامه :

ليس الغبيِّي بسيد في قومه لكنَّ سيِّدَ قومه المتغابي
« ديوانه » (٨٧ / ١) .

(٣) تمامه : « وعادة سيف الدولة الطعن في العدى » انظر « القول الطيب في شرح ديوان أبي
الطيب » (١٧٩ / ٢) .

وأيضاً هذين البيتين في الاقتباس : [من المتقارب]:

وبا لكهفٍ من حاجرٍ فتيةٌ فنونُ الصَّبابَةِ من وصفِهِم^(١)
تري الشمسَ شمسَ البها والكمال تمرُّ « تزاور عن كهفِهِم »^(٢)

● فائدة تتعلق بالاقتباس :

ذكرها السبكي في « الطبقات » بعد أن أورد هذين البيتين للأستاذ أبي منصور البغدادي في الاقتباس وهما : [من الكامل]:

يا مَنْ عدا ثم اغتدى ثم اقترَف ثم انتهى ثم ازعوى ثم اغترَف
أبشر بقولِ الله في آياته « إن ينتهوا يغفرُ لهم ما قد سلف »^(٣)

قال : واستعمال مثل هذا الأستاذ أبي منصور مثل هذا الاقتباس في شعره فائدة . فإنه جليل القدر والناس ينهون عن هذا ، وربما أدى بحث بعضهم إلى أنه لا يجوز ، وقيل إنما ذلك يفعلهُ الشعراء الذين هم في كل واد يهيمن ، ويثبون على الألفاظ وثبة من لا يبالي . وهذا الأستاذ أبو منصور من أئمة الدين وقد فعل هذا ، والحافظ أسند هذين البيتين عنه في كتاب « السنن » .

● فائدة أخرى :

في اصطلاح أهل المعاني والبيان أنه إذا ذكر المتكلم - ناظماً أو ناثراً - في كلامه كلام غيره لا على حكايته ؛ فإن كان ذلك الكلام من عبارات القرآن أو الحديث فهو الاقتباس ، وإن كان شعراً فهو التضمين ، على اصطلاح المتأخرين ، وإن كان المتكلم نظم نثراً فهو العقد ، وإن كان نثر نظمياً فهو الحل ، وإن كان أشار إلى كلام غيره إيماء لا تصريحاً فهو التلميح ، وهي

(١) في (ط) : « وبالكهف من محاجر . . . » وهو تحريف ، وصوابه في (م) .

(٢) هي جزء من الآية (١٧) من سورة الكهف .

(٣) هي جزء من الآية (٣٨) من سورة الأنفال .

خمسة فنون : الاقتباس ، والتضمين ، والعقد ، والحل ، والتلميح .

ومن شعره أيضاً هذه القصيدة المشتملة على المواعظ الجامعة والوصايا النافعة وهي : [من الكامل]:

زَمَّ الرِّكَابَ وَخَلَّهَا عَنْ عَقْلِهَا^(١) ودع المَطَايا تترتمي في سُبُلِهَا
وابعدْ عَنِ الْأَوْطَانِ فِي طَلَبِ الْعِلَا واترك ديارَ الدُّلِّ عَنْكَ وَخَلَّهَا
لَا تَرْضَ مِنْ دُونِ النُّجُومِ بِمَنْزِلِ وترقَّ مِنْ طَلٍّ لَطَائِلٍ وَبَلَّهَا^(٢)
لَا تَرْجِعَنَّ الْقَهْقَرَى مِثْلَ الَّتِي نَقَضْتَ وَحَلَّتْ بَعْدَ عَزَمِ غَزْلِهَا
وَاسْمَعْ أُخِيَّ نَصِيحَةً مِنْ نَاصِحٍ إِنَّ النَّصِيحَةَ لَيْسَ يَخْفَى فَضْلُهَا^(٣)
انْظُرْ إِلَى اللَّهِ الْكَرِيمِ وَلُذْ بِهِ واقصدهُ فِي جُلِّ الْأُمُورِ وَقْلُهَا
وَإِذَا الْأُمُورُ تَضَايَقَتْ وَتَعَقَّدَتْ فاضرعْ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ الْمَرْجُوعُ لَهَا
وَاجْهَدْ عَلَى الْخَيْرَاتِ تَحَظَّ بِخَيْرِهَا واحذر يفوتك فرضُها أَوْ نَفْلُهَا
وَدَعْ الْمَعَاصِي وَالْغَوَايَةَ وَاسْتَقِلْ فاللهُ يَقْبَلُ مِنْ أَنْابٍ إِذَا لَهَا
وَالنَّفْسُ إِنْ تَدْعُو فَخَالَفَ أَمْرَهَا ودع الهَوَى إِنْ الهَوَى مِنْ فِعْلِهَا
فَإِذَا بَدَا لَكَ مِنْ رَفِيقِكَ زَلَّةٌ فاعْفِرْ وَلَا تَجْزِ الْمُسِيءَ بِمِثْلِهَا
وَالزَّفَقُ رَافِقٌ فِي أُمُورِكَ وَاصْطَبِرْ فالصَّبْرُ مِنْ خَيْرِ الْعُرَى وَأَجَلُهَا
وَإِذَا بُلِيَتْ بِشِدَّةٍ فَابْتِثْ لَهَا حَتَّى تُرَى مُسْتَبْشِرًا بِمَحَلِّهَا
نَظْرًا إِلَى أَنَّ الْمَقْدَرَ كَائِنٌ فعلامَ تَجْزَعُ يَا فَتَى مِنْ أَجْلِهَا
وَالصَّدَقَ فَالزَّمْ فِي حَدِيثِكَ كُلَّهُ والوعدَ أَوْفِ بِهِ فَذَاكَ أَجَلُهَا
وَاتْرِكْ مَصَاحِبَةَ الْكَذُوبِ وَمَنْ تَكُنْ عَادَاتُهُ عِنْدَ النَّمِيمَةِ حَمَلُهَا
وَتَغَاضَ عَنْ عَيْبِ الْأَنَامِ فَإِنَّ مَنْ يَطْلُبُ مَعَايِيهَا رَمَاهُ بِنَبْلِهَا

(١) الْعَقْلُ : الْحَبْسُ .

(٢) فِي (ط) : « .. وَيَكْهَى » تَصْحِيفٌ . وَالطَّلُّ : الْمَطَرُ الصَّغَارُ الْقَطَرُ الدَّائِمُ . وَالْوَيْلُ وَالْوَابِلُ : الْمَطَرُ الشَّدِيدُ الضَّخْمُ الْقَطَرُ .

(٣) رَوَايَةُ الشُّطْرِ الْأَوَّلِ فِي (م) : « وَاسْمَعْ نَصِيحَةً نَاصِحٍ فِي قَوْلِهِ » .

عَوِذْ لِسَانِكَ كُلَّ قَوْلٍ طَيِّبٍ
واحفظْ حقوقَ الوالدينِ وقم بها
وترقْ في العليا إلى غاياتها
وانصبْ لكسبِ المالِ كي تكفى به
فركوئِكَ الأهوالَ في تحصيله
بالمالِ يصفو الدينُ والدُّنيا معاً
فيه المكارمُ والمآثرُ في الوَرَى
فانهضْ له ودعِ الكَسالةَ إنَّها
واحذرِ كلامَ عصابةٍ من عَجْزها
تحتجّ في تفضيله بأدلةٍ
إِنْ كُنْتَ تَقْوَى أَنْ تقومَ بشرطِها
فالفقرُ كادَ يكونُ كُفْراً في الوَرَى
والنَّهْيُ عن جمعِ الحطامِ محلّه
أما الذي ينوي الحلالَ لكي يَصُنَّ
من غيرِ ما حرصٍ وغيرِ تكاثُرِ

فالقولُ من عقلِ الرِّجالِ وتُبْلِها
والأهلِ والأصحابِ واحملْ ثقلَها
فبجمعك الخيراتِ تجمع شملَها
مِنَ اللّثامِ في الاحتياجِ لبدلِها
عينُ الرِّجالةِ إِنْ تكن من رَجُلِها^(١)
والمالُ في أيدي الرجالِ كَعَقْلِها
وبه الصّلاتُ النَّامياتِ ووصلها
بئسَ الضَّجيعُ فلا تنم في ظلِّها
رضيتَ لباسَ الإفتقارِ وذلِّها
جهلتَ حقائقَ شَرِطِها في نَقْلِها
طوبى وإلاّ خلَّ عنها لأهلِها
قد قال ذلكَ فيه خاتمُ رسلِها^(٢)
من ليس يقصد عند ذلكَ عدلَها
عن وجهه ولكي يمنّ بفضْلِها
فثوابه متعينٌ فاقصدْ لها

* * *

(١) قوله : « من رَجُلِها » اي من رجالها . والرَّجُلَة جمع رجال . « اللسان » (رجل) .

(٢) في (ط) . . . خاتم رُطلِها » تحريف . وانظر « كشف الخفاء » للعجلوني : (١٠٧/٢ - ١٠٨) .

سنة ثلاث وسبعين بعد التسعمائة

● وفي يوم الثلاثاء ثامن عشر شهر رمضان سنة ثلاث وسبعين توفي الولي الصالح العابد الزاهد أحمد بن علوي^(١) بن المعلم بن محمد بن علي جحذب بن عبد الرحمن بن محمد بن الشيخ عبد الله بن الشيخ علوي بن الشيخ الفقيه المقدم با علوي نفع الله به ببلده تريم ، وكان يعد في حكم رجال الرسالة لشدة ورعه وتقشفه واستقامة طريقته ، روي ذلك عن الشيخ الولي عبد الرحمن بن عمر العمودي نفع الله به .

وله في الزهد والتقلل من الدنيا حكايات لعله لا يوجد في تراجم كبار الأولياء أكثر منها ، ولم يتقدموه إلا بالسبق في الزمان .

ومن كراماته : أنه لما عزم بنية الحج في البحر رئي يشرب من مائه ، فقليل له في ذلك ، فقال : أليس كلُّ أحدٍ يشربه؟ فأخذ بعضهم ما بقي في الإناء فشربه فإذا هو حلّو . وكُفَّ بصره آخر عمره ، وحصل عليه قريب انتقاله جذبةٌ من جذبات الحق اندهش بها عقله ، وتحير لبه ، وانغمر بها سره ، وأخذ عن نفسه ، فكان يقوم إلى الصلاة بطريق العادة وهو مأخوذ عن حسّه ، وربما صلّى إلى غير القبلة ، وذلك لما استوى عليه من سلطان الحقيقة فتلاشت العبدية في كعبة العندية ، ونُودِيَ بفناء الفناء من عالم البقاء ، ورفعت القبلة وما بقي إلا الله : ﴿ فَأَيِّنَّمَا تُولُؤْا فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ ﴾ [البقرة : ١١٥] ، ومكث كذلك نحو أربعة أيام ، ومات رضي الله عنه . ولي فيه :

سلامٌ مِن الله على روح سيّدي مغيثٌ كلِّ ملهوفٍ ومكروبٍ صفر اليدي
أبا جحذب المشهور عوني وعمدتي شهابٌ لدين الله غايَةُ مقصدي

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠ / ٥٤٠) .

شبيه الفضيل بن عياض وأمثاله ومن كان في أسلوبه فرد مفرد
لقد حيرت أوصافه كل ناظر
ومن في أوامر ربه كان أمة
فيا سيدي لا تنسني منك بنفحة
وليس يخفى عليك مرادي سيدي
وقر عيوننا لي وطيب خاطري
ألا يا أولياء الله أجيبوا صارخاً
يريد أموراً أنتم أهل لقضائها
فأزرى بالعباد في كل مشهد
فيا فوز من كان بآثاره يقتدي
فليس بعد الله غيرك مُعْتَمِدِي
فحقق رجائي وبرد كبدي
وأسعف بما قد رمت منك وأسعد
لبابكم يهرع راج ومُجْتَدِي
فقولوا حَبِينَاهُ بِالْعَزِّ السَّرْمَدِي

● وفيها : في ليلة الاثنين خامس عشر شوال توفي العلامة الصالح الفقيه محمد بن الشيخ حسن بن الشيخ علي بن الشيخ أبي بكر بتريم ، وكان من العلماء العاملين والفقهاء البارعين ، وكانت له اليد الطولى في جميع العلوم سيما في الفقه والنحو ، وجاور بمكة لطلب العلم سنين . ومن محفوظاته : « الإرشاد » للمقري ، و« الألفية » في النحو . ومن مقروءاته : « المنهاج » ومقروءاته كثيرة . وكان متحلياً بالعبادة والنسك ، سالكاً على منهاج السلف الصالح ، مع السمت والصلاح وحسن الأخلاق .

وبالجملة : فإنه كان وحيد عصره ، ولم يخلفه بعده مثله رحمه الله .

وللشيخ العلامة أبو السعادات الفاكهي فيه هذه المراثية وهي : [من الكامل]^(١) :

قَلِقَ الْفَوَادُ وَبِالضُّدُودِ يُرَوِّغُ وَالْقَلْبُ دَابَّاً بِالْفِرَاقِ يُصَدِّغُ
أَلِفَ السَّهَادِ مَعَ الْجَفُونِ مُجَافِياً لِلنُّومِ لَا يَدْنُو وَلَا يَتَوَقَّعُ
مَا لِلْهُمُومِ مَعَ الْغُمُومِ تَصَاحَبَتْ يَوْمَ النَّوَى وَقْتَ الْجُمُوعِ تَجَمَّعُ

(١) الأبيات الخمسة الأولى من البحر (الكامل) ثم انتقل في سائر الأبيات إلى البحر (الطويل) .

تَبّاً لَشَخْصٍ لَا يَزَالُ مُلْذَعاً
 رَغِيّاً لِأَيَّامٍ مَضَتْ مَعَ سَادَةٍ
 لَعَمْرِي هُمُ الْقَادَاتُ حَقّاً وَإِنَّهُمْ
 وَلَا غَزَوَ أَنْ يَشْفَوْا عَلِيلاً وَيَشْفَعُوا
 أَسَوْفَ نَفْسِي بِالْوَصَالِ وَبِاللِّقَا
 فَيَا دَهْرَ كَمْ تَحْرَقُ وَتَغْرُقُ وَتَنْتَقِي
 صَبَرْتُ عَلَى حُلُوِّ الْقَضَاءِ وَمَرَّةٍ
 وَصَابَرْتُ قَلْبِي عَلَى يَظْفَرِ بَحْبَةِ
 فَيَا وَيْحَ نَاعٍ قَدْ أَتَانَا مَخْبِراً
 هُوَ السَّيِّدُ الْمَفْضَالُ حَبْرٌ وَعَارِفٌ
 وَأَعْنِي بِهِ بَحْراً مِنَ الْعِلْمِ جَامِعاً
 مَقْدَمُ سَادَاتٍ كَبَارِ أُمَمَةٍ
 كَذَا حَسَنٌ أَصْلٌ لَهُ ثُمَّ حُسْنُهُ
 فَبِاللَّهِ يَا عَيْنِي فَجُودِي بَعْدَمِ
 وَيَا بَنَ حَسَنُ مَنَبَعِ الْعِلْمِ وَالتَّقَى
 وَذَاكَ الْفَقِيرُ الْفَاكِهِيُّ عُيَيْدَكُمْ
 لَقَدْ مَاتَ يَا عَالِمُ بِمَوْتِكَ عَالِمٌ
 وَقَدْ نَقَصَتْ أَطْرَافُ أَرْضٍ لِفَقْدِكُمْ
 فَيَا رَبَّ يَا اللَّهَ تَحْسَنَ عِزَّائِنَا
 وَصَلَّى إِلَهِي ثُمَّ سَلَّمَ دَائِماً
 وَآلَ وَصَحْبَ ثُمَّ زَوْجَ وَتَابِعَ

بِالنَّارِ لَا يَهْدَا وَلَا يَتَقَلَّعَ
 كَانَتْ لِيَا لِينَا بِهِمْ تَلَمَّعُ
 هُمُ الذَّخِرُ فِي الْأُخْرَى بِهِمْ نَتَشَفَّعُ
 وَسَيَلْتَهُمْ جَدَّ شَفِيعُ مَشَفَّعُ
 فَيَفْجَأُنِي سَهْمُ الْفِصَالِ أُرْوَعُ
 خِيَاراً لَنَا مَا أَنَّ أَنْ تَتَرْجَّعُ
 وَقَدْ عَيْلَ صَبْرِي أَخْتَشِي أَنْتَجَزُعُ
 فَمَا رَاعَهُ إِلَّا حِمَامٌ مَقْطَعُ
 بِمَوْتِ فَقِيهِ جَامِعٍ وَمَجْمَعُ
 هُوَ السَّنْدُ الْمَطْوَالُ رُخْبٌ مُوسَّعُ
 وَبِرّاً رَحِيماً شَاسِعاً وَمَمْنَعُ
 مُحَامَدُهُ تَعْلُو شَيْوُخاً وَرَكَّعُ
 هُوَ الْحَسَنُ أَصْلاً ثُمَّ فِرْعَا مَفْرَعُ
 وَبِالْحَقِّ يَا أَجْفَانِ لِلنَّوْمِ وَدَّعُوا
 مُحَبِّ لَكُمْ أَمْسَى حَزِيناً مَقْطَعُ
 حَيَاةٍ لَهُ مَوْتٌ وَقَلْبٌ مُلْذَعُ
 وَقَدْ ثَلِمَ الدِّينَ الْقَوِيمَ الْمَمْنَعُ
 فَيَا وَيْحَ قَلْبَ بِالْفِرَاقِ مَجْذَعُ
 وَتَعْظَمَ لَنَا أَجْراً كَثِيراً مُوسَّعُ
 عَلَى الْمُصْطَفَى جَدِّ لَشَيْخِي مَشَفَّعُ
 وَحَمْدٌ لِرَبِّي بِالْخَتَامِ مُودَّعُ

● وفيها : توفي الشهاب القباني الحادي الشهير ، وله اليد الطولى في علم الموسيقى ، وقد أرّخ نقلته صلاح الدين القرشي بقوله : [من مجزوء الكامل]

الأنس من بغد الشها ب لَقَدْ توفى شيخه
والبسّط قال لموته القبض لي تاريته

● وفيها : عمّر القاضي حسين رحمه الله سبيلاً بأعلى مكة شرفها الله ،
وأرّخ ذلك بعض الفضلاء فقال هذه الأبيات : [من الخفيف]:

عين هذا الزمان أنشا محلاً وسط رَوْضِ الجنانِ عالي مَكَّة
فيه كرمٌ وروض أنس وورْدُ ومياهٌ كالْبَحْرِ تحمل فُلُكَّة
وقلال تجري بوسط سبيل سلسبيل لا يسع الناس تزكَّة
هو بذرُّ العُلا حسين بن طه مالكي المكيّ سيد مَكَّة
المنى والأمان بين يديه فلکم معسر من العسر فَكَّة
جانا تاريخُ ما بناه مَلِكي يملكُ المجدَ خَلَدَ اللهُ مُلْكَةَ

● وفيها : سافر الفقيه الفاضل محمد بن أفلح المكي من الهند إلى مكة في
مركب الوزير الغخان ، فغرق المركب ومن فيه ، فإنّا لله وإنا إليه راجعون .
وكان ابن أفلح فاضلاً بليغاً فصيحاً أديباً ذا ملح وحكايات واستحضار لبعض
الروايات . اشتغل بالعلم قليلاً ، وكان له فهم بالغ ، وسمعت من أثق به
يقول : إنّه لو اشتغل بقدر فهمه في العلم لكان وصل فيه إلى ما لم يصل إليه
غيره ، إلّا أنه كان يميل إلى اللهو والبطالات ، ويعجبه التماشي
والاجتماعات ، رحمه الله تعالى .

والظاهر أن أصله من اليمن ، وربما أظن أنّه من زَبِيد ، ومن ذرية الشيخ
أفلح المشهور الذي هو من السَّبعة الذين من زارهم قُضيت حاجته . وبلغني أنّه
درسَ بالهند في الفقه ، وقرأ عليه جماعة منهم : الفقيه الصّالح علي بن صبر
اليافعي مع أنّه لم يكن فيه بذاك حتّى إنّ الفقيهَ محمدَ بنَ سراج الحضرمي حضر
عندهم ذات يوم ، وكان الدّرسُ في باب استقبال القبلة ، فتوقف ابن أفلح في
حل مسألة ، وحلها ابن سراج المذكور .

ولابن أفلح أشعار فائقة إلا أنني لم أظفر من مقطعاته بشيء . نعم له قصائد متعددة في والذي وأخي السيد أحمد وهي في غاية ما يكون من الفصاحة والبلاغة .

وكان في ذلك المركب المذكور الفقيه محمد الزبيدي فغرق أيضاً ، وكان هذا الفقيه محمد من أهل الفضل والأدب ، وكان شافعي المذهب ، وقيل : إنه كان محققاً في علم الأصول . وله نظمٌ حسنٌ ، ورأيت له قصائد في مدح والدي . وكان مأخوذاً في ذلك المركب حسن علوان المشهور ، فغرق^(١) أيضاً رحمهم الله آمين .

* * *

(١) في (ط) : « فغرق » تحريف وصوابه في (م) .

سنة أربع وسبعين بعد التسعمائة

● وفي ثامن عشر جمادى الأولى سنة أربع وسبعين توفي الولي الصالح المجذوب عبد الله بن الفقيه محمد بن عبد الرحمن الأسقع با علوي بمكة ، وكان يوم موته مشهوداً ، وقبره بالشبيكة معروف يُزار . وكان من الأولياء العارفين والأئمة المقربين السالكين المجذوبين ، أولي الكرامات الخارقة والأنفاس الصادقة ، والمقامات العلية والأحوال السنية ، انتشرت مناقبه وعمت مواهبه ، وفاضت على الخليقة أسرارهِ ونفحاتهِ ، ووسعت البرية بركاتهِ . انتقل بأهله وولده إلى مكة وجاور بها إلى أن توفي بها ، وكانت مدة إقامته بمكة المشرفة أربع عشرة سنة ، وكان له بها جاه عظيم في الأنام وقبول عند الخاص والعام .

وحكي عن السيد الشريف شهاب الدين بن عبد الرحمن خرد با علوي : أن الشريف أحمد با رقة كان يصحب الشيخ أحمد بن حسين العيدروس ، والسيد أحمد بن علوي با جحدب ، والسيد عبد الله بن الفقيه الأسقع . وربما أنه كان يأمره بعضهم بضد ما يأمره به الآخر ، فشق ذلك عليه وتحير فيه ، فخرج إلى ضريح العيدروس وآلى على نفسه أنه لا يذهب من عنده حتى يعلمه بأحوال الثلاثة ، وبمن يقتدي به منهم ، فنام ، فكلمه الشيخ عبد الله العيدروس ، قال له : جئت تسأل عن أحوال الثلاثة؟ أما الشيخ أحمد بن حسين فبحر الحقيقة ، وأما السيد أحمد بن علوي فأفرده الله ، وأما عبد الله بن الفقيه فله نوبة تضرب في السماء ونوبة تضرب في الأرض ، وشرب من كأس الحميا حتى روي ، أو كما قال .

● وفيها : في رجب توفي الشيخ [الإمام شيخ]^(١) الإسلام خاتمة أهل الفتيا

(١) ما بين الحاصتين في (ط) .

والتدريس ، ناشر علوم الإمام محمد بن إدريس الحافظ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي^(١) السَّعدي الأنصاري بمكة ، ودفن بالمعلاة في تربة الطبريين ، وكان بحراً في علم الفقه وتحقيقه لا تكدره الدلاء ، وإمام الحرمين كما أجمع على ذلك العارفون وانهقدت عليه خناصر الملاء ، إمام اقتدت به الأئمة ، وهمام صار في إقليم الحجاز أمة .

مصنفاته في العصر آيةٌ يعجز عن الإتيان بمثلها المعاصرون [وفتاويه في الدهر غاية يقصر عن بلوغ مداها العالمون]^(٢) فهم عنها قاصرون ، وأبحاثه في المذهب كالطراز المذهب طال ما طاب للواردين من منهل تدريسه صفاء المشرب ، وطال ما طاف حول كعبة مناسكه من الوافدين من يريد وفاء المأرب ، فوقع له قلم الباري في إرشاد المقري والقاري ، كواكب سياره في منهاج سماء الساري يهتدي بها المهتدون تحقيقاً لقوله تعالى ﴿وَيَا نَجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل : ١٦] . واحد العصر ، وثاني القطر ، وثالث الشمس والبدر . من أقسمت المشكلات أن لا تتضح إلا لديه ، وأكدت المعضلات أليتها أن لا تتجلى إلا عليه ، لا سيما وفي الحجاز عليها قد حجر ، ولا عجب فإنه المسمى بابن حجر .

ولد في رجب سنة تسع وتسعمائة ، ومات أبوه وهو صغير ، فكفله الإمامان الكاملان علماً وعملاً : العارف بالله شمس الدين بن أبي الحماثل ، وشمس الدين الشَّتاوي ، ثم إنَّ الشمس الشَّتاوي . نقله من بلده محلة أبي

(١) ترجمته في « الكواكب السائرة » (١١٢/١١١/٣) و« شذرات الذهب » (١٠/٥٤١-٥٤٣) و« معجم المؤلفين » (١٥٢/٢) و« الأعلام » (١/٢٣٤) ومقدمة التحقيق لكتاب « تحرير المقال في آداب وفوائد يحتاج إليها مؤدبو الأطفال » ص (١٣-١٥) تحقيق محمد سهيل الدَّيس ، بإشراف محمود الأرناؤوط . وثمة خلاف في سنة وفاة المترجم له ، ففي « النور السافر » أنه توفي سنة (٩٧٤) وفي « شذرات الذهب » أنه توفي سنة (٩٧٣) ولعل مصدر الخلاف في ذلك ما ذكره الغزي في « الكواكب السائرة » من أن وفاته كانت في مكة عام (٩٧٣) هـ وأن الخبر بوفاته وصل إلى دمشق عام (٩٧٤) هـ .

(٢) ما بين الحاصرتين سقط من (ط) .

الهيتم إلى مقام القطب الشريف سيدي أحمد البدوي نفع الله به ، فقرأ هناك على عالمين به في مبادئ العلوم ، ثم نقله في سنة أربع وعشرين ، وهو في سن نحو أربع عشرة سنة إلى الجامع الأزهر مسلماً له إلى رجل صالح من تلامذة شيخه الشناوي وابن أبي الحمائل ، فحفظه حفظاً بليغاً ، وجمعه بعلماء مصر في صغر سنه فأخذ عنهم ، وكان قد حفظ القرآن العظيم في صغره .

ومن مشايخه الذين أخذ عنهم : شيخ الإسلام القاضي زكريا الشافعي ، والشيخ الإمام المعمر الزيني عبد الحي السنباطي ، والشيخ الإمام الفقيه مجلي النفس الشافعي ، والشمس بن أبي الحمائل ، والشمس الشهدي^(١) ، والشمس السمهودي ، وابن العزّ الباسطي ، والأمين الغمري ، والشهاب الرّملي الشافعي ، والطّيلاي الشافعي ، والشيخ الإمام أبي الحسن البكري الشافعي ، والشمس اللقاني الضيروي ، والشمس الطهراني ، والشمس العبادي ، والشمس البدوي ، والشمس بن عبد القادر الفرضي ، والشمس الدلحي ، والشهاب النطوي . والشهاب الرّكسي ، والشهاب بن عبد الحق السنباطي ، والشهاب البلقيني ، والشهاب ابن الطحان ، والشهاب ابن النّجار الحنبلي ، والشهاب بن الصّائغ رئيس الأطباء ، وأذن له بعضهم بالإفتاء والتدريس وعمره دون العشرين . وبرع في علوم كثيرة من التفسير والحديث وعلم الكلام وأصول الفقه وفروعه والفرائض والحساب والنحو والصرف والمعاني والبيان والمنطق والتّصوف .

ومن محفوظاته في الفقه : « المنهاج » للنّووي ، ومقروءاته كثيرة لا يمكن تعدادها . وأما إجازات المشايخ له فكثيرة جداً ، وقد استوعبها رحمه الله في معجم مشايخه . وقدم إلى مكة في آخر سنة ثلاث وثلاثين حجّ وجاور بها في السّنة التي تليها ، ثم عاد إلى مصر ، ثم حجّ بعياله في آخر سنة سبع وثلاثين ، ثم حجّ سنة أربعين ، وجاور من ذلك الوقت بمكة المشرفة ، وأقام بها يؤلف

(١) في « شذرات لذهب » (٥٤٢ / ١٠) « المشهدي » .

ويفتي ويدرس إلى أن توفي ، فكانت مدة إقامته بها ثلاث وثلاثون سنة ، وذكر رحمه الله في معجم مشايخه قال : كُنْتُ بحمد الله ممن وقفت برهة من الزَّمان في أوائل العمر بإشارة مشايخ أرباب الأحوال وأعيان الأعيان لسماع الحديث من المسنين ، وقراءة ما تيسر من كتب هذا الفن على المفسرين ، وطلب الإجازة بأنواعها المقررة في هذا العلم الواسعة أرجاؤه الشاسعة أنحاؤه مع النَّاس ، والملازمة في تحصيل العلوم الآلية والعلوم العقلية والقوانين الشرعية ولا سيما علم الفقه وأصله تفريعاً وتأصيلاً إلى أن فتح الكريم من تلك الأبواب ما فتح ووهب ما وهب ومنح وتفضل بما لم يكن في الحساب ومراعاة نتيجة الاكتساب ، حتى أجازني أكابرُ أساتذتي بإقراء تلك العلوم وإفادتها ، وبالتصدي لتحرير المشكلة منها بالتقرير والكتاب وإشارتها ، ثم بالإفتاء والتدريس على مذهب الإمام المطلبى الشافعى ابن إدريس رضى الله عنه وأرضاه ، وجعل جنات المعارف منقلبه ومثواه ، ثم بالتصنيف والتأليف وكتبت من المتون والشروح ما تغني رؤيته عن الإطناب في مدحه والإعلام بشرحه ، كلُّ ذلك وسني دون العشرين بحلول نظر جماعة عليٍّ من العارفين أولي التصرف والشهود والتمكين وأرباب الإمداد الوافر وكنوز الإسعاف والإسعاد الباهر .

ثم جرَّدْتُ صارم^(١) عزمي وأرهفت حد فهمي في خدمة السنة المطهرة بإقراء علومها وإفادة مرسومها المستكتمة ، ولا سيما بعد الإتيان إلى حرم الله تعالى واستيطان بلده والتفرغ لإسماع المقيمين والواردين حيازة لنشر العلم والفوز بعلاه ومدده صادعاً^(٢) فوق رؤوس الأشهاد ، ليعلم الحاضر والباد أن من يَبِغ نفسه لمولاه يقطعها عن سائر الأغراض إلى حيازة العلوم وأولاه التي آل التغافل^(٣) عنها إلى اندراسها ، والتشاغل بالحفظ الفانية إلى تزلزل

(١) في (ط) : « صارف » .

(٢) في (م) : « صار » تحريف ، وصوابه في (ط) .

(٣) في (ط) : « التغفل » .

قواعدها وأساسها ، منادياً في كلِّ مجمع وناد وسمر عداد : عباد الله هلموا إلى شرف الدنيا والآخرة ، فإنه لا طريقَ أقرب في الوصول إلى الله من العلوم الشرعية المنزهة من أن يشوبها أدنى شوب من المطامع الدنيوية ، ومن ثم قال أئمة الفقه والعرفان ، كالإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان : إن لم تكن العلماء أولياءَ فليس لله وليٌّ في زمن من الأزمان ، لكنهم لم يريدوا صور العلوم بل حقائق تطهير القلوب ، ثم ملأها من معارف القوم دون شقاشق أهل الرسوم ، وكما أنَّ للصوفية سياحات لا بد منها كذلك لأئمة السُّنة رحلات لا يستغني أكثرهم عنها ، وشتان ما بينهما شتان . لأن نفع تلك قاصر على أهلها ، وهذه عامة النفع والإحسان ، ولذا دعا لهم ﷺ بأعظم دعوة وحباهم عن غيرهم بأفضل حبة فقال : « نَصْرُ : الله امرأٌ سمع مقالتي فوعاها فأذاها كما سمعها »^(١) ، ومع هذا العلو الشامخ والشرف الراسخ تهقر الزمان فركدت الهمم ولا سيما عن هذا العلم العلي الشأن ، حتى كاد أن يكون نسياً منسياً وأن يعدما كان أمره ظاهراً فعاد خفياً ، ولهذا كان الناس بعد أن فقدت الرحلة في طلب الإسناد إلى شاسع الأقطار يطلبون الإجازة بالاستدعاء بالكتابة من الأساتذة البعداء الديار ، وأما الآن فقد زال ذلك التقاحم في طلبه ، ونسي هذا التزامم في نيل رتبة ، وتقاعدت عنه الهمم إلى الغاية ، فأخلدت إلى أرض شهواتها عن طلب الدراية والرواية ، وذهب المسندون الجلة ومن كانت تزدهي بوجودهم الملة : [من الطويل]:

كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَجَوْنَ إِلَى الصِّفَا أُنَيْسٌ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرٌ^(٢)
لكن بحمد الله تعالى قد بقي من آثارهم بقايا ، وفي زوايا الزمان ممن تحمل عنهم خبايا ، وأنا أرجو أن أكون إن شاء الله من متبعيهم بحق ، ووارثيهم

(١) رواه الترمذي رقم (٢٦٥٨) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وله روايات أخرى من حديث زيد بن ثابت ، وأنس بن مالك ، وجبير بن مطعم ، رضي الله عنهم ، وهو حديث صحيح .

(٢) البيت لمضاض بن عمرو الجرهمي ، كما في « معجم البلدان » ٢/ ٢٢٥ (الحجون) .

بصدق ، لأنّي أخذته رواية وأتقنته دراية عن الأئمة المسندين ممن يضيق المقام عن استيعابهم ، ويجب الاختصار على مسانيد أشهر مشاهيرهم ، شيخنا شيخ الإسلام زكريا الأنصاري الشافعي ، ثم شيخنا الزيني عبد الحق السنباطي ، ثم شيخ مشايخنا بالإجازة [الخاصة ، وشيخنا بالإجازة]^(١) العامة ، لأنه أجاز لمن أدرك حياته ، وإنّي ولدْتُ قبل وفاته بنحو ثلاث سنين ، فكُنْتُ ممن شملته إجازته واشتملته عنايته ، حافظ عصره باتفاق أهل مصره الجلال السيوطي . انتهى .

ومن مؤلفاته « شرح المشكاة » نحو الربع ، و« شرح المنهاج » للإمام النووي في «جلدين ضخمين ، وشرحين على « الإرشاد » للمقري كبير ، وهو المسمى « بالإمداد » والصغير وهو المسمى « فتح الجواد » ، و« شرح الهمزية البوصيرية » وشرح الأربعين النووية و« الصواعق المحرقة في الردّ على أهل البدع والضلال والزندقة » و« كفّ الرّضاع عن محرمات اللّهُ والسّماع » و« الزّواجر عن اقتراف الكبائر » ، و« نصيحة الملوك » ، و« شرح مختصر الفقيه » عبد الله با فضل الحاج المسمى « المنهج القويم في مسائل التعليم » ، و« الأحكام في قواطع الإسلام » و« شرح العباب » المسمى « بالإيعاب » ، و« تحذير الثقات عن أكل الكفته والقات » وشرح قطعة صالحة من « ألفية ابن مالك » ، و« شرح مختصر أبي الحسن البكري » في الفقه ، و« شرح مختصر الرّوض » والأخير لم يتم ، وحاشية غير تامة على « شرح المنهاج » ، وحاشية على « العباب » ، واختصر « الإيضاح » و« الإرشاد » و« الرّوض » والأخير لم يتم ، « ومناقب أبي حنيفة » ، ومؤلف في الأصلين والتّصوف ، ومنظومة في أصول الدّين ، وشرح « عين العلم » في التّصوف لم يتم .

والهيتمي : نسبة إلى محلة أبي الهيثم من إقليم الغربية بمصر ، والسّعدي نسبة إلى بني سعد بإقليم الشّرقية من إقليم مصر أيضاً ، ومسكنه بالشرقية ، لكن انتقل إلى محلة أبي الهيثم في الغربية .

(١) ما بين الحاصرتين من (ط) فقط .

وأما شهرته بابن حجر فقليل : إنَّ أحد أجداده كان ملازماً للصمت لا يتكلم إلاَّ عن ضرورة أو حاجة فشبهوه بحجر ملقى لا ينطق فقالوا حجر ، ثم اشتهر ، بذلك . وقد اشتهر بهذا اللقب أيضاً شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني ، وكاد صاحب الترجمة يشبهه في فنه الذي اشتهر به وهو الحديث مع ما منحه الله به من الزيادة عليه من علم الفقه الذي لم يشتهر به الحافظ العسقلاني هذا الاشتهار كيف وهو سميّه ، فأشبهه اسماً ووصفاً ، وزادته نسبته إلى جوار الحرم الشريف شرفاً . وقد كنت نثرت فيه قديماً مشيراً إلى هذا الاسم الشريف فقلت : ابن حجر في البشر كالياقوت في الحجر ، يشاركها في الاسم ويفارقها في الوسم .

وللشيخ العلامة عبد العزيز بن علي الزمزمي المكي فيه شعر : [من البسيط]:

مَنكَ المَعَارِفُ فَاضَتْ عَذْبَةً وَلَكُمْ عَذْباً زُلَالاً فَاضَ مِنْ حَجَرٍ^(١)

ولصاحبنا الفقيه أحمد بن الفقيه الصّالح محمد با جابر : [من الكامل]:

قَدْ قِيلَ مِنْ حَجَرٍ أَصَمٌ تَفَجَّرَتْ لِلخَلْقِ بِالنَّصِّ الْجَلِيِّ أَنْهَارُ
وَتَفَجَّرَتْ يَا مَعْشَرَ الْعِلْمَاءِ مِنْ حَجَرِ الْعُلُومِ فَبَحَرَهَا زَخَارُ
أَكْرَمَ بِهِ قُطْباً مُحِيطاً بِالْعُلَا وَرَحَاؤُهُ حَقّاً عَلَيْهِ تُدَاوُ

● وفيها : توفي السلطان الأعظم سليمان بن سليم سلطان العثمانيين^(٢) ،

وكان عادلاً فاضلاً . وللأديب مامية الانقشاري في تاريخ وفاته شعر :

انْتَقَلَ الْعَادِلُ مِنْ دُنْيَيْهِ جَاوَرَ الرَّحْمَنَ وَالْمَوْلَى الرَّحِيمَ
قَالَتِ الْأَقْطَابُ فِي تَارِيخِهِ « مَاتَ سُلَيْمَانُ بْنُ سُلَيْمَانَ سَلِيمٌ »

وله فيه مرثية أجاد فيها كل الإجادة منها هذه الأبيات : [من الطويل]:

(١) كذا رواية هذا الشطر في (م) و (ط) وهو مختل الوزن .

(٢) الكلمة في (م) : « الروم » وما أثبتناه في (ط) . وانظر ترجمته في « العقد المنظوم » ص (٣٨١-٣٧٥) و « شذرات الذهب » (١٠ / ٥٤٩-٥٥١) و « تاريخ الدولة العلية العثمانية » ص (١٩٨-٢٥١) .

لقد جددَ البيتُ العتيقُ حدادَه
 كأنَّ بني العباسِ سنَّتْ سوادَها
 وكانَ عمادَ الدِّينِ في كلِّ حادثٍ
 وما كانَ عِلْمِي قبلَ فقدَ سما العُلا
 على عدِّ حِلْمِ حمى مُلكه حمى
 وجثته في الأرضِ أضحتْ دفينَةً
 بسبعِ أقاليمٍ بكى الناسَ واحداً
 فصبري وغفو العينِ سارٍ وسارحُ
 فكم حيَّ قلبٍ قد تقلَّبَ في الغُضا
 وكم أنفقَ الأموالَ في الغزو قائلاً
 شياطينُ أهلِ الكُفرِ ولَّتْ لأنَّها
 غزاهم بعزمِ كالشُّهابِ^(٣) وقد سَما
 أسودَّ لها كهف^(٤) الدروعِ مواطنُ
 وهي طويلة وأولها :

وقد وشَّحتْ طُزَرَ السَّوادِ المحامل^(١)
 عليه وبالأعلامِ قاستْ دلائلُ
 وسلطانُه بالنَّضْرِ للشرعِ حافلُ
 بأنَّ الثَّرى للثَّرى للثَّرى مَنازلُ
 وعن قوله كم قالَ راوٍ وناقلُ
 ومن شأنها تحوي الكنوزَ الجَنادلُ
 على السَّبعِ يطوي في الوغى وهو حائلُ
 ودمعي على الخدينِ هامٍ وهاملُ
 عليه وكم عَقَلَ غدا وهو ذاهلُ
 ألا في سبيلِ الله ما أنا فاعِلُ
 سليمان وافي وهو للشُّركِ خاذِلُ^(٢)
 ومن حوله عدَّ النُّجومِ جَحافلُ
 وغابتُها سُمُرُ القنا والعوامِلُ

لَعَمْرُكَ ما الأعمارُ إلا مراحلُ وفيها مرورُ الحادثاتِ مناهِلُ
 ولحسنها ذكرت منها هذه الأبيات ، وفيها إشارة إلى بعض مآثره
 رحمه الله ، ولولا خشية التطويل لأتيت بها جميعها ، فإن قاعدتنا في هذا
 التاريخ البسط في ترجمة العلماء والصلحاء دون غيرهم من السلاطين
 ونحوهم .

وحكي أنه لما مات السلطان سليم ، وتولى ولده سليمان سمع قائلاً

(١) في (ط) : « ... المحامد » تحريف ، وصوابه في (م) .

(٢) في (م) : « ... وهي للشُّركِ خاذل » وما أثبتناه في (ط) وهو المناسب للسياق .

(٣) في (ط) : « ... كالشُّهاب » تحريف .

(٤) في (ط) : « ... لهف ... » تحريف .

يقول : [من السريع]:

قُلْ لَشَيْطَاطِيَنِ الْبُغَاةِ اخْسَآوَا قَدْ أُوتِيَ الْمُلْكُ سَلِيمَانُ
ولمَامِيَةِ الْانْقِشَارِي أَيْضاً هَذَا الْبَيْتَانِ : [من الرمل]:

لَوْ يِقَاسِي قَيْسُ مَا قَاسِيَتِهِ لَشَكَى لِلنَّاسِ ضَرَّ الضَّرَّتَيْنِ
ذَاكَ مَجْنُونٌ بَلِيلَى وَخُدَهَا وَأَنَا الْمَجْنُونُ بَيْنَ اللَّيْلَتَيْنِ
قال بعض الفضلاء وقد وقف عليهما : عجب من رومي هذه الفصاحة .

قلت : ومثله أن الخليفة الناصر لدين الله لما سمع هذين البيتين : [من الطويل]:

إِذَا مَا رَأَيْتِي الْعَاذِلُونَ وَغَرَّدَتْ حَمَائِمُ دَوْحٍ أَيْقَظُهَا النَّسَائِمُ
يَقُولُونَ مَجْنُونٌ جَفَنَتْهُ سَلَاسِلُ وَمَمْسُوسٌ حَيٍّ فَارَقَتْهُ التَّمَائِمُ
وهما لتاج الطرمي^(١) الأصفهاني تعجب من ذلك وقال : ما ظننت أن أحداً
من العجم يصل كلامه إلى هذا الحد ، وبعث إليه بخلعة .

وكان الشاعر مامية الانقشاري المذكور حج في سنة خمس وستين
وتسعمائة ، وحصل له قبول عظيم ، وطارح أدباء مكة بأشعاره .

قال الشيخ عبد الرؤوف بن يحيى الواعظ تلميذ الشيخ ابن حجر الهيتمي في
وصفه : إنه ممن توخّد في عصره بصناعة الشعر وبرع في الصناعتين في الغزل
والنسيب ، وكاد أن يكون ثاني الحاجري في الرقة والتشبيب .
ومن شعره أيضاً في القهوة ، وهو تشبيه حسن : [من الخفيف]:

طَافَ يَسْعَى بِقَهْوَةٍ فِي مَقَامٍ شَمْسٌ حُسْنٍ سَمَا بِصُبْحِ الْمَحْيَا
كَأْسُهَا الْبَدْرُ وَالْحَبَابُ نُجُومٌ وَهِيَ لَيْلٌ تُجْلَى بِكَفِّ الثُّرَيَّا
ومنه : [من الخفيف]:

قَدْ شَرَبْنَا قَهْوَةَ بَنِيَّةٍ وَلَهَا شَرَبْنَا غَدَاً بِالنِّيَّةِ
لَوْ أَنَّهَا قَدْ حَكَى أَذَائِبَ مِسْكٍ أَوْ زَبَادَ وَسْطِ الزَّبَادِ الْجَلِيَّةِ

(١) في (ط) : « الطريق » وما أثبتناه في (م) .

ومنه : [من الوافر]:

أَتَتْنَا قَهْوَةٌ مِنْ قُشْرِ بَنْ تُعِينَ عَلَى الْعِبَادَةِ لِلْعِبَادِ
حَكَتْ فِي كَفِّ أَهْلِ اللَّطْفِ صَرْفًا زَبَادًا ذَائِبًا وَسَطَ الزَّيَادِ

ومنه أيضاً على لسانها : [من مجزوء الوافر]:

أَنَا الْمَعْشُوقَةُ السَّمْرَا ء أَجْلَى فِي الْفَنَاجِينِ
وَعُودُ الْهِنْدِ لِي عِطْرٌ وَذَكَرِي شَاعَ فِي الصَّيْنِ

ومنه أيضاً [من السريع]:

مَا زِلْتُ أَبْكِي جِيرَةَ الْأَجْرِعِ حَتَّى اسْتَغَاثَ الْغَيْثُ مِنْ أَدْمَعِي
وَدَدْتُ [من] ^(١) تَوْدِيعِ أَهْلِ اللَّوَى يَوْمَ النَّوَى لَوْ أَنَّ قَلْبِي مَعِي
يَابِينُ مَا شَتَّ امْتَحَنُ إِنْنِي لَوْلَا فِرَاقُ الْجَزَعِ لَمْ أَجْزِعِ
قَدْ مَسَّنِي ذَكَرَ عَيْبِ الْحَمَى حَتَّى لَقَدْ مَسَّ مَعِي مَسْمَعِي
وَانْقَطَعَ الصَّبْرُ وَضَاعَ الْقَوَى لَكِنَّمَا مَدَّ مَعِي مَذْمَعِي
يَا حَادِي الْبَيْنِ تَرَاءَى الْحِمَا فَلَعَلَعَ الْأَصْوَاتُ فِي لَعْلَعِي
لَمْ أَدْرِ هَلْ صُبْحٌ بَدَا بِالسَّنَا أَمْ أَشْفَرْتُ لَيْلَى عَنِ الْبُرْقَعِ

ومنه : [من البسيط]:

سَبَا الْعُقُولَ بِصَادٍ جَلَّ فَاطِرُهُ وَصَادَ قَلْبَ الْمَعْنَى وَهُوَ فَاطِرُهُ
غَزَالُ رَبْرَبٍ بِغَزَلِ الْجَفْنِ غَاظِلْنَا وَقَدْ غَزَانِي بِيضِ السَّوْدِ نَاطِرُهُ
فَرِيدٌ وَضَفٍ تَشَى قَدَّهُ هَيْفًا وَمَا سَ تَيْهًا عَلَى الْأَغْصَانِ نَاضِرُهُ
[إِنْ صَالَ بَاعَيْنَهُ أَسَدُ فَرَائِسِهِ أَوْ مَالَ مَايسَهُ فَالْقَلْبُ طَائِرُهُ] ^(٢)
نَبِيٌّ حُسْنٍ بَدَتْ أَنْوَارُ طَلْعَتِهِ تَهْدِي الَّذِي قَدْ أَضَلَّتْهُ غَدَائِرُهُ
مَا مِثْلُهُ بَشَرٌ فِي ثَغَرِهِ دُرٌّ فِي طَرْفِهِ حَوْرٌ هَارُوتُ سَاحِرُهُ

(١) سقطت من (م) .

(٢) ما بين حاصرتين ورد في (ط) ولم يرد في (م) .

لم أنسَ حينَ وَفا والوقت فيه صَفا
والهَمُّ منفرجٌ والقلبُ منبَلجٌ
وباتَ ينشدني والكأس في يدهِ
« باكر^(١) صَبوحك أهنا العيشِ بِاكرُهُ »

ومنه : [من الكامل]:

كلُّ الوجودِ تجلياتِ جمالهِ
نورٌ ولا شيء سِواه وإنهم
لا تشهدنَّ النقصَ لو في ذرة
وإذا رأى الإنسانُ نقصاً إنما
فاطلب ولو أفنيتَ عمرَكَ طالباً

ومنه : [من الخفيف]:

زمن الوردِ روح جسم الزَّمانِ
فدعاني وأودعاني بحانٍ^(٢)
كلَّ حوراء تفتنُ الحورَ حسناً
بدرٌ تمَّ يديزُهُنَّ نجومٌ
في رياضٍ أرضى الغمامُ ثراها
سيّما والرَّبيع حيّاً فأحيا
وبذرَ السَّحاب منشورٌ درٌّ
وتغنت بلابلُ الدَّوح لَمَّا
فتباهت وشقَّت الأرض شقّاً
ما أخلى الصُّبوح بين صباح

وحياة الثُّفوسِ نبت الزَّمانِ
والقياني بين القنانِ القيانِ
وجمّالاً تزهو على الولدانِ
في هلالِ الكؤوسِ شمس الدَّنانِ
فتراها قد زُخرفت كالجنانِ
ميّت الأرضِ بالحيا الهَتانِ^(٣)
نظمتُهُ مباسمُ الأقحوانِ
أن تجلّت عرائس الأغصانِ
وجلا الغصن وردة كالذهانِ
في صباح أتى يبشرى التَّهاني

(١) في (ط) : « بذكر... » تصحيف .

(٢) في (ط) : « .. وأودعاني بحسان » تحريف .

(٣) في (ط) : « ... الفتان » وما أثبتناه في (م) .

في رياضي تجننت فلهذا
 فاغتنم فرصة الزمان وبإذ
 ولعمري ما العمر إلا زمان
 ومنه مورياً بالنغمات : [من الكامل]:

ركبَ الحجاز نوى صعيد عراقها
 لما سرى ليلاً بسلمى قاصداً
 شمسٌ إذا رفعتْ سحبَ ردائها
 عجباً لعيني كيف أغرقها البكا
 ما علّم القمرى ينوحُ بشجوه
 ومنه هذا التخميس : [من الوافر]:

حبيبي زارَ في روضِ نزيه
 وجادَ برؤية الوجهِ الوجيه
 وحينَ سكرتُ بالأشجانِ فيه
 سقاني خمرة من ريقٍ فيه
 وأنعم لي بوصلي بعد صدِّ
 وقرّيني إليه بعد بُعدي
 وبثُّ وجيده من فوق زندي
 وبات معانقي خدّاً بخدِّ
 غزالٍ في الأنام بلا شبيه
 وأمسى الدهر طوعاً في يدينا
 وعينُ السعدِ ناظرةً إلينا
 وباتتْ شمسنا تُجلى لدينا
 وباتَ البدرُ مطّلعاً علينا
 سلّوه لا ينمّ على أخيه

(١) كذا الشطر الثاني ، وهو مختل الوزن .

ومنه هذا التخميس على البيتين المشهورين : [من الرافر]:

ألا طاعات نفسك فاجتنبها

وساعات الأمانى فارتقبها

وزبدة منحة أن تحتلبها

إذا درّت نياقك فاحتلبها فما تدري الفصيل لمن يكون

تحذر من أمورك واحتكمها

ومن دنياك فاقطع واتهمها

وسفن الصبر فاركب واستلمها

فإن هبت رياحك فاغتمها فإن لكل خافقة سكون

ومنه هذا التخميس أيضاً [من البسيط]:

يا مَنْ يروم من الإنسان رُفقتَه ويرتجي من أهيل الودّ صُخبَتَه

قد قالَ قبلك من عانى عَشيرَتَه

ما في زمانك من تصفو مَوَدَّتُه ولا صديق إذا خان الزَّمان وفا^(١)

فلا تعاشر فتى يرميك في نَكْد

وإن رآكَ بخيرٍ مات من كَمَدٍ

فما خلا جسدٌ في الدَّهر من حَسَدٍ

فعش وحيداً ولا تركز إلى أحدٍ إنني نصحتك فيما قلته وكفّا

● وفيها : في رجب ختم « صحيح البخاري » عند الأمير الصّالح الفخان

الحبشي بقراءة العلامة القاضي جمال الدّين محمد المهامي وعمل الفخان

لختمه ضيافة عظيمة ، وأنشأ القاضي المهامي في فضل البخاري خطبة ، وذكر

في آخرها : الفخان قرأها ذلك اليوم على رؤوس الأشهاد .

(١) في (ط) : « ما في زمانك تصفو . . . بإسقاط « من » وبه يُكسر الوزن ، وما أثبتناه في

(م) .

● وفيها : سافر والدي من بروج إلى أحمد آباد ، وأقام بها إلى أن توفي ، وكان يوم دخوله إليها يوماً مشهوداً ، وخرج لاستقباله منها من كان بها من الوزراء .

● وفيها : صنع الأستاذ شيخ الإسلام جمال الدين محمد بن الأستاذ شيخ الإسلام أبي الحسن البكري ضيافة عظيمة لتطهير أولاده الكرام ، واتفق في ذلك الوقت إتمام دار عمرها الأستاذ أيضاً ، فأنشأ الأديب البارع إبراهيم بن المبلط المصري في ذلك قصيدة بديعة في بابها ، فائقة بين أترابها ، مشتملة على المعاني الغريبة ، وما وقع في ذلك من الأمور العجيبة ، مع رقة الانسجام والجناس التام : [من الخفيف]:

وافق السعدُ في حماك الشُّرورا	وأمان الزّمان أرحى الشُّتورا
فتمتّع ونمّ وقمّ في قصور	لم يصلّ واحدٌ إليها قُصورا
إنّ رآها الحسودُ يوماً بعين	ينقلب طُرفه إليه حَسيرا
إنّ ربّ السّماء أعطاك فيها	فرحاً عاطفاً عليه سُورا
ودحى عنك حادثاتِ اللّياالي	وبنى بينها وبينك سُورا
لا تخفّ إن سمعت طارق ليل	فهو بالخير قد أتاك بشيرا
ما لهذا البناء في الحُسنِ واللّط...	ف وإن كان واسعاً وكَييرا
أسسوه على التقى فلهذا	هو بالخير لم يزل مغمُورا
شكر الله سَعْي من قد بناه	إنّهُ كان سعيُّهُ مشكُورا
ستوفى لك الأجور بما وفّ	يتّ للصّانعين فيه الأجورا
فبإتمامه أقم في هناء	وبختنِ البنين عِش مَسُورا
قُطعت سرّة لهم قبل هذا	لكنّ الآن طهّروا تطهيرا
وسياتي زواجهم عن قريب	فتأهبّ له وأعط المُهُورا
صاحبِي احضرا وليمة ختن	ودعا عنكما محالاً وزورا ^(١)

(١) في (ط) : «... وسرورا» تحريف لا يستقيم به المعنى ، وصوابه في (م) .

وانظروا مجمعا لهم ضمّ خلقاً
 عالماً صالحاً أميراً كبيراً
 فيقول الفقيه عني استنبوا
 فجهاتي مشغولة عن جهاتي
 والأصولي قائل بي اضطرار
 ويقول الخطيب للناس جهراً
 ويقول القاضي وللأكل يومي
 قد دعاني وليّ أمري وعندى
 وتقول الشهود جننا نؤدى
 وتقول القراء عنوان خير
 ويقول المجيد علم لغات
 والعروضي لا يُقَطَّع إلا
 وأخو النحو قد علاه اختلاط
 ويجز المنصوب من غير سوغ
 جملة الأمر أنهم أبصروا ما
 رق قلبي على رغيّف سبوط^(٤)
 وقباب الحلوى التي عرضوها
 والعزيزي من أياد طوال
 ولكم في السّماط رأس سميط

ليس يحصى أعدادهم تكثيرا
 قاضياً شاهداً غنياً فقيراً
 في جهاتي وعطلوها شغورا^(١)
 ولي العذر إن تركت الحضورا
 وتبيح الضرورة المحظورا^(٢)
 يا أولي الجدّ شمّروا تشميرا
 « كان ذلك في الكتاب مسطورا »^(٣)
 يستحقّ المخالف التعزيرا
 ما علينا ونترك التأخيرا
 نحن في رزقنا نرى التيسيرا
 بل لجوعان تعرفون نظيرا
 في لحوم ولم يُقَطَّع بحورا
 فهو يئدي ضميره المَشْتُورا
 ثم من بعد يرفع المجرورا
 حير العقل منهم تخيرا
 حين أبصرت قلبه مكسورا
 عن جموع السّلامة التّكسيرا
 خاف فازداد لونه تَصْفيرا
 وسليخ قد استوت تخميرا^(٥)

(١) في (ط) : « ... شهورا » .

(٢) في (ط) : « ... المحضورا » تصحيف .

(٣) في (م) : « ... لي مسطورا » والشرط في الحالين لا يستقيم وزنه .

(٤) في (ط) : « ... سيواط » تحريف ، وصوابه في (م) .

(٥) سَمِيط ، من سَمَطَ الجدّي والحَمَلُ يَسْمِطُه ، فهو مسموط وسَمِيط : نتف عنه الصوف ، ونظفه من الشعر بالماء الحار ليشويه « اللسان » (سمط) .

ودجاج معلوفة وأور
جمع الطييات طولاً وعرضاً
شبع الناس كلهم منه أكلاً
والذين اعتنوا بنقل قراهم^(١)
رضي الله فيه عن نقباء
فلإذا أبصروا بأيدي ناهية
وإذا قال قائل لنقيب
إن هذا رزق حلال مباح
فجميع الأنعام راضون عنهم
كم الوف من فضة وكذا من
لم يكن درهم ولا دينار
بل من الله قد أتت وبمحمد
ولكم أوقدت مصابيح نور
تشبه النجم كثرة وارتفاعاً
في ليالي بدا بها قمر الأف
وشموع كأنها ألفات
كلما مسّ نوره الريح أمسى
والحراقات في المراكب ترمي
صنعة الكيمياء في الرّفع والخف
كمروق السّهام دفعاً ورفعاً
أو كما فرّ طائر ملّ حبساً

كَانَ مِنْهَا الصُّدُورُ تَشْفِي الصُّدُورَا
ولعمري يستوجب التصديرا
وانتهاباً ولم يزل مستورا
ينقلون الصحيح والمشهورا
قد أجادوا التصريف والتدويرا
به^(٢) لم يظهروا له تأثيرا
ما تراههم يقول كن ستيرا
وأرى منعه لهم مخطورا
شاكرو الفضل غيبة وحضورا
ذهب قُدرت له تقديرًا
مُستَعِداً لهم ولا مَضْرُورا
أنفقت في الهنا وعادت حبورًا^(٣)
فيه حتى بدا الصّباح مُنيرا
وضياء على الأنعام ونُورا
ق منيراً فزادها تنويرا
في طُروس الظّلام خَطَّتْ سَطُورا
كلسان بين الشّفاة أديرا
شَرَرًا من قراضة مُستطيّرا
ض ترينا التّصعيد والتّقطيرا
وبروق السّماء لاحَتْ ظُهورا
فعلا شاهقاً وجاوز سُورا

(١) في (م) : « ... بنقد قراهم » .

(٢) في (ط) : « نابضية » .

(٣) في (ط) : « أجورا » .

أو كحلي في رأسه شربوس^(١)
أو كما قرطت سلاسل درّ
أو كما تبذر الحبوب لزرج
أو كخشخاشة بكفّ صغير
أو كما تنثر النقود نقوطاً
ولكم فصلت ثياب حرير
ولكم أطلق صنف بخور
ولكم سكر نقى مذاب
وترى الثقل والفواكه والحد
ولكم قد أدير قهوة بنّ
من تعاطى منها شهارة جهاراً
وخيام منصوبة لا يرى من
وتولى فينا ملك جديد
وله بالحليّ زينت الدّن
إن أردت اللحاظ تلقّ حريراً
واكتسى الرّوض من بدائع صنعا
واكتست قُضبه من الخلع الخضر
وأجادت رقصاً بأكمّام زهر
وفصاح الطيور غنت بلحن
ولجمع الأتراك يوم عظيم
والأغاوات والصنّاجق إلا
ودعا السّادة البنين وأعطا

قد تبدّا مقررعاً منشورا
وبدا حبّ عقدها منشورا
أو كما تنفخ الشفاة القشورا
لم يجد أكلها فصّب البزورا
أو كما تخرج الرّياض زهوراً
وغدا في اختلافها الأمر شورا
وشمّنا نشرأ لها وعيرا
في الأواني مكرراً تكريرا^(٢)
وى لجمع الورى أعدت فطورا
وسقينا منها شراباً طهورا
لا يرى في الورى عليه نكيرا
حلّ فيها شمساً ولا زمهريرا
دام فينا مـؤيداً منصورا
يا وأثرت ملابساً وستورا
أو أردت الجلوس تلقّ سريرا
ء موشى محبّراً تحبيرا
ر التي فضلها غدا مجرورا
عطر الكون نشرها تعطيرا
وأجاب المطوّق الشحرورا
كان يحوي الأمير والمأمورا
صاحب السّعد ما استطاع الحضورا
هم من المال مبلغاً مضرورا

(١) الرواية في (م) : « شربوش » بالمعجمة في آخره ، وما أثبتناه في (ط) .

(٢) في (ط) : « ... مكوراً تكريرا » تحريف ، وما أثبتناه في (م) .

وكساهم ملابساً فاخرات
 بعد إجلالهم بحسن تلقّي
 ثمّ قاضي القضاة جاء وأتبا
 والأميرُ المعظمُ دفتر دار مصر
 ويقول انظروا لعبد ولاكم
 أدباً منه واحتشاماً ولطفاً
 وممالكِك صاحب السعدِ جاؤوا
 نحو سبعين أو ثمانين شخصاً
 بالحيصات والعصائب صيغت
 والمزاميرُ والطُّبولُ بأيدي
 فغدا يومُ جمعهم وهو يحكي
 ثم كانت لهم نهارةً وليلاً
 من أولي الخير والصّلاح وأهل الـ
 ومن السادة الموقعين أصحابا
 وجميع الكتّاب إلّا قليلاً
 ثمّ باقي الأنام إلّا كبيراً
 قلت لولا جمالهم بثياب
 وقصور الشُّموع والزَّهر فاقت
 وزهت باختلاف شكلٍ ولونٍ
 ثمّ فيها الجنائب الغرُّ تزهو

صيّرت خاطراً لهم مَجبوراً
 به وإجلالهم محلاً أثيراً
 ع له كان جمعهم موفوراً
 يعطى الوقوف الكثيراً^(١)
 خدمةً فالأمير ليس أميراً
 زاده في مقامه تكبيراً
 جلّ من قد بَراهمُ تَضيّيراً
 كلُّ شخصٍ يحكي القضيبَ التَّضيّيراً
 من نضار صفا وأشرق نورا
 من يجيد التّطيل والتّزميزا
 بهم يومَ موكب مشهورا
 زفتُ تجمعَ الموالى الصّدُورا
 علم زيدوا على الورى توقيرا
 ب الدّواوين كان جمّاً غفيرا
 وجميع التجّار إلّا يسيرا
 أو رضيعَ ثدي صغيرا^(٢)
 لحكى البعث جمعهم والشُّورا
 كثيراً واستوت بها تقدير^(٣)
 زادهـا في جمالها تَزهيرا
 بلبوس قد شُهِرت تَشهيرا

(١) البيت مختلٌ في وزنه .

(٢) الشطر الثاني من البيت مختل في وزنه .

(٣) في (ط) في الشطر الأول « وتصور . . . » وفي الثاني « . . . واستوق . . . » وما أثبتناه في (م) وهو الأقرب لصحة المعنى .

عاليات وغاليات مهورا
وكسأهم من اللباس خريرا
والديهم يبغي بذاك الأجورا
ن مهم ضاهى المهم الكبير
عمرت حين أشبعت تعميرا
كم حوى طيباً وجاء زخوراً^(١)
فلذا أطبقوا عليه جُورا
فراه محرراً تحريرا
وحسوداً لآكلٍ وغيورا
اء والواعظين كانوا حُضورا
ينشدون الموشح المشهورا
كان بالخير كله معمورا
ت عظام يحتاج شرحاً كبيراً
فرح كـ ملّ عديم نظيرا
يقتضي حكم حاكم تسعيرا
ليتها ما انقضت ودامت شهورا
ومحى صفو عيشها التكريدا
وأمنّا المخوف والمخذورا
ه له الكون كله تسخيـرا
نعماً جمّة وفضلاً كبيراً
ليس تخفى على الأنام ظهورا
وقد كان للنبى نصيرا
من عدو في الغار يأتي مغيرا

من خيول مسومات جياذ
ولمن زفّ مع بنيه صغاراً
وتولّى أجر الحساب لهم عن
ثم في سابع الختان لهم كا
في اجتماع وفي مصابيح نور
وسماط مَرَكَبِ طبقات
فيه ما لا يعبرُ الوصفُ عنه
قاسه كلُّ ذي ذراع طويل
أمنوا عنده رقيباً نقيباً
والمشاهير بالدخول من القرّ
يقرؤون القرآن طُوراً وطُوراً
فظفرنا مغهم بإحياء ليل
كان هذا المهم حاوي مهمّا
نحو شهر يُقام في كل يوم
مغ غلاء الأقوات سعراً وإذ لا
يا لتلك الليال حسناً وطيباً
تمّ فيها السرور من كل وجه
وبلغنا من الزمان الأمانى
لسرور الأستاذ من سخر اللـ
وأفاض الإله منه علينا
وكراماته غدت بينات
من أبو بكر الإمام له جدّ
ورقيقاً وصاحباً وأنيساً

(١) في (ط) : « وحاز حُنورا » .

حاز إسناده علوّاً ورفعاً
 أخذ العلم عن أبيه عن الصّد
 لا تحف عينُ علمه عينَ ضدّ
 سيدي هذه هدية عبدٍ
 لو رأت درة النفيس الغواني
 فيه لبّ حُلُوّ المذاقِ وقشر
 مزج الجدّ منه بالهزل كيما
 عذره في تأخيرهِ رمَدُ في
 وشعاري التأخير دأباً ومعنى
 وعسى أن يحلّ بي نظراً من
 دمت في العالمين عمراً طويلاً
 وبقيت الزّمانَ مجتمع الشّم
 بالموالي أبي السرور وتاج الدّ
 ثمّ عبد الرّحيم أيضاً وزين الـ
 وأخيهم أبي المواهب ثمّ الـ
 ورأيت الجميع بالقرب حازوا
 قد حضرنا ولائماً ليس تُحصى
 ما رأينا ولا سمعنا بشيء
 ولقد قيل أرخوه فقلّنا
 وصلاةً من ربّنا وسلام
 ما أقيمت في شرع طه بموسى

درجاتٍ على الأنام وفُورا
 يق عن سيّد الوَرَى ماثورا
 فهي عين قد فجّرت تفجيرا
 من قريض قد غاصّ فيه البُحورا
 نظمتَه وقلّدتَه التُّحورا
 فخذ اللّبّ منه وارم القُشورا
 بانتقالاته يُرى محبورا
 عينه لم يزل به مَغذورا
 لم أزل في الوري به مغيورا
 لك فيلغي التّقديم والتّأخيرا
 كلّ عام تشي مهمّا كبيرا
 لـ بأولادك الجميع قَريرا
 ين والعارفين عاشوا دُهورا
 عابدين الذي استحق الظُّهورا
 أخوات الإناث تَلَوَ الذُّكورا
 عَمَلًا صالحاً وعِلْماً غزيرا
 وشهدنا جمع الأنام الكثيرا
 مثل هذا واسأل بذاك خبيرا
 فرخٌ مبهجُ القلوب سُرورا
 لنبيّ إلى الأنام بشيرا
 سنّة للخليل يهدي السرورا

سنة خمس وسبعين بعد التسعمائة

● وفي ليلة الأحد بعد صلاة المغرب حادي عشر رجب الفرد الحرام سنة خمس وسبعين توفي شيخ الإسلام مفتي الأنام ، علم الأئمة الأعلام ، محرر المذهب وطراز المذهب ، أستاذ المحققين ، سراج الظلمة ، ناصر السنة المحمدية بالحجج السنية والبراهين المضية ، أبو الضياء عبد الرحمن بن عبد الكريم بن إبراهيم بن علي بن زياد الغيثي المقصري^(١) - نسبة إلى المقاصرة بطن من بطون عك بن عدنان - الزبيدي بلداً ومولداً ومنشأ ، الشافعي مذهباً ، الأشعري معتقداً ، الحكمي خرقة ، اليافعي تصوفاً . وفي ذلك يقول رحمه الله تعالى [من الكامل]:

أنا شافعي في الفروع ويافعي في التصوف أشعريُّ المُعْتَقِدُ
وبذا أدين الله ألقاه به أرجو به الرضوان في الدنيا وغد
وصلّى عليه ولده مفتي المسلمين مفيد الطالبين الشيخ الإمام عبد السلام
بعد صلاة الصبح بالجامع المظفري بزبيد ، ثم حمل على رؤوس الجمل الغفير ،
وانسكب عليه الدمع الغزير ، ودفن إلى جنب والده بمقبرة باب القرتب من
مدينة زبيد ، وكان له مشهد عظيم لم تر الأعين مثله رحمه الله ورضي عنه أمين
أمين ، وخلفه بعده على الإفتاء والتدريس ولده المذكور وقدمه في ذلك
الجمهور ، وأفتى ودرس إلى أن أناخ بباب مولاه وعرس .

كان الشيخ عبد الرحمن المذكور شافعي الزمان انتشر ذكر فضله في
الآفاق ، قصدته الفتاوي من شاسع البلاد ، وضربت إليه آباط الإبل من كل ناد

(١) ترجمته في «شذرات الذهب» (١٠/٥٥٢-٥٥٣) و«معجم المؤلفين» (١٤٥-١٤٦) و«الأعلام» (٣/٣١١) .

للأخذ عنه والاقْتباس منه . وُلِدَ رحمه الله في شهر رجب الحرام سنة تسعمائة رأس القرن ، حفظ القرآن عن ظهر الغيب على والده ، ثم « الإرشاد » في الفقه على العلامة محمد وأخيه أحمد ابني موسى الصُّنْجَاعِي^(١) ، وشيخ الإسلام أحمد المُزَجَّد ، وتلميذه شيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن الطيب الطنبداوي^(٢) ، وبه تخرَّج وانتفع وأذن له في التَّدریس والإفتاء فدرس وأفتى في حياته وصحَّح له أجوبته ، وأخذ في التفسير والحديث والسِّيَر على الإمام الحافظ الضابط وجيه الدين بن الدَّيْبِيع ، وعلى الفقيه موسى بن عبد اللطيف المشرع ، وأخذ في الفرائض على الشَّيْخ العلامة فرد زمانه وشيخ شيوخ أوانه الصديق الغريب الحنفي ، وأخذ في الأصول على الفقيه الزاهد العارف بالله المفنن جمال الدِّين يحيى قتيب ، والعربية عن الفقيه الصَّالح الفاضل المقرئ محمد مفضل اللُّحْيَانِي . وجد واجتهد إلى أن رأى النفع ووجد ، وطالع الكتب مختصرها ومبسوطها حتى صار عيناً من أعيان الزَّمان يُشار إليه بالبنان وتعتقد عليه الخناصر ، وتلمذ له الأكابر .

وفي سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة حج إلى بيت الله الحرام وزار قبر النَّبِيِّ عليه أفضل الصَّلاة والسلام ، واجتمع بفضلاء الحرمين ، ودرس في الحرمين بمحضر من أعيان البلدتين الشريفتين كمفتي الحجاز شيخ الإسلام عبد العزيز الزمزمي وأمثاله ، وكان يقول : شربت من زمزم لثلاث : لأرجع إلى بلدي واجتمع بوالدي ، وأشتغل بالإفتاء ، وليرضى الله عني ، فوجدت خصلتين : رجعت إلى بلدي واجتمعت بوالدي ، وعُمِّرَ بعد ذلك زماناً طويلاً واشتغل بالإفتاء من سنة ثمان وأربعين وتسعمائة [بعد]^(٣) وفاة شيخه أبي العباس الطنبداوي ، وكان يقول : أرجو أن ألقى الثالثة ، وما ذلك على الله بعزيز .

(١) في (ط) : « الصنْجَاعِي » تحريف ، وصوابه في (م) « و » شذرات الذهب « (٥٥٢ / ١٠) .

(٢) في (م) : « الطنبداوي » .

(٣) ما بين الحاصرتين (ط) .

ولما مات شيخه المذكور تصدر للتدريس والإفتاء استقلالاً ، وصنّف ودرس الفقه بالجامع الكبير بزَبيد بمدرسة الوهابية والأشرفية والوائقية [من] (١) مدارس زبيد ، وله تدريس الحديث بجامع الباشا مصطفى النّشار بزَبيد أيضاً .

وكان من الفقر على جانب عظيم بحيث لا يملك إلا شيئاً يسيراً من الكتب ، وكان غالب أوقاته - كما كان يخبر عن نفسه - أنّه يصبح وليس عنده قوت يومه ، وهو مع ذلك لا يترك التّدريس ويسعى بعد تمام الدّرس في تحصيل قوت يومه . وأخبر رضي الله عنه أن امرأته وضعت ليلة ، ولم يكن عنده مما يعمل لذات النّفاس ولولدها حتى عجز عن المصباح في تلك الليلة وباتوا كذلك .

وكان تدريسه عن تحقيق ومباحثه في نهاية التدقيق ، لا يقعد للتّدريس حتى يطالع الكتب المبسوطة « كالوسيط » و« الخادم » و« الكوكب الوقاد » و« حاشية السمهودي » و« الروضة » . وقد يقعد أياماً يعتذر عن التّدريس لعدم المطالعة ، وطريقته أن يجمع الدراسة على درس واحد من أول النهار إلى مضي رבעه بذكر الدليل والعلة ، وما تفهمه العبارة ، وما يرد عليها ، ومن وافق ومن خالف في المصنفات والفتاوى والنكت والحواشي ، وتحضر في الدرس (٢) الكتب المبسوطة ، تورّد عليه الطلبة الأبحاث والإشكالات فما رأى من صواب قرره وما لا فلا ، ويطول المجلس بالمناظرة (٣) بين تلامذته [في] (٤) الأبحاث عن القواعد وعبارات الأصحاب ، وربما كان يجلس من أوله إلى آخره على مسألة واحدة ، وربما قام الشّيخ من مجلسه وإشكال المسألة ما ارتفع فيحله في مجلس آخر ، لأنّه كان وقافاً عند الإشكالات ، وربما تمرّ أيامٌ في تحقيق مسألة ، وهو في الحقيقة تدريس المذهب لا كتاب لأنّه كان يقول رحمه الله : أنا أدرس المذهب لا كتاب .

(١) ما بين الحاصرتين من (ط) .

(٢) في (ط) : « التدرس » تحريف ، وصوابه في (م) .

(٣) في (ط) : « بالمشاطرة » تحريف ، وصوابه في (م) .

(٤) ما بين الحاصرتين من (ط) .

وكان تدريسه في الأسبوع : السَّبْت والأحد والثلاثاء والأربعاء ، وله درس في الحديث بمنزله بعد صلاة العصر جميع الأسبوع لم يترك غير عصر الجمعة ، وختم عليه في ذلك المجلس كتب عديدة من التفسير والحديث والسير وغير ذلك ، وفي شهر رجب وشعبان ورمضان يقرأ عليه « صحيح البخاري » بالجامع المظفري بزَبيد بحضرة الجَمِّ الغفير من العلماء والطلّبة وغيرهم بأيديهم النُسخ العديدة نحو الأربعين نسخة وبين يديه هو « فتح الباري » ، وقد أخبر رضي الله عنه أنه رأى النبي ﷺ بالعين الشحمية حاضراً في ذلك المجلس ، ويحصل له في ذلك المجلس الخشوع والخضوع والسكينة والرّحمة ما لم ير في مجلس غيره ، ويكون ختم هذا الدرس صباح اليوم التاسع والعشرين من رمضان ، ويحضر الختم جمع عظيم من الخاص والعام وأمير البلد وقضاة الشرع ، وأجناس مختلفة من بوادي زَبيد ، ويكون جمعاً حفيلاً مشهود الخير والبركة ، وينشد فيه القصائد المبتكرة ، وتظهر بركة المجلس على من حضر . وكان يتبدىء مجلس الدّرس بالفاتحة وآية الكرسي ويس وتبارك والإخلاص والمعوذتين والصّلاة على النبي ﷺ والدّعاء . وقُصِدَ للفتوى المشكّلة من الحرمين الشريفين وأرض الهند والحبشة وحضرموت ، وقد يُقصد لها من البلد التي هي زَبيد ، فلا يعجل بالكتب عليها ، ويمهل فيها مدة طويلة ، ويفتش الكتب لها [ويجتهد ولا يمل ، وإذا علم أن لأحد عليها كلاماً أو على نظيرها] ^(١) يطلبه ، ولا يكتب عليها حتى يقف عليه ويبحث فيها مع أصحابه وغيرهم من أهل المذهب ، ويأمرهم بالتفتيش والاجتهاد ويأخذ ما عند كل واحد وينزله على فهمه ، ويبحث معه فيرد ما يقبل ما يقبل ، ويدأب في ذلك ويدأب الطلبة ، وإذا كانت المسألة مشكلة جداً أو مهمة جمع عليها كلام المتقدمين والمتأخرين وكتب عليها مؤلفاً ، وكل ما ذكرناه عنه من هذا الاجتهاد والتوقف والمهل والفحص والبحث والمناظرة والمنازلة والقبول

(١) ما بين الحاصرتين من (ط) فقط .

والرَّد من الورع والاحتياط في الدين . وحصل بينه وبين جماعة من أهل عصره مخالفات ومشاحنات في مسائل ، ولشيخ الإسلام ابن حجر الهيتمي مفتي مكة وغيره ، وكل منهم ألف وبرهن على ما يقول ، وهو يؤلف ويردُّ عليهم في مؤلفاته وفتاواه ، ينقل عبارات الأصحاب برمتها وألفاظها ، ويعيب على من يحذف منها أو يلخصها ، حتى بلغت مؤلفاته في ذلك نيفاً وثلاثين مؤلفاً .

وفي سنة أربع وستين وتسعمائة نزل في عينيه ماء فكفَّ بصره فاحتسبَ ورضيَ وقال : مرحباً بموهبة الله . وجاءه قداح فقال له : أنقشك ويصطلح بصرك ، وقال بعض أهل الثروة : وأنا أنفق عليك وعلى عيالك مدة ذلك ، فامتنع وقال : شيء ألبسني الله به لا أتسبب في إبطاله ، ومع ذلك لم يفقد شيئاً من أحواله ، وكان على عادته^(١) في التدريس والإفتاء والتصنيف يأمر ولده بالفتش ويشير إلى المظنات ويقرأ عليه فيقرر الحكم ، واستمرَّ على تدريسه على عادته في الجامع وغيره من المدارس التي ذكرناها قبل ، وإذا ورد عليه سؤال قرىء عليه ، فيتأمله ثم يأمر بفتش المظان وإسماعه إياها ، فينزل السؤال على ذلك ثم يأمر بالكتب ، وألف مؤلفات وهو على حالة العمى ، وله فتاوى مؤسسة على التحقيق .

قال تلميذه العلامة القاضي عمر بن عبد الوهاب الناشري رحمه الله تعالى : قرأتها عليه جميعها بحضرة الجملة من مشايخ العلم وغيرهم^(٢) من الطلبة ، وأمرني أن أتتبع ما شذ منها ولم يدخل في الفتاوى ، وقرأتها عليه وصححتها لديه . قال : وله مؤلفات قرأت عليه بعضها . انتهى .

قلت : أما مصنفاته : « فتحريр المقال في حكم من خبر برؤية هلال شوال » وحاصله وجوب الإفطار على من أخبر برؤية شوال إذا اعتقد صدق المخبر . وحصل بينه وبين العلامة إسماعيل العلوي في هذه المسألة منازعة ،

(١) في (ط) : « مادته » تحريف ، وصوابه في (م) .

(٢) في (ط) : « وغيرها » .

وَألف العلوي كتاباً في عدم الجواز لكن وافق ابن زياد أهل اليمن ومكة ومصر وغيرهم .

ومن مؤلفاته : « إثبات سنة رفع اليدين عند الإحرام والركوع والاعتدال والقيام من الركعتين » ، وكتاب « فتح المبين في أحكام تبرع المدين » ، و« المقالة الناصة على صحة ما في الفتح والذيل والخلاصة » . وهذه الثلاثة التأليف بسبب ما وقع بينه وبين ابن حجر لم يوافق ابن زياد ، بل صنف كتاباً آخر في عدم بطلان تبرع المدين ، فعند ذلك رد عليه وجيه الدين بكل من ثلاثة الكتب ، وله كتاب « النخبة في الأخوة والصحبة » ، وكتاب « فتح الكريم الواحد في إنكار تأخير الصلاة على أئمة المساجد » ، و« الأدلة الواضحة في الجهر بالبسملة وأنها من الفاتحة » ، وهو كتاب حافل مشتمل على مناقب الأئمة الأربعة والتقليد وأحكام رخص الشريعة ، وذلك مما لا غناء للفقهاء عن تحصيله ، وكتاب « إقامة البرهان على كمية التراويح في رمضان » ، وكتاب « الرد على من أوهم أن ترك الرمي للعذر يسقط الدم » ، وكتاب « تجديد أئمة الإسلام من تغيير بناء المسجد الحرام » ، و« الجواب المحرر في أحكام المسقط والمحذر » و« بغية المشتاق في تصديق مدعي الإنفاق » ، و« كشف الغمة عن حكم المقبوض عما في الذمة وكون الملك فيه موقوفاً عند الأئمة » و« مزيل العناء في أحكام الغناء » ، و« الأجوبة المرضية عن الأسئلة المكية » ، و« الجواب المتين عن السؤال الوارد من البلد الأمين » ، و« حل المعقود في أحكام المفقود » ، و« فصل الخطاب في حكم الادعاء باتصال الثواب » ، و« إيضاح النصوص المفصحة ببطلان تزويج الولي الواقع على غير الحظ والمصلحة » ، و« إيراد النقول الذهبية عن ذوي التحقيق في أنت طالق على صحة البراءة عن صقيع المعارضة لا التعليق » و« إسعاف المستفتي عن قول الرجل لامرأته أنت أختي » ، و« سمط اللآل في كتب الأعمال » ، و« إفصاح الدلالة في أن العدالة المانعة عن الشهادة بجامع العدالة » ، و« كشف النقاب عن أحكام المحراب » ، وله رسالة في القات والكفته والقهوة والبن وجميع

المخدرات المباحة والمكروهة والحرام ، وغير ذلك من المؤلفات العديدة والفتاوى المفيدة .

قال العلامة مفتي العصر أحمد بن عبد الرحمن^(١) النَّاشري أبقاه الله تعالى : قال العلامة محمد بن أبي القاسم جغمان : مؤلفات ابن زياد أكثر تحقيقاً من كتب ابن حجر الهيتمي .

وبالجملة : فما كان إلا نووي الزَّمان وواحد هذا الشَّان ، ملازماً لبيته ومسجده لا يخرج إلّا لصلاته وتدريسه ، منقطعاً عن النَّاس ، محبوباً إليهم ، تزدهم النَّاس على تقبيل يده بعد صلاة الجمعة والتَّمسح به والتماس بركته ، وتقصده العلماء والكبراء والأمراء والوزراء والفقراء والأغنياء إلى منزله للتبرك به وبدعائه ، وكان مسموع الكلمة لا تُردُّ شفاعته ، وكان سريع الدَّعة ، مجاب الدَّعوة ، حسن العقيدة في أهل الله الصوفية وصالحهم ، إذا اجتمع بأحد منهم التمس منه الدَّعاء والمؤاخاة ، ويعتقد بالمجاذيب إلى الله تعالى ، ويذاكر أهل التصوف في كلام القوم فيستفيدون منه ، ويعتقد بمحيي الدِّين ابن عربي ويثني عليه وعلى كلامه ، ويفتح عليه فيه بذوق عظيم ، وما جالسه أحد إلّا واستفاد منه وتعلم وتأدب واتعظ ، وكان شديد التَّأليف بين الطُّلبة ، يؤدبهم بلسانه وحاله ، ويزهدهم في الدُّنيا ويكره لهم الاشتغال بها ، ويزجرهم عن مجالسة الجهال وأهل الأهواء ، ولا يرضى لهم التَّرشح لوظائف الأحكام والأوقاف ، ويأمرهم بالتَّحلي بحلية الكمال ، ويحثهم على الاشتغال بالعلم ومطالعة الكتب المبسوطة ، ولا يرضى لهم بالاختصار على المختصرات ، ويستعين بهم على المشكلات المدلهمة والفتاوى المعضلة المهمة ، وكلُّ ذلك بسبب الألفة لقلوبهم وإلّا فهم لا ينكرون استغناءه عنهم ورسوخ العلم في قلبه .

وقد بشر به بعض الصَّالحين قبل مولده . أخبر والده عبد الكريم

(١) سقطت هذه اللفظة من (ط) .

رحمه الله ، أنه دخل مسجداً بزَيد يُقال له مسجد الرِّيَالِ قال : قصدت ذلك المسجد لصلاة الضُّحى به ، فلما فرغت منها إذ أنا بشخص معتكف في المسجد المذكور يتأملني من ورائي فقال لي : يا فقيه تقرأ في العلم؟ فقلت : لا ، فقال : لو قرأت لكنت مصنِّفاً ، فلما بلغ ولده ما بلغ وهو كان يحكي بهذه الحكاية ويقول : كأنه رأى عبد الرحمن في صُلبي .

قلتُ : ولا يبعد ذلك على أهل الله تعالى . فقد أذكرتني هذه الحكاية ما نقلته عن خط الحافظ المسند إمام الحديث النبوي بزَيد أفضى القضاة مجد الدين الشيرازي صاحب القاموس أحمد بن عبد اللطيف الشَّرْجي وصورة ذلك : وحكى [لي]^(١) حفظه الله وأبقاه - والإشارة بذلك إلى المجد المذكور - أنه دخل في بعض السنين مدينة قم ، فسمعت بأن كتباً تُعرض للبيع ، فذهبت إلى بيت صاحبها ، فأدخلني وأحضر الكتب بين يدي ، ومددت يدي إلى كتابٍ منها وفتحته فإذا هو بخط أبي فقلت : هذا خط والدي ، فقال : ما اسم والدك؟ فقلت : يعقوب بن إبراهيم الفيروزبادي . قال : فقام الرجل إلي وقبل رأسي وقال : صدقت كان جائي والدك في بعض السنين إلى غار من مغارات هذا الجبل ، وأنا منقطع إلى الله فيه للعبادة ، فأقام عندي أياماً ونسخ لي هذا الكتاب فيه ، وكان يخدمني ويتعبد معي ، فاتفق في بعض الأيام أن قلتُ له : يا شيخ يعقوب ما ترى ننزل إلى المدينة فتدخل الحمام وتنظف؟ قال : الأمر إليك في ذلك ، فنزلنا ، فلما دخلنا الحمام قلت له : هات ظهرك لأحكه ، فامتنع علي وقال : أنا أولى بخدمتك ، فلازمته على ذلك وهو يمتنع ، فرأيت الحيلة في ذلك أن قلت له : لتصل بركة يدي إلى ظهرك ، فهناك أعطاني ظهره ، فسمعت : حك في ظهره ، فقلت له : يا يعقوب في ظهرك أولاد . فقال : ما يدريك؟ قلت : أحسست بهم . قال : كم هم؟ قلت : أربعة . قال : سمهم ، فقلت على الفور : محمدٌ ويوسفٌ وعليٌّ

(١) ما بين الحاصرتين من (ط) .

وحسناً . قال : ثم فارقتني وفارقته فمن أنت منهم؟ قال شيخنا مجد الدين : أنا محمد . قال : هل لك أخوة؟ قلت : نعم كما ذكرت يوسف وعلي وحسن . قال : وكلهم في الحياة؟ قلت : لا ، توفي علي وحسن ، فقال : الحمد لله ، فتعجبت من كشفه ، ومن غريب الاتفاق قال : واسم هذا الرجل أيضاً مجد الدين وهو من عباد الله الصالحين ، انتهى .

قلتُ : وقريب من هذا أنَّ الشَّيخ أبا بكر العيدروس قدس الله روحه قال لابن أخيه وهو جدِّي عبد الله بن شيخ بن الشَّيخ عبد الله العيدروس : تمنَّ . فقال : ما أريد إلاَّ البركة والدَّعاء لي بذرية صالحة ، فقال له : يا عبد الله سيلد لك من الأولاد الذكور فلان وفلان وفلان وسماهم أبو بكر وشيخ وحسين ، وكان إذ ذاك جدِّي لم يتزوج بعد ، ثم خرج إلى حضرموت بعد وفاة عمه المشار إليه وتزوَّج بها امرأة ، فولدت له أولاداً كما ذكر ، وسماهم بتلك الأسماء التي سماهم بها الشَّيخ ، ثم وُلِدَ له بعد الثلاثة ولدٌ سماه محمداً . أخبرني بهذه الحكاية الثَّقة سالم بن علي با موجه رحمه الله ، وقد سمعتها من سيدي الوالد قدس الله روحه بلفظ قريب من هذا .

وذكر سيدي الشَّيخ الوالد رحمه الله في كتاب « العقد النبوي والسر المصطفوي » أنَّ جدَّه الأعلى وهو الشَّيخ الكبير والولي الشَّهير علوي بن الشَّيخ القطب الفقيه محمد بن علي أراد أن يترك التزوَّج إيثاراً للانقطاع في العبادة ، فهتف به هاتف من ظهره : نحن في ظهرك ذرية صالحة تزوج وأخرجنا وإلاَّ خرجنا من ظهرك ، فتزوج بعد ذلك وُلِدَ له أولادٌ تناسلوا بذرية طيبة مباركة صالحة حتى كان منهم من لا يحصى من المشايخ الكاملين والعلماء العاملين الذين شهرتهم تغني عن الإطناب في مدحتهم ، فكأنما عناه القائل بقوله : (من مجزوء الرِّجْز) :

فَهُوَ أَبُو الْأَبَاءِ خَيْرِ	رُّ مُنْجِبٍ وَمُنْسَلٍ
وَهُوَ أَبُو الْأَشْبَالِ حَيْدٍ	يَا قَبْرَهُ كُلِّ وَلِيٍّ
أَوْلَادِهِ الزَّهَرُ بِهِمْ	يَدْفَعُ كُلَّ مَغْضَلٍ

كَمْ فِيهِمْ مَنْ قُطِبَ كَمْ فِيهِمْ مَنْ بَدَلَ
كَمْ كَمْ مُحَدَّثٌ فَقِيهٌ — وَمُحَدَّثٌ وَلِيٌّ

وكانما عنى الآخر ذريته بقوله : [من البسيط]:

مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقُلُّ لَاقِيَتِ سَيِّدَهُمْ مثل النجوم التي يسري بها السَّاري
شُدَّتْ إِلَيْهِمُ الرِّحَالُ مِنْ أَطْرَافِ الْبِلَادِ ، وَغْنَى بِذِكْرِهِمُ الْحَدَاةُ فِي كُلِّ سَمَرٍ
وَنَادٍ ، طَبَقَ ذِكْرَهُمْ طَبَاقَ الْأَرْضِ ، وَعَمَّ نَفْعُهُمُ الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ بِالطُّولِ
وَالْعَرْضِ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ إِلَّا الْأُسْتَاذُ الْكَامِلُ الْقُطْبُ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ
السَّقَافُ وَحَفِيدُهُ الْأُسْتَاذُ الْمُحَقِّقُ الْقُطْبُ الْغُوثُ عَبْدُ اللَّهِ الْعِيدَرُوسُ الَّذِينَ عَقَمَ
الزَّمَانُ أَنْ يَجِيءَ بِأَمْثَالِهِمْ وَلَا سَمَحَتْ الدَّهُورُ بِأَشْكَالِهِمْ ، أَعَادَ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ
بَرَكَاتِهِمْ فِي الدَّارَيْنِ آمِينَ آمِينَ آمِينَ .

قلت : وكان الشَّيْخُ علوي هذا من آيات الله الكبرى ، وهو من أمثال
الشَّيْخِ ، وَمِنْ مَنَاقِبِهِ : أَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ الشَّقِيَّ مِنَ السَّعِيدِ ، وَيَحْيِي وَيُمِيتُ
بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَيَقُولُ لِلشَّيْءِ : كُنْ ، فَيَكُونُ بِإِذْنِ اللَّهِ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ
الْكَرَامَاتِ الْعَظِيمَةِ وَالْخَوَارِقِ الْعَجِيبَةِ الَّتِي لَا يَشَارِكُهُ فِيهَا غَيْرُهُ ، نَفَعَ اللَّهُ بِهِ
وَأَعَادَ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِهِ آمِينَ .

ولبعضهم يمدح رسالة العلامة الشَّيْخِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ زِيَادٍ صَاحِبَ
الترجمة : [من الوافر]:

وَمَا حَوَتْ الرِّسَالَةُ مِنْ مَقَالَةٍ	أَلَا إِنِّي وَقَفْتُ عَلَى الرِّسَالَةِ
وَتَحْقِيقٍ لِمَنْ صَدَقَ انْتِحَالُهُ	فَأَلْفَيْتُ الْمَقَالَ مَقَالَ حَقٍّ
لَهُ الْعُلَمَاءُ تَشْهَدُ بِالْجَلَالَةِ	عَلَى أَنَّ الْمَصْنُفَ بَخْرٌ عِلْمٍ
فَإِنَّ الْحَقَّ فِيهِ لَا مَحَالَةَ	فَمَا قَالَ الْإِمَامُ فَتَى زِيَادٍ
فَإِنَّ الْعِلْمَ لَا يَخْفَى رِجَالَهُ	عَلَى تَخْرِيجِهِمْ فَافْهَمُ كَلَامِي
سَعَتْ كِتَاباً يَدَاهُ بِهِ وَقَالَ	وَلَوْلَا أَنْ لِلْمَكِيِّ فَضْلُ
وَإِنْصَافٌ يَدُلُّ عَلَى الْكَمَالَةِ	كِتَابٌ فِي الْمَنَاقِبِ فِيهِ عَذْلُ

لكنْتُ لما رأيت لسوء ظنِّي بجهلي ما عرفتُ من العدالة
ولا أرضى له ينشي خلافاً لمن في العلمِ قد وَجَبَ امْتِثاله^(١)
ولكنني سألتُ اللهَ ربِّي يمنَ عليّ فضلاً بالجمالة

● وفيها : في اليوم الثاني عشر من شوال توفي الشيخ الإمام ، مفتي الأنام ، علامة الزمان ، مقدم الأعيان عبد السلام بن شيخ الإسلام وجيه الدين بن عبد الرحمن بن عبد الكريم بن زياد^(٢) واحد علماء البلاد ، وفاضلها باتفاق الحاضر والباد ، أبو نصر عز الدين . ولد سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة نشأ في حجر والده ، وتغذى بدر علومه وفوائده ، فظهرت ألمعيته وبراعته ، أقرت عين أبيه نجابته ، تفقه بوالده كثيراً ، ورأس على الأكابر صغيراً ، ودرس وأفتى في حياة أبيه ، وصنف مصنفات لا يستغني عنها فقيه ، وكتب معاصر أبيه على فتاويه ، وانفرد بعد والده بالإفتاء مع زحمة البلد بأئمة شتى ، ودرس بالمدارس التي كان والده يدرس بها المذكورة في ترجمته ، وكان من الولاية والعلم والفضل على جانب عظيم لا يجهل .

قال العلامة الشاب الظريف الفاضل بركات ابن الفقيه سعادات العطاراد رحمهما الله تعالى : رأيت له مراسلة كتبها لبعض أصحابه يقول فيها : رأيت النبي ﷺ يبشرني بكذا وكذا ، ولوح بأمر ذكرها في الرسالة المذكورة ، ثم قال : والله ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ ﴾^(٣) وَمَا هُوَ بِالْمَزَلِ ﴿ [الطارق : ١٣-١٤] انتهى .

قال رحمه الله رضي عنه : رأيت ابن الرفعة نجم الدين في النوم ، فرأيتُه أوقفني على مسألة في « الوسيط » ، فعقيب ذلك نزل بي سؤال هو عين تلك المسألة ، ولم يكن عندي نقل عليها غير ما نبهني عليه ابن الرفعة ، فحمدتُ الله تعالى على ذلك . انتهى .

وكلُّ هذا بركة أبيه له وبركة أدبه مع العلماء ؛ فإنه لم يذكر منهم أحداً في

(١) في (م) : « ... امثاله » .

(٢) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠ / ٥٥٣-٥٥٤) ، و « معجم المؤلفين » (٥ / ٢٢٥) .

مؤلفاته إلا وترضى عنه وأثنى على فضله ، وبالع في تعظيمه والترحم عليه ، كثر ذلك منه في مؤلفاته وفتاويه . وله « شرح على مولد السيّد الحسين بن الصديق الأهدل » و« شرح لوداع ابن الجوزي » مات عنهما مسودين ، وله كتاب سماه « تشنيف الأسماع بحكم الحركة في الذكر والسماع » ، وكتاب سماه « القول النافع القويم لمن كان ذا قلب سليم » ، وكتاب سماه « التحرير الواضح والإكمال في حكم الماء المطلق والمستعمل » ، وكتاب سماه « المطالع الشمسية في الأجوبة السنّية » ، وهو مشتمل على فقهٍ وحديثٍ تقبل الله ذلك منه ورضي عنه .

● وفيها : في ليلة الثلاثاء وقت السّحر توفي العالم الصّالح الولي الشّهير العارف بالله تعالى علي المتقي بن حسام الدّين بن القاضي عبد الملك بن القاضي خان القرشي^(١) بمكة المشرفة بعد مجاورته بها مدة طويلة ، ودُفن في صبح تلك اللّيلة ، ومدفنه بالمعلاة بسفح جبل محاذ تربة الفضيل بن عياض بين قبريهما الطّريق المسلوك عند محل يُقال له ناظر الجيش ، وعمره سبعة وثمانون سنّة ، وقيل تسعون سنّة رحمه الله تعالى ، وكان من العلماء العاملين وعباد الله الصّالحين ، على جانب عظيم من الورع والتقوى والاجتهاد في العبادة ورفض السّوء ، وله مصنفات عديدة ، وذكروا عنه أخباراً حميدة رحمه الله تعالى آمين .

ومن مناقبه العظيمة أنّه رأى النبي ﷺ في المنام ، وكانت ليلة جمعة وسبع وعشرين في شهر رمضان ، فسأله عن أفضل النّاس في زمانه ، فقال له : أنت . قال : ثم من؟ فقال : محمد بن طاهر بالهند . ورأى تلميذه الشّيخ عبد الوهاب أيضاً في تلك الليلة النّبّي ﷺ وسأله مثل ذلك ، فقال له : شيخك ، ثم

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠ / ٥٥٤) و« أبجد العلوم » (٣ / ٢٢٣-٢٢٤) طبع وزارة الثقافة بدمشق و« كنز العمال » (١٦ / ٧٧٦-٧٨٨) و« معجم المؤلفين » (٧ / ٥٩) و« الأعلام » (٤ / ٣٠٩) . و« حركة التّأليف باللغة العربية في الإقليم الشمالي الهندي » ص (٨٠) .

محمد بن طاهر بالهند ، فجاء إلى الشيخ علي المتقي ليخبره بالرؤيا ، فقال له قبل أن يتكلم : قد رأيت مثل الذي رأيت .

وكان يبالغ في الرياضة حتى نُقل عنه أنه كان يقول في آخر عمره : وددت أنني لم أفعل ذلك ، لما وجده من الضعف في جسده عند الكبر .

قال الفاكهي : وكان لا يتناول من الطعام إلا شيئاً يسيراً جداً على غاية من التقليل فيه بحيث يستبعد من البشر الاقتصاد على ذلك القدر ، وما ذاك إلا لملكة حصلت له فيه وطول رياضة وصل بها إليه ، حتى كان إذا زيد في غذائه المعتاد ولو قدر فولة لم يقدر على هضمه . قال : وكذا كان قليل الكلام جداً . قال غيره : وكان قليل المنام ، مؤثراً للعزلة عن الأنام .

قلتُ : وقد علمت أنَّ أصول التصوف في الابتداء تدور على أربعة أشياء : قلة الطعام ، وقلة الكلام ، وقلة المنام ، واعتزال الأنام .

قال بعضهم : جُعلَ الخيرُ كُلُّه في بيت ومفتاحه الجوع ، وجُعلَ الشرُّ كله في بيت ومفتاحه الشبع . وقال يحيى بن معاذ : لو كان الجوع يُباع في السوق لما كان ينبغي لطلاب الآخرة إذا دخلوا السوق أن يشتروا غيره . وقال سهل : ما صار الأبدال أبداً إلا بأربع خصال : إخماص البطون ، والسهو ، والصمت ، والاعتزال عن الناس . فقد قيل في صفة الأبدال : إنَّ أكلهم فاقة ، ونومهم غلبة ، وكلامهم ضرورة .

قلتُ : هذا وإن كان تقليل الغذاء مستحسناً عند القوم بالجملة ، ولكنه ليس بمقصود أصلي ، ولعله يتولد من الإفراط آفات مخلة بالمقصود الأصلي ، وإنما المقصود من التقليل كسر النفس وتقوية القلب وتبييضه ، فإن الجوع يذيب شحم القلب ويقلل دمه فيبيض ويرق ويصفو فيستعد بصفائه لقبول نور الذكر وأنوار المعاملات الشرعية والواردات الغيبية ، ثم تنعكس الأنوار من مرآة القلب إلى أرض النفس ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ [الزمر : ٦٩] وتلاشت ظلمات صفات النفس ، وانشق صدف ظلمة الشهوة عن درة المحبة ، فإن

الشَّهْوَةُ مطية المحبة ، وهي المطلوب من الإنسان ، وبها فاق على الملائكة المقربين وسجدوا له ، فافهم جداً . فالإمساك المحمود عن الطعام ما يكون محمياً عن طرفي الإفراط والتفريط ، كما قال تعالى ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ [الأعراف : ٣١] فالمحميُّ من الإفراط نصف رطل إلى رطل كلَّ يوم ، أو قريب من هذا ، فيزيد وينقص منه كلُّ طائفة على قدر قوتهم وصحة مزاجهم .

وكانت ولادته ببرهان فور^(١) سنة ثمان وثمانين وثمانمائة ، وقيل : خمس وثمانين وثمانمائة . ومؤلفاته كثيرة نحو مائة مؤلف ما بين صغير وكبير^(٢) ومحاسنه جمّة ومناقبه ضخمة ، وقد أفردتها العلامة عبد القادر بن أحمد الفاكهي المكي في تأليف لطيف سماه : « القول النقي في مناقب المتقي » ذكر فيه من سيرته الحميدة ورياضاته العظيمة ومجاهداته الشاقة ما يبهّر العقول . ولعمري ما أحسن قوله فيه حيث يقول : طابق اسم شيخنا علي ولقبه المتقي موضع علاه ومسماه . وقال في موضع آخر من الكتاب المذكور : ما اجتمع به

(١) برهان فور من (بلاد الدكن ، بالهند) «الأعلام» (٣٠٩/٤) .

(٢) أهمها المصنفات التالية :

١- « كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال » جمع فيه أهم مصادر الحديث النبوي فبلغت الأحاديث المودعة فيه (٤٦٦٢٤) حديثاً عليها مدار العمل في الغالب لدى المشتغلين بفن التخريج والتحديث . وقد طبع هذا الكتاب الجليل في مدينة حلب المحروسة عام ١٣٩٧هـ بعناية الشيخين الفاضلين بكري الحيايني وصفوة السقا ، وهي طبعة جيدة نافعة ، وقام بإعداد فهارس شاملة لأطراف الأحاديث الواردة فيه الأستاذان الفاضلان نديم مرعشلي وأسامة مرعشلي ، وصدرت في مجلدين كبيرين عن الشركة المتحدة للتوزيع بدمشق عام (١٤٠٤هـ) .

٢- « مختصر كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال » وقد طبع قديماً على هامش « مسند الإمام أحمد بن حنبل » .

٣- « المواهب العلية في الجمع بين الحكم القرآنية والحديثية » وهو مخطوط لم ينشر بعد .

٤- « نهج العمال في سنن الأقوال » وهو مخطوط لم ينشر بعد وتحفظ مكتبة الرياض بنسخة منه تحت رقم (٢٥٥د) . قاله العلامة الزركلي .

أحد من العارفين أو العلماء العاملين أو اجتمع هو عليهم إلا وأنشأوا عليه ثناء بليغاً كشيخنا تاج العارفين أبي الحسن البكري ، وشيخنا الفقيه العارف الزاهد الوجيه العمودي ، وشيخنا إمام الحرمين الشهاب ابن حجر الشافعي ، وصاحبنا فقيه مصر شمس الدين الرملي^(١) الأنصاري ، وشيخنا فصيح علماء عصره شمس [الدين]^(٢) البكري ، ولكل من هؤلاء الجلة عندي ما دل على كمال مدحة شيخنا المتقي بحسن استقامته والاستقامة أجل كرامة^(٣) ، وقول كل من هؤلاء معتمد^(٤) في شهادته : [من الوافر] :

إِذَا قَالَتْ حَذَامٌ فَصَدَّقُوهَا فَإِنَّ الْقَوْلَ مَا قَالَتْ حَذَامٌ^(٥)

قال : ومن ثم اشتهر بإقليم مكة المشرفة أشهر من قفا ، وصار يقصده وفود بيت الله كما يقصد المشعر الحرام والصفاء ، حتى بلغ صيته لسلطان الإسلام المرحوم المقدس سليمان بعد أن كان يفرغ على يديه بل قدميه ماء الطهارة محمود أعظم سلاطين الهند اعتقاداً فيما له من شأن قال : وشهرته في الهند وجهاتها أضعاف شهرته بمكة كما لا يحتاج في ذلك إلى إقامة برهان . قال : ومن مناقبه أن بعض أصحابه رأى النبي ﷺ في المنام في حياة الشيخ علي ، وكانت الرؤيا بمكة المشرفة قائلاً : يا رسول الله بماذا تأمرني حتى أفعله؟ قال : تابع الشيخ علي المتقي فما فعل أفعله . انتهى .

قلت : وفي هذا أدل دليل على أن الشيخ علي المتقي نفعنا الله ببركاته كان له النصيب الأوفر من متابعته ﷺ ، ولذا خصه ﷺ بالذكر دون غيره من أهل زمانه ، وأمر الرائي بملاحظة أفعاله ومتابعته فيها إلى غير ذلك من الإشارات

(١) تحرفت الكلمة في (م) إلى « الرالي » .

(٢) ما بين الحاصرتين سقط من (ط) .

(٣) في (ط) : « كرامة » تحريف ، وصوابه في (م) .

(٤) في (ط) : « معتمدي » .

(٥) البيت للجيم بين صعب ، وقيل : سحيم بن صعب . وهو من الشواهد النحوية .

كتسميته شيخاً ، وكان الشيخ أبو إسحاق الشيرازي نفعنا الله ببركاته يفتخر بمنام نبويّ فيه تسمية النبي ﷺ له شيخاً .

قلت : ورأيت في بعض التعاليق رسالة من إماء الشيخ نفع الله ببركاته تشتمل على نبذة من أحواله التي لا تتلقى إلاّ عنه كالمشيئة^(١) إلى كمال مبدأه ومآله ، فرأيت أن أذكر منها هنا ما دعت إليه الحاجة ، قال :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين . أما بعد : فيقول الفقير إلى الله تعالى علي بن حسام الدّين الشّهير بالمتقي : إنه خطر في خاطري أن أبين للأصحاب من أول أمري إلى آخره ، فاعلموا رحمكم الله أن الفقير لما وصل عمري إلى ثمان سنين جاء في خاطر والدي رحمه الله أن يجعلني مريداً لحضرة الشيخ باجن قدس [الله]^(٢) سره ، فجعلني مريداً . وكان طريقه طريق السّماع ، وأهل الذّوق والصفاء ، فبايعني على طريق المشايخ الصوفية ، وأخذت عنه وأنا ابن ثمان سنين ، ولقنني الذّكر الشيخ عبد الحكيم بن الشيخ باجن قدس سره ، وكنت في بداية أمري أكتسب بصناعة الكتابة لقوتي وقوت عيالي ، وسافرت البلدان ، فلما وصلت إلى المُلْتان^(٣) صحبت الشيخ حسام الدّين ، وكان طريقه طريق المتقين ، فصحبته ما شاء الله ، ثم لما وصلت مكة المشرفة ، وصحبت الشيخ أبا الحسن البكري الصديقي قدس الله سره ، وكان له طريق التّعلم والتّعليم ، وكان شيخاً عارفاً كاملاً في الفقه والتصوف ، فصحبته ما شاء الله ، ولقنني الذّكر ، وحصل لي من هذين الشّيخين الجليلين عليهما الرّحمة والغفران من الفوائد العلمية والذّوقية التي تتعلق بعلوم الصّوفية ، فصنفت بعد

(١) في (م) : « كالمشيئة » تحريف ، وصوابه في (ط) .

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة في (ط) .

(٣) المُلْتان : ذكرها ياقوت في « معجم البلدان » (١٨٩/٥) قال « بالضم ، وسكون اللام ، وتاء مشاة من فوقها ، وآخره نون ، وأكثر ما يُكتب مولتان ، بالواو : هي مدينة من نواحي الهند قرب غزنة أهلها مسلمون منذ قديم » .

ذلك كتباً ورسائل ، وأول رسالة صنفتها في الطريق إلى الله سميتها « تبين الطُّرق إلى الله تعالى » وآخر رسالة صنفتها سميتها « غاية الكمال في بيان أفضل الأعمال » ، فمن كان من الطُّلبة حصل منهما رسالة ينبغي له أن يحصل الأخرى ليلازم بينهما في القصد . انتهى .

قلت : وبالجمل : فما كان هذا الرجل إلا من حسنات الدهر وخاتمة أهل الورع ومفاخر الهند ، وشهرته تغني عن ترجمته ، وتعظيمه في القلوب يغني عن مدحه .

● وفيها : غرق مركب بالهند في خور كنباته ، كان فيه عشرة من السادة آل با علوي ، فكانوا من جملة من غرق ، وحصلت لهم الشَّهادة بسبب ذلك رحمهم الله .

* * *

سنة ست وسبعين بعد التسعمائة

● وفي يوم الاثنين آخر النهار ثامن شهر صفر سنة ست وسبعين توفي الولي الشهير شيخ بن الشيخ عبد الله بن الشيخ علي بن أبي بكر با علوي بتريم ، ودفن يوم الثلاثاء .

وحُكي أنه كان ببر سعد الدين في مجلس ، فكان يأتي إلى ذلك المجلس رجلٌ في زي سائل أو مجنون ويشتمه من بين الجماعة من غير موجب لذلك ولا سبق معرفة بينه وبينه ، وكأنه كان - والله أعلم - يريدُ اختباره وينظر صبره على المكروه واحتماله للأذى ، وتكرر منه ذلك ، وربما أراد الحاضرون أن يقعوا فيه فيمنعهم الشريف من ذلك ، فلما كان في بعض الأيام قال له : تعال إلى الموضع الفلاني واصحب معك دواة وقلماً وموسى ، ففعل ما أمره ووجده هناك وحده ، فقال له : هات الموسى نريدُ نذبحك بها ، فأعطاه إيّاها مستسلماً ، ثم طلب منه الدواة والقلمَ وعلمه الوقفَ الثلاثي وأراه وضعه ، وعلمه اسم الله الأعظم ، ثم ذهب ذلك الرجل ولم يُر بعد ذلك ، فصار الشريف إلى ما صار إليه من التصريف بعد ذلك .

وأخبرني بعض الثقات قال : بينما أنا أسيرُ معه بتريم إذ أخذ من ورق بعض الأشجار وأكل منه وأعطاني ، فإذا هو ورق القات^(١) ، وهو لا يوجد بحضرموت أصلاً .

● وفيها : توفي العلامة الشهير الشيخ عبد العزيز الرّمزَمي^(٢) المكي ، وقد

(١) جاء في « المعجم الوسيط » (٧٩٥ / ٢) ما نصه : « القات : نبات من الفصيلة السلسترية ، يزرع لأوراقه التي تمضغ خضراء ، قليلة منبّه وكثيره مخدر ، موطنه الحبشة ، ويزرع بكثرة في اليمن ، ويسمى : شاي العرب » .

(٢) ترجمته في « شذرات الذهب » (٥٥٨ / ١٠) .

طبق بعض الفضلاء تاريخ ذلك العام بعدد حروف « بجنان الخلدِ قَدْ أَصْبَحَ » ثم نظم ذلك التاريخ في بيتين فقال : [من المديد]:

إِنَّ مَنْ أَجْرَى الدُّمُوعَ عَلَى عِزِّ دِينِ اللَّهِ قَدْ أَفْلَحَ
قَدْ أَتَى تَارِيخَهُ ضَبْطاً « بجنانِ الخُلْدِ قَدْ أَصْبَحَ »

وكان مولده سنة تسعمائة ، وكان من أعيان علماء مكة وفضلائها وأكابرها ورؤسائها . وله قصيدتان عظيمتان في مدح النبي ﷺ أجاد فيهما كل الإجادة . إحداهما عارض فيها البردة وسماها « الفتح التام في مدح خير الأنام » . والأخرى عارض فيها أم القرى وسماها « الفتح المبين في مدح سيّد المرسلين » ، وحيث كانت أم القرى مرفوعة والقيراطية مكسورة جعل قصيدته مفتوحة ، وما أحسن قوله فيها مشيراً إلى ذلك مع التورية بمزيد التواضع والاعتراف بالقصور عن تلك المسالك : [من الخفيف]:

فَارَ بِالرَّفْعِ مُقْلَقٌ لَكَ وَشَا كَيْفَ تَرْقَى وَأَفْحَمَ الشُّعْرَاءَ
وَبَخَفَضَ الْجَنَانَ جُوزِيْ مَنْشِي ذَكَرَ الْمَلْتَقَى جِزَاءً وَفَاءً
جِئْتَ مِنْ بَعْدِ ذَا وَذَاكَ أَخِيْراً فَلِهَذَا نَظَمِي عَلَى الْفَتْحِ جَاءَ

وبالجملة : فإنه كان أوحَدَ الفضلاء ، وبقية العلماء ، حسن الشعر والإنشاء ، وفيه يقول الشيخُ الكبيرُ والوليُّ الشهيرُ العارفُ بالله تعالى جمال الدين محمد بن أبي الحسن البكري الصديقي من أبيات [من البسيط]:

أَجَلَّ جِيرَانِ بَيْتِ اللَّهِ قَاطِبَةً عِلْماً إِذَا وَصَفُوا فِي مَكَّةَ الْعُلَمَاءَ
وَلَهُ فِيهِ أَيْضاً : [من البسيط]:

أَنْتَ الَّذِي بِصِفَاتِ الْفَضْلِ أَجْمَعِهَا فِي بِلْدَةِ اللَّهِ أَوْلَى سَائِرِ الْعُلَمَاءِ
فَلِيَهْنَ مَكَّةَ بَلْ وَلِيَهْنَ سَاكِنَهَا وَلِيَهْنَ أَبْطَحَهَا وَالْبَيْتَ وَالْحَرَمَا

ومن شعره الحسن أبيات الفرَجِ التي استغاثَ فيها بصاحب الخلق الحسن سيّد المرسلين ورسول ربِّ العالمين وهي هذه : [من الرمل]:

يا رسولَ الله عَجَّلْ بِالْفَرَجِ
يا رسولَ الله في جاهِك لي
قَسَمًا بالله ما لاذَ امرؤُ
أنتَ شمسُ الكونِ والهادي الذي
أنتَ للرسْلِ طرازُ مُعَلِّمٍ
كلُّ وصفٍ في معاليك انطوى
بضياءِ السُّؤدد والفخر انتهى
طيبُ الأعراقِ ما فاحَ له
حسنُ الخلقِ جميلٌ مُشرقٌ
أبلغُ إن لآخَ في جنحِ الدُّجى
وسِعَتْ أخلاقُه الخلقَ فلم
كرماً يعفو عن الجاني الذي
ورماه الغيُّ والجهلُ على
قدمته الرُّسُلُ في موقفها
وارتقى السَّبع السَّمواتِ إلى
وله شفاعَةُ الفضلِ لذا
وجهُهُ حَجَّتْنا البيضاء في
يا وجيةَ الوجهِ طالَتْ غُرْبتي
إن يَطُلْ هذا المَدَى يَقْصُرَ في
كم جَرَعْنَا كَأْسَ هَمٍّ مُثْرَعاً
خطوه^(٣) في البَرِّ والبحرِ معاً

قد تَوَالَى الكَرْبُ واشتدَّ الحَرْجُ^(١)
سِعَةً إن ضاقَ بي كلَّ نَهْجٍ
بك في خَطبِ رجا إلا أنبَلَجَ
ملاث^(٢) ملَّتْهُ الدُّنيا بلَجَ
بسنى النُّورِ الإلهيِّ انتسَجَ
كلُّ لَفْظٍ في معانيك اندَرَجَ
عندَ بَيْتٍ فاخِرٍ منه خَرَجَ
عَرَقٌ إلا هَفَا طِيبُ الأَرَجِ
من رأى حسنَ مَحْيَاهِ ابتَهَجَ
خلتَ من لألائه الصُّبحُ انبَلَجَ
يكُ فحاشاً غليظَ القلبِ فجَ
سدَّ عنه ذنبُه كلَّ الفَرَجِ
ساحلِ البَحْرِ وفي البحرِ وَلَجَ
ليلةَ الإسراءِ فصلَّى وعَرَجَ
قابِ قَوْسَيْنِ وفي الأنوارِ رُجَ
قامه المَحمودُ في أعلى دَرَجِ
يومَ تأتي الناسَ فيه بالحُجَجِ
كلَّ يومٍ مرَّ منها كحَجَجِ
أمدِ العُمُرِ وأقْفو من دَرَجِ
خمرِ خوفٍ بأذى البردِ امتزَجِ
وسرَى بين ثلوجٍ ولُجَجِ

(١) في (م) : « ... أشدَّ الحرج » وبه يكسر الوزن ، وصوابه في (ط) .

(٢) في (ط) : « مُلِثٌ ... » وصوابه في (م) .

(٣) في (م) : « خطرة ... » .

فِي وَحُولٍ وَجِبَالٍ شُمُخٍ
 قَطُنَ الثَّلْجُ بِهَا فَهُوَ الَّذِي
 سَفَرَةٌ قَدْ بَعُدَتْ شَقَّتْهَا
 أَيْنَ أَرْضَ الرُّومِ مِنْ أُمِّ الْقُرَى
 غَرَبًا فِي دَارِ قَوْمٍ عِنْدَهُمْ
 بَيْنَهُمْ كُلُّ فَصِيحٍ نَاطِقٍ
 عَظُمَ الْكَرْبُ وَلَكِنْ نَرْتَجِي
 قَدْ تَوَسَّلْنَا إِلَى اللَّهِ بِهِ
 شِرْعَةً آدَمُ قَدَمًا سَتَّهَا
 يَا أَعَزَّ الْعُزْبِ يَا مَنْ بَابِهِ
 نَسَأُ اللَّهُ يَجْلِي مَا بَنَّا
 يَا إِلَهِي بِالنَّبِيِّ الْمُصْطَفَى
 إِطْوِ بُغْدَ السَّيْرِ عَنَّا سَيِّدِي
 وَأَنْزِلْ كُلَّ أَمْرٍ مَا قَدْ نَوَى
 وَاجْبِرِ الْمَكْسُورَ بِالْعُودِ إِلَى
 رَبِّ قَرِينَا إِلَى أَوْطَانِنَا
 رَبِّ وَاجْعَلْنَا بِجَاهِ الْمُصْطَفَى
 نَحْنُ جِيرَانُكَ وَالْجَارُ لَهُ
 أَنْتَ أَوْصَيْتَ عَلَى الْجَارِ فَلَا
 لَا تَعَذِّبْنَا بِيَعْدٍ عَنَّا فَنَا
 إِنَّ رَكِبْنَا الذَّنْبَ نَجْهَلُ مَا سَوَى
 فَاعْفُ عَنَّا مَا مَضَى وَاعْفِرْ لَنَا

شَاهِقَاتٍ مَا إِلَيْهَا مُنْعَرَجٍ
 نَدَفَ الْقُطُنِ عَلَيْهَا وَخَلَجٍ
 فَتَّتْ^(١) مَنَا قُلُوبًا وَمُهَجٍ
 جَادَهَا صُوبَ مِنَ الْوَسْمِيِّ ثَجٍ
 عَرَبِيٍّ الدَّارِ مِنْ بَعْضِ الْهَمَجِ
 بِلِسَانِ عَرَبِيٍّ ذِي عَوَجٍ
 بِرَسُولِ اللَّهِ يَا تَيْنَا الْفَرَجِ
 وَلَجَا كُلٌّ لِمَوْلَاهُ وَلَجٍ
 لَبْنِيهِ فَاَنْتَهَجْنَا مَا اَنْتَهَجِ
 قَطُ مِنْ سَائِلٍ رَفَدَ مَا ارْتَجِ
 حَلٌّ مِنْ كَرْبٍ شَدِيدٍ وَخَرَجِ
 خَيْرٌ مِنْ حَيْجٍ وَمِنْ ثَجٍ وَعَجِ
 وَاجْعَلِ الْعُقْبَى سُرُورًا وَفَرَجِ
 وَاطْفِ حَرًّا بَيْنَ جَنْبِيَّ اعْتَلَجِ
 بَيْتِكَ الْمَحْجُوجِ كَيْ يَحْظَى بِحَجِ
 فَلَنَارِ الْبُعْدِ فِي الْأَحْشَا وَهَجِ
 فِي حَمَى بَيْتِكَ لَا نَخْشَى هَرَجِ
 جَانِبِ يُرْجَى عَلَى أَلْفِ عَوَجِ
 تَنْسَ جَارًا مَسَّهُ الضَّرُّ فَهَجِ
 حَرَمِ يُوْتَى لَهُ مِنْ كُلِّ فِجِ
 عَفُوكَ اللَّهُمَّ فِي النَّفْسِ اخْتَلَجِ
 تَوْبَةٍ شَدَّ التَّقَى مِنْهَا السَّرَجِ

(١) فِي (م) : « فَتَّتْ ... » وَفِي (ط) « فَتَّتْ ... » وَكِلَاهُمَا تَحْرِيفٌ .

واختم الأعمار بالخير فقد ذهب في اللهو منهن حجج
وصلاة وسلام منهما أرج المسك على الهادي نفج
وعلى أصحابه والآل ما أوب الركب إليه أو دلج

ومنه هذا التخميس على أبيات العارف الشيخ علي وفا : [من الكامل]:

يا ربك باللفظ الخفي لنا تدارك
وارحم ضعافاً جاوروا بيتك ودارك
نادوك حين الكرب لازمهم ودارك
ذو الجاه يحمي جازه فاحمي جوارك لا تترك في قبضة الأسواء^(١) جارك
جار بسوح فذاك دام حلولة
لم يخش ضيماً في حماك يهولة
لم لا وأنت من الهوان كفيله
حاشا جنابك أن يضام نزيله حاشا مهالك أن يهاب من استجارك
بالحزب أذننا زمان قد عدا
ولنا فوارسه أعدوا رصد
أعداؤنا صالوا وشرهم بدا
أنصر فواغوثة قد عدت العدا لا قابلت فرسان نصرهم انتصارك
أرجاء ساحتك التي تسع الملا
تركت ضيافة من إليها أقبل
من ضيق عيش سغره^(٢) فيها غلا
يا أمراً بكرامة الأضياف لا تهمل ضيافة ضيف مضيفك المبارك^(٣)

(١) في (ط) : « .. الأسرى .. » وبه يكسر الوزن ، وصوابه في (م) .

(٢) في (م) « شِعْره » .

(٣) الشطر الثاني مكسور في (م) و(ط) .

إِنِّي عَجَزْتُ عَنْ احْتِيَالِ مُنْقِذِي
 مِنْ خَوْفِ أَمْرَاضِ بِهَا قَلْبِي غِذِي
 فَطَرَقْتُ بِأَبْكَ طَرَقَةَ الْمُتَعَوِّذِ
 فَاْمَنْنُ بِأَمْنِ الْعَاجِزِ الْوَجَلِ الَّذِي قُدَّامَ بَابِكَ سَائِلًا يَرْجُو اقْتِدَارَكَ
 بَرِّدْ بِعَفْوِكَ حَرَّ لَاعِجِ حُرْقَتِي
 أَبْدَلْ بِتَوْفِيرِ الْإِنَابَةِ وَجْهَتِي
 إِنِّي صَرَفْتُ لِقَصْدِ بَابِكَ وَجْهَتِي
 بَابَ إِذَا مَا أُمَّهُ ذُو لَوْعَةٍ^(١) هَدَى لَوَاعِجَهُ وَجَلَّهِ وَقَارَكَ
 أَنْتَ الَّذِي فِي الْجُودِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ
 أَيُّ افْتِقَارِكَ أَخْتَشِي^(٢) مِنْ كُلِّهِ
 وَغْنَاكَ يَا ذَا الْفَضْلِ وَاكْفِ وَبِلَهُ^(٣)

مِنْ أُمِّهِ نَادَتْهُ أَلْسَنُ فَضْلِهِ أَهْلًا وَسَهْلًا قَدْ كَفَيْنَاكَ افْتِقَارَكَ
 وَكَانَتْ لَهُ جَارِيَتَانِ إِحْدَاهُمَا اسْمُهَا غِزَالُ ، وَالْأُخْرَى دَامُ السَّرُورِ ، فَاتَّفَقَ
 أَنَّهُ بَاعَهُمَا ثُمَّ نَدِمَ عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ : [مَنْ الْوَافِرُ]:

بِجَارِيَتِي كُنْتُ قَرِيرَ عَيْنٍ وَأَفْقُ مَسْرَتِي بِهِمَا مَنِيرُ
 فَتَقَرَّرَ صَرْفُ أَيَّامِي غِزَالِي فَلَا دَامَتْ وَلَا دَامَ السَّرُورُ

● وفيها : كانت ولادة أخي محمد فضل الله بأحمد آباد ، وتاريخ ذلك العام
 بعدد حروف « فضل الله » وهذا من غريب الاتفاق ، وهذا التاريخ للوالد رحمه الله ،
 ونظمه الأديب الفاضل عبد اللطيف المنشي في أبيات فقال : [من الطويل]:

بَدَا كَوْكَبٌ مِنْ أَفْقٍ عَزَّ وَسُودِدَ بِهِ يَسَّرَ اللَّهُ الْأَمَانِي كَمَا نَشَأَ
 وَزَاهَتْ بِهِ الدُّنْيَا وَعَادَ لِأَهْلِهَا نَشَاطًا كَمَنْ عَاطَى الْمُدَامَةَ وَانْتَشَى

(١) فِي (م) « .. ذُولُو عِسر .. » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي (ط) : « .. خَشِيَ .. » وَبِهِ يُكْسَرُ الْوِزْنُ ، وَمَا أَثْبَتَاهُ فِي (م) .

(٣) فِي (ط) : « .. وَبِلَهُ .. » تَصْحِيفٌ وَصَوَابُهُ فِي (م) .

ولا غَرَوْ منه إنه خيرُ بضعةٍ لخير عبادِ الله إن قام أو مَشَى
ومن عجب أن جاء عام ظهوره لقد وافق الاسم الشريف بلا غشا
وهذا هو الحظُّ العظيمُ بلاَ مِرا وذلك فضلُ الله يؤتيه من يشا

وكانت وفاته سابع جمادى الأولى سنة ثمان وسبعين وتسعمائة في حياة
الوالد ، وهو ابن سنتين وأربعة أشهر ، ودفنه الوالد داخل البيت ، ثم إن سيدي
الوالد دفن إلى جنبه ، وبنيت القبةُ عليهما بعد ذلك . وسمعت الشيخ العلامة
حميد بن عبد الله السّندي رحمه الله يقول : قلت للشيخ : لم اخترتم دفنه في
البيت؟ فقال : لنا في هذا قصد ، فلما توفي الشيخ ودفن هناك ظهر لي ما كان
أشار إليه . وأخبرني بعض الثقات عن الشيخ العلامة عبد المعطي با كثير أنه
قال : وجدت في حال الغسل حركة ، فأخبرتُ والده فقال : امضِ على حالك
ولا عليك مما رأيت .

● وفيها : كانت ولادة الوزير العادل ميرزا شمس الدين ، فقلت مادحاً
لجنبه الشريف ومضمناً هذا التاريخ اللطيف وهو من [الطويل]:

أبو الفتح شمسُ الدين كهف ومقصد به حوزة الإسلام حازت لمنعةٍ
به نصرَ الشرع الشريف وأهله وتمّ نظام الملك من حسن نيّةٍ
فأيّامه في الدهر غرّة وجهه وطلّعتْه أخفت لشمس الظّهيرةِ
وتدبيره للملوك دَلٌّ بأنّه عليه معانٍ من إلّه البريّةِ
له سيرةٌ بالعدل والخير والتقى ومعروفه يُسدّي لأهل المروءةِ
له المولدُ الأسنى يظهر فضله فمن مثله قد نالَ تلك الفضيلةِ
وذلك فضلُ الله يؤتيه من يشا خصوصية منه له بمزيّةٍ
بها خصّه الله المهيمُن ربّه به جادت الدنيا على حين فترةِ
فبشرى من الله العزيز بنصره له الحمدُ منّي ثمّ شكري ومدحتي

وكان قد ولي أحمد آباد مدةً من الزّمان ، ثم فصل عنها وحصل بعده
ما حصل من الظلم والطّغيان فقلت في ذلك :

رَأَيْتُ الْبِلَادَ وَقَدْ عَلَاهَا كَسُوفٌ فقلتْ عهدي بك وأنت ذاتُ^(١) شمسي
قالتْ غاب نوري مُدَّ فَقَدْتُ عَدْلَهُ فَإِنْ تَعَدَّ إِلَيَّ شَمْسِي أَكُونُ كَأَمْسِي

قلت : وعلى ذكر موافقة التاريخ الاسم كان ولد لي ولدٌ في سنة خمس بعد
ألف سميتَه عبد اللطيف ولقبته تاج العارفين ، وجعل تاريخ ذلك العام صاحبنا
الشيخ العلامة شهاب الدين أحمد بن علي البسكري « بدا تاج العارفين » ثم
نظمه في أبيات فقال رحمه الله : [من الوافر]:

بدا تاجُ الجميعِ العارفينَا	وليُّ الله فاعلمه يقينَا
بدا عبدُ اللطيفِ بكلِّ لُطفٍ	يعمُ به الأقارب والبنينَا
بدا فأضأ الوجود له بحقُّ	وأشرق نوره في العالمينَا
وعمَّ الكلَّ مظهره سروراً	وخصَّ الأهل ثمَّ الوالدينَا
هو الشيخُ ابن شيخ وابن شيخ	إلى رأسِ الرُّؤوس على روينَا
فيا لله ما أعلاه شأنَا	وأنور وجهه الزَّاهي المينَا
وأسأل من إلَّه العزَّشِ فضلاً	بأن ينشيه نشو الصَّالحينَا
ويحميه من الأعداء دوماً	ويحفظه ويجعله مَكِينَا
بحقِّ محمد والآل طُبراً	وكلَّ الأوليا والمُزسَلينَا
وتاريخ له بدءاً وختماً	أتى يا صاح في نظمي مُبينَا
فاعينه بفضل منك واسأل	من المولى الدَّعاء له مُعينَا
تراه جاء في ذا اللَّفظ طَبَقاً	وها هو القطب « تاج العارفينَا »

وتوفي في شهر ذي القعدة سنة ست بعد ألف ، وعمره نحو سنة وشهرين ،
فإنه وُلِدَ في رمضان من السنة التي قبلها ، ومات في هذا التاريخ فليعلم ، وقبره
داخل قبة سيدي الوالد .

* * *

(١) في (م) «... ذا...» وما أثبتناه في (ط) .

سنة سبع وسبعين بعد التسعمائة

● وفي آخر شعبان سنة سبع وسبعين توفي السلطان الأعظم والملك الأكرم السلطان بدر بن السلطان عبد الله بن السلطان جعفر الكثيري^(١) سلطان حضرموت ، وكان مولده سنة اثنتين وتسعمائة وولي السلطنة وهو شاب ، وكان حسن الأخلاق ، جواداً ، كثير الإنفاق ، وافر العقل ، ظاهر الفضل ، عريق الرئاسة ، حسن السياسة ، طيب السيرة ، جميل الصورة ، حتى كان كما قال بعض الفضلاء : كان كاسمه بدرأ منيراً أينما طلع سطع ، وغيثاً غزيراً كيف ما وقع نفع ، وكان في زمنه بدر الصدور وصدر البدور ، وكان لطيف المعاشرة ظريف المحاضرة [شجاعاً]^(٢) مقداماً وهزبراً ضرغاماً ، فكم اباد أحزاب الضلال ومزقها ، وكم أزال فرق الفساد وفرقها ، وكان محظوظاً جداً حتى كان لا يقصد باباً مغلقاً إلا انفتح ، ولا يقدم على أمر مبهم إلا اتضح ، ولا يتوجه إلى مطلب إلا نجح ، وهو الذي دار^(٣) البلاد وخضعت له العباد ، وأول من أظهر بحضرموت هبة الملك بسعده ، وأسس قواعد السلطنة ومهد لها لمن بعده ، وطالت دولته حتى لم يعلم أن أحداً من السلاطين مكث في الملك هذه المدة .

وكان يقال : إن ثلاثة من السلاطين كانوا في عصر واحد ، وكانوا متقاربين في السن والولاية ، وكانوا رزقوا السعد والإقبال وطالت أياؤهم ملكهم : أحدهم صاحب الترجمة هذا ، والثاني الشريف أبو نمي بن بركات ، والثالث السلطان سليمان صاحب الروم .

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (٥٦٠ / ١٠) .

(٢) لم ترد الكلمة في (ط) ، وأثبتناها عن (م) .

(٣) في (ط) « دان » .

وَحُكِيَ أَنَّ جَمَاعَةً نَالُوا مِنَ السُّلْطَانِ بِدَرٍ بِحُضُورِ بَعْضِ الصُّلَحَاءِ الْكِبَارِ مِنَ السَّادَةِ آلِ بَا عَلَوِي فَتَهَاكُمُ عَنْ ذَلِكَ وَقَالَ : هُوَ خَيْرٌ مِنَ الْأَرْوَامِ وَمَا يَرُودُ مِنْ ذَلِكَ عَنْهُمْ ، وَلَوْلَاهُ مَا سَلِمْتَ حُضْرَمُوتُ مِنْهُمْ وَلَا اسْتَحْلَوْا الْحَرَامَ ، وَظَلَمُوا الْأَنَامَ . وَكَانَ ذَلِكَ الصَّالِحُ يَدْعُو بِطَوْلِ بَقَاءِ السُّلْطَانِ الْمَذْكُورِ ، وَكَانُوا يَرُونَ أَنَّهُ حَامٍ^(١) لَهُ بِحَالِهِ الْمَشْهُورِ ، فَمَا حَصَلَ عَلَيْهِ مَا حَصَلَ مِنْ سَابِقِ الْمَقْدُورِ ، إِلَّا بَعْدَ مَوْتِ ذَلِكَ الرَّجُلِ الْمَذْكُورِ .

وَقَدْ مَدَحَهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ الْأَعْلَامِ بِهَذِهِ الْقَصِيدَةِ الْبَدِيعَةِ وَهِيَ : [مِن الطَّوِيلِ] :

أَشْبَبُ لَكِنْ بِالْمَفَاخِرِ وَالْمَجْدِ	وَلِي صَبُوءٌ لَكِنْ إِلَى مَطْلَعِ ^(٢) السَّعْدِ
وَلِي طَرَبٌ لَكِنْ إِلَى حَضْرَةِ الْعُلَا	وَلِي ظَمَأٌ لَكِنْ إِلَى الْكَوْثَرِ الْعَدِّ
إِلَى حَضْرَةِ الْعُلَا إِلَى مُنْتَهَى الْمُنَى	إِلَى الْمَقْعَدِ الْأَسْنَى إِلَى جَنَّةِ الْخُلْدِ
إِلَى الطَّاهِرِ الْأَزْكَى إِلَى عِلْمِ الْهُدَى	إِلَى الْعُرْوَةِ الْوُثْقَى إِلَى الْجَوْهَرِ الْفَرْدِ
إِلَى الْأَمَجْدِ الْمَوْلَى إِلَى مَلِكِ الْوَرَى	إِلَى مَنَبَعِ الْحُسْنَى إِلَى الْأَسَلِ الْوَرْدِ
إِلَى ذِي الْعُلَا وَالْفَضْلِ وَالْفَخْرِ وَالْحَجَى	وَذِي النَّسَبِ الْوَضَّاحِ وَالْحِطِّ وَالْجَدِّ
إِلَى عِلْمِ الْأَجْوَادِ صَفْوَةِ جَعْفَرِ	أَبِي عُمَرَ الْمَعْطِيِّ الْمَطْهَمَةِ الْجُرْدِ
فَمَدَحَ ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ أَوْلَى فَإِنَّهُ	هُوَ الْمَلِكُ الشَّهْمِ السَّبُوقِ إِلَى الْجَدِّ
أَخُوهِمْ جَاوَزَ أَبْعَدَ غَايَةِ	وَجَزَمَ وَحَزَمَ يَغْنِيَانِ عَنِ الْحَشْدِ
فَمَا جَعْفَرٌ مَا الْمُسْتَعِينُ وَوَاتِقُ	وَمُسْتَنْصَرُ الْمُسْتَضِيءِ وَمَا الْمَهْدِي
وَمَا الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ وَالْمَكْتَفِي وَمَا الدِّ	أَمِينُ وَمَا الْمَأْمُونُ مَا صَاحِبُ الرَّشْدِ
وَمَا الْمُرْتَضَى مَا الْمَقْتَدِي ثُمَّ طَائِعُ	وَمَا الْمَقْتَفِي فِي سَاعَةِ الْبَذْلِ وَالرَّفْدِ
وَمَا قَاهِرٌ مَا قَائِمٌ مَتَوَكِّلُ	وَمُسْتَعَصِمٌ بِاللَّهِ فِي الْحُلِّ وَالْعَقْدِ
وَمَا طَاهِرٌ مُسْتَرَشِدٌ ثُمَّ رَاشِدٌ	وَمَا الْحَاكِمُ الْمَعْرُوفُ فِي النَّاسِ بِالْقُضْدِ
وَمُسْتَنْجِدٌ إِلَّا كَعَقْدٍ مَفْضَلِ	بَدَرٍ وَبَدَرِ الْمَلِكِ وَاسْطَةِ الْعِقْدِ

(١) فِي (م) وَ(ط) « أَنَّهُ حَامِيًا » .

(٢) فِي (ط) : « .. إِلَى طَالِعِ » وَكَلَا الرُّوَايَتَيْنِ صَحِيحٌ .

حَوَى كُلَّ فَضْلٍ مُجْمَلٍ وَمَفْضَلٍ وَهَذَا الَّذِي أَبَدَيْتَ مَعَشَارَ مَا عِنْدِي
فَطَاعَتُهُ فَرَضٌ وَصَحْبَتُهُ غِنَى مَجَانِبَتُهُ حَزْبٌ وَخَضْمَتُهُ تَرْدِي
فَسَبْحَانُ مَنْ أَعْطَاهُ مَلَكاً عَلَى الْوَرَى وَأَلْزَمَهُمْ فِي أَمْرِهِ خِدْمَةَ الْعَبْدِ
فَلَا زِلْتَ مَخْرُوساً وَقَدْرَكَ سَامِياً وَمُلْكَكَ مَحْفُوظاً وَعَيْشَكَ فِي رَغْدِ
وَصَيْتِكَ مَنَشُوراً وَعَدْلِكَ شَامِلاً وَجُودَكَ مَبْسُوطاً عَلَى الشَّامِ وَالْهِنْدِ
يَسَاعِدُكَ الْمَقْدُورُ فِيمَا تَرِيدُهُ وَتَخْدُمُكَ الْأَمْلاكُ فِي الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ

ثُمَّ تَوَلَّى بَعْدَهُ وَلَدَهُ السَّلْطَانُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَهُوَ الَّذِي قَبَضَ عَلَى أَبِيهِ وَحَجَرَ عَلَيْهِ
حَتَّى مَاتَ ، وَغَلَبَ عَلَى الْمَلِكِ وَوَثَبَ عَلَى السَّلْطَنَةِ ، وَكَانَ رَأَى بَعْضَ
الصَّالِحِينَ فِي الْمَنَامِ رُؤْيَا حَاصِلُهَا : أَنَّهُ رَأَى أَرْبَعَةً مِنَ الصَّالِحِينَ عَرَفَ مِنْهُمْ
الْوَلِيَّ الشَّهِيرَ الشَّيْخَ مُحَمَّدَ بَا وَزِيرَ ، كُلٌّ مِنْهُمْ قَدْ مَسَكَ رَكْنًا وَقَالُوا : نَرِيدُ نَوَلِيَّ
عَبْدَ اللَّهِ ، فَلَمْ تَمْضُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا مَدَّةً يَسِيرَةً ، وَهَجَمَ الْمَشَارَ إِلَيْهِ عَلَى أَبِيهِ
وَاسْتَوَلَى عَلَى الْمَلِكِ ، وَذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى مَا رَوَى أَنَّهُ لَا يَقُومُ سُلْطَانٌ فِي هَذَا
الْعَالَمِ عَالِمَ الشَّهَادَةِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَنْصِبَهُ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ تَعَالَى بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى فِي عَالَمِ
الْغَيْبِ . وَكَانَ حَسَنَ الْإِعْتِقَادِ فِي الْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، مُحِبًّا لِلْفُقَرَاءِ
وَالْمَسَاكِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ .

وَتَوَلَّى بَعْدَهُ وَلَدَهُ السَّلْطَانُ جَعْفَرُ ، وَلَمْ تَطُلْ أَيَّامُهُ وَمَاتَ مَقْتُولًا فِي سَنَةِ
تَسْعِينَ .

ثُمَّ تَوَلَّى بَعْدَهُ عَمَهُ السَّلْطَانُ الْعَادِلُ وَالْمَلِكُ الْكَامِلُ السَّلْطَانُ عَمْرُ بْنُ
السَّلْطَانِ بَدْرِ سُلْطَانِ الْعَصْرِ وَأَعْجُوبَةِ الدَّهْرِ ، جَمُّ الْفَضَائِلِ ، حَسَنُ الشَّمَائِلِ ،
وَافِرُ الْعَقْلِ ، كَثِيرُ الْعَدْلِ ، ذُو سِيرَةٍ مَرْضِيَةٍ فِي الرِّعْيَةِ ، وَسُلُوكٌ حَسَنٌ مَعَ سَائِرِ
الْبَرِيَّةِ ، حَسَنُ السِّيَاسَةِ ، صَادِقُ الْفِرَاسَةِ ، صَاحِبُ أَخْلَاقٍ لَطِيفٍ مِنَ التَّنْسِيمِ
وَأَبْهَجُ مِنَ الدُّرِّ النَّظِيمِ ، قَلَّ أَنْ وَرَدَ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ الْغُرَبَاءِ إِلَّا وَصَدَرَ يَثْنِي عَلَيْهِ
الثَّنَاءَ الْجَمِيلَ ، أَوْ وَفَدَ إِلَى سَاحَتِهِ بَعْضُ الْفَضَلَاءِ إِلَّا وَانصَرَفَ يَشْكُرُ مَا أَسَدَاهُ
إِلَيْهِ مِنَ الْبَرِّ الْجَزِيلِ [مِنَ الطَّوِيلِ]:

ثناءً جميلٌ عنك يُثني معطرٌ ووفرك مبدولٌ وعِرضك سالمٌ^(١)
وسعتَ الورى حلماً وبشراً بهيئةً وبذلك للمعروف والثغر باسماً
بصدرٍ رحيب واسع قد وسعتهم وجوداً حكاه الوايلُ المُتراكمُ
دمائهُ أخلاقٍ عطيةً خالقٍ رحيم كريم أصله مُتقادمُ
جمعتَ خصالاً يا ابن بدر حميدةً بواحدِها يسمى الفتى ويُساهمُ
حياءً ومعروفاً وجوداً بشاشة وعلماً وحلماً جلّ من هو قاسمُ

فالله تعالى يتمتع المسلمون ببقاء ذاته الطاهرة ، ويديم أيام دولته الزاهرة آمين . وأمه أم ولد حبشية . ولا يفهم من هذا أن مثل هذا نقيصةٌ في جلالة قدره الرفيع ، وعلو شأنه الشامخ المنيع .

وحُكي أنّ هشام بن عبد الملك قال لزيد بن علي بن الحسين رضوان الله عليهم أجمعين : بلغني أنك تريد الخلافة ولا تصلح لها لأنك ابن أمة . فقال له زيد رضي الله عنه : إنّ الأمهات لا يضعن شيئاً من الأبناء ، وليس أحد أولى بالله ولا أرفع منزلة عنده من نبي بعثه ، وقد كان إسماعيل عليه السلام من خير الأنبياء ، وولد محمداً خيرهم ، وكان ابن أمة وأخوه ابر حرة مثلك ، فاختاره الله عليه فأخرج منه خير البشر ، وأم إسحاق سارة ، فمن ولده القردة والخنازير ، وما على أحد جدُّه رسول الله ﷺ ما كانت أمه . ففجّل هشام .

[ذكر المبرد في « الكامل » قال : يروى عن رجل من قريش لم يُسم لنا قال : كنت أجالس سعيد بن المسيب ، فقال لي يوماً : من أخوالك؟ فقلت : إنّ أُمِّي فتاة ، قال : فكأنني نقصت من عينه ، قال : فأمهلت عليه حتى دخل عليه سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وخرج من عنده ، فقلت له : يا أبا عبد الله من هذا؟ فقال سبحان الله تجهل مثل هذا من قومك! هذا سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنه ، قلت : فمن أمه؟ قال : فتاة . ثم أتى القاسم بن محمد بن أبي بكر رضي الله عنه ، فجلس عنده ، ثم نهض ،

(١) في (ط) الروي مكسور ، وهو خطأ - كما لا يخفى - والصواب ما أثبتناه .

فقلت له : يا أبا عبد الله من هذا؟ قال : ما أعجب أمرك أتجهل مثل هذا من قومك؟! هذا القاسم بن محمد بن أبي بكر رضي الله عنه ، قلت : فمن أمه؟ قال : فتاة . وأتاه علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، فقلت له : يا أبا عبد الله من هذا؟ قال : الذي لا يسع مسلماً أن يجهله ، هذا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه . قلت : فمن أمه؟ قال : فتاة ، قلت : يا أبا عبد الله ، إنني رأيتني نقصت في عينك لما علمت أنني لأم ولد ، فما لي في هؤلاء أسوة؟ قال : فجعلت في عينه جداً^(١) .

وتزوج زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنه أمةً له أعتقها ، فلامه عبد الملك على ذلك وكتب إليه : أما بعد ، فإنه بلغني عنك أنك أعتقت أمتك وتزوجتها ، وقد كان لك في أكفائك من قريش ما تستكرم به في الصّهر ، فلم تنظر لنفسك ولا لولدك ونكحت في اللؤم .

فكتب إليه : أما بعد ، فإني أعتقتها بكتاب الله ، وارتجعتها بسنة رسول الله ﷺ وإنه ما فرق رسول الله ﷺ من تقي لأحد في مجد ، إن الله قد رفع بالإسلام الخسيسة ، وأتم النقيصة ، وأكرم به من اللؤم ، فلا عار على مسلم ، هذا رسول الله ﷺ تزوج أمته وامرأة عبده . فقال عبد الملك : إن علي بن الحسين تشرف من حيث يتضع الناس .

ومن غريب الاتفاق أن ثلاثة سادوا الأنام في زمانهم ، وانفرد كلٌّ منهم بالفضل الظاهر ، والعقل الباهر ، ومزيد الصّلاح ، والهمة العالية ، والسيرة الحميدة ، والذكاء العجيب ، والفهم الغريب ، والنظم الحسن ، والإنشاء البديع ، وكانت أم كلٌّ منهم أم ولد حبشية .

أما أحدهم : فالشريف الفاضل الصّالح وجيه الدّين عبد الرحمن بن أحمد البيض با علوي ، وكانت وفاته بالشّحر سادس جمادى الأولى سنة إحدى بعد الألف . والثاني : صاحبنا الشّيخ العلامة أحمد بن العلامة علي البسكري

(١) هذا الخبر برمته سقط من (ط) وما أثبتته عن (م) .

المكي ثم المغربي المالكي . وسيأتي ذكره في ترجمة صاحبه الشيخ محمد بن عبد الحق المالكي . والثالث : الشيخ الرئيس ذو الكرم الجمّ والفضل الكثير جمال الدّين محمد بن الشيخ الشهير عبد اللّطيف المكي الحنفي الشهير بمخدوم زاده ، أبقاء الله تعالى .

قلت : وكذلك كانت أم أخي السيّد محمد مصطفى الذي ينوه سيّدي الوالد بذكره ويشير إليه كثيراً أم ولد حبشية واسمها نور الصّباح ، وكانت وفاته في يوم السبت ثامن عشر ذي الحجة الحرام سنة ثمان وستين وتسعمائة « بسورت » وعليه قبّة ومزارٌ ، وكان مولده في ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان سنة سبع وستين .

وكانت أم أخي السيّد محمد فضل الله المولود في المحرم سنة ست وسبعين وتسعمائة ، والمتوفى في سابع جمادى الأولى سنة ثمان وسبعين وتسعمائة أم ولدٍ هندية ، وكانت من الصّالحات العابدات ، وكانت تقرأ القرآن العظيم ، توفيت يوم الاثنين ثاني شهر شعبان سنة اثنتي عشرة بعد الألف رحمها الله .

ويقرب من هذا ما ذكره ابن الصّلاح رحمه الله في رحلته قال : رويانا عن الزُّهري أنّه قال : « قدمت على عبد الملك بن مروان فقال : من أين قدمت يا زُّهري؟ قلت من مكة . قال : فمن خلفت بها يسود أهلها؟ قال : قلت : عطاء بن أبي رباح . قال : فمن العرب أم من الموالي؟ قلت : من الموالي . قال : فبمّ سادهم؟ قلت : بالديانة والرّواية . قال : إنّ أهل الديانة والرّواية ينبغي أن يسودوا النّاس؟ قلت : نعم . قال : فمن يسود أهل اليمن؟ قال قلت : طاووس بن كيسان . قال : فمن العرب أم من الموالي؟ قلت : من الموالي . قال : فبمّ سادهم؟ قلت بما سادهم به عطاء . قال : من كان كذلك ينبغي أن يسود النّاس؟ قلتُ : نعم . قال : فمن يسود أهل مصر؟ قلت : يزيد بن أبي حبيب : قال : فمن العرب أم من الموالي؟ قلت : من الموالي . فقال : كما قال في الأولين معه . قال : فمن يسود أهل الشّام؟ قلت : مكحول

الدَّمشقي . قال : فمن العرب أم من الموالي؟ قلت : من الموالي ، عبدٌ نوبي أعتقته امرأة من هُذيل . فقال كما قال : ثم قال ، فمن يسود أهل الجزيرة؟ قلت : ميمون بن مهران ، قال : فمن العرب أم من الموالي؟ قلت : من الموالي ، فقال : كما قال . ثم قال : فمن يسود أهل خراسان؟ قلت : الضَّحَّاك بن مُزاحم . قال : فمن العرب أم من الموالي؟ قلت : من الموالي . فقال : كما قال . ثم قال : فمن يسود أهل البصرة؟ قلت : الحسن بن أبي الحسن . قال : من العرب أم من الموالي؟ قلت : من الموالي . قال : فمن يسود أهل الكوفة؟ قلت : إبراهيم النَّخعي . قال : من العرب أم من الموالي؟ قلت : من العرب . قال : ويلك يا زُهري فرجت عني ، فوالله لتسودن الموالي على العرب حتَّى يُخطب لها على المنابر ، وأنَّ العرب تحتها . قال : قلت : يا أمير المؤمنين إنَّما هو أمر الله ودينه ، فمن حفظه ساد ، ومن ضيعه سقط .

فائدة :

● كان أبو السَّيد الجليل الكبير المقدار صاحب المقامات والأنوار الإمام العالم العابد عبد الله بن المبارك - قدس الله روحه - عبداً هندياً كما ذكره القزويني في كتاب « أخبار البلاد وآثار العباد »^(١) ، وكان هذا الرَّجل من أولياء الله تعالى وممن تستنزل الرَّحمة بذكره ، وترتجى المغفرة بحبِّه كما قاله ولي الله الإمام النَّووي رحمه الله ، فلا بد أن نشنف الأسماع بذكر شيء من أوصافه الفاخرة رجاء أن ينفعنا الله ببركته في الدُّنيا والآخرة .

حكى أنَّه كان بمرور قاض اسمه نوح بن مريم ، وكان رئيسها أيضاً ، وكانت له بنتٌ ذات جمال خطبها جماعة من الأعيان والأكابر ، وكان له غلام هندي ينظر بستانه ، فذهب يوماً إلى البستان وطلب من غلامه شيئاً من العنب ، فأتى بعنبٍ حامضٍ ، فقال له : هات عنباً حلواً! فأتى بحامض ، فقال [له]

(١) انظر « آثار البلاد وأخبار العباد » ص (٤٥٧) .

القاضي : ويحك! ما تعرف الحلّ من الحامض ؟ فقال : بلى ، ولكنك أمرتني بحفظها وما أمرتني بأكلها^(١) ، ومن لم يأكل لا يعرف . فتعجب القاضي من كلامه وقال : حفظ الله عليك أمانتك ؟ وزوج ابنته منه ، فولدت عبد الله بن المبارك المشهور بالعلم والورع ، وكان يحج [في] سنة ويغزو في سنة أخرى .

وحكي عنه رحمة الله عليه قال : خرجت للغزو مرة ، فلما تراءت الفئتان خرج من صف التّرك فارس يدعو إلى البراز ، فخرجت إليه فإذا قد دخل وقت الصلاة ، قلت له : تنحّ عني حتّى أصلي ثم أفرغ لك ! فتنحى ، فصليت ركعتين وذهبت إليه فقال لي : تنحّ عني حتّى أصلي أنا أيضاً ! فتنحيت عنه ، فجعل يصلي إلى الشمس ، فلما خرّ ساجداً هممت أن أغدر به فإذا قائل يقول : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَتْ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء : ٣٤] فتركت الغدر ، فلما فرغ من صلاته : قال لي لِمَ تحرّكت ؟ قلت : أردت الغدر بك ، قال : فلم تركته ؟ قلت : لأنّي أمرت بتركه . قال : الذي أمرك بترك الغدر أمرني بالإيمان ، وآمنَ والتحق بصفّ المسلمين .

وحكي أنّه كان معاصراً لفضيل بن عياض رحمة الله عليه ، وفضيل قد جاور بمكة وواظب على العبادة بمكة والمدينة ، فقال عبد الله بن المبارك^(٢) : [من الكامل]:

يا عابدَ الحرمين لو أبصرتنا لعلمت أنّك بالعبادة تلعبُ
من كان يخضبُ خدّه بدموعه فنحورنا بدمائنا تتخضبُ

(١) كذا في (م) و « آثار البلاد وأخبار العباد » : « بأكلها » وفي (ط) : « بالأكل منها » .
(٢) الأبيات أشهر من نار على علم ، وذكرها صاحب « آثار البلاد وأخبار العباد » مع الأخبار وما بين الحاصرتين في الأخبار مستدرک منها ص (٤٥٧-٤٥٨) وقد اختلفت روايتها بعض الاختلاف في المصادر التي ترجمت لعبد الله بن المبارك ، وقد أثبتنا - هنا - ما ورد في « النور » في المخطوط والمطبوع لصحته ، وإن اختلف بعض الشيء عن الروايات الأخرى لهذا الشعر .

وغبأُ خيل الله في أنفِ امرئٍ ودخانُ نارِ جهنمٍ لا يذهبُ
هذا كتابُ الله يحكُمُ بيننا ليسَ الشهيدُ كغيره لا يكذبُ

وحكى الحسن بن الربيع أنه خرج ذات سنة في جيوش المسلمين إلى الغزو ، فلما تقابل الصفان خرج من صف الكفار فارسٌ يطلب القرنَ ، فذهب إليه فارس من المسلمين ، فما أمهل المسلمَ حتى قتله ، فخرج إليه آخر فما أمهله [حتى قتله] ، ثم آخر فما أمهله ، فأحجمَ الناس عن مبارزته ، ودخل المسلمين منه حزنٌ ، فإذا فارس متلثم خرج إليه من صفِّ المسلمين ، وجال معه زماناً ثم رماه وحزَّ رأسه ، فكبرَ المسلمون وفرحوا ، ولم يكن يعرفه أحد ، فعاد إلى مكانه ودخل في غمار الناس . قال الحسن : فبذلت جهدي حتى دنوت منه وحلفته أن يرفعَ لثامه ، فإذا هو عبد الله بن المبارك ، فقلت [له] : يا إمام المسلمين أخفيت نفسك مع هذا الفتح العظيم الذي يسره الله على يدك ، فقال : الذي فعلت له لا يخفى عليه .

وحُكيَ أنَّ عبد الله بن المبارك عاد من مرو إلى الشام لعلم رآه معه بمرو وصاحبه بالشَّام .

ورئي سفيانُ الثوري رحمة الله عليه بعد موته في المنام ، ف قيل له : ما فعل الله بك؟ قال : رحمني . ف قيل : ما حال عبد الله بن المبارك؟ قال : هو ممن يدخل على ربِّه كلَّ يوم مرتين .

ولد سنة مائة وعشرين ، وتوفي سنة مائة وإحدى وثمانين ، عليه رحمة الله ورضوانه .



سنة ثمان وسبعين بعد التسعمائة

● وفي عشية يوم الخميس لعشرين خلت من شهر ربيع الأول سنة ثمان وسبعين : كان مولد مؤلف هذا الكتاب^(١) بلغه الله من الخير أمله ، وختم بالسعادة عمله ، وقد عمل سيدي الوالد قُدَّسَ سِرِّه لضبط العام المذكور تواريخ كثيرة منها « بخ بمولود سيد قطب زمانه » ، ولا يَخْفَى ما فيه من الإشارة المتضمنة للبشارات من هذا السَّيِّدِ الجليل والوليِّ الكبير ، وقد نظم بعض التواريخ التي جعلها سيدي الوالد صاحبنا الشيخ العلامة جمال الدين محمد بن عبد اللطيف الجامي المكي الشهير بمخدوم زاده في مقطعات له متعددة ، وقال سيدي الوالد عند ذلك : [من الطويل]:

بطلعة بي بكر الفتى عبدِ قادر	بداَ النور من نجدٍ ومن شغبِ عامرٍ
لثالثِ عشرين زهتُ بالبشائرِ	شهرِ ربيعِ ليلة الجمعة الغرّا
من الهجرة الغرّاء ذات الأشايرِ	لعام ثمان بعد سبعين سنوة
دُعي بأبي بكرٍ محمد باقرِ	وتسع مئين صحَّ ميلاد سيِّد
إلى العيدروس المُجتبى بالسرائرِ	من المضطفي المختار مشكاة نُوره

وقد خمس هذه الأبيات الفقيه الصّالح أحمد بن الفقيه محمد با جابر ، وخمسها أيضاً الشَّيْخ محمد بن عبد اللّطيف مخدوم زاده المذكور [وأيضاً

(١) في حاشية (ط) : « وقد وُجد بهامش الأصل ما نصه : توفي سيدنا وشيخنا القطب محيي الدين عبد القادر العيدروس مصنف هذا الكتاب عاشر محرم سنة سبع وثلاثين بعد الألف بأحمد آباد ، من أرض الهند ، ودُفن بجانب والده في القبة المنورة نفع الله بهما » . ووفاته في « الأعلام » (٣٩ / ٤) سنة (١٠٣٨ هـ = ١٦٢٨ م) . وانظر حاشيته والتعليق عليه .

صدرها وعجزها^(١) ، وصدرها وعجزها أيضاً صاحبنا الشيخ الصالح العلامة شهاب الدين أحمد بن العلامة علي بن محمد البسكري المكي المالكي المغربي تغمدته الله برحمته .

وكان والذي رحمه الله رأى في المنام قبل ولادتي بنحو نصف شهر جماعة من أولياء الله تعالى منهم : الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه ، والشيخ أبو بكر العيدروس رضي الله عنه وغيرهما ، وكان الشيخ عبد القادر يريد حاجة من الوالد ، فذلك هو الذي حملته على تسميتي بهذا الاسم ، وكناني أيضاً أبا بكر ، ولقبني محيي الدين ، وتقرر عنده أنه سيكون لي شأن ، وكان قلّ أن يسلم له أحد من الأولاد بأرض الهند فما عاش له منهم غيري ، وكان يحبني جداً ، قال لي مرة : إذا وقع زمانك افعل ما شئت . وكم لي منه من إشارات تضيق عن بسطها العبارات ، والأولى الآن طي حكايتها ، والمرجو من الله عود ثمرتها وبركتها .

وحكى بعض الثقات قال : جاء بعض الوزراء الكبار إلى والدك يطلب منه الدعاء في أمر من الأمور وأنت إذ ذاك صغير جداً ، وكنت جالساً بين يديه فقرأت في الحال هذه الآية : ﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾ [الصف : ١٣] . فقال الشيخ لهم : يكفيكم هذا القول . هذا مثل الوحي . قال : ثم قضيت تلك الحاجة بإذن الله تعالى .

وكانت أمي أم ولد هندية وهبتها بعض النساء من أرباب الخير وبيت الملك المشهورة بالصدقات الجليلة والهبات الجزيلة والكرم والإحسان والفضل والامتنان لأبي رحمه الله ، وأعطتها حيثنذ جميع ما تحتاج إليه من أثاث البيت ، وأخدمتها جملة من الجواري ، وكانت تنظرها مثل ابنتها وتزورها في الشهر مرات ، وكانت هي إذ ذاك بكرة ، ولم تلد له أحداً من الأولاد غيري ، وكانت من الصالحات ، على جانب عظيم من التواضع وسلامة الصدر ،

(١) ما بين الحاصرتين زيادة من (م) .

وحسن الأخلاق ، وكثرة الإنفاق . توفيت ضحى يوم الجمعة لعشرين خلت من شهر رمضان سنة عشر بعد الألف ، وكان آخر كلامها لا إله إلا الله ، وقبرها بجوار سيدي الوالد خارج قبته الشريفة رحمها الله تعالى ، وقرأت القرآن العظيم حتى ختمته على يد بعض أولياء الله تعالى وذلك في حياة الوالد تغشاه الله بالرحمة ، واشتغلت بعد قراءة القرآن بتحصيل طرف من العلم ، وقرأت عدة من المتون على جماعة من العلماء الأعلام ، وتصدت لنشر العلم ومزاحمة أهله ، وذلك بكرم الله وفضله والأخذ عن العلماء والاستفادة منهم ، ومعرفة فضلهم وتعظيمهم ، مع التطفل معهم بالأقوال والتشبه بهم في الأفعال ، وتكثير سوادهم ورعي ودادهم ، وشاركت في كثير من الفنون ، وتفرغت لتحصيل العلوم النافعة لوجه الله تعالى ، وعملت الهمة في اقتناء الكتب المفيدة ، وبالغت في طلبها من أقطار البلاد البعيدة ، مع ما صار إلي من كتب الوالد رحمه الله ، فاجتمع عندي منها جملة عديدة ، ولما بلغني أن سيدي الشيخ عبد الله العيدروس رضي الله عنه قال : من حصّل كتاب إحياء علوم الدين وجعله في أربعين جلدًا ضمنت له على الله بالجنة ، فحصلته كذلك بهذه النية والله الحمد ، ووقفت لاستماع الأحاديث النبوية ، واشتغال الأوقات بها مع صدق النية ، وطالعت كثيراً من الكتب بإعانة الله تعالى ، ووقفت على أشياء غريبة فيها وفيما تلقيتها عن المشايخ الأفراد وفضلاء العصر الأمجاد وغيرهم من الثقات ، فلم تفتني بحمد الله سبحانه إشارة صوفية ، أو مسألة علمية ، أو نكتة أدبية ، ولكني مع ذلك أظهر التجاهل في ذلك لأن الكلام على إشارات التصوف ومقامات الصوفية لا ينبغي الشخص أن يصفها إلا إذا كان متحققاً بها ، ومع ذلك فلا يجوز له أن يتكلم فيها مع غير أهلها ، لأنها مبنية على المواجيد والأذواق ، لا يطلع على بيان حقيقتها بالألسنة والأوراق .

وأما نكتُ الأدب فلا يحسن بعقل أن يشتهر بمعرفة علمها ، والله المسؤول أن يجعل ذلك مقرباً إليه ، وموجباً للزلفى عنده ولديه ، وأن يتم لنا كمال السعادة بأن يرزقنا حسن الخاتمة عند الموت ، حتى نظفر بالحسنى وزيادة مع

والدينا وأحبابنا ومشايخنا وأصحابنا وإخواننا وذرائعنا ، إنه أكرم مسؤول قريب مجيب ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب . ثم من الله عليّ بعد ذلك وله الحمد لا أحصي ثناءً عليه بما لا كان لي قط في حساب ، فسبحان المتفضل المنعم المعطي الوهاب ، حتى سارت بمصنفاتي الرفاق ، وقال بفضلتي علماء الآفاق ، ورزقتُ محبةَ أربابِ القلوب من أولياء الله تعالى ، وحظيت بدعواتهم الصالحة ، وعظمني العلماء شرقاً وغرباً ، وخضع لي الرؤساء طوعاً وكرهاً ، وكاتبني ملوك الأطراف ، وأرشدوني بصلاتهم الجليلة وهباتهم الجزيلة ، ووصلت إليّ المدائح من الآفاق كمصر وأقصى اليمن وغيرهما من البلاد البعيدة ، وأخذ عني غير واحد من الأعلام ، وانتفع بي عدة من الأنام .

وممن لبس مني خرقة التصوف من الأعيان : السيد الجليل العلامة جمال الدين محمد بن يحيى الشامي المكي ، والشيخ الكبير العلامة الشهير بدر الدين حسن بن داود الكوكني الهندي ، والشيخ الصالح العلامة الفقيه أحمد بن الفقيه الولي محمد بن عبد الرحيم با جابر الحضرمي ، والشيخ الفاضل شهاب الدين أحمد بن ربيع بن الشيخ الكبير ، والعلامة الشهير أحمد بن ربيع ابن الشيخ الكبير ، والعلامة الشهير أحمد بن عبد الحق السنباطي المكي المصري وغيرهم . وأما الذي لبسها من الملوك والتجار وطوائف الناس ، فجماعة كثيرون وخلائق لا يحصون .

وألفت جملة من الكتب المقبولة التي لم أسبق إلى مثلها ، ووقع الإجماع على فضلها ، فلا يكاد يمتري في ذلك إلا عدو أو حاسد ، وهي لعمري على ما أنعم الله به من فضله عليّ أعظم شاهد ، ككتاب : « الفتوحات القدوسية في الخرقة العيدروسية » ، وهو كتاب نفيس لم يؤلف قبله أجمع منه ، وهو مجلد ضخم ، وقرظه جماعة من العلماء الأعلام وسادات الأنام حتى إن التقاريط التي كتبوها عليه جاءت في كرايس ، ومن غريب الاتفاق أن تاريخه جاء مطابقاً لموضوعه وهو « لبس خرقة » وكان جعل هذا التاريخ الشيخ الفاضل محمد بن عبد اللطيف مخدوم زاده ونظمه في أبيات ، منها : [من الوافر]:

ولمّا كان ذا التّأليفُ فيمن تشرّف في الأنام بلبسِ خِرْقَةٍ
فلا عجب ولا بدع إذا ما أتى تاريخ ذلك « لبس خِرْقَةٍ »

وكتاب « الحقائق الخضرية في سيرة النبي ﷺ وأصحابه العشرة » ، وهو أول
كتاب ألفته ، وكان سني إذ ذاك دون العشرين ، وكتاب « إتحاف الحضرة العزيزة
بعيون السير الوجيزة » ، وهو على نمط كتاب الحقائق إلّا أنّه أصغرُ منه ، وهو
عجيب في بابه ، وقرظه بعض الفضلاء ، وكتاب « المنتخب المصطفى من أخبار
مولد المصطفى » ، واستحسن أسلوبه بعض الصّالحاء من أهل العلم جداً ،
وكتاب « المنهاج إلى معرفة المعراج » ، وكتاب « الأنموذج اللطيف في أهل بدر
الشّريف » ، ولم أعلم أن أحداً تقدمني إلى أفراد مناقب أهل بدر رضي الله عنهم ،
وهذا الكتاب الشريف من أعظم الأعمال التي أعتمد عليها وأرجو بها من فضل الله
الجنة ، وكتاب « أسباب النجاة والتّجّاح في أذكار المساء والصّباح » ، وكتاب
« الدّر الثّمين في بيان المهم من علم الدّين » ، ذكرت فيه كل ما يجب على
المبتدئ من معرفة العقائد ، ثم ما يحتاج إليه بعد ذلك من أمر دينه كالصّلاة
والصّيام والزّكاة والحج ، ثم بينت بعد ذلك الأخلاق المذمومة حتّى يجتنبها
الطالب ، والأخلاق المحمودة ليجتهد في طلبها كلّ راغب ، وهو كتاب نفيس
جداً ، ومفيد في بابه إلى أقصى الغاية ، وكتاب « الحواشي الرّشيقة على العروة
الوثيقة » ، وكتاب « مَنَح الباري بختم صحيح البخاري » ، وكتاب « تعريف
الأحياء بفضائل الإحياء » وباعثه أن سيّدي الشّيخ عبد الله العيدروس رضي الله عنه
قال : غفر الله لمن يكتب كلامي في الغزالي ، فرجوت أن يتناولني دعاه ، وأردت
إسعاف والدي بتحقيق رجاءه فإنّي سمعته يقول : إنّ أمهل الزّمان جمعت كلام
الشّيخ عبد الله في الغزالي في كتاب وأسميه : « الجواهر المتلالي من كلام الشّيخ
عبد الله في الغزالي » ، وقد اشتمل هذا الكتاب على جملة من كلامه في الثّناء
عليه وعلى كتبه ، وكتاب « عقد اللآل بفضائل الآل » ، وكتاب « خدمة السّادة آل
با علوي باختصار العقد التّبوي » ، وأرجو أن يوفّقني الله لإتمامه ، وكتاب « بغية
المستفيد في شرح تحفة المريد » وهو مختصر جداً ، وكتاب « النّفحة العنبرية

في شرح البيتين العدنية » ، وكتاب « غاية القُرب في شرح نهاية الطُّلب » ،
اعتنى به الناس كثيراً وحصلوا منه نسخاً عديدة نحو الأربعين فيما علمتُ ،
وكان بعض العلماء أمر ولده بحفظه عن ظهر القلب على جاري العوائد في حفظ
المتون ، وقد أشار إليه العلامة الحباني مع المولد في بعض القصائد التي
امتدحني بها بقوله : [من الكامل]:

وبغاية القُرب العلوم تفتحتُ وبما أتانا نخبة في المولدِ

و« شرح على قصيدة الشيخ أبي بكر العيدروس صاحب عدن النونية » ،
وهو كتاب في غاية الحسن بديع الترتيب غريب التأليف والتهديب حسن السبك
والانسجام بحيث يفهمه الخاص والعام مشتمل على فوائد جمة ومحتو على
مقاصد مهمة ، وكتاب « إتحاف إخوان الصفا بشرح تحفة الظرفا بأسماء
الخلافا » ، وكتاب « الفتح القدسي في تفسير آية الكرسي » ، وكتاب « صدق
الوفاء بحق الإخاء » ، وهو مع اختصاره عجيب في بابه غريب في وضعه
وأسلوبه ، وكتاب « التور السافر عن أخبار القرن العاشر » وهو هذا ، وتقريظ
على شرح قصيدة البوصيري التي عارض بها بانت سعاد لشيخنا شيخ الإسلام
ومفتي الأنام الفقيه عبد الله بن عبد السلام دعسين الأموي اليمني الشافعي ،
وآخر على رسالة صاحبنا الشيخ العلامة أحمد بن علي بن محمد البسكري في
تنزيه الإمام مالك رحمه الله تعالى عن تلك المقالة الشنيعة التي نسبها إليه من
لا أخلاق له ، وإجازة للفقيه الصالح أحمد بن الفقيه محمد با جابر ، وديوان
شعر جمعه بعض الأصحاب وأضاف إليه المدائح التي في النّاظم . واسمه
« الروض الأريض والفيض المستفيض » . ومن نظمي :

إذا ما اشتدَّ ليلُ الهموم ودجا جعلتُ إلى أهل بدرٍ الالتجا
وما خابَ عبدٌ لهم قد رجَا ومتى توّسل بهم لله فرجا
ومنه :

قَسَمًا ببديعِ جماله وبيان لسانه إنني لمعاني آداب صفاته رُقُ

فَقَهْتُ مِنْ مَنْطِقِهِ الْعَذْبَ حَدِيثَهُ
وَأَيُّمَا كُنْتُ فَقَلْبِي طَائِرٌ نَحْوَهُ
ومنه :

شَافِعِي أَحْمَدَ لِي عِنْدَ مَالِكِي
بَلْ حَقِيقٌ أَنْ يَغْفَرَ لَهُ زَلَّاتُهُ
ومنه :

أَيُّهَا الْعَاذِلُونَ اقْصِرُوا عَنْ عِتَابِي
لَيْسَ لِي غَيْرُ الْغَرَامِ شَرْعاً
ومنه :

يَا رَسُولِي إِذَا وَصَلْتَ إِلَى سُو
وَإِذَا جَزْتَ حَيْهَمُ أَجِرْ ذَكَرِي
ومنه :

مَرِيدِي اصْذُقْ تَنْلُ مَا تَرِيدُهُ
تَرِيدُ قَرَبَ مَوْلَاكَ يَا صَاحِبِي
ومنه :

لَمَّا كَانَ حَبِيبِي أَصْلَ مَبْدَأِ الْوُجُودِ
صَحَّ أَنَّهُمْ بَيْتَ حُسْنٍ بَدَا
ومنه :

قَالَتْ مُحَاسِنُهُ تَطِيقُ فِرَاقِي
ومنه :

نَا شِيعِي لَأَلْ مُحَمَّدٍ
وَمِنْ مَذْهَبِي حُبُّ شِيعَتِهِ

واستحسن غالب هذه المؤلفات جماعة من أهل العلم والصلاح الذين شهرتهم تغني عن الإطناب في مدحهم ، كالشيخ الصالح ولي الله العلامة جمال الدين الفقيه محمد بن عبد الرحيم با جابر الحضرمي ، والشيخ الكبير قدوة العلماء ودرة تاج الفضلاء الفقيه محمد بن الإمام عبد القادر الحباني ، والشيخ الإمام علم العلماء الأعلام شيخ الإسلام ومفتي الأنام شافعي زمانه على الإطلاق صاحب المصنفات التي اشتهرت في الآفاق الفقيه عبد الملك بن عبد السلام دعسين الأموي الشافعي اليمني ، والفقيه المحقق العلامة جمال الدين محمد بن عبد المولى القرطبي المغربي .

وكان المذكور قدم اليمن ، فاجتمع فيها بالفقيه عبد الملك ووقف عنده على مجلد فيه جملة منها فأعجب بها جداً ، وقال : إنه ما بقي لمؤلفها في هذا الزمان نظير ، وإني لأدعو له بطول العمر حتى يبدو منه مثل هذه الفوائد المستجادة ليتتفع بها من أراد الله هدايته من أهل السعادة ، وكتب الأكابر بعضها بخطوطهم ، وكان أخي السيد الكبير والولي الشهير العارف بالله تعالى الشيخ عبد الله كان الله له يعجب بها إلى الغاية ، وله في طلبها واقتنائها أشد عناية ، وكان يحثني على إرسال كل ما تجدد لي منها ، ويذكر أنه أعجبه أسلوبها جداً ، وأنه لم يجد لي مثلاً في ذلك ، ورأيت في بعض أوراقه إلى خادمه سالم بن علي با موجه وقد ذكرني فيها وقال : إنّا ما نراه إلّا في منزلة والده . وكتب إليّ الفقيه الصالح محمد بن عبد الرحيم با جابر في بعض الأوراق في أمر يطلب مني أن أفعله وكان فيه نوع صعوبة فقال : ولا تستبعد هذا يا شيخ عبد القادر ، فإنك من الذين يتصرفون في الكون ، وتفعل لهم الأشياء بإذن الله تعالى . وكان الفقيه عبد الملك رحمه الله يتمنى الاجتماع بي كما حكاه عنه بعض الثقات ، وهو الذي يقول في ذلك أيضاً في قصيدة امتدحني بها : [من الوافر]:

إذا مثلتُ شخصكم بفكري	أوالى زعقة في إثر زعقة
ومهما تذكروا عندي تُصنبي	لواعجُ صعقة من بعد صعقة
ويجري دمعُ مقلتي استباقاً	بخدي دقة من بعد دقة

فمنوا باللقاء ولو مناماً
وأحظى باجتماع في محل
بحضرة من حوى كل المعالي
وحاز السبق فيما يتغيه
تغذى بالمعارف وهو طفل
حباه الله بالعلم اللدني
وذاك الشيخ عبد القادر العبد
سليلاً الأكرمين ومنتقاهم
تبوأ في الفضائل قصر فضل
وخص ببسطة في العلم خلت
فأتاه الإله فنون علم
وأعطاه العطاء الجم فضلاً
فأدرك في العلوم مقام بسط
وصنف في فنون العلم^(١) كتباً
وخرقة أهله قد جاء فيها
وسلسلها إلى أصل أصيل
وأما في التصوف فهو فرد
لقد ورث الولاية عن أبيه
فأنفق من كنوز العلم عفواً
فيهنيه الذي أولاه مولا

لعل مريض شخص منأي ينقه
يضيء الأنس بالأفراح أفقه
وأحرز من مجيد المجد فرقه
ولا عجب إذا ما حاز حقه
وفي سن الكهولة ما أحقه
فأضحى فاتقاً بالفهم رتقه
دروس أخو الفهوم المستدقه
وأحظاهم بفخر حاز سبقه
لرايات الجلال عليه خفقه
له جمل المعارف مسترقة
بلا تعب لديه ولا مشقه
وحسن بعد حسن الخلق خلقه
وأعجز من تصوف أو تفقه
جليات أبان بهن حذقه
بتصنيف غدا الإتقان طبقه
بتنقيح أصاب الضبط وفقه
إمام قد حوى بالجمع فرقه
بتعصيب وفرض إستحققه
وخص بكل فن مستحقه
ه من تحف العطايا المستحقه

(١) في (ط) : « .. في فنون العلوم .. » وبه يكسر الوزن ، وما أثبتناه عن (م) .

قلت : وذكرى لهذه الأشياء إنما هو من باب التحدث بنعمة الله ، ولأن الذي حكيتُ عنهم ذلك من أهل الدين والصَّلاح تيمناً بأنفاسهم الطَّاهرة ، على أنَّي ما ذكرتُ من ذلك إلا القليلَ مع أنَّ ما ذكرته من أنواع لطفهم بي دون ما تركته بكثير ، جزاهم الله عني أفضل ما جزى أستاذاً عن تابعه ، ولم أر في نعم الله التي أنعم بها عليَّ بعد الإسلام والنسبة إلى رسول الله ﷺ نعمة أجل منه ، فلذلك ذكرته في هذا التَّأليف واخترت بقاءه فيَّ وفي عقبِي وأصحابي إلى آخر يوم من أيام الدَّهر ، وقد سبقني إلى ذلك من العلماء المقتدى بهم جماعة لا يحصون ، كالعلامة شيخ الشيوخ إمام المحدثين وقُدوة المحققين ابن حجر العسقلاني ، والعلامة الحافظ السَّخاوي ، والعلامة السيوطي ، والعلامة شرف الدِّين إسماعيل المقرئ اليمني صاحب « الإرشاد » ، والعلامة الحافظ الدَّيِّع ، والعلامة الفاسي ، وشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر الهيتمي ، وغيرهم .

● وفيها : فاضت بأحمد آباد بعض البرك حتَّى خرجَ عنها الماء الذي كان فيها وصارت فارغة .

● وفيها أيضاً : رُئي الدَّم في بعض برك الماء بأحمد آباد .

* * *

سنة تسع وسبعين بعد التسعمائة

● وفي ربيع الثاني سنة تسع وسبعين توفي الفقيه الصوفي الجامع بين الشريعة والحقيقة حسين ابن الفقيه عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن الحاج با فضل الشافعي الحضرمي^(١) بتريم ، ولصاحبنا الأديب الفاضل الفقيه عبد الله بن أحمد بن فلاح الحضرمي في تاريخ ذلك بيتان وهما :

شيخُنَا حيٌّ تجده ضابط العام الذي مات
فيه حسين بن الفقيه با فضل بالحاج ذي الكرامات

وكان من كُمل المشايخ العارفين الجامعين بين علوم الشريعة وسلوك الطريقة وشهود الحقيقة ، صاحب أحوال سنية ومقامات عليّة وفراشات صادقة وكرامات خارقة . وله في التّصوف رسالة سماها : الفصول الفتحية والنفثات الروحية فيما يوجب الجمعية وعدم البراح من جانب الحق والفناء والبقاء به بالكلية والجزئية .

ومن كراماته : أنّه كان مرة في مجلس وبين يديه مريده فضل بن إبراهيم ، فكان يتكلم بأشياء بطريق الكشف كعاداته ، وكان في ذلك المجلس أخي السيّد عبد الله ، فالتفت إليه فضل المذكور وقال : إنّ والدك ركب في بعض الخشب وسرى هذه الساعة ، فقال الشيخ حسين : ما خرج من الهند أصلاً ، فتراجعا ، فقال الشيخ حسين : إما عليّ كذا أو عليك كذا من باب البسط ، ثم اتفقا على أنّه ما خرج ، فاتفق أنّ أخي كتب هذه القصة في كتاب ووقع عزمه إلى الهند في تلك السنة ، وكان الكتاب المذكور في صحبته ، فلما رآه والده قال : صدق الاثنان الشيخ حسين ومريده إلا أنّ الشيخ حسين كان نظره يشرف على حقائق

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠ / ٥٦٧) .

الأشياء ، وأخبر أنه كان في ذلك الوقت في ذلك اليوم في ذلك الشهر عزم من أحمد آباد بنية بر عرب لأن الوزير وهو عماد الملك الذي كان يعوق عليه ذلك خرج في تلك السنة للصيد ، فلما كان في أثناء الطريق لحقه الوزير المذكور فصده عن ذلك . قال : وأما قول فضل أنه ركب في بعض الخشب وسرى هذه الساعة ، فإنَّ البُهْل^(١) . إذا مشى به البقر يشبه سراية الخشب في البحر . وبينما هو في بعض الليالي يسير في الطريق إذ وجد والذي رحمه الله ، فوقفاً يتذاكران واستمرا كذلك إلى الصُّباح .

وحكي أنه قال : ما عندنا من الأعمال التي نعتمد عليها شيئاً إلا ذرة من حبِّ آل محمد ﷺ ، فبلغ ذلك الشيخ أحمد بن الحسين العيدروس ، فقال : هنيئاً له ، هذا هو الذي عناه الشيخ أبو بكر العيدروس بقوله : [من الرجز]:

لَكَ الْهَنَاءُ إِنْ حَلَّ فِيكَ ذَرَّةٌ مِنْ حَبِّهِمْ أَوْ لَاحَ مِنْكَ حَظْرُهُ
بَذَرَهُمْ مَا أَعْظَمَ الْمَسْرَةَ طُوبَى لِقَلْبٍ حَلَّ حَبَّهُمْ بِهِ

وكان مولعاً بكتب الشاذلية ، وكان يميل إلى طريقتهم السنية ، حتى قيل فيه : إنه شاذلي زمانه . روي ذلك عن الشيخ الكبير والولي الشهير أحمد بن سهل . وكان يعظم الشيخ محيي الدين بن عربي ، ويقرىء كتبه ، وكان له في اقتنائها أشد عناية حتى إن كتاب « الفتوحات المكية » كان لا يوجد بحضرموت إلا عنده ، ولما كتب والذي إلى ولده السيّد عبد الله أن يحصله له طلبه من الشيخ حسين فامتنع أولاً ، وسأل بعض الثقات أن السيّد عبد الله يريد يحصله لنفسه أو لوالده ؟ فقال : لا بل لوالده ، فأعطاه إياه .

وحكي أنَّ الشيخ بلّ النسخة التي كانت عنده عند وفاته ما خلا باب الوصايا منه وقال : إنما فعلته تعظيماً لشأنه ، لأن الناس لا يفهمون معانيه ، فيقعون في الغلط بسبب ذلك .

(١) البُهْل : الإبل المهيمة ، مفردها : باهل .

قلت : وكان الشيخ [حسين]^(١) من المشايخ المربين ، وكتب الشيخ ابن عربي اشتملت على علوم لا يفهمها إلا أهل النهايات وتضرُّ بأرباب البدايات .

قال الحافظ السيوطي : والقول الفصل عندي في ابن عربي : طريقة لا يرضاها فرقنا أهل العصر لا من يعتقدوه ولا من يحط عليه . وهي اعتقاد ولايته وتحريم النَّظَر في كتبه .

قلت : وحكى الشيخ الإمام العلامة بحرَّق أنه سمع الشيخ أبا بكر العيدروس يقول : لا أذكر أن والدي ضربني ولا انتهرني إلا مرة واحدة بسبب أنه رأى بيدي جزءاً من كتاب « الفتوحات المكية » لابن عربي فغضب غضباً شديداً ، فهجرتها من يومئذ . قال : وكان والدي ينهى عن مطالعة كتابي « الفتوح » و« الفصوص » لابن عربي ويأمر بحسن الظن فيه وباعتقاد أنه من أكابر الأولياء العلماء بالله العارفين ، ويقول : إن كتبه اشتملت على حقائق لا يدركها إلا أرباب النهايات وتضرُّ بأرباب البدايات .

قال الشيخ بحرَّق : وأنا أيضاً على هذه العقيدة ، وأدركت عليها جماعة من المشايخ المُقْتَدَى بهم .

قلت : وهذا مقتضى كلام السيوطي رحمه الله ، وأنا أيضاً على هذه العقيدة ، وهذه الطريقة أسلم والله أعلم . ووجدت بخط صاحب الترجمة سيدي الشيخ حسين بن الفقيه عبد الله بالحاج با فضل رضي الله عنه ونفع به آمين : أن الشيخ الإمام وليَّ الله تعالى محيي الدِّين النَّووي لما رأى كلامه وطالعه قال : الكلام كلام صوفي . ثم قال الشيخ حسين : وهو كما قاله هذا الإمام أن كلامه كلام الصَّوفية ، وإنَّما هو بسط العبارة في موضع الإشارة وما يحمله من ينكر على الصَّوفية . ووجدت بخطه أيضاً ما صورته هذه الأبيات تصلح في الشيخ محيي الدِّين : [من الوافرا]:

(١) ليست الكلمة من (ط) .

دُعُوهُ لَا تَلُومُوهُ دُعُوهُ فَقَدْ عَلِمَ الَّذِي لَمْ تَعْلَمُوهُ
رَأَى عِلْمَ الْهَدْيِ فَسَمَّا إِلَيْهِ وَطَالَبَ مُطْلَباً لَمْ تَطْلُبُوهُ
أَجَابَ دَعَاءَهُ لَمَّا دَعَاهُ وَقَامَ بِحَقِّهِ وَوَضَعْتُمُوهُ
بِنَفْسِي ذَاكَ^(١) مِنْ مَمْنُوحٍ قُرْبٍ وَطَاعِمٍ مُطْعِماً لَمْ تَطْعُمُوهُ

قلت : وعلى بالي حكاية غريبة وقعت للشيخ ابن عربي تدلُّ على فضله العظيم أذكرها هنا تيمناً بذكره واستشعاراً بعظيم قدره ولأن المؤرخين يقولون : من ذكر إنساناً وعلم له نادرة فلم يذكرها فقد ظلمه . ذكر بعض المعتنين بأخباره والمدونين لمحاسن آثاره : أنَّ صاحب إشبيلية أرسل مالا عظيماً إلى مكة شرفها الله تعالى ، وأوصى الوكيل أن لا يفرق هذا المال إلا أعلم أهل الأرض ، واتفق أنه اجتمع تلك السنة بمكة شرفها الله تعالى من المشايخ والعلماء والفقهاء ومن كل ذي فن من العلوم ما لم يجتمع في عصر من الأعصار ، وهي السنة التي اجتمع فيها الشيخ شهاب الدين السهروردي بالشيخ محيي الدين رضي الله عنهما ، وقال كل واحد منهما في شأن صاحبه ما قال ، فأجمع الكل على الشيخ محيي الدين رضي الله عنه ، وأن لا يفرق المال سواه ، ففرقه ، فلما فرغ من تفريقه قال : لولا أنَّ خوفي خرق الإجماع لامتنعت ، فقال له بعض أصحابه : لِمَ يا سيدي؟ قال : ما أريد به وجه الله ، بل أريد به التَّفاخر ، فقال له : يَبْنِي لي ذلك . فقال : إنَّ صاحب الغرب أراد أن يفتخر بي على سائر ملوك الأرض إذ قد علم أنه لا يفرقه سواي ، فما أراد به وجه الله تعالى بل أراد التَّفاخر ، فبلغ ذلك المجلس إلى صاحب إشبيلية ، فبكى وقال : صدق الشيخ ، هذا أردت .

ومن شعر ولده محمد وكان قد جاور بالمدينة الشريفة فطلب منه بعض الأصحاب العود إلى وطنه وكتب إليه هذه الأبيات : [من الكامل]:

لَوْ قِيلَ لِي فِي حُضْرَمُوتِ جَوَاهِرٍ تُعْطَى بِلَا مَنْ لِكُلِّ طَلِيبٍ

(١) سقطت هذه اللفظة من (ط) .

أَوْ قِيلَ لِي مَا تَشْتَهِيهِ^(١) وَمَا
لَاخْتَرْتُ مِنْهَا نَظْرَةً فِي طَيِّبَةٍ
هَذَا خُلَاصَةٌ رَغْبَتِي فِي غُرْبَتِي
مَاذَا يُرَادُ وَيُشْتَهَى فِي غَيْرِهَا
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ رَبِّي دَائِمًا

ومنه : [من الطويل]:

أَتَيْنَا قُبَاءً قَالَ مَسْجِدُهُ لَنَا مَقَالًا فَصِيحًا وَهُوَ بَيْتٌ مِنَ الشُّعْرِ
لَقَدْ ضَعْتُ فِي قَفْرِ فَمَا لِي عَائِدُ فَوَا حَسْرَتَا إِذْ كُنْتُ فِي جَانِبِ الْبُرِّ
ولهذين البيتين قصةٌ عجيبة ، وهي أَنَّ المشار إليه كان يختلف كثيراً إلى
مسجد قباء ، وكان وقف المسجد إلى جهة الشيخ أبي اللطيف البري ، وما كان
يقوم بخدمة المسجد ، وما يحتاج إليه من العمارة وغيرها كما ينبغي ، فكتب
هذين البيتين على مسجد قباء .

وبالجملة : فَإِنَّهُ كَانَ لَطِيفَ النَّظْمِ رَقِيقَ الطَّبَعِ ، وكان صاحبنا الفقيه
أحمد بن الفقيه محمد با جابر قد اجتمع به بالمدينة الشريفة فحكى عنه من
التَّوَادِرِ الْمُسْتَظَرَفَةِ وَالْحِكَايَاتِ الْمُسْتَظَرَفَةِ شَيْئًا كَثِيرًا ، وله مشاركة في كثير من
العلوم ، وتقرأ عليه الطَّلَبَةُ فِي غَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ الْفُنُونِ ، وهو إلى الآن موجود ،
وله أَخٌ ثَانٍ بِحَضْرَمَوْتَ اسْمُهُ زَيْنٌ عَلَى قَدَمٍ وَالِدُهُ يُشَارُ إِلَيْهِ بِالصَّلَاحِ .

● وفيها : فِي ضَحَى يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ ثَانِي عَشَرَ شَهْرَ جَمَادَى الْأُولَى تُوْفِي
الفقيه عبد القادر بن الفقيه عبد الله بن الفقيه الصَّالِحِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بَا فَضْلٍ
بَعْدَنَ ، وَدُفِنَ دَاخِلَ دَائِرَةِ مَقْبَرَةِ جَدِّهِ الْفَقِيهِ مُحَمَّدٍ بِالْقَرْبِ مِنْ قَبْرِهِ ، وَكَانَ رَجُلًا
لَبِيبًا عَاقِلًا فَاضِلًا أَدِيبًا بَلِغًا نَحْوِيًّا يَقُولُ الشَّعْرَ ، وَكَانَتْ لَهُ مِشَارَكَةٌ فِي الْفَقْهِ
وَالْحَدِيثِ . أَخَذَ عَنِ الْفَقِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَخْرَمَةَ ، وَالْعَلَامَةِ شَهَابِ الدِّينِ

(١) فِي (م) وَ(ط) : « تَشْتَهِي » وَلَا يَسْتَقِيمُ بِهَا الْوِزْنُ .

أحمد بن عمر الحكيم ، وأخذ النحو واللغة عن الفقيه محيي الدين عبد القادر الحموي وذلك ببلده عدن ، وكان قائماً بوظيفة مسجد الدراسة ، وولي نيابة الشافعية بمدينة عدن ، وكانت سيرته حسنة محمودة رحمه الله تعالى .

● وفيها : مات قاضي القضاة محمد حاجي بمكة المشرفة ، فقال الأديب عبد الرحمن الخفاجي المكي مؤرخاً لذلك : [من الوافر]:

لقد رحمَ المهيمَنُ قبرَ قاضي	عزيزاً قد سما عزَّ افتخاره
إمامَ عالمٍ حبرٌ تقيٌّ	به الشرع الشريف علا مناره
فدلَّ على سعاده انطراحٌ	ببابِ الله من قد عزَّ جاره
له عدلٌ به الركبان سارت	وزان جماله الأسنى وقاره
بميزان يحلُّ بخيرِ أرضٍ	فكان بمكة الغرَّا قراره
فتاريخُ الوفاة له بضبطٍ	وتحرير جنان الخلد داره

● وفيها بنى والدي بأحمد آباد بيتاً ، وجاء تاريخه « بيت السعادة » وجعل هذا التاريخ الشيخ عبد المعطي با كثير ثم نظم في أبيات فقال : [من الكامل]:

أكرم بأرفع روشنٍ قد زينت	أرجاؤه إذ صار في عُرفاته
قد أتقن الأستاذ صنعة وضعه	فزهـا وفاق بذاته وصفاته
أنشاه مولانا الشريف بقصره الـ	عالي المنيف فشاد من بركاته
شمسُ الشَّموس العيدروس المجتبى	شيخُ بن عبد الله شهْمُ حماته
قطبُ الوجود وغوثنا وملاذنا	ياربِّ متّعنا بطول حياته
يا حسنهُ من روشن في غرفة	قد زُخرفت منه بحسن سماته
بالعيدروس سَمًا وجاز نضارة	مُذ حلَّ فيه بنفسه وبذاته
ومن السَّعادة قد أتى تاريخه	« بيت السَّعادة » فهو من آياته

* * *

سنة ثمانين بعد التسعمائة

● وفي سنة ثمانين توفي العبد الصالح الشيخ عبد الرحيم بخضر خادم سيدي الشيخ الوالد فقير الشيخ الكبير سعيد بن عيسى العمودي ، وكان له حسن ظن مفرط في الوالد حتى إنه كان يبتلع بصاقه ، وكان مجذوباً ، ورويت عنه كراماتٌ رحمه الله آمين .

● وفيها : أخذ السلطان أكبر بن همايون كجرات ، وهو من أولاد تيمورلنك بينه وبينه أربعة آباء ، وكان عظيم الشأن ، ورزق السعد في أيامه ، وطالت مدة ولايته واتسع ملكه جداً ، وكان عادلاً حليماً عاقلاً حكيماً . والكلام فيه يطول والمسائل في شأنه تعول ، فلنقبض العنان والله المستعان . وكانت مدة سلطنته خمسين سنة ، وتوفي في شهر جمادى الآخرة سنة أربع عشرة بعد الألف ، وتاريخ العام يجمعه « غدي » بالياء وهي لغة غير فصيحة في غدا - بالألف - أي ذهب ، وقلت في ذلك :

غدي أكبر في الزاهيين وذو سنة الله في الغابرين^(١)
وتولى بعده ولده سليم شاه .

● وفيها : وقع ختم « إحياء علوم الدين » بحضرة سيدي الوالد ، فأنشأ الشيخ عبد المعطي با كثير قصيدة وهي : [من الكامل]:

يا سيّد السادات	يا بن المصطفى	يا نسلَ حيدر	يا عظيمَ الشأنِ
يا قطبُ	يا غوثَ الورى	يا من حوى	بالعلم والتقوى
يا شيخ	يا بن العيدروس	ومن سَمَا	ذاتاً وأوصافاً
			بكلِّ زمانِ

(١) كذا رواية البيت في (ط) وقد ورد الشطر الثاني في (م) بلفظ : « والحمد لله رب العالمين » .

يا خادِمَ العِلْمِ الشَّريفِ بقلبه
أَكْمَلْتَ إِحْيَاءَ العُلُومِ قِراءَةً
أَبَدِيَّتٍ فِيهِ فَوَائِدُ وَفَرائِدُ
أَبْرَزْتَ دُرّاً مِنْ مَكَامِنَ وَضَعَهُ
قَرَّرْتَ كُلَّ دَقِيقَةٍ وَجَلِيلَةٍ
فَكَأَنَّ حَضْرَتَكَ العَلِيَّةَ جَنَّةً
أَوْ رَوْضَةً قَدْ أَيْنَعَتْ أَزْهَارُهَا
وَكَأَنَّ ذَاتَكَ إِذْ جَلَسْتَ بِمَجْلِسِ التَّ
مِنْ حَوْلِكَ الْأَشْرَافِ يَمْنَةً يَسْرَةً
مِنْ آلِ بَا عَلَوِي أَعْلَامِ الْهَدْيِ
مَتَمَسِّكِينَ بِسُنَّةِ وَجْمَاعَةٍ
هَذَا هُوَ الْفَخْرُ الْمَنِيفُ إِذَا تَعَدَّ
بِالْعِلْمِ وَالنَّسَبِ الشَّرِيفِ وَبِالتَّقَى
فَتَهَنَّ يَا بَنَ الْعِيدَرُوسِ بِخَتْمِكَ الـ
خَتْمُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَهَابَةِ رَوْنَقُ
لَا زِلْتَ فِي دَرَسِ الْعُلُومِ مُوَاصِلاً
وَاسْلَمْ وَدَمَ فِي عِزَّةٍ وَمَكَانَةٍ
وَعَلَيْكَ مِنْ رَبِّ الْأَنْامِ تَحِيَّةٌ

وَلِسَانُهُ وَبَسَائِرُ الْأَرْكَانِ
بِالْبَحْثِ وَالتَّصْحِيحِ وَالْإِتْقَانِ
بِفَصِيحٍ نُطْقٍ مَغْ صَحِيحٍ بَيَانِ
كَعَرَائِسَ تُجْلَى عَلَى الْآذَانِ
بِعِبَارَةٍ عَذْبَتْ بِحَسَنِ بَيَانِ
فَقَطُوفُ أَثْمَارِ الْفَوَائِدِ دَانِ
أَوْ مَظْهَرُ الْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ
بِدَرَسِ تَلْقَى الدَّرْسَ كَالسُّلْطَانِ
خَيْرَ الْبَرِيَّةِ مِنْ بَنِي عَدْنَانِ
أَهْلُ التَّقَى وَالِدَيْنِ وَالْقُرْآنِ
مَتَزِينِينَ بِزِينَةِ الْإِيمَانِ
مُفَاخِرًا بِالِدِّينِ لِلْإِنْسَانِ
وَالسَّعْيِ دَأْباً فِي رِضَا الرَّحْمَانِ
إِحْيَا تَمَاماً فِي أَقْلٍ أَوَانِ
زَيْتُهُ بِجَمَالِكَ الْفَتَّانِ
خَتِمْ لِدَرَسِ بَابِتْدَاءِ ثَانِي
فِي ذُرْوَةِ الْعُلْيَا بِكُلِّ زَمَانِ
مَا غَرَدَتْ وَزُقَّ عَلَى الْأَغْصَانِ

* * *

سنة إحدى وثمانين بعد التسعمائة

● وفي سنة إحدى وثمانين : فَقَدَ مركب سيدي الشيخ الوالد المسمى بالعيدروسي وهو مسافر من الشَّحَر إلى الدِّيُو ، وكان فيه جماعة من الأشراف وغيرهم ، فحصلت لهم الشَّهادة .

● وفيها : قدم الإمام العلامة أبو بكر ابن الإمام برهان الدِّين إبراهيم مطير بندر المخا ، فكتب إليه الشَّريف الفاضل الولي العارف بالله تعالى السَّيِّد حاتم بن أحمد الأهدل هذا السُّؤال ، وهو : [من البحر الكامل]:

يا مَنْ له في التَّخو فهمٌ ثاقِبٌ	ودرايةٌ في الشُّعر من بين المَلَأَ
أوضحٌ بفضلِكَ لي جواباً شافياً	عن بيتٍ شِعر كله قد أَشْكَلا
البيتُ هذا من قصيد قاله	عبد الرِّحيم فصَح لنظم قد حلا
ذكرَ المعاهد والزَّمان الأولا	فبكى لأيام العُذِيب وأغولا
وبدا له برقٌ بأبرق رامة	وهناً فبات من الجوى مُتَمَلَملا
نامتُ عيونُ العالمين فلم يَنَمْ	وسَلَت قلوبُ العاشقين وما سلا
إنْ كان فارقه الفريقُ فروحه	معهم تسير مع الهودج في الفَلا
هل إن تراها في الأخير بكسرة	أو فتحة حَقَّق هديت تفضُّلاً

فأجاب : [من الكامل]:

إنْ في الكلام بكسرة شرطية	والفا جواباً جاء بعد مفضلاً
ويريدُ إنْ هم فارقه فروحه	معهم ملازمة تساير في الفَلا
والفتحُ لم يظهر له معنى وإنْ	قُلْنَا به جاء الجواب معطّلاً
ولقد أجَادَ الشَّاعرُ المنطيقُ ^(١) في	لفظٍ بديعٍ مَغ فصاحته حَلا

(١) تحرفت في (ط) إلى : (المنطق) .

حاكت بلاغته القريظ فخلته وشياً على الحسنأ يفوق على الحلا
لا زالت الألفاظ طوعَ مراده وفؤاده بالذرّ صار مكلّلاً^(١)
ثمّ الصّلاة على النّبئ وآله وصحابه والتّابعين على الوّلا

● وفيها : جاء السلطان أكبر إلى كجرات ، وذلك أنه بعد أن أخذها ترك فيها بعض الوزراء ورجع ، فحاول من بقي من أمراء كجرات أن يستنزعوها من يد ذلك الوزير وحاصروه بجموع عديدة ، وكادوا أن يظهروا عليه ، فلما سمع السلطان بهذا الخبر دهمهم بجنود كثيرة ، ووصل إليها في مدة قليلة ، وحاربهم أشد المحاربة حتى قتلهم عن آخرهم .

● وفيها : وقع بأحمد آباد ريح عاصف عظيم مع غبار كثير حتى أظلمت الأرض ، وعقبه رعد وبرق وقليل مطر .

* * *

(١) في (م) : « ... مكلّلاً » .

سنة اثنتين وثمانين بعد التسعمائة

● وفي سنة اثنتين وثمانين توفي الفقيه العالم العلامة المتبحر سراج الدّين عمر بن عبد الوهاب النّاشري^(١) رحمه الله تعالى بمدينة زَبِيد ، وكان سئل عما يعتاده أهل زَبِيد من العيد الذي في أول خميس من رجب هل له أصل ، وهل هو سنة أم لا ؟ فأجاب بهذه الأبيات : [من البسيط]:

وسائل سال عن قوم وعادتهم	عيد الخميس الذي في مبتدا رجب
أسنة هو أو لا ؟ أو ضحوه لنا	وما لتمييز هذا اليوم من سبب ؟
فقلتُ ذا مبدأ الإسلام في يمن	عيد الخميس الذي في مبتدا رجب
أتى معاذ بأمر الله فيه لنا	بالاتباع إلى منهاج خير نبي
فصار ذلك عيداً عندنا فلذا	نخضه بمزيد الحب في القرب
ولا نقول بتخصيص الصّيام له	ولا صلاة ولا شيء من القرب
نعم لنا فيه تخصيص المحبة إذ	كان النّجاة لنا فيه من العطب
فصار إقباله فيه القبول على	قوابل القابلين الأكل عن إرب ^(٢)
ثمّ الصّلاة مع التّسليم لا برحا	على محمّد خير العجم والعرب
والآل والصّحب ثمّ التابعين لهم	ما انهل مُزناً على الأشجار والكثب

● وفيها : توفي الشّيخ الفاضل عبد القادر بن أحمد بن علي الفاكهي^(٣) المكي بمكة ، وكان مولده في شهر ربيع الأول من عام عشرين وتسعمائة . وله

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠ / ٥٨٢ - ٥٨٣) .

(٢) في (م) : « . . الكل عن إرب » .

(٣) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠ / ٥٨٢) ، و « معجم المؤلفين » (٥ / ٢٨٣)

و « الأعلام » (٤ / ٣٦) .

تصانيف مفيدة منها : شرحان على « البداية » للغزالي أحدهما^(١) أكبر من الآخر ، ومصنفاته كثيرة لا تنحصر ، ورأيت منها جملة عديدة في فنون شتى . ولعمري إنّه يشبه الجلال السيوطي في كثرتها بحيث أنه يكتب على كلّ مسألة رسالة مع أنّ عبارته ما هي بذاك رحمه الله . وسئل عن حكمة ما يقع أيام الموسم من حدوث الهمّ والتشاغل لمن لا عيال له ولا دين يثقله ويهمه ، فقال : إنّ السرّ في ذلك والله أعلم هو اشتغال أكثر الناس واهتمامهم بمعاشهم ونحوه ، فيسري ذلك منهم ولغيرهم كما جاء في الحديث : « المؤمنون كالجسد الواحد إذا اشتكى بعضه شكى البعض الآخر »^(٢) .

ومن شعره : [من الكامل]:

إن كان رفضي في محبة حيدر وبنيه^(٣) قاطبة فإنني رافض
حسبي اقتدائي بالإمام مقلدي الشافعي بحر العلوم الخائض
ومنه في القهوة : [من مجزوء الرمل]:

إشرب القهوة صرفاً تجد الصفو مزاجاً
واذكر الله عليها تشهد الأنس سراجاً

ومنه تاريخ بيت بناء الشريف أبو نمي سلطان مكة : [من الخفيف]:

إن بيتاً بناءه خيرٌ مليك أسس المجد كُفّه وأشاده
فاق في وصفه وحسن بداه كلّ قصرٍ به العلا والسيادة
جاء تاريخ وصفه في نصيفٍ أنا بيتُ الملوك دارُ السعادة
وكان الفقيه الصالح محمد بن عبد الرحيم با جابر رحمه الله قد اجتمع به

(١) في (م) : « أهل هما » ، وما أثبتناه في (ط) .

(٢) قطعة من حديث رواه البخاري رقم (٦٠١١) ومسلم رقم (٢٥٨٦) عن النعمان بن بشير رضي الله عنه مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ .

(٣) تحرفت في (ط) إلى : « وبنير . . . » .

بمكة سنة سبعين وتسعمائة وأنشده هذين البيتين من لفظه وذكر أنهما لجده :
[من البسيط]:

بادِرْ إلى طلبِ العِلْمِ العزيز وإن ضاقت ولم تصفُ أقوات وأوقاتُ
ولا تؤخِّرْ لصفو ورجا سعة فهم يقولون للتأخير آفاتُ
● وفيها : توفي العلامة المتفنن القاضي عيسى الهندي بأحمد آباد ، وكان
من أعيان العلماء المشهورين وأوحد المشايخ المدرسين ، وله تصانيف نافعة
رحمه الله .

● وفيها : توفي سلطان [الروم] ^(١) العثمانيين السلطان سليم ^(٢) بن السلطان
سليمان . وللأديب مامية الانقشاري في تاريخ موته : [من الرمل]:

فارقَ المُلكَ سليمُ المُجتبى وغدا ضيفاً على باب الكريم
وغدا في الشهدا تاريخه رحمة الله على حيِّ سليم
وقد وضع لوفاته أيضاً بعضهم تاريخاً مطابقاً إلا أن فيه تجاوزاً من حيث
الكتابة ومن حيث اللفظ أيضاً وهو : « مضاً سليماً » قال بعض أصحابنا : وهذا
لا بأس به ولو كان ملحوناً فالعلم حاصلٌ . ولمامية الانقشاري تاريخ ابتداء
سلطنة سليم نصيف هو « تولى سليم الملك بعد سليمان » وتولى بعده ولده
السلطان مراد . ولمامية الانقشاري في تاريخ ذلك : [من الكامل]:

بالبخت فوق التّخت أصبح جالساً ملكٌ به رحمَ الإله عبادهُ
وبه سريزُ المُلكِ سرٌّ فأرخوا حاز الزّمان من السّرور مُراةُ
ولبعضهم أيضاً في مثل ذلك بيتان : [من مجزوء الكامل]:

يا سائلي تاريخ من وليّ الخلافة والحرم

(١) لم ترد الكلمة في (ط) ، وأثبتناها عن (م) .

(٢) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠ / ٥٨٠-٥٨١) و « أخبار الدول وآثار الأول » للقرماني

(٣ / ٦٦-٧٣) و « الكواكب السائرة » (٣ / ١٥٦) و « تاريخ الدولة العلية العثمانية » ص

(٢٥٣-٨٥) و « العقد المنظوم » (٤٥٤-٤٥٦) .

فاسمعه منِّي إنه هذا المراد لقد حَكَمَ

ومولد هذا مراد في سنة إحدى وخمسين وتسعمائة فأفهم بعض المؤرخين أن مراداً هذا من الصالحين لكون تاريخ مولده يجمعه عدد حروف الذكر لقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٥] ، وتوفي السلطان مراد رحمه الله ثاني جمادى الأولى سنة ثلاث بعد الألف ، وتولى بعده السلطان محمد ، وهو السلطان اليوم .

● وفيها : عمر الوزير درويش باشا حماماً عظيماً ، فعمل الأديب البارع مامية الانقشاري لذلك تاريخاً لطيفاً وهو « حمام رفع الحدث » ثم نظمه في أبيات وهي : [من السريع]:

في دولة السلطان عدلاً مراد	من حكمه شرقاً وغرباً مكث
درويش باشا شاد حمامه	ومن قديم مثله ما حدث
يروى الشفا عن مائه والهوى	كأن روح الله فيه نفث
فاجزم على الغسل به كي ترى	تاريخه « حمام رفع الحدث »

● وفيها : أيضاً عمر الوزير المذكور جامعاً بدمشق المحروسة^(١) ، فجعل له مامية الانقشاري أيضاً تاريخاً وضمه في هذه الأبيات : [من الرجز]:

في دولة السلطان بالعدل مراد	من قام بالفرض وأحيا السنة ^(٢)
درويش باشا قد أقام معبداً	وكم له أجر به ومنه
بناه خير جامع تاريخه	« لله فاسجد واقترب بجنته »

* * *

(١) انظر الخبر في « شذرات الذهب » (٥٨٠ / ١٠) .

(٢) في (م) و (ط) : « .. واجباً والسنة » وما أثبتناه في « شذرات الذهب » وهو الأصح للمعنى والوزن معاً .

سنة ثلاث وثمانين بعد التسعمائة

● وفي المحرم سنة ثلاث وثمانين : طلب السلطان عبد الله بن بدر الكثيري الفقيه الصالح العلامة محمد بن عبد الرحيم با جابر من بلدة بروم إلى الشَّحر ليؤليه تدريس مدرسة أبيه السلطان بدر بها وألزمه بذلك ، ففعل ، وانتفع بتدريسه الأنام واستنارت بذلك وجوه الليالي والأيام . وما أحسن ما قاله السيّد الشريف الفاضل وجيه الدّين عبد الرّحمن بن أحمد البيض با علوي رحمه الله في ذلك : [من الكامل]:

شمسُ الهدى طلعت وغاب رقيها	ونجومُ نحسِ الجهل آن مغيّها
بظهور مولانا ومالك عضرنا	نجلُ الخلافة فحلّها ونجيّها
مولى ملوك الأرض غير مدافع	ومدفع لبعيدها وقريبها
عبد الله السلطان منصور اللوا	مردى العداة بكفّه تعذيبها ^(١)
لما أتى للشَّحر يصلح أمرها	وجميع داعية الفساد يذّيبها
ودعى إمام العصر فرد زمانه	شيخ العلوم فقيها وأديها
أعني الفقيه محمد بن مزاحم	من زاحم العلماء وحاز نصيبها
العالمُ الحبرُ المبرّز في العلا	سباقُ غايات الكرام خطيبها
جاد الزمانُ به علينا فاغتدت	أيامه معلومة من طيبها
غُفرت ذنوبك يا زمانُ جميعها	إذ قد برزت إلى القلوب حبيبها
إن كنت ترغب في العلوم ونقلها	بادِرْ إليه وسلّه في تهذيبها
فعلى الخبير بها سقطت فسله عن	ما شئت من عزيزها وغريبها ^(٢)

(١) لم يستم وزن الشطر الأول من هذا البيت .

(٢) لم يستقم وزن الشطر الثاني من هذا البيت .

فإنه يبقيه ويصلح شأنه وجميع أعداء اللئام يصيبها
وفيها : في شعبان فرغ والذي رحمه الله من كتابه « الفوز والبشرى في الدنيا
والأخرى شرح العقيدة الزهراء » ، وهذا الكتاب من محاسن الدهر لم يسبق إلى
مثله فيما علمت ، ولما سمعه بعض العلماء الصالحاء قال : كنت أدور الأشياء
من جهة المعتقدات فما شفانا شيء مثله فيها لا من كتب الغزالي ولا الياضي .

* * *

سنة أربع وثمانين بعد التسعمائة

● وفي شهر ذي الحجة سنة أربع وثمانين توفي الشيخ العلامة المفنن عبد الله بن سعد الدين المدني السندي^(١) بمكة رحمه الله تعالى ، وكان من كبار العلماء البارعين وأعيان الأئمة المتبحرين ، وله جملة مصنفات منها « حاشية » على « العوارف » للسهروردي .

● وفيها : توفي العالم الصالح الشريف عبد الله الشهير بالنحوي ابن عبد الرحمن بن هارون با علوي بتريم . ومن كراماته : أنه كان في يوم من الأيام جالساً وعنده أخيه السيّد عبد الله ، فقال له : يا عبد الله إنّ معي خاطراً أنّ فلاناً يفعل كذا وكذا ، وذكر شيئاً من الأفعال المذمومة التي لا يبيحها الشرع وقعد معي أياماً ، وهو من المتعلقين بنا وتجب له منا النصيحة ، فقلبه إلى عنده وكلمه ، فاعترف بذلك ، وتاب من وقته ، وحسنت توبته ، ثم إنّ الشريف بقي يلوم نفسه على ذلك ، ويقول : أخاف أن يكون هذا من الاستدراج .

● وفيها : في ليلة السبت ثاني عشر رجب توفي الشيخ جمال الدين محمد بن الشيخ عبد الرحيم بن محمد ، وهو أخو الشيخ العلامة أحمد العمودي الذي تقدم ذكره ، وهما أبناء الشيخ الكبير العلامة الشهير الفقيه عثمان بن محمد العمودي - نفع الله بهم - الحضرمي بأحمد آباد ، وكان حسن الأخلاق ، كريم النفس ، كثير التواضع ، محبوباً عند الناس ، ذا وجهة عظيمة وقبول عند الخاص والعام رحمه الله تعالى .

● وفيها : في يوم الاثنين ثالث شوال توفي العبد الصالح سيدي سعيد

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠ / ٥٩٣) ومعجم المؤلفين (٦ / ٥٧) .

سلطاني الحبشي^(١) بأحمد آباد ، وكان حنفي المذهب ، وكان يتعصب للإمام أبي حنيفة حتى أنه ربما حمّله ذلك على تنقص الإمام الشافعي ، وكان فقيهاً مشاركاً في كثير من العلوم ، وكان يحفظ القرآن العظيم ، وكان كثير العبادة ، وكان يختم في رمضان خمس ختمات [في الصلاة]^(٢) وكان أمراء الجيوش يحترمونه أشد الاحترام ويعاملونه بالإجلال والإكرام ، وكانوا جعلوا له معلوماً يوازي خمسة عشر ألف ذهب ، وكان محسناً محباً لأهل العلم ، ولما حج قرأ على الشيخ ابن حجر الهيتمي ، وكان له رغبة في تحصيل الكتب حتى أني سمعت أنه كان يصدر لشرائها إلى مصر المحروسة ، وابتنى بأحمد آباد مسجداً جيد العمارة إلى غير ذلك من أفعال الخير ، إلا أنه كان فيه كبر ، والكمال لله - رحمه الله وإيانا - وقبره بمسجده ، ثم قبر إلى جنبه شيخنا الشيخ عبد المعطي با كثير .

● وفيها : كانت وفاة السلطان عبد الله بن بدر .

● وفيها كان إتمام الحرم المكي في أيام السلطان مراد ، وكان ابتداء في عمارته أبوه السلطان سليم ، فجاء تاريخه « عمر الحرم سلطان مراد » .

● وفيها : عمّر قاسم الدابولي مسجداً في بندر المخا ، وجعل جامعاً للحنفية ، فقال السيد حاتم مؤرخاً لذلك في بيتين ، وهما : [من مجزوء الرمل]:
 مَسْجِدٌ فِيهِ جَمَالٌ فِيهِ أَنْوَازٌ بِهِيَّةُ
 وَافَقَ التَّارِيخُ مِنْهُ (مُسْتَقَرَّ الحَنْفِيَّةِ)

* * *

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠ / ٥٩٢) .

(٢) ما بين الحاصرتين لم يرد في (ط) وما أثبتناه عن (م) .

سنة خمس وثمانين بعد التسعمائة

● وفي سنة خمس وثمانين : طلع نجم ذو ذؤابة كهيئة الذنب طويلة جداً له شعاع ، ومكث كذلك يطلع نحو شهرين وأكثر .

● وفيها : كان ختم « صحيح البخاري » بحضرة سيدي الوالد ، وأنشأ الشيخ عبد المعطي في ذلك قصيدة طنانة ، وهي : [من الطويل]:

حديث غرامي مسندٌ ومسلسلٌ	ومطلق دمعي فوق خدي مُرسلٌ
وعشقي صحيح والعواذل قولهم	ضعيفٌ ومتروكٌ هباءٌ منقولٌ
وما حَسَنٌ إلا الأحاديث عنكم	وأما حديث عن سواكم فمعضلٌ
أحبّتنا طبتم فطابَ حديثكم	وطابَ سماعي عنكم حين يُنقلُ
خلعتُ عذارِي في هواكم أحبّتي	وقد لذّ لي في العَا والتذللُ
ولي بين سفحي لعل وطويلع	فؤادٌ كئيبٌ مس هَامٌ معللٌ
مقيمٌ على شطّ المزارِ كأنه	أسيرٌ بهاتيك العِراضِ موكلٌ
هواه بنجدٍ بل ببطحاء مَكّة	وجثته بالهند كيف التَّحوّلُ
فيا غرباً بالمنحنى عزّ جارهم	فجارهم في ذروة العزّ يحملُ
ويا جيرة البيت العتيق ومن لهم	حطيمٌ وأستارٌ وركنٌ مقبلُ
مقام عليه للخليل مآثرُ	وملتزم فيه الدّعا متقبّلُ
وزمزمُ والحجر المشيد والصفَا	ومروّة والمسعى فسعى ونرملُ
معاهدُ فيها للنبّيّ تردّدُ	مهابطٌ فيها للأمير تنزلُ
عسى عودة يا جيرة الحيّ عاجلاً	فنفّرل في ثوب السُّرورِ ونحجلُ
ونلقِ عصي التّسيار من بعد بعدنا	فأمّ القرى فيها المقامُ مؤمّلُ
إلهي فجذّ للغائبين بأوبّة	يكون لنا فيها الشّفاء معجّلُ

إلهي وسيلتنا إليك نبينا
 محمد المبعوث من آل هاشم
 وعترته الأشراف من أنجبت بهم
 أخصص منهم آل علوي من لهم
 فمجلها للمصطفى خير نسبة
 ومن بعض ما خصوا به أن عقدهم
 مقدمهم بحر الحقائق سيّد
 كذا الفخر والسّاقف قطبا ولاية
 وشيخ بن عبد الله شيخي وقدوتي
 إمام عظيم بالمهابة مرتد
 هو البحر في علم الحقيقة زاهر
 فيا شيخ يا بن العيدروس ومن له
 سمعت أحاديث البخاري مسنداً
 حديث نبي الله جدك أحمد
 منقحة جمع البخاري من له
 أصح كتاب في الحديث لأنّه
 مشايخه عن شرطه ليس يخرجوا
 وزينه قار فصيح مهذب
 فيا عيدروس الخير يا أوحّد الوري
 ويا شيخ يا غوث الأنام وغيثهم
 ويا من غواصي علمه ونواله
 تهنّ بختهم ثم يهنّاك مبدأ

نبي الهدى المدثر المزمّل
 بشير نذير للخلائق مُزسل
 لحيدرة الزهراء سرّ مسلسل
 فضائل منها مجمل ومفصّل
 وتفصيلها زهد صلاح توكل
 عن السّنة الغراء^(١) لا يتحول
 كذا نجله علوي قطب مدلل
 فسرهما للعيدروس مكمل
 له باكتساب العلم مجد مؤئل
 همام كريم بالوقار مسربل
 هو الحبر في علم الشريعة فيصل
 على هامة الجوزا مقام ومنزل
 بمجلسك العالي وأنت المبجل
 وسيرته قول وفعل مفصّل
 لصحة تحرير الحديث توصل
 منقح من حيث الرّواة مغربل
 جهابذة عدل عن العدل ينقل
 له مقول عذب الأداة مرتل
 ويا أيّها السيّد المتفضّل^(٢)
 إذا ما تخطى العارض المتهلّل
 ومعروفه تهمني علينا وتهطل
 كعادتك الحسنى تحل وترحل

(١) في (ط) : « الغراء » تصحيف .

(٢) في (ط) : « ... المتفّل » .

صحيح البخاري والشفاء كلاهما
 فلا زلت يا بن العيدروس تفيدنا
 تفيد علوم الشرع حيناً وآوناً
 وترشد ضلالاً وترشد معدماً
 فعش وابق واسلم في ذرى المجد راقياً
 وأزكى صلاة مع سلام معطر
 على المصطفى من شرف الله قدره
 وعترته مع آله وصحابه

لدين الهدى أمن وأصل ومقل
 علوماً وأحكاماً وتعطي وتجزل
 تبث علوم القوم فينا وتبذل
 ففي الدين والدنيا عليك المعول
 بعلم ومعروف تقول وتفعل
 يفوح برّاه جنوب وشمأل
 ومن جاءه وحى من الله مُنزل
 وتابعهم ما جاد غيث مجلل

● وفيها : توفي الرَّجل الصَّالح ميان عبد الصمد الهندي ، وكان من الأخيار ، محسناً متواضعاً عالمياً فاضلاً . وحُكيَ أَنَّهُ كان إذا لم يكن على طَهارة وثُمَّ أَحَدٌ مِّن اسمِه نبي لم يتلفظ باسمه تعظيماً واحتراماً لذلك الاسم الشريف . رحمه الله تعالى آمين .

قلت : وفي كتاب « المدخل » لابن الحاج المالكي رحمه الله قال : وقد ورد في الحديث عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أَن النَّبِيَّ ﷺ قال : « ما من أهل بيت فيه اسم نبي إلا بعث الله تبارك وتعالى ملكاً يقدسهم بالغداة والعشي »^(١) انتهى .

* * *

(١) ذكره أبو نعيم في « ذكر أخبار أصبهان » (٢٦٦/١) والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٢٤٠/١٤) والشوكاني في « الفوائد المجموعة » ص (٤٦٩) وعزاه للخطيب البغدادي عن عليّ ، وابن عباس ، وابن عمر مرفوعاً ، وقال : وفي إسناده من رمي بالكذب ، وقد أورده ابن الجوزي في « الموضوعات » .

سنة ست وثمانين بعد التسعمائة

● وفي سادس شوال سنة ست وثمانين : استشهد الرجل الصالح العلامة جمال الدين محمد طاهر الملقَّب بملك المحدثين الهندي^(١) - رحمه الله آمين - على يدي المبتدعة من فرقتي الرافضة السبابة والمهدوية القتالة . وسبب ذلك أنه كان ينافرهم ويناظرهم ويريدهم يرجعون إلى الحق ويتركون ما هم عليه من الضلالة والزندقة ، وكان هذا دأبه أبداً ، وجرى له معهم وقائع كثيرة ، وقهرهم في مجالس عديدة ، وأظهر فضائحهم وكشف خزعاتهم ودمغهم وأدحض حججهم وأبطلها ، وبالع في الردِّ عليهم والتحذير منهم ، حتَّى قال بكفرهم وجزم بخروجهم من الدين والمنهج القويم وضلالهم عن الصراط المستقيم ، وأراد إعدام هذا المذهب القبيح رأساً ، وسعى في ذلك سعيّاً بليغاً ، وأراد التوصل إلى سلطان الزمان لذلك ، فاحتالوا عليه حتَّى قتلوه قبل أن يصلَ إلى ذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله . وهو الذي أشار إليه النَّبِيُّ ﷺ بالمزية في الرؤيا التي رآها الشيخ علي المتقي السابقة ، وناهيك بهامن منقبة عليّة . وكان على قدم من الصّلاح والورع والتّبحر في العلم ، وكانت ولادته سنة ثلاث عشرة وتسعمائة ، وحفظ القرآن وهو لم يبلغ الحنث ، وجَدَّ في طلب العلم ومكث كذلك نحو خمس عشرة سنة ، وبرع في فنون عديدة وفاق الأقران حتَّى لم يعلم أنّ أحداً من علماء كجرات بلغ مبلغه في فن الحديث . كذا قاله بعض مشايخنا .

وله تصانيف نافعة منها : « مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار » .

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/٦٠١-٦٠٢) و« الرسالة المستطرفة » ص (١٥٨) و« معجم المؤلفين » (١٠/١٠٠) والأعلام (٦/١٧٢) .

وشيوخه كثيرون ، ولَمَّا حَجَّ أَخَذَ عَنِ الشَّيْخِ حَسَنِ الْبَكْرِيِّ ، وَالشَّيْخِ ابْنِ حَجَرٍ الْهَيْتَمِيِّ ، وَالشَّيْخِ عَلِيِّ بْنِ عِرَاقٍ ، وَالشَّيْخِ عَلِيِّ الْمُتَقِيِّ الْهِنْدِيِّ الْمَكِّيِّ ، وَالشَّيْخِ جَارِ اللَّهِ بْنِ فَهْدٍ . وَأَخَذَ عَنِ جَدِّي السَّيِّدِ عَبْدِ اللَّهِ الْعِيدَرُوسِ فِي التَّصَوُّفِ بَعْدَهُ . وَوَرِثَ مِنْ أَبِيهِ مَالاً جَزِيلاً فَأَنْفَقَهُ عَلَى طَلْبَةِ الْعِلْمِ الشَّرِيفِ ، وَكَانَ يُزْسَلُ إِلَى مُعَلِّمِ الصُّبَّيَّانِ وَيَقُولُ : أَيُّمَا صَبِيٍّ حَسَنَ ذِكَاؤِهِ وَجِدَ فَهْمَهُ أَرْسَلَهُ إِلَيَّ ، فَيُرْسَلُ إِلَيْهِ ، فَيَقُولُ لَهُ : كَيْفَ حَالُكَ ؟ فَإِنْ كَانَ غَنِيًّا يَقُولُ لَهُ : تَعْلَمُ ، وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا يَقُولُ لَهُ : تَعْلَمُ وَلَا تَهْتَمُ مِنْ جِهَةِ مَعَاشِكَ ، أَنَا أَتَعَاهِدُ أَمْرَكَ وَجَمِيعَ عِيَالِكَ عَلَى قَدَرِ كِفَايَتِهِمْ ، فَكُنْ فَارِغَ الْبَالِ ، وَاجْتَهِدْ فِي تَحْصِيلِ الْعِلْمِ ، فَكَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ بِجَمِيعٍ مِنْ يَأْتِيهِ مِنَ الضَّعَفَاءِ وَالْفُقَرَاءِ وَيُعْطِيهِمْ قَدْرَ مَا وَظَفَهُ لَهُمْ ، حَتَّى صَارَ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْ ذَوِي فَنُونٍ كَثِيرَةٍ ، فَأَنْفَقَ جَمِيعَ مَالِهِ فِي ذَلِكَ .

وَحُكِّيَ أَنَّهُ فِي أَيَّامِ تَحْصِيلِهِ قَاسَى مِنَ الطَّلَبَةِ وَغَيْرِهِمْ شِدَائِدَ ، فَنَذَرَ إِنْ رَزَقَهُ اللَّهُ عِلْمًا لَيَقُومَنَّ بِنَشْرِهِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ ، فَلَمَّا تَمَّ لَهُ ذَلِكَ فَعَلَ كَذَلِكَ ، وَقَامَ بِهِ احْتِسَابًا لِلَّهِ ، فَانْتَفَعَ بِتَدْرِيسِهِ عَوَالِمَ لَا تُحْصَى ، رَحِمَهُ اللَّهُ وَأَعَادَ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِهِ آمِينَ .



سنة سبع وثمانين بعد التسعمائة

● وفي سنة سبع وثمانين توفي الوليُّ الصَّالح الشريف عمر بن عبد الله بن عمر الهندوان^(١) با علوي بتريم . وسبب شهرته بذلك أنه كان فيه قوة لقوته في دينه وبدنه شبيهاً بالحديد الهندوان .

ومن كراماته : أنه أخبر أخيه السيّد عبد الله عن شيء يقع من بعض النَّاس قبل وقوعه ، وذكر ذلك الشَّخص بعينه ، فكان كما قال بعد موته بيسير^(٢) .

● وفيها : مات السُّلطان حيدر بن حنش^(٣) صاحب أهور^(٤) .

● وفيها : توفي الفقيه الفاضل الصَّالح نور الدِّين علي بن صبر اليافعي^(٥) الشافعي . وحكي أنَّه كان قصد الوزير الفخان في آخر الأيام إلى قوارير^(٦) ، وكان عند الوزير المذكور جماعة من الأشراف آل با علوي وغيرهم ، فلما رأوا إقبال الوزير المذكور عليه حسدوه وتكلموا فيه عنده حتَّى أعرض عنه ، فرأى بعض أولئك الأشراف جده القطب الفقيه محمد بن علي نفع الله به وهو يعاتبه من أجله ويقول له : إنّ هذا الرَّجل يحبنا وأنت تتكلم عليه ، أو نحو ذلك .

* * *

-
- (١) ترجمته في « شذرات الذهب » (٦٠٦/١٠) .
(٢) علق أستاذنا المحدث الشيخ عبد القادر الأرناؤوط حفظه الله على هذا الكلام بقوله : « هذا من المبالغات في الكرامات ، فإنّه لا يعلم الغيب إلّا الله » عن « شذرات الذهب » (٦٠٦/١٠) .
(٣) ترجمته في « شذرات الذهب » (٦٠٥/١٠) واسمه فيه : حيدرة .
(٤) أهور : مخلاف في اليمن ، انظر « معجم البلدان » (١١٨/١) و « مراصد الاطلاع » (٣٩/١) .
(٥) ترجمته في « شذرات الذهب » (٦٠٥/١٠) .
(٦) رُسِمَت الكلمة في (م) : « كوالير » .

سنة ثمان وثمانين بعد التسعمائة

● وفي سنة ثمان وثمانين : أجريت العينُ إلى مكة المشرفة ، وكان قد سعى في ذلك الشريف أبو نمي والقاضي حسين - شكر الله سعيهما وجزاهما عن المسلمين خيراً - وبذلا في ذلك مالا جزيلاً ، وسبب ذلك أن عين مكة كانت انقطعت عنهم ومكثوا كذلك مدةً من الزمان وتضرر أهلها بسبب ذلك جداً ، وكان الرَّمْل هو الذي سد مجرى الماء إليها ، فتوجه الشريف والقاضي إلى إصلاحها حتى عادت أحسن مما كانت . وما أحسن قول بعض الفضلاء في ذلك مادحاً للقاضي حسين رحمه الله تعالى : [من مخلص البسيط]:

أقضى القضاة الحسينُ أغنى سَكَانَ أُمِّ الْقُرَى بعينه
وجاء بالعين بعد يأس فشكَّره واجبَّ لعينه

● وفيها : توفي علي عادل شاه سلطان بيحافور ، قتله بعض الخصيان من عبيده لأمرٍ ما .

● وفيها : قرأ القرآن العظيم عن ظهر القلب راجا علي خان سلطان برهان فور ، وهو يومئذ سلطان وفي سنِّ الكهولة ، وجعل تاريخ ذلك العام الشيخ عبد اللطيف الدبيري « حفظ » .

* * *

سنة تسع وثمانين بعد التسعمائة

● وفي ليلة الثلاثاء لثلاث بقين من ذي الحجة سنة تسع وثمانين توفي الشيخ الفاضل المحدث المعمر عبد المعطي بن الشيخ حسن بن الشيخ عبد الله با كثير المكي ثم الحضرمي^(١) بأحمد آباد ، وكان مولده في رجب سنة خمس وتسعمائة ، وكان من الأدباء الفاضلين والشعراء المصقعين . ولد بمكة ونشأ بها ، ولقي جماعة من العلماء الفاضلين ، وشارك في المنقول والمعقول ، وتفنن في كثير من العلوم . ودخل الهند آخرأ وأقام بها ، وكان حسن المحاضرة ، لطيف المحاور ، فكهاً له ملح ونوادر ، ولم يزل على قدم الصلاح والتعفف إلى أن مات .

وحكي عنه أنه قرأ كتاب « الشفاء » على بعض مشايخه في مجلس واحد ، وذلك بعد صلاة الصبح إلى أول الظهر . من شيوخه : شيخ الإسلام زكريا الأنصاري لأنه سمع عليه « صحيح البخاري » بقراءة والده ، فهو يرويه عنه سماعاً كما في اصطلاح أهل الحديث ، والشيخ زكريا يرويه عن شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني ، ولهذا اشتهر صاحب الترجمة في زمنه بالسند العالي وتميز عن أقرانه بذلك ، فازدحم الناس على الأخذ منه وصار له من الحظ بسبب ذلك ما لا مزيد عليه ، وسمعت عليه مجالس من « صحيح البخاري » وأنا صغير ، وتلفظ لي حيثئذ بالإجازة ، وكان والذي طلب منه أن يجعلها في أرجوزة حتى يضيفها إلى جنب قصائده ، فلم يقدر الله ذلك .

ومن تصانيفه : كتاب « أسماء رجال البخاري » يذكر فيه كل من اشتمل

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠ / ٦١٢ - ٦١٣) .

عليه الكتاب المذكور من شيخ البخاري إلى الصحابي راوي الحديث ، ولم يتمه ، والقدر الذي كتبه منه نحو مجلد ضخمة ، والظاهر أنه لو تم يكون في مجلدين ، وهو مفيد في بابه جداً .

ومن شعره : [من الخفيف]:

ضاقَ دَزْعِي مما أَلَقِي إِلَهِي	وإليك الشكوى من اللاواء
يا عليمًا بما يجنُّ فؤادي	يا رجائي في شدّتي ورخائي
يا بديعَ السَّماءِ يا مالِكَ المُدِّ	كُ ويا ذا الجلالِ والآلَاءِ
يا لطيفاً بخلقه ورحيماً	بالبرايا يا سابعَ النعماءِ
لَكَ مُلْكُ السَّماءِ والأرضِ والخَلْدِ	قَوِّ لَكَ الأمرِ يا سميعَ الدُّعاءِ
فأَقِلْ عَثْرَتِي إِلَهِي وَيَسِّرْ	كلَّ عُسْرٍ يا أرحمَ الرّحماءِ
وأُنلني ما أرتجيه ووسِّعْ	لِي رزقي براحةً وهَناءِ

ومنه مضمناً للبيت الثاني : [من المنسرح]:

يا ربِّ يا مَنْ عليه مُسْتَندي	ومن على فضله العميم مُعْتَمِدي
« خذ بيدي قبل أن أقولَ لمن	ألقاه عند القيام خُذ بيدي »
فامننَ إِلَهِي في سَمْعِي وفي بَصْرِي	بصَحَّةِ دائِماً وفي جَسْدي ^(١)
وما بقي لي من الحياة يكن	في دَعْوَةِ سيِّدي وفي رَغْدِ

ومنه مضمناً قواعد الإسلام الخمس التي جاء [في]^(٢) الحديث : أن الإسلام بُني عليها : [من المتقارب]:

هنيئاً لمن صحَّ إسلامه	ونال من الدِّين أوفى نصيب
أقام الصلاة وآتى الزكاة	وصامَ وحجَّ وزارَ الحبيب

(١) الشطر الأول من البيت لم يستقم وزنه .

(٢) لم ترد الكلمة في (ط) وما أثبتناه عن (م) .

ومنه : [من مجزوء الكامل]:

فَرَّجْ هَمُومَ مَنْ اسْتَطَعَتْ مَنْ مَنَجَّدَ أَوْ مَتَّهِمَ
فَالْخَيْرَ كُلَّ الْخَيْرِ فِي تَفْرِيجِ هَمِّ الْمُسْلِمِ
ومنه :

يَا مَالِكَ الْمُلْكِ يَا فَتَّاحَ يَا رِزَاقَ يَا مَنْ تَكْفَلَ لِكُلِّ الْخَلْقِ بِالْأَرْزَاقِ
فَرَّجْ عَلَيْنَا إِلَهِي كُلَّ أَمْرِ ضَاقَ وَأَمَّنْ بِرِزْقٍ وَسِعَ فَائِضَ دَفَاقِ
قال : وقد جربتهما فوجدتهما للفرج بعد الشدة مفيدين .
ومنه في الاثني عشر الأئمة :

بِالْمُصْطَفَى وَعَلِيٍّ وَابْتُولَ وَبِالسَّادِ بَطِينِ ثُمَّ عَلِيٍّ وَابْقَاكَ الْعِلْمِ
جَعْفَرٍ وَمُوسَى عَلِيٍّ وَالْجَوَادِ كَذَا عَلِيٍّ الْحَسَنِ وَكَذَا الْمَهْدِيَّ ذِي الشَّيْمِ
ومنه [من البسيط] :

يَا آلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ حَبِّكُمْ فَرَضُ وَفَضْلُكُمْ قَدْ شَاعَ فِي الْأُمَمِ
يَا آلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ مَدْحُكُمْ فِي الذِّكْرِ جَاءَ فَمَا مَدْحِي وَمَا كَلَمِي ؟
ومنه : [من الوافر]:

وَمِيمَاتِ الدَّوَاةِ تَعَدُّ سَبْعًا وَسَبْعًا عَدَّهِنَّ بِلَا خَطَاءٍ^(١)
مِدَادُ ثُمَّ مَجْبَرَةٌ مَقْصُورٌ وَمَرْمَلَةٌ وَمَصْمُغَةٌ الْغِرَاءِ
وَمَكْشُطَةٌ وَمَقْلَمَةٌ مَقْطُورٌ وَمَصْقَلَةٌ وَمَمْوَهَةٌ لِمَاءِ
وَمَحْرَاكٌ وَمَسْطَرَةٌ مَسْنُونٌ وَمَمْسَحَةٌ لَخْتَمٍ وَأَنْتَهَاءِ
ومنه : [من مجزوء الكامل]:

الْوَرْدُ سُلْطَانُ الزُّهْوِ رَ وَمَا سِوَاهُ الْحَاشِيَةِ
فَلْلَوْنِ الْمَحْمَرِّ يَنْ سَبَّ حُسْنِ خَدِّ الْغَائِيَةِ
وَإِذَا تَضَوَّعَ نَشْرُهُ يَهْدِي إِلَيْكَ الْغَالِيَةِ

(١) في (م) : « ... خفاء » وكلا الروايتين صحيح .

ومنه : [من الخفيف]:

قلت إذا أقبل الرِّبيع ووافا
فخدودُ المِلاحِ تُعزى إليه
ومنه لغزٌ في صالح : [من البسيط]:

وصال حبِّي وبى فقد لرؤيته
أشهى إليَّ من الدُّنيا وما فيها

ومنه أيضاً في رمضان : [من مجزوء الرمل]:

أنا صَادٍ وروائي
صَحْفوني واطرحوني
من لَمَي صافي البديد
بين رَمَانِ الثُّهودِ

ومنه أيضاً في شمعة : [من الطويل]:

وممشوقة هيفاء لدن قوامها
إذا أصبحت أَمَسَتْ تحدّ سنانها
فضوء سَنَاهَا قد محى آية الدُّجى
تمدّ لساناً طائلاً غير ناطقٍ
وجلبابها يحكي لُجَيْناً بياضه
إذا جمعت تسمع بتصحيفه ولا
فدونك لغزاً واضحاً قد شرحته
من البيض تزري بالمتقفة السُّمِرِ
تفتق درعَ اللَّيْلِ من طلعةِ البدرِ
فصار نهاراً أبيضاً ساطعَ الفجرِ
ومن غير أجفان مدامعها تجري
وأحشاؤها زرت على لهب الجمرِ
ت حين مناص جاء في محكم الذِّكرِ
وبيّنته لكن بنوعٍ من السُّتْرِ

ومنه أيضاً في رمضان : [من الخفيف]:

أيُّ إسمٍ إذا خلا القلبُ منه
في زمانِ الصُّبَا تجده فخذ
ومضى قلبه بلا طرفيه
إن تصحف جمعاً فغير مضمونٍ
مُتُّ تصحيفه خلا أجمعيه
صار يا صاح قلبه مَلَانَا
بعد تصحيفه ولا تتوانا
وإن هم بالتصحيف تلق أمانا
ومضان إن زال حرف وبانا
فغدا واضحاً ياناً عيانا

ومنه في القهوة : [من الكامل]:

أهلاً بصافي قهوة كالإثمِ جُلِيَتْ فزانت بالخمار الأسودِ
لما أُديرَت في كؤوس لُجَيْنِها يمين ساقٍ كالقضيب الأملدِ
يحكي بياض إنائها وسوادها طرفاً كحيلاً لا بكحل المروِدِ

ومنه : [من الطويل]:

يقولون لي جاء الشتاء ببردِه بماذا تلاقيه وأنتَ عليلٌ ؟
فقلت لهم هذا الفخان ماجد وجود يديه بالذِّفاء كفيلٌ

ومنه مؤرخاً لأخذ جنكيز خان أحمد آباد : [من مجزوء الرمل]:

لا تعجبوا لنصرِ جنـ كـزخان في عزّتهِ
نصرٌ من الله له والسعد في غـزّتهِ
وقد أتى تاريخه « النصر في طلّعهِ »

ومنه هذه الأبيات وكتب بها إلى والدي وطلب منه جارية والتزم أن يكون
في آخر كل بيت منها هذه الكلمة ، وكل كلمة منها لها معنى : [من مجزوء الرجز]:

يا سيِّداً نِعْمَتَه^(١) فوق الدّارِ الجاريّةِ
وجُودُ كَفَيْتِه غَدا مثل الرّيح الجاريّةِ
تدومُ في عزِّك ما جرت ببحرٍ جاريّةِ
فكلّما تريده الـ أقدار فيه جاريّةِ
أنجز لعبد سيّدي وعد رجوع الجاريّةِ
هباتكم مبرورة من الزّمان جاريّةِ
وسيل هامِي فضلكم كماء عين جاريّةِ
ولطفكم بعبدكم كفّ الدّموع الجاريّةِ

(١) في (م) : « ... همته » وما أثبتناه في (ط) .

وله قصيدة عظيمة في أسماء مشايخ طبقات الشَّرْجي نفعنا الله بهم ، كان اقترحها عليه والدي رحمهما الله ، وله جملة قصائد في مدح والدي تكون قدر عشرة كراريس على القطع الكامل ، وهي مدونة ، من جملتها ثلاث قصائد تتعلق بي : أحدها تهنئة بولادتي ، وثانيهما بعافيتي لأنني مرضتُ وأنا صغير مرضاً أشرفت فيه على الهلاك ثم عافاني الله تعالى منه وله الحمد ، وفرح الوالد بذلك فرحاً كثيراً وعمل ضيافة عظيمة لذلك ، وثالثها أيضاً كان اقترحها عليه الوالد فيما أظن ، ومنها هذه القصيدة الفريدة ، وقد أجاد فيها كل الإجادة ، والله دره ، ولحسنها أتيت بها بكمالها ، فإنها مما تشهد له بالفضل العظيم والفصاحة الكاملة وهي : [من الكامل]:

قُمْ يَا نَدِيمُ فَذَا الصَّبَاحُ قَدْ انْفَلَقَ	ومحى بآية نوره ظلم الغسق ^(١)
قَرَّبَ صَبُوحَكَ فَالزَّمانَ مَساعِدُ	وأدر مروقة حكّت لون الشَّفَقِ
قَامَتِ سَقَاةُ كُؤُوسِهَا فِي حَضْرَةِ	والمسك والكافور فيها قد عَبَقُ
قَمَرٌ يَدِيرُ الشَّمْسَ فِي كَاسَاتِهِ	وبغره مثل المدامة بل أَرَقُ
قَدْ يَحَاكِي السَّمْهَرِيَّ وَمَقْلَةَ	كالسيف واللَّحْظِ السَّهَامِ إِذَا رَشَقُ
قَوْسُ الْحَوَاجِبِ مَوْتَرٌ لِقِتَالِنَا	ولذا قلوب العاشقين غدتْ درقُ
قَلِقَ الْوُشَاحُ بِخَصْرِهِ وَتَرَاهُ قَدْ	صمتت خلاخله ودملجه نَطَقُ
قَرَّتْ نَوَاطِرُ عَاشِقِيهِ بِحَبِّهِ	لكن من الصدِّ المبرِّحِ فِي أَرْقُ
قَرَأَ الْمُحِبُّ عَلَى صَحِيفَةِ خَدِّهِ	هذا لَعَمْرَ اللَّهِ أَحْسَنَ مِنْ خَلَقُ
قَدْ كُنْتَ هَمْتُ بِحُسْنِهِ وَجَمَالِهِ	إذ كان جفن شبييتي فيه رَمَقُ
قَضَيْتُ أَيَّامِي سَدَى وَسِبْهَلًا	ترك الخلاعة والصبابة بي أَحَقُ
قَدْ آنَ أَنْ أَثْنِيَ الْعَنَانَ عَنِ الْهُوَى	وأعود عنه عودَ عبدٍ قَدْ أَبْقُ
قَدِمَ الْمَشِيبُ فَكَانَ أَبْلَغُ زَاجِرٍ	ومضى الشَّبابُ كأنه طيف طَرَقُ

(١) في (ط) : « قُمْ يَا نَدِيمُ الصَّبَاحُ . . . » وبه يُكسرُ الوزن ، وما أثبتناه في (م) .

ولخدمة ابن العيدروس مشيت عنق
لُ العيدروس المجتبي شيخ الفرق
كل على هذا المقال قد اتفق
في العلم والتقوى وفي النسب الأحق
حتى رقى أفق المعارف واتسق
وإلى الكمال تراه أكرم من سبق
فلأنت أولى أن يُقال له صدق
نور النبوة في أساريه بَرَق
في آل با علوي كالنور ائتلق
ولهم إلى شرف المعالي مُستبق
وجماعة لا يحفلون بمن فَسَق
أنجو به في يوم يلجمي العرق
أوصافُ مدحك غاية لا تُلتحق
وبمدحك القرآن حقاً قد نطق

قصرت خطاي عن التخطي للخطا
قمرُ الهدى شيخ ابن عبد الله نجا
قطبُ الزمان وغوثه وصلاحه
قداح زند الفضل وارث جدّه
قرأ العلوم وجدّ في طلب العلا
قال لكل مذمة ونقيصة
قل ما تشا في مدحه وصفاته
قل الحسود لما رأى في وجهه
قد حاز من شرف النبوة نسبة
قوم لهم في كل فضل قسمة
قاموا بطاعة ربهم في سنة
قدمت مدحي فيك يا بن المصطفى
قصرت في تعداد وصفك إذ غدث
قولي بمدحك ما عسى هو بالغ؟

ومن شعر ولده الفاضل أحمد بن عبد المسطي في القهوة : [من الكامل]:

الله محكم قهوة تجلى لنا في أبيض الصّيني طاب شراؤها
فكأنما هي مقلّة مكحولة دُخانها من فوقها أهدابها

● فائدة :

تتعلق بأحمد آباد تشتد الحاجة إليها في بعض الأحيان ، ويتعين ذكرها هنا
لأن جماعة ممن ذكر في هذا التاريخ ماتوا بها ، فتكرر ذكرها في هذا الكتاب
بهذا السبب ، وهي مدينة كبيرة مشهورة من مدن الهند .

قال السخاوي في « ضوئه » : أحمد آباد ، ومعنى آباد عمر ، وكأنه قال :
عمارة أحمد ، والذي اختطها أحمد بن محمد مظفر صاحب كجرات في سنة

خمس وثلاثين وثمانمائة ، وتوفي قريباً من سبع وأربعين ، فاستقر بعده في كجرات ابنه غياث الدين محمد فأقام إلى سنة أربع وخمسين ، فاستقر بعده ابنه قطب الدين أحمد ، ومات في رجب سنة ثلاث وستين ، فخلفه أخوه داود وخلع بعد أيام ، فاستقر بعده أخوه أبو الفتح محمود شاه ، وهو ابن خمس عشرة سنة ، وإقامته بأحمد التي اختطها جدّه وهو حيّ في سنة تسع وتسعين ابن خمسين سنة . انتهى كلام السخاوي .

قلت : وعاش بعد السخاوي أربع عشرة سنة ، وقد مرّ تاريخه ، وتولى بعده ولده السلطان مظفر ، وتولى بعده ولده السلطان اسكندر وقتل ، ثم تولى بعده أخوه السلطان بهادر ، وهو الذي بنى قلعة سرت على يد وزيره صفر الرومي ، ثم تولى بعده ابن أخيه السلطان محمود وقد مرّ تاريخه أيضاً وسبب مقتله ، ثم تولى بعده السلطان أحمد شاه ومات مقتولاً ، ثم تولى بعده السلطان مظفر بن محمود الشهيد ، وكانت الوزراء متغلبة عليهما جداً خصوصاً الأخير منهما فما كان له معهم من السلطنة إلاّ الاسم ، والحلّ والعقد وجميع التصرفات للوزراء ، نظير ما وقع للخلفاء من بني العباس مع الأتراك حتى آل ذلك آخراً إلى تحاسدهم فيما بينهم واختلاف كلمتهم ، فأدّى ذلك إلى انقراض ملكهم وزوال شوكتهم وانتقال الدولة عنهم إلى غيرهم ، فأخذ البلاد المغول على عهد السلطان مظفر ، وقد مرّ تاريخ ذلك ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله ، فزالوا كأن لم يكونوا ، ولم يبق إلاّ أخبارهم الجميلة ومآثرهم الجليلة : [من الطويل]:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيسٌ ولم يسمر بمكة سامرٌ
وحكي أن يحيى بن خالد البرمكي رحمه الله تعالى سمع رجلاً قائماً ينشد
هذا البيت فأجابه أحد :

بلى^(١) نحنُ كنّا أهلها فأبادنا صروفُ الليالي والحدوث العواثرُ

(١) في (ط) « بلاذ... » تصحيف .

فسبحان من يقلّب الأمور ولا يتغير بتغير الدهور ، وتعالى من لا يزول ملكه ولا يذهب سلطانه .

● وفيها : توفي قطب شاه سلطان كلكنده ، وكان عادلاً كريماً إلاّ أنّه كان غالباً في التشييع رحمه الله .

● وفيها : دخل سيّدي الشّيخ محمد العيدروس إلى الهند ، وفرح سيّدي الوالد بوصول جدّ وأنشأ هذه القصيدة : [من الوافر]:

ألاّ يا مرحباً بالعيدروس	جمال الدّين محيي للنفوس
محمد بن عبد الله جئتم	إلينا مرحباً شمس الشّمس
فأهلاً ألف سهلاً ألف مرحب	ظفرتم زال عنكم كلّ بوس
كسيتم من جمال القدس وهباً	وجلّلتكم بمحبوك قدوس
ألاً فابشّر وبشّر كل حبّ	ومحبوبٍ بجائزة عروس
ألاً فاشرب هنيئاً من سلافٍ	بنور الله ديرت في الكؤوس
معتقة لنا من نور كرم	شربناها على رغم القسوس
شراب القوم لا يدرّيه فدم	ولا من يدعي نقل الدّروس
قدومك حافظ للشّمل فاجمع	بنا يا ربّنا تاج الرّؤوس
وعاف اغفر وسلم واعف واستر	بخاتمة لنا من غير بوس ^(١)

* * *

(١) بجانب الأبيات كتبت الحاشية الآتية في (م) بخط مغاير : « ولادة سيدنا الشيخ محمد بن عبد الله سنة سبعين بعد التسع مائة ، وتوفي وعليه من الجلال والنور ما يليق بمقامه » .

سنة تسعين بعد التسعمائة

● وفي ليلة السَّبْت لخمس وعشرين خلت من رمضان سنة تسعين : توفي الشَّيْخ الكبير والعلم الشَّهير الشَّريف القطب العارف بالله ، شيخ بن عبد الله بن شيخ بن الشَّيْخ عبد الله العيدروس^(١) بأحمد آباد ، ودُفِن بها في صحن داره وبني عليه قبة عظيمة . ومن أحسن تواريخ وفاته تاريخ صاحبنا الفقيه عبد الله بن أحمد بن فلاح الحضرمي وقد نظمته في بيتين فقال : [مجزوء الكامل]:

أرخت نقلـة سيـدي شمس الشَّموس العيدروس
فانظر تجذ تاريخه « القطب هو شمس الشَّموس »

ولفضلاء الآفاق [فيه جملة مستكثرة من المراثي ، ومن غريب الاتفاق]^(٢) أنه قبيل موته بنحو شهرين كان أمرَ بتحصيل رسالة في مناقب الإمام النَّووي رحمه الله ، ثم أمر بمقابلتها بين يديه ، وكان مؤلفها ذكر فيها جملة من المراثي التي قيلت في الإمام ، فقال ذات يوم : إنَّ المراثي إذا قرئت لا بدَّ أن يموت أحد ، فاتفق أن ماتَ بعد ذلك ، ورُثي بمراثي كثيرة حتَّى أني لم أرَ أحداً رُثي بهذا القدر منها سوى التي ذكرها في تلك الرِّسالة من مراثي الإمام النَّووي . وكان مولده سنة تسع عشرة وتسعمائة بتريم .

وروي عن الشيخ الكبير الولي الشهير شهاب الدِّين أحمد بن الشيخ عبد الرحمن أنه كان يقول : عاد أهل حضرموت يودون فيه نظرة ويخصَّ به أهل بلد بعيد من أهل المشرق .

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠ / ٦٢٠-٦٢١) و « معجم المؤلفين » (٤ / ٢١٢) و « الأعلام » (٣ / ١٨٢) .

(٢) ما بين الحاصرتين لم يرد في (م) وما أثبتناه عن (ط) .

وكانت مدة إقامته بالهند اثنتين وثلاثين سنة لأنه دخلها سنة ثمان وخمسين وتسعمائة ، وكان شيخاً كاسمه ، وكما قال فيه بعض الصّحاء في وصفه : ولقد صار بحمد الله شيخ زمانه باتفاق عارفي وقته ، وقد ألهم الله أهله حيث سموه شيخاً قبل أوانه ووقته وذلك لتحقيق وراثته من متبوعه ، كما ألهم الله آل النّبِيِّ المصطفى لتسميته محمداً قبل تجلي صفاته الحميدة ﷺ ، وصار هذا الاسم الشريف يصدق فيه من أربع حيثيات ، أحدها : أنه اسمه ، وثانيها : أنه بلغ في السن حدّ الشيخوخة ، وثالثها : أنه شيخ أهل التّصوف في زمانه ، ورابعها : أنه شيخ طلبة العلم في العلوم الظاهرة . فهو شيخ اسماً ووصفاً وعلى كل تقدير وبكل وجه واعتبار . وما أحسن قول الأديب الفاضل عبد اللطيف الدّبير حيث يقول فيه : [من الكامل]:

شيخٌ إلى سُبُل الرّشاد مسلك	وطريقه في العلم ما لا يجهلُ
شيخٌ بحسن أدائه وبيانه	لعظيم أشكال العويص يسهلُ
شيخٌ تبخر في العلوم فمن رأى	بحراً يسوغ لوارديه المنهلُ
شيخٌ عليه من المهابة رونقٌ	كالبدر لكن وجهه يتهلّلُ
شيخٌ له في الطالين مسائلُ	صوفيّة إن جئت عنها تسألُ
شيخٌ تقدّم في السّلوك لأنه	إن عدّ أرباب الكرامة أولُ
العيدروس الجبر قدوة عصره	ومن الشّدائد مقصد ومؤملُ
قُطِبُ الزمانِ وغوثه وغياثه	مَن يرتجيه لا يضاع ويهملُ
ابنُ العفيف أبو الشّهاب المرتضى	بحرُ الحقائق مرشد متفضّلُ
عَذْبُ الموارد من أتاه وارداً	من فيضه دَرَنٌ ^(١) القساوة يغسلُ
ما قيل هذا كامل في ذاته	إلا وقلت الشيخ عندي أكملُ
لا زال فيضُ كماله متواصلاً	ما دام شيخٌ في الطّريقة موصلُ

(١) في (م) : « .. دون .. » .

وروي عن الشيخ الكبير والعلم الشهير القطب شمس الشّمس أبي بكر بن عبد الله العيدروس أنّه قال لأبيه السيّد عبد الله بن شيخ وكان في خدمته وهو ابن أخيه عند وفاته : تمنّ يا عبد الله ؟ فقال : ما أريدُ إلاّ البركة والدّعاء لي بذريّة صالحة ، فبشره بذلك ، وقال له : سيأتيك من الولد كذا وكذا وذكرهم بأسمائهم وعدّ من جملتهم سيّدي الشيخ صاحب التّرجمة ، ثم أثنى عليه ، وأشار بالسّر المصون إليه وقال له : إنّهُ ولدي وصاحب سرّي وأمّ أمه بنت الشيخ علي بن أبي بكر .

وحكي أنّ الشيخ علي رضي الله عنه كان إذا رأى السيّد عبد الله بن شيخ وهو صغير يقول : أرجو أن يتزوج هذا الولد واحدة من بناتي أو بنات أولادي فتحصل له منهم ذرية صالحة ، فلما عقد السيّد عبد الله بزوجته السيّدة فضل الله التي أمّها^(١) بنت الشيخ علي حضر جماعة من الأعيان منهم والده السيّد شيخ ، وخالها الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ علي وغيره من إخوانه ، فقال الشيخ عبد الرحمن : أرجو من الله أن لكلام والدي نتيجة فإنّ كلام الصّالحين ما يسقط ، فقال له السيّد شيخ : هذا ثمرة تلك البشارة .

قلت : وكان في اسمها ما يشعر بهذه الموهبة العظيمة التي سبقت في الأزل للسيّد عبد الله بالذريّة الصّالحة ، فظهر بفضل الله من بطن فضل الله هذا السيّد الكريم ، ﴿ ذَلِكْ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الحديد : ٢١] .

وروي عن الشيخ الكبير والعلم الشهير أبي بكر بن سالم با علوي أنّه كان يقول : ما أحد من آل با علوي أولهم وآخرهم أعطي مثله . وروي مثل ذلك عن الولي العلامة عبد الله بن عبد الرحمن الشهير بالنحوي با علوي وزاد : والله ما هو إلا آية اليوم فهو عديم التّظير ، ولما سمع كتابه « الفوز والبشرى » كان لا يمرّ بشيء منه إلاّ ويقول : كنت أدور الأشياء من جهة المعتقدات فما شفاني شيء مثله فيها لا من كتب الغزالي ولا الياضي .

(١) في (ط) : « أمهما » تحريف .

وَحُكِّي من مجاهداته أَنَّهُ كان يعتمر غالباً في رمضان أربع عمار بالليل ، وأربعاً بالنهار وناهيك بها منقبة ما أجلها^(١) ، فقد ورد في الصّحيح : « أَن عمرة في رمضان كحجّة »^(٢) ، وفي رواية : « تقضي حجة أو حجة مع النبي ﷺ »^(٣) . قال العلامة حميد : وتيسر أربع بالليل وأربع بالنهار من الكرامات الخارقة ، ولم يُنقل مثله عن أحد فيما أعلم من الأسلاف السابقين . وما أحسن قول الشيخ عبد المعطي بن حسن با كثير رحمه الله حيث يقول في أثناء بعض قصائده فيه : [من الكامل]:

قد عشت في أمّ القرى دهرأ على	تحصيل علم ثم درس قرآن
وعبادة وزهادة في خلوة	متستراً عن سائر الإخوان
وقيام ليل مع صيام هواجر	متمسكاً بالبيت والأركان
وكتبت في الحجاج والعمار	والزوار والعباد منذ زمان
متردداً من مكّة الغرا إلى	قبر النبي المصطفى العدنان
ما نلت يا بن العيدروس ولاية	ومواهباً في رتبة السلطان
إلا بلطف عناية وعبادة	ومجاهدات في رضا الرحمن
ليس المعالي بالتماني يا فتى	لولا المشقة شاهدي وكفاني
أنت الولي بن الولي بن الول	سي إلى الوصي الطاهر الأردن
العيدروس أبوك والسقاف جد	ك والمقدم ثالث الرجال
هذي المفخر إن تعدّ مفاخراً	بالذات والآباء والإخوان

(١) علّق أستاذنا المحدث الشيخ عبد القادر الأرناؤوط حفظه الله على هذا الخبر بقوله : « أقول : هذا ليس من الكرامات ، بل من التعمق والتشدّد الذي هو خلاف السنة ، وأفضل من ذلك الطواف حول البيت » . انظر « شذرات الذهب » (١٠ / ٦٢٠) .

(٢) قطعة من حديث رواه البخاري رقم (١٧٨٢) ومسلم رقم (١٢٥٦) (٢٢١) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه مرفوعاً .

(٣) قطعة من حديث رواه مسلم رقم (١٢٥٦) (٢٢٢) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه مرفوعاً .

ومن شيوخه : شيخ الإسلام الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي المصري ، والفقيه الصالح العلامة عبد الله بن أحمد باقشير الحضرمي ، وله من كل منهما إجازة ، في جماعة آخرين يكثر عددهم ، واجتمع بالعلامة الدّبيع بزّيد . وأما مقروءاته فكثيرة جداً .

ومن تصانيفه : « العقد النبوي والسرّ المصطفوي » ، و « الفوز والبشرى » وشرحان على قصيدته المسماة « تحفة المريد » أحدهما أكبر من الآخر ، أما الكبير فالمسمى « حقائق التوحيد » ، وأما الصغير فالمسمى « سراج التوحيد » ومولدان كذلك أحدهما أكبر من الآخر ، ومعراج ورسالة في العدل ، وورد اسمه « الحزب النفيس » ، و « نفحات الحكم على لامية العجم » وهو على لسان التّصوف ولم يكمله ، وله ديوان شعر ، ومن شعره هذه الوسيلة التي نظم فيها نسبه إلى النّبّي ﷺ وهي :

توسّلي بمحمّد خاتم الرّسل	وفاطمة وأمير المؤمنين علي
ثم الحسن والحسين مع زين عابد علي	مع الباقر السّجاد جعفر علي
ذاك العريضي الإمام محمد نجله	عيسى الهزبر الهمام يا نعم من بطل
بأحمد بعبيد الله علويهم	محمد علوي خالع قسمنا علي
محمد صاحب المرباط ثمّ علي	وبالفقيه محمد علوي وعلي
مولى الدّويلة محمد ثم سقافهم	والفخر والعيدروس شيخ العفيف ولي
فهؤلاء بني الزّهرا صخّ بهم نسبي	وارثي بالمختار متصل
سمط تسلسل من أولاد فاطمة	نسب كشمس الضحى في دارة الحمل
نسب شريف صريح ضاء مشكاته	من سيد الرسل والزّهرا انحدر من علي
مسلسل كنجوم الزّهر عقدهم	بدا وختما محمد خاتم الرّسل

ومنه في وصف العارفين رضي الله عنهم : [من البسيط]:

أولئك القوم سادات فحقّ لهم	أن يسحبوا الدّيل فخراً باسم منان
قوم علوا في معالي مجد موجدهم	فاقوا البرايا حظوا من فيض رحمان

جواهرُ السرِّ فاظت من عوالمهم
شموس معرفة ضاءت لمبتهج
ومنه : [من مجزوء الرمل]:

سارعوا من قبل فوت
واقترضوا لله قرضاً
ومنه : [من البسيط]:

يا قارىء الخطِّ أدعوا الله يغفر لي
ويلحظ العبد بالحظِّ إنَّه قمن
ومنه : [من البسيط]:

يا آل طه طوى الأحشاء حبكم
القوم أنتم فلا يشقى جليسكم
ومنه : [من الطويل]:

لنا بالرَّسول المصطفى خير نسبة
أئمة علم الله جوهر سرّه
شموسٌ تجلّت والبدورُ طوالع
شموسٌ بدّت في عالم الغيب أشرقت
ومنه : [من الطويل]:

كفاني أن أزهو بجد ووالد
ولي نسبٌ بالمصطفى وابن بنته
أباً فأباً من سيّد الرسل هكذا
وراثه خير الخلق أحمد جدنا
ورثنا العلا أكرم بنا خير سادة

بسر متبوعهم فضلاً وإحسان
طريقهم حبّذا فتحاً وبرهان

واغنموا فرصاً ووقتاً
لن تنالوا البرّ حتى

ذنبى وإثمى وعصيانى كذا زللى
بالاستجابة اللهم أنت ولي

طيّ السجل وطهرتم من القذر
الناس أنتم كفى بالخبر عن خبر

مسلسلة تعلو على كل رتبة
زواهر حلم قدوة للطريقة
نجومٌ لنا بالسعد منه استمدت
بدورٌ أضت أبداً أوتاد صفوة

ولي حسبٌ من فوق هام الفراق
حسين علي زين زاكي المحامد
إلى العيدروس المجتبى خير ماجد
ونحن به نعلو العلا في المعاهد
شذا مجدنا يشدو بطيب المحامد

ومنه : [من الطويل]:

لنا سادةً فاقوا على كلِّ سادةٍ	بتمكين إرث كابرٍ عن كابرٍ
لنا قادةً فاقوا الكُماةَ بعزمهم	ففي كلِّ وقتٍ منهمُ كم مظاهرٍ
هنيئاً لهم طوبى لهم من عشائرٍ	حقيقٌ لهم ذلك حُظوا بالبشائرِ
هُم القوم لا يشقى جليسٌ لهم بهم	خصوصية خُصّوا بنور البصائرِ
وكيف لا يكون الحقّ حشو قلوبهم	وهم بضعة المُختار أهل المفاخرِ ^(١)

ومنه هذا المفرد والتزم فيه الحروف المقطعة :

زرّدُ أرود دانٍ ودود دواء دائي وادي زرود

ومنه هذه القصيدة العظيمة المشهورة بالبركة ، مطلعها : [من المتقارب]:

حجابٌ من الله وجرزٌ منيع	علينا دواماً وفضلٌ وسيع
وحسبي ربّي لطيفٌ بديع	عليّ بحالي بصيرٌ سميع
عيونُ العناية لنا راعيّة	وأسماءُ عظام بنا ساميّة
قطوفُ المعارف هنا دانيّة	فهيا إلى حيّ مي الرفيع
إذا عزّ ربّي محيط بنا	فلا تخشَ قاصي ولا من دنا
فلو كلّ خلقٍ أرادوا بنا	لذلّوا وخابوا وبأؤوا الجميع
ألف لام وكاف ها كافية	ويا عين صاد نون نورانية
وطا سين حاميم قاف واقية	هو الله هو هو القريبُ السريع

ومناقبه وكراماته ليس هذا محلها ، وقد أفرد لها غير واحد من العلماء بالتصنيف كالشيخ العلامة حميد بن عبد الله السّندي في رسالة له ، والشيخ العلامة شهاب الدّين أحمد بن علي البسكري المكي في كتابه « نزهة الإخوان والنفوس في مناقب شيخ بن عبد الله العيدروس » وقد ذكرتُ كثيراً منها في مقدمة كتابي « الفتوحات القدوسية في الخرقة العيدروسية » ، وإنّما قصدنا

(١) الشطر الأول مختل الوزن .

الآن الإشارة إلى ذلك إجمالاً ليستدلّ به على جلالته قدره وفخامة أمره ، وكفى
بالتفحة دليلاً على الزّهر ، وبالعُرفة معرفةً بعدوبة النّهر ، وبقلامة الهلال تنبيهاً
على إقبال شخص الشهر ، إذ كتابنا هذا مبني على الإيجاز والاختصار دون
الإسهاب والإكثار ، وبالله التوفيق . والله دُرُّ الشّيح عبد المعطي با كثير حيث
يقول فيه من قصيدة : [من الكامل]:

ذاعَتْ فضائله وشاعَ ثناؤه في الخافقين وجاوزت بغدادا
وما أحسن قول الشّيح الفاضل عبد اللّطيف الدّبير حيث يقول فيه من
قصيدة : [من الكامل]:

شيخُ الأنام مفيدُ كلِّ محقّق بحرُ العلوم العارف الرّبّاني
ابن العفيف أبو الشّهاب المجتبي قطبُ الزّمان العيدروس الثّاني
شرفُ السّيادة والزّهادة والثّقى فخرُ الحُماة الغرّ من عدنان
هو كالسفينة من تولاه نجا وسواه لم يأمن من الطّوفان

● وفيها : توفي العلامة المفنن الصّالح الشّيح عبد النّبّي الصّدر شهيداً
رحمه الله تعالى ، وكان من المتبحرين في العلم ، وكان معظماً عند السّلطان
أكبر جداً بحيث يقال : إنّ السّلطان المذكور كان يتولى خدمته بنفسه في بعض
الأحيان ، وثباته في الدّين وصبره على الامتحان مشهور .

وحكي أنّ السّلطان كان يرسل إليه وهو في السّجن وقد عُذّب بأنواع
العذاب : أن اترك ما أنت عليه من الصّلاية في الدّين ، وتكون كما كنت في
أوج العظمة ، فيرد عند ذلك من الجواب بما يزداد به غيظ السّلطان عليه .

وحكي أنّ السّلطان أمر بعض الكفار أن يقتله ، فمكث مدة يحاول ذلك ،
وما يجيء إلّا ويجده في صلاية أو تلاوة فيتوقف لذلك عن قتله ، وقال
للسّلطان : أمرك مطاع ، ولو أمرتني بقتل مائة نفس من مشايخنا - يعني من
الكفار - لفعلت ، وأما هذا المسلم فما قطّ جئت لقتله إلّا وجدته فيه مشغولاً
بطاعة ربّه ، وأنا أتحاشى عنه لذلك فاعذرني . وقُرب إليه كأس فيه سمٌ فأبى أن

يتناوله ، وقال : أنا أعلم بالذي فيه ولا أعين على قتل نفسي ، أي للمحذور في ذلك من جهة الدّين . ثم إنّ السّلطان بعد ذلك أمر بخنقه رحمه الله ، ففعل به ذلك ومات ، وكان ذلك ليلة اثني عشر في شهر ربيع الأول ، وهي ليلة المولد الشّريف فرحمه الله . لقد أبقي ذكراً جميلاً ، وثبت ثباتاً عظيماً قلّ أن يتفق مثله إلا لمن وفقه الله . أعاد الله علينا من بركاته آمين .

● وفيها : في يوم عاشوراء توفي الشّريف أبو نُمي محمد بن بركات^(١) صاحب مكة ، ولبعض الفضلاء من أهل مكة في تاريخ وفاته :

يا مَنْ به طَبْنَا وطَابَ الوجود قد كنت بدرأ في سماء السّعود
ما صرّت في التّربِّ ولكنّما أسكنك الله جنّات الخلود
وكان مولده سنة عشر وتسعمائة .

● وفيها : في تاسع صفر توفي الشّريف الفاضل القاضي حسين المالكي . ومن غريب الاتفاق تاريخ يوم موته كان تاريخاً له ، فتقدم أنه مات في تاسع صفر ، وجاء تاريخه « تسع في صفر » رحمه الله ، وكان من أعيان أهل مكة وفضلائها وأجوادها ورؤسائها ، لم يخلفه مثله ، وحزن الناس على موته ، وللبعض الفضلاء من أهل مكة هذا التخميس على البيتين المشهورين :

لهفي على بذر الوجود وسَعْدِهِ
ومغيبه تحت الثّرى في لَحْدِهِ
مات الحسين المالكي بمجْدِهِ
يا دهرُ بَغ رتب العلا من بعده بيع الهوان ربختَ أم لم تربح
وافعلْ مرادك يا زمان كما ترى
وارفع من الغوغا وحطّ ذوي الذّرى
لا تعتذر لذوي الثّهي عمّا جرى
قدّم وأخّر من أردت من الورى مات الذي قد كنت منه تستحي

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (٦١٩/١٠) .

وكانت له عقيدة في الصّالحين ، وقيل : سببها أنّ أمّه كانت تعتقد بالوليّ الشّهير الشّريف عبد الله بن الفقيه با علوي ، فمرض ولدها هذا مرضاً شديداً أشرف منه على الهلاك ، فطلبت من الشّريف حصول الشّفاء له وألحّت في ذلك ، وكان عنده الشّيخ الصّالح عبد الرّحمن بن عمر العمودي ، فقال السيّد عبد الله للشّيخ عبد الرّحمن : عساك تتحمل عنه ، فإنّ النّاس ينتفعون ببقائه ، فمن ذلك الوقت ابتدأت العافية في القاضي ، ومرض الشّيخ عبد الرّحمن من وقته ومات بعد أيام ، وشهد جنازته القاضي المذكور رحمه الله .

قلت : وحكى الشّيخ محيي الدّين بن عربي رحمه الله تعالى في كتابه « الفتوحات المكيّة » عن بعض شيوخه : أنّ امرأة من بنات الملوك ممن كان النّاس ينتفعون بها ، وكان لها اعتقاد في هذا الشّيخ ، فتوجهت إليه ليدخل عليها والملك الذي هو زوجها عندها ، فقام إليه ثم نظر إليها وهي في النّزع ، فقال الشّيخ : أدركوها قبل أن تقضي ، فقال له الملك : بماذا ؟ فقال : بديتها اشتروها ، فجيء إليه بديتها كاملة ، فتوقف النّزع والكرب الذي كانت فيه ، وفتحت عينها وسلمت على الشّيخ . فقال لها الشّيخ : لا بأس عليك ، ولكن ثمّ دقيقة بعد أن حلّ الموت لا يمكن أن يرجع خائباً ، فلا بدّ له من أثر ونحن قد أخذناك من يده وهو يطالبنا بحقه ، فلا ينصرف إلّا بروح مقبوضة وأنت إذا عشت انتفع بك النّاس ، وأنت عظيمة القدر فلا نفديك إلّا بعظيم عندي من هذا الموت ، ولي بنت هي أحبّ البنات إليّ أنا أفديك بها ، ثم ردّ وجهه ملك الموت وقال : لا بد من روح ترجع بها إلى ربّك ، هذه ابنتي تعلم محبتي فيها خذ روحها بدلاً من هذه الرّوح ، فإنّي قد اشتريتها من الحقّ وباعني إياها ، وابنتي جعلك حقّ معيّنك . ثم قام وخرج إلى بيته ، وقال لابنته وما بها بأس : يا بنية هبيني نفسك ، فإنّك لا تقومين للنّاس مقام زينب بنت أمير المؤمنين في المنفعة ، فقالت : يا أبت أنا بحكمك قد وهبتك نفسي . فقال للموت : خذها ، فأخذها ، فماتت من وقتها . انتهى .

ولمّا ابتنى القاضي حسين بيته وجعل فيه التّخريجة قال صلاح الدّين القرشي
في ذلك أبياتاً^(١) منها :

ما عرشُ بلقيس وما مقداره ما تختُ كسرى والذي مثله
أنا نادر والحكم لي ولمالكي ومن العجائب نادر والحكم له
وله أيضاً تاريخ بيت أنشأه القاضي : [من مجزوء الكامل]:

شَرَفُ العُلا لك مَنْزِلٌ يا بَدْرُ فيه فاحلُلْ
فالسَّعدُ قال مؤرخاً « للبدْر أشرف مَنْزِلِ »

ولما ولي قضاء المدينة الشريفة قال الأديب مامية الانقشاري في تاريخ ذلك
العام :

طيبة منذ طابت بحسام الأحكام كم ظُلومٍ خوفاً بات يخفي ريبة
والرعايا لما شكروا من عدله قلت في عدله دام قاضي طيبة
ومدحه بعضهم بأبيات منها : [من السريع]:

إنسانٌ عَيْنٍ هو^(٢) إنسانٌ مَنْ سادوا وشادوا المكرمات الطوال
من جوده والعزم أو حلمه أو نسب أو شرف أو خصال
كالبحرِ والسيفِ ووسع العطا والشمسِ والبدْرِ وماء الزُّلال
لولا الَّذي كلمه اختاره وزاده في المجد ما لا ينال
ما كان قد صيِّره ناظراً عدلاً على البيت العديم المثال
والحرمين البالغين النّهى أنعمَ بِها مرتبةً لا تزال
وهو الحسينُ الحَسَنِيُّ الَّذي فاق الورى في الجودِ نسلُ الرّجال

(١) في (م) و(ط) : « أبيات » .

(٢) أضفنا « هو » لإقامة الوزن .

وكتبَ إليه بعضهم يهنئه بقدوم رجب : [من مجزوء الزمل]:

يا حُسَيْنَا يا شَرِيفَا فِي عُـلَاه لا يَشَارِكُ
عِشْ وَدُمْ وَاهْنْ بِشَهْرِ مِنْ فَتَى وَافَا جَوَارِكُ
ذَاتِهِ قَدْ أَرَحْتَهُ « رَجَبْ شَهْرٌ مُبَارِكُ »

ومن شعره وقد أهدى إليه القطب الحنفي سمكاً : [من الكامل]:

يا أَيُّهَا الْقُطْبُ الَّذِي بِوَجُودِهِ دَارَ الْفَلَـكِ
لَوْ لَمْ تَكُنْ بَحْرَ النَّدى مَا جَاءَنَا مِنْكَ السَّمَكُ

● وفيها : توفي العالم الفاضل المفتي الشيخ قطب الدين الحنفي المكي النهروالي^(١) نسبة إلى نهروالة من أعمال الهند بمكة المشرفة ، وكان من الأعيان المذكورين والفضلاء المشهورين ، مجللاً محترماً . ومن شعره هذه القصيدة : [من الطويل]:

بسيف الحجى عند اهتزاز النّوائب تَقَلَّدْتَ فَاسْتَغْنَيْتَ عَنْ كُلِّ قَاضِبٍ
وَجَزَّدْتَ مِنْ رَأْسِي الشَّدِيدَ عَزَائِمَا أَفْلُ بِهَا حَدَّ السَّيُوفِ الْقَوَاضِبِ
وَلِي هَمَّةٌ أَسْمُو بَصَارِمَ عَزْمِهَا إِذَا السَّيْفُ قَدْ أَعْيَى صُدُورَ الْكَتَائِبِ
وَمَا فَاتَنِي فَضْلُ أَرَدْتُ اقْتِنَاءَهُ وَمَا غَرِبْتُ عَنِّي صَعَابُ الْمَطَالِبِ
وَكَمْ خَطَبَ الْعُلِيَاءَ غَيْرِي وَلَمْ يَنْلُ وَنَلْتُ لِأَنِّي كُنْتُ أَكْرَمَ خَاطِبِ
وَلَوْ شِئْتُ أَدْنْتُ لِي رِقَابَ كَثِيرَةٍ وَلَكِنْ رَأَيْتُ الدَّهْرَ أَغْدَرَ صَاحِبِ
فَمَا الدَّهْرُ إِلَّا مَقْبَلٌ مَعَ سَاعَةٍ وَلَا الْعَمْرُ مَعَ طَوْلِ الْمَدَى غَيْرِ نَاهِبِ
وَمَا النَّاسُ إِلَّا حَاسِدٌ وَمَعَانِدٌ وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا رَاجِعٌ فِي الْمَوَاهِبِ
وَمَا شَادَ بَنِيانَ الْعُلَا مَتَهَوِّزُ وَلَا سَادَ مِنْ لَمْ يَفْتَكِرْ فِي الْعَوَاقِبِ
أَخَالِطُ إِخْوَانَ الزَّمَانِ بِعَقْلِهِمْ لِأَنْظُرَ مَا يُبْدِي بِهِ مِنْ عَجَائِبِ

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠/٦١٧-٦١٩) و « الكواكب السائرة » (٣/٤٤/٤٨)
و « البدر الطالع » (٢/٥٨٥٧) و « معجم المؤلفين » (٩/١٨١٧) و « الأعلام »
(٦/٧-٦) .

عَذَابُ الثَّانِيَا سُدَّ شَعْرَ الذَّوَائِبِ
وإنَّ لَذِيذَ الوَصْلِ أَسْنَى مَا رَبِي
وَأَنَّ مَقَامِي فَوْقَهُ بِمَرَاتِبِ
يُرُونِ اكْتِسَابَ الْفَضْلِ أَزْرَى الْمَكَاسِبِ
وَمَا الْمَجْدُ إِلَّا أَخَذَ بَعْضَ الْمَنَاصِبِ
وَأُورَادَهُمْ إِتْقَانُ هَذَا الْمَنَاصِبِ
وَلَيْسَ مُحَلِّي غَيْرِ هَامِ الْكَوَاكِبِ

وله رحمه الله صورة مكتوب منظوم كتبه إلى بعض أصحابه بالمدينة
الشريفة : [من الرجز]:

وَأَبْلَغُ التَّمْجِيدِ وَالْإِكْرَامِ
وَذَكَرَ وَجِدَ مَفْرُطَ تَزَايِدَا
وَمَقْلَعَةَ مِنَ الْفِرَاقِ دَائِمِيَّةِ
إِلَى خَلِيلِ سَيِّدِ جَلِيلِ
وَبَدَرَ تَمَّ الْمَضَى فِي الْكَمَالِ
وَزَهْرَةً تَسْمُو سَمَاءَ الرُّتَبِ
وَاسْطَةَ كَاللُّؤْلُؤِ النَّفِيسِ
عَلَيْكَ إِذْ لَمْ يَأْتَنِي كِتَابُ
وَلَمْ أَكُنْ أَنْسَى لَكَ الْمَوَدَّةَ
أَمْ غَيَّرَكَ الدَّهْرُ بِالْبَعَادِ
أَمْ هِيَ لَا تَوْجِدُ فِي الْمَدِينَةِ
إِنِّي كَمَا تَعْهَدُ يَا خَلِيلِي
وَخَيْلٌ وَدِّي لَا تَكُونُ نَاكِصَةً
تَقْطَعُ فَهِيَ غَايَةُ الْمَرَامِ
أَنْ تَدْخَلَ الْمَسْجِدَ لِلزِّيَارَةِ

وَأَظْهَرُ أَنِّي مِثْلَهُمْ تَسْتَمِيلَنِي
وإنَّ أَلِيمَ الْهَجْرِ مِمَّا يَسُوؤُنِي
وَمَا عَلِمُوا أَنَّ الْهَوَى دُونَ رَتَبَتِي
أَلَّا فِي سَبِيلِ الْمَجْدِ قَوْمٌ عَهْدَتَهُمْ
وَمَا عِنْدَهُمْ فَضْلٌ سِوَى كَثْرَةِ الْغَنَى
فَضَائِلُهُمْ مُحْصَوْرَةٌ فِي ثِيَابِهِمْ
زَمَانِي زَمَانِي بَيْنَهُمْ يَسْتَهِينَنِي

بَغْدَ أَدَاءِ أَطْيَبِ السَّلَامِ
وَبِثْ شَوْقٍ لَا يَزَالُ زَائِدًا
مَنْ كَبِدَ إِلَى اللَّقَاءِ ظَامِيَّةِ
وَمَنْ غَلِيلَ مَهْجَةِ عَلِيلِ
شَمْسُ سَمَاءِ الْفَضْلِ وَالْإِفْضَالِ
وَزَهْرَةٌ مِنْ زَهْرِ رَوْضِ الْأَدَبِ
لَا زَالَ فِي قِلَادَةِ الدَّرُوسِ
وَبَغْدُ فَالْعَبْدُ لَهُ عِتَابُ
مَغْ أَنَّنِي أَرْسَلْتُ كُتُبًا عَدَّةَ
فَهَلْ نَسِيتَ يَا فَتَى وَدَادِي
أَمْ الْقِرَاطِيْسُ غَدَتْ ثَمِينَةً
هَذَا وَبِالْجُمْلَةِ وَالتَّفْصِيلِ
مُحِبَّتِي مِنْ كُلِّ غَشٍّ خَالِصَةٍ
فَلَا تَكُنْ لِكُتُبِكَ الْكَرَامِ
وَالْقَصْدُ مِنْكَ يَا أَخِي الْبَشَارَةِ

[فتضع الخدَّ على الأرض إذا
ثم تقول يا نبيَّ الرَّحمةِ
أضعف خلق الله قطبُ الدِّينِ
حمِّلني مِنَ السَّلامِ الجملةِ
كذا إلى ضجيعه الصُّديقِ
وبلِّغ السَّلام والإكرامِ
إمام هذا العصر بل وحيدةِ
شهاب أهل الشَّرع والحقيقةِ
خلاصة المقربين الأبرارِ
سَلِّمهُ الله تعالى وجمَع
وأنت في دعاك لا تنساني
لا سيِّما في ساعة القبولِ
وَأَنْ أَنْ أختَمَ هذا بالسَّلامِ

قابلت ذياك الضريح لائذا^(١)
للعالمين وجميع الأُمّةِ
.....^(٢)
إليك راجياً سؤال الفضل له
وعمر الشهير بالفاروقِ
سيِّدنا وشيخنا الهُمامِ
مَنْ هو ذو المناقب العديدةِ
وبدره وشمسه الشَّريفةِ
الشيخ أحمد بن عبد الغفارِ
شمالاً به وبعلموه قد نفَع
يا سيِّد الإخوان والخلانِ
عسى أفوز بالمنى والسولِ
وأجعل الحمد لما قلت ختام

وله أيضاً نظمة لبعض من في القافلة يذكر بها في الليل : [من: السريع]:

إلى متى يا عينُ هذا الرِّقادِ
تنبّهي من رقدة وأنظري
يا أيُّها الغافلُ في نومهِ
مولاك يدعوك إلى بابه
ويسطُ الكفّين هل تائبُ
وأنت من جنبٍ إلى جانبٍ
يدعوك مولاك إلى قربهِ
كم هكذا التسويف في غفلةِ

ما آن أن تكتحلي بالسَّهادِ ؟
ما فات من خيرٍ على ذي الرِّقادِ
قُمْ لترى لطف الكريم الجوادِ
وأنت في النَّوم شبيه الجمادِ
من ذنبه هل من له في مرادِ ؟
تدور في الفرش للين المهادِ
وأنت تختارُ الجفا والبعادِ
ليس على العمر العزيز اعتمادِ

(١) هذا البيت من (ط) فقط .

(٢) كذا بياض في (م) و (ط) .

لقد مضى ليلُ الصُّبَا مُسرِعاً
أفوقَ فإنَّ اللهَ سبحانه
ومن شعره أيضاً : [مخلع البسيط]:

أَقْبَلَ كَالْغُصْنِ حِينَ يَهْتَزُّ
مَهْفُوفُ الْقَدِّ ذُو مُحَيَّا
دَارَ بِخَدِيدِهِ وَאוْ صَدَغَ
الْخَمْرُ وَالْجَمْرُ فِي لِمَاهِ
يَشْكُو لَهُ الْخَصْرُ جُورَ رَدْفِ
طَلَبْتُ مِنْهُ شِفَاءَ سَقَمِي
قَدْ غَفَرَ اللَّهُ ذَنْبَ دَهْرِ
جَزَّ فَوَادِي بِسِيفِ لِحْظِ
أَفْدِيهِ مِنْ أَغْيَدِ مَلِيحِ
كَانَ نَدِيمِي فَمَذَّ رَأْيِي
حَرَمٌ مِنْ وَصْلِهِ مَبَاحاً
يَا قَطْبُ لَا تَسْلُ عَنْ هَوَاهِ

ونير صبح الشَّيب فود الفؤاد
رَحْمَتُهُ عَمَّتْ جَمِيعَ الْعِبَادِ

فِي حُلِّ دُونَ لُطْفِهَا الْخَزْ
بِعَارِضِ الْخَدِّ قَدْ تَطَرَّرْ
وَالصَّادِ مِنْ لِحْظِهِ تَلَوَّزْ
وَحَدَّ ظَاهِرٍ وَمَلْغَزْ
أَعْجَزَهُ حَمْلُهُ وَأَعْجَزْ
فَقَالَ لِحْظِي لَذَاكَ أَعْوَزْ
لِمَثَلِ هَذَا الْمَلِيحِ أَبْرَزْ
أَوَاهِ لَوْ دَامَ ذَلِكَ الْجَزْ
بِالْحُسْنِ فِي عَصْرِهِ تَمِيزْ
أَسِيرُهُ فِي الْهَى- حَى تَعَزَزْ
لَمَّا أَحَلَّ الْقَدَّ لَا وَجُوزْ
وَأَثَبَتْ وَكُنْ فِي هَوَاهِ مَرَكُزْ

ومنه معارضاً « خذوا قودي من أسير الكلل » : [من المتقارب]:

أَلَا حَلَّلَ اللَّهُ سِيفَ الْمُقَلِّ
وَمَا مِنْ قَتِيلٍ بِهِ فِي الْهَوَى
لَقَدْ نَصَرَ اللَّهُ جَيْشَ الْمَلَاكِ
وَمَا بَطُلٌ فِي الْوَعَى فَارِسٌ
إِذَا قَتَلْتَنِي عَيْوَنُ الظُّبَى
رَعَى اللَّهُ لَيْلَةَ زَارِ الْحَبِيبِ
فَأَجْلَسْتَهُ فِي سَوَادِ الْعَيْوَنِ
وَأَلْصَقْتُ خَدِّي بِأَقْدَامِهِ

فَكَمْ ذَا أَصَابَ وَكَمْ ذَا قَتَلَ ؟
سِوَى أَلْفِ رَاضٍ بِمَا قَدْ فَعَلَ
يَبْدُرُ لَنَا حُسْنُهُ قَدْ كَمَلَ
إِذَا قَابَلَ الْغَيْدَ إِلَّا بَطُلُ
فِيَا فَرَحِي قَدْ بَلَغْتَ الْأَمْلُ
وَغَابَ الرَّقِيبُ إِلَى حَيْثُ أَلْ
وَقَدْ غَسَلَ الدَّمَاعَ ذَاكَ الْمَحْلُ
وَأَذْبَلْتَ أَخْمَصَهُ بِالْقُبُلِ

فَرَّقَ وَمَالَ بِأَعْطَافِهِ
فَعَانَقْتَهُ وَخَلَعْتَ الْعِذَارَ
وَمَا زِلْتَ أَشْغَلُهُ بِالْحَدِيثِ
إِلَى أَنْ غَفَى جَفْنُهُ نَاعِسًا
فَحَلَيْتُ عَنْ خَصْرِهِ بِنُدَّهِ
وَبِتُّ أَشَاهِدُ صَنْعَ الْإِلَهِ
فَظَنُّ بِي الْخَيْرَ أَوْ لَا تَظُنْ

ومنه : [من السريع]:

الْدُّنَّ لِي وَالْكَأْسُ وَالْقَرْقَفُ
لَا تَنْكُرُوا حَالِي وَلَا حَالَهُ
لَكِنَّهُ يَنْكُرُ أَذْوَاقَنَا
كَمْ يَزْدْرِي الرَّاحَ وَشَرَابَهَا
دَعْنِي وَحَالِي يَا فَقِيهَ الْوَرَى
هِيَهَاتَ أَنْ يَدْرِكَ طَعْمَ الْهَوَى
لِلْعَشْقِ سِرٌّ لَمْ يَزَلْ غَامِضًا
فِيَا نَدِيمِي اشْرَبْ عَلَى رَغْمِهِ
وَاحْبِسْهُ فِي بَابِ الطَّهَارَاتِ مِنْ
وَبِي غَزَالٌ طَابَ مَرْعَاهُ فِي
بَدْرٍ كَمَالٍ لَا يُرَى حُسْنُهُ
فِي خُدِّهِ أَنْبَتَ مَاءِ الْحَيَا
عَارِضُهُ لَا مُمْ وَفِي صَدْغِهِ
عَزِيزٌ مَصْرُ الْحُسْنِ لَوْ كَانَ فِي

فَدَيْتُ بِرُوحِي ذَاكَ الْمِيلَ
وَمَزَقْتُ ثُوبَ الْحَيَا وَالْخَجَلَ
وَسَتَرَ الظَّلَامَ عَلَيْنَا أَنْسَدَلْ
وَعَنِي تَغَافُلٌ أَوْ قَدْ غَفُلْ
وَأَنْضَيْتُ عَنْ مَعْطَفِيهِ الْحُلْ
تَبَارَكَ رَبُّ الْبَرَايَا وَجَلْ
فَمَا أَنْتَ تَسْأَلُ عَمَّا حَصَلَ

وَلِلْفَقِيهِ الْكُتُبُ وَالْمَصْحَفُ
كُلٌّ بِمَا يَنْفَعُهُ أَعْرِفُ
وَمَا لَهُ ذَوْقٌ وَلَا يَنْصَفُ
أَخْشَى عَلَى هَذَا الْفَتَى يَقْصِفُ
فَأَنْتَ عَنْ إِدْرَاكِهِ تَضَعُفُ^(١)
مَنْ لَمْ يَكُنْ فِي ذَوْقِهِ يَلْطَفُ
لِغَيْرِ أَهْلِ الْحَبِّ لَا يُكْشَفُ
وَدَّعَهُ فِي إِنْكَارِهِ يَرْسِفُ^(٢)
كِتَابَهُ لَعَلَّهُ يَنْظِفُ
كُنَاسٍ قَلْبِي وَهُوَ لَا يَأْلَفُ
نَقْصًا وَلَا مُحَقًّا وَلَا يَكْلَفُ
وَرَدًّا بِغَيْرِ اللَّحْظِ لَا يَقْطِفُ
وَأُوْ وَلَكِنْ آهَ لَوْ يَعْطِفُ
زَمَانَهُ هَامَ بِهِ يَوْسِفُ

(١) فِي (م) : « ... تَكْشِفُ » وَمَا أُثْبِتَاهُ فِي (ط) .

(٢) فِي (م) : « ... يَوْسِفُ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ ، وَصَوَابُهُ فِي (ط) .

ومنه : [من بحر الرمل]:

لا وفرع كدُجى الليل غسق
ومحيًا كلف البدر به
وعذار مذبذبي خده
ما أرى الغزلان إلا سَرَقَت
ثم خافت قتولت سرّداً
كيف لا يشرد خوفاً من سرّق

ومنه : [من مجزوء الرمل]:

شمس الضحى بعد العشا
واستقبلت بدر السما
زارت فزال تلّهُفِي
فنظرتُ للقمرين في

ومنه : [من الوافر]:

عذولي زادني في الحبّ عدلاً
وصار يلوم من أهواه حتّى
وأكثرَ في مغابتي وآذا
شكى من لوم عذّالي وآذا

ومنه : [من مجزوء الكامل]:

بلّغ حبيبي بعضَ ما
أما عذولي قلّ له
ألقاه إن أبصرتُهُ
دع عنك ما أضمرتُهُ

ومنه معمى في أحمد : [من الوافر]:

لنا إن دارت الكأس العقارُ
وكتب إليه الأديب الفاضل جمال الدين ابن ملاً زاده في مستهل شهر رمضان
بأطراف الرماح دمٌ مُدارُ

هذين البيتين : [من الكامل]:

يا قُطِبَ أهلِ العلمِ في أمّ القرى
فتهنّ وحدك إنَّ ذاتك أصبحت
رمضانُ هلّ ببهجة لم تُوصفِ
هي أشرف في أشرف في أشرفِ

فأجابه قطب الدّين الحنفي وأرسل إليه ديناراً : [من الكامل]:

يا أوحَدَ الفضلاء أنتَ جمالنا فتَهَنُّ بالشَّهر الشَّريف الأشرفِ
شعرٌ بشعرٍ لا ربا فيه وإنْ زاد العيار بوزن هذا الأشرفِ

وكان الشَّيخ قطب الدّين قد سعى لأخيه محب الدّين في القضاء ببلاد
اليمن ، فلما مات المذكور سعى كذلك لابن فيه ، فقررَ في وظيفة أبيه ، فقال
الأديب الفاضل جمال الدّين ملأ زاده أيضاً في ذلك : [من الكامل]:

وليت قطبَ الدّين صنوك قاضياً ثم ابنه فليأمن الآفاتا
مَنْ مَاتَ بعد ولاية قطبيّة كأخيك عشت وكابنه ما ماتا

من إفادات الشَّيخ قطب الدّين رحمه الله تعالى أن لفظ « ابن خلكان » ضبط
على صورة الفعلين خلّ أمراً من خلّي أي ترك فعل ماضٍ وكان الناقصة ، وسبب
تسميته بذلك أنه كان يكثر أن يقول : كان والدي كذا ، وكان جدي كذا ، فإنه
من البرامكة ، فقليل له : خلّ كان . قال : ورأيت من ضبطه بسكون اللام
والباقي على حاله . والله أعلم .

● وفيها : توفي العلامة رضي الدّين القازاني المخزومي المكيّ بمكة
المشرفة رحمه الله تعالى ، وكان أوحده عصره في الأدب والنظم الحسن . ومن
شعره : [من الكامل]:

قُلْ للروافضِ أنتمُ في سبِّكم شيخُ التُّقى وحبينا علم الهدى
مِثْلُ النَّصارى لا نسبٌ لأجلهم عيسى وإنْ سبُّوا النَّبيَّ محمّدا

● وفيها : ظهر جراد بنواحي كجرات فليل للشاه فتح الله : ضع له
تاريخاً ، فقال : « منتشر » .

● لطيفة :

نزل الجراد قرب قبيلة زيد ونزل الجراد إلى جانب قرية عمرو ، فقام أهل قبيلة زيد قالوا لأهل قبيلة عمرو : ما نحن نصيد جراداً احتمى بكم ، فلما سمعت قبيلة عمرو ذلك قالت : لا سمع ولا طاعة ولا نمكنه من صيد جوارنا ، فقام القتال بين الفريقين ، ولا زالوا على قتالهم إلى أن قتلوا هاتين الفئتين ، وأنشد بعض قبيلة عمرو يقول : [من الوافر]:

ومنا مَنْ أجارَ جرادَ نجدٍ وحرمه على المتصيدين

● غريبة :

مرض زيد مرضاً شديداً إلى أن تعبت الأطباء من علاجه لقلة ملاقاته أدويته ، فلما أشرف على الهلاك قال الطبيب لقربته : أطعموه ما يشتهي وأراد ، فإنه من الهالكين ، وصار المريض يأكل ما اشتهى وأراد إلى بعض الأيام ، فدار في خاطره الجراد ، فاشترى وأمعن في الأكل منه ، فلما أكثر منه تعافى من مرضه وشاهده الطبيب فقال له : بالله عليك أخبرني ما تناولت من الدواء وما شربت من الأشربة وما غذاؤك من المأكول ؟ فقال : الجراد . فقال الطبيب : صدقت ، لأنَّ الجرادَ يكون قد قعد على حشائش أكلَ منها ولم تصل منفعتها إلى فهم مخلوق إلى الآن وافق خاصية تلك الحشائش لدائك برئت ، وكان الجرادُ واسطةً لعافيتك ، والله إنِّي نظرت في جميع كتب الطب على أن أعرف لدائك دواءً فما صحَّ لي ذلك ، فقلت بترك الحمية لك ، والله أعلم .

● نادرة :

قال الأصمعي : أتيتُ البادية فإذا أعرابي قد زرع برّاً له ، فلما انتهى إلى سنبله أتاه الجراد ، فجعل ينظرُ إلى الزرع ولا يدري ما يصنع وأنشأ يقول : [من البسيط]:

مَرَّ الجَرَادُ عَلَى زُرْعِي فَقُلْتُ لَهُ بِالله لَا تَشْتَغِلْ يَوْمًا بِإِفْسَادِ
فَقَالَ مِنْهُمْ خَطِيبٌ فَوْقَ سَنَبِلَةٍ أَنَا عَلَى سَفَرٍ لَا بَدَّ مِنْ زَادِ
قُلْتُ : وَفِي بَعْضِ السَّنِينَ قَدِمَ كَجَرَاتُ بَعْضِ مُشَايخِ الْعَجَمِ بِقَصْدِ الْحَجِّ ،
وَكَانَ مَعَهُ مَرِيدُونَ كَثِيرُونَ ، فَقَالَ بَعْضُ الْأَدْبَاءِ : جَاءَ الْمَلَخُ مِنْ بَلَخٍ شَبَهَ بِهِمْ
لِكَثْرَتِهِمْ بِالْجَرَادِ ، وَهُمْ يَسْمُونَهُ بِالْفَارَسِيَّةِ : مَلَخُ .

* * *

سنة إحدى وتسعين بعد التسعمائة

وفي سنة إحدى وتسعين : توفي الفقيه العلامة جمال الدين محمد بن أبي بكر الأشخر^(١) - بالشين المعجمة الساكنة والخاء المعجمة بعدها راء مهملة - واحد الدهر ، وشافعي العصر ، الفاضل الكامل ، سابق الأوائل ، شيخ الإسلام ، مفتي الأنام ، الفرد الإمام ، الحافظ الحجة ، السالك الطالبين في أوضح المحجة ، إمام الفنون الذي اغترف بتقدمه المفتون ، ذو التصانيف المفيدة ، والتأليف العديدة ، والشروح الفائزة من العلوم بالقدح المعلى ، والمناظير المشحونة بالنكت التي أقمار دقائقها شارقة في كل مجلى .

قرأ على جماعة من الأكابر الجلة ، وحصل له من الجميع الإجازة ، ومنهم : شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي ، وإبراهيم مطير ، والعلامة ابن زياد ، وأول تخرجه بأبيه .

وتخرج به جماعة من بلده وغيرها ، منهم : أخوه العلامة أحمد الأشخر^(٢) ، وناهيك أنه حفظ العُباب للمُزجّد ، وكان أخوه يقدمه على سائر الطلبة ، ولا يكتب شيئاً إلا ويعرضه عليه أولاً ، غير أنه بعد ذلك ظهرت فيه طبيعة السوداء ، فتأثر لذلك وترك الاجتماع بالناس إلا نادراً ، ومع ذلك لما اجتمع به صاحبنا الفقيه أحمد بن الفقيه محمد با جابر حصل له عنده الحظوة

(١) ترجمته في «شذرات الذهب» (١٠/٦٢٣-٦٢٤) و«البدر الطالع» (١٤٦/٢) و«معجم المؤلفين» (٩/١٠٦) و«الأعلام» (٦/٥٩) .

(٢) ترجم له صاحب «الشذرات» (١٠/٦٢٤) وترجمته مماثلة لما ورد هنا ، ويلتبس اسم المُترجم له بـ أحمد بن عمر بن محمد السّيفي المرادي المذحجي الزبيدي ، ترجم له العيّدروس ، وابن العماد الحنبلي في أحداث سنة (٩٣٠ هـ) وهما اثنان ، فذاك أحمد المُزجّد صاحب «العُباب» وهذا أحمد الأشخر الذي حفظ «العُباب» وما ألقه قولاً واحداً ، وانظر النصّ أعلاه ، وقارنه بترجمة المُزجّد .

الثَّامَة ، واختلى به أياماً مدة إقامته عنده ، وأملى عليه شيئاً كثيراً من نظم أخيه ، وبحث معه في مسائل فقهية ، وتعجب الناس لذلك جداً .

رجعنا إلى ذكر صاحب الترجمة : وممن قرأ عليه الفقيه محمد بن إسماعيل با فضل ، والفقيه الصَّالح جمال الدِّين بن محمد الطيب المكش . وفتاويه ومؤلفاته شاهدة بشرف مقامه في العلوم . ولد رحمه الله تعالى في اليوم الثاني عشر من شهر ذي الحجة الحرام سنة خمس وأربعين وتسعمائة .

وله مؤلفات كثيرة منها : « منظومة الإرشاد » ، و « شرح الشذور » ، و « منظومة في أصول الفقه وشرحها » ، و « مختصر المحرر » للسهمودي في تعليق الطلاق ، و « منظومة في أسماء الرجال » ، و « ألفية » في النحو نظمها في مرض موته ، و « شرح حديث أم زرع » وهو آخر مؤلفاته ، وله « فتاوى » في مجلد ضخيم ، وله « شرح على بهجة المحافل » ، واختصر « التفاحة في علم المساحة » ، وله غير ذلك من المختصرات ، وله نظم جيد حسن . ومنه : [من الطويل]:

رَأَيْتَكَ إِذْ أُوْمِيتَ لِلْعَبْدِ أَيَّ إِذَا أَتَمَّ فَلَانٌ شَرِبَهُ فَتَوَخَّنا
كَأَنَّكَ لَمْ تَقْرَأْ حَدِيثَ تَيْمُنُوا وَتَقْدِيمِ الْأَعْرَابِيِّ إِذْ كَانَ أَيْمُنَا
ومنه هذه القصيدة العظيمة وقد بلغه عن بعض الناس تنقصاً لأهل العلم الشريف ، وهي : [من السريع]:

عَزَّ عَلَى الْجُهَّالِ أَنْ يَطْلُبُوا	عَلِمَاءَ فَيَسْتَهْدُوا بِأَنْوَارِهِ
وَيَنْهَجُوا نَهْجاً بِهِ بَيِّنَاتٌ	وَيَجْتَنُوا مِنْ طِيبِ أَثْمَارِهِ
وَيَسْلَمُوا لَوْ أَنَّهَمْ فَكَّرُوا	مِنْ وَصْمَةِ الْجَهْلِ وَمِنْ عَارِهِ
وَيَنْتَهُوا عَمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْ	إِتْيَانِهِ الْمُدْنِيِّ إِلَى نَارِهِ
وَاسْتَحَقُّوا طِلَابَهُ إِذْ هُمْ	لَمْ يَسْتَطِيعُوا فَضْ أُنْكَارِهِ
وَاسْتَكْبَرُوا تِيهًا عَلَيْهِمْ وَلَمْ	يَخْشَوْا مِنَ الْكِبَرِ وَأَوْزَارِهِ

وحاولوا إطفاء نور الهدى
وحاولوا إخفاء بُرهانه
فاعجب لحمقى غرهم جهلهم
أضحوا مُصْرِّين على بُغضه
وسبَّهم والسبّ شتمٌ فمن
وقولهم هذا فقيهُ وذا
وهم بشبَّابة إبليس قد
وجلُّ ما يهون أن يسمعوا
أو يسمعوا دَفْأً فيجري بهم
لا بلِّغَ الله الَّذي حاله
تبّاً لأعمى الجهل يهتُمُ في
ويرفضُ المطلوب منه وقد
وإن سعى يوماً إلى مطلبٍ
فحسبنا الله وما جاء عن
صلى عليه الله ذو العرش ما
مسلماً ما دامت الأرض لا

وله جامعاً غزوات النبي ﷺ في قوله : [من الرجز]:

غزوةٌ بَذَرِ أَحَدٍ فَالْخَنْدَقِ
وخيبرٍ وطائفٍ بالاتفاق
وَالْخُلْفِ فِي بَنِي التُّضِيرِ ذِكْرًا
بنِي قَرِيظَةَ بَنِي الْمُصْطَلِقِ
قَاتَلَ فِيهَا الْمُصْطَفَى أَهْلَ الشَّقَاقِ
فَتَحَ حُنَيْنَ غَايَةَ وَادِي الْقُرَى

وله فيها مرتباً لها على سني الهجرة الشريفة : [من الطويل]:

فَبَدَرٌ فَأَخَذَ بَعْدَ هَذَيْنِ خَنْدَقُ
وَفَتْحٌ تَبُوكُ رُبَّتْ هَذِهِ عَلَى
فَذَاتِ رِقَاعٍ وَالْمَرِيسِيعُ خَيْرُ
سَنِي هَجْرَةٍ كُلُّ بِذَلِكَ يُخْبَرُ

وله في الإجارة :

لم يفسخ إلا بصور وجد	عقد إجارة بموت ما انعقد
موت مؤخر وقد أوصى له	أخذت بيانها فالأوله
وقد أجر للثاني الولي	بالنفع ما عاش وموت أول
تستوجب العتق كأم بنته	وسيد أجر من بموته
له بدون المثل لا يؤجر	ومن عليه الوقف حيث النظر
نظره مدة حقه فقط	وبطن وقف حيث وافق شرط

وقال أيضاً وهو ضابط ينبغي حفظه : [من الكامل]:

دين وفي بدل وأخذ الجزية	الفرع يتبع أشرف الأبوين في
ونكاحه مع حرمة للذبحه	والاخس في نجس وحرمة أكله
في سؤمها والرق والحرية	وأباه في نسب ويتبع أمه
أبوين في باب الجزاء وتمي	وأخف في نحو الزكاة وأغلظ الـ

وقال في حقوق الزوجة الواجبة على الزوج : [من الطويل]:

على الزوج بالتمكين سبع لوازم	حقوق النكاح الواجبات لزوجة
وآلة تنظيف متاع وخادم	طعام وأدم ثم سكنى وكسوة

وقال فيما يقبل فيه قول المميز : [من الرجز]:

مميز في قوله زيد أذن	ضابط ما يقبل فيه القول من
إخباره بطلب المضيف	فادخل وإيصال هدية وفي
وفي ادعى استعجال نبت العانة	كذاك في اختيار في الحضانة
عليه الاجماع بنقل الجوري	كذاك في الشراء للحقير

وقال أيضاً في الهبة : [من الكامل]:

من قبل قبض صورها في أب	هبة لنا تطلب بموت الواهب
يقبض فاستثني إذا من غالب	مهما يهب للطفل ثم يمت ولم

وقال أيضاً : [من الرجز]:

وجوّزن لبس^(١) مورس على
الزركشي حرمة عن ذي القضا
عند ابن صباغ وقالوا ذا حري

وقال أيضاً : [من الرجز]:

يجوز بالحرير للمساجد
أعني الغزالي وكلام الغرفي
وابن عماد نسب التحريما

وقال أيضاً في موانع الإرث : [من الرجز]:

ضعف ثلاثة هي الموانع
قل ورق دور اختلاف
على المجاز ما بقي إذا انتفا
والسابع المرء يدعي طائفة
من حيث أمهم لهم فيورثوا

ونظم أيضاً الأطفال الذين تكلموا وهم في المهد :

جملة من في المهد قد تكلموا
يحيى مجيب لجريج العابد
وراجع لأمه في قوله
وشاهد ليوسف مع عامر
أنت لدى الحق على الأخدود
ومن له قال النبي من أنا

(١) في (م) : « وجوزن لبس... » والمراد « لبس » بالباء لا بالياء ، هو ما أثبتناه عن (ط) .

أعني به مبارك الإمامة
وبعدُ صلى ذو الجلال كلما
على النَّبيِّ حبه محبّه
أعظم بها معجزة كرامه
سرى الضياء وناطق تكلماً
محمد وآله وصحبه

وقال في الذين جمعوا القرآن : [من الرجز]:

وجمع القرآن حفظاً يا أخي
ثمّ أبو الدرداء وابن ثابت
سعد أبو زيد هو الأنصاري
عثمان مرتضى معاذ وأبي
ثم أبو أيوب وابن الصّامت
ثم تميم بن أوس الدّاري

وقال أيضاً فيما يتعلق بالبروج والمنازل :

وَزَنُّوا عَقْرَباً بِقُوسٍ شَتَاءَ
شَرِبَ الْجَدِيُّ دَلَوَ حُوتَ رَبِيعاً
حمل الثور جوزه نحو صيف
سرط الليث سنبلأ بخريف
غفروا للبليد لَمَّا أَسَاءَ^(١)
فله الذّبح حيث حلّ الرشاء
شارطاً للذراع لَمَّا أَسَاءَ
ناثراً أنجم السماك ثراء^(٢)

وله أيضاً هذه القصيدة البديعة أنشأها الشيخ في ختم صحيح البخاري : [من

الخفيف]:

حدّثاني عن الغزال الغريري
واملاً مسمعي بتلك العوالي
مع توخيكم ما مسلسلها با
أو فعّال كالابتسام وأخذ
وانتساب لبلدة أو قبيل
بمقاها هديتما جراها
ودعاني من عن وإن فقي ذي
بأسانيد ما لها من نظير
أملياها عليّ بالتكرير
لأوليات أو أخير أخير
بيد أو باللفظ كالتحذير
أو بلفظ التحديث والتخير
حسب الجهد أحسن التحجير
من يخاف التدليس كل خير

(١) في (ط) «... لَمَّا أَسْنَا» وصوابه في (م) و «الشدرات» (١٠/٦٢٤) .

(٢) في (ط) «... شرا» تحريف .

فَشِفَا مُهْجَتِي وَبِرُّ سِقَامِي
وَلَكُسْرِي فِي ذَاكَ أَيَّ انْجِبَارِ
وَلِقَلْبِي وَخَاطِرِي أَيَّ نَزْهِ
وَلطَرْفِي فِي ذَاكَ أَيَّ جَلَاءِ
وَلشَّأْنِي إِذَا تَلَّاهُ لِسَانِي
وَعَنْ الْمَنْ مَا هُوَ الْمَنْ وَالسُّلُو
سَنَةِ الرِّوَامِقِ التَّلْعَلِ إِنْ فَاءِ
كَسْمَاعِي الْآثَارِ أَوْ رُؤْيَا الْآ
فَلِهَذَا تَلْقَى قُلُوبَ أَوْلِي الْفَضْ
وَحَدِيثُ الْمَحْبُوبِ لَا شَكَّ مَحْبُ
فَلِهَذَا قَالُوا إِمَارَاتِ حَبِّ الدِّ
اسْتِمَاعِ الْحَدِيثِ فِي كُلِّ حِينِ
وَدَوُوبِ الْفَتَى عَلَيْهِ صَبَاحاً
وَارْتِحَالِ الْفَتَى إِلَى كُلِّ حَبْرٍ
وَتَوْخِي الصَّحِيحِ مِنْ ذَاكَ أَوْلَى
الْبَخَارِيِّ وَمُسْلِمِ فَبِالْإِجْمَا
بَعْدَ تَنْزِيلِ رَبَّنَا فَلِهَذَا
وَكِتَابِ الْجَعْفِيِّ^(٢) أَصَحُّ لَدَى الْجَلِّ
وَلَقَدْ فَاقَ مُسْلِمٌ صُنْعَةَ حَا
وَلَهُ أَحْسَنُ التَّحْرِيرِ لَدَى اللَّفِّ
وَتَرَى عِنْدَهُ الْكُنَى غَيْرَ الْأَسْمَا

فِي اسْتِمَاعِي لِلْفُظْهِ الْمَأْثُورِ
وَلْعُسْرِي تَظَافَرِ التَّيْسِيرِ
وَلِسْمَاعِي بِوَادِرِ التَّبْشِيرِ
فَلطَرْفِي إِذْ ذَاكَ أَيُّ قَرِيرِ
إِغْتِنَائِي^(١) عَنْ ابْتِسَامِ الثَّغُورِ
ي وَأَحْلَى حُلُوى وَفِي الطَّيُورِ
تَ وَصَالُ الْمَوْمُوقِ بِالتَّشْمِيرِ
ثَارِ كَالْغَارِ مِنْ حَرَاءِ وَثُورِ
لِي أَسَارِي مَا بَيْنَ ثُورٍ وَغَيْرِ
بِ فَسَلْ عَنْهُ كُلَّ حَبْرٍ خَيْرِ
مُصْطَفَى الْمُجْتَبَى الْبَشِيرِ النَّذِيرِ
وَابْتِدَارِ السَّمَاعِ بِالتَّبْكِيرِ
وَمَسَاءِ فَذَاكَ خَيْرُ سَمِيرِ
حَافِظِ فِيهِ بِالتَّحْرِيرِ شَهِيرِ
كَصَحِيحِي مُحَمَّدٍ وَالْقُشَيْرِ
عَ كِتَابَاهُمَا أَصَحُّ الزُّبُورِ
سُمِّيَا كُلِّ وَاحِدٍ بِالْأَمِيرِ
وَيَرْبُو فَوَائِدُ لِلْبَصِيرِ
زُ بَهَا الْارْتِقَا لِقَدْرِ خَطِيرِ
ظَ فَيُلْغِي الرَّدِيفَ مِثْلَ الْغَيْرِ
ءَ وَهَذَا مِنْ أَبْلَغِ التَّحْيِيرِ

(١) فِي (ط) «اعْتِنَائِي...» بِالْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ ، تَصْحِيفٌ .

(٢) يَقْصِدُ «صَحِيحَ الْبَخَارِيِّ» لِأَنَّ الْبَخَارِيَّ يُقَالُ لَهُ الْجَعْفِيُّ لَوْلَا أَنَّهُ إِلَى الْجَعْفِيِّينَ . انْظُرْ «أَنْسَابُ السَّمْعَانِيِّ» (٣/٢٦٨) .

فلذا لَدَّ في القراءة والسَّم
 فيشْنَف منه المسامع من را
 ولَقَد مَنَّ ذو الجلال علينا
 رجبٌ والذي يليه وشهرُ الصَّ
 سمعَ الحاضرون منه بلفظٍ
 حسب الجهد لا يمر بمتنٍ
 والأسانيد لا يمر بشخصٍ
 أو بنحو بُنُوَّة ونساب
 غير أبدى مستورها فتراه
 وختمنا والحمد لله والشك
 حضر الختم جمعنا مترجِّ
 كلهم مرتج لغفران ذنبٍ
 لو كبيراً قد كان أي صغير
 ولتيسير كلِّ عُسرٍ وتسهي
 وبقي فتن الغنى كل مثرٍ
 ربِّ حَقَّق رجاءنا وأبْلَنَّا
 وتولَّ الجميع منا بتدبير
 ولسلطاننا وأجناده انصر
 وعلى كلِّ من بغى قاصداً شقَّ
 ولهم وبهم إلهي فأصلح
 وشفيعي حديث خير البرايا
 يا نبي هذا لكون الأحادي
 قد رواها عنك النجوم وعنهم

مع لقاريه والسميع القرير
 م اصطلاح الحفاظ بالتقرير
 أن قرأناه في الثلاث الشهورِ
 بر فليهن فيه كلَّ صبورٍ
 ولبعض بلفظ بعض الحضور
 مشكل غير حلِّ بالتفسير
 باسمه أو بكنية مشهورٍ
 أو لقاب كعالمٍ وفقيرٍ
 ظاهراً عند ذاك أيَّ ظُهورٍ
 ر له في يوم عيدِ الفطور^(١)
 نَ نوالاً من المليك القدير
 قدره في جنابِ غفر الغفور
 فتساوى كبيره بالصغير
 لي حزون وجبر كل كسير
 وافتناناً بالفقر كل فقير
 سُؤْلنا من نوالك المستطير
 رِك كيلا نسوء في التدبير
 نصراء على العدو الكفور
 عصانا بلا انتظام الأمور
 وادفعن كل مُهلك ومُبير
 أحمد المصطفى السراج المنير
 ث أتت عنك ضوءها كالبدور
 تابعوهم بالجدِّ والتَّشهير

(١) في (م) و(ط) : « ... والشكر لله تعالى في يوم عيد ... » وهو مختل الوزن .

ثمّ عنهم قوم فقوم هم الحف
حفوظها حفظاً منيعاً فمن أي
وأنتنا كأنها أخرجت من
فأجزنا يا أحسن الناس خلقاً
وبك الظنّ ذا فأنت غني
صلوات^(١) عليك ثم سلام
بأمرٍ بكلّ قلب سليم
وعلى التابعين ما انشئ^(٢) فجرّ
ختم كلّ من ذين كالمسك في كلّ

وشعره كثير ، ونظم كثيراً من المسائل العلمية والقواعد الفقهية ليقرب
ضبطها ويسهل حفظها .

وبالجملة : فكأنه كان آيةً من آيات الله تعالى ، وخاتمة المحققين ، لم
يخلف بعده مثله ، لو وصفه الواصف بما عسى فهو رافل في سراويل التقصير .
وعظمت مصيبتة بالإسلام ، وكثر الأسف عليه من الخاص والعام . وبلغني أن
الشيخ الكبير العارف الشهير الشيخ محمد البكري قدس الله روحه رأى في
المنام قبل موته كأن الركن اليماني من البيت الشريف انهدّ ، وما هذا معناه ،
فكان تأويلها موت المذكور . ورثاه صاحبنا الأديب الفاضل النازل من محامد
الصفات في أشرف المنازل حسين بن عبد الباقي الزاهد الزبيدي الشافعي بمرثية
عظيمة نونية قرئت في اليوم الثالث من وفاته رحمه الله تعالى وهي : [من
الخفيف]:

حسبي الله من صُروفِ الزّمانِ ونكايات أسهم الحدّانِ
ما لنا في مراتعِ اللّهُو نضبو في أمان ولات حينَ أمانِ

(١) في (ط) « صلاة... » .

(٢) في (ط) « .. ما اتسق .. » تحريف ، وبه يكسر الوزن .

ما أضّر اغتباطنا بالملاهي
هذه دائرُ نَفْلَةٍ ونَفَاد
هذه بيننا القصورُ العوالي
كم مررنا بدارساتِ طُلُولِ
حسبنا منذراً بوقع المنايا
فكفاناً نصُّ التلاوةِ وغظاً
معَ هذا العلمِ اليقينِ كأنّا
سفرٌ هذه الحياة لها الـ
والمحطّ الكريم إن شاء ذو العر
أبدأ حولها نُدُنْدُنُ بين الـ
أيّها الغافلون ضمّكم النّه
فأعدّوا زاد التّقى فنياق الـ
وصقور المنونِ تخطف أروا
لا محيداً عنها لروح عزيزِ
فهبوا لفتة إلى الأمم الما
من عصيٍّ وطيّعٍ ووضعِ
من عماليقٍ جَمِيرٍ وغطاريـ
من أباة اللّعن الذين علاهم
لبسوا الزاغفات وانتطقوا البيـ
صرفتهم صوّاف الموت صرّف السـ
ما حمتهم تلك الحصونُ لعمري
فهم عبْرَةٌ لنا لو فهمنا
يا لهذي الرّزّيّة الصّليم الصّمـ
مغلّ من معاقل الدّين أودى

وأشد اغترارنا بالأمانـي
فتفطن إن كنت ذا عِرْفانٍ
شامخات البنا فأين الباني
فذكرنا القُطّان والأوطانِ
علمنا أنّنا مِن الحيوانِ
فاعتبرْ كلُّ من عليها فإنِ
في وثوقٍ لا شك بالوجدانِ
أنفاسُ عيسُ تسوقها الملوانِ
ش فراديس عاليات الجنانِ
قصاصات الحسان والولدانِ
سج وأن الرّحيل يا إخواني
موتٍ قد أهبت لجذبِ العرانِ
ح الورى من جوارح الأبدانِ
أو ذليلٍ أو شامخٍ أو داني
ضين من آدم إلى ذا الآنِ
ورفيعٍ أربى على كيوانِ
ف قُريش والشّم من قحطانِ
في السيوف الرّقاق أو في الجفانِ
ض وهزّوا عوالي المرانِ
رب عن مورد النмир الهاني
لا ولا استكملوا لثني عنانِ
أين أهلُ العقول والعِرْفانِ
ساء والفادح العظيم الشانِ
وخضمٌ قد غار في الأكفانِ

حفرةً أطبقت على كوكب الشم
شق جيب القلوب ناعيه إذ أل
في مقام ما انفكت الناس فيه
حين نادى يا للجمال جمال ال
غار إنسان مقلّة الفقه فالشح
درست بعده مدارس درس
أيّ قطبٍ دارت عليه من الطلاب
مضربٌ من مضارب الذين قد ف
خلق كالرياض بللها القط
وجنان يمدّ كالبحر للطلاب
راعٍ أرباب الزيف بالحجج ال
حجج تخرسُ احمد بن^(١) سريج
يا نديم العلوم أبكيك إن دا
الحديث الشريف والفقه والتف
وليوم تحارّ فيه ذوو الأف
من يحلّ دجى المسائل من بعد
هذه في الورى شמוש تصانيد
هذه بيننا فوائدك الزّه
فعلى ذاتك الشريفة من ذي ال
عظّم الله أجركم يا بني الأش
ربّ واجبر مصابنا فيه والمم
ربّ شيّد أركان سادتنا البا

س فغاب الضيا عن الأعيان
قم أفواه الخلق بالصّوان
بين دمع جار وعضّ بنان
فضل والذين العالم الرباني
مة من بعده بلا إنسان
وهي كانت أهيلة البنيان
ب أفلاك العلم بالدوران
لّ لعمرى وكان ماضي اللسان
رُ وصدرٌ خالٍ من الأضغان
ب والسائلين بالخلجان
تي لعمرى تفلّ حدّ السنان
والإمام ابن الطيّب الباقلاني
رت كؤوس المذاكرين الحسان
سير والتحو مع فنون المعاني
هام في ليلٍ مشكل ظلماني
دك يا شمس أفقٍ كلّ بيان
فك تُجلى في سائر الأكوان
ر كزهر السّماء في اللّمعان
عرش أزكى السلام والرّضوان
خر والتابعين بالإحسان
صدّعنا لا نبوء بالخُسران
قين واعمز^(٢) بهم حمى الإيمان

(١) في (ط) « .. أحمد أبي » وما أثبتناه في (م) .

(٢) في (ط) « ... واغمر بهم ... » .

رَبِّ وَفَقَّهُهُمْ لِنَصْرَةِ شَرْعٍ وَأَثْبَ جَمْعَنَا بِحُسْنِ قَبُولِ
وَصَلَاةِ الصَّلَاةِ مِنْكَ عَلَى مَنْ
وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ مَا
وَدَلِيلٌ يَقَامُ أَوْ بُرْهَانٍ
وَأُنْلَهُمْ جَوَائِزَ الْغُفْرَانِ
جَاءَ بِالْمَعْجَزَاتِ وَالْقُرْآنِ
نَاخَ بِإِكِّ الْهَدِيلِ فِي الْأَغْصَانِ

● وفيها : خُتِمَ البخاري بقراءة الفقيه شمس الدِّين علي بن الفقيه عبد الرَّحيم بن محمود القيسي على العلامة الحافظ مفيد الطالبين محدث الدِّيار اليمينية الطاهر بن الحسين بن عبد الرحمن الأهدل بزَيْد بمسجد الولي الكبير عبد الرحمن بن حسين الأهدل ، فأنشأ في ذلك العلامة حسين بن عبد الباقي الأزهر قصيدة لامية مكسورة في غاية الحسن . وهي : [من الكامل]:

عَنْ أَحَادِيثِ الْحَبِيبِ وَسَلْسِلِ
وَاطْلُقْ مَقِيدَ دَفْعِ جَفْنِكَ لَيْسَ مِنْ
وَإِذَا رَوَتْ لَكَ نَسْمَةً مِنْ حَاجِرٍ
كَمْ ضَعَفْتُ بِحَدِيثِهَا الْمَعْلُولُ مِنْ
لِي بِالْعَقِيقِ الْفَرْدِ قَلْبٌ هَائِمٌ
بَاكِ يَشُوبُ الدَّرَّ بِالْمَرْجَانِ فِي
وَيَحْنُ إِنْ ذَكَرْتَ مَعَاهِدَ يَثْرِبِ
إِنْ لَامَهُ الْعُدَالُ يَطْرِبُ نَشْوَةً
فَنِي التَّصَبُّرُ وَانْقَضَى الْعَمْرُ الَّذِي
كُلُّ الَّذِي يَرْضَى الْهَوَى وَيُرومه
وَاللهُ لَا أَشْتَاقُ « بَرَقَةَ ثَهْمَدِ »
لَكِنْ بِأَكْنَافِ الْعَقِيقِ مُضَارِبُ
وَارْفَعْ أَحَادِيثَ الْحَبِيبِ الْأَوَّلِ
شَرْطَ الْمَحَبَّةِ وَقِفْ دَمْعَ مُرْسَلِ
خَبْرًا فَتَلَكَ حَدِيثُهَا لَمْ يُقْبَلِ
جِسْمٍ وَكَمْ أَوْهَتْ بِهِ مِنْ مَفْصَلِ
بِشَعَابِهِ تَرَعَى الظُّبَاءَ بِهَوَجَلِ
جَزَعِ الْعَقِيقِ بِسَفْحِ خَدِّ مُخْضَلِ
فَأَقُولُ « لَا تَهْلِكُ أَسَى وَتَجَمَّلِ » (١)
فَكَأَنَّ فَرْطَ الْعَذْلِ ضَرْبَ تَغْزُلِ
هُوَ فَسْحَةٌ لِمَسُوفٍ وَمُؤَمِّلِ
سَهْلٌ عَلَيَّ سِوَى النَّوَى لَمْ يَسْهَلِ
أَوْ مَنْزِلًا « بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ » (٢)
هِيَ نَزْهَةٌ لِلنَّاطِرِ الْمُتَأَمِّلِ

(١) ضمنه قسماً من بيت امرئ القيس المشهور :

وقوفاً بها صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهْمُ
يقولون لا تهلك أَسَى وَتَجَمَّلِ

(٢) ضمنه كلمات من معلقة طرفة بن العبد ومعلقة امرئ القيس .

هل أمتطي هوجاء مشرفة المطا
تسري النجايد الغرام خُزامها
يغلي بوطأة خفّها فرق الفلا
حتى ترى أطلال طَيِّبة جَهرة
وتصيرُ أعينها حيال نخيلها
وأكون أول من يؤمُّ بعزمه
أسعى إلى الحَرَمِ المنيع وأنّحي
الفتاح السَّبّاق أول مُبدع
أصل الأصول وجوهر للعالم الشّد
سِرٍّ^(١) الثُّبوة جوهر الكونين من
إكليل جبهة ذا الوجود طراز حدّ
مخطوب حضرة قدسه ملحوظ دو
هادي البريّة للهدى فجميعنا
شَرَعَ الشَّرائع موضحاً سنن الهدى
فالزم بسنّته الشريفة يا أخا ال
وافزع إلى آثاره الحُسنى فكم
ومتى أردت جوامع الكلم التزم
فأصحّ كتبٍ بعد كُتبِ الله ما
فأدر مكرره بكأس لِسَانك ال
وادفع به نوب الزّمان فكم به
هذي كواكب لفظه أفلاكها
العالم العلامة الفّهامة ال
الطاهر الأثواب والأنساب وال

شماً كأنني فوق هامّة يذبل
والشوق سائقها لأكرم مَنزِل
كشهاب رجم جوف ليلٍ أليل
وترى علينا بهجة المتهلّل
خوصاً لتعدل بي لأشرف منزِل
باب السّلام مع الطّراز الأوّل
للروضة الغرا وقبر المُرسَل
في الكون بالنصّ الجليل الأجلّ
كلّي نور الواجب الفَزْد الولي
يوم الحِساب عليه كل مُعوّل
ته البديع جمال كلّ مجمل
رة أنسه ختم المقام الأكمل
بلوائه يوم القيامة نَغْلي
للسّالّكين فشرعهُ الشّرع الجلي
حجرِ المنير ديانة وبه اعمل
جمعت لنا من مجملٍ ومفصلٍ
بالجامع العالي الصحيح الأفضل
جمع البُخاري وهو أحسن ما تلي
منطيق للأسماع دور تسلسلٍ
من نكبة صُرفت وخطبٍ معضلٍ
دارت على قطب شريف المنزل
جِبر البليغ العابد المتبتّل
أسباب والأصحاب عَفّ المقوّل

(١) في (م) : « أصل النبوة... » .

ابن الحسين الأهدلي^(١) ابن الحسين
ابن البتول وتلك بنتُ المصطفى
تمت قراءتنا عليه ودونكم
فالحمدُ لله المعين بلطفه
فجزاه ربّ العرشِ جلّ ثناؤه
وأذاقه تسنيم كأسِ خطابهِ
فهو الذي كَشَفَ العَمَى عن نور عي
يا مسبلَ النعمِ المفاضة غشنا
واشمل بعين اللطفِ نادينا ومن
وعلي القاريء ألا فافتح له
واغفر لنا ظمها الحسينِ وكن له
ليعود في أفق السعادة بدره
ولوالديه وأهله وشيوخه
ها قد مددت يد السؤال بذلة
فاصلح ولاية المسلمين ولا تكل
واختم بخير خواتم أعمالنا
وعلى متمّ الدّور ختم المسك سد
والآل والأصحاب والأتباع ما

من شهيد طفّاً ابن سيّدنا علي
ناهيك من بيت له بابٌ علي
مِسْك الخِتام نفّضه في المحفلِ
المسعد المتفضّل المتطوّل
من فضله أسنى الجزاء الأجزّل
في مقعدِ الصّدق العزيز المُعتلي
من بصيرتي وبه بلغت مؤملي
بسوابغ النعم الجلال وجلّ
ضمته دورته وجد وتقبّل
في العلم فضلاً كلّ بابٍ مقفل
ياربّ في الدنيا وفي الأخرى ولي
بك زاهراً في برجٍ سعدٍ تنجلي
هذي يدي مبسوطة بتذلّل
فلأنت تغضبُ ربّ إن لم تُسألِ
أعمالهم يوماً لمن لم يعدلِ
ياخيرَ من يُدعى^(٢) وأكرم موثلي
رّ النشا تكرار الصلاة من العلي^(٣)
لبى الحمام هدير صوت البلبّل

● وفيها : استعاد السلطان مظفر بن السلطان محمود كجرات من
المغول ، وذلك في آخر شهر شعبان ، وقبض أكثر بلادها مثل أحمد آباد

(١) في (ط) : « .. الأهدل » تصحيف ، وما أثبتناه في (م) .

(٢) في (ط) « .. من يدعى .. » تصحيف .

(٣) في (ط) : « .. متمم ... » وبه يكسر الوزن وصوابه في (م) . أما الشطر الثاني فهو
مختل الوزن في (م) و (ط) .

وبروج وبرودلة وكنباية^(١) ، فهزم عسكر المغول ونهبهم ، وقتل بعض الوزراء الكبار وأخذ ماله . ولم يزل يعظم أمره ويكثر عسكره إلى مستهل المحرم من سنة اثنتين وتسعين ، فاختلف عسكره فيما بينهم ، وكان ذلك هو السبب لهزيمتهم ، واختفى المذكور في بعض الأماكن ، ورجع أمر كجرات إلى المغول ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . وأما بروج فكانت قلعتها حصينة متغلبة ، وكان فيها جماعة من أصحاب السلطان مظفر ، فمنعوها مدة وحاصرها جماعة من وزراء المغول إلى أن أخذوها في آخر شهر رمضان من تلك السنة . ورأى بعض الأخيار في المنام رجلاً فسأله عن مدته ، فكتب له ست واوات . قال الشيخ : فأولتها ستة أشهر ، فكان كذلك ، فدخلها في شعبان وخرج منها في المحرم .



(١) في (ط) « كنبات » وما أثبتناه في (م) والبلاد المذكورة آنفاً من القارة الهندية .

سنة اثنتين وتسعين بعد التسعمائة

● وفي ليلة الجمعة رابع شهر صفر سنة اثنتين وتسعين : توفي الشيخ الصالح العلامة شهاب الدين أحمد بن الشيخ بدر الدين العباسي المصري الشافعي^(١) ، بأحمد آباد وعمره نحو التسعين ، ودُفِنَ بها بتربة العرب بالقرب من تلميذه وصاحبه الشيخ محمد بن عبد الرحيم العمودي رحمه الله ، وكان بينهما في حياتهما اتحاد ومحبة عظيمة حتى كأنهما كانا روحين^(٢) في جسد ، وكان مولده سنة ثلاث وتسعمائة بمصر ، وكان من العلماء العاملين وعباد الله الصالحين .

ومن مشايخه : شيخ الإسلام زكريا الأنصاري ، والشيخ العلامة برهان الدين بن أبي شريف ، والشيخ الإمام نور الدين المحلي ، والشيخ كمال الدين الطويل ، والشيخ زين الدين الغزي ، والشيخ نور الدين المليجي - بالجيم - واجتمع بشيخ الإسلام الشيخ أبي العباس الطنبدائي البكري بزبيد سنة ست وثلاثين وتسعمائة وأخذ عنه . ومن محفوظاته « المنهاج » في الفقه للنووي ، و « الشاطبية » في القراءات ، و « العمدة » في الحديث للمقدسي ، و « الأربعين النووية » و « الأجرومية » في النحو ، و « مختصر أبي شجاع » . وكانت له اليد الطولى في علم الحرف والفلك والميقات ، وكان شديد الورع قليل الاختلاط بالناس ، متمسكاً بالكتاب والسنة وطريقة السلف الصالحين مع التقوى المفرطة والخمول الزائد .

وحُكي أنّ والده مرض مرضاً شديداً بالشّام ، فاستغاث بالنبي ﷺ ، فرآه في المنام وهو يضرب على كتفه ويقول له : قم يا أبا أحمد ، فانتبه معافى من

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠ / ٦٢٥-٦٢٦) .

(٢) في (م) و (ط) : « روحان » .

ذلك المرض ، ولم يكن معه إذ ذاك ولد اسمه أحمد ، وكان قد ترك زوجته بمصر حاملاً به ، فبعد أيام جاء الخبر بأنها وضعت غلاماً ، فسماه أحمد .

ومن شعره : [من الكامل]:

كان البخاري حافظاً ومحدثاً جمع الصحيح مكمل التحرير
ميلاده صدق ومدة عمره فيها حميد وانقضى في نور^(١)

ولما وقف على الأبيات الآتية التي نظم فيها بعضهم ما لكل فصل من المنازل على اصطلاح أهل اليمن وهي : [من البسيط]:

شرط البطين ثريا دبر هقعتها وهنعة الذرع فصل الصيف قد كمل
فثرة الطرف جبهة الزبرة انصرفت^(٢) عوا سماك فذا فصل الخريف خلا
غفر زبانا تكلل قلب شولتها نعائم بلدة فصل الشتاء كمل
واذبح بلاعاً سعود واخب فرعهما في بطن حوت فذا فصل الربيع تلا

استحسنها وقال : إنه أجاد فيها ، غير أنه اعتمد في ذلك على حساب المتقدمين في المنازل حيث بدأ بالشرطين ، وعلى حساب المتأخرين يكون الفرع المؤخر . قال : فقفتوت أثره في القافية وابتدأت بالفرع المؤخر على حساب المتأخرين فقلت : [من البسيط]:

مؤخر ورشا شرط البطين ثروا دبرا وهقع ففصل الصيف قد كمل
وهنعة الذرع نثر الطرف جبهتها وزبرة الصرف ذا فصل الخريف تلا
عوى السّمَاك وغفر الزّين كلله قلب وشولة ذا فصل الشتاء ارتحلا
نعائم البلد ذبح البلع يسعده خبا المقدم ذا فصل الربيع تلا

ثم قال : وترتيب الفصول المذكورة في هذين النظمين على طريقة أهل

(١) في (ط) « .. وانقضى نور » وبه يكسر الوزن ، وما أثبتناه في (م) .

(٢) كذا رواية هذا الشطر في (م) و (ط) وهو مختل الوزن .

اليمن . قال : ثم إني رتبها أيضاً في أبيات على حكم ما قال الحكماء فقلت :
[من البسيط]:

مؤخر ورشا شرط البطين ثروا دبر وهقع فذا فصل الربيع خلا
وهنعة الذرع نشر الطرف جبهتها وزبرة الطرف فصل الصيف قد كُملا
عوى السّمَاك وغفر الزّبن كلّه قلبٌ وشولُهُ ذا فصل الشّتَا ارتحلا

وكان كثيراً ما يتمثل بقول : [من الرمل]:

كَانَ وَاللهِ فقيهاً عالماً وله عرض مصون ما اتّهم
غير لا يدري مداراة الورى ومداراة الورى أمرٌ مُهم

ومما أملاه على بعض الصّالحين من تلامذته من حفظه قبيل موته بمدة
يسيرة : [من الكامل]:

بمكارم الأخلاق كُن متخلّفاً ليفوح عرف ثنائك العطر الشّذي
وامنخ صديقك ما استطعت صداقةً وادفع عدوك بالّتي فإذا الذي

ومما أملاه عليه أيضاً قال : أنشدني الشّيخ أبو العباس الطّنبذائي هذين
البيتين من لفظه : [من الطويل]:

ومذُ كنت ما أهديت للحبّ خاتماً ومِسكاً وكافوراً ولا بست عينه
ولا القلم المبري أخشى عداوة تكون مدى الأيام بيني وبينه

ومما أملاه عليه أيضاً قال : سمعت الشّيخ الإمام العلامة عبد الله با كثير
بمكة المشرفة في حدود سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة يقول : جاء شخص من
علماء مصر إلى مكة المشرفة فيما تقدم ، وجاور بها ، وجلس في بعض الأيام
على الكرسي ليعظ النّاس في الحرم الشريف ، فكان أول كلامه بعد أن قال
الحمد لله والصلاة والسّلام على رسول الله ﷺ : مما أنشدني والذي تهذّباً في
أيام الصّبا : [من الطويل]:

إذا شئت أن تحيا سليماً من الأذى وذبك مغفوراً وعرضك صيئ^(١)
 فلا ينطلق منك اللسانُ بسوءٍ فلتناس سواتٍ ولتناسِ ألسنُ
 وعينُك إن أهدت إليك معايياً فغمض وقلْ يا عينُ للناسِ أعينُ
 وعاشِرُ بمعروفٍ وسامخٍ من اعتدى ولا تدفعِ الا بالتي هي أحسنُ

قلت : وقد رُوِيَ عن إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله أنه قال :
 أدركتُ بهذه البلدة - يعني المدينة - أقواماً لم تكن لهم عيوبٌ ، فتكلموا في
 عيوب الناس فظهرت عيوبهم ، وأدركتُ أقواماً كانت لهم عيوبٌ ، فسكتوا عن
 عيوب الناس فنسيت عيوبهم .

ومما أملاه عليه أيضاً عن الشيخ عبد الله با كثير المذكور قال : جاء أعرابي
 إلى النبي ﷺ فقال : يا محمد أفي قرآنك مثل هذا ؟ فقال له : إيش ، أو كما
 قال ﷺ ، فقال الأعرابي^(٢) : [من الطويل] :

وحيّ ذوي الأضغان تسبِ عقولهم تحييتك القربى فقد تدفع النغل^(٣)
 فإن جهروا بالقول فاعفُ تكرماً وإن ستروا عنك المقالة لم تبُلْ
 فإن الذي يؤذيك منه استماعه وإن الذي قد قيلَ خلفك لم يُقلْ^(٤)

قال : فنزلت الآية الشريفة ﴿ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ
 أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت : ٣٤] :

(١) الأبيات في ديوان الشافعي ، تحقيق محمود بيجو ، طبعة دمشق ، ص (٧٦) وروايتها
 تختلف بعض الاختلاف عما ورد ، وفي حاشية التحقيق أن الأبيات تروى لابن الرومي ، ولم
 نقف عليها في ديوانه ، والبيتان الثاني والرابع مع آخرين في « باب الآداب » لأسامة بن منقذ
 ص (٣٦٢) دون نسبة .

(٢) يُروى الخبر عن العلاء بن الحضرمي في وفادة على النبي ﷺ . انظر « عيون الأخبار » لابن
 قتيبة (١٨ / ٢) .

(٣) في (ط) : « .. الأظعان » تحريف ، وفيه الشطر الثاني بآخرة منه « فقد تُزقع النغل » .

(٤) اختلفت رواية البيهقي الأخيرين في « عيون الأخبار » عما ورد هنا ، بيد أن المعاني واحدة .

ومما أملاه عليه أيضاً عن الشيخ عبد الله المذكور :

مَنْ لَمْ يَبْكَوْهُ نَاصِحُهُ يَضْحَكُ مِنْ حَالِهِ عِدَاهُ
أَدَبُهُ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي مَنْ لَمْ يُؤَدِّبْهُ وَالِدَاهُ

● وفيها : في يوم الجمعة الحادي والعشرين من جمادى الأولى توفي الشيخ العلامة أبو السَّعَادَات محمد بن أحمد بن علي الفاكهي المكي الحنبلي^(١) ، وكان مولده سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة ، وكانت له اليد الطولى في جميع العلوم ، وأنه قرأ في المذاهب الأربعة .

ومن شيوخه : الشيخ الكبير المحقق العلامة أبو الحسن البكري ، وشيخ الإسلام ابن حجر الهيتمي ، والشيخ محمد الخطاب في آخرين من أهل مكة وحضرموت وزبيد يكثر عددهم . ويقال : إن الذين أخذ عنهم يزيدون على التسعين وأجازوه . ومقروءاته كثيرة جداً لا تنحصر .

ومن محفوظاته : « الأربعين النواوية » ، و « العقائد النسفية » ، و « المقنع » في فقه الحنابلة ، و « جمع الجوامع » في أصول الفقه ، و « ألفية ابن مالك » في النحو ، و « تلخيص المفتاح » في المعاني والبيان ، و « الشاطبية » في القراءات ، و « نور العيون » في السير لابن سيد الناس . وكان يحفظ القرآن العظيم ويقرأ للسبعة مع التجويد ، ونظم ونثر ، وألف غير واحدة من الرسائل المفيدة منها الذي تكلم فيها على آية الكرسي وهي مفيدة جداً ، ومنها : « شرح مختصر الأنوار » المسمى « نور الأبصار » في فقه الشافعية ، ومنها « رسالة في اللغة » ، ومنها كتاب جليل جعله باسم بعض السلاطين ، ورزق الحظ في زمانه . وسمعته يقول : الأنس بالله نورٌ ساطع ، والأنس بالناس سمٌّ قاطع ، رحمه الله .

ومن غريب الاتفاق أنه قال : حضرت مجلس بعض الوزراء فوقع الكلام في

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (٦٢٧/١٠) و « النعت الأكمل » ص (١٥٤-١٥٥) و « معجم المؤلفين » (٢٩٢/٨) و « الأعلام » (٧/٦) .

الاستفهام الإنكاري فقال بعض أهل العلم : هذا كقوله : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ٤٤] ، وأشار إليّ بالتعريض ، ففهمت منه ذلك ، فاستحضرت حينئذٍ وقلتُ مخاطباً له قوله : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عَمَلِهِ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية : ٢٣] ، فنجعل ذلك الرجل .

وكان والدي يسميه شيخ الإسلام ، وكان جواداً ، قال بعضهم : ما رأيت أسخى منه ، وقال آخر : ما أظنُّ أن أحداً من الأشراف والعرب دخل الهند إلّا وله عليه إحسان ، وكان لا يمسك شيئاً ولذلك كان كثير الاستقراض . وكان تغلب عليه الحدة ، وكان من شدة تواضعه لأصحابه ربما ينسبونه إلى التملق ، وكان له عقيدة مفرطة في السادة آل با علوي ، وذهب إلى حضرموت لزيارتهم فلقي جماعة من أعيانهم وعادت عليه بركتهم ، ودخل الهند وأقام بها مديدة ، ثم رجع إلى وطنه مكة المشرفة في سنة سبع وخمسين ، فحجَّ ذلك العام وزار النبي ﷺ ، ثم حج في السنة التي تليها ، وعاد إلى الهند في سنة ستين وتسعمائة ، فأقام بها إلى أن توفي بها رحمه الله .

وكان مع جلالة قدره يغضب من ذكر « الفأر » وقيل إنه لقب أخيه عبد القادر لقَّبه به من لا خلاق له من أهل مكة ، فكان الذين يقصدون أذيته يذكرونه له فيتعب من ذلك ، وكتب إليه بعضهم هذا الاستفتاء :

يا أيُّها الشيخ يا من	هو بدينه فار
يا مَنْ إذا ما اشتعل	نارُ الذِّكاء منه فار
ماذا تقول لنا	في بركة مات بها فار ؟
تبذدت منه أجزاءه	ولم يبق فار
أجب لنا مُسرِعاً	الماء في التنور فار

وللأديب علي با كثير المكي رحمه الله في المعنى : [من السريع]:

يا عُلماء العَصْرِ ما قولكم في مشكلٍ حَيَّرَ كلَّ الأَمَمِ ؟

رأيت فأراً عندكم وهو لا يقتل في الحل ولا في الحرم
ومن شعره : [من الطويل]:

طبعت على حبّ المعزّة والثنا وأرجوهما في طول عمري ديدني
وها أنا أوصي كلّ خلٍّ معزّز بأن لا يداني للدنا من يدي دني
ومدحه الشيخ الفاضل عبد اللطيف الديبر^(١) بقصيدة منها : [من الطويل]:

يا علامة الدنيا ويا عالم غدا^(٢) يقصّر عن غاياته في العلا البدر
ومن لاح مثل الصبح فضل كماله فضاء به الأقطار وافتخر العصر
ويا أيّها البحر الخضم لعلمه وللرفق بالطلاب يا أيّها البر
وفاكهة الدنيا يهنأه ذا الهنى وجمع علوم فاح من طيبها النشر
أبّ لسعادات وأصل محامد فمن أمّه بالتجح آل كذا اليسر
تباهت به كجرات لما ثوى بها فإن فخرت يوماً يحق لها الفخر

ومن العجائب : أن المشايخ الثلاثة هو وأخواه الشيخ عبد الله والشيخ عبد
القادر كانوا كلهم أهل فضل وعلم ، وكل واحد من الثلاثة مات قبل الآخر بعشر
سنين ، فكان أولهم موتاً الشيخ عبد الله وآخرهم صاحب الترجمة ، رحمهم الله
تعالى آمين .

● غريبة :

ذكر شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني في « معجمه » أن الأئمة الثلاثة وهم
العراقي ، والبلقيني ، وابن الملقن ، كانوا أعجوبة هذا العصر على رأس القرن ،
الأول : في معرفة الحديث وفنونه ، والثاني : في التوسع في معرفة مذهب
الشافعي ، والثالث : في كثرة التصانيف ، قال : ومن العجائب أن كلّ واحد من

(١) في (ط) : (الأبير) .

(٢) كذا رواية الشطر في (م) و (ط) وهو مختل الوزن .

الثلاثة ولد قبل الآخر بسنة ومات قبله بسنة ، فأولهم ابن الملقن ، ثم
البلقيني ، ثم العراقي .

وحكى بعض الفقراء الصالحين قال : سمعت الشيخ أبا السعادات الفاكهي
رحمه الله يقول : لما سمع العلامة القاضي ابن أبي عقامة اليميني قول المعري
قابله الله بعدله : [من الطويل]:

إذا ما ذكرنا آدمًا وفعاله وتزويجه بثنيه بابنيه في الدُّنَا
علمنا بأنَّ الخلقَ من أصل زنية وأنَّ جميعَ الناس من عنصر الزُّنَا
قال مجيباً له وراداً عليه : [من الطويل]:

لَعَمْرُكَ إِنَّ القَوْلَ فيكَ لصادقٌ وتكذب في الباقيين من شطٍّ أو دنا
كذلك إقرار الفتى لازمٌ له وفي غيره لغوٌ بذاء جاء شرعنا
قلتُ : وللمعري أيضاً : [من البسيط]:

يَدُ بخمس مئين عسجد وديت ما بالها قُطعت في ربع دينارٍ
فقال الشريف الرضي راداً عليه : [من البسيط]:

صيانةُ النفس أغلتها وأرخصها خيانة المال فانظر حكمة الباري
وله ^(١) أيضاً وهو مما يدلّ على عدم إيمانه بالبعث والنشور قبحه الله : [من
الطويل]:

ضحكنا وكان الضحكُ منّا سفاهة وحقّ لسكان البسيطة أن ينيكوا
تُحطُّمُنَا الأيام حتّى كأننا زجاجٌ ولكن لا يُعادُ له سبكُ
ورد عليه الإمام محمّد بن عتيق التميمي فقال : [من الطويل]:

كذبت وبيت الله حلفة صادقٍ سيسبكننا بعد الثوى من له المُلْكُ
ونرجع أجساماً صحاحاً سليمةً تعارف في الفردوس ما عندنا شكٌ

(١) يعني : للمعري .

وفي « عجائب البلدان » للقزويني قال : وذكر أنّه في آخر عمره تاب عن أمثال هذه واستغفر وحسن إسلامه .

قال المجد الفيروزآبادي صاحب القاموس في كتابه « البلغة في تاريخ أئمة اللغة » : والناس فيه فرقان ، فمنهم من يكفره ويزعم أنّه كان زنديقاً ، ومنهم من هو بضد ذلك ، وفي ظاهر أشعاره زندقة كثيرة ، على أنّ في شعره ما يدلّ على التوحيد الصريح والاعتقاد الصحيح كقوله : [من الخفيف]:

خُلِقَ النَّاسُ لِلْبَقَاءِ فَضَلَّتْ أُمَّةٌ يَحْسِبُونَهَا لِلنَّفَادِ
إِنَّمَا يُنْقَلُونَ مِنْ دَارٍ أَعْمَا لِي إِلَى دَارٍ شَقِوَةٍ أَوْ رَشَادِ
وذكر عنه أنه أملا « المحكم » و « المخصص » من صدره .

وفي « عجائب البلدان » أنّه كان له سرير يجلس عليه ، فجعلوا في غيبته تحت قوائمه أربعة دراهم تحت كلّ قائمة درهماً ، فقال : إنّ الأرض قد ارتفعت عن مكانها شيئاً يسيراً ، أو السّماء نزلت . قال : ومن العجب أنّه مع ذكائه اختفت عليه الموجودات التي ليست مجسمة كالجواهر الرّوحانية ، فاعتقد أنّ كلّ موجود يكون مجسماً .

قلت : ولا عجب لأنّ الهداية والضلال ليسا إلّا بتوفيق الله وهدايته أو خذلانه وعدم رعايته ، وأنّ غير العاقل قد يُلهم كثيراً مما يحرمه العاقل ، قال الله تعالى : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْبَعُهُ فِي السَّمَاءِ ﴾ [الأنعام : ١٢٥] . من يهدي الله فلا مضلّ له ، ومن يضلّل فلا هادي له ، ولعمري إنّ العقول التي لم تستضيء بنور الشّرع هي عقول أضلّها باريها وقضى عليها بالشّقاء قاضيها . رزقنا الله تعالى متابعة النّبي ﷺ وتعظيم شريعته ، وجعلنا من خيار أمته وأنصار ملته بمتّه وكرمه آمين . وما أحسن قول البوصيري رحمه الله : [من الخفيف]:

رَبِّ إِنَّ الْهَدَى هُدَاكَ وَآيَاكَ تَكْ نُورٌ تَهْدِي بِهَا مَنْ تَشَاءُ
كَمْ رَأَيْنَا مَا لَيْسَ يَعْقِلُ قَدْ أَلْهِمَ مَا لَيْسَ يُلْهِمُ الْعُقَلَاءُ

ووجدت في بعض التعاليق بخط صاحبنا العلامة الشيخ أحمد بن علي البسكري : أنَّ الشيخ عبد النَّافع بن الشيخ أحمد بن عراق دعا الشيخ أبا السَّعادات الفاكهي إلى ضيافة مع صاحب له يسمى بابن المجد ، وكتب إليه في الاستدعاء هذين البيتين : [من البسيط]:

أبا السَّعادات وابن المجدِ خادمكم أخو التضرُّع عبد النَّافع الدَّاعي
يدعوكم ساعة تلقاء منزله وليس يخفى الَّذي في الشَّرع للدَّاعي

ورأيت بخط صاحبنا العلامة شهاب الدِّين ابن الشيخ أحمد بن علي البسكري المكي المغربي المالكي رحمه الله تعالى ما صورته : وجدت في تذكرة مولانا العلامة ذي الكمالات الشيخ أبي السَّعادات هذين البيتين وهما : [من الكامل]:

يا أهلَ تدريسِ العلوم جميعه وذوي عقول قد صفت من ربيّة
هل تعلمون محلّة معروفة جمعت كمكّة في عدادِ فضيلة

فكتبت جوابهما وأنا الفقير إلى عفو الله أحمد البسكري فقلت : [من الكامل]:

لا والذي برأ الأنامَ بأسرهم ما مثل مكّة سُرِّفت من قرية
وكذاك ما مثل الحطيم وزمزم والمشعرين وركنها في خطّة
وكذا الصّفا والحجر والميزاب والـ بيت الشَّريف فذاك أعظم نعمّة
إلا على قول الهزبر إمامنا شيخ الأنامِ إمام أهل السنّة
إنّ المدينة سُرِّفت بمقام مَنْ قد حلَّ فيها فهي أشرف بقعة
صلّى عليه الله ربّي سرمداً أبداً دواماً ما توالى غمّصتي

● وفيها : في ليلة الأحد السَّابع والعشرين من شهر ذي الحجة الحرام توفي الولي الكبير والقُدوة الشَّهير ، الَّذي وقع على ولايته الإجماع والاتفاق ، وقصدَ بالزيارة من الآفاق ، الشيخ أبو بكر بن سالم با علوي^(١) ، بعينات ، وكان من

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠ / ٦٢٥) .

المشايع الأفراد المقصودين بالزيارة من أقصى البلاد ، وانتفع ببركته الحاضر والباد ، وانغمرت بنفحات أنفاسه العباد ، واشتهرت كراماته ومناقبه وآياته في الآفاق ، وسارت به الركبان والرفاق ، وحصل له القبول التام عند الخاص والعام . و « عَيْنَات » بكسر المهملة وسكون المثناة من تحت وقبل الألف نون وبعدها مثناة فوقية : قرية بحضرموت على نصف مرحلة من تريم كانت إقامته بها ، وقصده إليها الزوار من الأقطار حياً وميتاً .

● وفيها : توفي الحكيم شهاب الدين محمود بن شمس الدين السندي ^(١) ، وكان آية في الحكمة والمعالجات . وحكي أن بعض السلاطين أهدى إلى السلطان محمود صاحب كجرات أشياء نفيسة من جملتها جارية وصيفة ، فأعطاه السلطان لبعض الوزراء ، فاتفق أن الحكيم المذكور جس نبضها قبل أن يمسخها ذلك الوزير ، فحذره من ذلك وقال : إن من يجامعها سيموت . فأرادوا تجربته في ذلك فجاءوا بعبد وأدخلوه عليها فمات لوقته ، فازداد تعجب الوزير وسأله عن السبب فيه ، فقال : إنهم أطعموا أمها في حال حملها أشياء أورثت ذلك ، وإن مهديها قصد هلاك السلطان .

قلت : فله دره من طبيب ماهر ما أحذقه ! وقد ذكر القزويني في « عجائب البلدان » ما يقرب من هذا ، فقال عند الكلام على عجائب الهند : ومن عجائبها « البيش » وهو نبت لا يوجد إلا في الهند ، سم قاتل ، أي حيوان يأكل منه يموت ويتولد تحته حيوان يقال له فأرة البيش تأكل منه ولا يضرها . ومما ذكر أن ملوك الهند إذا أرادوا الغدر بأحد عمدوا إلى الجواري إذا ولدن وفرشوا من هذا النبت تحت مهودهن زماناً ، ثم تحت فراشهن زماناً ، ثم تحت ثيابهن زماناً ، ثم يطعموهن منه في اللبن حتى تصير الجارية إذا كبرت تتناول منه ولا يضرها ، ثم يبعث بها مع الهدايا إلى من أرادوا الغدر به من الملوك فإنه إذا غشيها مات .

* * *

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠ / ٦٢٨) .

سنة ثلاث وتسعين بعد التسعمائة

وفي ربيع الثاني سنة ثلاث وتسعين : توفي الأستاذ الأعظم قطب العارفين الشيخ محمد بن الشيخ أبي الحسن محمد^(١) بن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عوض بن عبد الخالق بن عبد المنعم بن يحيى بن يعقوب بن نجم الدين بن عيسى بن داود بن نوح بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه البكري الصديقي الشافعي الأشعري المصري^(٢) ، وأمُّ جده الأعلى أحمد بن محمد بن أحمد فاطمة بنت الشريف تاج الدين القرشي بن محمد بن عبد الملك بن يرحم بن حسان بن سليمان بن محمد بن علي بن الحسين بن الحسن المثنى ابن حسن السبط ، وروي أنَّ الشيخ كان يفتخر بهذه النسبة النبوية ويقول : ما أحبُّ أن لي بها كذا... وكذا...

وكان هذا الشيخ من آيات الله في الدرس والإملاء ، فكان إذا تكلم فيه تكلم بما يحير العقول ويذهل الأفكار بحيث لا يرتاب سامعه في أنَّ ما يتكلم به ليس من جنس ما يُنال بالكسب ، وربما كان يتكلم فيه بكلام لا يفهمه أحد من أهل مجلسه مع كون كثير منهم أو أكثرهم على الغاية من التمكن في سائر مراتب العلوم الإسلامية والإحاطة بفنونها ، فيذكر له ذلك بعد القيام من المجلس ، فيقول : ليس ذلك بأعجب من حال المتكلم به فإنِّي فيه مثلهم . وكان إليه النهاية في العلم حتَّى كان بعض أئمة العلوم والمعارف هناك ممن أفنى عمره في كسب العلوم الدينية والمعارف الربانية يقول : والله لا ندري من أين هذا الكلام

(١) في « شذرات الذهب » (علي) .

(٢) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠ / ٦٣٢-٦٣٤) و « جامع كرامات الأولياء »

(١ / ١٨٧-١٩٣) و « معجم المؤلفين » (١١ / ٢٨١) و « الأعلام » (٧ / ٦٠-٦١) .

الذي نسمعه من هذا الأستاذ؟ ولا نعلم له أصلاً يؤخذ منه ، ولولا العلم بسدِّ باب النبوة لاستدلينا بما نسمعه منه على نبوته^(١) .

وأما مجالسه في التفسير وما يقرره فيها من المعاني الدقيقة والأبحاث الغامضة مع استيعاب أقوال أئمة التفسير من السلف والخلف ، وبيان أولاهها بالاعتماد عنده ، وذكر المناسبات بين السور والآيات ، وبين أسماء الذات المقدسة والصفات ومواضعها ، وما قاله أئمة الطريق في كل آية من علوم الإشارة ، فإن القرآن نزل بها أيضاً ، فذاك مما يُحير العقول ويُذهشُ الخواطر ، مع كون ما يليق به من ذلك كله في ألفاظ مخترعة بالغة في الفصاحة والبلاغة والجزالة والإيضاح إلى الغاية التي ليس وراءها غاية ، مع كون أكثرها أو جميعها مسجعاً مقفىً معرباً موضوعاً في محله الذي لا أولى منه به ، ولم يحفظ له أحد هفوة في لفظ من ألفاظه من جهة إعراب أو تصريف أو تقديم أو تأخير أو غير ذلك من هفوات الألسنة في تقرير العلوم ، وما من درس من دروسه إلا وهو مفتتح بخطبة بديهيّة أو غير بديهيّة مشتملة على الإشارة إلى كل ما اشتمل عليه ذلك الدرس على طريق براعة الاستهلال .

وهكذا كانت مجالسه في الحديث والفقه ، وكل علم يتصدى لتقريره ، لا يظن سامعه المتمكن في ذلك العلم الحافظ لأصوله وفرعه أنه ترك في كلِّ بحث كلمة لأحد من المتكلمين فيه ، مع ما يبدیه هو من اختياراته الشريفة . وكان الشعراء من فضلاء مصر المتمكنين في علوم اللغة وقواعد الشعر ومذاهب الإنشاء يقصدون يوم ختمه ، فيكتبون القصائد البديعة في مدحه ، وبيان ما من الله به عليه من سائر النعم الظاهرة والباطنة ، فتتلى - أو المهم منها - على

(١) العبارة في « شذرات الذهب » « . . . لولا أنَّ باب النبوة سُدَّ لاستدلينا بما نسمعه على نبوته » وهي أفضل من عبارة « النور » وأدق في الدلالة على المراد .

نقول : وهذا لا يجوز قوله ولا اعتقاده بحال من الأحوال ، فليس بعد رسول الله محمد ﷺ نبي ولا رسول ، فهو ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

رؤوس الأشهاد في مجلسه الشريف وفيه خلائق من الخاصة والعامة ، ويجلس هو نفعنا الله ببركاته لاستماع ما يتلى منها بين يديه ، ويجيز على كلٍّ منها ويظهر الشُّرور بها لطفاً منه بأصحابها وجبراً لخواطرها ومقابلة لحسن ظنهم وعقائدهم ، نفعنا الله ببركاته .

وكان إذا قام من كلِّ مجلسٍ جلسَ فيه للتدريس في الجامع الأزهر أو غيره يتقدم إليه الناس لتقبيل يده والتبرُّك بدعائه إذ ذاك والقرب من موضعه الشريف الذي هو موضع الرحمة ، ويقع بينهم ازدحام عظيم ، وربما سقط بعضهم تحت أقدام الناس وحوله إذ ذاك جماعة من جند السلطان والزموم وغيرهم قد حلقوا على حضرته بأيديهم خشية عليه من الإيذاء بالازدحام ، وربما أخذ واحد منهم بيده الشريفة وهي ممدودة لتقبيل الناس لطول زمن مداها لهم إذ كان يقف لهم بعد درسه نحواً من ساعة زمانية ، ثم يسيِّر إلى جهة دابته والناس على الغاية في الازدحام عليه إلى أن يصل إليها .

ومما يشهد بكونه بالمقام الأعلى من الإحاطة بأنواع العليم وأصناف المعارف ما كان يتكلم به في مجالسه الخاصة والعامة من منظوم الكلام ومثوره .

ولما مرض والده شيخ الإسلام وفارس ميدان العلوم والمعارف أبو الحسن البكري - نفعنا الله ببركاته - مرضه الذي مات فيه اختلى بولده المذكور وخصه من مواهب الله بما خصه الله به ، ثم استدعى بتلامذته ومريديه من شيوخ الإسلام وكبراء الأعلام ممن أفنوا أعمارهم في الاستفادة منه والأخذ عنه ، وأمرهم بالاستفادة منه والأخذ عنه والدخول تحت حكمه . ثم لما انتقل والده إلى دار الكرامة همَّ بعض من عظماء تلامذته بالجلوس في مجلس والده بالجامع الأزهر ظناً منه أن ولده المذكور لم يبلغ رتبة الجلوس في مجلس والده لصغر سنه إذ ذاك ، فإنَّ عمره إذ ذاك كان نحواً من إحدى وعشرين سنة ، مع أنه لم يسبق له قبل ذلك اشتغال بالعلم يترتب عليه التأهل للجلوس في مجلس والده الذي هو بالمقام الأعلى من كل علم ومعرفة وإلا لم يستبعدوا ذلك منه .

وقد ذكر الياضي في تاريخه : أنَّ ابن سينا فرغ من العلوم العقلية والنقلية وعمره ثماني عشرة سنة مع ما قيل في ابن سينا من القدر والمدح ، فتقرر الأمر على أن يعقدوا للمذكور مجلساً يكون فيه أكثر علماء مصر من سائر المذاهب أو كلهم ، فحضرُوا ، وشرع المذكور في تقرير العلوم عن ظهر قلب ، وفي ظني أنَّ كلامه كان شروعا في تفسير القرآن ، فقرر في ذلك المجلس من أنواع العلوم وأصناف المعارف ما بهر عقولهم وحير ألبابهم في ألفاظ لم يسمع السامعون في زمانهم أفصح ولا أبلغ ولا أمتن ولا أجزل ولا أجمع منها ، فأذعنوا له من ذلك الآن ، وعرفوا أنه أحقُّ منهم ومن غيرهم من علماء مصر وغيرها بمجلس أبيه ، ولم يزل من ذلك الآن الصِّدْرَ المقدَّم في كلِّ مجلس جلس فيه من مجالس علماء الإسلام وعلماء أركان الدولة الأعلام ، إلى أن توفاه الله تعالى إلى ما منحه الله تعالى ، فضاهى أباه في حاله ومقاله وحذا حذوه في العلوم ، ونسج على منواله وتابعه في أخلاقه الحميدة وآثاره الصالحة حتى قيل : « ما أشبه الليلة بالبارحة » وقد أشار رحمه الله إلى ما منحه الله من مراتب الكمال في هذا السنِّ فقال : [من المتقارب]:

وصلتُ وسنِّي عشرون ما تقاصر عنه فحول الرجال
فما ابن ثمانين إلّا الوليد ومجدي يزيد بقومي وآلي

وله جملة تصانيف منها : « شرح على مختصر أبي شجاع » في الفقه ، وكتب أيضاً على « أوائل منهج شيخ الإسلام زكريا » شرحاً ولم تساعد القدرة على إتمامه ، وله رسائل في أنواع من العلوم والمعارف والآداب كرسالته في الاسم الأعظم ، ورسالته في الصلاة على النَّبِيِّ ﷺ ، ورسالته في آداب الشَّيْخ والمريد ، ورسالته في الزيارة ، وغيرها من الرسائل الجامعة النافعة الدالة على كمال تمكنه في سائر العلوم الإسلامية والمعارف الربانية ، وديوان شعر كبير ، وكان على ما قيل بقوله وقت الوارد ، وربما كان بين الناس بمنزلة الشريف ، أو بين أهله أو وحده ، فورد عليه الوارد ، فاستدعى بالدواة والقرطاس وكتبه إذ ذاك ، وما من معنى أشار إليه أئمة الطَّرِيق مما يتعلق بالذات المقدسة أو

الصفات المنزهة أو بالذات المحمدية والصفات النبوية إلا وله فيه القول الأبلغ واللفظ الأفصح .

ومن كلامه : أقل واجب على الفقير أن يتطهر من نجاسة الذنوب بالتوبة وهي الإقلاع عن المعصية والتدب على فعلها ، والعزم على تركها ، ورد الظلامة إن كانت وقدر ، وعليه أن يتدارك فوائت صلوات تركها ، وأن يبادر بالنظر والالتفات لأستاذ يخدمه ويمثل أمره ويؤمره على نفسه ليخرج له خباثتها وينقب له عن دسائسها ، ويستعين بالله ثم به على طهارته من ذلك ، فإذا صحَّ ذلك للفقير فهو الغنيمة الكبرى والإكسير الأكبر والكبريت الأحمر . وله بعد استنشاق روائح الوصول آداب منها : أن لا يقف عند مرتبة بل يتخطاها بصدق اليقين ، ومنها : أن لا يشهد أنه وصل فذلك حجاب عظيم ، بل يغيب في شهوده وذلك هو المقام الكريم ، ومنها : أن لا ينفذ سهم نقمه عن قوس نفسه لأحد من الخلق ولو بالغ في أذيته ، بل يبالغ في معاملته بالرحمة حتى يبلغ الإمهال أجله ، ويفعل الله ما يشاء ، والسلام .

وسئل رضي الله عنه : لِمَ كان في أهل مكة قسوة القلب ، وفي أهل المدينة لينها ؟ فقال : لأن أهل مكة جاؤوا الحجر ، وأهل المدينة جاؤوا البشر .

وأشده بعضهم بحضور الأستاذ المذكور قول الشاعر : [من الكامل]:

لله قاموسٌ يطيبُ وروده أغنى الورى عن كل معنى أزهري
نبذ الصَّحاح بلفظه والبحر من عاداته يلقي صحاح الجوهري

فكسر الصاد من « صحاح » فقال الأستاذ : الصَّحاح لا تُكسر . فتعجب كل من كان في المجلس من هذا الجواب مع سهولة اللفظ والتورية ، ويروى عن شيخ الإسلام الطبلاوي أنه قال : الصَّحاح بالفتح أفصح وأكثر استعمالاً .

وما ألطف قوله قدس الله روحه إذ يقول^(١) : [من الخفيف]:

(١) الأبيات في « شذرات الذهب » (١٠ / ٦٣٣) .

ما أريض مفتح الأزهار
ولآلٍ منظّمات عقوداً
وشموس تضيء في أفق السَّعْدِ
وغصون بأيكها تسجّع الور
مثل قول الإله في حقّ جدّي
وبهيج مشعشع الأنوار
لغوانٍ عرائسٍ أبكارٍ
مد زها ضوءها على الأقمارِ
ق فتنسى ترثّم الأوتارِ
« ثاني اثنين إذ هما في الغارِ »^(١)

ومن نظمه هذه الوسيلة العظيمة ، وهي : [من السريع]:

ما أرسلَ الرَّحْمَنُ أو يُرْسِلُ
في ملكوت الله أو مُلْكِهِ
إِلَّا وطه المصطفى عبده
واسطةً فيها وأصلٌ لها
فلذّ به في كلّ ما ترجي
وعذّ به من كلّ ما تختشي
وحطّ أحمالَ الرّجا عنده
وناديه إن أزمّةً أنشبت
يا أكرمَ الخلقِ على ربّه
قد مسّني الكَرْبُ وكم مرة
ولن يُرى أعجزَ مني فما
فبالذي خصّك بين الوري
عجّل بإذهاب الذي أشتكى
فحيلتي ضاقت وصبري انقضى
من رحمة تَضَعْدُ أو تَنْزِلُ
من كلّ ما يختصُّ أو يشملُ
نبيّه مختاره المُرسَلُ
يعلم هذا كل من يغفلُ
فهو شفيعٌ دائماً يقبلُ
فإنّه المأمَنُ والمعقلُ
فإنّه المرجعُ والموئلُ
أظفارها واستحكم المعضلُ
يا خير من فيهم به يسألُ
فرجت كرباً بعضه يذهلُ
لشدة أقبوى ولا أحملُ
برتبة عنها العلا ينزلُ
فإن توقفت فمن أسألُ
ولست أدري ما الذي أفعلُ

(١) اقتباس من قول الله تعالى في سورة التوبة الآية (٤٠) : ﴿ إِنْ تَنْصَرُوهْ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذَا
أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا أَتَيْنِي إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْرُجْ إِنَّ اللَّهَ
مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُودِهِ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ
كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٤٠] .

فَأَنْتَ بَابُ اللَّهِ أَيُّ أَمْرٍ
صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ مَا صَافَحْتُ
مُسْلِمًا مَا فَاحَ عَطَرُ الْحَمَى
وَالْآلِ وَالْأَصْحَابِ مَا غَرَّدَتْ

أَتَاهُ مِنْ غَيْرِكَ لَا يَدْخُلُ
زَهْرُ الرِّوَابِيِّ نَسْمَةً شَمَالُ
وَطَابَ مِنْهُ النَّدُّ وَالْمَنْدَلُ
سَاجِدَةً أَمْلُودَهَا مُخْضَلُ

ومنه هذه الأبيات وأنشدها بين يدي الحضرة النبوية ، وحكي أنه سمع
المصراع الأخير منها من الحضرة النبوية : [من الطويل]:

وَلَمَّا أَتَيْنَا قَبْرَ أَشْرَفِ مَرْسَلٍ
وَغَيْبِ سِرِّ الرُّوحِ فِي مَلَكُوتِهِ
وَسَارَ مِنَ الْجَمْعِ الْمَحِيطِ لِرَبِّهِ
عَرَضْتُ عَلَيْهِ مَا أُرِيدُ فَقَالَ لِي
مَجِيئًا بِمَا أَمَلْتَهُ مِنْ عَطَائِهِ

وَلَمَّا أَتَيْنَا قَبْرَ أَشْرَفِ مَرْسَلٍ
وَغَيْبِ سِرِّ الرُّوحِ فِي مَلَكُوتِهِ
وَسَارَ مِنَ الْجَمْعِ الْمَحِيطِ لِرَبِّهِ
عَرَضْتُ عَلَيْهِ مَا أُرِيدُ فَقَالَ لِي
مَجِيئًا بِمَا أَمَلْتَهُ مِنْ عَطَائِهِ

ومنه : [من الطويل]:

وَقَدْ ضَاقَ مِنْ نَفْسِي فَسِيحَ فُضَائِهَا
عَلَى ثِقَةٍ مِنْ نَجْحِهَا وَقُضَائِهَا

وَقَدْ ضَاقَ مِنْ نَفْسِي فَسِيحَ فُضَائِهَا
عَلَى ثِقَةٍ مِنْ نَجْحِهَا وَقُضَائِهَا

ومنه : [من المنسرح]:

أَحْسَنَ مَنْ تَنْظُرَ الْعَيُونَ فَتَى
أَبْعَدَ عَنْهُ حَظْوَظُهُ فَعْدَا
فَرَّغَهُ عَنْ جَمِيعِ عَالَمِهِ
أَدْخَلَهُ خَلْوَةَ مَقْدَسِهِ
عَلَّمَهُ مَا يَشَاءُ ثُمَّ عَلَا
حَقَّقَ فِيهِ الْقَبُولَ مِنْهُ لَهُ
لَطْفُهُ فَارْتَقَى وَزَجَّ بِهِ

عَرَّفَهُ اللَّهُ أَنَّهُ اللَّهُ
فِي حُضْرَةِ قَصْدِهِ اللَّهُ^(١)
فَصَارَ بِالْحَقِّ شَغْلَهُ اللَّهُ
يَذْكُرُهُ فِيهَا وَذَكَرَهُ اللَّهُ
بِهِ إِلَيْهِ فَعَلَّمَهُ اللَّهُ
فَإِنْ دَعَاهُ أَجَابَهُ اللَّهُ
فِي النُّورِ فَضْلًا فَنُورَهُ اللَّهُ

(١) الشطر الثاني مختلٌ وزنه .

فعاد عبداً شهوده الله
ملا بساً رَقَهَا^(١) هو الله
قال له إنني أنا الله

بَلَّغَهُ المنتهى وأوصله
ألْبَسَهُ من ثياب حضرته
وبعد أن صار مفرداً عَلِمَا^(٢)

ومنه : [من الطويل]:

أَلَا حَ له معنى الجمال وأبداء
وللجمع في غيب الحقيقة أبقاه
وأنسه بالقرب منه وأدناه^(٣)

إذا صح صدقُ العبد في حبِّ مولاه
وأغنائه عن أوصافه ونعوته
وألْبَسَهُ تاج المعارف والهدى

ومنه : [من البسيط]:

مرآة كل شهود كامل الرتب
كلُّ العلوم فلم يحتجْ إلى كُتُبٍ
ويدركون به المأمول من طَلَبٍ

إذا يعمَّر قلب بالإله غداً
وأودعت فيه بل له أبرزت^(٤)
وصار بيتاً يطوف العارفون به

ومنه : [من الرمل]:

ينشرح هذا خلاف الواقع
ثمَّ لم يغنَ بفضل واسع
ثمَّ تلتاح لأبهى ساطع
ذاك إلا من وجود المانع
إن رحمتهم أو قطعتم قاطعي
حاش لله فذلِّي شافعي
لم يزل في الباب أوفى خاضع

أيُّ قلب قابل الحق فلم
أيُّ صدر صار معنى سرّه
أيُّ عين أبصرت أنواره
غير أنني ضيَّق الصدر فما
ثمَّ لا حَجَرَ عليكم سادتي
هكذا أبقى كئيباً بائساً
إنني من تعلمون أنه

(١) في (ط) : « .. رقمها .. » وما أثبتناه في (م) .

(٢) في (ط) : « ... مفرداً علماً » وما أثبتناه في (م) .

(٣) هذا البيت ، وسبع مقطعات شعرية جديدة مما يليه ليست موجودة في (م) وأثبتناها هنا عن (ط) .

(٤) هذا الشطر مختل الوزن .

لَمْ يَزَلْ لِلْعَفْوِ مِنْكُمْ رَاجِياً
عَجَّلُوا بِالْغُوثِ هَذَا وَقْتَهُ
عَبْدَكُمْ فَقِيرَكُمْ كَسِيرَكُمْ

ومنه : [من المتقارب]:

لَمْ يَزَلْ فِي الْعَفْوِ أَقْوَى طَامِعٍ
وَارْحَمُوا ذَلَّ كَثِيبٍ خَاشِعٍ
مَالَكُمْ عَنْ جَبْرِهِ مَنْ دَافِعٍ

إِذَا خَطَبُ ذَنْبٍ عَلَيْنَا دَجَا
فَكَمْ شِدَّةٌ مِنْ ذُنُوبِ عِظَامٍ
وَكَمْ ضِقَّتْ ذُرْعاً بِجُرْمِي فَمَا
فَلَلَهُ الْجَأُ وَلَا تِيَأَسُنْ

ومنه : [من المتقارب]:

أُنْرِنَا دُجَاهَ بَنُورِ الدُّجَى
لَهَا اللَّهُ بِالْعَفْوِ قَدْ فَرَجَا
وَجَدْتُ سِوَى الْعَفْوِ لِي مَخْرَجَا
فَمَا خَابَ عَبْدٌ إِلَيْهِ التَّجَا

وَمَالِي شَيْءٍ عَلَيْهِ اعْتِمَادُ
جَعَلْتِكَ دُخْرِي لِيَوْمِ الْخُطُوبِ

ومنه : [من المتقارب]:

وَلَكِنْ إِلَى فَضْلِكَ الْإِسْتِنَادُ
وَعَوْثِي وَعَوْنِي يَوْمَ الْمَعَادِ

إِذَا ضَاقَ أَمْرٌ فَلَا تِيَأَسُنْ
فَكَمْ شِدَّةٌ وَأَتَى بَعْدَهَا

ومنه : [من السريع]:

وَكُنْ رَاجِياً فَضْلَ رَبِّ مُجِيبِ
مِنْ اللَّهِ نَصْرٌ وَفَتْحٌ قَرِيبِ

اسْتَفْتَحِ الْفَضْلَ بِخَيْرِ الْوَرَى
وَلَا تَخَفْ بِاللَّهِ مِنْ حَاسِدٍ
وَاسْتَعِزِّ الْحَقَّ وَخَلِ السُّوَى
وَاسْتَمْنَحِ الْجُودَ بِهِ وَاثْقَاً
وَاجْعَلْ جَمِيعَ الْعَمْرِ فِي طَاعَةٍ
فَمَنْ يُطْعِ الْخَالِقَ يُؤَلَّدَ لَهُ
فَابِكِ زَمَاناً مَرَّ فِي غَفْلَةٍ

رَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الْحَبِيبِ
فَإِنَّ مَوْلَاكَ عَلَيْهِ رَقِيبٌ
فَأَنْتَ فِي حِفْظِ الْقَرِيبِ الْمَجِيبِ
بِاللَّهِ فَالرَّأْيَ بِهَذَا مُصِيبِ
فَطَاعَةُ الْخَالِقِ أَزْكَى نَصِيبِ
مَنْ فَيَضُهُ الْبَاهِرُ سُرٌّ عَجِيبِ
بِأَذْمَعِ هَاطِلَةٍ كَالصَّبِيبِ

وَتُبَّ إِلَى اللَّهِ وَخَفَ قَهْرَهُ
عَسَاهُ بِالْعَفْوِ يَنْبِلُ الرِّضَا
ومنه : [من مجزوء الرمل]:

لَيْسَ لِلْعَبْدِ سِوَى اللَّهِ
وَاتَرَكَ الْأَكْوَانَ وَارْحَلَ
وَاحْذَرِ الْأَغْيَارَ وَاشْهَدْ
وَالْزِمِ الْأَدَابَ وَاتَّعِزَّ
هَكَذَا مَنْ كَانَ عَبْدًا
لَسْتُ تَخْشَى قَطَّ سُوءًا
لَا وَلَا صَدًّا وَطَرْدًا
كَمْ عَيْبٌ سَتَرَ اللَّهُ
ومنه : (١) [من: المتقارب]:

أَوْ عَدَّ إِلَيْهِ عَوْدَ عَبْدٍ مُنِيبٍ
وَيَغْفِرُ الذَّنْبَ وَمَاذَا عَجِيبٌ

فَانْتَهَضَ وَاصْدَقَ مَعَ اللَّهِ
عَنْ سِوَى اللَّهِ إِلَى اللَّهِ
كُلَّ ذِي الْأَشْيَاءِ مِنْ اللَّهِ
حَالَةَ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ
فَوَضَّ الْأُمَرَ إِلَى اللَّهِ
إِنْ تَوَكَّلْتَ عَلَى اللَّهِ
إِنْ تَوَجَّهْتَ إِلَى اللَّهِ
كَمْ ذَنْبٌ غَفَرَ اللَّهُ

وَسَلَّمَ لِمَوْلَى بِهِ قَدْ حَكَمَ (٢)
فَمَعْتَرَضَ الْحَقَّ يَلْقَى النَّدَمَ
مَنْ الْمَجْدِ فَوْقَ مُعَالِي الْقَمَمِ
وَيَسْعَفُهُ بِسَجَالِ الْكَرَمِ
مُضَايِقُهُ وَالَّذِي قَدْ أَهَمَّ
سِوَى بِالْوَفَا بِعُهُودِ الذُّمَمِ
وَتَفْوِضُهُمْ لِمَعِيدِ النَّعَمِ

يَمُنُّ؟ فَلِي شَوْقٌ إِلَيْكَ شَدِيدٌ

ومنه : [من الطويل]:
أَمْوَالِي قُلْ لِي [هَلْ] (٣) تَرَى الدَّهْرَ بِاللَّفَا

(١) إِلَى هُنَا يَنْتَهِي مَا أُثْبِتْنَاهُ عَنْ (ط) وَلَمْ نَقِفْ عَلَيْهِ فِي (م) .

(٢) فِي (ط) : « إِذَا ضَاقَ فَلَا . . . » بِإِسْقَاطِ « أَمْر » وَبِهِ يُكْسَرُ الْوَزْنُ ، وَمَا أُثْبِتْنَاهُ فِي (م) .

(٣) سَقَطَتِ الْكَلِمَةُ مِنْ (م) ، وَمَا أُثْبِتْنَاهُ عَنْ (ط) .

وهل تتملى العينُ منك بنظرةٍ
ومنه : [من الطويل]:
ويقرَّب من بعد الفراق بعيدُ؟^(١)

أودُّ من الدُّنيا صديقاً موافياً
ومنه : [من مجزوء الرمل]:
وقلتُ لقلبي قد خلا الكون فاسترخ
وفاً بما أرضاه يزضى وينشرخ

إنَّ في الشَّاروخ معنى
ومنه : [من الخفيف]:
إنَّ تعلَّى فهو وترٌ
يظهر العرفان سرَّه
أو تدلَّى فهو كثرة

قل لمن زاد في ارتكاب عظيم الذَّ
ومنه : [من البسيط]:
ما جميعُ الذَّنوب في جنب عفو اللد
نب دهرأ وللحدود تعدى
إلاَّ أقل من أن تعدا

يا قلبُ إن كنت قلبي لا تمل للغيرِ
ومنه : [من البسيط]:
واسلك ولو كنت في عزٍّ ضعيف السَّيرِ
واصبر على حكم من تهواه تلق الخيرِ
واصدق مع الله ترزق مثل رزق الطَّيرِ

يا قلبُ إن كنت قلبي إرض بالأقدار
ومنه : [من البسيط]:
واشهد بعينِ البصيرة بهجة الأنوار
وراقب الله في الإعلان والإسراز
مستهلكاً لجميع الحجب والأستار

يا قلبُ إن كنت قلبي غب عن الأكوان
ومنه : [من البسيط]:
خمر^(٢) قديمة علت عن خبر الحدثان
وطب بنشوة خمرٍ ما لها أذنان
هي المدام وساقى القوم والنَّدمان

(١) في (ط) « .. تمتلي .. » وبه يُكسر الوزن ، وما أثبتناه في (م) .

(٢) في (م) و (ط) : « خمرة » وبها يُكسر الوزن .

ومنه : [من الطويل]:

ولو أفرغوا كلَّ الدنان بباطني ولم أبتغي سكرًا لما مسّني سكرٌ
ولو أبتغي سُكرًا وقالوا مدامة رأيت فتى طاشت بسكرته الخمرُ

ومنه هذا المفرد ، وهو مما أنشده الشَّيخ يحيى الخُزاعي وهو تلميذ والده
الشَّيخ أبي الحسن وقال أجز يا يحيى : [من الطويل]:

ونفسك دع عنك التَّكْلُفَ واطرح ولا تلتفت إلّا إلى الله تسترخ
فقال الشَّيخ يحيى :

ونفسك سرُّ السرِّ إن فقت تسترخ فجلُّ في مَجَالِ الله بالله تسترخ
ومنه وهو مما قاله في مرض موته وهو آخر شعر أنشده : [من الكامل]:

ولقد أقول لطالبي إحسانهم إحسانهم يأتي إليك^(١) بلا طَلَبٍ
كم فرجوا من كربة عن عبدهم وكذاك هم أهل لتفريج^(٢) الكرب

ووجدت بخط صاحبنا العلامة شهاب الدِّين الشَّيخ أحمد بن العلامة علي
البسكري المكي المالكي المغربي قال : أنشدنا شيخنا شيخ الإسلام محمد
البكري عند نظره إلى الماء وتكسره وتجعهده : [من مجزوء الكامل]:

انظر إلى الماء الذي يبيد النسيم تجعّدا
قد شبّهوه بمبرّدٍ فلاجل ذا ييري الصّدا

وللشَّيخ عبد العزيز الزَّمزَمي المكيّ فيه : [من البسيط]:

وإنه قطبُ هذا الوقت دونِ مرا به الوجود ازدهى عطفاً وإنظما
سميَّ خير البرايا سبّط عترته ونجل صديقه من فضله عظما
قلّ عنه^(٣) واسمع به وانظر إليه تجد ما قد ملا مسمعا مع مقلة وفما

(١) في (ط) « ... يأتيك سعيًا ... » ، وما أثبتناه في (م) .

(٢) في (ط) : « .. أهل التفريج .. » وبه يُكسر الوزن ، وما أثبتناه في (م) .

(٣) في (ط) : « قد عنه ... » وهو تحريف .

حدّث عن البحر إن حدثت عنه ولا بحرٌ يفيض علوماً من جوانبه من حضرة القدس فيضاً جا عن الشئ مواهب باكتساب لا تنال إذا وما أحسن قول الأديب إبراهيم بن المبلط فيه من قصيدة طويلة : [من الخفيف]:

وكراماته غدت بيّنات
من أبي بكر الإمام له جدٌ
ورفيقاً وصاحباً وأنيساً
حاز إسناده علوّاً رفيعاً
أخذ العلمَ عن أبيه عن الصّدِّ
لا تجف عين علمه عين صدِّ
ليس تخفى على النَّاسِ ظُهوراً^(١)
وقد كان للنبّي نصيراً
من عدوّ في الغار بات مُغيراً
درجات على الأنام وفوراً
يقو عن سيّد الورى ماثوراً
فهي عينٌ قد فُجّرت تفجيراً

وله أيضاً فيه وقد رجع من الحجّ ، ومدح فيها القهوة فقال : [من السريع]:
كفى شرفاً^(٢) لها أنّها
وأنّها تُشربُ في حضرة الأ
محمّد نجل أبي بكر الصّدِّ
أهلاً به من قادمٍ قد أتى
مسافراً طلعتَه أسفرت
في كل عامين له حجة
إذا أراد الحجّ في عامه

تدارُ في الحُجراتِ والحُجرة
ستاذ شيخِ الوقت والحُضرة
يقو أعلى ربّنا قذرة
بعد تمام الحجّ والعُمرة
عن طلعةِ الشّمس يالها سفرة^(٣)
والحجّ لم يفرض سوى مرة
لا بَرّده يخشى ولا حرّة

(١) الشطر الثاني من البيت مختل الوزن .
(٢) في (م) و (ط) : « كفى شرفاً . . . » وبه يُكسر الوزن .
(٣) الشطر الثاني من البيت مختل الوزن .

مباركُ الطَّلعةِ ميمونها
قلتُ إمامٌ عارفٌ ذاكِرٌ
له كراماتٌ غدتُ للورى
واعجباً من حاسديه فما
فليس فيهم من هذا حذوه
ما منهم إلا قتيل بلا
يعجز عن نيل عُلاه امرؤ
ما اللئثُ كالهَرُّ ولا الدُرُّ كالـ
إن كنتَ ذا جهلٍ بعلمٍ له
وكان الشَّيخُ يحجُّ في كلِّ عامين مرة . ولا بن المبلط في تاريخ مجلس بناء
الأستاذ : [من السريع]:

يا ناظراً صلَّ على المصطفى
واعلم بأنَّ العلم كنزُ الهدى
والزم حِمى البكريِّ شمس العُلا
أبوابه بالسَّعد مفتوحة
أنشأ بيتاً جاء تاريخه
« يَسْلَمُ من يدخلُ من بابِه »
وآله الغرُّ وأصحابه
فما قِوَامُ الدِّينِ إلَّا بهِ
ومرَّغُ الخَدِّ بأعتابهِ
يا سَعْدَ مَنْ لاذ بأبوابه
« يَسْلَمُ من يدخلُ من بابِه »

وكان شيخَ أهلِ هذا الطَّرِيقِ حالاً وعلماً ، وإمام أربابها حقيقة ورسماً ،
ومحيي رسوم المعارف فعلاً وإسماً ، عابثٌ لا تكذِّره الدَّلاء ، وسحابٌ
تتقاصر عنه الأنواء ، مع ما خصَّه اللهُ به من العلوم والمعارف والأخلاق وجمال
الصُّورة والهيبة والعِزِّفان والسَّكينة والعفة والصَّيانة والجود والرَّحمة والقيام
بحقوق الخاصة والعامة ، ولقد رأيت من أقواله وبلغني من أخلاقه وأحواله
ما لا تسعها عبارة ، ولا يهتدى إليها بإشارة ، وذكروا له كراماتٍ كثيرة .

وبالجملة : فإنَّه لم يكن له [نظير في زمانه ، ولم يخلفه بعده مثله
رحمه الله .

وكان^(١) والده من كبار أهل العلم ، بل قيل : إنه كان مجتهد زمانه ، والمجدد على رأس المائة التاسعة وأحق الناس بالقضاء ، وقد عرض عليه فامتنع منه قولاً باتاً ، [وهو]^(٢) المجمع على أنه فريد عصره علماً وولاية وحالاً ، أفصح أهل زمانه قلماً ومقالاً ، وأعظمهم سؤدداً وجلالة ورفعة وكمالاً ، عالم المسلمين دون نزاع ، وشيخ مشايخ الإسلام الذي انقطعت عن مضاهاته الأطماع ، وانتشرت مصنفاته كالأخذين عنه إلى سائر البقاع ، واشتهرت كراماته ومكاشفاته حتى روتها الألسن ووعتها الأسماع ، خاتمة المحققين ، لسان المتكلمين ، حجة المناظرين ، بقية السلف الصالحين .

وحكي أن أمه رأت في المنام وهي حامل به كأنَّ الشَّمس أو القمر في سبابتها ، فذهبت إلى عالم بالتعبير وقصتها عليه . فقال لها : حملك هذا ذكر يملأ الشرق والغرب علماً . وكان شيخ الطريقة وأحفظ من على وجه الأرض بالحقيقة ، وأفصح أهل زمانه على الإطلاق ، وأعظمهم نورانية وإنشاءً بالاتفاق . ملك القلوب بعذوبة لفظه ، وخدم السَّعد تحت ركائب حظه ، تعرف لمن شاء بمعارفه فصار من خاصته ، واجتني ثمر صحبته ، وتنكر على من شاء فمنعه استجلاء عرائس عرفانه وحجبه عن حضرته . سار في منازل السَّائرين سير الجنيد ، وفي منهاج العابدين سير أهل التجريد ، أعماله أغلبها قلبية ، وعلومه أكثرها وهبية ، إن تكلم في المعارف أبهر أهل المعرفة ، أو سكت خلت من لم [يره]^(٣) من قبل بأنواره قد عرفه ، لا يتكلم في المحبة إلا رأيتَه ذا شوق شديد ، ولا يذْكر بالله إلاَّ ألانَ قلوباً في القساوة كالحديد ، تخال من حضر مجلسه من القوم بسماع كلامه سكارى ، وقلوبهم في شهود جماله عند تنزُّلِ التَّجليات عليه والهة حيارى ، لا يرتاب ناظره مع سماع كلامه أنَّه من

(١) ما بين الحاصرتين سقط من (م) وأثبتناه عن (ط) .

(٢) لم ترد الكلمة في (م) وأثبتناها عن (ط) .

(٣) لم ترد الكلمة في (م) وأثبتناها عن (ط) .

أرباب القلوب ، وأن المتمنزل عليه من العلم اللدني قريب عهد بربه بارز من حضرة علام الغيوب ، كيف لا وقد تربى في حجر الجلال ، وارتضع من ثدي الكمال ، واتصل نسبه بالذروة الصَّدِيقِيَّة أو الشَّجَرَة المحمدية الحسنية باعتبار أنه سبط آل الحسن ، وحاز كمال الخلق الحسن والفصاحة واللسن ، فهو ربيب أهل تلك الحضرة ، أهل الولاية السابقين بأول نظرة ، المميز من لدنهم في حال طفوليته تميز الموعد من قبلهم على لسان بعضهم أن يكون في مملكة العرفان ملكاً عزيزاً ، مشاهداً^(١) في آخر أمره صدق هذا الوعد وإنجازه تنجيلاً ، ألا ترى إلى لبسه خلع الرئاسة الدِّينية وحلل العوارف وصون نفسه عن الذلة لأبناء الدنيا مع العلم بأنه جنى^(٢) ، بل جنى ثمر المعارف قبل جولانه في ميدان الرياضات ، وقبل أن ترسي سفينة قدسه الجارية في بحار أنسه على سواحل الإرشاد لمعالم الدِّينانات ، وإلى إبدائه في مجالس إملائه لكلماته الفتحة العطائية وعرائس الحقائق البارزة عن حضرات الفتح المحمدي واللسان الصَّدِيقِي ، ولَعَمْرِي إِنَّ النَّاطِرَ إِلَيْهِ إِذَاكَ يَشْهَدُ طَلْعَتُهُ عِنْدَ ذَلِكَ نُوراً مُحَضَّأً بِلِذَاتِهِ وَمَلَابِسِهِ^(٣) كلها كذلك لكنه نور جمال يتمتع النَّظَرُ إِلَيْهِ ، ولا بدع^(٤) من أثر التَّجَلِّيَّاتِ الإلهية عليه ، وكان ما هو عليه من الاشتغال بالتَّصْنِيفِ والإفتاء لا يزال يتكلم على طريق الإملاء ، وكان يجلس بالمسجد الحرام ، وفي المسجد النَّبَوِيِّ ، وفي المسجد الأقصى ، وفي الجامع الأزهر ، وناهيك بهذه المواضع التي كان يجلس فيها ، وكان كأنما يغترف من بحر ، أعاد الله علينا من بركاته .

وَحُكِّيَ أَنَّهُ كَانَ لَا يَمْلِي عَلَى الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ ، حَتَّى يَطَالِعَ الْمَحَلَّ الَّذِي يَتَكَلَّمُ عَلَيْهِ كَعَادَةٍ غَيْرِهِ . قَالَ : فَبَيْنَمَا أَنَا أَطَالِعُ فِي الْكَرَاسِ وَأَنَا قَاصِدٌ إِلَى

(١) في (م) : « الشاهد » وما أثبتناه في (ط) ، ولعله الصواب .

(٢) في (ط) : « ماجناً » تحريف ، وصوابه في (م) .

(٣) في (ط) : « وملابسته » والمثبت (م) .

(٤) في (ط) : « ولا يدع » تصحيف ، وصوابه في (م) .

الجامع إذ نوديت^(١) في سري : يا أبا الحسن ، أما القرآن والحديث فلينا ، وأما غيره فإليك ، فمن ذلك العهد إلى تاريخه ما طالعت لإملاء عليهما ، فلي على ذلك تسع وثلاثون - أو قال : بضع وعشرون - سنة ، وإنما أجيء إلى محل الإلقاء ولا أدري ما يلقي على لساني ، فيجري الله تعالى عليه نحو ما تسمعون .

وله تصانيف كثيرة لا تُحصَى ، من جملتها : تفسير القرآن العظيم واسمه « تسهيل السبيل في فهم معاني التنزيل » ، و « شرح العباب » الفقهي بشرحين مبسوط ومختصر و « شرح التنزيل » و « شرح روض ابن المقري » في حجم نصف شرح شيخه زكريا وزاد فيه على شيخه اثني عشر ألف فرع على كل فرع منها علامة على الحاشية بصورة « ف » ، و « شرح منهاج النووي » بخمسة شروح منها : « الكنز » و « المغني » و « المطلب » ، و « شرح النفحة الوردية » في النحو ، واختصر « متن إيسا غوجي » في مقدار ورقة صغيرة ، وجمع أربعين أربعين حديثاً كل أربعين منها في نوع ، منها : أربعون في الطواف ، وأربعون في الصلاة على النبي ﷺ ، وأربعون في الشَّيب ، وأربعون في السَّواك . إلى غير ذلك من المؤلفات الجامعة النافعة الدالة على كمال إحاطته وعلو شأنه ، نفعنا الله ببركاته آمين .

ويقال : إن مؤلفاته تنيف على أربعمائة^(٢) تأليف ، وله حزب عظيم يسمى حزب الفتح ، وقد شرحه العلامة عبد القادر الفاكهي بثلاثة شروح .

ومن كراماته : أنه لما نقص بحر النيل في بعض السنين ، قال لعبده الحبشي مندل : انزل يا مندل قل للبحر : يقول لك الشيخ أبو الحسن البكري : زد ، أو نحو هذه العبارة ، فقال العبد كما أمره ، فما مضت ساعة يسيرة إلا وقد ظهرت فيه زيادة كثيرة .

(١) في (م) : « نويت » تحريف ، وصوابه في (ط) .

(٢) في (م) : « أربعة » تحريف وصوابه في (ط) .

ومنها : ما روي عن الوليِّ الصَّالح عبد الرَّحمن بن عمر العمودي أنَّه وقع له مرتين في صلاته شيء تردد في حكمه ، فلما انتهت صلاته وكان بإزاء الشَّيخ التفت إليه قائلاً : يا عبدَ الرَّحمن ما تقول فيما لو وقع لأحد في صلاته كذا . . . ما يظهر لك فيه ؟ فقال : فقلت له : ما ظهر لي فيه مع بيان مأخذه من كلامهم فأستحسنه ، وعلمت أنه اطلع على ما وقع في ضميري^(١) .

ومنها : ما أخبر به بعض أعيان مكَّة وقضاتها أنَّه توجه إلى المدينة الشَّريفة في قافلة فيها الشَّيخ ، فلما وقع نظر القاضي المذكور على محفة الشَّيخ وهو فيها بحيث لا يرى كل منهما الآخر وقع في قلب القاضي المذكور إنكار على الشَّيخ في ركوبه المحفة إلى الحضرة الشَّريفة ، وقال في نفسه كان اللائق بالشَّيخ أن يترك المحفة في توجهه للزيارة . قال القاضي المذكور : فما أنهيت هذا الخاطر إلا والشَّيخ فاتح باب المحفة متبع بصره نحوي تائق إلى الخطاب قائلاً : بعد التَّحية المعذرة إليكم من ركوب المحفة ، فإنِّي والله لو قدزْتُ على الزيارة ماشياً ما ركبت [ولو قدرت على الركوب فبتاً ما تركته]^(٢) ولو قدرت على الركوب في نحو الشَّقدف ما ركبتُ المحفة ، عليَّ أعذار كثيرة في ركوب المحفة الله يعلمها .

ومنها : ما حكاه الشَّيخ الصَّالح محمد الطَّفَّاري مجاور الحرمين : أنَّه كان مرةً بين يديه بعد المغرب ، فغلب الأستاذُ النومُ حتَّى غَطَّ . قال : فوقع في نفسي كيف ينام الأستاذ قبل صلاة العشاء وهو مكروه ، فوالله ما خطر لي ذلك إلا وفتح عينيه قائلاً : كان ﷺ تنام عيناه ولا ينام قلبه ، فاقشعر جلدي وخجلتُ .

ومنها : ما أخبرت به والدته - قدَّس الله سرها وكانت من الصَّالحات - أنَّه

(١) في (ط) « ضميره » والمثبت من (م) .

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة في (م) .

لما مضى له حينٌ من ولادته [شهران]^(١) وغفلت مرة عن قراءة راتبها رفع بسبابته وطعنها طعنة شديدة قائلاً بلسان طلق فصيح : الله الله ، مراراً مشيراً بسبابته وطرفه إلى السماء إشارة إلى تذكيرها ، قالت : بحيث أن الجمال سمع لفظه فعجب غاية العجب وقال : ما شأن هذا الرضيع وكم سنه ؟ فقلت له : هذا ولد مجذوب ، وتجاهلت عليه .

وكان يقول : إني إذا دهمني أمر لا دواء له إلا الالتجاء إلى الله تعالى . ولذا لما عجب بعض أركان الدولة من كثرة توجيهي إلى الحضرة الحرمية مع عظيم المشقة والضعف في بنيتي ، وعظيم المصرف الذي يبلغ كل عام ثلاثة آلاف دينار باعتبار المجاورة ، وقال لي : يا سيدي أما تركوا الإكثار من السفر إلى الحجاز ؟ فقلت له : أنت إذا عرضت لك حاجات في أمر المملكة ماذا تفعل ؟ قال : أسافر إلى باب السلطان لعرضها ، فقلت له : فأنا تعرض لي حاجات فأسافر إلى باب السلطان وهو باب الله تعالى .

وما أحسن قوله في كتابه « نتائج الذكر في حقائق الفكر » في أثناء كلام له : ألا ترى الحداد إذا أدخل حديدة ليحميها في النار لانت بعدما كانت قاسية ، وبرزت محمرة^(٢) اللون بعد أن كانت سوداء مظلمة ، وأضاء نورها ، وقوي إشراقها ، وانقذ شرارها ، فالاستغراق في المذكور بالتخلي عن السوى ، والتجلي بشهود نعوت ذي الجلال والإكرام مستغرقاً فيها ، تذهب أوصاف البشرية ما يكسبه الذاكر من أنوار المعارف القدسية ، فيتبدل وصفه ويتغير حلاه ، وتشرق أنوار علاه ، فهناك تذهب الرسوم ويتجلى الحي القيوم ، وإلى ذلك الإشارة بقولي : [من الكامل]:

أنوارُ ذاتك أشرقَتْ في ذاتي فمحيت عن كوني وكلَّ صفاتي
وخرجت عن كلِّ الوجود حقيقة فجمالُ وجهك فائق اللذاتِ

(١) لم ترد الكلمة في (ط) وما أثبتناه في (م) .

(٢) في (م) : « مجمرة » وما أثبتناه في (ط) .

[ومن شعره أيضاً^(١)] [من البسيط]:

قد كان لي أرب قبل الوصول لكم فمذ تجلّيتم صرنا بلا أرب
أدهشتموني عن الإحساس قاطبة فصرتُ فرداً لكم في سائر الرتب

وهو الذي أفتى بحلية القهوة ، حتى قال في ذلك من أبيات : [من السريع]:

كالبن الخالص في حلّه ما فارقتّه بغير السّواد^(٢)

وله أيضاً فيها هذه الأبيات : [من الطويل]:

أقول لمن قد ضاق بالهم صدره وأصبح من كثر التّشاغل في فكر
عليك بشرب الصّالحين فإنّه شراب طهور سامي الذكر والقدر
فمطبوخ قشر البن قد شاع ذكره عليك به تنجو من الهم في الصّدر
وخل ابن عبد الحق يفتي برأيه وخذا بفتوى من أبي الحسن البكري

واجتمع هو وجدي الشريف عبد الله بن شيخ عند الحرم الشريف وتعانقا ،
 وكان مع الأستاذ ولده صاحب الترجمة ، فطلب له الدّعاء من جدي ، وكان
 والدي مع أبيه حينئذ ، فطلب له مثل ذلك من الشيخ أبي الحسن فاستجاب الله
 دعاءهما في الاثنين وصارا كلاهما آيتين ، ففاق كل منهما في عصره الأقران ،
 وصارا قدوة لأهل الزمان .

وكان مولده سنة تسع وتسعين وثمانمائة ، ولم أطلع على تاريخ وفاته ،
 وهذا هو الذي منعني من أن أترجم له في هذا التّاريخ بالاستقلال ، وإلا فهو
 حريٌّ بذلك ، إذ هو أوجد زمانه علماً وحالاً ومقاماً ومعرفة . رحمه الله .

نعم ؛ مات رضي الله عنه في عشر السّتين بلا خلاف ، فإنه توفي وعمر
 ولده شيخ الإسلام محمد البكري إحدى وعشرون سنة ، ومات المذكور سنة
 ثلاث وتسعين وتسعمائة وعمره نيف وستون سنة فليعلم ، والله أعلم .

(١) مكانه في (م) : « انتهى » .

(٢) لم يستقم وزن الشطر الثاني .

● وخلف الشيخ محمد أولاداً أجّلهم الشيخ زين العابدين ، مشى على طريقة والده في الإملاء والدّرس ، والجود والكرم ، ومحاسن الأخلاق والشيم ، مع الجاه العظيم ، والقبول التّام عند الخاص والعام ، وذكروا عنه كراماتٍ ، ولم يزل كذلك حتى مات في سنة ثلاث عشرة بعد الألف . رحمه الله قتله بعض باشوات مصر ظلماً ، لأنّ الشيخ كان أغلظ له بالقول في بعض الأمور ، فغضب وقتله ، ثم إنّ أهل مصر المحروسة قاموا على ذلك الرّجل وقتلوه . ومن شعره . [من الخفيف]:

دارَ فكري يا ربّ في كلّ خلقك لم أجذ محسناً سواك وحقّقك
فأغثنّي فلئنّني عبدُ ربِّك وتعطف وامنن عليّ برزقك

● وفيها : توفي الشيخ العلامة محمد بن عبد الحقّ العقيلي المالكي بمكة ، وكان قد تربّى في حجر الشيخ الإمام العلامة علي بن محمد البسكري المالكي ، وأخذ عنه وقرأ عليه فهو من أجلّ تلامذته ، ولهذا أوصى إليه وقت وفاته بتربية ولده صاحبنا الشيخ العلامة أحمد [بن علي] ^(١) البسكري ، فأخذ عنه وقرأ عليه حتى برع ، وانتهى إلى ما انتهى إليه رحمه الله آمين . وسمعتُ صاحبنا الشيخ العلامة أحمد بن علي البسكري قال : سمعت شيخنا جمال الدّين محمد بن عبد الحقّ المالكي يقول : إنّ الشيخ الكبير الرّباني العارف بالله محمد بن عراق أرسل إلى الشيخ العلامة أحمد بن عبد الغفار المالكي أن يترك شرب القهوة فيما بين النّاس ، ويشربها في خلوة ، وأن يترك السماع ، وأن يترك لعب الشّطرنج ، فقال له الشيخ أحمد بن عبد الغفار : « أما ما أمرتني به من ترك شرب القهوة فيما بين النّاس وشربها في الخلوة ، فكان الأولى أن تأمرني بعكس ذلك ، وأما ما أمرتني به من ترك السّماع فلا سمع ولا طاعة في ذلك ، وأما ما أمرتني به من ترك لعب الشّطرنج ، فهو حقٌّ وصدقٌ غير أنّي قد ابتليت بهذا الدّاء ، فأسأل الله لي تعجيل الدّواء والسّلام » .

(١) ما بين الحاصرتين زيادة في (ط) .

قلت : وكان تلميذه سيدنا وصاحبنا الشيخ أحمد المذكور من أهل العلم والصلاح ، متبعاً للكتاب والسنة ، سالكاً على نهج السلف الصالح ، مُتَّصِفاً بالعفاف قانعاً بالكفاف لا يرى في أكثر الأوقات إلا مشغولاً بمطالعة أو كتابة مظهراً للجمالة . له جملة مصنفات ، منها : « رسالة في القهوة » مفيدة جداً ، وكان كُفَّ بصره قبل وفاته بقليل ، وكانت وفاته في ليلة السبت ثالث عشر شهر ربيع الثاني سنة تسع بعد الألف بأحمد آباد ، وعمره سبعون سنة رحمه الله . ومن شعره : [من البسيط]:

أقسمت بالله ما حالت مودتكم يوماً ولا حلت عن عهدي وميثاقي
ولا تنفست أنفاساً أرددها إلا وفي ضمنها دمعي وأشواقي
وقد لُسعْتُ بحيات الفراق ولم أجذ لذاتي ترياقاً ولا راقِي
غير الدُّعاء بأن الله يجمعنا في سوحه كرماء من غير عَوَاقِي
ومنه أيضاً في صدر رسالة أرسل بها إلى بعض أصحابه بمكة المشرفة : [من الكامل]:

وحياة من حلَّ الحطيم وزمزمًا والمزوتين ومن بذاك الوادي
ما حلتُ عن حبيكم ولو أنني حاولتُ ذاك لما أطاع فؤادي
ومنه : [من الوافر]:

تدارك أئُها السَّاقِي نُفُوساً ترقّت والهموم إلى التَّراقي
بنغمة شادنٍ توحى يداهُ إلى الأوتار آيات اشتياقي
فَقُمْ نملاً صحائفنا سروراً بشربٍ والتزامٍ واعتناقٍ
ومنه : [من الوافر]:

إذا العشرون من شعبان وافَتْ تهياً للصَّيام وللقيام
ولا تكسل عن الطَّاعات فيه فهذا الوقتُ وقتُ الإغتنام
فشهرُ الصَّوم قد وافاك حقاً بكلِّ المكرماتِ على الدَّوام

ومنه : [من الوافر]:

ألا قولوا لمن قد زاد طَعْناً
سَهَامُ اللَّيْلِ قد قربت مداها
تَيَقُّظٌ من مَنَامِكَ واخشَ منها
وعذواناً ولا يخشى رَقِيبَهُ
تَنَبُّهُ إنها تأتي قَرِيبَهُ
وَحَقُّقٌ إنها تأتي مُصِيبَهُ

ومنه : [من المجتث]:

للهِ مَجْلَسٌ أَنَسٌ
قد تَمَّ حَسْناً وظرفاً
حاوي جميع المحاسن
فانظر إليه وعَايِن

ومنه معارضاً قولَ من قال مدحاً في صحيح البخاري [من المتقارب]:

صحيحُ البخاريِّ لو أنصفوا
فقال رحمه الله : [من المتقارب]:
لما خَطَّ إِلَّا بماءِ الذَّهَبِ
صحيحُ البخاريِّ لو أنصفوا

وما ذاك إِلَّا لضبطِ الأصولِ
وفيه علومُ الوريِّ جمّة
وقد فاقَ فضلاً على غيره
هو البحرُ علماً فإن خضته
فلازمه درساً ولا تبتغي
فقد قال قومٌ لهم خبرةٌ
لدينا وأخرى وفي كلِّ ما
لجامعه رحمةٌ دائماً
وعدُّ الرِّمالِ وماءِ البحارِ
إلى الحُشْرِ والنَّشْرِ والمُلْتَقَى
وناظمها يرتجي دعوةً
وصلِّ إلهي على المصطفى
وآلِ وصحْبِ وأتباعهم
لما خَطَّ إِلَّا بماءِ البَصْرِ
وعدل الرواة بنقلِ الخبرِ
تضمّنها قول خير البشرِ
فأضحى إماماً لكُتُبِ الأثرِ
ظفرت بكنز الهدى والدرِّ
به غيره في المسا والبُكرِ
هو البرء من كلِّ أمرٍ خطرِ
ترجي وتبغي به من وطَرِ
كقطرِ السَّماءِ ورمشِ النظرِ
وعدُّ الطيورِ ونبتِ الشجرِ
بدارِ البقاء وحسن المقَرِ
من الصَّحْبِ بالخير عند النَّظَرِ
ومن نوره فاق ضوء القَمَرِ
ومن جاء من بعدهم في الأثرِ

ومنه تخميس على هذه القصيدة العظيمة ، وهو هذا : [من الكامل]:

يا مَنْ لديه العبد حقاً يخضعُ والروح منه والجوارح تضرعُ
يدعوك عند الكرب فضلاً تدفعُ « يا من يرى ما في الضمير ويسمعُ »
« أنت المعد لكل ما يتوقعُ »

إنني تعبتُ من الذنوب وثقلها هي كالجبال فلا أطيق لنقلها
فأمنن عليّ بمحوها وبغسلها « يا من يرجئ للشدائد كلها »
« يا مَنْ إليه المشتكى والمفزعُ »

يا رب بالفرقان ثمّ بلم يكن هوّن عليّ الحادثات لكي تهنّ
ها عبدك العاصي يحقق لا يظنّ « يا مَنْ خزائن ملكه في قول كنّ »
« أمنن فإنّ الخير عندك أجمعُ »

يا رب طاعاتي إليك قليلةٌ يا رب أوزاري عليّ ثقيلةٌ
مالي ملاذٌ لا ولا لي حيلةٌ « مالي سوى فقري إليك وسيلةٌ »
« وبالاftقار إليك فقري أدفعُ »

كفّ السُّؤال حقيرةً وذليلةً وبضاعةً التقوى لديّ قليلةٌ
وعوائد الإفضال منك جزيلةٌ « مالي سوى قرعي لبابك حيلةٌ »
« فلئن رددت فأنيّ بابٍ أقرعُ »

يا رب عبدك يشتكي من سقمه يارب من يرجو لشدة غمه
إن أنت لم تدفع عظيم ملّمه « فمن الذي أدعو وأهتف باسمه »
« إن كان فضلك عن فقيرك يمنعُ »

يا رب هذا العبدُ أصبح راجياً عفواً عن الماضي وما هو آتياً
وتكون عني في القيامة راضياً « حاشا لجودك أن تقنط عاصياً »
« الفضلُ أجزل والمواهب أوسعُ »

● فائدة : ذكر ابن جماعة وابن عساكر والسّهيلي ، أنّ الأبيات السبعة التي أولها « يا من يرى ما في الضمير ويسمع » في خاصيتها الإجابة ، زاد ابن جماعة ورأى ذلك منقولاً بخط النّووي عن بعض العارفين .

ومنه أيضاً تخميس هذه الأبيات المشهورة البركة . وهو هذا : [من الوافر]:

توسّل بالنبيّ وبالوصيّ وبالحسنين والشّهم الزّكيّ
وكم لله من فضلٍ وفيّ « وكم لله من لطف خفيّ »
« يدقّ خفاه عن فهم الذّكيّ »

إليه توجّهي في كلّ دهرٍ عليه توكلّي في كلّ أمرٍ
فكم من شدّة ذهبت وفقرٍ « وكم يُسرّ أتى من بعد عسرٍ »
« ففرّج كربة القلب الشّجيّ »

فشكراً للذي فلق الصّباحا فكم من أزمةٍ عتّا أزاحا
وكم همّ تعاظم ثم راحا « وكم أمر تساء به صباحا »
« وتأتيك المسرة بالعشيّ »

إلى كم يا جهول تزيد لوماً وما لك لا تفيق الدّهر نوماً
دع الأوطان يا خلّي وقوماً « إذا ضاقت بك الأحوال يوماً »
« فثق بالواحد الفرد العليّ »

إذا ضاق الفضاء وكلّ رخبٍ عليك بكلّ حادثة وخطبٍ
ولم تجد الحبيب وكل صخبٍ « توسل بالنبيّ فكل صعبٍ »
« يهون إذاً توسّل بالنبيّ »

إذا لم تلق بالإخوان منعاً وضاق القلب بالأهوال ذرعاً
توسّل بالنبيّ تنال نفعاً « وبالصدّيق والفاروق جمعاً »
« وذو النّورين والمولى عليّ »

زمانٌ فيه للأعداء أمرٌ وجسمٌ فيه للآلام قهرٌ
فكن يا قلب ثبّأ فيك صبرٌ « ولا تحزن إذا ما ضاق صدرٌ »
« فكم لله من لطف خفيّ »

رويدك يا زمانُ فكم تغنّت فروحي نحو وادي الخيف حتّ
ونفسي نحو خير الرّسل أنّت « عليه صلاة ربّي ما تغنّت »
« حماماتٌ على ورقٍ رويّ »

ومنه تخميس على بيتي شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني :

يا ربّ كم من نعمة أسديتها يا ربّ كم من رحمة أرسلتها
شكراً لفضلك كم ذنوبٍ غفرتها « يا ربّ أعضاء السجود عتقتها »
« من فضلك الوافي وأنت الوافي »

بُشراكِ أعضاء السّجود لك الهنا بالعفو والغفران جاء شرعنا
ولقد عتقت البعض منا ربّنا « والعنق يسري بالغنا يا ذا الغنا »
« فامنن على الفاني بعنق الباقي »

ومنه أيضاً تخميس على هذين البيتين وهما للشيخ عبد المعطي با كثير : [من

البسيط]:

أدعوك يا ربّ في الإصباح والإشراق تمنن علينا من النيران بالإعتاق
وتبسّط الرّزق يا وهّاب يا خلاق « يا مالك المُلْك يا فتّاح يا رزّاق »
« يا من تكفّل لكلّ الخلق بالأرزاق »

فرّج علينا إلهي كلّ أمرٍ ضاق وامنن برزقي وسيع فائض دَفّاق
ياربّ عيشاً هنيئاً صافياً قد راق « ياربّ عطفاً علينا منك بالإشفاق »
« من كلّ هولٍ شديدٍ زائد عوّاق »

وفيه يقول الشيخ الفاضل النّحرير عبد اللّطيف بن محمد الدّبير أديب عصره

وفريد دهره : [من الكامل]:

وإفا الكتابُ من الملاذ البسكري أزرى حلاوته بطعم الشُّكرِ
فغدوتُ من فرحي به ومسرّتي نشوان راح في ثياب تبخترِ
حصلت بذاك^(١) إلى النّسيم مُنوّراً أمنيّة مثل الصّباح المُفسّرِ
يا سيّدي خلّي صديقي قدوتي مُسدي إليّ مواهباً لم تصغرِ

(١) في (ط) : « حصلت به » ولا يستقيم به الوزن .

يا جامعاً للعلم طراً والعلا
أنت الذي خضت العلوم بأسرها
يا وارثاً شرف الفضيلة كابراً
أعني شهاب الدّين من فاق الورى
مذ غبت عني لم أزل لك ذاكراً
هل عطفة يا خلّ منك^(١) برأفة
والله أسأل جمع شمل عاجل
أبقاك ربّي للإفادة دائماً

وللشيخ عبد اللطيف المذكور فيه جملة قصائد ، منها قصيدته التي يقول

فيها : [من البسيط]:

أعني به أحمد المختار سيرته
شهابٌ نجل عليّ البسكري بلداً
قد خصّه بجزيل الفضل خالقه
له بديع بيان في الخطاب يرى
فكم جلا درراً تسمو الذّراري من
أخباره قد أتت في الحال تخبر عن
حديثه الحسنُ العالي روايته

خُلِقاً وخُلِقاً سواه لا يُساويه
المالكي مذهباً من ذا يُساميه
بسرّ طيّ معان في معاليه
وجيز لفظ وقد جلت معانيه
أبيات أفكاره المخصوص من فيه
ماضي ومستقبل من أمرٍ باريه
أعلت لسامعه شأناً وراويّه

ومنها قصيدته التي يقول فيها : [من الكامل]:

شيخُ الزمان البسكري المُقتدي فالله يكفيه الصوارف ما بقي

● وفيها : في ثاني عشر المحرم توفي الشيخ الفاضل العالم المحدث الفقيه

(١) في (ط) : « .. منك يا خل .. » وبه يكسر الوزن ، وما أثبتناه عن (م) .

رحمة الله بن عبد الله السندي الحنفي^(١) نزيل المدينة المشرفة بمكة ودفن بها ، وكان من العلماء العاملين وعباد الله الصالحين رحمه الله تعالى . وطبق بعض الفضلاء تاريخ موته بحساب الجمل : « رحمه الله قد نال مراده » وزاد في العدد اثنان ، وذلك مسامح فيه عند أهل هذا الفن خصوصاً إذا كان التاريخ فيه مناسبة للحال .

قلت : وأحسن من هذا ما اتفق لوالدي رحمه الله ، فإنه ولد له ولد سماه فضل الله ، وجاء تاريخه أيضاً « فضل الله » وهذا من غريب الاتفاقات ولطيف المناسبات .

قيل : ولما فرغوا من دفنه مُطِّروا في تلك الساعة ، وقد أشار صاحبنا الشيخ الفاضل محمد بن الشيخ عبد اللطيف الجامي المكي الشهير بمخدوم زاده إلى هذا في القصيدة التي رثاه بها فقال : [من الخفيف]:

رحمة الله لا تفارقُ مثوى رحمة الله بالحياء والغمام

● وكان له أخ اسمه حميد ، وكان من أهل العلم والصلاح ، حسن الأخلاق ، كثير التواضع ، وافر العقل ، ظاهر الفضل ، جليل القدر ، وحصل له في آخر الأمر جاه عظيم . جاور بمكة المشرفة تسع سنين ، ومات بها سنة تسع بعد الألف ، وقُبر عند أخيه صاحب الترجمة وعمره نحو تسعين سنة . وبالجمل : فإنه كان بقية السلف الصالح رحمه الله .

● وفيها : في ليلة الخامس من المحرم توفي الخان محمد الفخان بن ياقوت الفخان سلطاني ، وكانت ولادته بأحمد آباد في ليلة الخميس خامس شهر صفر سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة ، وكان شاباً صالحاً فاضلاً ، حسن الأخلاق والشيم ، مشهوراً بالسَّخاء والكرم ، وغير ذلك من الصفات الحميدة كالحياء والمروءة والعفاف والتواضع ، مفرطاً في الشجاعة ، وكان محباً لأهل

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠ / ٦٣١) وكذلك ترجمة أخيه التي سترد بعد قليل .

الفضل مقرباً لهم محسناً إليهم مؤلفاً لهم ، حسن العقيدة في الأولياء
والصالحين ، عظيم الرأفة بالفقراء والمساكين ، وزرَ بكجرات وخطوب
بالفخاخ بعد موت أبيه ، فحمدت سيرته ، ودام على ذلك برهة من الزمان ،
ولما استولى السلطان أكبر على كجرات سار معه إلى « أكره » ، وولاه
« كوالير » ثم أضاف إليها « بهار » ، وكان من جملة الأمراء الذين عينهم على
« بنكالة » ، ولم يزل كذلك حتى مات بها رحمه الله .

* * *

سنة أربع وتسعين بعد التسعمائة

● وفي سنة أربع وتسعين : توفي العبد الصالح أتلخان الحبشي مريد سيدي الشيخ الوالد ، وكان مباركاً سليم الصدر ، حسن العقيدة في الأولياء والصالحين ولا سيما في شيخه سيدي الوالد ، فإنه كان فانياً فيه وفي محبته ، باذلاً روحه وماله في مرضاته ، وكان يحفظ له جملة من الكرامات ، وكان يتصرف به ، وكان يكتب للناس التّمام بخطه فتنفع ، وحُكي أنه كان لا يُحسن الكتابة ولا الاستخراج فذكر ذلك لشيخه المذكور ، فقدر عليهما ببركته . وكان حسن الأخلاق ، لئِن الجانب ، متواضعاً ، كثير الصدقة والإحسان ، عفيفاً ، رحمه الله تعالى آمين .

● وفيها : كان جهز السلطان أكبر عسكرياً إلى الدّكن مدداً لبرهان شاه ، فانكسروا ورجعوا .



سنة خمس وتسعين بعد التسعمائة

● وفي سنة خمس وتسعين : أحدث السلطان مراد بن السلطان سليم بن السلطان سليمان على باب الصفا سبيلاً للشرب ، فجعل الشيخ الفاضل علي بن عبد الكبير با حميد الحضرمي أصلاً المكي وطناً لذلك تاريخاً لطيفاً ، ونظمه في أبيات فقال : [من مخرج البسيط]:

أنا سبيل أشاد مجدي	مليك كل الورى مُرادُ
مليك كل الملوك طراً	عُجماً وعُرباً له تُقادُ
فاق على قيصر وكسرى	بعدله قرت البلادُ
بأمنه عز كل قطر	الغور والسهل والنجادُ
مد على الخلق فيض بر	فعاش في فضله العبادُ
صار به لاله جاراً	وجاره الدهر لا يكادُ
يعم كل الأنام نفعاً	كأنه للورى عهدُ
فكان للخلق من نداءه	ماء بأم القرى وزادُ
له من الله سلسيل	وكوثر ماله نفادُ
جاء بلا غاية لمجد	تاريخ بنيانه المُشادُ
« أَسْنِي بالصفا سبيلاً	لله سلطاننا مُرادُ »

* * *

سنة ست وتسعين بعد التسعمائة

● وفي ليلة الخميس تاسع المحرم سنة ست وتسعين : توفي الشريف الفاضل محمد بن الحسين السمرقندي الحسيني^(١) بالمدينة المشرفة ، وكان أهل المدينة إذا أرادوا مكاتبة أحد من الأكابر لا يكتبون ذلك المرسوم إلا بإنشائه ، وكان يعرف كثيراً من اللغات مثل العربية والفارسية والرومية والهندية والحبشية ، ولمات مات أخصيت كتبه فكانت ألفاً وتسعين كتاباً ، ووجدت بخطه هذين البيتين :

روحِي اَتَلَكْتُ بِحَبِّكُمْ فِي الْقَدَمِ مِنْ قَبْلِ وَجُودِهَا فِي الْقَدَمِ^(٢)
مَا يَجْمَلُ بِي مِنْ بَعْدِ عِزِّفَانِكُمْ أَنْ أَنْقُلَ عَنْ طَرَقِ هَوَاكُم قَدَمِي
وذكر أنهما لسَيِّدِي الشَّيْخ عبد القادر الجيلاني قَدَسَ اللهُ رُوحَهُ ، وأنهما إذا قرئا في أذن المصروع أفاق البتة .

واجتمع هو والشَّيْخ عبد الرَّؤُوف الواعظ تجاه الحرم الشَّريف فحصل غيث ، فقال السَّيِّد محمد السَّمرقندي : [من السريع]:
لله يَوْمٌ بَفَنَّا مَكَّةَ تَجَاهَ بَيْتِ اللهِ أَقْصَى الطَّلَبِ
فقال عبد الرَّؤُوف :

مُذْ نَزَلَ الْغَيْثُ عَلَى سَطْحِهِ وَسَالَ مِنْ مِيزَابِهِ وَأَنْسَكَبَ
فقال السَّيِّد محمد :

سُئِلْتُ أَنْ أَفْصَحَ عَنْ كُنْهِهِ قُلْتُ لَجِينٌ قَدْ جَرَى مِنْ ذَهَبِ

(١) ترجمته في «شذرات الذهب» (٦٤٢/١٠) و«الأعلام» (١٠٢/٦) .

(٢) كذا في (م) و(ط) ورواية هذا الشطر في «الشذرات» : «من قبل وجودها وبعد العدم» .

ومن شعره أيضاً هذه القصيدة ، وهي في مدح الشريف أحمد بن سعد الحسيني المدني رئيس الأشراف بالمدينة النبوية وأولها : [من البسيط]:
عزُّ الدِّيارِ بطولِ السَّمرِ والقضبِ والأخذِ بالتَّأرِّ معدودٌ من الحسبِ
ومنها :

هذا بسعدك يا بن الأكرمين أتى وإن أردت فقل سعدي وسعد أبي
● وفيها : في يوم الخميس السَّابع والعشرين في شهر ربيع الأول توفيت السَّيِّدة سلمى بنت سيدي الشَّيخ الوالد رحمهما الله ، وخلفت ستة من الأولاد الذكور ، خمسة منهم أبوهم السَّيِّد محمد بن الشَّيخ أحمد بن حسين العيدروس ، وهم : حسين وعليّ وعبد الرحمن وأبو بكر وعليّ ، والسَّادس أبوه الهادي بن عبد الرحمن بن شهاب با عليّ ، واسمه أحمد ، أصلحهم الله بما أصلح به آباءهم العارفين ، ورزقهم ما رزق أولياءهم المقربين .

● وفيها : في عصر يوم الأربعاء رابع شهر شعبان توفي الشَّيخ الإمام والحبر الهمام الرَّحالة المحقق المُعَمَّر العلامة جمال الدِّين محمد بن الصَّدِّيق الخاص الحنفي الزَّبيدي^(١) ، ودفن صبيحة الخميس بباب سِهام وعمره نحو الثَّسعين ، وكان من كبار علماء زَبيد ، وأعيان المدرسين بها ، وبقية المفتين على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة بقطر اليمن .

وبالجملة : فإنَّه كانَ ليس له نظيرٌ في زمانه ، ولم يخلف بعده مثله ، وكان الباشوات فمن دونهم يعظمونه جداً ، ويقبلون كلامه ولا يردون شفاعته غالباً .
رحمه الله تعالى .

● وفيها : وقعت الزَّلْزلة بالمدينة الشَّريفة ، فقال بعض الفضلاء من أهل مكَّة في ذلك : [من المتقارب]:

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠ / ٦٤٣) .

إِذَا زُلْزِلَتْ أَرْضُ خَيْرِ الْوَرَى فَزُلْزِلَتْ الْأَرْضُ زُلْزَالَهَا
فَشَمَّرَ عَنْ سَاقِهِ عَارِفٌ وَقَالَ عَنِي ذُو النَّهْيِ مَا لَهَا

● وفيها : خُلِعَ مرتضى نظام شاه في يوم سادس عشر شهر رجب ، ومات
بعد ثلاثة أيام من خلعه ، ثم تسلطن ولده حسين عشرة أشهر ، وقُتِلَ يوم سادس
عشر جمادى الأولى قتله الخراسانيون ، ثم تسلطن بعده إسماعيل بن برهان
شاه ، فحكم إسماعيل سنتين وشهرين ، ثم خُلِعَ بوصول أبيه برهان .

* * *

سنة سبع وتسعين بعد التسعمائة

● وفي سنة سبع وتسعين : توفيت الولية الصّالحة السيّدة الخيرة فاطمة بنت السيّد ، وزوجة السيّد ، وأم السّادات ، بنت الشيخ عبد الرّحمن بن علي ، زوجة سيّدي الشيخ الوالد ، وأم أولاده الكبار ، وكانت من العابدات الصّالحات ، وحُكي عنها كثير من الكرامات ، ويكفيها أنّه يصدق فيها ما قيل في بنت الشيخ عمر المِخْضَار : بنت القطب ، وزوجة القطب ، وأم القطب .

قلت : وبنت الشيخ عمر المذكور لم يكن لها أحد من الإخوة ، وأما هذه فأخوها الشيخ الكبير شهاب الدّين بن عبد الرّحمن ، وقد قيل فيه : إنّهُ قطبٌ ، فتكون أخت القطب أيضاً . وهذه والله هي المناقب التي لا تُدرك بدون المواهب ، فهنيئاً مريئاً لها ذلك ، وطوبى ثم طوبى حينئذٍ أنّها كذلك ، رحمها الله تعالى .

وكنّت التمسّت من ولدها أخي السيّد عبد الله أن يطلب لي منها الدّعاء ، فأخبر أنها تلفّظت عند ذلك - والحمد لله - بالفاظ تشعر بمزيد الاعتناء وكمال السّعادة بحضور الولي الكبير والعارف الشّهير السيد الجليل جمال الدّين محمد بن عقيل با علوي ، أرجو من الله تعالى ثمرة ذلك ، وما ذلك على الله بعزيز .

● وفيها : سافرت من أحمد آباد إلى بروج وأقمتُ بها سنة وشهرين ، وكتبَ إليّ الشيخُ محمّد بن عبد اللّطيف الشّهير بمخدوم زاده في صدر مكتب : [من الخفيف]:

مُذْ قدمتُم لبروج وحلّلتُم برُباها غارت جميع النّواحي

فإذا أرض سورت في اغتباط لم تزل مثل غيرها في نواح
وكتب أيضاً : [من الخفيف]:

أنت شمسٌ وبروج لك برجٌ وكذا الشمسُ في أبراجها تتنقل^(١)
فعسى سورة بنورك تحظى وعلى خلقك العظيم المعول

● وفيها : وقع الشُّروع في عمارة قبة ضريح سيدي الشيخ الوالد شيخ بن
عبد الله بن شيخ بن الشيخ عبد الله العيدروس با علوي ، ووضع أول لبنة فيها
صبيحة يوم الثلاثاء ثامن عشر جمادى الأولى .

● وفيها : في رجب الفرد^(٢) فرغتُ من تصنيف كتابي « الفتوحات
القدوسية في الخرقه العيدروسية » ، ووافق تاريخ ذلك العام بحساب الجمل
عدد حروف « لبس خرقه » وكان جعل هذا التاريخ صاحبنا العلامة جمال الدين
محمد بن الشيخ عبد اللطيف الجامي المكي الشهير بمخدوم زاده ، قال : ولما
كان موضوع هذا الكتاب الشريف والتأليف المنيف هو لبس الخرقه أتى تاريخ
ذلك « لبس خرقه » ، وقل أن يتفق مثل هذا التاريخ ، لكن سر نفس العيدروس
سرى فأثر ، وعلى مثلهم مثل هذا لا يستكثر ولا يستنكر ، وقد نظمت التاريخ
وهو هذا : [من الوافر]:

لمن حُلِّلُ الكرامة مستحقَّة	لمن أَدَى لِباس الفقر حقَّة
لمحيي الدين نجل شريف شيخ	ومن حلَّى بدرَّ اللَّفظ نُطقه
سليل العيدروس أباً وأماً	ومن بدر السعود أنار أفقه
تفقه في العلوم صغير سنٍّ	لقد نال السَّعادة مَنْ تَفَقَّه
جاءه الله علماً من لدنه	بلا كدٍّ أتاه ولا مشقه
فيا لك عالم علم إمام	له في العلم تحقيقٌ ودقه

(١) الشطر الثاني مختل الوزن .

(٢) في (م) : « الحرام » وما أثبتناه في (ط) وكلاهما صحيح .

وتأليف له كالبحر وافا
لما قد نال من خلقٍ وحلمٍ
فصدّق ما أقول بلا نزاعٍ
ولما كان ذا التأليف فيمن
فلا عجبٌ ولا بدعٌ إذا ما
أبان به لدى الفضلاء حذقه
له الأحرار قد أضحت أرقه
فقد أبدى لك الرحمن صدقه
تشرف في الأنام بلبس خرقه
أتى تاريخ ذلك « لبس خرقه »

قلت : وعارض هذه القصيدة المباركة صاحبنا الشيخ العلامة شهاب الدين
أحمد بن علي البسكري المالكي رحمه الله تعالى : [من الوافر]:

تبسم فاتني يوماً ببرقه
وحيرني وصيرني ذليلاً
فقلت له ترفق بي وسزبي
ولا تمنع عُيذك من وصالٍ
فألوى معرضاً بيدي دلالاً
يواصل صده في كل حينٍ
فلما أن تمادى في صدودي
وصرت مولهاً صباً كئيباً
ثبثت عنان شكوائني إلى من
إمام العصر قطب الوقت حقاً
هو الحبر الإمام ونجل شيخ
هو الفخر المعظم من تحلى
مُرقي السالكين إلى مقام
رعاه الله ما أحلا وأغلا
فعاينه بتصنيف عظيمٍ
لقد حلّى المجالس حين تقرا
لقوم قد علّوا عزاً وشأناً
فذابت مهجتي وازددت عشقه
وأشعل في الفؤاد قيد حرقة
طريق اللاء قد أضحوا أرقه
ولا تقطع بفضلك قط رزقه
على من زاد من جفنيه دقّه
ويمنع رفده وكذلك نُطقه
وأدمى مقتلتي والعظم دقه
حزين القلب من بُعد وشقه
جاءه الله مغربه وشرقه
وأعلمه وأفضله وأفقّه
ومن نال العلوم بلا مشقه
بكل المكرمات وحاز سبقه
بأدنى نظرة منه وحدقه
جواهره وهذا الدرّ نُطقه
يُسمّى الفتحة في لباس خرقه
جواهره بلطف ثم رقه
بهم يسقي الرحيم الله خلقه

به أبدى كرامات عظام
 لذا قد قال ربك الفضل قبلي
 وضابط عامه والوصف قد جا
 فلا زالت دراريه توالى
 وعبدك أحمدٌ يرجو دواماً
 لكم ولآلكم بين البرايا
 بحق محمد ما نار بدر
 كذاك الآل والأصحاب طراً
 وسطرها بمعرفة ودقة
 أبان به لدى الفضلاء حذقة
 بقوليه الكثير النفع فافقه
 علينا سزمدأ ما نال^(١) أفقه
 له وذويه لا ينفك عتقه
 ويحميه من الأسوا ورفقه
 وما لمعت بذاك الخيف بزقه
 وما ظهر السحاب وجاد ودقه

* * *

(١) في (م) : « . . . زار » وما أثبتناه في (ط) .

سنة ثمان وتسعين بعد التسعمائة

● وفي يوم الأربعاء سابع عشر شهر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين : توفي الوليُّ السعيد الشريف العلامة ذو الولاية والإمامة ، الحافظ الضابط ، مسند الدنيا ، مالك أزمة الشرف العليا ، محدث الديار اليمنية وفقهها بإجماع البرية الطاهر بن الحسين بن عبد الرحمن الأهدل^(١) جمال الدين بركة المسلمين مفيد الطالبين ، وصلي عليه بمسجد الأشاعر بعد صلاة العصر ، ودُفن بمقبرة أهله بباب سهام قريباً من مشهد الشيخ الصياد .

وُلِدَ سنة أربع عشرة وتسعمائة بقرية المراوغة ، وبها نشأ وتعلّم القرآن ، وقرأ على إمام جامعها الشيخ الصالح الفاضل العلامة فخر الدين أبي بكر المعلم علوم النحو والحساب والفقه وغير ذلك وبه تخرّج ، ثم انتقل إلى مدينة زبيد ، ولازم شيخ الإسلام وعلامة الأنام الحافظ أبا الضياء عبد الرحمن بن علي الدّيّيع الشيباني ، فقرأ عليه وانتفع به انتفاعاً رقي به إلى درجة الكمال وساد على الأمثال ، وله مشايخ كثيرة في الحديث وغيره ، منهم : العلامة شيخ الإسلام أبو العباس الطّبنذائي ، ومولانا علامة الدهر وواحد العصر الشيخ وحيد الدين عبد الرحمن بن زياد ، والسّيّد الشريف العلامة عبد المحسن ابن السيّد الأهدل ، والشيخ إمام المحققين وأستاذ المحدثين شيخ الطريقة وإمام الحقيقة وجيه الدين بركة المسلمين عبد الرحمن بن إبراهيم العلوي ، وقرأ على الأستاذ مفتي المسلمين محقق عصره المولى برهان الدين إبراهيم بن أبي القاسم مطير ، وأجاز له ، وأخذ على العلامة الفقيه الفهامة الشيخ شرف الدين أبي القاسم بن الطاهر بن جعمان ، وأجاز له أيضاً ، وعلى جماعة آخرين من آل جعمان وغيرهم ، وكل ممن تقدم ذكره أيضاً أجاز له ، وارتحل إلى مكة

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠ / ٦٤٦) و « معجم المؤلفين » (٥ / ٣٤-٣٥) .

المشرفة وجاور فيها ، واجتمع فيها بجماعة من العلماء ، مثل شيخ الإسلام أبي الحسن البكري وقرأ عليه ، والشيخ الحافظ الأستاذ أبي السعادات المالكي وأخذ عليه ، وغير هؤلاء من المشايخ . ثم إنه انفرد بعد شيخه ابن الدنيّ برئاسة تدريس الحديث ، واتحد بسؤدد هذا العلم ، وأخذ عليه خلق كثير ، ورحل إليه للأخذ عنه من كلّ جهة من الأقطار .

أخذ عنه جمع كثير من البلد وغيرها ، فمنهم : العلامة الحافظ الفقيه الفهامة شيخنا محيي الدّين عبد القادر بن أبي الفتح البزاز الشافعي ، والسيد العلامة الفقيه الأصولي المحدث محمد بن عبد الرحمن بن عبد الحفيظ بن عمر البزاز الشافعي ، والشيخ العلامة الأستاذ المفضن مفتي المسلمين الصّدّيق بن الشيخ محمد الخاص الحنفي ، والشيخ الفقيه الأديب النبيه مفتي الحنفية محمد بن أحمد الصّابوني ، والشيخ العالم العامل الفاضل الكامل مفتي الإسلام شيخنا برهان الدّين إبراهيم بن محمد بن جَعمان ، وشيخنا الفقيه ابن الفقيه العلامة المفتي محمد بن الوليّ المقرب عبد الرحمن بن الفقيه شيخ الإسلام أحمد بن موسى الضجاعي ، والقاضي العلامة الأديب الفهامة الرئيس النفيس أمين الدّين بن القاضي عبد العليم الأحمر الشافعي كاتب الخزانة السلطانية بالمملكة اليمانية ، والشيخ الفقيه الأديب العالم الأستاذ الصّوفي عبد الله بن محمد المشرع ، وخلق كثير من الطلبة . وتخرج به ابن ابنه العلامة السيد الشريف الحسين بن أبي بكر بن الطاهر وهو من النجباء أبقاه الله ، وهو بحمد الله تعالى مستمر إلى الآن على قراءة البخاري بمسجد جدّه عبد الرحمن بن حسين الأهدل على سيدي الشيخ العلامة الصّدّيق الخاص مدة شهر رجب وشهر رمضان كلّ سنة على ما كان زمان السيّد الطاهر المذكور من الفقهاء المحدثين الحفاظ .

وفقه الله وأدام النفع به وحفظ به هذا البيت ، فإنه لا يخلو من قديم الزّمان من ثلاثة أقسام : فقيه ومحدّث ومحدّث . وقد ذكر صاحبنا الأديب الفاضل حسين بن عبد الباقي الزّاهر الزبيدي هذه الأقسام في قصيدته التي امتدح بها سيدي الشيخ القطب الزباني علي بن عمر الأهدل حين زار ضريحه سنة أربع

وتسعين وتسعمائة وأولها : [من مجزوء الرجز]:

ما لاح برق القليل إلا وأجرى مقلبي
وشاقني بحيرة على الكثيب الأهلي
والآيات المشار إليها قوله :

فهو أبو الآباء خيد ر منجب ومنسل
وهو أبو الأشبال حيد اقبره كل ولي
أولاده الزهر بهم يذفع كل مغضل
فهم فريقان وجم عهم من الفرق خلي
كم كم محدث فقي ه أو محدث ولي
كم فيهم من قطب كم فيهم من بدل
وهي طويلة .

وبالجملة : فكان المترجم له أوحده عصره علماً وصلاً ومعرفة تامة ، ذا حفظ وإتقان وضبط ومعرفة بأسماء الرجال وجميع علم الحديث ، عمي آخر عمره بعد أن حصل بخطه كتباً كثيرة ، وصنف واختصر « شرح دعاء أبي حربة » تصنيف جدّه حسين بن عبد الرحمن اختصاراً حسناً نافعاً في نحو خمس وعشرين كُراساً خلصه مما كان فيه من الإنكارات على أهل الله الصوفية ، وسماه « مطالب أهل القربة في شرح دعاء الولي أبي حربة » .

وقرض على الكتاب المذكور العلامة برهان الدّين إبراهيم بن أبي القاسم مطير ، وقال مخاطباً للمؤلف : [من البسيط]:

أحسن في طي ما طالت مسافته طي السّجل فلم ينقص بلى زادا
جزاك ذو العرش خيرات شملن أباً وأصلهم ثم أولاداً وأحفاداً
وكتب عليه عمر بن عبد الوهاب النّاشري : [من الطويل]:

تأملت مصباح المطالب مرّة فهان محيط الكشف في نقطة القرب

مدارك عرفان همت بمعارف على عارفيها مثل مهمل السحب^(١)
فشكراً لمن آتاك ذوقاً وحكمةً وفصلَ خطابٍ يفصل الأمر في الخطبِ
ورثاء صاحبنا الأديب حسين الزاهر بقصيدة على روي بيت الرسالة
القشيرية : [من الكامل]:

أما الخيام فإنها كخيامهم وأرى نساء الحيّ غير نسائها
وأول المراثية : [من الكامل]:
ما للنفوس تتيه في غلوائها لم يُثْنِها التّقرُّيعُ عن أهوائها
وهي طويلة .

أعاد الله علينا من بركته وبركة تبلغه وعلى المسلمين أجمعين ، ورحمه
رحمة الأبرار .

وكتبَ إليه صاحبنا الفقيه أحمد بن محمد با جابر يطلب منه الإجازة في علم
الحديث خصوصاً صحيح البخاري ، وذلك بعد أن قرأ عليه نبذةً من أوله بهذه
الآبيات : [من السريع]:

يا نائر الدرّ على مسمعي	بحضرة الأنجاء في مجمع
وحافظ العصر ونحريه	الفاضل الجهبذ واللّوذهي
السَّيِّدُ الطَّاهِرُ أَزْكَى الْوَرَى	نجلُ الحسين الأروع الأورع
اسمع مقالاً راقٍ في اللفظ وال	معنى وشاق الأنجب الألمعي
الجابري الزائر مستمسكاً	بهذه الآثار والأربع
فقد قرأ الجامع مستأنساً	بسوحك المخضر والممرع
وقصده المعظم من فضلكم	إجازة تحلو على المسمع
بما لكم في ذاك من مسند	عن كلّ حُبِرٍ مفصح مصقع
وما رويتم مسنداً عالياً	عن الإمام الحافظ الدّيّيع

(١) في (م) «... منهمل السحب» .

وما أخذتم عنه من نثره ونظّمه المعجب والمبدع
أبقاك ربّ العرش^(١) في نعمة دائمة في جانب أرفع
ما غنّت الوزقاء في روضة ولعلّغ الرّعد على لعلّ

فأجابه بإجازة بخط العلامة الفقيه عبد الله بن محمد المشرع أجلّ تلامذته .

قال الفقيه أحمد : أنشدني شيخنا الطاهر مسند البخاري ومسند مسلم في
هذه الأبيات حال قراءتي عليه البخاري :

لنا مسندٌ عالٍ سماعاً [ونسبةً]^(٢) إلى الحافظ الحبر البخاريّ مسعدي
فجامعه يروي عن الزّين شيخنا عن العلوي البخاري أخي الرّشد^(٣)
عن العرولي وهو موسى فتى مروي عن المسند الحجار أحمد ذي السّعد
عن ابن الزّبيدي عن أبي الوقت شيخه عن الدّاودي عن ابن حموية الفرد
عن المسند الحبر الفربريّ وهو عن إمام الوري الثّبت البخاريّ ذي النّقد
ومسلم يرويه عن الزّين شيخنا عن الجزري شمس الهدى بصالح القصد
عن المتقن العدل الشّهابيّ ذاك عن إمام الهدى الشمس ابن قّمّاح المهدي
عن الواسطي ابراهيم الثّبت وهو عن أبي الفتح منصور الفراوي عن الجهدي
عن الفارسيّ المرتضى عبد غافر عن ابن الجلودي اضمم له الجيم تستهدي
عن ابن لسفيان الفقيه الذي روا ه عن مسلم فاحفظه إن كنت ذا جهد

وقد كنْتُ طلبت من الفقيه أحمد رحمه الله أن يخبرني بهذا السند فامتنع
عليّ تأدباً معي ، ثم أجازني والله الحمد ، وطلب مني أن أجيزه بسندي إلى
جامع الصحيح ففعلت ، وكتبت له ذلك مع الإجازة بلبس الخرقه والإجازة
بمصنفاتي ومصنفات والذي وسائر رواياتي . ولا بأس أن أذكر هنا إسنادي

(١) تصحف في (ط) إلى : « العرض » .

(٢) سقطت هذه اللفظة من (م) .

(٣) رواية الشطر الثاني من البيت في (م) « عن العلومي الثبت أخي الرشد » .

المتصل إلى الإمام البخاري رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا به في الدارين آمين .

تتميماً للفائدة فأقول : أخبرني الشيخ الإمام المسند المعمر عبد المعطي بن حسن بن الشيخ الإمام عبد الله با كثير قال : أخبرني به شيخ الإسلام مجدد الدّين خاتمة العلماء والمسند ابن أبي^(١) يحيى زين الدّين زكريا بن محمد بن أحمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري المصري الشافعي قال : أخبرنا به حافظ العصر وعلامة الدّهر أبو الفضل شهاب الدّين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ثم المصري الشافعي قال : أخبرنا به النّجم أبو محمد عبد الرّحيم بن عبد الوهاب الحموي المصري قال : أخبرنا به الصّلاح أبو علي محمد بن محمد الزّفتاوي المصري قال : أخبرنا به الشيخ المسند المعمر ملحق الأحفاد بالأجداد أبو العباس شهاب الدّين أحمد بن أبي طالب الحجّار قال : أخبرنا به أبو الحسن علي بن أبي بكر بن روضة القلانسي قال : أخبرنا به أبو الوقت عبد الأول بن عيسى السّجزي^(٢) الهروي قال : أخبرنا به أبو الحسن عبد الرحمن بن المظفر الدّاودي قال : أخبرنا به أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه السّرخسي قال : أخبرنا به أبو عبد الله محمد بن يوسف الفربري قال : أخبرنا به مؤلفه الحافظ الحجة إمام المحدثين أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري سماعاً عليه مرتين مرة بفربر ومرة ببخارى ، فذكره ، ولما وفقني الله تعالى - وله الحمد - من بين أهل زماني لخدمة هذا الكتاب الشّريف الذي ما له في فضله ثاني ، فقرئ بحمد الله تعالى على يدي مراراً عديدة في أوقات مباركة ومجالس سعيدة ، واتخذت ذلك دأبي على مرّ الشّهور والسّنين ، وبلغ عدد القراءة إلى تاريخ الآن فوق الأربعين ، وشاع ذلك في التّهائم والنّجود ،

(١) في (م) و (ط) : « ابن أبو . . » .

(٢) في (ط) : « السبخري » وهو تحريف ، وصوابه في (م) وهذه النسبة إلى « سجستان » على غير القياس كما قال ابن ماكولا . انظر « أنساب السمعاني » (٧ / ٣٤ ، ٧٤) .

وسارت بذكره الرفاق والوفود ، حتى قال بعضهم من قصيدة امتدحني بها : [من الكامل]:

كم مسلم^(١) يروي صحاح حديثه وعليه كم ختموا^(٢) صحيح بخاري
وقال الآخر : [من الكامل]:

هذا البخاري لم يزل تاليه في بدء وختم في مقامك شادي
يرويه عنك عن الذين رويته عنهم بصحة مقتضى الإسناد
فاشكر إله العرش جل ثناؤه لقد اصطفاك فأنت أي مراد

وأنشد فضلاء العصر في ذلك القصائد البديعة والخطب البليغة ، ومن ذلك قصيدة الأديب الفاضل الناظم الناصر العلامة حسين بن عبد الباقي الزاهر الزبيدي وأرسلها إلى الهند من زبيد المحروسة ، كان الله له أمين أمين أمين : [من البسيط]:

كأس ^(٣) الحديث عن الأحباب معسول	أطلق مسلسله فالشمل مشمول
وهاه عن ساكني الجرعاء لي خبراً	إسناده ما لقلبي عنه تحويل
عمري لقد لذ في سمعي مكرره	وكل شيء على التكرار مملول
شئب لسمعي بناء عن مواصليتي	وارفع حديثك عنه فهو موصول
فطالما وصل العذال من طرق	إسناده عذل لسمعي وهو معلول
قالوا نرى الحب قد أوهاك قلت لهم	ذا الضعف عند حبيب القلب مقبول
يا فارغي القلب لي عن لومكم شغل	هل يستوي فارغ منا ومشغول ؟
لساكني الجزع من وادي العقيق جرى	من مطلب العين كنز كله لولو
وشهب دمعي حمراً في الخدود جرت	وطرف طرفي بقيد النجم مشكول
لكن مسانيد أخباري سترفعها	نصاً حسان صحيحات مراسيل
سأمتطي في الفلا هوجاً مشرفة	فيها على الأين إرقال وتبغيل

(١) تحرفت في (ط) إلى : « مسلسل » .

(٢) سقطت هذه اللفظة من (ط) .

(٣) في (م) : « كان » وهو تحريف .

خفيفة الروح لكن في مسامعها
 لم تكتحل بمنام في فراسخها
 يا لهفَ نفسي ضاع العمر في لعب
 وواعظ الشيب فوق الرأس قال أفق
 إلامَ يا نفس لا تلوي العنان عن الـ
 لوذي بباب رسول الله واعتذري
 جاء الرسول عظيم عند خالقه
 أعطي مقاماً شريفاً دونه وقفت
 روح من الفيض منشاء يقوم به
 ما كان في ملاء إلا ولاح به
 فكم تنقل من صلب إلى رحم
 وكم لقسّ وشقّ من سطيح^(٢) به
 وانشق إيوان كسرى عند مولده
 وناره خمدت من بعد ما عُبدت
 ونكس الله أصنام الطغام لدى الـ
 وباءت اللات والعزى بذلتها

وقرّ إذا قال حادي عيسنا قِيلُوا
 حتّى يلوح لها من طيبة ميل
 وليس عندي إلا القال والقيّل
 إلى متى أنت باللذات مشغول؟
 عصيان غرّك من ذي البطش تمهيل^(١)
 فالعذر عند رسول الله مقبول
 به تهون على الخلق التهاويل
 رسلُ الإله وروح القدس جبريل
 من مطلق الثور تقويم وتشكيل
 لمظهر الحق بين الخلق تعديل
 حتى انتهى لأبيه الطول والطول
 بشائر وتخايف وتأويل
 وانحط عن رأسه تاج وإكليل
 لها قرون وجيل بعده جيل
 بيت الحرام وعرش الشّرك مثلول
 ونالها بعد ذاك العزّ تذليل

(١) في (ط): «... تهيل؟» وما أثبتناه في (م) وهو الصواب.

(٢) هو قس بن ساعدة الإيادي توفي نحو (٢٣ ق. هـ). انظر ترجمته في «المعمرون» ص (٨٨) و «البيان والتبيين» (٥٣/١، ٣٠٨) و «الأغاني» (٢٤٦/١٥) و «نهاية الأرب» للنويري (١٢٠/٢) و «الأعلام» (١٩٦/٥) وغيرها، وشقّ، هو الكاهن البجلي الأنماري الأزدي، جاهلي، من عجائب المخلوقات، وهو من معاصري سطيح، ترجمته في «عجائب المخلوقات» ص (٣١٠) و «بلوغ الأرب» (٢٨١-٢٧٨/٣) و «الأعلام» (١٧٠/٣) وسطيح، هو ربيع بن ربيعة، من بني مازن، من الأزدي كاهن جاهلي، توفي (٥٢ ق. هـ) ذكره ابن إسحاق في «السيرة النبوية» (١٨١٥/١) وذكر ما روي عنه وعن شقّ من بشارات بقدم النبي ﷺ. وانظر ترجمته في «الأعلام» (١٤/٣).

رَدَّ إِلَهِ بِهِ عَنْ بَيْتِهِ فَرَقَا
فَلَا وَرَبِّكَ مَا بَرَّوَا وَلَا ثَبَتُوا
وَكَمْ لَهُ مُعْجَزَاتٍ كَالشُّمُوسِ سَنَا
لَا حَدَّ يَحْصُرُهَا لَا عَدَّ يَضْبِطُهَا
مَا مَسَّ بِالْكَفِّ ذَا دَاءٍ أَضَرَّ بِهِ
وَمَنْ يَسِيرُ سَقَى جَيْشًا وَأَطْعَمَهُ
وَالْعُودُ أَوْرَقٌ وَالْعَرَجُونَ فِي يَدِهِ
وَالْبَدْرُ شَقٌّ لَهُ نَصْفَيْنِ أَيُّ بَمْنَى
بِهِ شَرَائِعُ كُلِّ الرِّسْلِ قَدْ نُسِخَتْ
لِذَاكَ لَوْ عَاشَ مُوسَى لَمْ يَسْعَهُ سِوَى
بِخَاتِمِ الرِّسْلِ صَرْنَا أُمَّةً وَسطاً
وَفِي الْقِيَامَةِ مِنْ نُورِ الْوُضُوءِ لَنَا
كِتَابُنَا أَحْكَمْتَ آيَاتِهِ فَكَذَا
هُوَ الْقَدِيمُ فَلَا يُبْلَى مُحَاسِنُهُ
أَخْبَارُ مَنْ قَبَلْنَا فِيهِ مُحَرَّرَةٌ
بِهِ الرِّسُولُ تَحْدَى كُلِّ ذِي لِسَنِ
هَلْ بَعَثَ أَحْمَدٌ إِلَّا رَحْمَةً شَمِلَتْ ؟
لَنَا عَنِ الْبُوقِ وَالنَّاقُوسِ أَيُّ غَنَى
وَمَزَّقَ اللَّهُ جَيْشَ الْمَلْحِدِينَ بِهِ
بَسِيفِهِ دَمَّرَ الْأَعْدَا فَلَمْ يَقْهَمْ
وَقَدْ أُمِّدَ بِصَحْبٍ كَالْتَّجُومِ هُمُ الشُّ

وَافَتِهِ يَقْدُمُهَا فِي سِيرِهَا الْفِيلُ
وَصَرَّعَتْهُمْ عَلَى الْأَرْضِ الْأَبَابِيلُ
بِهَا لِإِشْرَاقِ وَجْهِ الْحَقِّ تَهْلِيلُ
وَلَيْسَ يَجْهَلُهَا إِلَّا الْمَجَاهِيلُ
إِلَّا وَزَنَدُ يَمِينِ الدَّاءِ مَشْلُولُ
وَفَاضَ مِنْ بَعْدِ مَشْرُوبٍ وَمَأْكُولُ
« مَهْنَدٌ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ مَسْلُولُ » (١)
وَأَشْهَدُ النَّاسَ طَهَ وَهُوَ مُجْذُولُ
وَمَا لَشَرْعَتِهِ نَسْخٌ وَتَبْدِيلُ
إِتْبَاعُهُ عَنْهُ هَذَا الْقَوْلُ مَنَقُولُ
لَنَا عَلَى الْأُمَمِ الْمَاضِينَ تَفْضِيلُ
دُونَ الْوَرَى غُرَّرُ زَهْرٌ وَتَحْجِيلُ
لِسَانِ كُلِّ بَلِيغٍ عَنْهُ مَسْلُولُ
مَرُّ الْجَدِيدِينَ دَعَا مَا قَالَ ضَلِيلُ
وَفِيهِ لِلذِّينِ تَفْرِيعٌ وَتَأْصِيلُ
وَهَلْ تَقُومُ مَعَ الْحَقِّ الْأَبَاطِيلُ
وَزَلَّهَا أَبْدَا فِيهِ لَنَا طَوْلُ
إِذَا جَاءَ أَذَانٌ وَتَكْبِيرٌ وَتَهْلِيلُ
وَكُلُّ مَنْ حَجَّهِ الْإِسْلَامُ مَخْذُولُ
مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ فِي الْهَيْجَا سَرَابِيلُ
غُرُّ الْمَغَاوِيرِ وَالصَّيْدِ الْبَهَائِلُ (٢)

(١) تَضْمِينُ مِنْ لَامِيَةِ كَعْبِ بْنِ زَهِيرٍ « بَانَتْ سَعَادٌ » انْظُرْ : « شَرْحُ دِيْوَانِ كَعْبِ بْنِ زَهِيرٍ » ص

(٢٣) طَبْعَةُ دَارِ الْكُتُبِ الْمِصْرِيَّةِ .

(٢) السَّعَرُ : مِنْ سَعَرَ النَّارَ وَالْحَرْبَ : أَوْقَدَهَا . وَالصَّيْدُ جَمْعُ الْأَصِيدِ ، وَأَصْلُهُ الْمَائِلُ الْعَتَقُ =

همُ اللَّيْوثُ العَبُوسُ الشَّوسُ ليس لهم
وبالملائك والرَّعب العظيم على
يا سيّدي يا رسولَ الله خُذْ بيدي
يا أَصْدَقَ النَّاطِقِينَ الصّادِقِينَ لَدَى
يا مَنْ علا ورقى السَّبْعَ الطُّبَاقِ إِلَى
كَقَابِ قَوْسِينَ أَدْنَاهُ وَكَلَّمَهُ
وهذه رتبة ما نالها ملكُ
هذا حديثك يا فَتَحَ الوجود^(٣) قرأ
ألفاظه كريبعٍ زاهرٍ أنقى
به المعاجم تزهو والجوامع في
وفي صحيح البخاري غنية لك يا
الحافظُ الثَّقةُ العدلُ الخبيرُ بإجـ
فانظمه يارب مع خير الورى فله
وقد سمعناه من لفظ الخبير به
حتى ختمناه يا ختمَ المقام فَسَلْ
واشفع لنا ولقاريننا ومُقرئنا

سوى القنا السُّمْرِ أو بيض الطُّبَا غِيلُ^(١)
شهر^(٢) وللريح في الأعداء تنكيلُ
فلي عليك غداً في الحشر تعويلُ
قول وفعل ويا مَنْ قيله القيلُ
مقام قُربٍ تناءى عنه جبريلُ
مولاه في حيث لا أين وتمثيلُ
أو مرسلُ حبله بالله موصولُ
ناه ومسكُ الختام اليوم تكميلُ
زاهٍ بهتان ماء المُنزن مطلولُ
عقود أبوابها منه قناديلُ
مَنْ سرّ فكرته كالسَّيفِ^(٤) مصقولُ
ماع الثقات صدوق القول مقبولُ
قلبُ بسّته البيضاء مشغولُ
قراءة زانها في الجمع ترتيلُ
حُسنَ الختام لنا فالفضلُ مبذولُ
والسامعين ففيك الخير مأمولُ

= الذي لا يستطيع الالتفات من داء ألم به ، ثم استعير للزهو والتكبر ولكل ذي حول وطول من
ذوي السلطان ، وانظر « المعجم الوسيط » (صيد) . والبهايل : جمع بُهلُول وهو :
العزیز الجامع لكل خير ، وهو الحييُّ الكريم أيضاً .

(١) الشَّوس جمع الأشوس الذي يُعرَفُ في نظره الغضب ، وقيل : الجريء على القتال ،
الشديد . والطُّبَا : جمع طُبّه السيف ، وهو طرفه وحده . والغيل : أراد أسدَ غيل ، فحذف
المضاف وأقام المضاف إليه ، وانظر « اللسان » (غيل) .

(٢) تحرفت في (ط) إلى : « شهير » .

(٣) في (ط) : « الجواد » .

(٤) في (ط) : « .. كالسين .. » وما أثبتناه في (م) .

وشيخنا القطب محيي الدين مَنْ له
القادريّ ابن شيخ العيدروس فلي
ولي فؤادٌ على حُسن الولا لك قد
صلني عليك صلاة الله يا أملي
قد قيّدني ذنوبي عنك واطمئي
وإن وردت عليك الحوض خذ بيدي
وتحت ظل اللوا المعقود قل لي قل
وهاك من مدحي لاميّة شُرُفت
تطفلت فلها يا بن الكرام على
خلعت لابن زهير خلعة فغدا
فهل أرى روض حالي زاهراً بك في
صلى وسلّم ربّي دائماً أبداً
والآل والصحب والأتباع أجمعهم
تمت فخذ ملحاً من طيّ عِدَّتْها

بما يرومُ فلإنسان تأميلُ
عقيدة ووداد فيه مأمولُ
طوبته وعلى الإخلاص مجبولُ
بوصلة لي بها في الحشر توصيلُ
إليك والقلبُ بالأشواق مغلولُ
فورده العذب ذاك اليوم منهولُ
واشفع فإنك عند الله مقبولُ
بمجد مدحك في لاماتها طولُ
أبيات « بانت سعاد » اليوم تطفيلُ
له بها من عظيم الجاه تجليلُ
دار النعيم وشملي ثمّ مشمولُ ؟
عليك ما سرحت قوداء شمليلُ
ومن بهديهم المرضي مشغولُ
والحمد لله تميمٌ وتكميلُ

● وفيها : توفي الرّجل الصّالح المشهور المعمر وجيه الدّين الهندي^(١)
بأحمد آباد ، وكان من أهل العلم والزّهد ، وحصل له القبول العظيم مع
النّاس ، وانتفع به الطّلبة في كثير من الفنون ، واشتهر أمره جداً .

● وفيها : كانت ولادة ولدي شيخ^(٢) جعله الله من أهل ولايته ، وتولاه
برعايته وحمايته وكلايته أمين ، وطبق بعض الفضلاء تاريخ ذلك العام بحساب

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠ / ٦٤٦ - ٦٤٧) وذكر ابن العماد بآخرة من الترجمة :
« وتقدمت ترجمة ميان عبد الصمد الهندي أيضاً ، وهذا غيره » .

(٢) في حاشيته في (ط) مايلي : « توفي سيدنا ومولانا وبركتنا وقودتنا ووسيلتنا إلى ربنا ، ومن
عليه بعد الله ورسوله معتمدنا ، شيخ الوجود ، البركة الشاملة لكل موجود ، الشيخ العارف
بالله شيخ بن عبد القادر العيدروس في جمادى الأولى سنة ١٠٥٠ هـ بأحمد آباد ، وقبر
بجنب قبر جده شيخ العيدروس نفع الله بهما أمين » .

الجميل على أحرف « سيدي شيخ جاء » ثم نظمه بأبيات فقال : [من المجتث]:

لله مـولود سـعيد عمّ الـوجود سنـاء
أكرم به من هلال فاق البودور ضياء
ونشره منذ تبدى قد عبّق الأرجاء
تاريخه إن ترّمه قل « سيدي شيخ جاء »
وكانت ولادته بمدينة بروج من أعمال كجرات .

● وفيها : قدم بروج مولانا الشيخ محمد العيدروس من أحمد آباد ، وأقام بها شهراً ، ثم رجع إلى أحمد آباد ، وفي مدة إقامته ببروج كتب إليه الشيخ محمد بن عبد اللطيف مخدوم زاده بهذه الأبيات وهي : [من الوافر]:

لقد آنست يا شمسَ الشُّموسِ فأهلاً بالشريف العيدروسِ
بقطبِ الوقتِ أهلاً ثم سهلاً أيا زينَ المجالسِ والدُّروسِ
ويا شمسَ الشُّموسِ ومن تجلّت به الأفواه منّا كالطُّروسِ
وبروج عندما حليت فيها لقد أمست بيمينك كالعروسِ
وسرّت منك ترجو القرب فضلاً وإلاّ فهي في يوم عبّوسِ
فقربك سيّدي لا شكّ فيه حياة للقلوب وللنُّفوسِ
فطالع من يودّك في سعود ومن يشناك^(١) في نحسِ الثُّحوسِ
ولا زالت بك العلياء تسمو وأنت لأفقهها شمسِ الشُّموسِ

● وفيها : توفي الرّجل الصالح سالم بن علي با موجه . ذكر لي رحمه الله أنه صنع للسّيّد الوليّ أحمد بن علوي با جحذب حذاء لطيفاً وقدمه إليه . فقال له : تمنّ الذي تريّد (قال :)^(٢) فقلت له : قد وكلتك يا سيّدي فاختر لي أنت ، وكان ذلك يوم الجمعة بحضرة الناس ، ولما كانت الجمعة الأخرى أعاد

(١) في (ط) : « من يشناك . . . » .

(٢) لم ترد الكلمة في (ط) ، وأثبتناها عن (م) .

علي السّؤال ، فذكرت له مثل ذلك الجواب ، فأراد أن يختبرني وقال لي :
عساك تريد صناديق ذهب . فقلت له : [لا]^(١) .

● وفيها : فاض وادي عدم بسيل هائل في نجم الثريا أعظم من سيل
الإكليل . فأرخه صاحبنا الفقيه عبد الله بن فلاح كان الله له فقال : [من مجزوء
الرميل]:

فاض في الأحقاف سيلٌ غادر النخل خوياً
إن تردّ تاريخه [قل]^(٢) « عمّ طوفان الثريا »
● وفيها : وقعت « بسورت » زلزلة .

* * *

(١) لم يرد الحرف في (م) وأثبتناه عن (ط) .

(٢) سقطت هذه اللفظة من (م) .

سنة تسع وتسعين بعد التسعمائة

● وفي سنة تسع وتسعين : كان تمام عمارة قبة سيدي الوالد رحمه الله ، وقد جعل صاحبنا الشيخ محمد بن عبد اللطيف مخدوم زاده تاريخ ذلك (العام)^(١) بعدد حروف « محل الفيض » ثم نظم التاريخ المذكور في أبيات فقال أبقاه الله تعالى : [من الوافر]:

ألا يا قبةً مُلئت سروراً	وأضحت مقصداً لذوي الصفاء
كأن هلالها لمّا تبدى	هلالٌ لاح في كبد السماء
ترى السّادات والقادات تسعى	إليها بالصّباح وبالمساء
يفوخُ الطّيب منها حين تبدو	لما ضمّته من طيب الشّذاء
بها قبرُ الوليّ شريف شيخ	سلالة من تسجّوا بالعباء
وليّ سرّه في الخلق سار	فيا لله من حُسن الثّناء ^(٢)
يفيضُ الفيضُ منه لطالبيه	كفيضِ البحر في سعة الفضاء
فيا لك قُبّةً عمرت بفيض	يكاد يراه منها كلّ رائيّ
لكثرة فيضها قد جاء ضبّطاً	« محل الفيض » تاريخ البناء
ونازمها من السّادات يرجو	بأن يصلّوه منهم بالدعاء

● وفيها : سافرت من « سرت » إلى « جيول » بعد أن أقمت بسرت سبعة أشهر كاملة لأنّي كنْتُ دخلتها ثالث شهر رجب سنة ثمان وتسعين ، وخرجت منها ثاني شهر صفر الخير ، وكنْتُ قدمت إليها من « بروج » بعد أن مكثت بها مدة كما قدمت ، ومدة إقامتي ببندر جيول خمسة أشهر ، ثم طلعت منها إلى

(١) لم ترد الكلمة في (ط) وأثبتناها من (م) .

(٢) في (ط) « .. السداء » .

« أحمد نكر » ، ووصلت إليها في شهر شعبان من تلك السنة ، وعزمت منها في شهر القعدة الحرام سنة ألف بعد أن أقمتُ بها نحواً من سنة وثلاثة أشهر قاصداً إلى « أحمد آباد » لزيارة الوالد والاجتماع بالوالدة والأولاد ، فدخلت أحمد آباد رابع شهر ربيع الثاني سنة إحدى بعد الألف ، وكانت طريقي على جيول ، وركبت من جيول إلى « الديو » ومن الديو إلى قرية تسمى « موري » من أعمال جوناقر لأمر اقتضى ذلك ، ومنها إلى أحمد آباد ، وفي مدة إقامتي بجيول ونواحيها اجتمعت بشيخنا العلامة المحقق محمد مقري ابن العلامة علي مقري ، وشيخنا العلامة المفنن عبد القادر بن مخدوم الخطيب الكلياني ، وأخذت عنهم واستفدت منهم . وقال صاحبنا الفقيه الفاضل الصالح عفيف الدين عبد الله بن أحمد بن فلاح الحضرمي لما قدمت إلى تلك الديار : [من الوافر]:

تشرّفتِ البلاد ومن يليها بمقدم شيخنا شمس الشمس
وأضحت تزدهي عجباً وتيهأ بعبد القادر بن العيدروس
ومن غريب الاتفاق أنَّ مدة غيبتني عن أحمد آباد كانت أربع سنين كاملة ، فخرجت منها رابع شهر ربيع الثاني سنة سبع وتسعين ، ودخلتها أيضاً رابع شهر ربيع الثاني سنة إحدى بعد الألف ، وأقمتُ بها من ذلك التاريخ إلى الآن .

● وفيها : في يوم الأربعاء رابع عشر رجب زالت الدولة المهدوية « بأحمد نكر »^(١) . وقتل الوزير جمال خان ، وجيء برأسه إلى أحمد نكر ، وطيف به فيها ، ثم علق بعد ذلك أياماً ، وتسلمن برهان شاه ، وقد تقدم أنه قد سار إليها قبل ذلك بعد موت أخيه ، فرجع خائباً ، وكان المذكور منذ هرب من عند أخيه في خدمة السلطان أكبر ، وهو الذي أعانه على ذلك ، وأمه بالعسكر ونحوه

(١) الخبر مما نقله ابن العماد في « الشذرات » (٦٤٨/١٠) وفيه « أحمد نكر : من بلاد الدكن » .

حتى ملك ، وكانت سيرته غير مرضية ، ومات برهان شاه ثالث شعبان سنة ثلاث بعد الألف .

ومن غريب الاتفاق أنه كان في تلك السنة أمرٌ بهدم أحمد نكر ، فضجت العوالم لذلك ، وأمر أن يجعل مكان دورها باغاً وهو اسم البستان بالفارسي . فقال صاحبنا الأديب الفاضل عبدُ الله بن فلاح لطف الله به مؤرخاً لذلك العام في بيتين هما : [من مجزوء الخفيف]:

هدمُ حمداً أنكر غداً فيه للناس مُعتبرُ
« باغُ » تاريخُهُ وإنْ قلتَ « غاب » فقد حضرُ

فصح « غاب » تاريخاً لهدمها ولموت برهان . ومما جرى في أيامه أنه في سنة إحدى وألف جهز على دنده رازبور^(١) ليأخذها من الإفرنج ، فهلك في تلك الواقعة عوالم لا تحصى ، وأرخ ذلك بعضهم في عدد « ضراً »^(٢) .

● وفيها : توفي السيّد عبد الرّحيم الحساوي المكي غريباً بكلكتة ، وكان حسنَ الأخلاق كريمَ النّفس رحمه الله .

● وفيها : توفي الفقيه الفاضل محمد با شراحيل الحضرمي بكلكتة أيضاً .

● وفيها : توفي الشّريف يحيى الحوارني^(٣) المدني بكلكتة أيضاً ، وكان بارعاً في علم الموسيقى ، إلا أنه كان منهمكاً في الشّهوات منتهكاً للمحرمات . رحمه الله وإيانا أمين .

● وفيها : قرأ صاحبنا الفقيه الصّالح عفيف الدّين عبد الله بن فلاح

(١) الكلمة في (م) : « رازبوت » .

(٢) في (ط) : « في عدد ضراً » ولا يستقيم حسابه على حساب الجمل ، وصوابه في (م) حيث لا بدّ من جعل الحاصرتين حول كلمة « ضر » فقط ، لأن عدد حروفها (١٠٠٠) أي بفارق رقم واحد ، وهو مسموح به في هذا .

(٣) في (ط) : « الحواراني » .

الحضرمي عليّ كتابي « الفتوحات القدوسية في الخرقة العيدروسية » من أوله
إلى آخره ، وذلك بأحمد نكر من بلاد الدّكن ، وعمل تاريخ ذلك العام
« تجمعه به صحّ فتوحات » ثم نظممه فقال :

تشرّفت أوقاتِي بمقابلة الفتوحاتِ
وضابط ذاك تجمعه به صَحّ فتوح آتِ

* * *

سنة الألف

● وفي شهر المحرم سنة ألف : توفي الشيخ الكبير والعلم الشهير الولي الصالح العلامة سراج الدين الشريف عمر بن عبد الله العيدروس^(١) بعدن ، ودُفن بها في قبة جدّه لأمه سيّدي الشّيخ أبي بكر العيدروس ، ملتصقاً به من الجانب الشرقي ، وكان من المشايخ العارفين والعلماء العاملين ، وكان الشّيخ الكبير الشريف صائم الدّهر القديمي الحسيني - الذي اشتهر عنه أنّه قال : من رآني دخل الجنة - يعظمه ويشير إلى أنّه بركة ذلك القطر ، حكى ذلك عنه صاحبنا الفقيه أحمد بن الفقيه محمد با جابر ، وكان قد اجتمع به .

وأمه السيّدة مزنة بنت الشّيخ أبي بكر العيدروس ، فهذا الاعتبار يكون الشّيخ عبدُ الله العيدروس رضي الله عنه جدّه من الطّرفين ، وهو أول من وقع له ذلك فيما علمت ، وقد وقع لأولاد أختي سلمى مثل ذلك ، ولم يكن الآن عقب لسيّدي الشّيخ أبي بكر إلّا من أمّ صاحب الترجمة ، ولذا تصدّر المُشار إليه بمسجد جدّه بعدن بعد أخيه شقيقه السيّد محمد المُتوفّى بمكة المشرفة في سنة ثمان وسبعين وتسعمائة ، فقام بالمقام أتمّ قيام ، ومشى في ذلك على سنن آبائه الكرام ، واشتهر بتلك الجهة شهرة عظيمة ، وكثر اعتقاد النّاس فيه ومحبتهم له ، ولم يزل على السّيرة الحميدة إلى أن توفي رحمه الله تعالى .

وكان قد جمّله الله تعالى بعقل كامل ، وزينه بفضل شامل ، له أخلاق الطّف من نسيم السّحر ، وأوصاف كالمسك إذا فاح وانتشر ، ذو علم فائض زخار ، وفصل يتدفق تدفق الأنهار . قد زاحم في الفضل من تقدم ، وارتقى فيه إلى المحل الأقوم ، فصار ممن يُشار إليه بالأصابع ، وممن يعول على رأيه في

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (٦٢٥ / ١٠) .

الأمر الشاسع . أخذ العلوم عن جماعة لا يحصون من المشايخ ، ومقروءاته كثيرة جداً ، وبرع في علوم شتى .

وحُكي أنه كانت له في جميع العلوم يدٌ طويلة ومهارة تامة ، وإنما ترك التدريس والتصنيف لشدة خموله ، وكان متبعاً للكتاب والسنة سالكاً على طريقة السلف الصالح ، متسماً بالاستقامة التامة مع كثرة العبادة ودوام الاجتهاد ، وكان مع جلالته قدره وعظم جاهه كثير التواضع ، بحيث^(١) ينسبونهم إلى الإفراط فيه ، ويميل إلى الخمول الكلي ، حتى قيل : إنه أنشد بين يديه بعض المنشدين قصيدة في مدحه فغضب ، وأمر بإقامته من ذلك المجلس ، إلى غير ذلك من المحاسن التي زينه الله بها وشرفها به ، وأنعم بها عليه ، فكان أحق بها وأهلها ، وأجمع على عظم حاله وجلالته وفضله وكماله غير واحد من الأخيار وكافة علماء الأمصار .

ونقل عن بعض العارفين أنه قال : إذا شاب شعر ذراعيه بلغ رتبة القطبية .

وكانت له كرامات عديدة ، وأحوال سديدة ، وأوصاف حميدة .

وبالجملة : فإنه كان بقية الشيوخ الذين يُقتدى بآثارهم ويهتدى بأنوارهم ، بل ومن عباد الله الذين تستنزل الرحمة بذكرهم ، وترجى من الله المغفرة ببركتهم وسرهم ، كأنما عناه القائل بقوله : [من الطويل]:

لكلِّ زمانٍ واحدٌ يُقتدى به وهذا زمان أنت لا شكَّ واحده

ولو أطنبت كلَّ الإطناب ، وأسهب غاية الإسهاب ، وأتيت بكلِّ عجاب لعجزت عن وصف شأنه العظيم ، وقصرتُ عن الإحاطة بقدره الجليل ، والله درُّ القائل : [من الكامل]:

ما في عُلاه مقالةٌ لمخالفٍ فمسائل^(٢) الإجماع فيه تسطرُّ

(١) الكلمة في (ط) « بل » وما أثبتناه عن (م) .

(٢) في (ط) : « فمسائل ... » تحريف .

رحمه الله تعالى ، وأعاد علينا من بركاته آمين . وتاريخ ولادته لم أطلع عليه ، غير أنه مات وقد أناف على السبعين ، وما أظنه بلغ الثمانين ، وهكذا كان والده من المعمرين فلم يمّت حتى جاوز الثمانين ، ثم أخبرني بعض أصحابي أنّ ولادته كانت في سنة ستٍ وعشرين وتسعمائة ، فعلى هذا يكون عمره حين مات ستاً وسبعين سنة ، رحمه الله تعالى ونفع به آمين .

● وفيها : في ليلة الأحد سابع عشر شهر ربيع الثاني توفي الشيخ الكبير جمال الدّين محمد بن علي الحُشَيْري^(١) بأحمد آباد ، وكان من المشايخ المشهورين ، ورزق القبول في حركاته وسكناته ، وحصلت له شهرة عظيمة ، ورويت عنه كراماتٌ ، ولا يقدح في جلالة ذمّ بعض العلماء له وتنقيصهم إياه بحسب ما يظهر لهم من أموره من غير نظر إلى خصوصيته ، فقد قيل : المعاصر لا يُناصر ، ولا زالت الأكابر على هذا ، وفيما يقع منه من التّخريقات والشّطحات له أسوة بغيره من الصّوفية ، كما أنّ للمنكرين أسوة بغيرهم من العلماء ، وحمل ما يصدر منه من الأحوال الغريبة على أحسن المحامل أولى ، وحسن الظّن أسلم وأحسن ، رحمه الله تعالى .

● وبنو حشِير أهل صلاح وولاية ، ونسبهم في بني ذهل بن عامر بطن من عكّ بن عدنان ، وهو بفتح الهاء وتشديد اللام ، كذا ضبطه الجندي . وأما خرقتهم فهي تعود إلى الولي الكبير والعلم الشهير قطب الزّمن وبهجة اليمن ، شمس الشّمسوس أبي الغيث بن جميل اليمني ، وذكر منهم الشّرّجي في الطبقات جماعة .

● ومنهم عليّ بن أحمد حُشِير أحد كبار المشايخ المتوفى سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة ، وكان الوليّ الصّالح الفقيه أبو بكر بن أبي حربة يقول : كلّ المشايخ خلفهم في بركة سلفهم إلّا بني حشِير فإنّ سلفهم في بركة خلفهم ، وهو الفقيه علي بن أحمد .

(١) ترجمته في « شذرات الذهب » (١٠ / ٦٥٢-٦٥٣) .

● ومنهم محمد بن عمر بن أحمد بن حشبير ، كان فقيهاً عالماً عارفاً كاملاً صاحب كرامات عظيمة .

ويحكى أن والدَه ذهب به إلى الشيخ أبي الغيث بن جميل يلتبس منه الدَّعاء ، وهو إذ ذاك صبي ، فكشف له عن عينين للشيخ أبي الغيث في قفاه يبصره بهما ، فأعلم والده بذلك وأعلم والده الشيخ أبي الغيث ، فقال الشيخ : والله يا ولدي ما رأيتهما أحدٌ غيرك ، ثم نوّه باسمه وعظمه . ومن كلامه : رأس مال الفقير الثقة بالله تعالى ، وإفلاسه الركون إلى خلق الله . ومنه : يا أسراء الهمم الأرضية وأرقاء النفوس التي غير مرضية ، هذه الجادة فأين السالكون ، أبعد العين أين ؟ .

وكانت وفاته سنة ثمان عشرة وسبعمائة ببلده وهي قرية من « بيت حسين » المدينة المشهورة .

قلت : فلما خربت بيت حسين على يد بني حفيص وانتهكت فيها المحارم ونُهبت الزوايا التي فيها وقُتل جماعة من بني عبيدة على جامع بني حفيص - وذلك في سنة اثنتين وستين وثمانمائة - انتقل غالب سكانها إلى بيت الفقيه ابن حُشَيب ، وصارت مدينة عظيمةً ، وهي محترمة معظمة يأمن بها الخائف .

● ومنهم محمد بن حسن بن محمد بن عمر بن حشبير ، كان فقيهاً عالماً شيخاً صوفياً كاملاً ، سئل عن قول الشبلي : [من الطويل]:

أسائل عن ليلي فهل من مخبر^(١) ؟ يكون له علمٌ بها أين تنزل ؟ فأجابه بقوله : [من الطويل]:

تحلّ قلوب العارفين إذا صفتُ وليس لها قلبٌ سواهنّ منزل
قلت : وقريب من هذا ما حكاه صاحبنا الشيخ العلامة شهاب الدّين أحمد بن الولي العلامة محمد بن عبد الرحيم أبا جابر رحمهم الله قال : كنت

(١) في (ط) : « ... هل من خبر » وبه يكسر الوزن ، وما أثبتته في (م) .

سائراً إلى المدينة الشريفة ، فلما كان في بعض الليالي تذكرت في نفسي
الأصحاب ، وعظمت عليّ مفارقتهم واشتد عليّ أمر الاغتراب ، فتمثلت وأنا
على تلك الحالة من ترادف الهموم والأحزان ، وكنت راكباً على الجمل بهذا
البيت : [من البسيط]:

ما في الصُّحاب أخو وَجِدَ نظارحه حديثٌ سعدى ولا خلٌّ نجاريه
فأجابني صوت من ناحية القافلة : [من البسيط]:

ما في الرُّكاب سوى صبٍّ أحاوله يروي حديثَ الهوى حقّاً ويديره
فقلت : من المجيز ؟ فقال : فلان بن فلان ، وذكر اسمه واسم أبيه وجده
الدمشقي ، وإذا هو من أهل الفضل والأدب ، وحصلت بيني وبينه معرفة
واستأنست به الأنس التّام . قال : وبقيت أنا وإياه في مذاكرة ومطارحة سائر
الطّريق ، من ذلك أنّ اسم جمّاله كان « قياس » ، واسم جمّالي « عيَّاش » وكان
مع جمّاله المُسمّى قياس جمال كثيرة ، فكان يشغل بأمرها مع المكارين
ويغيب عنه يوماً كاملاً بحيث أنه يحتاج إلى الماء فلا يجد من يسقيه ، وكان
حاراً فيتأذى بذلك ويتغير مزاجه ، ويرتجل في الحال في هجوه مقطعات .
قال : وأخذ مرةً لحماً ودفعه إلى غلامه ليصلحه ، فأتى به قبل أن ينضج ،
فأنشد عند ذلك ارتجالاً يخاطب غلامه ويومئ إلى هجاء الجمال المذكور :
[من مجزوء الرمل]:

أنتَ لا تحسن شيئاً إذ أتيت اللحم نياً
فاسكب القيء عليه واعطه الجمال قياً
قال الفقيه أحمد : وقلتُ أنا في صاحبي المُسمى عيَّاش : [من مجزوء
الخفيف]:

إنّ عيَّاشَ قد أتت من لديه بدائعُ
راح عني وكنت في جملة الرّكب ضائعُ

[كيف يأتي قلبه في المكارين شائع]^(١)

قال : واستهلينا شهر المحرم بالزرقاء ، فلما صلينا المغرب وجلسنا ونحن ننظر إلى الهلال فقال لي : ما تقول في تشبيهه ؟ فقلت : الذي على بالي من ذلك قول ابن المعتز : [من الكامل]:

والبدر في أفق السماء كدرهم [ملقى على دياجة زرقاء]^(٢)
فقال : هذا التشبيه لا يحسن فيه إلاّ عند طلوعه قبيل الفجر حالة نقصه وانتهائه فهات شيئاً في ابتدائه . قلت قوله أيضاً : [من الكامل]:

انظر إليه كزورقٍ من فضّة قد أثقلته حمولة من عبّير^(٣)
قال : فسكت ساعة خفيفة وأنشد لنفسه في ذلك مرتجلاً : [من الخفيف]:

قد رأينا الهلالَ بالزّرقاء ظاهراً للأنام وقت العشاء
قلت للجابري فهات مثلاً فيه تزري بأفصح الشعراء
قال قد قيل زورقٌ من لُجَيْنٍ قد تراءى للناظرين بماء
ثم سكت نحو نصف ساعة ، وأنشد أيضاً مرتجلاً : [من الكامل]:

قال الشّهابُ الجابريُّ يريد تشبيهاً يماثلُ ذا الهلال السّافر^(٤)
فأجبتُه أنظر إلى دورانه فلقد حكى في الأرض وقعة حافر
ثم قال الفقيه أحمد : لو قال : [من الكامل]:

هو في السّماء مدوّرٌ ولقد حكى دورانه في الأرض وقعة حافر
لكان أحسن .

(١) ما بين الحاصرتين لم يرد في (م) وأثبتناه عن (ط) .

(٢) ما بين الحاصرتين لم أقع عليه في (م) لبياض مكانه ، وأثبتناه عن (ط) . ورواية البيت في ديوان ابن المعتز « ملقى على ياقوتة . . . » انظر « ديوان أشعار الأمير عبد الله بن المعتز » تحقيق الدكتور محمد بديع شريف ، طبعة دار المعارف (٢ / ٤٤٧) .

(٣) البيت مما ورد في « ديوان ابن المعتز » (٢ / ٤٤٢) .

(٤) في (ط) : « . . . الجابري تشبيهاً » وبه يُكسر الوزن ، وما أثبتناه في (م) .

قلت : ول بعضهم أيضاً في هذا التشبيه الحسن : [من الكامل]:

والبدْرُ في وسط السَّماء كأنه وجه مضي تحت قباء أزرقِ

● وفيها : أمر الوزير الكبير حسن باشا بعمارة قبة الشيخ الكبير والوليّ الشهير علي بن عمر الشاذلي صاحب المخا بمباشرة علي شلبي أمير بندر المخا الحلبي ، فعمرها عمارة متقنة ، وجدّد التّابوتين وكساهما كسوة حسنة من الصّوف الأخضر ، وكان ابتداء العمارة وختامها في سنة ألف من الهجرة النبوية ، ثم أمر الوزير حسن باشا بعمارة جامع كبير شرقيّ القبة وشاميتها ، فبنى بناء أكيداً وتمّ ، ونصب فيه منبراً من الحجر الأخضر ، ثم بنيت له منارة عجيبة في غاية الطّول والنّحافة واللّطف ، ثم صُليت فيه الجمعة واستمرت فيه الخطبة وصلاة الجمعة والجماعة ، تقبل الله ذلك منه بمَنّه وكرمه ويمنه .

● لنختم الكتاب بذكر حبيب الأحياب ، تاج العابدين على الإطلاق ، وأويس زمانه بالاتفاق ، وأسعد السعداء ، وأكرمهم على ربه ، المنقذ من الكروب لمن تعلّق بسببه ، الحري أن تكتب أخباره بماء العيون ، وأن ينال كاتبها من الرحمة ما فوق الظنون ، سعد السويني السعيد ، المتصف بكلّ خلق حميد ، الذي يحسن بذكره الختام كما حسن بذكر سيد الرسل الكرام الشروع في الكلام :

ختم هذا الكتاب آن ويسعد يحسن الختام
فاختم لنا منك بخير وتوفّنا على الإسلام

كيف ، وفي اسمه ما يشعر ببلوغه مرتبة عظيمة من مراتب السعادة مع أن اسمه ثلاثي الحروف ، وفضل الثلاثي في اصطلاح أهلها عندهم معروف ، فطابق اسمه معناه ، ووافق فحواه ، ولي في المعنى :

يقولُ لنا لسان الحال منه وقولُ الحقّ يعذب للمستفيد
فاسمي ووصفي ومريدي سعيدٌ في سعيدٍ في سعيدٍ
ولي أيضاً فيه :

ثلاثي به العبد أضحي متصرفاً اسمٌ شريفٌ قدره كالمصحفا

فسيُن السعادة دليلُ سعادته وعينُ العناية وحسبك ذا كَفَا
ودالُ الدلالة على ربّه فيا سَعْد من إليه ربّه تعرّفا

هذا ؛ وقد قسموا الحروف إلى نورانية ، وهي التي جاءت في أوائل السّور من القرآن العزيز بعد حذف المكرر يجمعها قولك : من قطعك صله سحيراً ، وهي : ال ر ك ه ي ع ص ط س ح م ق ن ، وهي أربعة عشر حرفاً ، ذكروا أن سبعة منها وهي الكبار أشرف من السبعة الأخرى وهي : ال ر ه س ع ح ، وظلمانية وهي : ب ت ث ج خ ذ ذ ر ش ض ظ غ ف ، وهي أربعة عشر أيضاً ، وذكروا أنها تنقسم كذلك إلى فاضل ومفضول ، فذكروا في القسم الأول منها : ب ت د ز غ ف و ، وما عدا هذه السبعة هي الحروف المفضولة ، وهي : ج خ ش ض ظ ث ذ ، وقد جاء في اسمه الشريف حرفين من أشرف الحروف النورانية وهما : السين والعين ، وحرف من الحروف الظلمانية ، ولكن من القسم الأول منها وهو الدال ، وقد وقع هذا الحرف من آخر اسم النبي ﷺ كذلك ، وذلك مما يدلّ على شدة متابعته له وتحقق وراثته منه ، فهو دال الدلالة على وحدانية الله تعالى ، وهو دليل على سابق السّعادة بالعناية الأزلية له ، ومن نصب له الدلالة على خالقه فعيشه حميد ، ومن سبقت له العناية في الأزل فهو سعيد .

وذكروا أيضاً أنّ الحروف التي بلا نقط أفضل مما عداها من الحروف بدليل أنّ الذي جاء في أوائل السّور كان أكثره منها ، وما كان فيه من الحروف المنقوطة سوى ثلاثة وهي الياء والقاف والنون ، وكانت حروف اسمه الشريف من هذه الحروف التي بلا نقط ، وقد وقع كذلك في اسم الجلالة واسم النبي ﷺ .

قلت : ولعلّ في حروف اسمه الثلاثة إشارة إلى ما منّ الله تعالى به عليه ومنحه من فضله العظيم وجوده العميم ، فالسّين إشارة إلى سعادته ، والعين إشارة إلى عناية الله به ، والدال إشارة إلى دوام الطاعة له مدة عمره أو إلى الدلالة بالهداية له إلى معرفة الله تعالى ، إلى غير ذلك من الأسرار العجيبة

والمعاني الغريبة التي لو تتبعنا بعضها لطال بنا الكلام ، وفيما أوردناه منها مقنع ومرام ، وفي الإشارات ما يغني عن التصريح ، وفي وصف ذلك المقام ما يحير الفصيح : [من البسيط]:

كلُّ الذي قلت بعض من محاسنه ما زدت إلا لعلِّي زدت نُقصانا
وهذه والله هي المكارم ، وهكذا فلتكن في الله العزائم ، هكذا وإلا فلا .
وأرجو أن أكون بمحبتتي له وخدمتي إياه واشتغالي بأخباره مع انتسابي إلى علياه
من سبقت لهم من ربهم الحسنى وزيادة ، وكانت جائزته إن شاء الله على ذلك
الغفران وكمال السعادة ، ففضل الله مدرار ، وأولياء الله كالبحار ، فهم القوم
لا يشقى جليسهم ، ومن أحبَّ قوماً كان منهم وإن لم يعمل بعملهم ، كما جاء في
النص الشريف عن صاحب الكرامة والتَّشريف ، وإذ قد رزقنا الله محبتهم ووفقنا
لخدمتهم فهذا أعظم دليل على الخير إن شاء الله تعالى ، والحمد لله الذي هدانا
لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله . والله درّ من يقول : [من الخفيف]:

وإذا حلَّتِ الهداية قلباً نشطت للعبادة الأعضاء
وإذا سخر الإله أناساً لسعيد فإنهم سعداء
وقلت في المعنى :

يا سغدي إن صحَّ حبي لسعيد يا بختي إن بذلت فيه جُهدي
يا هنائي إن فزتُ بذاك وحدي يا سروري إن بلغت فيه قصدي
يا مناي إذ صدق فيه وجدي يا غنائي إن قبلَ وقال أنت عبدي
وأرجو أن أكون في الدارين بمحبته سعيداً ، وأن أُحشر إن شاء الله تعالى
ببركته في زمرة السعداء ، وأدرك مراتب الشَّهداء ، وما ذلك على الله بعزيز ،
وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أُنيب .

قال رسول الله ﷺ : « المرءُ مع من أحبَّ »^(١) .

(١) رواه البخاري رقم (٦١٦٩) ومسلم رقم (٢٦٤١) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعاً .

قال الإمام النووي رحمه الله في شرح مسلم عند الكلام على هذا الحديث :
ولا يشترط في محبة الصالحين أن يعمل بأعمالهم إذ لو عمل بأعمالهم كان
معهم ومنهم .

وقال البوني : إن الله تبارك وتعالى ينظر إلى قلوب أوليائه كل يوم كذا وكذا
مرة ، فإذا وجد في قلوبهم محلاً لعبد ورأى همتهم متعلقة بأحد أكرمه وتجاوز
عنه وألحقه بهم .

ولنرجع إلى ما نحن بصدده من ذكر طرف من أحوال هذا السيد العظيم
والولي الكريم ، ونغترف قطرة من بحره الغزير ، ليستدل بالقليل من ذلك على
الكثير . فكفى بالنفحة دليلاً على طيب الزهر ، وبالغرفة معرفة بعدوبة النهر ،
ولأن صاحب التور الذي قسم له نصيب من سعادته إذا ذكر له شيء من صفات
الأكابر ولو طرفاً من أخبارهم ، أو لاح له لامع من بروق أنوارهم هشّ بقلبه
إليها ، وأقبل بالرّد عليها ، وذلك لوجود المجانسة الحقيقية ، كما جاء في
الحديث : « الأرواحُ جنودٌ مجتدةٌ فما تعارفَ منها ائتلف ، وما تناكرَ منها
اختلف »^(١) ، فأهل السعادة يعرف بعضهم صفات بعض بضئهم كما قيل :
[من السريع]:

يعرفه الباحثُ من جنسه وسائر الناس له مُنكرُ
وذلك معلوم عند أهله ، فهو واحد أهل زمانه علماً وحالاً ومعرفة ومقاماً
وورعاً وزهداً واجتهاداً وعبادة ، أحد المشايخ الكبار والأولياء الأخيار ،
ترتجى الرحمة بذكره ، وتستنزل البركة بحبه ، ويستمطر المنيء سحائب
الغفران بالتوسل به .

قال العلامة محمد بن عمر بحرّق الحضرمي : وناهيك بعظيم أحواله اعتناء
الشيخ العيدروس عبد الله بن أبي بكر بالتصنيف فيها ، فإنّ العظيم لا يعظم في

(١) رواه مسلم رقم (٢٦٣٨) وأبو داود رقم (٢٨٣٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً .

عينه إلا عظيم ، ولا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أهل الفضل ، وإذا وصف العيدروس في مناقبه الجليلة ، واعتنى بأحواله الجميلة فقد أغنى ثناؤه عن كل وصف ، والشهادة منه خير من شهادة ألف ألف ، وها أنا أشير إلى بعض ما ذكره رضي الله عنه في ترجمته وسيرته ملخصاً لكلامه فقال ومن خطه الكريم نقلت :

كان شيخنا العارف بالله تاج الأنوار ، وقطب الأحوال سعد بن علي بن عبد الله با مدحج الحضرمي التريمي عالماً بالله ، وبأمر الله على الشريعة والطريقة والحقيقة ، أدركناه وصحبناه ، وحفظنا منه كرامات كثيرة ، ووقائع عظيمة ، لا يمكن شرحها وقد أظهرنا بعضها .

قال : وتعلم القرآن وحفظه ، وقرأ في الفقه « التنبيه » و « المنهاج » ، وفي التفسير « تفسير الواحدي » و « البغوي » و « تأويل القرآن » للسلمي ، وفي الطريقة « بداية الهداية » ، و « منهاج العابدين » و « الأربعين » الأصل ، و « إحياء علوم الدين » للغزالي ، وأخذ خرقة الصوفية من الشيخ عبد الرحمن ، وأكثر مقروءاته على والده العارف بالله شيخ بن عبد الرحمن ، وكان شيخه يحبه حباً شديداً ويثني عليه ثناء عظيماً ، ويشهر أحواله غاية ونهاية ، وكان يأمره أن يرفق بنفسه في المجاهدة ، فيعتذر إليه بأنه لا يجد لها كلفة ولا مشقة بإعانة الله له .

قال : وأول شيء بُدئ به أنه كان نائماً في مسجد سرجيس - أي : بسين مهملة مكررة بينهما راء ساكنة ثم جيم مكسورة ثم ياء تحتية - فدخل عليه رجل من رجال الغيب ، فأقامه من نومه وقال له : قم ما لهذا خُلِقت . فشمر بعون الله من وقته في المجاهدات والمكابدات والرياضات والخلوات ، فكان يصوم الدهر ويقوم الليل كله من حين بلغ الحلم ، وكان ملازماً لتلاوة القرآن ، وربما قرأ ختمة بالليل في صلاة ، وختمة بالنهار بالترتيل ، وكان متورعاً إلى الغاية والنهائية ملتزماً أن لا يأكل إلا الحلال المحض ، وأن لا يأكل أيضاً منه إلا اليسير ، وغالب قوته من المطعومات المباحة في الأشجار كالبربر وهو ثمر

الأراك ، والعشوق وهو ثمر السنّا ، والنبق وهو ثمر السّدر ، والصّار وهو ثمر النّخل المقل ، والغاسي وهو ثمر البسر البلح الذابل المتساقط من النّخل . وإذا سافر إلى الشّحر اقتصر على السّمك الصرف ، هذا كله في بدايته ، ثم كان في آخر عمره يطوي الأربعين فأكثر على الماء وحده . ومكث مدة من السّنين لا ينام ليلاً ولا نهاراً .

قال : وكان كثيراً ما يؤثر الخلوة في شعاب تريم ، والمجاورة عند قبر النّبّي هود عليه السّلام . وكان يظهر له في خلواته ومجاوراته أمور عظيمة ، منها : أنه يظهر له إبليس وجنوده لعنهم الله ، فيرمونه ويرجمونه ويتهددونه بالسّلاح خصوصاً إذا قام للصّلاة . قال : فأستعين بالله عليهم وألتجئ إليه ، فلا يختلج في باطني خوف منهم أصلاً فيرجعون خائبين .

قال : وظهر لي مرة إبليس ، فصارعني فصرعته بمعونة الله تعالى ، وسلبته سلاحه وأسزّته فاستطاع لي وائقاد بإذن الله تعالى . قال : وظهرت لي صفات النّفس المذمومة في صورٍ نساء فذبحتهن بمعونة الله تعالى . قال : ولقيت الخضر عليه السّلام مراراً فاستفدت منه فوائد كثيرة . قال : واجتمعت بخلق كثير من رجال الغيب رضي الله عنهم . قال : وكنت أسمع في حال تلاوة القرآن هواتف كثيرة تأمرني بترتيل القرآن وتنهاني عن الهذرمة . قال : وإذا دعوت قيل لي : اثبتوا عند الأمر والنهي يستجب لكم . قال : وكثيراً ما أسمع الهواتف تقول لي عند التّلاوة : قد وهبناك سرّ هذه السورة ، وسر هذه السورة خصوصاً عند قراءة سورة ياسين والرّحمن والواقعة . ثم قال الشّيخ عبد الله رضي الله عنه : هذا كله في أول عمره ، وأما في آخره قدر نصف عمره فصرنا نحن وإياه كما قيل : [من الرمل]:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنّا

قال الشّيخ : وكثيراً ما كنت أشاهده في حال التّلاوة يذوب بحيث يصير جسده كالماء الجامد ، فربما فزع إلى مخالطة العوام وأهل الكثافات الطّبيعية ، فسألته هل لك في مخالطتهم من فائدة ؟ قال : نعم بل فوائد كثيرة ، منها : أنه

ربما هجم عليّ الحال من وارد المحبة حتى أخشى على جسمي أن يلتف ، فأقرب من الناس لتعتدل لطافة الحال بكثافتهم ، وأتوله بقضاء حوائجهم ومخاطباتهم .

قال الشيخ : وكنت أنظر إليه في غالب أحواله سكران براح المحبة في ليله ونهاره ، بل كان في جميع لحظاته ممتلئاً بمحبة ربه . قال : وهو من أهل المقام الرابع في التوحيد لأن الغالب عليه فناء الفناء . قال : وقد سأله عن ذلك في مذاكرة جرت بيني وبينه في توحيد الفعل ، فأشار إلى نفسه بذلك ، وكان لشيخ سعد بن علي معرفة تامة في أحوال القوم ، وشرح مقاماتهم ، ودقائق معاملاتهم يشرحها شرحاً حسناً شافياً مع كشف وذوق ومشاهدة ووصول وتخلق وتحقيق ، مع دوام الصفاء بدوام الجوع والسهر والذكر والفكر ، وشدة الافتقار والذل والانكسار والتواضع والخمول ، وقطع العلائق بالكلية ، فلم تكن له صبوة في صغره ، ولا تزوج في كبره رضي الله عنه ، حتى توفاه الله تاسع رجب الفرد سنة سبع وخمسين وثمانمائة من الهجرة رحمه الله تعالى ، وأعاد علينا من بركاته آمين . ومن غريب الاتفاق أن تاريخ وفاته جاء « منور للجنة » ، وقلت في ذلك :

تاريخ فوت سيدي قدوتي سعد السُّوَيْنِي السَّعِيدِ قِلْتِي
نور الأنوار فلا عجب إذا ما قيل فيه « منور للجنة »^(١)
وقلت أيضاً :

قد ضاعت الأكوان بسعد سيدي تاريخه جاء « منور للجنة »
وقد رأيت أن أضيف إلى هذه المناقب الشريفة مالي في شأنه من الأبيات اللطيفة ، فمن ذلك ما قلته فيه مفتخراً بانتسابي إليه ، وكوني من محبيه :

نجمٌ سعدي قد طلع من أفق السُّوَيْنِي ونجمٌ

(١) لم يرد البيت في (م) وما أثبتاه عن (ط) .

شرح صدري به بدا
هو روعي وخاطري
هو شيخي وعمدتي
بلغت من سرّه المنى
يا عدولي فيه دعني
قد ظفرت أنا بالهنّا
إن عظممت غيره
ذا مغيث لكلّ مكروب
قطب الأحوال والموا

ولي فيه أيضاً :

ألا يا سعدُ أرجو منك إشارة
واسقني من شراب القوم حتّى
ومنّ عليّ وجذ لي بمقام

ولي أيضاً :

سعدٌ والله من حبّه

ولي أيضاً :

سعد والله من زاره
سعد والله من حبّه
سعد والله من أمّه
سعد والله من فاز
سعد والله من نظره
سعد والله من بغضه
سعد عاره على العبد
سعد والله ما خاب

فيه وجدي ما انكتم
به علق قلبي من قدّم
وهو قضدي من الخيم
وحصل لي العطاء الجم
إن السعادة من الله قسم
وحظك الصدود والهيم
استسمنت ذا ورم
ذا ملجأ الأمم
هب بينهم كالعلم

فعجّل لعبيدك بالبشارة
أشاهد ذلك التور بلا ستارة
رفيع تضيق عن شرحه العبارة

سعد طول الآباد

يُعطي مَنّا
زاد في عطائه
طاب مسعاه
بالقرب من مولاه
الخلد مأواه
النار مثواه
فقد طال بلواه
من أمله ورجاه

سعد والله جديرٌ يجيب من دعاة
سعد قد نال من ربّه كل ما يشاء

ولي أيضاً :

لو درى العاذلون فزط اكتيابي ورأوا حالتي عطفوا ورقوا
ما معي زاداً ليوم معادي أرجى أعمالي إني لسعدون رقّ

ومن ذلك مما التزمت فيه بأن يخرج من أوائل السطور اسمه الشريف
ويسمى هذا النوع عند أهل هذا الفن المشجّر ، وفعلت ذلك في مقطعات
عديدة ، منها :

(س) سألت الله يغفر زلتي بجاه سغدي الولي
(ع) عظيم الحال حقاً الزاهد الورع التقى
(د) دليل الحيارى للنّجاة ذاك السّويني ابن علي

ومنها :

سبا فؤادي الرّشأ الأشنب بمنطق منه يحلو ويعذب
عذب بما شئت غير الهجر يا فاتني وما عليك فيما فعلت معتب
دمي حلالٌ لك يا أملي وغير حبك ليس لي مذهب

ومنها :

سَلَوْ قلبي محال عن حبّ ليلي وخذرها
عاذلي كفّ عني فليست أميل لغيرها
دغني وشأنني يا غبي إني شغفت بذكرها

ومنها :

سلوا عن ودادي يا أحباي قلبكم فيشهد بما عندي لكم من حبكم
عرفتكم في الذّر فكيف أنسى عهدكم وما مُنيتي ياسادتي غير قُربكم
داووا فؤادي بلذيد وصالكم فحسبي شرفاً أن أكون من حزبكم

ومنها :

وسطِّي يوم لقاه	سروري في هواه
وقلبي والله مثنواه	عيدي لدى رؤياه
مُنيتي والله رضاه	دينني عقد ولاه

ومنها :

فزال عني العنا والصدود	سلمى بوصلها عليّ مَنّت
بختي بهذا الهنا والورود	على حالي وضعفي رقت
يا مرحباً بريم وادي زرود	درت بسقمي وضنائي فحنّت

ومنها :

غزالٌ من ظبي الحرم	سفكت في الهوى دمي
وصبت من سالف القدم	علقت روعي بحبّها
وبهاتيك الخيم	درت أنّ شغفي بها

ومنها :

عن حبّ سعدى وأختها	سلوّ قلبي محالّ
طاب وقتي من بختها	على ذكرى بفخرها
ليتني أكون عبدها	دام عزّي بسعدّها

ومن ذلك أنّي لغزت في اسمه الشريف فقلت :

أباح دمي لهم من غير ذنب	سرّي قد سرى لخير عُرب
-------------------------	-----------------------

وقلت أيضاً في هذا المعنى :

يشفي دائي ويمنّ بطّبه	سألت الله العظيم باسمه
درى عاذلي أنّي شغفّ بحبه	سرّ عزيز تمثّل من ذكره

ومن ذلك ما قلت فيه وفي صاحبه سيدي الشيخ عبد الله العيدروس ،
مفتخراً بانتسابي إليهما ، وما ساقه الله لي من الخير بسببهما وعلى يديهما :

بالشيخ عبد الله وسرّه	حصل لي كل ما أريد
وسعد الشويني ذكره	حلا لي ورده يا مريد
والعبد بهم وإن قل قدره	فهو في الناس سعيذ
وكلما قيل نقص أمره	ما زلت بهم في مزيد

توشيح :

أقسم بالله أنهم عؤني	ومذ لُذت بهم ما جفوني
وإذا ضاق أمري أنقذوني	
وعاد بسعد وفخره	بحري وربّي بسيط مديد
ومثله أيضاً :	

بالشيخ عبد الله ومجده	وفتى قد صار رائق
وسعد الشويني وحده	أزاح عني العوائق
والعبد بهم وإن قل جهده	فهو في الناس سابق
وكلما قيل قل حده	ما زال بهم فخري فائق
توشيح :	

لما انتسبت لجنابهم	جادوا عليّ بشرابهم
ومن أنا إلا بهم	
وعاد وربّي بهم أطول	وأفخر على كل عاشق
ومثله أيضاً :	

بالشيخ عبد الله وأصله	نلت المنى والمقصود
وسعد الشويني وفضله	ظاهراً بلا خفاء وجحود

توشيح :

مت يا عذولي بالله إخسأ مالك ولأهل الله
ويلك تريد إطفاء نور الله

ما على ذا من مثلك وجهلك ما حظك غير القلا والصدود
ومثله أيضاً :

بالشيخ عبد الله ونصيبه حصل لي السعادة
وسعد الشؤيني حبيبته حبته أي سيادة
والعبد بهم وإن قل نصيبه صحت له الإرادة
وكلمة قيل هان بخته ما زلت والله في زيادة
حاشا لا يضام نسيبه أو يحرم الرّاجي الإفادة

توشيح :

خصصت بذا في الأزل ومذ أملتهم ما خاب ألمي
وأرجو بهم أن يختم الله عملي

ومن ذلك قلت فيهما وفي سيدي حاتم بن أحمد الأهدل أعاد الله علينا من
بركاتهم آمين :

لي مطلب ما مثله مطلب قرب مولاي وعالي الرتب
حال أسلافي وطيب المشرب وإن نلت ذا ما هو والله عجب

توشيح :

بالعبدروس الجد أعطى السؤل وبسعد وحاله أرتجي القبول
وحاتم الفرد الولي ليث الفحول
مالي سوى حبههم مذهب ولا وربني عن بابهم أذهب

ومما قلت فيهم نفع الله بهم :

سعد حَبِّي وحاتمٌ سيّدي والعيدروسُ القطبُ شيخي وجدِّي
ليس يعد لهم أحد عندي لا وربّي إن ذا من جدِّي
وقلت فيهم أيضاً :

ما خابَ مَنْ بالعيدروس توسَّلَ وبحاتم الوليِّ رجا وأملُ
ومن من سعد رام الإسعاد
بل حقيقٌ بأن يعطى المُنَى ويفوز بالبُشرى والهَنا
كذا ويظفر بكلِّ المراد
وقلت فيهما أيضاً :

ما خابَ مَنْ على الله توكَّلَ وبالهادي الرسول توسَّلَ
إنه لحقيقٌ أن يُعطى المراد
ومن بحاتم ترجى التَّدا وألحَّ على العيدروس بالتَّدا
ومن سعدهم رام الإسعاد

ولنختم هذه التَّرجمة العظيمة بحكاية غريبة حسنة سمعتها من الثقات ،
وهي جديرة في هذا المحل بالإثبات .

حُكي : أن الشيخ أبا بكر العيدروس صاحب عدن رضي الله عنه كان إذا
ذكر الشيخ سعد ينسبط جداً ، وكان أصحابه بعد أن عرفوا ذلك منه إذا رأوه
مقبوضاً يذكرونه له فينسبط عند ذلك ، ففي بعض الأيام دعي بصندوق وفتحه
وأخرج منه شيئاً عليه لفائف كثيرة ، كما يجعل على الشيء التَّفيسِ مبالغة في
حفظه وصونه ، فما زال يفتحها بيده الشريفة واحدة بعد واحدة حتى أخرج منها
حذائين عتيقين وأخذ يشمهما ويقبلهما ، وقال : إنَّ هذه من ملبوسات الشيخ
سعد رضي الله عنه ، ثم رَدَّهما مكانهما فتعجب الحاضرون من ذلك .

قلت : وقد وقع لي بحمد الله قريب من هذا ، وذلك أنَّ بعض الأصحاب
من أهل حضرموت أهدى لي طيباً فقلت : هلاً أهديت لي من تراب قبر سيدي

الشيخ سعد بن علي رضي الله عنه ؟ فإن ذلك عندي من أشرف الهدايا ، وأفخر أنواع الطيب ، ثم أنشدت في هذا المعنى :

سألتُ العرفاءَ عن طَبِّ دائي فقالوا تراب ذلك الجنب الأقدس
على الخبير سقطتُ فاغنم داؤك وربِّي إنه درياق أنفَس
داوني يا سعد وأدرك قبل تلافي وحقك إنني لك عبدٌ أكيس
فأرسل إليَّ من العام القابل قليلاً من تراب ذلك الضريح الشريف في قارورة
زجاج ولله الحمد ، وعلمت أن للشيخ نفع الله به بالعبد اعتناء عظيم .
وأخبرني شيخنا الفقيه الصالح سراج الدِّين عمر بن زيد الدوعني قال ومن
خطه نقلت :

بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا
محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين .
أما بعد : فيقول العبد الفقير الحقير خويدم العلماء ومحبههم عمر بن زيد
غفر الله ذنوبه وستر عيوبه آمين :

لما كان بتاريخ ليلة الجمعة ثامن وعشرين شهر شعبان المكرم سنة خمسة
عشر وألف رأيت كأنَّ سيِّدنا وشيخنا السيِّد العالم العلامة العارف بالله تعالى
وحيد عصره وفريد دهره محيي الدِّين الشيخ عبد القادر بن شيخ بن عبد الله
العيدروس - مدَّ الله في حياته وأعاد علينا من بركاته وبركات علومه ومعارفه
وأنفاسه آمين - في بيت عظيم وعنده جماعة من أصحابه عرفت بعضهم ، فخرج
من ذلك البيت وأشار إليَّ فتبعته ، وفهمت منه أنه يطلب الماء ، فمشى أمامي
وأنا وراءه في أماكن معمورة لا أعرفها ، حتى انتهينا إلى مكان واسع ، فإذا
بسيدي الشيخ سعد بن علي با مدحج أمام سيدي يدلّه على الماء الذي يطلبه ،
وإذا بطائر في الهواء فوق رأس سيدي الشيخ سعد نفع الله به ، فمشى الشيخ
أمام سيدي غير بعيد ، فاعترضنا نهر عظيم ، فنزلنا في درج إلى النهر ،
وانتهت قبل أن يصل سيدي إلى النهر وبني من الفرح والسُّرور ما لا عليه
مزيد . زاده الله من فضله ورقاه إلى أعلى المقامات بمنه وكرمه وفضله .
فقصصت رؤيائي على سيدي فقال : أكنتم ما رأيتم ولا تخبر بذلك أحداً .

أعاد الله علينا من بركاته وبركات الشيخ الوليِّ سعد بن علي ، وبركات الأولياء والصالحين آمين .

انتهى كلام سيدي الفقيه بحروفه . وهذا آخر ما يسر الله جمعه من التاريخ المختصر الجامع ، وقد احتوى جرمه الصغير على علم كثير ، ونكت مفيدة ، يحتاج إليها ذوو البصائر ، ويهتدي بها عند الوقوف عليها كل حائر ، وذلك بفضل الله وهدايته ، وتخصيص من معونته ورعايته ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

قال مؤلفه فسمح الله في مدته : وقع الفراغ من تأليف هذا التاريخ اللطيف في يوم الجمعة ثاني عشر شهر ربيع الثاني سنة اثني عشر بعد الألف بأحمد آباد ، والحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . ﴿ دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سُبْحَنَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۖ وَآخِرُ دَعْوَانَهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(١) [يونس : ١٠] .

* * *

(١) وكان الفراغ من تحقيقه وتدقيقه وتصحيح تجارب طبعه على قدر الطاقة في الثاني عشر من شهر ذي الحجة لعام ١٤٢٠ هـ ، الموافق للثامن عشر من شهر آذار لعام ٢٠٠٠ م ، والحمد لله على ما تكرر وتفضل ، ونسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يتقبل عملنا فيه يوم العرض عليه ، وأن يدخر أجره لنا ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .
المحققون

فهرس المترجمين على نسق حروف المعجم

(أ)

٣٢٥	آصفخان الكجراتي (أخباره)
٥٦٣	أتلخان الحبشي
٨٠	إبراهيم بن ظهيرة
١٥٨	إبراهيم بن عبد الرحمن (ابن الكركي)
١٦٠	إبراهيم بن علي بن أحمد القلقشندي
٢٧١	إبراهيم بن علوي
٩٩	إبراهيم بن محمد بن علي الحداد
٨٣	إبراهيم بن محمود بن أحمد الاقصرائي
١٦٢	إبراهيم بن موسى بن أبي بكر الطرابلسي
١٦٨	أحمد بن أحمد بن محمد الرملي
٥٢٣	أحمد بن بدر الدين العباسي
١٥٥	أحمد بن أبي بكر العيدروس
١٤٨	أحمد بن حسن الصباحي
٣٦٧	أحمد بن حسين بن عبد الله العيدروس
١٨٠	أحمد بن الحسين بن محمد (ابن العليف)
٢١١	أحمد بن سليمان بن محمد الحوراني
٣٦٢	أحمد شاه
٣٣٢	أحمد بن شريف بن علي بن علوي
٣١١	أحمد بن شيخ بن عبد الله العيدروس (ولادته وحياته)
٣٠٦	أحمد بن الطيب الطنبداوي الصديقي

٣٠١	أحمد بن عبد الرحمن بن علي باعلوي
٩٨	أحمد بن عبد الله بن أحمد بامخرمة
١٩٣	أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بافضل
٣٥٠	أحمد بن عثمان بن محمد العمودي
٣٨٥	أحمد بن علوي بن المعلم باعلوي
٥٥٥	أحمد بن علي البسكري (أخباره)
٣١٧	أحمد بن علي الحلبي
٢٦٨	أحمد بن علي بن محمد الفاكهي
٣٤٦	أحمد بن علي المزجاجي
١٤٨	أحمد بن علي الواحدي
١٩٥	أحمد بن عمر بن محمد المزجد
١٦٤	أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني
١٣٤	أحمد بن محمد بالجفار
٨١	أحمد بن محمد الطاهر بن أحمد جعمان
٣٩١	أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي
	أحمد بن محمد (صاحب كجرات) = محمود بن محمد
١٣٧	أحمد بن محمد الفرغاني
٣١٠	أحمد بن محمد بن محمد بن السراج البخاري
١٤٧	أحمد بن محمد الموزعي
١٤٣	أحمد بن موسى المشرع (عجيل)
١٠١	أحمد بن الناصر
٣٣٩	أحمد بن أبي نمي
٣٩٠	الأسقع = عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن
٣١٩	الإسكليبي = محمد بن محمد بن مصطفى
٧٠	أسماء بنت موسى الضجاعي
١٠٠	إسماعيل بن علي العجل
٥٠٨	الأشجر = محمد بن أبي بكر
٨٣	الأقصرائي = إبراهيم بن محمود

٤٦٣ ، ٤٦٠	أكبر همايون (أخباره)
٣٩٨	الانقشاري = مامية
٥٣	الأهمل = الحسين بن الصديق بن الحسين
٥٧٢	الأهمل = الطاهر بن الحسين

(ب)

٣٧٦	باجبهان = علي باجبهان
٢٨٥	باشيان = عمر باشيان
٢٦٩	باصبهان = حسين بن أحمد بن علي
٣٠١	باعلوي = أحمد بن عبد الرحمن
٣٨٥	باعلوي = أحمد بن علوي بن المعلم
٥٣٢	باعلوي = أبو بكر بن سالم
١٢٤	باعلوي = أبو بكر بن عبد الله العيدروس
٢٦٩	باعلوي = حسين بن أحمد بن علي
٤٢٧	باعلوي = شيخ بن عبد الله بن علي
٣١٥	باعلوي = عبد الرحمن بن زين بافقيه
٤٧٠	باعلوي = عبد الله بن عبد الرحمن النحوي
٣٧٦	باعلوي = علي باجبهان
٣٣٢	باعلوي = عمر بن عبد الرحمن بن علي
٤٤٧	باعلوي = عمر بن عبد الله الهندوان
٢٩٦	باعلوي = فضل الله بنت محمد
١٩٣	بافضل = أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن
٤٥٨	بافضل = عبد القادر بن عبد الله
٢٧٩	بافضل = عبد الله بن محمد بن أحمد
٣١٥	بافقيه = عبد الرحمن بن زين
٣٣٤	باقشير = عبد الله بن محمد بن حكم
٣١٧	باقضام = محمد بن عمر

١٣٤	بـالجفـار = أحمـد بن محمـد
٩٨	بـامخـرمـة = أحمـد بن عبـد الله بن أحمـد
٣٠٣	بـامخـرمـة = الطيـبي بن عبـد الله
٥٨	بـامخـرمـة = عبـد الله بن أحمـد بن علي
٣٧٨	بـامخـرمـة = عبـد الله بن عمر
٥٨٣	بـاموجـه = سـالم بن علي
١٠٢	بـاهرـمز = عبـد الرحمن بن عمر
٣٤٠	بـايـزـيد بن سـليمان العثماني
٣٤٠	البـتان = سـليم شـاه بن شير شـاه
٢٠٢	بـحـرق = محمـد بن عمر بن مـبارك
٣١٠	البـخاري = أحمـد بن محمـد بن محمـد
٤٦٠	بـخـضر = عبـد الرحيم
٢٨٠	بـدر الإفرنج
٤٣٥	بـدر بن عبـد الله بن جعفر الكـثيري
٢١٢	بـركـات بن محمـد (والـد أبي نمي)
٣٤٠	بـرهـان نـظام شـاه
٥٥٥	البـسـكري = أحمـد بن علي
٥٣٢	أبو بـكر بن سـالم باعلوي
٨٠	أبو بـكر بن عبـد الله قـعيس
١٢٤	أبو بـكر بن عبـد الله العيـدروس
٧٢	أبو بـكر بن علي بن عمران
٨٥	أبو بـكر بن عمر البليـما
٧٦	أبو بـكر المـزجـاجي
٥٤٨	البـكري = أبو الحسن (ضمـن ترجمـة ولـده)
٥٣٤	البـكري = محمـد بن محمـد الصـديقي
٨٥	البليـما = أبو بـكر بن عمر
٢٨٣	بـهادر بن مظفر
١٣٦	البهـال = محمـد بن الحسين الحسيني

(ج)

٣٢٣	جار الله بن عبد العزيز (بن فهد)
٦٩	الجبائي = يوسف المقرئ بن يحيى
٣٤١	الجبرتي = حامد بن محمود
٦٨	الجبرتي = محمد النور بن عمر
٧٦	الجبرتي = وجيه الدين بن عبد الرحمن
٣٦	الجرکسي = قايتباي
٨١	جعمان = أحمد بن محمد الطاهر
١٦٨	جعمان = عمر بن محمد
٥٨٦	جمال خان (الوزير)
٢٦٦	الجنابي = محمد بن علي بن أحمد (ابن وحشي)
١٠١	الجهمي = طلحة بن محمد
٨٥	الجهمي = عبد اللطيف بن محمد

(ح)

٢٢٢	حاتم بن أحمد الأهل (نبذة من حياته وأشعاره)
٣٨٧	الحادي = القباني
٣٤١	حامد بن محمود الجبرتي
٥٦٣	الحبشي = أتلخان
٤٧٠	الحبشي = سعيد سلطاني
٣٩١	ابن حجر = أحمد بن محمد بن علي الهيثمي
٩٩	الحداد = إبراهيم بن محمد بن علي
٧٢	الحداد = أبو القاسم بن محمد
٥٤٨	أبو الحسن البكري (ضمن ترجمة ولده)
٣٨٩	حسن علوان
٣٣١	حسن بن علي

٣١٤ حسين بن أحمد باعلوي
٢٦٩ حسين بن أحمد بن علي باصبهان
٥٣ الحسين بن الصديق الأهمل
٤٥٤ حسين بن عبد الله بن بن عبد الرحمن الحضرمي
١٤٠ الحسين بن عبد الله العيدروس
٤٩٦ حسين المالكي
١٤٨ حسين بن محمد بن نور الدين
٥٦٧ حسين بن مرتضى نظام شاه
٥٩١ الحشيري = محمد بن علي
٤٩ الحضرمي = محمد بن أحمد بن عبد الله
٥٨٧ الحضرمي = محمد باشر حيل
٧٧ الحضرمي = محمد بن عبد الله
٣١٥ الحطاب = محمد بن عبد الرحمن بن حسين
٦٨ الحكمي = الصديق بن محمد
٣١٧ الحلبي = أحمد بن علي
١٨٥ حمزة بن عبد الله الناشري
٥٦١ حميد بن عبد الله السندي (ضمن ترجمة أخيه)
٢١١ الحوراني = أحمد بن سليمان
٥٨٧ الحوراني = يحيى
٤٧٧ حيدر بن حنش

(خ)

٣٦٣ خداوندخان
٣٢٢ خداوندخان = صفر سلمانى الرومي
٢٧١ خرد باعلوي = إبراهيم بن علي بن علوي
٣٣٢ خرد باعلوي = أحمد بن شريف بن علي
٣٣٨ خرد باعلوي = محمد بن علي بن علوي

(د)

٧٠	الداولي = موسى بن أحمد المكشكش
٣٧١	دعسين = محمد بن حسين بن محمد النهاري
١٩٠	الدواني = محمد بن أسعد
٤٨	الدوعاني = محمد بن أحمد باجر فيل
٢٨٦	الديبع = عبد الرحمن بن علي
٨٢	الديمي = أبو عمرو

(ر)

٥٦١-٥٦٠	رحمة الله بن عبد الله السندي
١٦٦	الرداد = موسى بن زين العابدين الصديقي
٥٠٥	رضي الدين القازاني المخزومي
٣١٥	الرعياني = محمد بن عبد الرحمن بن حسين الخطاب
١٦٨	الرملي = أحمد بن أحمد بن محمد

(ز)

٣٨٩	الزبيدي = محمد
٥٦٦	الزبيدي = محمد بن الصديق الخاص
١٧٢	زكريا بن محمد بن أحمد السنيكي
٤٢٧	الزمزمي = عبد العزيز
٤١٠	ابن زياد = عبد الرحمن بن عبد الكريم
٤٢٠	ابن زياد = عبد السلام بن عبد الرحمن
٤٧	الزيلعي = محمد المقبول بن أبي بكر

(س)

٥٨٣	سالم بن علي باموجه
٤٠	السخاوي = محمد بن عبد الرحمن

١٤٧	السدح = علي بن محمد
٤٧٠	سعيد سلطاني الحبشي
٣١٤	السقاف = شيخ بن إسماعيل بن إبراهيم
٢٧٤	السقاف = شيخ بن عبد الله بن عبد الرحمن
٥٦٦	سلمى (أخت المؤلف من أبيه)
٢٦٧	سلمان الرومي
١٧١	سليم (السلطان العثماني)
٤٦٦	سليم بن سليمان
٣٤٠	سليم شاه بن شير شاه البتان
٣٩٦	سليمان بن سليم
٥٦٥	السمرقندي = محمد بن الحسين
٩٥	السمهودي = علي بن عبد الله
٢١٣	السنباطي = عبد الحق بن محمد
٥٦١	السندي = حميد بن عبد الله
٥٦٠	السندي = رحمة الله بن عبد الله
٤٧٠	السندي = عبد الله بن سعد الدين
٥٣٣	السندي = محمود بن شمس الدين
١٧٢	السنكي = زكريا بن محمد بن أحمد
٢١٦	السودي = محمد بن علي بن محمد
١٥٠	ابن سويد = محمد بن محمد بن عبد الرحمن
٩٠	السيوطي = عبد الرحمن بن أبي بكر

(ش)

٣٥٥	الشافعي = عبد القادر
١٠٢	الشبامي = عبد الرحمن بن عمر باهرمز
٢٨١	الشحري = عبد الله بن أحمد سرومي
١٥٣	الشرعبي = عمر بن معوضة

الشرف بن وهيب	١٠٠
شيخ بن إسماعيل بن إبراهيم السقاف	٣١٤
شيخ بن عبد الله بن شيخ العيدروس	٤٨٨
شيخ بن عبد الله بن عبد الرحمن السقاف	٢٧٤
شيخ بن عبد الله بن علي باعلوي	٤٢٧
شيخ بن عبد الله العيدروس	١٤٩
شير شاه البتان	٣١٨

(ص)

الصائغ = محمد الصديق	١٥٢
الصباحي = أحمد بن حسن	١٤٨
الصدفي = محمد بن إسماعيل	٧٣
الصديق بن عبد العليم إقبال القرطبي	١٣٩
الصديق بن محمد الحكمي الوزيني	٦٨
الصديق بن محمد المزجاجي	١٠٠
الصدريقي = أحمد بن الطيب الطنبداوي	٣٠٦
الصدريقي = محمد بن محمد	٥٣٤
الصدريقي = موسى بن زين العابدين	١٦٦
الصعدي = نجم	٧٦
صفر سلماني الرومي (خداوندخان)	٣٢٢

(ط)

الطارمي = عماد بن محمود	٢٧٥
الطاهر بن الحسين الأهدل	٥٧٢
طلحة العباس الهتار	٩٩
طلحة بن محمد بن يحيى الجهمي	١٠١
الطنبداوي = أحمد بن الطيب الصديقي	٣٠٦

الطيب = محمد بن علي ٨٠
الطيبي بن عبد الله بن أحمد مخرمة ٣٠٣

(ظ)

الظافري = مرجان بن عبد الله ١٨٩
ابن ظهيرة = إبراهيم ٨٠
ابن ظهيرة = أبو المكارم بن الرافعي ٧٩

(ع)

عامر بن عبد الوهاب ١٦٩
العباسي = أحمد بن بدر الدين ٥٢٣
عبد الباري بن سليمان الطويل ١٦٦
عبد الحق بن محمد السنباطي ٢١٣
عبد الرحمن بن أحمد بن عمر المزجد ١٤٢
عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ٩٠
عبد الرحمن بن حسين بن الصديق الأهدل ٣٧٤
عبد الرحمن بن زين بافقيه باعلوي ٣١٥
عبد الرحمن بن عبد الكريم الغيثي (ابن زياد) ٤١٠
عبد الرحمن بن علي بن أبي بكر ١٦٣
عبد الرحمن بن علي الديبع العبدري ٢٨٦
عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي ٣٦
عبد الرحمن بن عمر بن أحمد العمودي ٣٥٨
عبد الرحمن بن عمر باهرمز الشبامي ١٠٢
عبد الرحيم بخضر ٤٦٠
عبد الرحيم الحساوي ٥٨٧
العبدري = عبد الرحمن بن علي الديبع ٢٨٦
عبد السلام بن عبد الرحمن (ابن زياد) ٤٢٠

٨٩	عبد السلام بن محمد بن عبد السلام الناشري
٤٢٧	عبد العزيز الزمزمي
٧٢	عبد العزيز بن عبد الرحمن بن إسحاق
٨٠	عبد العليم بن أبي القاسم القرطبي
١٤٧	عبد العليم بن محمد بن حسين القماط
٤٦٤	عبد القادر بن أحمد بن علي الفاكهي
٣٥٥	عبد القادر الشافعي
٤٥٣-٤٤٤	عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروس (المؤلف - نبذة من حياته)
٤٥٨	عبد القادر بن عبد الله بن أحمد بافضل
٨٥	عبد اللطيف بن محمد بن يحيى الجهمي
١٧٨	عبد الله بن أحمد باكثر الحضرمي
١٣٦	عبد الله بن أحمد بن حشبير
٢٨١	عبد الله بن أحمد سروي الشحري
٥٨	عبد الله بن أحمد بن علي بامخرمة
٣٧٨	عبد الله بن أحمد الفاكهي
٤٧١	عبد الله بن بدر
٨٨	عبد الله بن جعفر الكثيري
٤٧٠	عبد الله بن سعد الدين السندي
٢٨٤	عبد الله بن شيخ بن عبد الله العيدروس
١٤٥	عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الحضرمي
٤٧٠	عبد الله بن عبد الرحمن بن هارون باعلوي (النحوي)
١٤٧	عبد الله بن عبد الرزاق الجبرتي
٣٢٢	عبد الله بن علوي بن عبد الله العيدروس
٢٧٩	عبد الله بن علي بن أبي بكر
٣٧٨	عبد الله بن عمر بن عبد الله بامخرمة
٢٩٦	عبد الله العيدروس (ولادته وحياته)
٧٩	عبد الله بن أبي الفضل ظهيرة
٢٧٩	عبد الله بن محمد بن أحمد بافضل

٧٧	عبد الله بن محمد بن حسن بن محمد عبسين
٣٣٤	عبد الله بن محمد بن حكم سهل باقشير
٣٩٠	عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأسقع
٨٧	عبد المجيد بن عبد العليم إقبال القرطي
٤٧٩	عبد المعطي بن حسن بن عبد الله الحضرمي
٢٦١	عبد النافع بن محمد بن عراق (ضمن ترجمة والده)
٤٩٥	عبد النبي الصدر
٧٧	عبسين = عبد الله بن محمد بن حسن
٩٩	عثمان بن أبي القاسم بن أبي الأفلح
٣٥٠	عثمان بن محمد بن أحمد العمودي (نبذة من أخباره)
٣٤٠	العثماني = بايزيد بن سليمان
١٣٨	عجيل = علي بن موسى المشرع
١٤٣	عجيل = محمد بن إسماعيل
٢٦١	ابن عراق = عبد النافع بن محمد
٢٥٨	ابن عراق = علي بن محمد بن علي
٢٥٧	ابن عراق = محمد بن علي
٥٥٤	العقيلي = محمد بن عبد الحق
١٤٣	علي بن إسماعيل المشرع
٣٧٦	علي باجبهان باعلوي
١٥٣	علي بن الشجاع العنسي
٤٧٧	علي بن صبر اليافعي
٤٧٨	علي عادل شاه
٩٥	علي بن عبد الله بن أحمد السمهودي
١٤٧	علي بن محمد السدح
٢٥٨	علي بن محمد بن علي بن عراق (ضمن ترجمة والده)
١٣٨	علي بن موسى المشرع (عجيل)
١٤٣	علي بن موسى المشرع
١٨٠	ابن العليف = أحمد بن الحسين بن محمد

٢٧٥	عماد بن محمود الطارمي
٣٥٧	عماد الملك
٣٦٠	عمر بن أحمد العمودي (نبذة من أخباره)
٢٨٥	عمر باشيان بن محمد
٣٣٢	عمر بن عبد الرحمن بن علي باعلوي
٤٧٧	عمر بن عبد الله بن عمر الهندوان
٥٨٩	عمر بن عبد الله العيدروس
٤٦٤	عمر بن عبد الوهاب الناشري
١٦٨	عمر بن محمد بن أبي بكر جعمان
١٥٣	عمر بن معوضة الشرعبي
٨٢	أبو عمرو الديلمي
٣٥٠	العمودي = أحمد بن عثمان بن محمد
٣٥٨	العمودي = عبد الرحمن بن عمر بن أحمد
٣٥٠	العمودي = عثمان بن محمد
٣٦٠	العمودي = عمر بن أحمد
٤٧٠	العمودي = محمد بن عبد الرحيم
١٥٣	العنسي = علي بن شجاع
١٥٥	العيدروس = أحمد بن أبي بكر
٣٦٧	العيدروس = أحمد بن حسين بن عبد الله
٣١١	العيدروس = أحمد بن شيخ بن عبد الله
١٢٤	العيدروس = أبو بكر بن عبد الله
١٤٠	العيدروس = الحسين بن عبد الله
١٤٩	العيدروس = شيخ بن عبد الله
٤٨٨	العيدروس = شيخ بن عبد الله بن شيخ
٤٤٤	العيدروس = عبد القادر بن شيخ بن عبد الله
٢٨٤	العيدروس = عبد الله بن شيخ بن عبد الله
٣٢٢	العيدروس = عبد الله بن علوي بن عبد الله
٥٨٩	العيدروس = عمر بن عبد الله

١٤٥	العيدروس = محمد بن أحمد بن أبي بكر
٤٦٦	عيسى الهندي
١٤٤	عين البقر

(ف)

٥٦٨	فاطمة بنت عبد الرحمن بن علي
٢٧٦	فاطمة بنت محمود بن سيرين
٢٦٨	الفاكهي = أحمد بن علي بن محمد
٤٦٤	الفاكهي = عبد القادر بن أحمد
٣٧٨	الفاكهي = عبد الله بن أحمد
٥٢٧	الفاكهي = محمد بن أحمد بن علي
١٣٧	الفرغاني = أحمد بن محمد
٢٩٦	فضل الله بنت محمد بن حسن باعلوي
٣٢٣	ابن فهد = جار الله بن عبد العزيز

(ق)

٥٠٥	القازاني = رضي الدين
٧٢	أبو القاسم بن محمد الحداد
٣٦	قايتباي الجركسي المحمودي
٣٨٧	القباني الحادي
١٣٩	القرتبي = الصديق بن عبد العليم إقبال
٨٠	القرتبي = عبد العليم بن أبي القاسم
٨٧	القرتبي = عبد المجيد بن عبد العليم
٣٥٧	القرماني = مصطفى
١٦٤	القسطلاني = أحمد بن محمد بن أبي بكر
٤٩٩	قطب الدين الحنفي النهروالي
٤٨٨	قطب شاه / سلطان كلكنده

٨٠ قعيس = أبو بكر بن عبد الله
١٦٠ القلقشندي = إبراهيم بن علي
١٤٧ القمط = عبد العلیم بن محمد
٦٧ القمط = محمد بن حسين بن محمد

(ك)

١٩٠ الكازروني = محمد بن أسعد الدواني
٤٣٥ الكثيري = بدر بن عبد الله
٨٨ الكثيري = عبد الله بن جعفر
٣٢٥ الكجراتي = آصفخان
١٥٨ ابن الكرکي = إبراهيم بن عبد الرحمن
٢٥٧ الكناني = محمد بن علي بن عراق

(م)

٤٩٦ المالكي = حسين
٣٩٨ مامية الانقشاري (أخباره وأشعاره)
٦٦ محمد بن إبراهيم المكش
٤٨ محمد بن أحمد باجر فيل الدوعاني
١٤٥ محمد بن أحمد بن أبي بكر العيدروس
٤٩ محمد بن أحمد بن عبد الله الحضرمي
٥٢٧ محمد بن أحمد بن علي الفاكهي
١٩٠ محمد بن أسعد الدواني الكازروني
٧٣ محمد بن إسماعيل الصدفي
١٤٣ محمد بن إسماعيل المشرع عجيل
٣٨٨ محمد بن أفلح المكي
٥٨٧ محمد باشر حيل الحضرمي
٦٧ محمد بن برکات (صاحب مكة)

٤٩٦	محمد بن بركات (صاحب مكة أبونمي)
٥٠٨	محمد بن أبي بكر الأشخر
٧٩	محمد بن أبي بكر بن بدير
٤٥٩	محمد حاجي
٣٦٨	محمد بن حسن بن علي
١٣٦	محمد بن الحسين البهال الحسيني
٥٦٥	محمد بن الحسين السمرقندي
٦٧	محمد بن حسين بن محمد القماط
٣٧١	محمد بن حسين بن محمد النهاري دعسين
٣٨٩	محمد الزبيدي
٥٦٦	محمد بن الصديق الخاص الزبيدي
١٥٢	محمد بن الصديق الصائغ
٤٧٥	محمد بن طاهر الهندي
١٣٦	محمد بن الطيب بن إسماعيل مبارز
٥٥٤	محمد بن عبد الحق العقيلي
١٤٢	محمد بن عبد الرحمن الأسقع باعلوي
٣١٥	محمد بن عبد الرحمن بن حسين الرُّعيني الحطاب
٦٧	محمد بن عبد الرحمن بن محمد باصهي
٤٠	محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي
٤٧٠	محمد بن عبد الرحيم بن محمد العمودي
٧٤	محمد بن عبد السلام الناشري
٧٧	محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الحضرمي
١٧١	محمد بن علوي بن محمد بن علي
٢٦٦	محمد بن علي بن أحمد الجناحي (ابن وحشي)
٥٩١	محمد بن علي الحشيري
٨٠	محمد بن علي الطيب
٢٥٧	محمد بن علي بن عراق الكناني
٣٣٨	محمد بن علي بن علوي خرد باعلوي

٢١٦	محمد بن علي بن محمد السوداني
٨٩	محمد بن علي الوشلي
٣١٧	محمد بن عمر باقضاء
٢٠٢	محمد بن عمر بن مبارك (بحرق)
٧٤	محمد بن محمد بن أبي بكر المقدسي
١٥٠	محمد بن محمد بن عبد الرحمن (ابن سويد)
٥٣٤	محمد بن محمد بن محمد البكري الصديقي
٣١٩	محمد بن محمد بن مصطفى الإسكليبي
١٥٤	محمد بن محمد النظاري
٤٧	محمد المقبول بن أبي بكر الزيلعي
١٥٧	محمد بن موسى بن عبد المنعم الضجاعي
٦٨	محمد النور بن عمر الجبرتي
٥٦١	محمد بن ياقوت الفخان سلطاني
٣٣٩	محمود شاه بن لطيف شاه
٥٣٣	محمود بن شمس الدين السندي
١٣٧	محمود بن محمد (صاحب كجرات)
٣٦	المحمودي = قايتباي
٣٤٥	مرتضى
٥٦٧	مرتضى نظام شاه
١٨٩	مرجان بن عبد الله الظافري
٣٤٦	المزجاجي = أحمد بن علي
٧٦	المزجاجي = أبو بكر
١٠٠	المزجاجي = الصديق بن محمد
٦٨	المزجاجي = علي بن عبد الله
١٩٥	المزجّد = أحمد بن عمر بن محمد
١٩٥	المشرع = أحمد بن عمر بن محمد
١٤٣	المشرع = أحمد بن موسى
١٤٣	المشرع = محمد بن إسماعيل

٣٥٧ مصطفى القرماني
٢٥٦ مظفر شاه بن محمود شاه
٣٧٠ معروف بن عبد الله بن محمد
٢٧١ المغربي = يحيى بن علي
٧٤ المقدسي = محمد بن محمد
٧٩ أبو المكارم بن الرافعي بن ظهيرة
٦٦ المكش = محمد بن إبراهيم
٣٦ المكودي = عبد الرحمن بن علي
٨٣ المواهيبي = إبراهيم بن محمود الأقصري
١٤٧ الموزعي = أحمد بن محمد
٧٠ موسى بن أحمد الداوولي المكشكش
١٦٦ موسى بن زين العابدين الصديقي
٧٠ موسى بن عبد المنعم الضجاعي
١٤٨ موسى بن أبي الغيث الخاص
٤٧٤ ميان عبد الصمد الهندي

(ن)

١٨٥ الناشري = حمزة بن عبد الله
٨٩ الناشري = عبد السلام بن محمد
٤٦٤ الناشري = عمر بن عبد الوهاب
٧٤ الناشري = محمد بن عبد السلام
٦٩ الناصر بن قايتباي
٧٦ نجم الصعدي
٤٧٠ النحوي = عبد الله بن عبد الرحمن
١٥٤ النظاري = محمد بن محمد
٣٣٩ ابن أبي نمي = أحمد
٣٧١ النهاري = محمد بن حسين دعسين
٤٩٩ النهروالي = قطب الدين الحنفي

(هـ)

٩٩	الهتار = طلحة العباس
٣٤٤	همايون بن بابور
٤٧٧	الهندوان = عمر بن عبد الله باعلوي
٤٢١	الهندي = علي المتقي بن حسام الدين
٤٦٦	الهندي = عيسى
٤٧٥	الهندي = محمد طاهر
٤٧٤	الهندي = ميان عبد الصمد
٣٩١	الهيتمي = أحمد بن محمد بن علي (ابن حجر)

(و)

٧٦	وجيه الدين بن عبد الرحمن الجبرتي
٥٨٢	وجيه الدين الهندي
٢٦٦	ابن وحشي = محمد بن علي الجناحي
٦٨	الوزيعي = الصديق بن محمد الحكمي
٨٩	الوشلي = محمد بن علي

(ي)

٤٧٧	اليافعي = علي بن صبر
٥٨٧	يحيى الحوراني
٢٧١	يحيى بن علي الرحبي المغربي
٦٩	يوسف المقرئ بن يحيى الجبائي

فهرس ما قيده أو شرحه المؤلف من الأسماء والبلدان

الأحقاف	١٠٦	الديمي	٨٢
أحمد آباد	٤٨٥	سبأ	١١٠
إرم ذات العماد	١١٥	سد مأرب	١١٠
إسكليب	٣١٩	سرجيس	٥٩٩
أسيوط	٩٤	السعدي	٣٩٥، ٤٩
الأشخر	٥٠٨	سمل	١٢١
الاقتباس	٣٨٢	السودي	٢٥٦
إنشاء الشعر	٢٠٤	سيل الإكليل	٣٧٣
الأنفة	٤٩	سيل العرم	١١٠
بحرق	٢٠٢	الشوي	٢٦١
بيت جبير	١٢١	الصحاح	٥٣٨
البيش	٥٣٣	طارم	٢٧٥
تريم	١١٨	عبدوية	٢٧٧
جرفيل	٤٨	العليف	١٨٠
جشير	١٢١	القهوة	٣٠٩-٣٠٧، ١٩٢-١٩٠
جناح	٢٦٦	كثير	١٧٨
ابن حجر	٣٩٦	كرامات الأولياء	١٢٨
الحسيصة	١٢١	المزجد	١٩٥
حضر موت	١٠٦	المقصري	٤١٠
الخضيري	٩٠	المكدش	٦٦
خلكان	٥٠٥	المليجي	٥٢٣
الدواني	١٩٠	المواهبي	٨٢

٣٩٥ الهيتمي	١٦٣ النعير
٣٣٢ وادي ابن راشد	٤٩٩ النهروالي
٣٣٥ وقعة الجرب	٢٦٢ الهباريش
		١٠٢ هرمز

* * *

فهرس ما قُيِّد أو شرح في الحواشي من الأسماء والبلدان

٣٢٨	شبانين	٥٨٦	أحمد بكر
١٣٦	صعدة	٣٢٠	اسطنبول
٦٥	طمسنان	١٠١	أصاب
٣٠	طيبة	٣١٩	أماسية
٣٣٤	العجز	٣٠	أم القرى
٤٢٧	القات	٧٣	باب الشبارق
٨٠	القنفذة	٢٩٩	بروج
٣٥١	قيدون	٣٢٠	بروسا
١٣٧	كجرات	٢٤	تحرير بيع الخمر
٢٧٧	كمران	٢٦٦	جناح
١٥٠	كناية	١٣٦	الجوف
٤٧	اللحيّة	٨١	حيس
٦٥	مالين	٣٧٠	دوعان
٢٣٨	المخا	٢٦	دومة الجندل
١٤٧	المقرانة	٣٢٨	الديو
٤٢٥	الملتان	٩٩	الذراع
١٤٧	موزع	٣٧١	ريمة
٦٥	نصرا باذ	٩٩	الزربية
٢٥٠	نعمان	١٢٧	زيلع
٣١٧	الهجران	٣٢٨	سرات
١٠١	هرموز	٩٥	سمهود
		٣٧٠	شيام

فهرس المصادر والمراجع المعتمدة في تحقيق الكتاب والتعليق عليه

(أ)

- أبجد العلوم، تأليف صديق حسن خان، بعناية عبد الجبار زكّار، وزارة الثقافة، دمشق - سورية.
- إتحاف السادة المتقين، للمرئضى الزبيدي، طبعة دار الفكر، بيروت، لبنان.
- الأحاديث الموضوعة، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق محمود الأرناؤوط، مراجعة عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار العروبة، الكويت.
- أخبار الدول وآثار الأول، للقرماني، تحقيق أحمد حطيط، فهمي سعد، عالم الكتب، بيروت.
- الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، لملا علي القاري، تحقيق محمد الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.
- الاكتفا في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، للكلاعي، بيروت، لبنان.
- الأنساب، للسمعاني، تحقيق عبد الرحمن المعلمي اليماني وجماعة من المحققين، منشورات محمد أمين دمج، بيروت، لبنان.

(ب)

- البدر الطالع: للشوكاني، مصورة دار المعرفة، بيروت.
- بغية الوعاة: للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا.
- بلدان الخلافة الشرقية: تأليف كي لسترنج، ترجمة بشير فرنسيس، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- البيان والتبيين: للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة.

(ت)

- تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، طبع
وزارة الإعلام بالكويت، ومصورة لطبعة بولاق القديمة صادرة في بيروت.
- تاريخ بغداد: للخطيب البغدادي، مصورة دار الكتب العلمية، بيروت.
- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، دار القلم، دمشق ١٣٩٧هـ.
- تاريخ الدولة العلية العثمانية: تأليف محمد فريد وجدي، الطبعة المصرية القديمة
دون تحقيق، والطبعة المحققة بعناية إحسان حقّي، دار النفائس، بيروت.
- تاريخ الطبري (١-١١): تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث
العربي، بيروت.
- تحرير المقال في آداب وأحكام وفوائد يحتاج إليها مؤدبو الأطفال، الهيثمي،
تحقيق محمد سهيل الدّبس، بإشراف محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق -
بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.
- التحفة السنية في أسماء البلاد المصرية، لابن الجيعان، مكتبة الكليات الأزهرية،
القاهرة ١٣٩٤هـ.
- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، للسخاوي، مطبعة السّنة المحمدية،
القاهرة.
- تعريف ذوي العلا بمن لم يذكره الذهبي من النبلا: لتقي الدين الفاسي، تحقيق
محمود الأرناؤوط، أكرم البوشي، دار صادر، بيروت.
- تفسير القرآن العظيم لابن كثير الدمشقي، طبعة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
- تقويم البلدان: لأبي الفداء، بعناية المستشرق رينو دومالاكوكين، ديسلان،
١٢٥٦هـ.
- جامع الأصول: لابن الأثير الجزري، (١-١١) تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة
الحلواني، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان، دمشق ١٣٨٩-١٣٩٣هـ.
- جامع كرامات الأولياء: للنبهاني، دار صادر، بيروت.
- جوامع السيرة لابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس وناصر الدين الأسد،
مراجعة أحمد محمد شاكر، دار المعارف القاهرة.

(ح)

- حركة التأليف بالعربية في الإقليم الشمالي: لجميل أحمد، وزارة الثقافة، دمشق.
- الحيوان للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة.
- در الحجب: لابن الحنبلي، تحقيق محمود حمد الفاخوري، يحيى زكريا عبارة، منشورات وزارة الثقافة، دمشق ١٩٧٢ م.
- الدرر المنتشرة في الأحاديث المشتهرة، للسيوطي، تحقيق محمود الأرناؤوط، ومحمد بدر الدين القهوجي، (الطبعة الثانية) مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت ١٤١٠ هـ.
- ديوان ابن المعتز: دار صادر، بيروت.
- ديوان الشافعي: تحقيق إسماعيل اليوسف، دار الخير، دمشق.
- ديوان المتنبي بشرح البرقوقي: القاهرة.

(ذ)

- ذكر أخبار أصبهان: لأبي نعيم الأصبهاني، ليدن ١٣٥٣ هـ.
- ذكر مولد رسول الله ﷺ ورضاعه، لابن كثير، تحقيق محمود الأرناؤوط وياسين محمد السوَّاس، دار ابن كثير، دمشق - بيروت ١٤٠٧ هـ.
- الرسالة المستطرفة، للكتاني، تحقيق محمد المنتصر الكتاني، دار البشائر الإسلامية بيروت ١٤٠٦ هـ.

(س)

- السنة لابن أبي عاصم، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت.
- سنن الترمذي: تحقيق أحمد محمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي، إبراهيم عطوة عوض، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- سنن أبي داود: تحقيق عزة عبيد الدعَّاس وعادل السيد، دار الحديث حمص ١٣٨٨ هـ.

- سنن ابن ماجه: تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة العلمية، بيروت.
- السيرة النبوية: لابن هشام، تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شليبي، مصورة مؤسسة علوم القرآن بيروت.

(ش)

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، تحقيق محمود الأرناؤوط، بإشراف عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق بيروت ١٤٠٦-١٤١٤هـ.
- شرح ديوان كعب بن زهير: لثعلب، تحقيق د. فخر الدين قباوة، دار الفكر، دمشق ١٩٩٦م.
- الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، لطاش كبري زاده، ومعه العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم للمؤلف نفسه، دار الكتاب العربي، بيروت ١٣٩٥هـ.

(ص)

- صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت

(ض)

- ضرائر الشعر: تأليف محمود شكري الألوسي، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٤١هـ.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، للسخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

(ط)

- طبقات الخواص من أهل الصدق والإخلاص، للزبيدي، الدار اليمنية، بيروت ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م:
- طبقات الصوفية: للسلمي، تحقيق نور الدين شريعة، دار الكتاب النفيس، بيروت ١٤٠٦هـ.
- الطبقات الكبرى، لابن سعد، تقديم إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

(ع)

- عيون الأخبار: لابن قتيبة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة.

(غ)

- غاية الأمان في أخبار القطر اليماني، تأليف يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد ابن علي، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، مراجعة محمد مصطفى زيادة، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٣٨٨هـ.

(ف)

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، طبعة المكتبة السلفية، القاهرة، بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، وتعليق عبد العزيز بن باز، وعناية محب الدين الخطيب.

- الفصول في سيرة الرسول: لابن كثير، تحقيق محمد العيد الخطراوي، ومحيي الدين مستو، دار التراث، المدينة المنورة.

- الفوائد المجموعة: للشوكاني، تحقيق عبد الرحمن المعلمي اليماني، بيروت.

(ق)

- القبس الحاوي لغرر ضوء السخاوي: للشماع، حققه وعلق عليه حسن إسماعيل مروة وخلدون حسن مروة، خرّج أحاديثه وقدم له محمود الأرنؤوط، دار صادر، بيروت.

(ك)

- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، للعجلوني، بعناية أحمد قلاّش، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٨هـ.

- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، للمتقي الهندي، بعناية بكرى حّياني وصفوة السقا، منشورات مكتبة التراث الإسلامي، حلب ١٣٩٥هـ.

- الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة: للغزي، تحقيق جبرائيل سليمان جبور، دار الآفاق الجديدة، بيروت ط ٢ ١٩٧٩ م.

(ل)

لباب الآداب لابن منقذ: تحقيق أحمد محمد شاكر. القاهرة.
- لسان العرب: لابن منظور، تحقيق جماعة من المحققين، دار المعارف، القاهرة.

(م)

- مجالس في سيرة النبي ﷺ: لابن رجب الحنبلي، حققه وعلّق عليه محمود الأرناؤوط وياسين محمد السّوّاس، راجعه وحكم على أحاديثه عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير. دمشق - بيروت ١٤٠٨ هـ.
- المجتبى من السنن: للنسائي، بشرح السيوطي، وحاشية السندي: المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة ١٣٤٨ هـ.
- مجمع الأمثال: للميداني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار إحياء التراث، القاهرة.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيتمي، مصورة دار الكتاب العربي، بيروت.
- المحبّر: لابن حبيب. دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- المدارس النحوية: للدكتور شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة.
- مرصد الأطلّاع: للبغداد، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت ١٣٧٣ هـ.
- المعرّب: للجواليقي، تحقيق أحمد محمد شاكر، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة.
- المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، مصورة دار المعرفة، بيروت.
- مسند الإمام أحمد: طبعة المكتب الإسلامي ودار صادر. بيروت.
- المصنف لعبد الرزاق الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت.
- المعارف، لابن قتيبة، تحقيق ثروة عكاشة، دار المعارف، القاهرة.

- معجم البلدان، لياقوت الحموي. دار صادر. بيروت.
- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث للدكتور فنسك ومجموعة من المستشرقين. دار الدعوة. إستانبول، دار سحنون. تونس.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن: تأليف محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث بيروت.
- معجم المؤلفين: لكحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- المعجم الوسيط: لجماعة من العلماء، مصورة مكتبة النوري. دمشق.
- المعمرّون والصايبا، للسجستاني، تحقيق عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربية. القاهرة.
- المغانم المطابة في معالم طابة، للفيروز آبادي، تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض ١٣٨٩هـ.
- مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، لابن طولون، تحقيق محمد مصطفى، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة ١٢٨١هـ.
- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، للسخاوي، بعناية عبد الله الصّدّيق، وتقديم عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الكتب العلمية، بيروت.
- المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد: للعلمي، تحقيق محمود الأرناؤوط، رياض عبد الحميد مراد، محيي الدين نجيب، إبراهيم صالح، حسن إسماعيل مروة، بإشراف عبد القادر الأرناؤوط، دار صادر، بيروت.
- موسوعة أطراف الحديث النبوي: لبيسوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت.

(ن)

- نظم العقيان في أعيان الأعيان، للسيوطي، حرره فليب حتي، المكتبة العلمية، بيروت ١٣٤٦هـ.
- النعت الأكمل لتراجم أصحاب الإمام أحمد بن حنبل، للغزي، تحقيق وجمع محمد مطيع الحافظ، ونزار أباطة، دار الفكر، دمشق ١٤٠٢هـ.
- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، للتنبكتي، تحقيق عبد الحميد عبد الله الهرامة، كلية الدعوة الإسلامية طرابلس.

(هـ)

- هدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٢م.

* * *

فهرس موضوعات

تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٥
مقدمة التحقيق	٧
ترجمة المؤلف	١١
مقدمة المؤلف	١٧
نبذة من أوصاف سيّد المرسلين ﷺ	١٩
تاريخ ولادته ﷺ	٢٣
تاريخ هجرته إلى المدينة، ومدة إقامته بها	٢٣
تاريخ تحويل القنبلة	٢٣
تاريخ فرض صوم شهر رمضان وصّدقة الفطر	٢٤
تاريخ غزواته ﷺ	٢٤
تاريخ حجة الوداع ووفاته ﷺ	٢٦
بيان معجزاته ﷺ	٢٧
قصيدة في مدح النبي ﷺ	٣٠
سنة إحدى وتسعمائة	٣٦
وفاة الشيخ عبد الرحمن المكوّدي	٣٦
وفاة الملك قايتباي الجركسي ملك مصر، وبيان مدة ملكه، وما تم له من الأعمال الفميدة	٣٦
دخول كتاب «فتح الباري شرح صحيح البخاري» للحافظ ابن حجر	
العسقلاني إلى بلاد اليمن	٣٩

سنة اثنتين وتسعمائة	٤٠
وفاة الحافظ السخاوي، وذكر مؤلفاته وترجمته	٤٠
«فائدة» في الثناء عليه من كبار العلماء والأعلام	٤٥
وفاة الفقيه جمال الدين الزيلعي	٤٧
تقييد رئيس الإسماعيلية بأمر السلطان عامر بن عبد الوهاب	٤٧
سنة ثلاث بعد التسعمائة	٤٨
وفاة العارف بالله محمد بن أحمد باجر فيل	٤٨
وفاة الفقيه جمال الدين محمد بن أحمد بافضل السَّغدي	٤٩
قصيدة لسراج الدين عمر باعلوي يمدح الفقيه المذكور	٥٠
وفاة الشريف الفقيه بدر الدين الأهمل، وبيان ترجمته	٥٣
ذكر شيء من شعره، وقصيدته المسماة بالوسيلة العظيمة	٥٥
وفاة مفتي عدن الفقيه عبد الله بن أحمد بامخرمة الحميري، وبيان ترجمته، ومؤلفاته	٥٨
قصيدة من نظمها السماها الوسيلة العظيمة المشتملة على ذكر كثير من أولياء الله ..	٦١
قصيدة أخرى نظم بها أسماء أكثر مشايخ الرسالة	٦٣
وفاة الفقيه محمد بن إبراهيم المكش	٦٦
وفاة الشريف محمد بن بركات صاحب مكة	٦٧
وفاة الفقيه محمد عبد الرحمن بن محمد باصهي	٦٧
وفاة الفقيه المفتي القاضي محمد بن حسين القمط الزبيدي	٦٧
وفاة الفقيه الصالح المعمر جمال الدين محمد النورين عمر الجبرتي	٦٨
وفاة الفقيه جمال الدين بن الصديق محمد الحكمي الوزيني	٦٨
وفاة الشيخ شمس الدين علي بن عبد الله الزجاجي الصوفي	٦٨
سنة أربع بعد التسعمائة	٦٩
وفاة شيخ الإسلام نجم الدين يوسف المقرّي بن يحيى الجبائي	٦٩
قتل الملك الناصر بن قايتباي ملك مصر	٦٩
وفاة السيدة أسماء بنت الفقيه كمال الدين موسى الضجاعي	٧٠

- ٧٠ وفاة الفقيه العلامة الخطيب كمال موسى بن عبد المنعم الضجاعي
- ٧٠ وفاة الفقيه كمال الدين موسى بن أحمد الدوالي المعروف بالمكشكش
- ٧٠ حصول برقي عظيم، واحتراق ثورين
- ٧٢ سنة خمس بعد التسعمائة
- ٧٢ وفاة القاضي عبد الرحمن بن إسحاق ناظر مدينة عدن
- ٧ ظهور هالة عظيمة حول الشمس
- ٧٢ وفاة القاضي شرف الدين أبو القاسم بن محمد الحداد
- ٧٢ وفاة قاضي تعز الفقيه سراج الدين أبي بكر بن علي
- ٧٢ طلوع نجم ذو ذؤابة
- ٧٢ انقضاض كوكب عظيم من المشرق في المغرب وقد أضاء الدنيا
- ٧٢ اندفاع سيل عظيم من وادي زبيد، وخراب بيوت كثيرة
- ٧٣ هجوم ثعبان عظيم على قطع من الغنم
- ٧٣ وفاة الشيخ جمال الدين محمد المعروف بابن إسماعيل الصوفي
- ٧٤ سنة ست بعد التسعمائة
- ٧٤ وفاة قاضي الشريعة جمال الدين محمد بن عبد السلام الناشري
- ٧٤ وفاة شيخ الإسلام كمال الدين محمد بن محمد المري وترجمته
- ٧٥ الوباء في مدينة زبيد، وموت خلائق لا يحصون
- ٧٥ هدية صاحب مصر جان بلاط إلى السلطان عامر بن عبد الوهاب
- ٧٦ وفاة الشيخ أبي بكر المزجاجي
- ٧٦ وفاة الشيخ وجيه الدين بن عبد الرحمن الجبرتي
- ٧٦ وفاة نجم الصعدي
- ٧٧ سنة سبع بعد التسعمائة
- ٧٧ وفاة العلامة محمد بن الفقيه عبد الله الحضرمي بالشحر
- ٧٧ وفاة الشيخ القاضي عبد الله بن محمد الشافعي، وترجمته
- ٧٩ وفاة القاضي عفيف الدين عبد الله بن أبي الفضل ظهيرة
- ٧٩ وفاة العلامة جمال الدين أبي المكارم بن الرافعي بن ظهيرة

- وفاة الفقيه جمال الدين محمد بن أبي بكر المعمر المقرئ ٧٩
- وفاة الفقيه جمال الدين محمد بن علي الطيب إمام الحنفية بجامع زبيد ٧
- وفاة أبي بكر بن عبد الله قعيس الشافعي ٨٠
- وفاة الفقيه المعمر عفيف الدين عبد العليم القرطبي الحنفي ٨٠
- كيفية تغريق القاضي أبي السعود بأمر الشريف بركات ٨٠
- وفاة القاضي مفتي المسلمين جمال الدين محمد الطاهر بن أحمد جعمان ٨١
- سنة ثمان بعد التسعمائة ٨٢
- وفاة الحافظ عثمان بن محمد بن عثمان الديلمي، وترجمته ٨٢
- وفاة الشيخ أبي الطيب إبراهيم بن محمد الأقصري القاهري الحنفي ٨٣
- احترق جانب عظيم من مدينة عدن ٨٥
- حدوث زلازل في مدينة زبيد ونواحيها ٨٥
- وفاة الفقيه سراج الدين عبد اللطيف الجهمي ٨٥
- وفاة الإمام محمد بن ناصر صاحب صنعاء ٨٥
- وفاة الفقيه رضي الدين أبي بكر بن البليما ٨٥
- حصول مرض في مدينة عدن ونواحيها يعرف بشمندله ٨٦
- سنة تسع بعد التسعمائة ٨٧
- رؤية بعض الناس لرجل طويل يزيد طوله على منارة ٨٧
- وفاة الفقيه عفيف الدين عبد المجيد بن عبد العليم القرطبي ٨٧
- إصابة الناس بالحبوب المعروفة بالنار الفارسي ٨٧
- سنة عشر بعد التسعمائة ٨٨
- وفاة السلطان العادل عبد الله بن جعفر الكثيري ٨٨
- حصول زلزلة عظيمة في مدينة زبيد ومدينة زيلع ٨٨
- انقراض كوكب من اليمن في الشام عرض مدينة زبيد، وهزة عظيمة ٨٨
- حدوث الواقعة المشهورة بين السلطان عامر بن عبد الوهاب، وبين الأمير محمد بن الحسين البهال صاحب صعده على باب صنعاء ٨٨
- وفاة إمام الزيدية محمد بن علي الوشلي ٨٩

- وفاة الفقيه تقي الدين عبد السلام بن القاضي محمد الناشري ٨٩
- سنة إحدى عشر بعد التسعمائة ٩٠
- وفاة الحافظ أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر الخضيرى
الشُّيُوطي، وترجمته ٩٠
- وفاة عالم المدينة الإمام نور الدين السمهودي ٩٤
- وفاة الفقيه أحمد بن الفقيه عبد الله بن أحمد بامخرمه ٩٨
- حصول ريع شديدة في مدينة زبيد ونواحيها ٩٩
- وفاة نجم الدين طلحة بن العباس الهنار ٩٩
- وفاة الشيخ عفيف الدين عثمان بن أبي القاسم بن أبي الأفلح ٩٩
- وفاة الفقيه إبراهيم بن محمد بن علي حداد ٩٩
- سيل بوادي زبيد لم يعهد مثله ٩٩
- سنة اثنتي عشرة بعد التسعمائة ١٠٠
- وفاة الشيخ الصديق بن محمد الرّجّاجي ١٠٠
- وفاة الفقيه إسماعيل بن علي العجلي الحنفي ١٠٠
- وفاة مفتي مدينة تعز الشرف بن وهيب ١٠٠
- سنة ثلاث عشرة بعد التسعمائة ١٠١
- وفاة الفقيه نجم الدين طلحة بن محمد بن يحيى الجهمي ١٠١
- تغلب الإفرنج على مدينة هرموز ١٠١
- وفاة السيد شهاب الدين أحمد بن الناصر ١٠١
- سنة أربع عشرة بعد التسعمائة ١٠٢
- وفاة الشيخ عبد الرحمن بن عمر باهرمز الشبامي، وذكر حالاته ١٠٢
- تنبيه لدفع بعض المشكلات ١٠٥
- بيان بلدة حضرموت، وما فيها من الغرائب والخواص ١٠٥
- القصر المشيد في حضرموت ١٠٧
- قبر هود عليه السلام في حضرموت ١٠٨
- مدينة سبأ، وسد مأرب في حضرموت ١٠٩

سبل العرم في حضرموت ، وحكاية خرابة بالجرذ	١٠٩
حكاية النعمان بن المنذر ، وتكهنه في خراب السد	١١٣
بيان عمار حضرموت ، وخيراتها	١١٤
إرم ذات العماد بين صنعا وحضرموت	١١٥
حكاية عبد الله بن قُلابة	١١٧
قبر شداد بن عاد في حضرموت	١١٧
استثناء أهل حضرموت من قوله تعالى ﴿وإن منكم إلا واردها﴾	١١٨
بلدة تريم ، واعتدال هوائها	١١٨
يكشف أهل تريم رؤوسهم ويلبسون السواد	١١٩
قصيدة في صفتها ، وخواصها للفقير محمد بن أبي الحب	١٢٠
تريم مسكن آل باعلوي	١٢٠
في مقبرة تريم جماعة ممن شهد بدرأ ، وغيرهم من الصحابة	١٢٢
دعاء أبي بكر الصديق رضي الله عنه لتريم ولهذا تسمى باسمه	١٢٢
السبعة الذين يقصون حاجة من زارهم وأسماءهم منظومة بقصيدة	١٢٣
وفاة الشيخ أبي بكر بن عبد الله العيدروس باعلوي ، وترجمته	٢٤
قصيدة العلامة أحمد بن عمر المزجد الزبيدي في مدحه	١٢٦
بيان كراماته	١٢٧
فائدة في البحث عن كرامات الأولياء ، ووقوعها	١٢٨
بيان جملة من شعره	١٣٢
وفاة الشيخ أحمد بن محمد بالجفار	١٣٤
احتراق قسم من مدينة عدن	١٣٥
ارتفاع الأسعار في مدينة زبيد	١٣٥
حدوث ريح عظيمة في مدينة عدن	١٣٥
سنة خمس عشرة بعد التسعمائة	١٣٦
وفاة جمال الدين محمد الطيب بن إسماعيل مبارز	١٣٦
ذكر وفاة الفقيه ابن حشبير	١٣٦

- ١٣٦ وفاة أمير الجوق الشريف محمد بن الحسين البهال الحسني
- ١٣٦ ذكر تزلزل مدينة زبيد
- ١٣٦ ظهور كوكب على هيئة قوس قزح
- ١٣٧ سنة ستة عشر بعد التسعمائة
- ١٣٧ وفاة القاضي شهاب الدين أحمد بن محمد الفرغاني
- ١٣٧ هياج ريح شديدة
- ١٣٧ وفاة السلطان محمود بن محمد صاحب كجرات، وترجمته
- ١٣٨ ارتفاع الأسعار لقلة الأمطار
- ١٣٨ وفاة الفقيه شمس الدين علي بن موسى المشرع عجيل
- ١٣٨ انقضااض كوكب آخذاً في الشام
- ١٣٨ حصول مطر عظيم بمدينة عدن ولحج وأبين والمسيلة
- ١٣٩ تزلزل مدينة زبيد زلزالاً شديداً
- ١٣٩ وفاة الفقيه رضي الدين الصديق ابن عم عبد العليم إقبال القرني
- ١٤٠ سنة سبع عشرة بعد التسعمائة
- ١٤٠ وفاة العالم الشيخ الحسين بن عبد الله العيدروس
- ١٤١ قصيدة للعالم المذكور
- ١٤٢ وفاة الفقيه محمد بن عبد الرحمن الأسقع باعلوي، وترجمته
- وفاة الفقيه وجيه الدين عبد الرحمن بن القاضي صفي الدين أحمد ابن عمر
- ١٤٢ المزجد
- ١٤٣ وفاة الشيخ علي بن إسماعيل المشرع
- ١٤٣ وفاة الفقيه أبو القسم بن علي بن موسى المشرع
- ١٤٣ وفاة جمال الدين محمد بن إسماعيل المشرع عجيل
- ١٤٣ وفاة أبو القاسم الجنيد أحمد بن موسى المشرع عجيل
- ١٤٤ ذكر خسف فيل السلطان عامر بن عبد الوهاب بقرية الركن
- ١٤٤ دخول الإفرنج عدن، وقتل كبيرهم المسمى عين البقر

- سنة ثمانى عشرة بعد التسعمائة ١٤٥
- وفاة الشيخ محمد بن الشيخ أحمد بن الشيخ أبي بكر العيدروس باعلوي ١٤٥
- وفاة الفقيه عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر بافضل الحاج الحضرمي،
وترجمته ١٤٥
- وفاة الشيخ عفيف الدين عبد الله بن عبد الرزاق الجبرتي ٤٧
- وفاة الفقيه شهاب الدين أحمد بن محمد الموزعي ١٤٧
- وفاة الشيخ شمس الدين علي بن محمد السّدح ١٤٧
- وفاة القاضي عفيف الدين عبد العليم بن القاضي جمال الدين محمد ابن
الحسين القمّاط ١٤٧
- وفاة الفقيه شهاب الدين أحمد بن حسن الصباحي مفتي مدينة تعز ١٤٨
- وفاة الفقيه شهاب الدين أحمد بن علي الواحدى المقرئ ١٤٨
- عموم الوباء، وكثرة الموت في مدينة زبيد ١٤٨
- وفاة الشيخ موسى بن أبي الغيث الخاص ١٤٨
- سنة تسع عشرة بعد التسعمائة ١٤٩
- وفاة شيخ بن الشيخ عبد الله العيدروس، وترجمته ١٤٩
- وفاة محمد بن محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن سويد، وترجمته ١٤٩
- سنة العشرين بعد التسعمائة ١٥٢
- حصول مطر عظيم في مدينة زبيد ١٥٢
- وفاة الفقيه جمال الدين محمد بن الصديق الصايغ ١٥٢
- وفاة الشيخ شمس الدين علي بن الشجاع العنسي ١٥٣
- وفاة الفقيه عمر بن معوضه الشرعبي ١٥٣
- حج ولد سلطان مصر الملك الأشرف قانصوه الغوري وامراته ١٥٣
- سنة إحدى وعشرين بعد التسعمائة ١٥٤
- وفاة الفقيه جمال الدين بن محمد النظاري ١٥٤
- سنة اثنتين وعشرين بعد التسعمائة ١٥٥
- وفاة الشيخ أبي بكر العيدروس، وترجمته ١٥٥

- مرثية للشيخ المذكور من نظم محمد بن عمر بحرق ١٥٥
- زوال دولة الجراكسة ١٥٧
- وفاة الفاضل جمال الدين محمد بن الفقيه موسى بن عبد المنعم الضجاعي ... ١٥٧
- وفاة العلامة إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل البرهان، وترجمته ١٥٨
- وفاة الفاضل الجمال أبو الفتح إبراهيم بن علي بن أحمد القلقشندي، وترجمته ١٦٠
- وفاة الفاضل برهان الدين إبراهيم بن موسى بن أبي بكر الطرابلسي الحنفي وترجمته ١٦٢
- سنة ثلاث وعشرين بعد التسعمائة ١٦٣
- وفاة الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ علي بن أبي بكر، وترجمته ١٦٣
- وفاة العلامة الحافظ أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني، وترجمته ١٦٤
- حكاية القسطلاني مع السيوطي ١٦٦
- وفاة الفقيه عفيف الدين عبد الباري بن سليمان الطويل مفتي مدينة تعز ١٦٦
- وفاة شيخ الإسلام كمال الدين موسى بن زين العابدين البكري الصديقي مفتي زبيد، وترجمته ١٦٦
- وفاة الفقيه عمر بن محمد بن أبي بكر جعمان ١٦٨
- وفاة الشاعر الشهاب أحمد بن أحمد بن محمد الرملي المقرئ، وترجمته .. ١٦٨
- تغيير دولة الجراكسة بالدولة العثمانية ١٦٩
- شهادة السلطان الملك عامر بن عبد الوهاب سلطان اليمن، وترجمته وذكر أبيات قيلت في رثائه ١٦٩
- سنة أربع وعشرين بعد التسعمائة ١٧١
- وفاة الفاضل محمد بن علوي صاحب عيديد، وترجمته ١٧١
- وفاة السلطان سليم العثماني ١٧١
- سنة خمس وعشرين بعد التسعمائة ١٧٢
- وفاة الشيخ قاضي القضاة زين الدين زكريا الأنصاري، وترجمته ١٧٢
- وفاة الفقيه عبد الله بن أحمد باكثير الحضرمي، وترجمته ١٧٨

سنة ست وعشرين بعد التسعمائة	١٨٠
وفاة الشهاب أحمد بن الحسين بن المبذر المكي، وترجمته	١٨٠
ذكر أبدع قصيدة من نظمه	١٨١
أخذ السلطان بدر تريماً قسراً من السلطان أحمد بن محمد	١٨٥
وفاة الفاضل الأديب حمزة بن عبد الله النَّاشري، وترجمته، وذكر أبيات من نظمه	١٨٥
سنة سبع وعشرين بعد التسعمائة	١٨٩
وفاة الأمير مرجان الظَّافري	١٨٩
سنة ثمان وعشرين بعد التسعمائة	١٩٠
وفاة محمد بن أسعد جلال الدِّين الصَّدِّيق الدَّواني، وترجمته	١٩٠
سؤال وجواب عن القهوة ومنافعها	١٩٠
سنة تسع وعشرين بعد التسعمائة	١٩٣
وفاة العلامة شهاب الدِّين أحمد بن الفقيه عبد الله بالحاج بافضل، وترجمته	١٩٣
سنة ثلاثين بعد التسعمائة	١٩٥
وفاة شيخ الإسلام صفى الدِّين أبي السرور القاضي أحمد بن عمر ابن الملك سيف ذي يزن الشهير بالمزجد، وترجمته	١٩٥
وصف كتاب العباب بقصيدة	١٩٦
مقطوعات من نظمه	١٩٦
وفاة القاضي جمال الدِّين محمد بن عمر بن مبارك بن علي الحميري الحضرمي الشهير ببِحرَق، وترجمته، وأبيات من نظمه	٢٠٢
فائدة في أن إنشاء الشعر وإنشاده غير مذموم	٢٠٤
وفاة الشهاب أحمد بن سليمان بن محمد بن عبد الله الكنانى الحوراني المقرئ الحنفي المغربي	٢١١
وفاة الشريف بركات بن محمد سلطان الحجاز	
سنة إحدى وثلاثين بعد التسعمائة	٢١٣
وفاة العلّامة عبد الحق بن محمد السَّنْبَاطي القاهري، وترجمته	٢١٣

- سنة اثنتين وثلاثين بعد التسعمائة ٢١٦
 وفاة الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي السوداني الشهير بالهادي اليمني
 وترجمته وقصائد من نظمه ٢١٦
 جواباته عن الأسئلة في التصوف ٢٢٣
 رثاء المؤلف الهادي اليمني بأبيات ٢٢٥
 رجوع إلى ترجمة الشيخ المذكور، وبيان ماله من الشعر ٢٢٦
 وفاة السلطان مظفر شاه بن محمود شاه صاحب كجرات، وترجمته ٢٥٦
 سنة ثلاث وثلاثين بعد التسعمائة ٢٥٧
 وفاة الشيخ محمد بن علي بن عراق الكناني، وترجمته ٢٥٧
 سؤال وجوابه نظماً عن القهوة، وأبيات من شعره ٢٥٩
 صورة شيء من إجازة صاحب العباب المزجد للشيخ علي بن عراق نظماً ... ٢٦٠
 صورة إجازة الشيخ أبي القاسم ابن إقبال للشيخ علي بن عراق نثراً ٢٦١
 أبيات من شعره أيضاً ٢٦٣
 سنة أربع وثلاثين بعد التسعمائة ٢٦٥
 أخذ الإمام الجواد أحمد مدينة هرر من بلاد الحبشة ٢٦٥
 سنة خمس وثلاثين بعد التسعمائة ٢٦٦
 وفاة محمد بن علي بن أحمد الجناحي، وترجمته ٢٦٦
 وفاة الأمير سلمان الرومي ٢٦٧
 سنة ست وثلاثين بعد التسعمائة ٢٦٨
 وفاة الشهاب أحمد بن علي الفاكهي المصري، وترجمته ٢٦٨
 وفاة السيد الشريف حسين بن أحمد بن علي باجبهان باعلوي ٢٦٩
 سنة سبع وثلاثين بعد التسعمائة ٢٧٠
 سفر جد المؤلف لأداء فريضة الحج ٢٧٠
 سنة ثمان وثلاثين بعد التسعمائة ٢٧١
 وفاة يحيى بن علي بن أحمد الرّحبي المكي، وترجمته ٢٧١

وفاة إبراهيم بن علي بن الولي علوي خرد باعلوي، وترجمته	٢٧١
وصول مصطفى بهرام إلى الهند	٢٧٢
سنة تسع وثلاثين بعد التسعمائة	٢٧٣
رجوع جد المؤلف من الحج إلى عدن	٢٧٣
سنة أربعين بعد التسعمائة	٢٧٤
وفاة الفقيه شيخ ابن الولي عبد الله السقاف، وترجمته	٢٧٤
خروج والد المؤلف من عدن إلى تريم، وتزوجه فيها	٢٧٤
سنة إحدى وأربعين بعد التسعمائة	٢٧٥
وفاة العالم ملا عماد بن محمود الطارمي، وترجمته	٢٧٥
وفاة فاطمة بنت القاضي محمود بن سيرين، وترجمتها	٢٧٦
حكاية غريبة في قدح العين	٢٧٧
سنة اثنتين وأربعين بعد التسعمائة	٢٧٩
وفاة الشيخ علي بن أبي بكر، وترجمته	٢٧٩
وفاة الفقيه عبد الله الفقيه محمد بن أحمد بافضل	٢٧٩
وصول السلطان همايون إلى كجرات، وهزيمة السلطان بهادر	٢٧٩
قتل السلطان بدر الإفرنج في الشحر	٢٨٠
سنة ثلاث وأربعين بعد التسعمائة	٢٨١
وفاة القاضي عفيف الدين عبد الله بن أحمد سرومي الشحري، وترجمته	٢٨١
قتل السلطان بهادر بن السلطان مظفر في بندر الديو	٢٨٣
سنة أربع وأربعين بعد التسعمائة	٢٨٤
وفاة جد المؤلف عبد الله بن شيخ ابن الشيخ عبد الله العيدروس وترجمته	٢٨٤
وفاة الفقيه الصالح الشريف عمر باشيان بن محمد بن أحمد بن أبي بكر	٢٨٥
وفاة شيخ الإسلام أبو محمد عبد الرحمن بن علي ديبع الشيباني العبدري، وترجمته	٢٨٦
أبيات من شعر شيخ الإسلام ابن الدبّيع	٢٩٢

- سنة خمس وأربعين بعد التسعمائة ٢٩٦
- وفاة أم والد المؤلف فضل الله بنت الشريف محمد بن حسن باعلوي ٢٩٦
- ولادة عفيف الدين الشيخ عبد الله العيدروس، ومدحه بقصائد، وترجمته ٢٩٦
- سنة ست وأربعين بعد التسعمائة ٣٠١
- وفاة الشيخ شهاب الدين أحمد بن الشيخ عبد الرحمن باعلوي، وترجمته ٣٠١
- سنة سبع وأربعين بعد التسعمائة ٣٠٣
- وفاة العلامة عفيف الدين عبد الله بن أحمد مخرمه، وترجمته، وراثته ٣٠٣
- سنة ثمان وأربعين بعد التسعمائة ٣٠٦
- وفاة أحمد ابن الطيب الطنبداوي البكري الصديقي، وترجمته، وأبيات من شعره ٣٠٦
- وفاة أحمد بن الشمس ابن محمد ابن القطب البخاري، وترجمته ٣١٠
- سنة تسع وأربعين بعد التسعمائة ٣١١
- ولادة الشيخ شهاب الدين أحمد ابن الشيخ القطب العيدروس، في مدحه وذكر أبيات ٣١١
- سنة خمسين بعد التسعمائة ٣١٤
- وفاة الشيخ شيخ ابن إسماعيل السقاف ٣١٤
- وفاة الولي الصالح حسين بن أحمد باعلوي صاحب قسم ٣١٤
- وفاة الشريف عبد الرحمن زين بافقيه باعلوي ٣١٥
- وفاة الشيخ محمد بن عبد الرحمن الرعيني الأندلسي، وترجمته ٣١٥
- سنة إحدى وخمسين بعد التسعمائة ٣١٧
- وفاة الولي الشيخ شهاب الدين أحمد بن علي الحلبي، وترجمته ٣١٧
- وفاة العلامة الفروعي جمال الدين محمد بن عمر باقضام أبو مخرمه، وترجمته ٣١٧
- وفاة شير شاه البنان ٣١٨
- سنة اثنتين وخمسين بعد التسعمائة ٣١٩
- وفاة الشيخ أبو السعود محمد بن مصطفى الإسكيلي، وترجمته، وشعره ٣١٩

سنة ثلاث وخمسين بعد التسعمائة	٣٢٢
وفاة السيد الجليل عبد الله بن علوي العيدروس	٣٢٢
قتل الأمير الكبير الخواجة صفر سلماي الرومي خداوندخان	٣٢٢
سنة أربع وخمسين بعد التسعمائة	٣٢٣
وفاة الشيخ جار الله بن عبد العزيز بن عمر الهاشمي، وترجمته	٣٢٣
سنة خمس وخمسين بعد التسعمائة	٣٢٥
مجيء آصفخان الكجراتي من مكة إلى كجرات، وترجمته، وراثته	٣٢٥
سنة ست وخمسين بعد التسعمائة	٣٣١
وفاة الشيخ حسن بن علي	٣٣١
سنة سبع وخمسين بعد التسعمائة	٣٣٢
وفاة الولي شهاب الدين ابن الشيخ عبد الرحمن باعلوي، وترجمته	٣٣٢
وفاة العلامة القاضي أحمد بن شريف بن علي بن علوي	٣٣٢
سنة ثمان وخمسين بعد التسعمائة	٣٣٤
وفاة الشيخ عبد الله ابن الفقيه محمد باقشير الشافعي الحضرمي وترجمته	٣٣٤
هجوم أمير الحاج علي شريف مكة ليقنتله	٣٣٥
سنة تسع وخمسين بعد التسعمائة	٣٣٧
تعمير بيت الله الحرام	٣٣٧
تعمير السلطان بدر الدين ابن السلطان عبد الله مدرسة بالشحر	٣٣٧
سنة ستين بعد التسعمائة	٣٣٨
وفاة الفاضل جمال الدين محمد بن علي بن علوي خرد باعلوي	٣٣٨
سنة إحدى وستين بعد التسعمائة	٣٣٩
قتل السلطان محمود شاه صاحب كجرات، وكيفية قتله	٣٣٩
موت السيد أحمد ابن أبي نُمي صاحب مكة	٣٤٠
موت سليم شاه بن شير شاه البتان	٣٤٠

الموضوع	الصفحة
موت برهان نظام شاه سلطان الدكن	٣٤٠
قتل السلطان بايزيد العثماني	٣٤٠
سنة اثنتين وستين بعد التسعمائة	٣٤١
وفاة الشيخ حامد الجبرتي ، وقصيدة في رثائه	٣٤١
موت السلطان همايون بن بابور	٣٤٤
سنة ثلاث وستين بعد التسعمائة	٣٤٥
وصول الوزير الأعظم الفخان إلى وسرت مكسوراً	٣٤٥
قتل السيد المرتضى	٣٤٥
سفر الشيخ أبو السعادات من أحمد آباد إلى سرت	٣٤٥
سنة أربع وستين بعد التسعمائة	٣٤٦
وفاة أبي العباس أحمد بن علي المزجاجي الحنفي ، وترجمته	٣٤٦
سنة خمس وستين بعد التسعمائة	٣٥٠
وفاة الشيخ شهاب الدين أحمد الفقيه عثمان بن محمد عثمان الشهير بالعمودي ، وترجمته	٣٥٠
سنة ست وستين بعد التسعمائة	٣٥٥
وفاة الإمام عبد القادر الشافعي ، وقصيدة في رثائه	٣٥٥
قتل الوزير عماد الملك ، ومصطفى القرمانلي	٣٥٧
سنة سبع وستين بعد التسعمائة	٣٥٨
وفاة الشيخ وجيه الدين عبد الرحمن ابن الشيخ عمر العمودي ، وترجمته	٣٥٨
وفاة أحمد شاه قتيلاً ، ومجيء جنكيز خان إلى سرت	٣٦٢
سنة ثمان وستين بعد التسعمائة	٣٦٣
مجيء جنكيز خان ثانياً إلى سرت أيضاً ، وخرب جانباً من الكوت	٣٦٣
ذهاب صاحب سرت خداوند خان إلى بلاد الكفار	٣٦٣
قتل خداوند خان ، وترجمته ، ورثائه بقصيدة	٣٦٣
وفاة الشيخ أحمد بن الشيخ حسين العيدروس ، وترجمته ، ورثائه	٣٦٧

سنة تسع وستين بعد التسعمائة	٣٧٠
وفاة الشيخ أبو محمد معروف بن عبد الله، وترجمته	٣٧٠
حصول حريق البرد بحضر موت	٣٧١
وفاة الفقيه محمد بن حسين بن الشيخ محمد النهاري رعين	٣٧١
سنة سبعين بعد التسعمائة	٣٧٣
السيل العظيم في حضر موت	٣٧٣
سنة إحدى وسبعين بعد التسعمائة	٣٧٤
وفاة الشيخ الكبير وجيه الدين الشريف عبد الرحمن بن حسين الأهدل وترجمته، وإبيات من شعر والده	٣٧٤
وفاة الشريف العالم الفاضل النسابة نور الدين علي باجبهان باعلوي	٣٧٦
فيضان أودية مكة من السيول العظيمة	٣٧٦
تعمير والد المؤلف مسجداً بسرت، وتاريخ التعمير	٣٧٦
سنة اثنتين وسبعين بعد التسعمائة	٣٧٨
وفاة العلامة عبد الله بن أحمد الفاكهي، وترجمته	٣٧٨
وفاة الفقيه عبد الله بن الفقيه الصوفي عمر مخرمة، وترجمته وجملته من شعره	٣٧٨
سنة ثلاث وسبعين بعد التسعمائة	٣٨٥
وفاة الولي أحمد بن علوي بن المعلم، وترجمته، وراثته للمؤلف	٣٨٥
وفاة الفقيه محمد بن الشيخ حسن، وترجمته، وراثته للفاكهي	٣٨٦
وفاة الشهاب القباني الحادي الشهير	٣٨٧
تعمير سبيل في مكة على نفقة القاضي حسين، وتاريخ التعمير	٣٨٨
سفر الفقيه محمد بن أفلح من الهند إلى مكة، وغرق المركب ومن فيه، وترجمته	٣٨٨
سنة أربع وسبعين بعد التسعمائة	٣٩٠
وفاة الولي عبد الله بن الفقيه محمد بن عبد الرحمن الأسقع باعلوي، وترجمته	٣٩٠

- وفاة الإمام الحافظ ابن حجر الهيتمي السَّعدي الأنصاري، وترجمته ٣٩٠
- وفاة السلطان سليمان بن سليم سلطان العثمانيين، وراثته ٣٩٦
- نبذة من شعر مامية الانقشاري ٣٩٦
- ختم البخاري القاضي جمال الدين، وعمل ضيافة عظيمة لذلك ٤٠٢
- سفر والد المؤلف من بروج إلى أحمد آباد ٤٠٣
- ختن أولاد شيخ الإسلام جمال الدين البكري، وقصيدة طويلة في ذلك ٤٠٣
- سنة خمس وسبعين بعد التسعمائة ٤١٠
- وفاة شيخ الإسلام أبو الضياء عبد الرحمن بن عبد الكريم الغيبي المصري،
وترجمته ٤١٠
- وفاة الشيخ عبد السلام ابن شيخ الإسلام وجيه الدين عبد الرحمن، وترجمته ٤٢٠
- وفاة الولي علي المتقي ابن حسام الدين ابن قاضي خان الهندي صاحب «كنز
العمال»، وترجمته ٤٢١
- غرق مركب بالهند كان فيه عشرة من ابن آل باعلوي ٤٢٦
- سنة ست وسبعين بعد التسعمائة ٤٢٧
- وفاة الولي شيخ بن الشيخ عبد الله باعلوي، وترجمته ٤٢٧
- وفاة الشيخ عبد العزيز الزمزمي المكي، وترجمته ٤٢٧
- أبيات الفرج وتخاميس للشيخ المذكور ٤٢٨
- ولادة أخي المؤلف محمد فضل الله ٤٣٢
- ولادة الوزير العادل ميرزا شمس الدين، ومدحه بقصيدة ٤٣٣
- سنة سبع وسبعين بعد التسعمائة ٤٣٥
- وفاة سلطان حضرموت بدر ابن السلطان عبد الله، وترجمته، ومدحه بقصيدة ٤٣٥
- تولية ولده السلطان عبد الله ٤٣٧
- تولية عمه السلطان عمر بن السلطان بدر، وترجمته ٤٣٧
- نبذة من أخلاق عبد الله بن المبارك ٤٤١
- سنة ثمان وسبعين بعد التسعمائة ٤٤٤
- ولادة مؤلف هذا الكتاب، مؤلفاته الكثيرة، وقول العلماء فيها، وشعره ٤٤٤

٤٥٣	فيضان بعض البرك بأحمد آباد
٤٥٣	رؤية الدم في بعض برك الماء بأحمد آباد
٤٥٤	سنة تسع وسبعين بعد التسعمائة
٤٥٤	وفاة الفقيه حسين بن الفقيه عبد الله بافضل الشافعي، وترجمته
٤٥٧	حكاية غريبة تدل على فضل الشيخ ابن عربي
٤٥٨	وفاة عبد القادر ابن الفقيه بافضل
٤٥٩	موت القاضي محمد حاجي، وتاريخ موته
٤٥٩	بناء والد المؤلف بيتاً بأحمد آباد، وتاريخ البناء
٤٦٠	سنة ثمانين بعد التسعمائة
٤٦٠	وفاة الشيخ عبد الرحيم بخضر
٤٦٠	أخذ السلطان أكبر بن برهان كجرات
٤٦٠	ختم أحياء العلوم، وقصيدة الشيخ عبد المعطي باكثير
٤٦٢	سنة إحدى وثمانين بعد التسعمائة
٤٦٢	غرق مركب كان مسافراً من الشحر إلى الديو، وموت جملة من الأشراف
٤٦٢	قدوم أبي بكر بن الإمام برهان الدين
٤٦٣	مجيء السلطان أكبر إلى كجرات
٤٦٣	حصول ريح عاصف، وغبار عظيم في أحمد آباد
٤٦٤	سنة اثنتين وثمانين بعد التسعمائة
٤٦٤	وفاة العلامة سراج الدين عمر بن عبد الوهاب النّاشري
٤٦٤	وفاة الفاضل عبد القادر بن أحمد الفاكهي، وترجمته
٤٦٦	وفاة القاضي عيسى الهندي
٤٦٦	وفاة السلطان سليم ابن السلطان سليمان العثماني، وأبيات في تاريخ وفاته
٤٦٧	تعمير الوزير درويش باشا حماماً عظيماً
٤٦٨	سنة ثلاث وثمانين بعد التسعمائة
	طلب السلطان عبد الله بن بندر الكثيري محمد بن عبد الرحيم من بروم ليوليه
٤٦٨	تدريس مدرسة أبيه، وقصيدة أنشدت في ذلك

فراغ والد المؤلف من تأليف كتابه «الفوز والبشرى في الدنيا والأخرى شرح العقيدة الزهراء»	٤٦٩
سنة أربع وثمانين بعد التسعمائة	٤٧٠
وفاة عبد الله بن سعد الدين المدني السندي	٤٧٠
وفاة عبد الله الشهير بالنحوي، وذكر بعض من كراماته	٤٧٠
وفاة الشيخ جمال الدين محمد بن عبد الرحيم العمودي	٤٧٠
وفاة سعيد سلطاني الحبشي، وترجمته	٤٧١
وفاة السلطان عبد الله بن بدر	٤٧١
إتمام عمارة الحرم المكي في أيام السلطان مراد	٤٧١
سنة خمس وثمانين بعد التسعمائة	٤٧٢
طلوع نجم له ذوابة وشعاع	٤٧٢
ختم «صحيح البخاري» بحضرة والد المؤلف، وقصيدة في ذلك	٤٧٢
وفاة ميان عبد الصمد الهندي، وترجمته	٤٧٤
سنة ست وثمانين بعد التسعمائة	٤٧٥
استشهاد العلامة جمال الدين محمد طاهر الملقب بملك المحدثين الهندي، وترجمته	٤٧٥
سنة سبع وثمانين بعد التسعمائة	٤٧٧
وفاة الشريف عمر بن عبد الله الهندوان باعلوي	٤٧٧
موت السلطان حيدر بن حنش صاحب أحور	٤٧٧
وفاة الفقيه نور الدين علي بن صبر اليافعي الشافعي	٤٧٧
سنة ثمان وثمانين بعد التسعمائة	٤٧٨
إجراء العين إلى مكة المشرفة	٤٧٨
وفاة علي عادل شاه سلطان بيجافور	٤٧٨
حفظ القرآن راجا علي خان سلطان برهان فور وهو يومئذ سلطان وفي سن الكهولة	٤٧٨

سنة تسع وثمانين بعد التسعمائة	٤٧٩
وفاة الشيخ عبد المعطي ابن الشيخ حسن المكي، وترجمته، وشيء من شعره	٤٧٩
فائدة تتعلق بمدينة أحمد آباد، وبنائها، ومن تولى الحكم فيها	٤٨٥
وفاة قطب شاه سلطان كلكندة	٤٨٧
دخول الشيخ محمد العيدروس إلى الهند، وإنشاء والده المؤلف قصيدة لدخوله	٤٨٧
سنة تسعين بعد التسعمائة	٤٨٨
وفاة الشيخ شيخ بن عبد الله العيدروس، وما قيل في رثائه من الشعر، وترجمته، وما له من الشعر	٤٨٨
وفاة الشيخ عبد النبي الصدر شهيداً، وترجمته	٤٩٥
وفاة الشريف أبي ندى محمد بن بركات صاحب مكة	٤٩٦
وفاة القاضي حسين المالكي، وترجمته	٤٩٦
وفاة الشيخ قطب الدين الحنفي المكي النهروالي، وقصائد من شعره	٤٩٩
وفاة رضي الدين القازاني المخزومي	٥٠٥
ظهور جراد بنواحي كجرات	٥٠٥
لطيفة، وغريبة، ونادرة	٥٠٦
سنة إحدى وتسعين بعد التسعمائة	٥٠٨
وفاة الفقيه جمال الدين محمد أبي بكر الأسحر، وترجمته، وإييات له، وقصيدة في رثائه	٥٠٨
ختم البخاري بقراءة شمس الدين علي بن الفقيه عبد الرحمن بن محمود القيسي علي الطاهر بن الحسين الأهدل، وإنشاد قصيدة لهذا الختم	٥١٩
استعادة السلطان مظفر بن السلطان محمود كجرات من المغول	٥٢١
سنة اثنتين وتسعين بعد التسعمائة	٥٢٣
وفاة الشيخ شهاب الدين أحمد بن بدر الدين العباسي المصري، وترجمته، وشيء من شعره في فصول السنة	٥٢٣
وفاة الشيخ محمد بن أحمد بن علي الفاكهي المكي، وترجمته وما له من النظم	٥٢٧

- غريبة ٥٢٩
- ذكر أبيات لأبي العلاء المَعَرِّي، والردّ عليها، ونبذة من ترجمته ٥٣٠
- وفاة الشيخ أبي بكر بن سالم باعلوي، وترجمته ٥٣٢
- وفاة الحكيم شهاب الدين محمود بن شمس الدين السّندي ٥٣٣
- سنة ثلاث وتسعين بعد التسعمائة ٥٣٤
- وفاة الشيخ محمد بن الشيخ أبي الحسن محمد البكري الصّدّيق، وترجمته ونظمه ٥٤٣
- وفاة الشيخ محمد بن عبد الحق العقيلي المالكي، وترجمته، وشعره ٥٥٤
- وفاة العالم المحدث الفقيه رحمه الله ابن عبد الله السّندي الحنفي، وترجمته ٥٦٠
- وفاة الخان محمد الفخان بن ياقوت الفخان سلطاني ٥٦١
- سنة أربع وتسعين بعد التسعمائة ٥٦٣
- وفاة العبد الصالح أتلخان الحبشي، وترجمته ٥٦٣
- سنة خمس وتسعين بعد التسعمائة ٥٦٤
- بناء السلطان مراد سبيلاً على باب الصفا، وتاريخ ذلك البناء ٥٦٤
- سنة ست وتسعين بعد التسعمائة ٥٦٥
- وفاة الشريف محمد بن الحسين السمرقندي، وترجمته، وشعره ٥٦٥
- وفاة السيدة سلمى بنت والد المؤلف ٥٦٦
- وفاة الشيخ جمال الدين محمد بن الصديق الخاص الحنفي الزّبيدي ٥٦٦
- وقوع زلزلة في المدينة المشرفة ٥٦٦
- خلع مرتضى نظام شاه ٥٦٧
- سنة سبع وتسعين بعد التسعمائة ٥٦٨
- وفاة السيدة فاطمة بنت السيد وزوجة والد المؤلف ٥٦٨
- سفر المؤلف من أحمد أباد إلى البروج ٥٦٨
- الشروع في بناء عمارة ضريح والد المؤلف ٥٦٩
- فراغ المؤلف من تصنيف كتاب «الفتوحات القدوسية في الخرقه العيدروسية»، وتاريخ هذا التأليف نظماً ٥٦٩

سنة ثمان وتسعين بعد التسعمائة	٥٧٢
وفاة الحافظ الطاهر بن الحسين بن عبد الرحمن الأهدل وترجمته	٥٧٢
قصيدة الأديب حسين بن عبد الباقي الزبيدي يمدح بها المؤلف	٥٧٨
وفاة الرجل الصالح المشهور المعمر وجيه الدين الهندي	٥٨٢
ولادة ولد المؤلف شيخ، ونظم تاريخ الولادة	٥٨٢
وفاة سالم بن علي باموجه، وترجمته	٥٨٣
فيضان وادي عدم بسيل هائل	٥٨٤
سنة تسع وتسعين بعد التسعمائة	٥٨٥
تمام عمارة قبة والد المؤلف، وتاريخ ذلك	٥٨٥
سفر المؤلف إلى جيول، وإلى أحمد أباد	٥٨٥
زوال الدولة المهدوية باحمدنكر، وقتل الوزير جمال خان	٥٨٦
وفاة السيد عبد الرحيم الحساوي المكي	٥٨٧
وفاة الفقيه باشر اهيل الحضرمي	٥٨٧
وفاة الشريف يحيى الحوارني المدني	٥٨٧
قراءة الفقيه عفيف الدين عبد الله بن فلاح الحضرمي على المؤلف كتابه	
«الفتوحات القدوسية»	٥٨٨
سنة الألف	٥٨٩
وفاة الولي الصالح سراج الدين عمر بن عبد الله العيدروس، وترجمته	٥٨٩
وفاة الشيخ جمال الدين محمد بن علي الحشيري، وترجمته	٥٩١
ترجمة سعد السويني، وبيان الحروف الثورانية والظلمانية	٥٩٥
عودة إلى ذكر أخباره، وما للمؤلف من النظم والموشحات	٥٩٦
حكاية غريبة	٦٠٧
رؤية الشيخ الفقيه الصالح سراج الدين عمر بن زيد الدوعني المؤلف محيي	
الدين الشيخ عبد القادر العيدروس في منامه في بيت عظيم وعنده جماعة من	
أصحابه.	

٦١١ فهرس الأعلام المترجمين على نسق حروف المعجم
٦٣٠ فهرس ما قَيِّده أو شرحه المؤلف من الأسماء والبلدان
٦٣٢ فهرس ما قَيِّد أو شرح في الحواشي من الأسماء والبلدان
٦٣٣ فهرس المصادر والمراجع المعتمدة في تحقيق الكتاب والتعليق عليه
٦٤١ فهرس الموضوعات

* * *